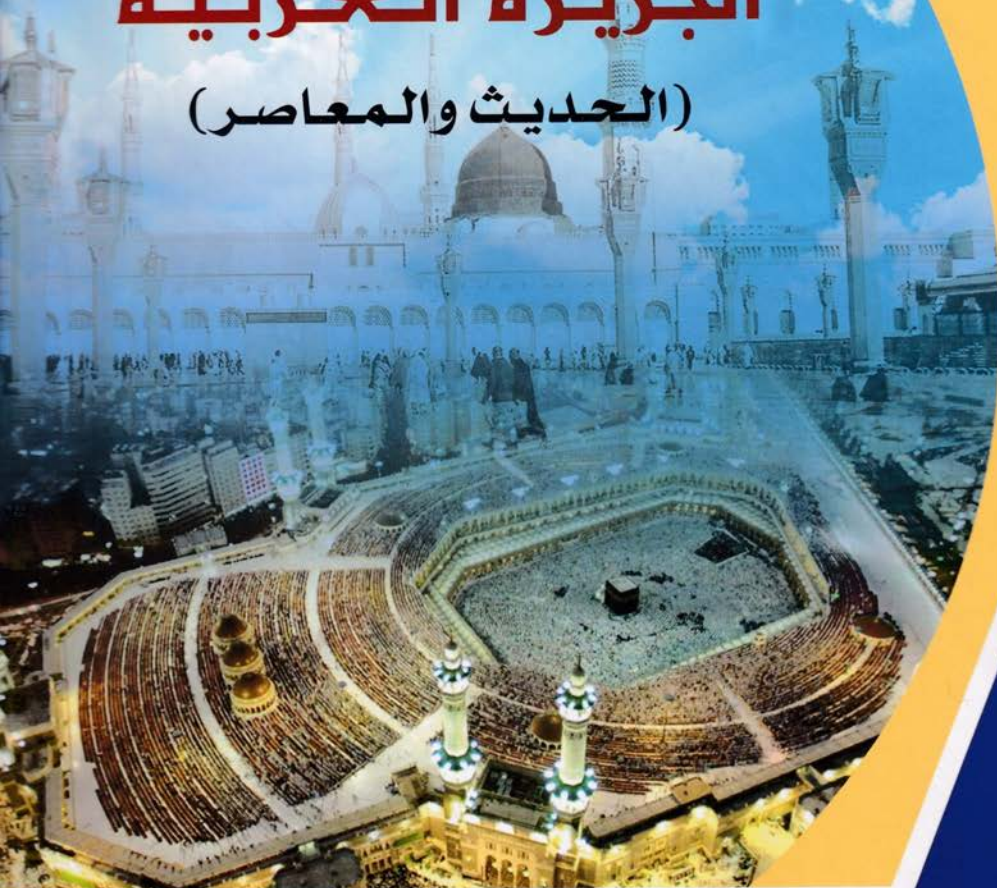


مكتبة 1604

المكتبة التاريخية

# تاريخ الجزيرة العربية (الحديث والمعاصر)



أ.د. محمد سهيل طقوش

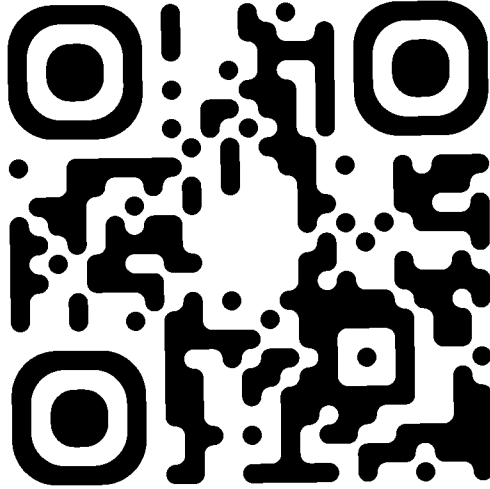
دار النفايس

لزنسى تشرين .. 23

لزنسى غزة والشهداء

انضم ل مکتبة .. اصساح الکور

telegram @soramnqraa



تاریخ الجزيرة العربية

(الحديث والمعاصر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# تاريخ الجزيرة العربية

(الحديث والمعاصر)

مكتبة | 1604

تأليف

أ.د. محمد سهيل طقّوس

أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة الإمام الأوزاعي

كلية الدراسات الإسلامية

دار النفائس

تاريخ الجزيرة العربية

تأليف: أ.د. محمد سهيل طقوش

© جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى: 1434 هـ - 2013 م

ISBN 978 - 9953 - 18 - 523 - 1

مكتبة

t.me/soramnqraa

23 11 2023

Publisher

نشر



DAR AN-NAFAES

Printing-Publishing-distribution

Verdun Str - Safiedine bldg.

P.o.Box 14-5152

Zip code 1105-2020

Fax: 009611 861367

Tel: 00961 1 803152 - 810194.

Beirut - Lebanon



دار النفايس

للطباعة والنشر والتوزيع

شارع فردان - بناية الصباح

وصفي الدين - ص.ب 5152 - 14

الرمز البريدي: 2020 - 1105

فاكس: 009611861367

هاتف: 803152 - 009611810194

بيروت - لبنان

Email: [alnafaes@yahoo.com](mailto:alnafaes@yahoo.com)

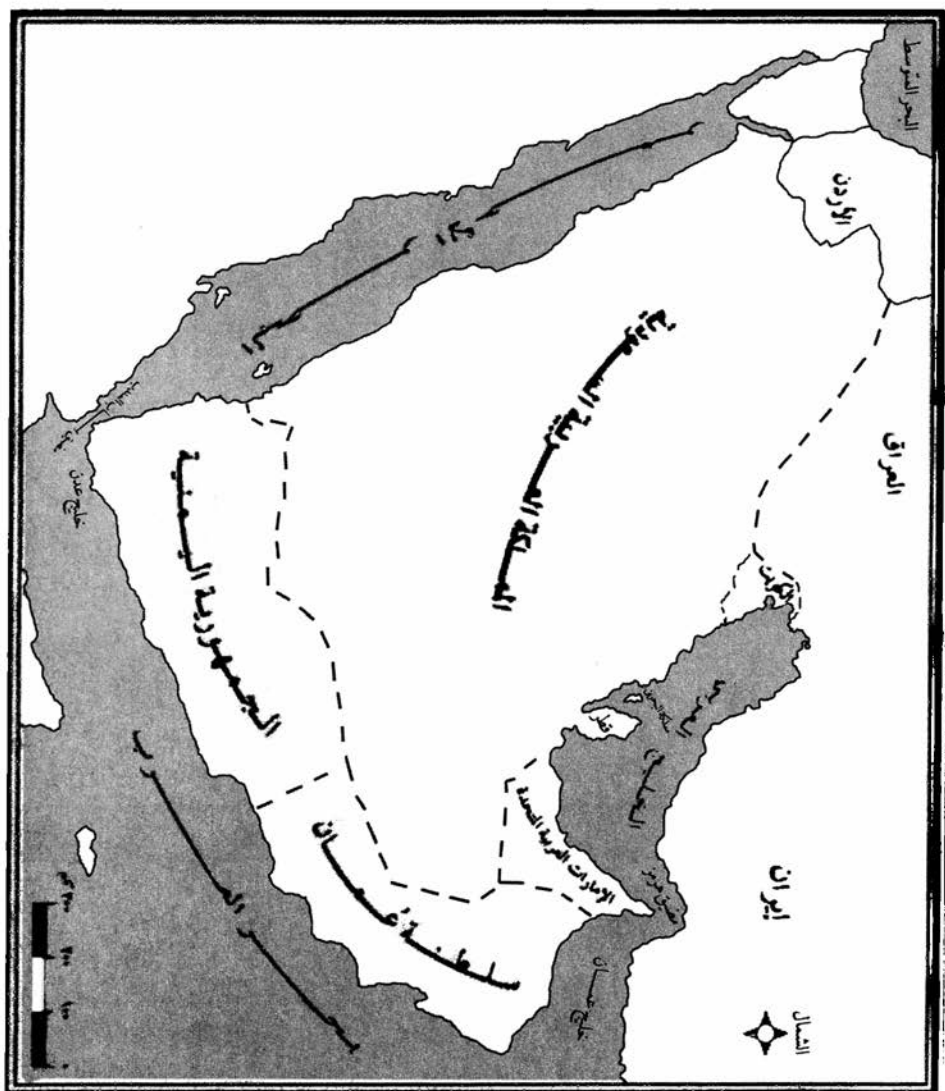
Web Site: [WWW.alnafaes.com](http://WWW.alnafaes.com)

## إهداء

إلى حفيدي طه

بُرعمُ ربيعِي يزهر في حديقة عائلتي

وينمو على حبِّ العلم والمعرفة



خريطة اقطار الجزيرة العربية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، محمد بن عبد الله، خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين، وبعد: يتناول هذا الكتاب تاريخ أقطار الجزيرة العربية الحديث والمعاصر وهي: المملكة العربية السعودية، واليمن، وعمان، والإمارات العربية المتحدة، والكويت، وقطر، والبحرين، وقد سلّط الضوء على تطورها منذ القرن السابع عشر وحتى أوائل القرن الواحد والعشرين، وختمت الدراسة بفصل يتعلّق بمجلس التعاون الخليجي.

الواقع أن شعوب تلك الأقطار العربية واجهت عبر تاريخها الحديث، الآلة العسكرية الأوروبية المتطورة، ونجحت بالقوة حيناً وبالسياسة أحياناً في إخراج المستعمرين من أراضيها، وسارت في العهد المعاصر بعد الحرب العالمية الأولى في طريق النمو والتطور، وهي الآن تملأ مركزها كقوة اقتصادية كبرى في المجتمع الدولي.

تدرّجت المملكة العربية السعودية في تاريخها الحديث والمعاصر من الإمارة إلى المملكة عبر ثلاثة أدوار، بلغت في دورها الأول (١٧٤٥ - ١٨١٨م) من القوة ما جعلها تسيطر على أوسع مساحة في الجزيرة العربية، قبل أن تتعرّض لاجتياح مصري انتزع منها الكثير من الأراضي، ودُمّر عاصمتها الدرعية، وسقطت في أيدي المصريين في عام ١٨١٨م، وشهدت البلاد حكماً عثمانياً - مصريةً استمرّ حتى عام ١٨٤٠م، عندما انسحبت القوات المصرية من الجزيرة العربية.

واستعادت الإمارة السعودية في دورها الثاني (١٨٣٤ - ١٨٩١م) بعد خروج القوات المصرية، معظم ما فقدته من الأراضي، وأخذت تتدرج في النمو والازدهار حتى بلغت أوجها في عام ١٨٦٣م في عهد أحد أقوى أئمتها الإمام المؤسس فيصل بن تركي، ودخلت الإمارة بعد وفاته في مرحلة اضطراب سياسي أدى إلى سقوطها في أيدي آل الرشيد في عام ١٨٩١م، ثم قامت الإمارة السعودية الثالثة (١٩٠٢ - ١٩٣٢م) على يد الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، الذي استعاد إمارة آبائه وأجداده، فانتزع الرياض من يد آل الرشيد، وسيطر على نجد والقصيم والأحساء.



ووقف الأمير عبد العزيز، خلال الحرب العالمية لأولى موقفاً حذراً، وكانت بريطانيا تسيطر على معظم إمارات الخليج العربي. ودوره. و ستقطبت الشريف حسين في الحجاز، ودفعته للثورة على العثمانيين. وتغربت من لأمير عبد العزيز حتى لا يُعرقل مسار الثورة.

ورغب الأمير عبد العزيز من جهته في كسب ثقة و احترام بريطانيا والعمل على التوصل معها إلى اتفاق يضمن استقلال بلاده، ووحدة راضيه. فكانت اتفاقية العقير في ٢٦ كانون الأول ١٩١٥م التي تخدم هذا الهدف. من قبل التزامه بمساعدة الحلفاء والتشاور مع بريطانيا في تعامله مع الدول الأجنبية.

وأضحت هذه الاتفاقية أساس التعامل بين الجانبين. حتى سببت باتفاقية جدة في ٢٠ أيار ١٩٢٧م بعد ضمّه الحجاز.

وتراوحت علاقات الأمير عبد العزيز مع جيرانه في مرحلة بين تحريين العالميتين الأولى والثانية، بين التعاون المثمر والعداء الذي أثاره النزاع الحدودي مع اليمن في الجنوب، أما في الشمال فكان الاتفاق مع بريطانيا الذي أعضى الأمير وادي السرحان.

وتحوّلت الإمارة السعودية إلى مملكة، ونودي بالأمير عبد العزيز ملكاً في ٨ كانون الثاني ١٩٢٦م إثر ضمّه الحجاز.

عمل الملك عبد العزيز على الصعيد الداخلي، على نقل المجتمع النجدي من حياة الغزو والارتحال، إلى حياة زراعية مستقرة. فوطّن البدو في قرى زراعية، وأمن لهم سبل الزراعة المستقرة، وشجّعهم على امتهان العمل الزراعي، والحرف اليدوية، وحقّق نجاحاً ملفتاً في إدارة دولته، وكان حاكماً مطلق الصلاحية وفقاً للعرف القبلي السائد، غير أنه كان يتشاور مع العلماء، وهو مُلزم بالتمسك بأحكام القرآن والسنة.

كان الحج المورد الرئيس لعائدات المملكة قبل اكتشاف النفط واستخراجه وتسويقه، وقد شكّل ذلك انعطافة في نموّ المملكة وفي علاقاتها مع الخارج، وبخاصة مع الولايات المتحدة الأميركية التي دخلت بقوة إلى منطقة الشرق الأوسط عبر شركات النفط.

توفي الملك عبد العزيز في ٩ تشرين الثاني ١٩٥٣م وخلفه ابنه الملك سعود الذي تنازل عن صلاحياته لأخيه الأمير فيصل في ٢٣ آذار ١٩٥٨م، وتوفي في ١٣ شباط ١٩٦٩م.

وتوالى على حكم المملكة عدد من الأخوة الملوك، كان يخلف الواحد منهم الآخر، وهم: فيصل الذي اغتيل في ٢٥ آذار ١٩٧٥م، وخالد الذي توفي في

١٣ حزيران ١٩٨٢م، وفهد الذي توفي في آب ٢٠٠٥م، وعبد الله الذي لا يزال يحكم حتى وقتنا الحاضر.

سار الأخوة على نهج والدهم المؤسس في العمل على نموّ وارتقاء البلاد، ومواكبتها للتطور الحضاري، وعلى رفاهية الشعب السعودي وراحته.

بسط السلطان سليم الأول العثماني سيادته على اليمن، باستثناء عدن، بعد معركة الريدانية وسيطرته على مصر في عام ١٥١٧م، وشهد هذا البلد صراعاً داخلياً بين المماليك والزيديين والطاهريين، وضغطاً خارجياً تمثل بمحاولة البرتغاليين والعثمانيين السيطرة على عدن، ونجح العثمانيون في آب ١٥٣٨م في السيطرة على السواحل اليمنية بما فيها عدن، وقضوا على حكم المماليك والطاهريين، ما وضعهم في مواجهة مباشرة مع الزيديين الذين وصلوا إلى أسوار عدن منطلقين من قواعدهم في الشمال.

استمر الحكم العثماني لليمن حتى عام ١٥٦٧م، ثم ضمّه العثمانيون ثانية في عام ١٥٦٩م بعد أن تغلّبوا على المقاومة الزيدية، ثم خرجوا منه في عام ١٦٣٥م بفعل ثورة الزيديين، وقامت الدولة الزيدية التي استمر حكمها حتى قيام الجمهورية اليمنية في عام ١٩٦٢م.

تعرّض اليمن خلال تاريخه الحديث لضغط القوى المسيطرة على المنطقة مثل المصريين في عهد محمد علي باشا، والبريطانيين الذين استولوا على عدن في ١٦ كانون الثاني ١٨٣٩م، وحاول العثمانيون أكثر من مرة، استعادة سيادتهم، حتى نجحوا في السيطرة على صنعاء في عام ١٨٧٢م.

انتهج العثمانيون سياسة مركزية، واتّسم حكمهم في اليمن بالقسوة، لذلك قامت الثورات في وجههم، وسعى الإمام يحيى في عام ١٩٠٤م إلى إخراج العثمانيين من اليمن وتوحيده، إلا أن كل ما حقّقه في صلح دعان في ٢٤ تشرين الأول ١٩١١م مع حاكم اليمن عزت باشا؛ اعتراف العثمانيين بالشخصية الخاصة للإمام، وبعض النفوذ الديني بوصفه زعيماً لطائفة دينية، غير أن هؤلاء خرجوا من اليمن في عام ١٩١٨م عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى.

انحصر الصراع على اليمن بعد خروج العثمانيين بين الزيديين والبريطانيين، فعقد الطرفان اتفاقية صداقة وتعاون في ١١ شباط ١٩٣٤م، ووقف الإمام يحيى خلال الحرب العالمية الثانية على الحياد.

وتطلع اليمنيون الجنوبيون بعد انتهاء الحرب، إلى الاستقلال عن بريطانيا، فقاموا بتحركات وطنية ضدّ السيطرة الاستعمارية، اتّسمت بالعفوية، وعدم التنظيم الكامل،

وخشي العدنيون الأكثر تطوراً من ذوبانهم في المحميات اليمنية لتخايمهم، لذلك دعوا إلى فصل عدن عن جنوبي اليمن، ومنحهم إدارة ذاتية، ودخلهم في رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث)، وقد لاقت هذه الدعوة استجابة من بريطانيا.

وقامت الجمعيات التي تدعو إلى الوحدة، وانتهجت نقوى الوطنية أسلوب الكفاح المسلح ضدّ الوجود البريطاني هناك، فأعلنت الثورة في ١٤ تشرين الأول ١٩٦٣م التي ستصاعد حتى نيل الاستقلال في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٦٧م.

وحاول اليمنيون التخلص من نظام الإمامة التي مالت إلى العزلة، فقاموا بثورات عدة، وتعرّضت الإمامة من جانبها لصراع داخلي، فاغتيل الإمام أحمد بن الإمام يحيى في ٢٠ أيلول ١٩٦٢م، وخلفه ابنه الإمام البدر الذي قامت ثورة العشرين من أيلول في أيامه، وقضت على حكمه.

لم تكن علاقات الأئمة الزيديين منذ الإمام أحمد؛ مع مصر مستقرة، ما دفع القاهرة إلى التدخل لمساندة الثورة اليمنية ضد نظام الإمامة التي التمسّت مساعدة المملكة العربية السعودية والأردن.

ووجّهت معظم الدول العربية ضربة قاسية للنظام الملكي باعترافها بالجمهورية العربية اليمنية التي شكّلت طريقها على أنقاض الإمامة، والتفت اليمنيون إلى تحقيق الوحدة بين شطري اليمن الجنوبي والشمالى، والتخلّص في ميراث الماضي بشقّيه، الإمامة والاستعمار، ولم يلبث الجمهوريون أن أبدوا بعض التقارب مع المملكة العربية السعودية، ما أدى إلى التعايش بين الجمهوريين والملكيين، والمحافظة على النظام الجمهوري.

شهدت الجمهورية العربية اليمنية صراعاً سياسياً كانت تحسمه الانقلابات العسكرية، وجرّت محاولات عدة لتوحيد شطري اليمن، ونجحت الثورة التي قامت في ٢٢ أيار ١٩٩٠م في تحقيق هذا الهدف، فقامت الجمهورية اليمنية الموحدة وعلى رأسها علي عبد الله صالح.

وارتبطت الحروب التي نشبت في هذه المرحلة في منطقة صعدة شمالي اليمن، باسم الحركة الحوثية، وهي حركة سياسية ودينية، تُعدّ تطوراً لبناء الإمامة الشيعية في اليمن، وقد تشجّع قادتها بما جرى في بعض البلدان العربية من حراك شعبي ضد السلطة، وقد شكّلت بدورها أحد عوامل الحراك الشعبي الذي أنهى حكم علي عبد الله صالح في ٢٥ شباط ٢٠١٢م.

يبدأ تاريخ عُمان الحديث بقيام الدولة اليعربية الإباضية على يد ناصر بن مرشد اليعربي في عام ١٦٢٤م، فأخرج البلاد من الفوضى، وأخضع القبائل المتمردة،

وأثبت أنه من أقوى وأكفأ حكام الدولة اليعربية، وتوفي في نيسان ١٦٤٩م.

خلف ناصر بن مرشد ابن عمه سلطان بن سيف الذي اشتهر بالحكمة والإرادة الصلبة، ويُعدُّ عهده امتداداً لعهد سلفه، وشهدت عُمان في عهده، نهضة اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية، وتوفي في عام ١٦٦٨م، فخلفه ابنه بلعرب الذي يعود الفضل إليه في إنشاء مؤسسات للتعليم الرسمي، وتحول نظام الإمامة في عهده إلى نظام وراثي أسري.

توالى على الحكم بعد وفاة سلطان بن سيف، أئمة، لم يتمتع الأواخر منهم بشرعية كاملة، فدخلت البلاد في نزاعات أسرية قضت على نظام الإمامة كمؤسسة، والتفت العُمانيون حول قبائلهم التي راحت تؤدي دوراً سياسياً متنامياً على حساب الإمامة، والوحدة الاجتماعية، والسلام الداخلي، وانتهى بوفاة سلطان بن مرشد في عام ١٧٤٠م عهد الدولة اليعربية، ونظام الإمامة معاً، حيث انتقلت عُمان إلى نظام السلطنة على يد الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي مؤسس دولة البوسعيد، وقد ارتبط اسمه بتحرير عُمان من السيطرة الإيرانية، وإسهامه في المقاومة الوطنية في منطقة صحار، وبرز كرجل دولة قادر على إخراج عُمان من حال الحرب الأهلية، وإعادةها إلى مكانتها على الساحة الآسيوية والإفريقية، ونجح في تطوير إدارة البلاد، وبنى أسطولاً بحرياً، ووطّد موقع دولته كقوة إقليمية في المحيط الهندي والخليج العربي، وأعاد تثبيت سلطة عُمان نسبياً على الممتلكات العُمانية في شرقي إفريقيا، وشهد عهده تحولات وتوجهات جديدة في المجتمع العُماني عبر خلق رؤية جديدة لنظام سياسي متطور، وتوفي في عام ١٧٨٣م، فخلفه ابنه سعيد في عام ١٧٨٩م.

اشتهر السلطان سعيد بضعف الشخصية، ولم يكن على مستوى رجل الدولة، وانزوى في عاصمته الدينية نزوى أو الرستاق، وانتهج سياسة دنيوية لم يألفها الإباضيون، فتنادوا إلى خلعه، ما أدى إلى تهافت الطامعين، فاندلعت الاضطرابات نتيجة ذلك، ونجح ابنه حمد في اعتلاء الحكم، غير أنه ما لبث أن توفي في عام ١٧٩٣م.

ونازع السلطان سعيد أخواه قيس وسلطان، فانقسمت عُمان نتيجة ذلك إلى ثلاث مناطق سياسية هي: الرستاق تحت حكم السلطان سعيد، ومسقط تحت حكم سلطان، وصحار تحت حكم قيس.

أتاحت الاضطرابات الداخلية في عُمان، بالإضافة إلى تقسيم البلاد؛ الفرصة للسعوديين، فبسطوا سلطانهم على بعض المقاطعات العُمانية مثل الظاهر، وواحة الريمي، وفرضوا الجزية على العُمانيين، وقُتل سلطان بن أحمد في عام ١٨٠٤م في

معركة بحرية مع السعوديين، فتولى بدر بن سيف الموالي لهم الوصاية على ابن سلطان الصغير، وهو سعيد، وعلى هذا الشكل بدأ ظهور السلطنة في مسقط إلى جانب الإمامة في الرستاق، وتميز تاريخ عُمان الحديث بالصراع بينهما.

وأقرت اتفاقية السيب الموقعة في أيلول ١٩٢٠م بين بريطانيا وبين السلطنة في مسقط والإمامة في الرستاق؛ واقعان تاريخيان، الساحل تحت حكم السلطان تيمور، والداخل تحت سلطة الإمامة وزعماء القبائل، وعندما تحققت بريطانيا من وجود نفط في منطقة الفهود على حدود الإمامة، قرّرت استعادة المناطق الداخلية وضّمها إلى مسقط في ظل الصراع البريطاني - الأميركي في المنطقة، ما أدى إلى اندلاع ثورة عارمة ضد الوجود البريطاني في عام ١٩٥٦م، وفشلت جهود جامعة الدول العربية، وجهود الأمم المتحدة في وضع حدّ لها، وأوصت لجنة دولية شكّلتها الأمم المتحدة في عام ١٩٦٥م، بأن تُنهي بريطانيا حمايتها على عُمان فوراً، وظلّت هذه القضية موضع نقاش في المحافل الدولية، سنوات عدة، ولم تُقبَل عُمان عضواً مستقلاً في الأمم المتحدة، إلا في تشرين الأول ١٩٧١ في عهد السلطان قابوس بن سعيد، وسُمّي السلطان قابوس، الذي تسلم الحكم إثر انقلاب ضدّ والده في ٢٣ تموز ١٩٧٠م، عُمان باسم «سلطنة عُمان»، وانتهج سياسة قائمة على إزالة كل مظاهر التخلف الشديد التي ميّزت عهد والده، والانفتاح على العالم الخارجي، وبعد أن قمع ثورة ظفار، التفت إلى سياسة التنمية، ورسم سياسة بلاده الخارجية القائمة على عدم التدخل في الشؤون الداخلية لأية دولة، ورفض أي تدخل في سياسة بلاده، وتدعيم علاقاته مع الدول العربية بعامة، ودول الخليج العربية بخاصة، وإقامة علاقات صداقة مع دول العالم، وانتعشت في الداخل، المؤسسات الإدارية، والتعليمية، والصحيّة وغيرها.

وشهد تاريخ الإمارات العربية المتحدة في العصر الحديث، بداية التنافس الاستعماري على منطقة الخليج العربي، ودور المقاومة في مواجهته، وتمثّل المدة الزمنية بين عامي (١٥٠٠ - ١٨٢٠) الخلفية التاريخية، للتوغل الاستعماري الأوروبي في المنطقة، وبداية ظهور الأطماع الدولية في الساحل العُماني الشمالي.

يتكوّن اتحاد الإمارات العربية من سبع إمارات هي: أبو ظبي، دبي، الشارقة، رأس الخيمة، الفجيرة، أم القيوين وعجمان، وساد هذه الإمارات أو المشيخات قبل اتحادها، صراع داخلي فيما بينها من أجل التوسع، ونجحت بريطانيا في الهيمنة عليها عبر اتفاقيات ثنائية، وعندما قرّرت تلك الدولة في أوائل شباط ١٩٦٨م، الانسحاب من شرق السويس في مدة أقصاها عام ١٩٧١م، تداعت تلك الإمارات

إلى عقد اتحاد فيما بينها بهدف المحافظة على استقرارها، فاجتمع حكام ست إمارات، بغياب حاكم رأس الخيمة، في قصر الجميزة بدبي في ٢ كانون الأول ١٩٧١، وأعلنوا مولد دولة الإمارات العربية المتحدة، وانتُخب الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم أبو ظبي رئيساً للدولة الجديدة، كما انتُخب الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم إمارة دبي، نائباً لرئيس الدولة.

جاء قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، تصحيحاً لوضع شاذ، فقد كانت تلك الإمارات مجرد مشيخات بالغة الصغر في المساحة، وعدد السكان والمستوى الحضاري، والموارد الاقتصادية قبل اكتشاف النفط، كما أن كل واحدة منها كانت مقسمة إلى أجزاء متناثرة.

الواقع أن تلك الإمارات تُعدُّ منطقة تاريخية واحدة منذ القرن الثامن عشر، وكذلك بيئة اجتماعية واقتصادية واحدة، وأدَّى اكتشاف النفط في أراضيها، واستثماره، إلى نقلة نوعية في البنية القبلية عبر التحرك الجغرافي - الاجتماعي، وازدياد الوعي القومي، وتحسين وسائل المواصلات والاتصالات مع العالم الخارجي.

واجهت دولة الاتحاد فور قيامها بعض المشكلات الداخلية، تمكّنت من التغلّب عليها، تمثّلت بالازدواجية بين المؤسسات الاتحادية وبين المؤسسات المحليّة، وتوحيد القوى الدفاعية، والتوترات القائمة بينها، بشأن الحدود الداخلية فيما بينها، كما واجهت مشكلة خارجية خاصة مع إيران تتعلق بالجزر الثلاث: طنب الكبرى، وطنب الصغرى، وأبو موسى، والتي لا تزال عالقة، وهي الآن تحت السيطرة الإيرانية.

وجرى منذ عقد الثمانينات في القرن العشرين، توجّه دولة الإمارات العربية المتحدة إلى تحديث أجهزتها عبر اتفاقيات عقدها مع دول أوروبية عدة بالإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وهي لا تزال سائرة في هذا الخط من أجل مزيد من التطور والرقي، ومواكبة التطور الذي يشهده القرن الواحد والعشرين، في ظلّ السياسة الحكيمة للمسؤولين، لرسم مستقبل أفضل في المجالات كافة.

كانت الكويت قرية صغيرة يسكنها الصيادون من البدو، وكان بنو خالد النجديون بزعامة آل عريم، أصحاب السيادة في المنطقة منذ عام ١٥٧١، ثم جاء العتوب إليها ومن بينهم آل الصباح، واستقروا في رحابهم، وذلك في عام ١٦١٧م، ما أتاح للقبائل أن تمارس نوعاً من الاستقلال الذاتي، ومنها آل الصباح الذين تحرّروا من سيطرتهم في العقد السادس من القرن الثامن عشر.

وبرز آل الصباح على المسرح السياسي بعد وفاة الشيخ سلمان بن أحمد في عام ١٧٥٢م، وهو من بني خالد، فقد اعتلى الشيخ صباح بن جابر الحكم بمساندة العتوب، وسُميت الأسرة الحاكمة باسمه، ولا تزال على رأس السلطة في الكويت حتى يومنا هذا.

توفي الشيخ صباح بن جابر في عام ١٧٦٤م، وخلفه ابنه الشيخ عبد الله، وقد شهد عهده الذي استمر نحو نصف قرن حوادث مهمة منها:

انشقاق آل خليفة عن حلف العتوب وهجرتهم إلى الزبارة، واحتلال إيران للبصرة الأمر الذي أدى إلى انتعاش الكويت اقتصادياً من واقع انتقال الثقل التجاري إليها، والتمدد السعودي إلى الأحساء.

اشتهر الشيخ عبد الله بالعدل والحزم، يتحرى الحق، حسن السياسة، لا يقرّ أمراً إلا بعد مشورة، ولا يخالف الجماعة فيما يروونه من صواب، وأرسى أسس إمارة الكويت، وتوفي في عام ١٨١٢م.

خلف الشيخ عبد الله ابنه الشيخ جابر الذي لُقّب بجابر العيش، نظراً لكرمه ولكثرة ما كان يتصدق به على الفقراء والمساكين، وكانت علاقته مع الحكم المصري جيدة، وأظهر حنكة سياسية وقدرة فائقة على المناورة في تعامله مع بريطانيا والدولة العثمانية والحكم المصري، بشكل يحفظ بلاده، ويُعزّز استقلالها، وتوفي في عام ١٨٥٩م.

خلف الشيخ جابر ابنه الشيخ صباح، واشتهر بالحلم، وحسن السياسة، ووفرة العزيمة، وشدة الحنان، محباً للسلام، تميز عهده بالهدوء وتوفي في عام ١٨٦٦م.

خلف الشيخ صباح ابنه الشيخ عبد الله الثاني الذي اشتهر بالحلم، وحب الإصلاح، كره سفك الدماء، ومال إلى الجِد والإخلاص، غير مخادع ولا موارب، تصدى لمحاولات العثمانيين في الهيمنة على النشاط السياسي والاقتصادي في الكويت، تمتعت البلاد في أواخر عهده بحكم ذاتي واسع، وتوفي في حزيران ١٨٩٢م.

خلف الشيخ عبد الله الثاني أخوه الشيخ محمد بن صباح، اتسم حكمه بالضعف، ما أتاح للقبائل فرصة الهجوم على الكويت، وشهد عهده زيادة التغلغل البريطاني في الخليج العربي، وكانت علاقته مع الدولة العثمانية جيدة، وقتل الشيخ محمد ليلة ١٧ أيار ١٨٩٦م على يد شقيقه الشيخ مبارك الذي خلفه على الحكم.

واجه الشيخ مبارك في بداية عهده صراعاً أسرياً، ونزاعاً داخلياً استمر عشر

سنوات، وشكّل عهده انعطافة في تاريخ الكويت تمحورت حول شخصيته، وهي ظاهرة نادرة التي يكون فيها لشخص بذاته الدور المباشر في صناعة الحدث التاريخي وما يتمخض عنه.

انتعشت الكويت في عهد الشيخ مبارك، وازداد عدد سكانها، وأضحت مركز استقطاب إقليمي ودولي، اعتنى بالتجارة، وأنشأ وكالة خاصة للكويت في بومباي بالهند، وربط الكويت تجارياً بهذا البلد. توفي الشيخ مبارك في ٣ تشرين الثاني ١٩١٥م.

خلف الشيخ مبارك ابنه الشيخ جابر، وعُقد في بداية عهده، مؤتمر في الكويت في ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٦، بدفع من بريطانيا، ضمّ الأمراء العرب في الجزيرة العربية، بهدف مساندة ثورة الشريف حسين، وتلى نهاية الحرب العالمية الأولى، اتخاذ بريطانيا مواقف قانونية بشأن وضع إمارات الخليج العربي ومنها الكويت، وكانت قد وعدت بمقتضى إعلان عام ١٩١٤، أن تعترف بالكويت إمارة مستقلة تحت الحماية البريطانية. توفي الشيخ جابر في ٧ شباط ١٩١٧م.

خلف الشيخ جابر أخوه الشيخ سالم. عمل على تنمية التجارة، فحفض الرسوم الجمركية على الواردات، وألغى الرسوم على الصادرات، وربط الكويت بالعالم الخارجي عبر محطة البرق، وساد التوتر سياسته الخارجية، مع كل من بريطانيا والمملكة العربية السعودية بسبب مشكلات الحدود، والولاءات القبلية، وتوفي في ٢٧ كانون الثاني ١٩٢١.

خلف الشيخ سالم، أحمد الجابر الصباح، شهد عهده تأسيس الدوائر الحكومية، وقيام نهضة شاملة، تربوية وأدبية، وتعليمية، عبر إنشاء المدارس، وإرسال البعثات إلى الخارج، واستقدام البعثات التعليمية من الأقطار العربية، وقد منح شعبه دستوراً جديداً في عام ١٩٣٩، وتوفي في عام ١٩٥٠م.

خلف الشيخ أحمد الجابر، الشيخ عبد الله السالم الصباح، الذي عقد العزم على تحقيق استقلال الكويت، وزيادة نسبة العوائد النفطية.

ونشأت في الكويت تيارات شعبية متعددة الأصول والطبقات وقد توحدت في المطالبة بوضع الأسس الضرورية لإقامة حكم دستوري، وبدأت الكويت منذ عام ١٩٦٠م تؤسس ممثلات سياسية في عدد من الدول العربية، ودخل الشيخ عبد الله في مفاوضات مع بريطانيا من أجل نيل الاستقلال الناجز، ووقّع معها اتفاقية في ١٩ حزيران ١٩٦١، ألغت اتفاقية عام ١٨٩٩م، وأعلن الشيخ عبد الله السالم في التاريخ المذكور أن الكويت دولة مستقلة، وقُبلت عضواً في جامعة الدول العربية بعد شهر



واحد من إعلان استقلالها، كما قُبِلت عضواً في منظمة الأمم المتحدة في ١٤ أيار ١٩٦٣م، ووضع دستوراً يُحدّد أصول الحكم، وتوفي الشيخ عبد الله السالم الصباح في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٦٥م.

خلف الشيخ عبد الله السالم الصباح، الشيخ صباح السالم الصباح، شهدت الكويت في النصف الثاني من عقد الستينات، تحركات شعبية معارضة، حملت شعارات متجددة، أهمها: المطالبة بمزيد من الديمقراطية، وجعل الكويت أكثر حياداً، ويبدو أن الشيخ صباح السالم مال إلى الاستجابة لهذا التيار، وإبراز دور الكويت العربي، وعكست السياسة الداخلية للكويت تأثيراً إيجابياً على علاقاتها الخارجية، اتّسمت بالاعتدال والتوازن، وعزّزت الكويت علاقاتها مع الدول العربية، وساهمت في حرب عام ١٩٦٧م، واستخدمت سلاح النفط في حرب تشرين الأول ١٩٧٣م، ورفضت الكويت على الصعيد الخارجي سياسة الأحلاف العسكرية، واتبعت سياسة خارجية متوازنة، وتوفي الشيخ صباح السالم في كانون الثاني ١٩٧٨م.

خلف الشيخ صباح السالم، الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح، لم تتغير سياسة الكويت الداخلية والخارجية، في عهده، ولعل أبرز حدث تاريخي جرى في عهده هو غزو العراق للكويت في ٢ آب ١٩٩٠م، وقد تمكّنت الكويت بفضل جهود التحالف الدولي الذي تشكّل آنذاك بزعامة الولايات المتحدة الأميركية، من إخراج الجيش العراقي من البلاد، وتحريرها، في ٢٥ شباط ١٩٩١، وتوفي الشيخ جابر الأحمد في ١٥ كانون الثاني ٢٠٠٦م.

خلف الشيخ جابر الأحمد، الشيخ صباح الأحمد الجابر، وبقيت سياسة الكويت الداخلية، والخارجية على حالها في عهده مع ميل إلى تقويتها مع العالم العربي.

يبدأ تاريخ قطر الحديث حوالي عام ١٧٦٦م بنزوح قبائل نجدية إلى هذه البلاد، منها قبائل العتوب التي استقرت في الزبارة على الساحل الغربي لقطر، وأشهر فروعها آل خليفة، والجلاهمة، وظهر آل ثاني في قطر في عام ١٨٤٢م، وكانوا تابعين لآل خليفة في البحرين، وينتسبون إلى ثاني بن محمد من بني تميم. بايعت الأسرة بعد وفاته ابنه محمد، فثار نزاع في عهده بين قطر والبحرين بسبب محاولات القطريين التحرر من الهيمنة البحرينية، تدخلت فيه بريطانيا، فعقدت مع الشيخ محمد اتفاقية في ١٢ أيلول ١٨٦٨م، أدخلت قطر بموجبها ضمن النفوذ البريطاني، إلا أنها أضفت اعترافاً بريطانياً بشيخ قطر ودولته، وتعدّ خطوة أولى على طريق الاستقلال.

وعادت قطر إلى أحضان العثمانيين في عام ١٨٦٩م، وتوفي الشيخ محمد بن ثاني

في عام ١٨٧٨م، وخلفه ابنه الشيخ جاسم الذي يُعدُّ المؤسس الفعلي لإمارة قطر، بدأ الشيخ جاسم حياته السياسية بتوحيد القبائل، وتقرَّب من العثمانيين للتخلص من اتفاقية ١٢ أيلول ١٨٦٨م، ما أثار بريطانيا، وبفعل النزاع العثماني - البريطاني في الخليج العربي، أضحت قطر مسرحاً لهذا النزاع.

أُسمت شخصية الشيخ جاسم بالتقى والورع، وفصاحة اللسان، والعلم، والمعرفة بأمر الدين، والتماسك عند الشدائد، وتوفي في عام ١٩١٣م، وخلفه ابنه الشيخ عبد الله.

دخلت قطر في عهد الشيخ عبد الله مرحلة جديدة في علاقاتها مع بريطانيا إثر توقيع الاتفاقية العثمانية - البريطانية في عام ١٩١٣م، والتي اعترفت الدولة العثمانية بموجبها بنهاية سيادتها على قطر التي أضحت إمارة مستقلة يتوارثها أمراء آل ثاني، تحت الحماية البريطانية، واشتهر الشيخ عبد الله بولائه للبريطانيين.

توترت العلاقات القطرية - السعودية في عهد الشيخ عبد الله بسبب محاولة الأمير عبد العزيز آل سعود السيطرة على قطر، فتصدت له بريطانيا وأجبرته على التفاهم مع القطريين، وزار الشيخ عبد الله السعودية في عام ١٩٣٣م لتهنئة العاهل السعودي بقيام المملكة العربية السعودية، ووقَّع معه اتفاقاً نفطياً، وجرى في عهد الشيخ عبد الله ضمُّ الزيارة إلى قطر في عام ١٩٣٧م.

توفي الشيخ عبد الله في عام ١٩٥٦م وخلفه ابنه الشيخ علي الذي لم يتمتع بصفات القائد، وشُغف بالحياة الهادئة، ولم يكن متحمساً للحكم كغيره من آل ثاني، وشهد عهده أزمة السويس في عام ١٩٥٦م، ولم يهتم بتطورات العصر، وواجه في أواخر أيامه معارضة من جانب أفراد الأسرة الحاكمة، فتنازل عن الحكم لابنه الشيخ أحمد في ٢٤ تشرين الأول ١٩٦٠م.

شهد عهد الشيخ أحمد بن علي تطورات مهمة فرضتها الظروف الداخلية والخارجية العربية والدولية، وكانت لصالح قطر، فأنشئت الوزارات والإدارات الرسمية، وازداد إنتاج النفط الذي انعكس على النواحي العمرانية والصحية والتعليم، ومنح الشيخ أحمد القطريين في ٢ نيسان عام ١٩٧٠م نظاماً أساسياً مؤقتاً للحكم، وعُدَّ ذلك إنجازاً متقدماً.

وواجهت قطر على الصعيد الخارجي، بعض المشكلات الحدودية مع جيرانها، البحرين، وأبو ظبي، والمملكة العربية السعودية، لكنها حُلَّت بالطرق السلمية.

وشاركت قطر في محادثات الاتحاد التساعي لإمارات الخليج الشمالية المتصالحة، لكنها خرجت من الاتحاد، وأعلنت استقلالها في الأول من أيلول

عام ١٩٧١، فانضمت إلى جامعة الدول العربية في ١١ أيلول ١٩٧١، وإلى الأمم المتحدة في الشهر نفسه.

ولم تكد تمضي بضعة أشهر على استقلال قطر حتى جرى انتقال للسلطة من الشيخ أحمد بن علي إلى ابن عمه ولي العهد الشيخ خليفة بن حمد، بسبب الاختلاف في وجهات النظر بين الرجلين، وذلك في ٢٢ شباط ١٩٧٢م.

استهّل الشيخ خليفة عهده بإصدار العديد من القرارات التي اتسمت بالشعبية، فاكتسب بذلك ثقة القطريين، ومعظم أفراد الأسرة الحاكمة، وحققت قطر في عهده قدراً كبيراً من التنمية الاقتصادية والثقافية، لكنها ظلّت تعاني من مشكلات الحدود مع جيرانها.

وأعلن في الدوحة في ٢٧ حزيران ١٩٩٥م أن ولي العهد الشيخ حمد بن خليفة بويع أميراً للدولة خلفاً لوالده، وبدأ فور تسلمه الحكم، يؤدي دوراً ملفتاً إقليمياً وعربياً ودولياً. وتنازل الشيخ حمد عن الحكم لابنه الشيخ تميم في ٢٥ حزيران ٢٠١٣م.

وتشهد قطر حالياً قفزات نوعية في التنمية والتطور، والخطوات الشجاعة على صعيد العمل السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، الذي يؤهلها للسير قدماً بخطى ثابتة في القرن الواحد والعشرين، الذي يستند على قواعد العلم الفني، والإدارة المتطورة.

يبدأ تاريخ البحرين الحديث في عام ١٧٨٢م عندما استقرت قبائل العتوب في البحرين، وبرز منهم آل خليفة الذين حكموها منذ ذلك التاريخ، ولا يزالون يحكمونها إلى اليوم، وينتسبون إلى جدهم الشيخ خليفة بن محمد المتوفى في عام ١٧٢٠م.

توالى على حكم البحرين عدد من شيوخ هذه الأسرة، حققوا إنجازات مهمة، دفعت البلاد إلى طريق النمو.

وأدى التنافس الاستعماري في الخليج العربي في القرن التاسع عشرة إلى هيمنة بريطانيا على البحرين، وقد أدركت مدى أهمية موقعها لتأمين الطرق التجارية البرية والبحرية مع الهند والشرق الأقصى، ففرضت على الشيخ محمد بن خليفة اتفاقية في ٣١ أيار ١٨٦١م التي انحدرت بالبلاد إلى مرتبة المحميات، ونجحت في وضعها تحت حمايتها في ٢٢ كانون الأول ١٨٨٠م، مستغلة الظروف الداخلية والخارجية.

وكان للتحرك الشيعي ضد السلطة المركزية، نصيب في تاريخ البحرين، والمعروف أن الشيعة يمثلون نسبة مرتفعة من عدد السكان، وبرزت مسألة الإجراءات

المتخذة لحماية هؤلاء على ضوء الأطماع الإيرانية بحجة حمايتهم، فأجرت الحكومة البحرينية إصلاحات وضعتهم على قدم المساواة مع السئة.

وشهدت البحرين بعد الحرب العالمية الأولى بداية التوسع التجاري بسبب المباشرة في التنقيب عن النفط، وتميزت هذه المرحلة بتزايد المطالب السياسية والإصلاحية.

وعندما أعلنت بريطانيا في ٨ كانون الثاني ١٩٦٨م عن عزمها على الانسحاب من شرق السويس في مدة أقصاها عام ١٩٧١م، اتخذت سياستها الجديدة مبدأ إنهاء معاهدات الحماية التي أصبحت تتنافى مع التوجهات الجديدة، ويعني ذلك الاستقلال الكامل لدول الخليج العربي، ومنها البحرين التي استقلت في ١٤ آب ١٩٧١.

وتحظى التجربة البحرينية في التطور السياسي بخصوصية شديدة داخل منظومة مجلس التعاون لدول الخليج العربية، فقد توافر لها العديد من العوامل التي أدت إلى نمو الوعي السياسي مبكراً بالمقارنة مع دول المجلس الأخرى، حيث شهدت قبل حصولها على الاستقلال حركات سياسية واجتماعية قوية كان لها مطالبها الخاصة بالإصلاح السياسي، وتنوّعت التوجهات الفكرية لتلك الحركات بشكل أدى إلى نمو الوعي السياسي في البلاد في وقت مبكر.

وكان الثراء الذي عرفته البحرين العامل الأساس في تجربة التحوّل الديمقراطي الذي شهدته عقب حصولها على الاستقلال، وتمثّلت أبرز معالمه في وضع دستور دائم في عام ١٩٧٣م، وتشكيل مجلس وطني معظم أعضائه منتخبون، أُعطي له صلاحيات واسعة على المستويين التشريعي والرقابي.

بيد أن هذه التجربة سرعان ما انهارت بعد حلّ المجلس الوطني في عام ١٩٧٥م، ومنذ ذلك الوقت وحتى التسعينات من القرن العشرين، عاشت البلاد أزمة سياسية بين الدولة والمجتمع عامة، وبين الحكومة والمعارضة خاصة، استمرت في العشر الأوائل من القرن الواحد والعشرين.

وساهم عاملان في تعميق هذه الأزمة:

**الأول:** صدور العديد من القوانين التي تحدّ من حريات الرأي والتعبير والتنظيم.

**الثاني:** قيام حركات شعبية معارضة في بعض الدول العربية.

لكن البحرين شهدت تجربة أخرى في مسيرة التحول الديمقراطي في مطلع عقد التسعينات من القرن العشرين، تحت وطأة تصاعد القوى المعارضة المطالبة بعودة المجلس الوطني، والآثار التي أفرزتها أزمة حرب الخليج الثانية في عام ١٩٩١م، كان أبرز معالمها تشكيل مجلس شوري في عام ١٩٩٢م، أُعطي له صلاحيات

استشارية، لذلك لم يستطع أن يُشكّل بديلاً للمجلس الوطني، ومن ثمّ ظلت الأزمة قائمة بين الحكومة والمعارضة على حالها، ودخلت البلاد في وضع عدم الاستقرار منذ منتصف العقد المذكور بعد تفجر أحداث عنف شديدة.

وتوجّهت البحرين نحو الاستفادة من أهمية موقعها الجغرافي، كحلقة وصل بين أوروبا والهند والشرق الأقصى وأستراليا، ومن ثمّ قامت بتطوير مطارها الذي أضحى من أكثر المطارات حيوية في العالم، وحاولت الإفادة من واقع نشوب الحرب الأهلية في لبنان لتكون بديلاً عن بيروت في مجال المعاملات المالية والمصرفية، وساعدها تميزها عن دول الخليج العربي بمرونة تقاليدها الاجتماعية، في التحول بسرعة إلى مركز سياحي مهم، حتى صار يُطلق عليها «بيروت الخليج».

واتصلت البحرين بالمملكة العربية السعودية عبر جسر تمّ بناؤه في عام ١٩٨٦م بلغ طوله سبعة أميال، ويُعدّ ذلك تعبيراً واضحاً عن الدور الذي تقوم به المملكة من أجل تقديم الحماية والأمن للبحرين، حيث يمكن الانطلاق عبره بسهولة إذا حدث خطر يهدد البحرين كما حصل في عام ٢٠١١م عندما تجددت الاضطرابات الأمنية في البحرين.

وختمت بفصل يتناول مجلس التعاون الخليجي.

هذه هي العناوين العريضة للأحداث التي حاولنا دراستها في عرض مبسط وموثق، وقد استندت على مصادر ومراجع متنوعة مبيّنة في ثبت المصادر والمراجع، أما تشكيل الموضوعات، فقد قسّمتها إلى ثمانية فصول، عالجت في كل فصل من الفصول السبعة الأولى دولة واحدة وخصّصت الفصل الثامن لدراسة مجلس التعاون الخليجي.

وأنا على ثقة بأن القارئ سيجد في هذا الكتاب متعة وفائدة، كما سيلمس موضوعية في معالجة الأحداث.

وأسأل الله أن يجعل هذه الدراسة خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفع بها القارئ العربي والمسلم، إنه سميع مجيب.

## مدخل تمهيدي

### الصراع الدولي على الخليج العربي

ترتّب على اكتشاف فاسكودي غاما البرتغالي طريق رأس الرجاء الصالح، بالدوران حول إفريقيا إلى الهند في عام ١٤٩٨م، ثلاث نتائج هي:

**الأولى:** وضع هذا الاكتشاف حدّاً لعصر الملاحة العربية.

**الثانية:** حوّل طريق التجارة عن الخليج العربي إلى الطريق البحري المباشر، ما عرّض مشيخاته إلى الانهيار المالي والاقتصادي.

**الثالثة:** شكّل بداية الاستعمار الأوروبي في الشرق في العصر الحديث.

الواقع أن الحركة التجارية في المحيط الهندي قامت قبل مجيء هذا البحار إلى الهند، على أساس من النظام والتنظيم على يد المسلمين من عرب وفرس الذين يملكون ويديرون معظم السفن العاملة في البحار الشرقية، ويؤمّنون القسم الأكبر من تلك الحركة التجارية في المحيط الهندي بين إفريقيا غرباً وآسيا شرقاً، فانتزعتها البرتغاليون منهم بقسوة وعنّف واحتكروها لأنفسهم، وقضوا على ما كان للمسلمين من نشاط تجاري، وعندما مارسوا النشاط التجاري في القرن السادس عشر، لم يدخلوا أي تغيير يُذكر على الأوضاع السياسية.

واعتقد البرتغاليون أن احتلالهم للموانئ المهمة على طول طريق التجارة من شأنه أن يساعدهم على تحقيق أهدافهم الاقتصادية، لذلك تعرّضت الموانئ العربية على الساحل الغربي للخليج العربي لهجماتهم منذ أيام القائد البحري الفونسو دي البوكيرك (١٤٥٣ - ١٥١٥) وهو الذي نفّذ السياسة البرتغالية الاستعمارية، فتعرّضت أكواخ الصيادين وشباكهم وأشجار النخيل للتدمير والإحراق، ومارس أبشع وسائل الإزهاق ضد عرب الخليج، واستهدف بشكل خاص مسقط وصحار وخورفكان في أواخر عام ١٥٠٧، وبالغ في إلحاق الضرر بها، بهدف تدمير مقوماتها التجارية ومنع انتعاشها مرة أخرى.

وحظّر البرتغاليون: تحت طائلة الإغراق كل سفينة غير برتغالية تمارس التجارة بين الهند وسواحل أفريقيا الشرقية، واحتلوا بعض الشغور التي تستقطب النشاط

التجاري والاقتصادي في المنطقة، واتخذوها مراكز لمراقبة الحركة التجارية، منها هرمز في عام ١٥١٥، وبنوا القلاع والحصون على السواحل التي تُمكنهم من الإفادة من ذلك، واستعملوا الوحشية في تعاملهم مع العرب.

وجنى البرتغاليون فوائد كثيرة من مدن الساحل العربي للخليج، وبدل تطور الأوضاع السياسية التي تلت على أنهم أظهروا اهتماماً كبيراً بجلفار (رأس الخيمة)، بوصفها ميناء عربياً جيداً، ومشهورة بالخيول واللبنان (البخور)، فأنشأوا الحصون والقلاع فيها وأقاموا داراً للجمرك<sup>(١)</sup>.

وواجه البرتغاليون أثناء محاولتهم احتلال عُمان، مقاومة من جانب قبيلة الجبور، وهي إحدى القبائل الرئيسة في عُمان، وأكثر القبائل العربية نفوذاً في الجزيرة العربية آنذاك، غير أن هذه القبيلة ما لبثت أن تعرّضت للتصدع بسبب النزاع الأسري على السلطة، وتراجعت قوتها بعد وفاة الأمير أجود، واقتسام إمارته بين أولاده، واعتلاء ابنه محمد سدة الحكم، فاستغل البرتغاليون ذلك للقضاء عليها، وهذا ما حدث عندما قتلوا زعيمها مقرن بن زامل في عام ١٥٢١، إلا أن عملاً كهذا كان بداية لانقراضات العُمانيين ضدّهم، ولم تلبث شعوب المنطقة أن ثارت ضدّ الحكم البرتغالي في أعوام ١٥١٩م و١٥٢١م و١٥٢٢م و١٥٢٦م<sup>(٢)</sup>.

استوجبت التحديات التي واجهها البرتغاليون تدعيم مواقعهم في مسقط، وهي نقطة «استراتيجية» مهمة على مدخل الخليج العربي، فحوّلوها إلى قاعدة عسكرية، وبنوا فيها قلعتين كبيرتين، هما قلعة القديس غوا التي أعاد العثمانيون تسميتها باسم الجلاي وتقع في الجهة الشرقية من المدينة، وقلعة القبطان المعروفة باسم الميراني في الجهة الغربية<sup>(٣)</sup>.

وما جرى في عام ١٥٥٥م من تفاهم عثماني - صفوي، تخلى الصفويون بموجبه عن مطالبهم في العراق ونقلوا اهتمامهم إلى الجنوب نحو منطقة هرمز، ومع مجيء الشاه عباس الأول الصفوي (١٥٨٦ - ١٦٢٩م)، أدّت إيران دوراً إقليمياً محورياً.

استمر النفوذ البرتغالي في ساحل الإمارات العربية في مطلع القرن السابع عشر كما كان عليه في القرن السادس عشر، مع اختلاف في طبيعة هذا النفوذ الذي تعرّض لمتغيرات كثيرة بسبب عوامل عدة، أهمها:

- الضعف الذي أصابه بسبب توحيد العرشين البرتغالي والإسباني.

(١) المندلواوي، محمد محمود: تاريخ الإمارات العربية المتحدة: ص ٢٤، ٢٥.

(٢) مايلز، سامويل باريت: الخليج بلدانه وقبائله: ص ١٦٤ - ١٦٨.

(٣) المرجع نفسه: ص ١٨٢.

- توجُّه الإسبان نحو مناطق نفوذهم في العالم الجديد (أميركا) وإهمالهم الممتلكات البرتغالية في الشرق.

- تسخير الإسبان موارد البرتغال ومصالحها لخدمة المصالح الإسبانية.

- طرد البرتغاليين من هرمز في ٢١ نيسان عام ١٦٢٢م، على يد القوات البريطانية - الصفوية المتحالفة.

- اشتداد المقاومة العربية مع قيام دولة اليعاربة في عُمان في عام ١٦٢٤.

- عدم اهتمام البرتغاليين بحلّ المشكلات المحلية بسبب انهماكهم في الدفاع عن المناطق المهمة في الأجزاء الشرقية ضد الهجمات الهولندية.

- وصول الهولنديين والبريطانيين إلى الخليج العربي.

- تزايد قوة الصفويين في إيران.

تراجعت قوة البرتغاليين بفعل العوامل المذكورة أعلاه، فتقلّصت تجارتهم، وتراجعت قوتهم الاقتصادية، وبالتالي قدرتهم على المحافظة على نظامهم الدفاعي.

ففي عام ١٦٢٩م نقلوا قاعدتهم بعد أن فقدوا هرمز، إلى مسقط، وشدّدوا قبضتهم على الساحل الغربي من صور في الجنوب إلى جلفار في الشمال، واتخذوا إجراءات تعسفية تجاه القبائل العربية، وأجبروها على دفع الضرائب الباهظة.

أخذ اليعاربة في عُمان<sup>(١)</sup> على عاتقهم إنهاء حكم البرتغاليين في الخليج العربي، فانتزعوا منهم صحار وخورفكان في عام ١٦٤٣م، ومسقط في عام ١٦٤٨م، فساءت أوضاعهم وانتشرت الأوبئة في صفوفهم، واضطروا إلى قبول شروط الإمام ناصر بن مرشد وتتضمن:

- هدم قلاعهم في مطرح وقربات وصور.

- تمرُّ سفن العُمانيين في البحر من دون تفتيش.

- يُعفى العُمانيون من دفع الضرائب عند دخولهم مسقط وخروجهم منها.

- حرية التجارة.

- هدم القلاع التي أقيمت أثناء الحصار، ولا يحق للبرتغاليين بناء تحصينات

أخرى على أنقاضها<sup>(٢)</sup>.

شكّلت الشروط أعلاه ضربة قاسية للبرتغاليين الذين بدأ نفوذهم بالتدهور، فدُمّرت

(١) أسس ناصر الدين مرشد اليعربي (١٦٢٤ - ١٦٤٩م) الدولة اليعربية، وقد تحوّلت في نهاية القرن السابع عشر إلى نظام وراثي، وتعدّ المثال الإباضي للدولة الإسلامية في العصر الحديث.

(٢) المندلوي: ص ٣١.



قوتهم التجارية والعسكرية، وهُدِّد وجودهم في الخليج العربي، فاستقروا في ميناء كنج الصغير على الساحل الشرقي للخليج العربي، غير أن العُمانيين لم يتركوهم وشأنهم، وطاردوهم في كل أماكن تواجدهم، ودمَّروا كنج، وهي آخر معاقلهم، حوالي عام ١٦٩٥م<sup>(١)</sup>.

ويُذكر أن البرتغاليين حملوا معهم عند مجيئهم إلى الشرق، الروح الدينية الصليبية ضدَّ المسلمين، إلى جانب أطماعهم الاقتصادية والاستعمارية التوسعية، وكان ذلك واضحاً أثناء حروبهم مع المسلمين في الهند والشرق الأدنى<sup>(٢)</sup>.

وحدث في أواخر سيطرة البرتغاليين على حركة التجارة الشرقية، أن برز الهولنديون والبريطانيون على الساحة التجارية في الشرق، وأبدى الهولنديون اهتماماً أكبر بالساحل الغربي، علماً بأنهم ركَّزوا جهودهم على الساحل الشرقي قبل ذلك، وكان التقارب البرتغالي - الصفوي الهادف إلى تعزيز نفوذ الطرفين في ساحل الإمارات، ونشاط تجارة اللؤلؤ في البحرين وجليفار، من بين الأسباب التي دفعتهم إلى هذا التوجه.

وكان الهولنديون قد أسَّسوا في عام ١٦٠٢م شركتهم الشرقية المنافسة لشركة الهند الشرقية البريطانية التي أسَّسها البريطانيون في كانون الأول عام ١٦٠٠م<sup>(٣)</sup>، وسرعان ما دخلت الشركتان في منافسة حادة على مناطق النفوذ من السواحل الأندونيسية والهند الشرقية إلى الخليج العربي، وبفضل التحالف البريطاني - الصفوي، استطاعت شركة الهند الشرقية البريطانية اتخاذ موقع في ميناء جسك الواقع على بُعد مائة وخمسين كيلومتراً من ميناء هرمز، ويُعدُّ ذلك نجاح البريطانيين الأول في المنطقة.

وأُنزل الشاه عباس الصفوي ضربة قاسية أولى بالبرتغاليين في منطقة البحرين في عام ١٦١٢م، وفي عام ١٦١٨م حصلت شركة الهند الشرقية البريطانية على امتياز شراء الحرير الفارسي<sup>(٤)</sup>، ويُعدُّ هذا الاحتكار الأول من نوعه، وقد أعطى دفْعاً ملموساً للعلاقات التجارية بين البلدين، وعزَّز الحضور البريطاني في الخليج العربي. لم يُحقِّق الهولنديون أي أرباح تُذكر في تجارة اللؤلؤ في الخليج لسببين:

الأول: عدم ترحيب السكان بهم كما حصل في البحرين.

(١) Miles, G.B: Countries and Tribes of the Persian Gulf I pp195 - 198.

(٢) العبدروس، محمد حسن: دولة الإمارات العربية المتحدة من الاستعمار إلى الاستقلال: ص٢١.

(٣) لوريمر، جون غوردون: دليل الخليج: ج١ ص١٢٣.

(٤) ويلسون أرنولد تالبوت: تاريخ الخليج: ص١٠٢ - ١٠٤.

الثاني: الصراع القائم بينهم وبين البرتغاليين في منطقة سيلان، فاستغل الهولنديون ذلك، واحتلوا أماكن صيد اللؤلؤ فيها، وصرخوا النظر عن الاهتمام بلؤلؤ الخليج العربي.

لكن الاتصالات مع ساحل الإمارات العربية لم تنقطع، وساهمت البعثات الهولندية باكتشاف المنطقة الواقعة بين رأس الخيمة ومسقط<sup>(١)</sup>، وكانوا في عام ١٧٥٠ لا يزالون يحتفظون بمقرهم التجاري في بندر عباس، ولكنهم اضطروا إلى التخلي عنه نتيجة لاضطراب الأوضاع في ذلك الميناء، وركّزوا اهتمامهم على الموانئ الواقعة في شمالي الخليج العربي مثل بوشهر والبصرة، واستقروا في عام ١٧٥٢ في جزيرة خرج، ونجح البارون كينغهاوزن البرتغالي في الحصول على موافقة ميرناصر حاكم الجزيرة، بتأسيس مقر تجاري للبرتغاليين فيها لقاء أجر سنوي<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من النجاح الآنف الذكر، لم يستطع الهولنديون مدّ نفوذهم إلى أبعد من حدود جزيرة خرج، بل إنهم لم يتمكنوا من المحافظة على الجزيرة أكثر من ثلاثة عشر عاماً، فقد واجهوا مقاومة من ميرناصر الذي عدّ احتلال الجزيرة وتحسينها ومحاولة إجلاء السكان عنها؛ تجاوزاً للاتفاق الذي تمّ بينه وبين الهولنديين، والذي لم يتضمّن سوى إقامة مقر تجاري لهم لقاء أجر سنوي معين، ثم إن الهولنديين رفضوا دفع بدل الإيجار السنوي المتفق عليه.

وحاول الهولنديون من جانبهم إضعاف أسرة ميرناصر من واقع إثارة النزاعات الأسرية، وفعلاً اغتيل ميرناصر بيد ابنه ميرمينا عام ١٧٥٤م، ثم قام الأخير بقتل أخيه الأكبر ميرحسن في عام ١٧٥٦، غير أن ميرمينا ما لبث أن اصطدم مع الهولنديين في كانون الثاني ١٧٦٦ وانتصر عليهم، وانتزع منهم جزيرة خرج.

وكان طموح البريطانيين في الشرق أوسع نطاقاً، والمعروف أن بريطانيا شكّلت في منتصف القرن الثامن عشر أعظم قوة بحرية في العالم، في الوقت الذي نجحت فيه شركة الهند الشرقية البريطانية في بسط سلطانها على أجزاء مهمة من شبه القارة الهندية، وانهجت نهجاً عدائياً وتوسعياً في الخليج العربي لتحقيق نوع من السيطرة على المنطقة، لكن محاولة البريطانيين هذه قادتهم إلى المواجهة مع القبائل العربية، ولتحطيم مقاومتهم، تعاونوا مع الفرس تارة ومع العثمانيين تارة أخرى.

وكان ممثلو الشركة البريطانية في الخليج يراقبون عن كثب تحركات الهولنديين في جزيرة خرج بخاصة، ويرسلون تقارير مفصلة عنها إلى رؤوسائهم في لندن

(١) سلوت ب.ج: عرب الخليج: ١٦٠٢ - ١٧٨٤م، ص ١٥٨.

(٢) Neibuhr, Carsten: Travels through Arabia and other Countries in the East II p130.

وبومباي، والمعروف أن الشركة احتفظت بوكالة في بندر عباس، وكان لها مقيمة في البصرة، وأقامت مستعمرة في بندر ريق القريبة من جزيرة خرج، وكانت تابعة لميرناصر، وقد منحهم حق الاستقرار فيها كما سمح للهولنديين الاستقرار في جزيرة خرج، وفي ٢٦ شباط ١٧٦٣م، نقلت شركة الهند الشرقية البريطانية مقر الوكالة من بندر عباس إلى البصرة.

وتُمثل العشر سنوات التي تلت ذلك مرحلة متميزة في تاريخ الشركة في الخليج العربي، مارست خلالها نشاطاً عسكرياً وسياسياً لم تكن قد مارسته طيلة تاريخها الطويل في المنطقة، وكان الوضع السياسي العام في أوروبا آنذاك مواتياً للقيام بهذه الخطوة، فقد انتهت حرب السنوات السبع<sup>(١)</sup>، وحقّق الصلح الذي جاء في أعقابها مكاسب كبيرة للبريطانيين في أميركا والشرق، فقد طُرد الفرنسيون من كندا، وقُضي على نفوذهم في الهند، وأحكمت الشركة سيطرتها على البنغال، أغنى الأقاليم الهندية، وأضحّت في وضع يُمكنها من ممارسة أكبر في الخليج العربي، وصارت لتجارة الخليج أهمية خاصة للبريطانيين<sup>(٢)</sup>.

الواقع أن الرغبة التي أبداها البريطانيون في الخليج منذ منتصف القرن الثامن عشر، والطموح الزائد للسيطرة على التجارة مع الهند التي تبلورت بعد عام ١٧٦٣م، يفسّران سياسة شركة الهند الشرقية البريطانية، بتكريس جزء كبير من جهودها السياسية والعسكرية في الخليج من أجل تحقيق السيطرة البريطانية الكاملة على المنطقة، لكن محاولات البريطانيين اصطدمت بمقاومة القبائل العربية، والتي تمثّلت بشكل خاص بميرمها والشيخ سلمان زعيم قبيلة كعب، وانتهت إلى الفشل<sup>(٣)</sup>.

لم يتراجع البريطانيون، على الرغم من فشلهم، في السيطرة على منطقة الخليج العربي، فأرسلوا قواتاً بريّة وبحريّة، إضافة لتشديد الخناق على كعب والقيام بحملة ضدّ ميرمها، وعقدوا من أجل تدعيم قوتهم اتفاقاً مع كريم خان في فارس تضمّن البنود الآتية:

- توسط كريم خان لدى كعب لدفع التعويضات للبريطانيين عن الخسائر التي تسبّبت بها القبيلة في إلحاقها بهم.
- التعاون بين البريطانيين والفرس للقضاء على ميرمها.

(١) حرب السنوات السبع (١٧٥٦ - ١٧٦٣) نشبت هذه الحرب نتيجة النزاعات بين المستعمرين الفرنسيين والمستعمرين البريطانيين في أميركا من أجل الاستيلاء على وادي أوهايو.

(٢) المندلوي: ص ٥١.

(٣) Lorimer, J.G: Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia, I p1219.

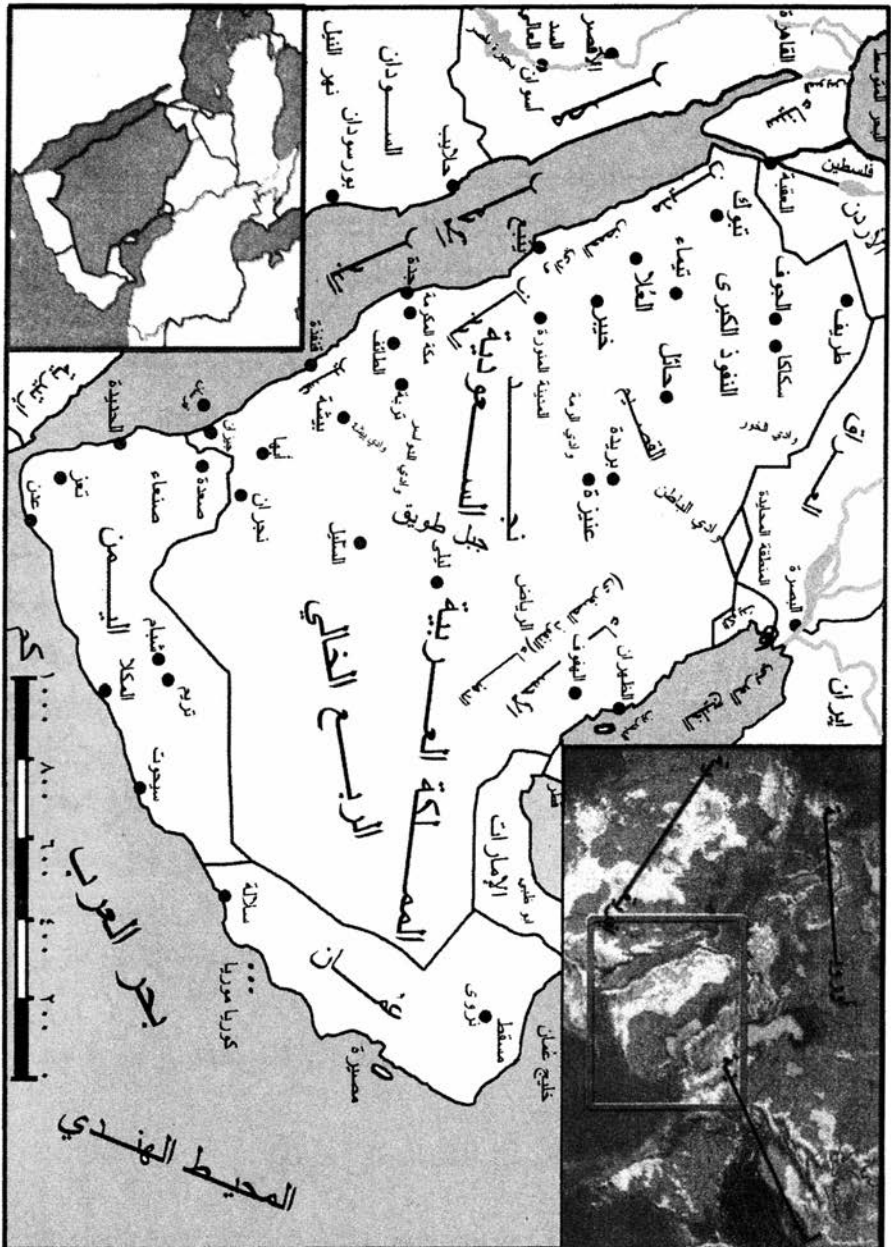
- يستولي البريطانيون على جزيرة خرج بعد القضاء على ميرمها.

- اقتسام الأسلاب بين الطرفين بعد القضاء على الزعيم العربي.

أرسل المبعوث البريطاني وود بعد التوقيع على الاتفاقية، وأمره إلى الأسطول البريطاني بمهاجمة جزيرة خرج، ولكن الهجوم فشل، وتكبّد البريطانيون خسائر فادحة، وما جرى آنذاك من حصول ثورة ضدّ حكم ميرمها في أوائل عام ١٧٦٩م، وفراره إلى البصرة حيث قُتل هناك، أتاح للبريطانيين استغلال الوضع الجديد للاستيلاء على جزيرة خرج، فتوجه الأسطول البريطاني إلى الجزيرة، وكان خليفة ميرمها وهو ميرحسين، راغباً في إبعاد الفرس عن الجزيرة، لذلك وافق على تسليمها للبريطانيين، لكن قائد الأسطول البريطاني طلب من ميرحسين تسليم جميع سفنه، فرفض الطلب وتراجع عن موافقته على تسليم الجزيرة للبريطانيين.

وهكذا انتهت جهود شركة الهند الشرقية البريطانية العسكرية والسياسية إلى الفشل، وتلقّى مدراء الشركة في لندن أنباء الخليج بكل أسى، فانسحبوا من بوشهر وحصروا استقرارهم في البصرة، التي بدت بأنها المكان الوحيد المأمون لهم في المنطقة، وتخلّت الشركة عن محاولاتها التوسعية في الخليج العربي، وبخاصة أن محاولات الاستعانة بلندن قد فشلت هي الأخرى، وبقيت قبيلة كعب شوكة في جنب البريطانيين والفرس والعثمانيين.

وتعاظمت في نهاية القرن الثامن عشر قوة القواسم في الجزء الجنوبي من الخليج العربي، الأمر الذي زاد في متاعب البريطانيين، فتراجعت تجارة الشركة إلى أقل من الحد الأدنى، ولم تعد تكفي لسدّ نفقات مؤسساتها في المنطقة.



خريطة المملكة العربية السعودية. عن أطلس دول العالم الإسلامي شوقي أبو خليل، دار الفكر - دمشق

# الفصل الأول

## المملكة العربية السعودية

### الموقع والجغرافيا

تقع المملكة العربية السعودية في الجنوب الغربي من قارة آسيا، يحدها من الشمال الأردن والعراق والكويت، ومن الجنوب سلطنة عُمان واليمن، ومن الشرق الخليج العربي والبحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة، ومن الغرب البحر الأحمر.

تطلُّ المملكة على بحرين هما: الخليج العربي من الشرق، والبحر الأحمر من الغرب، يبلغ طول سواحلها على الخليج ستمائة وعشرة كيلومترات، وتقع عليه موانئ عدة أهمها:

ميناء الملك عبد العزيز في الدمام، وميناء الملك فهد الصناعي في الجبيل. ويبلغ طول سواحلها على البحر الأحمر ألف وثمانمائة كيلومتراً، وتقع عليه موانئ عدة أهمها: ميناء جدة وميناء الملك فهد الصناعي في ينبع وميناء جازان. تبلغ مساحة المملكة مليونين ومائتين وأربعين ألفاً وثلاثمائة وخمسين كيلومتراً مربعاً، أي ما يعادل نحو ثمانين في المائة من المساحة الإجمالية للجزيرة العربية، التي تبدو وكأنها قارة صغيرة.

عاصمة المملكة هي الرياض، وأهم مدنها: مكة المكرمة، المدينة المنورة، جدة، الدمام، أبها، تبوك، تيماء، الجبيل، خيبر، الدرعية، الدمام، القطيف والطائف.

تتكون المملكة من ثلاث عشرة منطقة استناداً لنظام المناطق الجديد الصادر في عام ١٩٩٣ هي: مكة المكرمة، المدينة المنورة، الرياض، القصيم، الشرقية، عسير، تبوك، حائل، الحدود الشمالية، جازان، نجران، الباحة والجوف، وتتكوّن كل منطقة إدارياً من عدد من المحافظات والنواحي والمراكز، ويُعيّن لكل منطقة أمير بمرتبة وزير، ونائب له بمرتبة ممتازة، وعدد من الأعضاء، وللمجلس أمانة مقرها مركز المنطقة.

تتكوّن معظم أراضي المملكة من بوايد وسهول غلبت عليها الطبيعة الصحراوية مع

اختلاف في طبيعة سطحها، إذ إن بعضه مغطى بالكثبان الرملية، وبعضه الآخر عبارة عن جبال وأكام وأغوار منخفضة، بالإضافة إلى نجد مرتفع.

لا يوجد في المملكة أنهار كبيرة بالمعنى المعروف، ولا بحيرات، لذلك تتميز بوجه عام بأنها بلاد حارة وجافة وناحية، غير أنها كثيرة الأودية التي تمتلئ بالسيول عند سقوط الأمطار، والغالب على جوّ المملكة الجفاف، فالأمطار قليلة على الرغم من أن الماء يحيط بها من جهتين، إلا أن كلاً من البحر الأحمر والخليج العربي لا يساعدان، لضيقهما، على أن يحدثا من قوة الجفاف، وتشحّ الأمطار في الحجاز أحياناً، وقد تنقطع ثلاث سنوات متوالية فيتج عن ذلك قحط وجذب، ومع ذلك فقد ينهمر المطر على مكة والمدينة، في فصل الشتاء، فيشكل سيولاً مدمرة تنحدر من الجبال إلى الوديان والشعاب، وقد تسقط الأمطار في تهامة في فصل الشتاء أحياناً، ويبلغ تأثير الرياح الموسمية حتى الطائف، فتنزل فيها الأمطار في أواخر فصل الصيف، أما الأقسام الوسطى، فيسقط المطر من الغيوم المتبخرة في الخليج العربي والبحر الأحمر، ويكثر في أعالي جبل شمر.

## آل سعود قبل قيام مملكتهم

يُقسم تاريخ آل سعود قبل قيام مملكتهم إلى ثلاث مراحل زمنية، برزت خلالها الدولة السعودية الأولى (١٧٤٥ - ١٨١٨م)، والدولة السعودية الثانية (١٨٤٣ - ١٨٩١م)، والدولة السعودية الثالثة (١٩٠٢ - ١٩٣٢م).

## الدولة السعودية الأولى ١٧٤٥ - ١٨١٨م

### ظهور الدعوة الوهابية

ظُلَّ وسط شبه الجزيرة العربية خارج سلطة العثمانيين ومنعزلاً عن العالم الخارجي، وظهر الداعية محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ - ١٧٩٢) في نجد وسط مجتمع بدوي أقرب إلى البساطة، والبعيد عن مفهوم الدولة، وقد تأثر بالمذهب الفقهي الحنبلي وبأفكار المجدد الإسلامي ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية.

ركّز محمد بن عبد الوهاب على تنقية العقيدة الإسلامية من الشوائب وإصلاح المجتمع<sup>(١)</sup>، ولم يكن يُتوقَّع منه أن يطرح مشكلة الدولة في معرض مواجهته لتحديات الحداثة والنفوذ الأوروبي المتعاظم.

(١) شرح محمد بن عبد الوهاب أفكاره وتعاليمه الإصلاحية في كتابه: كتاب التوحيد الذي هو حقُّ الله على العبيد.

والواضح أن أفكاره الإصلاحية لم تكن كافية لإقامة دولة، لولا أن أمير الدرعية في منطقة نجد محمد بن سعود (١٧٣٥ - ١٧٦٥) تبنت أفكاره وتعاليمه في أواسط القرن الثامن عشر<sup>(١)</sup>.

## نسب آل سعود

يرجع نسب آل سعود إلى قبائل ربيعة التي تمتد فروعها إلى نجد والعراق وبلاد الشام، ومن ثمّ فهي من أكثر القبائل العربية عدداً وأوسعها انتشاراً، أما عائلة آل سعود فيعود نسبها إلى مانع بن المسيّب الملقب بالمريدي، وهذه العائلة هي إحدى فروع قبائل عنيزة<sup>(٢)</sup>. سكنت هذه العائلة في الدرعية بوادي حنيفة في منطقة نجد منذ القرن الخامس عشر الميلادي، لكنها لم تظهر على مسرح الأحداث إلا بعد أن تبنت الدعوة الوهابية.

والواقع أن محمد بن عبد الوهاب أدّى دور الداعية، في حين قدّمت عائلة آل سعود العصبية القبلية الضرورية لحماية الدعوة وتأمين انتشارها، وهكذا عُقد العهد بين رجل الدين ورجل السياسة، بين عقيدة المصلح وسيادة الأمير، فتعهد محمد بن عبد الوهاب أن يُقيم في الدرعية ولا يحالف أميراً آخر من أمراء العرب، وتعهّد محمد بن سعود أمير الدرعية، بتطبيق الشريعة الإسلامية على مذهب الإمام.

هذا هو الأساس الديني والسياسي للإمارة السعودية الأولى التي استمرت أكثر من سبعين عاماً، وقد بدأت مع الأمير محمد بن سعود في اتفاهه وحلفه مع محمد بن عبد الوهاب، ولا يزال حكم هذه الأسرة مستمراً إلى يومنا هذا.

## التوسع السعودي في نجد

جرى في أوائل عهد الدعوة الوهابية نزاع بين الدرعية بزعامة محمد بن سعود وبين العيينة بزعامة عثمان بن معمر، على الرغم من التقارب الأسري بين الأسرتين الحاكميتين في كل منهما، والمعروف أن محمد بن عبد الوهاب هو من العيينة وقد نفاه عثمان منها فلجأ إلى الدرعية، كما أن عثمان زوّج ابنته من عبد العزيز بن محمد، فرزقا في عام ١٧٤٨ بانهما سعود<sup>(٣)</sup>.

(١) الطيّب، محمد رفيق: العالم العربي والتحديات المعاصرة: ص ١٩٢.

(٢) المختار، صلاح الدين: تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها: ج١ ص ٢٩. الريحاني، أمين: تاريخ نجد الحديث وملحقاته وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود: ص ٦٢.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبد الله: عنوان المجد في تاريخ نجد: ج١ ص ٢٣.



أثم محمد بن عبد الوهاب عثمان بن معمر بأنه أجرى مراسلات سرية مع حاكم الأحساء محمد بن عفالق موجهة ضده، كما لم ينس أنه نفاه من العيينة، فتخلّص الوهابيون منه في حزيران ١٧٥٠م<sup>(١)</sup>، والواقع أن العيينة والأحساء كانتا المنافستان الرئيسة للدولة السعودية.

خلف عثمان بن معمر قريبه مشاري بن إبراهيم بن معمر الموالي للدرعية، وبعد عشر سنوات، فقدت العيينة استقلالها نهائياً، فقد عزل محمد بن سعود، مشاري بن إبراهيم وأسكنه مع عائلته في الدرعية، ودمّر قصر آل معمر<sup>(٢)</sup>.

وفي عامي ١٧٥٠ - ١٧٥٣م، حاولت إمارات منفوحة وحرملى وضمري فكّ تحالفها مع السعوديين والخروج على حكم الدرعية، وقد شجّع سليمان بن عبد الوهاب أخو محمد الانتفاضة في حرملى، فبعث برسائل إلى أرجاء نجد كافة يشجب فيها تعاليم أخيه، ويبدو أن بعض القبائل تأثرت بدعايته، لا سيما في العيينة، إلا أن محمد بن سعود تمكّن من الاستيلاء عليها في عام ١٧٥٥م، وفرّ سليمان إلى سدير<sup>(٣)</sup>.

ونشأت في عام ١٦٨٢م إمارة الرياض في التخوم الشرقية من الدرعية، وكانت البداية على يد دؤاس بن عبد الله بن شعلان في منفوحة، وقد خلفه ابنه محمد بعد وفاته في عام ١٧٢٦م، غير أن ابن عمه عبد الله بن فارس نازعه على الحكم وقتله، وطرده إخوته من منفوحة، وتفرّد بالحكم، فلجأ الأخوة ومن بينهم دهام إلى الرياض محتمين بحاكمها زيد بن موسى، وحالفهم النجاح فيها، فقد قُتل زيد على يد عبد يُدعى خميس، الذي تولى الحكم مدة ثلاث سنوات قبل أن يهرب لدى سماعه بأخبار مؤامرة دبرها أهل البلد لخلعه عن الحكم، فتولى دهام بن دواس الحكم باسم ابن أخته القاصر، ابن زيد، وكانت أخته أرملة زيد بن موسى، وعندما استتبّ له الأمر طرد ابن أخته من الرياض وتفرّد بالحكم<sup>(٤)</sup>.

لا تمدّنا المصادر بكنه العلاقة بين الدرعية والرياض خلال المدة التي سبقت

(١) ابن غنّام، حسين: تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتابد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام: ص ١٠٣.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٠٣، ١١٨. ابن بشر: ج ١ ص ١٨ - ٢٦.

(٣) المصدران نفسهما: ص ١٠٩، ج ١ ص ٢٩، ٣٠. فيلبي، سنت جون: تاريخ نجد، تعريب عمر الديسراوي: ص ٧٦، ٧٧.

(٤) فيلبي: ص ٦٥، ٦٦.

وصول الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية، إلا أنها توتّرت بعد استقراره فيها، وتبادل الطرفان الغزوات، كلٌّ يحاول القضاء على خصمه ووراثته، استمرت حتى عام ١٧٧٣م في عهد عبد العزيز بن محمد (١٧٦٥ - ١٨٠٣م) وانتهت بسيطرة السعوديين على الرياض، وفرّ أميرها دھام بن دواس مع عائلته منها<sup>(١)</sup>.

وتعرّضت الدرعية في أواخر عام ١٧٦٤ لخطر الأحسائيين بقيادة عريمر بن دُجّين، وخطر القبائل البدوية القادمة من نجران بقيادة الحسن بن هبة الله، ويبدو أن اتفاقاً حصل بين الجانبين لفرض حصار مشترك على الدرعية، لكن الحسن وصل مبكراً، فاصطدم بقوات عبد العزيز بن محمد وانتصر عليها، فسارع محمد بن عبد الوهاب إلى عقد صلح معه في خطوة سياسية تنمُّ عن الدهاء، على أساس دفع تعويضات الحرب وتبادل الأسرى، وانسحب النجرانيون بعد ذلك من دون أن ينتظروا وصول قوات عريمر من الأحساء<sup>(٢)</sup>، وعندما وصلت هذه القوات في بداية عام ١٧٦٥م، فرضت حصاراً على الدرعية، وساندها كثير من النجديين، بمن فيهم أمير الرياض وزيد بن زامل أمير الخرج، غير أن الحصار قد فشل، وعاد الأحسائيون إلى بلادهم<sup>(٣)</sup>، وتوفي في هذه الأثناء محمد بن سعود وخلفه ابنه عبد العزيز.

استأنف السعوديون نشاطهم التوسعي بعد زوال الخطرين الأحساني والنجراني، فأخضعوا في أواخر الستينات الوشم والسدير، وهاجموا الزلفى الواقعة شمال شرقي مقاطعة القصيم النجدية الغنية، وشنّوا حملات ناجحة ضدّ البدو في جنوبي وشرقي نجد، وخضعت لهم فصائل من قبائل سبيع والظفير<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا الشكل، انتهى الصراع من أجل السيطرة على وسط نجد بعد أن استغرق نحو ربع قرن، ولكنه لم يخرج عن نطاق النزاع القبلي، وتمكّن السعوديون من القضاء على مقاومة الأمراء المستقلين، وكان واضحاً أثر التجزئة واللامركزية والفوضى القبلية<sup>(٥)</sup>، لكن نجد لم تقع كلها تحت سيطرة السعوديين إلا بعد اثني عشر عاماً إثر السيطرة على الرياض.

(١) فيليبي: ص ٩٥، ٩٦. ابن غنّام: ص ١٣٨. ابن بشر: ج ١ ص ٦٠، ٦١.

(٢) ابن غنّام: ص ١٢٥، ١٢٦. ابن بشر: ج ١ ص ٤٧، ٤٨.

(٣) مؤلف مجهول: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب: ص ٧٧.

(٤) Mengin, F: Histoire de l'Egypte sous le gouvernement de Mahammad Aly II pp 465 - 470.

(٥) فاسيليف: تاريخ العربية السعودية: ص ١٠٣.

## توحيد وسط الجزيرة العربية

برز بعد ضمّ الرياض إلى الدولة السعودية الأمير زيد بن زامل حاكم الدلم ومنطقة الخرج كخصم عنيد للسعوديين، وتحالف مع زعيم وادي الدواسر وزعماء المنطقة الآخرين، وحاول استقطاب النجرانيين، لكن هؤلاء رفضوا نقض الاتفاق المبرم مع السعوديين.

توجّه الحلفاء نحو العارض، ووصلوا إلى حائر السبيع، فأحدثوا تلفاً كبيراً في مزارع النخيل، وقتلوا نحو أربعين رجلاً من المدافعين في معارك عدة قبل أن يواصلوا الزحف إلى ضرمي، ولكنهم واجهوا هناك مقاومة ضارية، ومنوا بخسائر فادحة في القتال الذي دار بين أشجار النخيل حتى أخرجوا منها، وعادوا إلى بلادهم.

ودخل بنو خالد برئاسة عريم نجد في عام ١٧٧٦م قادمين من الأحساء، واحتلوا بريدة والقصيم، وساندهم حكام الواحات للتخلص من الحكم السعودي، لكن عريم توفي فجأة، فانهمك بنو خالد في الصراع على السلطة، فاز بنتيجته سعدون بن عريم، وتدخل السعوديون في هذا الصراع، فحرّضوا إخوته ضده<sup>(١)</sup>، وردّ أمير الأحساء على هذا التدخل، فعقد حلفاً مع أمير الخرج زيد بن زامل موجّهاً ضدّ الدولة السعودية، غير أنه قرّر فجأة أن يتفاهم مع عبد العزيز بن محمد، ربما لأنه وجد نفسه عاجزاً عن قتاله، وقبّل أن يعقد معه معاهدة صلح، غير أنه لم يتم الاجتماع بينهما<sup>(٢)</sup>، وعلى الرغم من ذلك فقد كان سعدون يتوقع هجوماً من الدرعية، لذا قرّر العودة إلى الأحساء بسرعة، وراح يتأمر في عام ١٧٧٩م مع سكان حريملى وزلفى للهجوم على المركز الوهابي في المجمع، فأغلق السكان أبواب المدينة واستعدوا للحصار الذي فرضه سعدون، غير أن قوة سعودية تمكّنت من اختراق الحصار ودخلت إلى المدينة، ففتت ذلك في عضد سعدون، وتسربّ اليأس إلى قواته، وبدا عليهم التعب، فتخلّى عن خطّته<sup>(٣)</sup>، وهكذا تفكّك الحلف الذي شكّله أمير الأحساء ضدّ السعوديين، وغادر نجد مع جماعته.

وعلى الرغم من مقاومة بعض القبائل، وسّعت الدولة السعودية نفوذها وأراضيها تدريجاً، فسيطرت على الدلم عام ١٧٨٥م، ودخلت منطقة الخرج كلها تحت سيطرتها،

(١) ابن غنّام: ج٢ ص ١٢٠ - ١٢٤، ١٣٢. ابن بشر: ج١ ص ٧٨ - ٨٠. Mengin: II p492.

(٢) فيليبي: ص ١٠٥.

(٣) المرجع نفسه: ص ١٠٥، ١٠٦. ابن غنّام: ص ١٥٠.

وعيّنت سليمان بن عفيصان حاكماً على الدنم<sup>(١)</sup>، وخضعت الأفلاج والدواسر للحكم السعودي، وانتصر السعوديون على بدو الظفير في عام ١٧٨١ وهم أقوى القبائل البدوية في الجزيرة العربية، وقاموا بغزوات ضد آل مرة وقحطان وسبيع وبني خالد، وتوغّلوا في الشمال، وأخضعوا جبل شُمر في النصف الثاني من الثمانينات<sup>(٢)</sup> من القرن نفسه، فاكتمل بذلك التفاف أراضي وسط الجزيرة العربية حول الدرعية.

أدّى تعزيز النفوذ السعودي إلى حصر حقّ ولاية العرش في أسرة آل سعود، وأخذ محمد بن عبد الوهاب على عاتقه إجبار المدن والمناطق على قسم يمين الولاء لها، وكان سعود بن عبد العزيز قد حظي بشعبية واسعة بفضل بسالته وانتصاراته العسكرية ومشاركته في تصريف أمور الدولة، مُعزّزاً بذلك حق الوراثة ووصوله إلى الحكم بشكل أكثر يسراً<sup>(٣)</sup>.

### السعوديون في شرقي الجزيرة العربية

تطلّع السعوديون إلى ضمّ منطقة الأحساء مستغلّين النزاعات الداخلية فيها. ففي عام ١٧٨٦م حاك أحد أقرباء سعدون بن عريمير مؤامرة ضدّه، والتمس المساعدة من شيخ قبيلة المنتفق ثويني بن عبد الله، وبدأت العمليات العسكرية بين الجانبين، ومُنّي سعدون بالهزيمة، فطلب من الدرعية منحه حقّ اللجوء إليها، فوافقت على طلبه ولكنه ما لبث أن توفي، فخلفه دويحس في حكم الأحساء، فخفّ بذلك ضغط السعوديين على الأحساء لكن لمدة قصيرة، إذ قام شيخ المنتفق بغارة مفاجئة على القصيم في عام ١٧٨٧م، واشتركت معه قبائل شُمر، وسكان الزبير، وحطمت قواته بعض قرى المنطقة، ولكنها رُدّت على أعقابها<sup>(٤)</sup>.

وكان السعوديون يقومون بحملات سنوية ضدّ الأحساء، وقد بلغوا سواحل الخليج العربي، وهاجموا قبيلة المنتفق في الشمال<sup>(٥)</sup>، وفي خريف ١٧٨٨ انقسم بنو خالد على أنفسهم وانحاز بعض أفخاذهم إلى السعوديين، ولكن هؤلاء لم يتمكنوا حتى ذلك التاريخ من إخضاع المنطقة، ربما بسبب ميول السكان المعارضة لمذهب محمد بن عبد الوهاب بمن فيهم الزعماء، بالإضافة إلى وجود عناصر شيعية قوية في الأحساء.

(١) ابن بشر: ج١ ص ٧٨ - ٨٠.

(٢) المصدر نفسه: ص ٧٧ - ٨٢. ابن غنّام: ١٥٤ - ١٥٧، ١٦٢.

(٣) فيليبي: ص ١١٦، ١١٧.

(٤) ابن غنّام: ص ١٦٢ - ١٦٦. Mengin: pp 494 - 495.

(٥) ابن بشر: ج١ ص ٨٤ - ٨٥.

واجتاحت القوات السعودية في عامي (١٧٩١ - ١٧٩٢م) منطقة شرقي الجزيرة العربية، فسيطرت على القطيف، وردَّ شيخ الأحساء براك بن عبد المحسن بغزو البدو والواحات الخاضعة لسعود بن عبد العزيز، وظلَّ السعوديون مدة شهر في المنطقة يُدْمرون قباب الأضرحة، وجميع القباب العائدة للشيعة.

وتوفي خلال ذلك في ٢٠ تموز ١٧٩٢م مؤسس الحركة الوهابية، محمد بن عبد الوهاب، وكان شخصية بارزة بالنسبة لعصره ومجتمعه، قضى زهاء نصف قرن في جهاد مستمر لتوطيد أقدام الحركة التي أسَّسها، وفي سبيل تأكيد الإخلاص والولاء للأمراء الذين تعاونوا معه، واشتهرت الحركة على أيديهم<sup>(١)</sup>، واستمرت حتى يومنا هذا بفعل تبنيتها من جانب الأسرة السعودية، واحتفظت أسرة الفقهاء التي أضحت تُسمى آل الشيخ بنفوذها ومكانتها في الدولة السعودية حتى اليوم.

وشهدت الأحساء في غضون ذلك انتفاضة أخرى ضدَّ سلطة آل سعود فتوجه الأمير سعود بن عبد العزيز في خريف عام ١٧٩٣م إلى المنطقة على رأس قوات كبيرة العدد، وأخضعها وعيَّن الأمير السعودي براك بن عبد المحسن الذي تعاون معه بعد خصومة، أميراً على الأحساء<sup>(٢)</sup>، وبعد عودة القوات السعودية إلى الدرعية، سوَّلت له نفسه الانتفاضة على حكم السعوديين في ربيع ١٧٩٦م مستغلاً انهماك هؤلاء في عمليات عسكرية في غربي نجد وجنوبها الغربي، وبعد أشهر عدة، قاد الأمير سعود بن عبد العزيز حملة عسكرية نجحت في قمع حركته<sup>(٣)</sup>، وهكذا انتهى استقلال الأحساء تحت حكم أمراء أسرة عريمير، وأضحى هذا الإقليم، تحت الحكم السعودي مدة تقرب من ثمانين عاماً قبل أن يسيطر عليه العثمانيون سنة ١٨٧١م.

## علاقة السعوديين مع أشرف الحجاز

كانت العلاقة بين الدولة السعودية وأشرف الحجاز متوترة، فعندما أعلن الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته، وبدأت تنتشر في نجد؛ أخذ الأشرف يتابعون تطورها باهتمام، ولكنهم لم يتوقَّعوا لها نجاحاً في بادئ الأمر، ما دفعهم إلى التزام جانب الحياد منتظرين نتائج المعارضة للدعوة في نجد نفسها، وعندما حلَّ الشيخ في

(١) فيليبي: ص ١٢٢.

(٢) ابن غنّام: ص ١٨٢، ١٨٤ - ١٨٦. ابن بشر: ج ١ ص ٩٧ - ١٠١.

(٣) المصدران نفسهما: ص ١٩١، ١٩٢. ص ١٠٥، ١٠٦.

الدرعية وتبنى صاحبها الأمير محمد بن سعود دعوته، وأعلن نصرته لها؛ وارتفعت رايات الجهاد لنشرها في داخل نجد وأطرافها؛ نهض الأشراف لمهاجمة مبادئها، مثل: هدم المقامات والقباب المقامة على القبور، ورفض الدعوة لكثير مما يعتقد السلف، ومحاربة البدع المستحدثة، وقد خشوا على ما هو موجود في الحجاز من تلك المقامات والقباب القائمة على بعض القبور التي تدر عليهم موارد الرزق من الحجاج القادمين إلى الحرمين من أنحاء العالم الإسلامي، ثم قرروا القضاء عليها في مهدها قبل أن تتسرب إلى الحجاز وتخرجهم منه، والتمسوا المساعدة من الدولة العثمانية بوصفهم تابعين لها نظرياً على الأقل.

تقاطع موقف الدولة العثمانية من الدعوة الوهابية مع موقف أشراف الحجاز، ويبدو أن الباب العالي خشي من تكتل القبائل في الجزيرة العربية، حول دعوة تجمع صفوفهم، ويطلبوا باستعادة الخلافة الإسلامية من يده، والمعروف أن الخلافة كانت آنذاك الركن الأساس لسيادته على الأقطار الإسلامية الخاضعة له، فأخذ يعمل على تغذية الحركات المعادية للدعوة من دون أن يزعج نفسه في قتال مكشوف.

كان الشريف مسعود بن سعيد هو أول من تصدّى لمحاربة الدعوة الوهابية، واتهم أتباعها بالمروق من الدين، ثم رفع تقارير إلى الباب العالي في عام ١٧٤٨ تشرح مدى الخطر الذي تُشكِّله على مقام الخلافة الإسلامية، ويلتمس مساندة الدولة العثمانية لمحاربة أتباعها، فوافق الباب العالي على هذا التوجه.

كان أول عمل قام به الشريف مسعود هو أنه منع أهل نجد من دخول مكة لأداء فريضة الحج، وعندما علمت الدرعية بهذا الإجراء، لم تشأ أن تعادي الشريف مسعود، وأرسلت وفداً من ثلاثين عالماً في الدين لمناظرة علماء مكة حول مبادئ الدعوة، ويبدو أن المناظرة لم تسفر عن نتيجة إيجابية، وتمادى الشريف مسعود حين قبض على علماء الدرعية وزجَّهم في السجن، حيث مات بعضهم، وتمكَّن بعضهم الآخر من الفرار، فعادوا إلى الدرعية وأخبروا القائمين بالأمر، فكان لذلك أسوأ الأثر في نفس الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود، ويبدو أن الدرعية لم تكن تملك آنذاك وسائل القوة التي تُمكنها من أن تتأثر من الشريف مسعود، فسكتت على مريض.

توفي الشريف مسعود في عام ١٧٦٠م، فخلفه أخوه الشريف مساعد، وقد رفض طلب الدرعية المتجدد السماح لأهالي نجد بتأدية فريضة الحج، وتعرَّضت مكة في أواخر أيام حكمه لخطر فقدان استقلالها، ففي عام ١٧٦٩م أعلن حاكم القاهرة

علي بك الكبير استقلال مصر عن الباب العالي، وضمّ الحجاز إلى ممتلكاته، بيد أن محاولته تأسيس دولة عربية باءت بالفشل، فتخلّص الحجاز من حكم المصريين<sup>(١)</sup>.

وتوفي الشريف مساعد في عام ١٧٧٠م، وخلفه الشريف أحمد بن سعيد الذي جنح إلى السلم وإصلاح ذات البين مع الدرعية، فكتب إلى الشيخ والأمير بذلك، فاستجابا له، وتحسّنت العلاقات بين الجانبين، وما جرى في عام ١٧٧٣م من خلع الشريف أحمد واعتلاء ابن أخيه الشريف سرور بن مساعد مكانه<sup>(٢)</sup>، أدى إلى تأزّم العلاقات بين مكة والدرعية، فقد اشترط الشريف أن يدفع حجاج نجد المكوس والضرائب التي يدفعها الأعاجم، وكانت القاعدة المتبعة قبل ذلك، أن يدخل أهالي نجد إلى الحجاز من دون قيد أو شرط، فرفضت الدرعية هذا الشرط.

توفي الشريف سرور في ٣٠ كانون الثاني ١٧٨٨م وخلفه أخوه الشريف غالب، وكان يُعادي الدعوة الوهابية، ويطمح إلى القضاء عليها، فمنع أهالي نجد من دخول مكة، وجَهَّز في عام ١٧٨٩م حملة عسكرية زحف على رأسها إلى نجد وعسكر على أطرافها، إلا أنه لم يتمكّن من اقتحامها، لكن جرى قتال متفرق بين الجانبين، وتولى الإمام عبد العزيز بن محمد وابنه الأمير سعود قيادة القوات السعودية، وما حدث من تراجع قوة الشريف بفعل تفرّق القبائل من حوله؛ أدى إلى تعرّضه للهزيمة في عام ١٧٩١م، واضطر للعودة إلى مكة<sup>(٣)</sup>.

وجاء رد فعل السعوديين سريعاً، فبدأت قواتهم تغزو المناطق الواقعة بين نجد والحجاز بالإضافة إلى الواحات والقبائل الخاضعة لشريف مكة، فجنح الشريف غالب إلى الصلح، وأرسل رسالة إلى الدرعية دعا فيها الإمام عبد العزيز وابنه الأمير سعود ومن يشاء من أهله وعشيرته وأهل نجد لزيارة الأماكن المقدسة في الحجاز وأداء فريضة الحج، فلبّى الإمام وابنه وكثير من أهل نجد الدعوة، وقد حملوا رسالة من الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى علماء مكة توضّح حقيقة الدعوة التي يدعو إليها.

كان ردُّ فعل هذا التفاهم سلباً على وضع الأشراف، لأنه شجّع القبائل الحجازية على الدخول في الدعوة الوهابية، ما أغضب الشريف غالب، فأقدم على نقض الصلح، وسير الحملات العسكرية ضد تلك القبائل، لكنه مُني بفشل ذريع، واضطر إلى طلب الصلح مرة أخرى على الشروط التي تملّيها الدرعية، والتي اقتضت على:

- ترسيم الحدود بين نجد والحجاز.

(١) Volney, C.F: voyage en syrie et en Eggpt pendant les Années 1783 - 1785, pp 81, 82, 88.

(٢) المرجع نفسه: ص ١١٩.

(٣) فيليبي: ص ٩٨، ٩٩.

- تحديد تبعية القبائل المرابطة على حدود الطرفين .

- السماح لأهالي نجد بدخول مكة لأداء فريضة الحج، ومعاملتهم معاملة حسنة .  
وأقرت تلك البنود بعد مفاوضات جرت بين الجانبين في عام ١٧٩٨م، وبدأ حجاج نجد في العام التالي، يتوافدون على مكة بأعداد وفيرة، وعزم الإمام عبد العزيز بن محمد أن يحج بالناس في عام ١٨٠١م، ولكنه ما لبث أن عاد إلى الدرعية بعد أن شعر بتوعك صحته، وكلف ابنه الأمير سعود أن يتولى إمارة حجاج نجد .

وأخذت القبائل الحجازية تلتف من حول الأمير سعود بن عبد العزيز، وتعلن ولاءها له، فلاحظ الشريف غالب ذلك، فنقض الصلح وقتلها، فتصدى له الأمير سعود بن عبد العزيز، فسيطر على الطائف ومكة، ودخل الشريف عبد المعين أخو الشريف غالب في طاعته، فأقره في شرافة مكة وذلك في نيسان ١٨٠٣م، ثم هاجم جدة وحاصرها، لكنه فشل في دخولها، وكان الشريف غالب متحصناً بها، فعاد إلى مكة ومنها إلى الدرعية، واستردَّ الشريف غالب مكة والطائف<sup>(١)</sup> .

واغتيل الإمام عبد العزيز بن محمد في تشرين الثاني ١٨٠٣م وهو يُصلّي في جامع طريف وسط الدرعية على يد رجل عراقي، ويبدو أن القاتل أراد الانتقام لما فعله الإمام في كربلاء من تدمير العتبات المقدسة الشيعية في نيسان ١٨٠٢م، وفي رواية أن القاتل كان كردياً من العمارة قرب الموصل يُدعى عثمان، ولم يُعرف الدافع إلى القتل، وربما استؤجر ليقوم بهذا العمل، لأنه كان سيئاً ليس له أي هدف ديني من عمله<sup>(٢)</sup>، وشكّل مقتله ضربة قاسية للحكم السعودي .

وأسرع الأمير سعود إلى الدرعية بعد مقتل أبيه، فبايعه سكانها، واعترفت كل المناطق بالأمير الجديد، وبعث إلى حكامها رسائل عاهدتهم فيها على أن يلتزم بالعدل، ولكنه سينتقم بلا رحمة من المتمردين والمتآمرين .

وجّه الأمير سعود بن عبد العزيز أنظاره إلى الحجاز لضمّه إلى أملاكه، فأقام حصناً في وادي فاطمة وضع فيه حامية عسكرية للضغط على الشريف غالب، وأرسل في الوقت نفسه إلى عبد الوهاب بن أبي نقطة أمير عسير وتهامة يأمره بمهاجمة جدة، فخرج إليها على رأس ستة آلاف مقاتل، وعسكر عند آبار السعدية قرب الساحل على بُعد يوم ونصف من مكة، ثم اصطدم بقوات غالب وتغلب عليها، وفرَّ غالب إلى مكة وعاد أبو نقطة إلى بلاده من دون أن يستثمر انتصاره، ما دفع الأمير السعودي إلى تكليف اتحاد القبائل الموالية له وعلى رأسها: عبد الوهاب أبو نقطة،



وسالم بن شكبان أمير بيشة، وعثمان المصيفي؛ بمهاجمة مكة، فحاصروها، وبيدو أن الشريف غالب وجد نفسه عاجزاً عن مقاومة مثل هذا الجيش الكبير، وكانت الجزيرة العربية، تتعرض آنذاك لموجة قحط شديدة وجفاف، فتضايق الناس في مكة، واضطر الشريف غالب إلى طلب الصلح، وتعهد بالذهاب إلى الدرعية بعد الحج ليقدم خضوعه وولاءه، فوافق الأمراء الثلاثة على طلبه وذلك في عام ١٨٠٦م، وكان نجاح السعوديين في بسط سيادتهم على المنطقة الواقعة شمالي مكة، من الأسباب التي دفعت الشريف غالب للكف عن المقاومة، وسيطر السعوديون على ينبع الخاضعة لسيادة الشريف، ثم ضموا المدينة، فدخل الحجاز نتيجة ذلك تحت سلطة الدولة السعودية<sup>(١)</sup>، وأجلى الأمير السعودي القضاة والموظفين العثمانيين الموجودين في مكة والمدينة، وعزز تحصيناتها، واحتفظ بحامية قوية فيهما.

أثار سقوط مكة في أيدي السعوديين الهلع والاستياء في استانبول، وتعرض الباب العالي لضربة قاسية أصابت سمعة الخليفة ومكانته بوصفه حامي الحرمين الشريفين والمدن المقدسة، فكان لا بد من التحرك لمواجهة التحدي السعودي، لكن الدولة العثمانية كانت عاجزة عن إرسال قواتها لمحاربة السعوديين.

### التوسع السعودي في الشمال الشرقي

وجد السعوديون أنفسهم بعد إخضاع الأحساء على حدود العراق، وكانت بغداد واقعة تحت حكم المماليك، ومنذ عام ١٧٨٠م حكم سليمان باشا العادل بغداد بصورة مستقلة، واضطر الباب العالي إلى الاعتراف بحكمه.

كان توسع الدرعية في هذه المنطقة يستهدف الشمال الشرقي، وكانت قبائل البدو المتنقلة في جنوبي العراق قد أقامت علاقات جيدة مع مدن العراق وقراه الواقعة على طريق التجارة، وكان لحكام بغداد مصلحة في حمايتها، لذلك تعاونوا معها لصد غزوات البدو المنطلقة من وسط الجزيرة العربية، مثل قبائل المنتفق، مع ما يشكل ذلك من تعريض سلطة السعوديين في الأحساء للخطر.

وتزعم ثويني، زعيم قبائل المنتفق، الحملة ضد السعوديين، وطلب من سليمان باشا إمداده بالعتاد والذخيرة، فأمدّه بعساكر من البصرة، وكانت القطيف محور النزاع للسيطرة عليها<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن بشر: ج١ ص ١٣٣ - ١٣٤، ١٤٤. دحلان، أحمد زيني: خلاصة الكلام في بيان أمراء

البلد الحرام: ص ٢٨٥ - ٢٩٢. فيليبي: ص ١٦١ - ١٦٢، ١٦٧

(٢) فيليبي: ص ١٣٣ - ١٣٤. Mengin: IIP 511.

بدأ ثويني حملته في عام ١٧٩٧، فتصدى له الأمير سعود بن عبد العزيز، ودارت بينها معارك طاحنة انتصر حاكم الدرعية في نهايتها، وقُتل ثويني على يد عبد له يُدعى طعيس، وكان موالياً للسعوديين، وقد قُتل هذا القاتل فوراً<sup>(١)</sup>، وعيّن سليمان باشا حموداً بن تامر على قبائل المنتفق بدلاً من ثويني المقتول، كخطوة أولى في خطته الرامية إلى استئناف هجومه على السعوديين.

وتغلغل السعوديون في العام التالي في بادية الشام، ووصلوا إلى مدينتي سوق الشيوخ والسماوة في العراق<sup>(٢)</sup>، ولم ينفك الباب العالي يُرسل أوامره إلى والي بغداد للقضاء على القوة السعودية، وعيّن علي باشا كيخيا قائداً للجيش الذي أرسله إلى هناك، وضمّ المشاة والخيالة، وفصائل البدو غير النظاميين من قبائل شمر والمنتفق والظفير، وقد تجاوز عدیده عشرة آلاف مقاتل، وسيطر هذا الجيش على الهفوف والواحات الأخرى قبل أن تتصدى له حاميات المدن وتجبره على الانكفاء، واضطر علي باشا إلى مراسلة الأمير عبد العزيز بن محمد بشأن الصلح، ووصل إلى بغداد في عام ١٧٩٩م ممثل أمير الدرعية للاتفاق مع الوالي سليمان باشا على توقيع الاتفاق، كما توجه مبعوث خاص لسليمان باشا إلى الدرعية من أجل وضع ترتيبات الصلح، فحاول أن يحصل من الأمير على التزامات بعدم مهاجمة العتبات الإسلامية في الفرات الأوسط، والمعروف أن هذه المنطقة كانت تحت السيطرة السعودية، ما دفع الأمير السعودي إلى الردّ على المبعوث البغدادي قائلاً: «جميع غربي الفرات لنا وشرقيه له»<sup>(٣)</sup>.

وما جرى من خروج الفرنسيين من مصر في عام ١٨٠١م، وحلول النفوذ البريطاني فيها؛ جعل الجزيرة العربية طرفاً بعيداً عن مسرح العمليات العسكرية، ما أطلق أيدي السعوديين في مواصلة توسعهم، فهاجموا كربلاء بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز، فدخلوها، وأضرموا فيها النيران التي أتت على كل شيء، وغنموا غنائم وفيرة وقيمة<sup>(٤)</sup>، وكان تدميرها أفدح هزيمة لحقت بسليمان باشا الذي ما لبث أن توفي عام ١٨٠٢م، وخلفه علي باشا الذي اعتقد بعدم إمكان هزيمة السعوديين في أعماق الجزيرة العربية، ولذا وجّه اهتمامه إلى تحصين المدن وترميم كربلاء وضريح الحسين.

وطوال السنوات التي أعقبت تدمير كربلاء، قام السعوديون بغزوات دورية على

(١) ابن غنّام: ١٩٩.

(٢) ابن بشر: جا ص ١١٢.

(٣) ابن سند، عثمان البصري: تاريخ بغداد: ص ٢٧.

(٤) ابن بشر: جا ص ١٢٠، ١٢٢. فيليبي: ص ١٤٢ - ١٤٣.

العراق اقتصر على الإغارة على القرى غير المحصنة، وعلى الرغم من الأوضاع غير المستقرة التي أعقبت وفاة سليمان باشا، لم يتمكن السعوديون من تحقيق نجاحات تماثل غزو كربلاء.

## الصراع على عُمان

لم يقتصر التوسع السعودي على الحجاز وشمال شرقي الجزيرة العربية، بل امتدَّ إلى الشرق والجنوب، ونجح السعوديون في فرض سيطرتهم تدريجاً على كل الساحل العربي للخليج بما فيه البحرين، وتوغَّلوا في أعماق عُمان.

كان سُكَّانُ عُمان ينقسمون إلى جماعتين: الإباضية والغفري السنة، وأتاح الصراع بينهما للسعوديين التدخل في المنطقة، ففي عام ١٧٩٢م اعتلى سلطان بن أحمد بن سعيد السلطة في مسقط، واقتصرت صلاحيته على الناحية السياسية فقط، ولم يكن إماماً ولا زعيماً روحياً، ما أدى إلى إضعاف سلطته.

وكانت تعيش على الساحل العُماني قبائل أخرى سنيّة المذهب تمارس التجارة وصيد اللؤلؤ والأسماك، والقرصنة ضدَّ السفن البريطانية، وعاشت هذه القبائل منعزلة عن الهناوية وعن قبائل الغفري<sup>(١)</sup>.

وشنَّ سلطان بن أحمد هجوماً على البحرين في عام ١٨٠١م، فالتمس سُكَّانها المساعدة من الإمام عبد العزيز بن محمد، فأرسل حملة عسكرية بقيادة مطلق المطيري وإبراهيم بن عفيصان، هاجمت مسقط وسيطرت على البحرين<sup>(٢)</sup>، كما أرسل حملة أخرى بقيادة عبد الله بن مزروع من منفوحة على رأس قوة عسكرية من نجد إلى واحات البريمي للاستيلاء عليها واتخاذها مركزاً<sup>(٣)</sup>، وكان الإمام قد أرسل إلى عُمان نسخة من مؤلَّف لمحمد بن عبد الوهاب، وطلب من العُمانيين تبني المذهب الوهابي، فرفض الإباضية ذلك، وتحالفت قبائل الغفري معه<sup>(٤)</sup>.

وقام الجيش السعودي في عام ١٨٠١م بحملة أخرى ناجحة ضدَّ عُمان، قادها سالم المحرق أحد قادة الإمام عبد العزيز بن محمد، وأقسم صقر القواسمي حاكم رأس الخيمة يمين الولاء للسعوديين<sup>(٥)</sup>، وغدا حاكم مسقط سلطان بن أحمد تحت الحكم السعودي، إلا أنه حاول الانتفاض على هذا الحكم، فتقرَّب من والي بغداد،

(١) Winder, R.B: Saudi Arabia in the Nineteenth Century pp92 - 93.

(٢) ابن بشر: جا ص١٢٢. (٣) فيليبي: ص١٧٥.

(٤) مؤلَّف مجهول: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب: ص٢٠١ - ٢٠٦.

(٥) Mengin: II p522 - Lorimer, Ip 424.

ومتنّ صلاته به، غير أنه قُتل في معركة بحرية أثناء عودته من البصرة إلى بلاده في أواخر عام ١٨٠٤م<sup>(١)</sup>، فخلفه قريبه بدر بمساعدة السعوديين، وكان منفياً في الدرعية، فحاول نشر المذهب الوهابي في المجتمع العُماني، ولكن من دون نجاح يُذكر، وفي عام ١٨٠٧م ثار عليه ابنا سلطان بن أحمد سالم وسعيد، فخلعاه عن الحكم، واعتلى سالم السلطة مكانه، والتزم الأخوان الخضوع للسعوديين، غير أنهما توقفا بعد مدة قصيرة عن دفع الأتاوة المقررة، وأخذوا يستعدان للاصطدام بهم، والتمس سعيد المساعدة من شاه إيران، فأمدّه ببضعة آلاف من الجنود<sup>(٢)</sup>، إلا أنه وبفعل خسارته أمام رأس الخيمة في عام ١٨٠٩م، أعلن خضوعه للسعوديين مجدداً، وقَبِل أن يدفع مبلغ أربعين ألف ريال إلى أمير الدرعية<sup>(٣)</sup>.

وهاجم السعوديون حضرموت، وكان رواد دعاة المذهب الوهابي قد وصلوا إليها في عام ١٨٠٤، ولم تكن جهودهم الدعوية ناجحة، إلا أن حضرموت دفعت الجزية للدرعية.

وما جرى بعد ذلك من مقتل مطلق المطيري خلال المعارك في عام ١٨١٣م، ومجيء القوات المصرية إلى الجزيرة العربية واتخاذ بريطانيا إجراءات مضادة؛ أجبر السعوديين على سحب قواتهم من عُمان ليواجهوا الخطر المصري.

وهكذا سيطر السعوديون على الساحل الغربي للخليج العربي، وراح الأسطول السعودي يجوب مياه الخليج، وفرض السعوديون الرسوم والضرائب، وهاجموا السفن التجارية والتي تحمل البريد من بومباي إلى البصرة<sup>(٤)</sup>.

اصطدم التوسع السعودي في الخليج العربي بالمصالح البريطانية، فحاولت شركة الهند الشرقية البريطانية أن تقيم علاقات ودية مع الحكومة السعودية وكانت تُرسل الهدايا إلى سعود بن عبد العزيز، وهي حريصة على سلامة الطرق التجارية والبريدية، وحاول ساستها إقناع السعوديين بعدم التعرض لسعاة البريد من البصرة إلى حلب.

وزار رينو ممثل شركة الهند الشرقية البريطانية الدرعية، واجتمع بالأمير السعودي، فطلب منه ضمانات بعدم مهاجمة المصالح البريطانية في الخليج العربي أو عرقلتها، إلا أنه لم يحصل على شيء يُذكر.

لكن بريطانيا لم تتورع عن استعمال القوة عند الضرورة للمحافظة على مكتسباتها

(١) ابن بشر: جا ص١٣١.

(٢) المصدر نفسه: ص١٣٦.

(٣) المصدر نفسه: ص١٤١ - ١٤٢، ١٤٦ - ١٤٧.

(٤) ابن هاشم، محمد: حضرموت: ص١٢٠ - ١٢٢. Lorimer: I pl81.

في الخليج العربي وحمائيتها، من ذلك أنها شنت في عام ١٨٠٥م حملة ضدّ القواسم، حلفاء الدرعية في رأس الخيمة، بالاشتراك مع حاكم مسقط سعيد بن سلطان، الذي تخلى آنذاك عن تحالفه مع السعوديين<sup>(١)</sup>، وصادف وجود بعض السفن البريطانية في مرفأ مسقط آنذاك، فهاجمت زبارة، وهزمت الحامية السعودية فيها واستولت على ممتلكاتها، ثم غادرتها وتوجّهت إلى البحرين لتحاصر فهد بن عفيصان وقوّاته في حصن المنامة، وقد استسلم الحصن بموجب شروط، واحتُجز فهد مع ستة عشر رجلاً من قوّاته كرهائن حتى يطلق سراح شيوخ آل خليفة في الدرعية، وعرض هؤلاء على الأمير سعود بن عبد العزيز أن يطلق سراحهم ليعودوا إلى البحرين ويدعون أنصارهم للدخول في المذهب الوهابي، وتعهدوا في حال الفشل أن يعودوا إلى الدرعية ليبقوا فيها كرهائن، فوافق الأمير السعودي على عرضهم، لكن هؤلاء فشلوا في مهمتهم، فعادوا إلى الدرعية، وأطلق سراح فهد بن عفيصان واتباعه المعتقلين في هذه الأثناء<sup>(٢)</sup>.

## السعوديون في اليمن

انضمت إمارة شريف أبي عريش التي تشمل جزءاً من تهامة اليمن منذ أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، إلى الدرعية، والواقع أن السعوديين مارسوا دعاية نشيطة في اليمن، وكانوا يُرسلون إليها كل عام جماعة من الدعاة العلماء.

كان الوضع الداخلي في اليمن مزعزعاً بسبب الخلافات الداخلية، والفوضى العشائرية والإقطاعية، وكان الشوافع من سكان الساحل، تهامة اليمن، يتعاطفون مع المذهب الوهابي بسبب عدائهم لأئمة صنعاء الزيديين، إلا أنهم رفضوا التفريط باستقلالهم والخضوع للسعوديين، وقد أئمة الزيديين سلطتهم على المنطقة الساحلية.

وكان الذي فجّر الأوضاع في اليمن هو الخلاف بين إمارة أبي عريش برئاسة حمود أبي مسمار وبين عبد الوهاب أبي نقطة حاكم عسير، وتهامة كلها تحت رعاية السعوديين. وكان حمود يجمع الرسوم الجمركية من موانئ منطقتة ومن ضمنها جيزان، إلا أن ما كان يقلقه هو ارتفاع نجم جاره عبد الوهاب أبي نقطة، فاستدعاهما الأمير السعودي إلى الدرعية لإصلاح ما بينهما، ولكن من دون جدوى، ويبدو أن موقف حمود المتصلب هو السبب في ذلك.

(١) ابن بشر: ج١ ص١٤٦، Mengin: II p541. (٢) فليبي: ص١٧٦ - ١٧٧.

وشعر الأمير السعودي خلال المباحثات بأن روح التمرد عند حمود تتصاعد، فأراد اختباره، فأمره بمهاجمة صنعاء، فتجاهل الأمر، عندئذٍ تحقّق من نيّة التمرد عنده، وعدم ولائه له، فجهّز حملة للقضاء عليه بلغ عديدها حوالي خمسين ألف مقاتل، وفي المقابل، حشد حمود قوة كبيرة من هضبة اليمن ومن حاشد وباقل وعناصر حمدانية أخرى، ومن نجران وياح والذهم، وبعد أن ورّع الحاميات على جميع الحصون في المنطقة، زحف بجموعه على القوات السعودية المتمركزة في وادي بيشه، وهاجمها قبل أن تستعد للمعركة، وركّز على فرقة عسير التي كان يقودها عبد الوهاب أبو نقطة، وذلك في أواخر عام ١٨٠٩م، ونشبت بين الطرفين رحى معركة ضارية أسفرت عن هزيمة حمود ومقتل عبد الوهاب أبي نقطة، وطاردت القوات السعودية قواته المنهزمة، وظل حمود وفرسانه يجرون هاربين حتى وصلوا إلى حصون عاصمة أبي عريش، وراح يُعزّز مواقعه فيها، ولم يتمكن السعوديون من دخولها، غير أن القوات السعودية المنتصرة حاصرت حصن سبية ودخلته من دون قتال، وانتشرت في المنطقة، وعيّن الأمير سعود بن عبد العزيز تامي بن شعيب ابن عم عبد الوهاب أبو نقطة، حاكماً على تهامة<sup>(١)</sup>.

### الحمالات السعودية على بلاد الشام

شنّ السعوديون غزوات على بلاد الشام ضمن خططهم التوسعية، أجبروا في إحداها قبائل البدو على دفع الجزية<sup>(٢)</sup>، وفي عام ١٨٠٨م أرسل الأمير السعودي رسالة إلى مشايخ دمشق وحلب ومدن الشام الأخرى، يطلب منهم تبني المذهب الوهابي والخضوع لسلطته ودفع الجزية، ويبدو أن هؤلاء رفضوا طلبه، ما دفعه إلى شنّ حملات ضد القرى في فلسطين وأطراف حلب، ودّمّر ممتلكات القرويين في المزيريب وبصرى وأسكي شام، فهرب سكانها من منازلهم لدى سماعهم باقتراب القوات السعودية من بلادهم<sup>(٣)</sup>.

وأقدم الباب العالي على عزل والي الشام يوسف باشا من منصبه بفعل عجزه عن التصدي للقوات السعودية، وعيّن بدلاً منه، والي عكا سليمان باشا<sup>(٤)</sup>.

وفي عام ١٨١٠م، قام الأمير سعود بن عبد العزيز بغزو جسورة، فنهب قرى عدة ووصل إلى مشارف دمشق، وكانت تلك آخر حملة له في اتجاه الشمال<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن بشر: ج١ ص ١٤٤ - ١٤٥. فيليبي: ص ١٧٣ - ١٧٤. Mengin: II pp 533, 541.

(٢) ابن بشر: ج١ ص ١٢٦. (٣) فيليبي: ص ١٧٨.

(٤) المرجع نفسه. (٥) فاسيليف: ص ١٣٢.

لقد بلغت إمارة الدرعية في السنوات العشر الأوائل من القرن التاسع عشر أقصى تمددها، فانتشرت سلطة السعوديين في الجزيرة العربية كلها تقريباً، ودفع لهم الجزية كل من سلطان مسقط، وإمام اليمن، وحكام حضرموت، وخضعت لهم القبائل الضاربة في البوادي والفيافي الممتدة حتى أراضي الهلال الخصيب.

## التدخل المصري في أوضاع الجزيرة العربية

### تمهيد

أثارت أفكار وتعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتهديد الدولة السعودية للعراق وبلاد الشام، وهما من بين ولايات الدولة العثمانية المهمة، حفيظة الباب العالي، وقد نظر بقلق إلى رفض الأمير السعودي، وهو أمير سني، الاعتراف بخلافة السلطان، مع ما يترتب على ذلك من نتائج سياسية تُهدد حكمه، مثل فصل الحجاز وخروجه من يده وبالتالي خروج الحرمين الشريفين، ما يُفقد الزعامة التي يتمتع بها في العالم الإسلامي بحكم إشرافه على هذين الحرمين، في وقت كان قد بدأ يسعى إلى التغلب على عوامل الضعف الداخلية في عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩)، وتقوية صلاته مع العالم الإسلامي بوصفه مركز الخلافة الإسلامية، لذلك رأى ضرورة القضاء على الحركة الوهابية واستعادة الحجاز، ووقع اختياره على محمد علي باشا والي مصر لتنفيذ هذه المهمة بعد فشل ولاته في العراق ودمشق.

ففي عام ١٨٠٥، كلف الباب العالي حاكم مصر بمهمة استعادة الحرمين الشريفين من السعوديين، ويبدو أن هذا الوالي كان منهمكاً آنذاك بتثبيت أقدامه في الحكم والتخلص من طبقة المماليك ومن منافسيه، بالإضافة إلى الدفاع عن مصر ضد أطماع الأوروبيين وبخاصة البريطانيين، وهو يسعى لإحداث إصلاحات داخلية وتحديث أجهزته المدنية والعسكرية؛ لذلك تجاهل تكليف السلطان له، ولكنه ابتداءً من عام ١٨٠٩م، أخذ يُبدي اهتماماً جدياً بتلبية دعوة السلطان، وكان قد قضى على المماليك في مصر، وتمت تصفية منافسيه الخطرين في الوجه البحري، وزال خطر تدخل أوروبي في شؤون مصر بفعل الحروب في أوروبا، فراح يتجهز لإرسال حملة إلى الجزيرة العربية<sup>(١)</sup>، ويبدو أنه كان مدفوعاً بعوامل عدة بالإضافة إلى رغبة السلطان، أهمها:

- كان يأمل من وراء استرجاع الحرمين الشريفين أن يكسب ثقة شعبية ورسومية في العالمين الإسلامي والعربي.

(١) عبد الرحيم، عبد الرحمن عبد الرحيم: الدولة السعودية الأولى ١٧٤٥-١٨١٨م، ص ٢٨٤-٢٨٥.

- طموحه بالسيطرة على التجارة الشرقية مع الهند واليمن التي تمرُّ عبر جدَّة.  
- الاستيلاء على اليمن نفسه.

- التخلُّص من الجنود الذين ساعدوه على اعتلاء الحكم في مصر، وقد تحوَّلوا  
الآن إلى قوة خطيرة هدَّدت حكمه من خلال تقييد حركاته ومراقبة أعماله.  
- وعُدَّ الباب العالي بتعيين أحد أبنائه والياً على دمشق<sup>(١)</sup>.

## حملة أحمد طوسون

معركة الصفراء: جهَّز محمد علي باشا حملة عسكرية بقيادة ابنه أحمد طوسون  
باشا، وكان لا يزال في السادسة عشرة أو الثامنة عشرة من عمره، وأرسلها إلى  
الجزيرة العربية<sup>(٢)</sup>، وأجرى مراسلات سرية مع غالب شريف مكة لاستقطابه، فوعده  
الشريف بالمساندة.

كانت الدولة السعودية تمرُّ آنذاك في وقت عصيب، فقد تراجعت قوتها الهجومية،  
فلم يُحقِّق السعوديون أي انتصار يُذكر بعد تدمير كربلاء وضمِّ الحجاز، وألحق  
البريطانيون المتحالفون مع سلطان مسقط، بهم هزائم قاسية في البر والبحر، وأثار  
هؤلاء البحرينيون ضدهم، ومما زاد وضعهم سوءاً تفشِّي وباء الكوليرا، فكان يموت  
في الدرعية يومياً عشرات الأشخاص<sup>(٣)</sup>، وعلى الرغم من ذلك فقد احتفظوا ببعض  
القوة المختزنة، فلم يستنفدوا طاقاتهم كلها، ولا زالت بعض القبائل القوية  
تُساندهم، ثم إن طبيعة الجزيرة العربية الصعبة كانت لصالحهم.

كان الجيش المصري المؤلف من عناصر مرتزقة من الأتراك والألبان والمغاربة  
مسلحاً تسليحاً جيداً، ويمتلك بعض المدافع، واكتسب قاداته خبرة خلال محاربة  
الفرنسيين والبريطانيين، وهم مَطلعون على فنون الحرب الأوروبية.

وصلت طلائع الحملة المصرية إلى الحجاز بجرأاً في ١١ آب ١٨١١م، وهدفها  
تأمين قاعدة تجمُّع للجيش المصري، فكانت ينبع على ساحل مكة تُحقِّق هذا  
الهدف، فاستولت عليها من دون مقاومة لخلوها من القوات السعودية.

ووصل أحمد طوسون باشا إلى ينبع على رأس قوة عسكرية، في تشرين الثاني،  
وظلَّ فيها أسابيع عدة وهو يتلقَّى الإمدادات من القاهرة حتى بلغ عديد قواته أربعة  
عشر ألف جندي<sup>(٤)</sup>.

(١) Mengin: I pp 342 - 343, 350.

(٢) دحلان: ص ٣٠١. الرافي، عبد الرحمن: عصر محمد علي: ص ١٣٤، ١٣٥.

(٣) ابن بشر: ج ١ ص ١٣١ - ١٣٤.

(٤) ابن بشر: ج ١ ص ١٥٥. فيليبي: ص ١٨٤.



كان الأمير سعود بن عبد العزيز يراقب استعدادات محمد علي باشا العسكرية، فعزّز تحصينات المدينة المنورة، وعندما احتلّ أحمد طوسون باشا ينبع عباً أفضل قواته وأرسلها إلى الحجاز بقيادة ابنه الأمير عبد الله، وقد بلغ عديدها نحو ثمانية عشر ألف جندي<sup>(١)</sup>.

تمركزت القوة السعودية في خيف، في أضيق نقطة من وادي الصفراء، في منتصف الطريق بين ينبع والمدينة المنورة، وانتظرت قدوم الجيش المصري الذي لا بد أن يمرّ من هذا المكان في طريقه إلى المدينة، واشتبك الطرفان في معارك متفرقة في كانون الأول، وما حدث أثناء مطاردة أحمد طوسون باشا قبيلة حرب الموالية للسعوديين أن دخل في ممرّ جبلي ضيق قرب وادي الصفراء، فكاد أن يخسر نفسه وجيشه، وفقد حرية الحركة والانتشار الضروريين لخوض معركة ناجحة، فاستغلّت القوات السعودية المتمركزة في جوانب المضيق هذه الفرصة، وفاجأت قواته التي انهزمت وفرّت لا تلوي على شيء، تاركة خيامها وأحمالها وتجهيزاتها في أرض المعركة، وطاردتها القوات السعودية، ولم ينقذها من الهلاك الشامل سوى انهماك السعوديين بنهب معسكرها، وتكبّدت القوات المصرية نصف عديدها، وعاد الناجون إلى ينبع، ولم يستثمر السعوديون انتصارهم وعادوا أدراجهم إلى مكة ثم إلى الدرعية<sup>(٢)</sup>.

**السيطرة على الحجاز:** لم يستثمر السعوديون انتصارهم في الصفراء، وقبعوا في معاقلهم، ما أعطى أحمد طوسون باشا الفرصة لإعادة تنظيم صفوف قواته، كما طلب إمدادات من القاهرة، وأخذ يستميل القبائل الضاربة بين ينبع والمدينة بالمال والهدايا، ونجح في سياسته هذه التي مهّدت له السبيل لاستعادة المدينة ومكة والطائف، واحتلت قوة عسكرية مصرية جدة في كانون الثاني ١٨١٣<sup>(٣)</sup>.

الواقع أن المصريين انتزعوا الحجاز من أيدي السعوديين من دون جهود عسكرية كبيرة رغم هزيمتهم في الصفراء، وقد ساعدهم على ذلك: عداء الحجازيين للسعوديين والأعطيات الذهبية التي وُزعت بسخاء على أعيان ووجهاء القبائل، وعلى البدو أنفسهم، وانتقال شريف مكة إلى جانبهم<sup>(٤)</sup>.

وتعرّضت القوات المصرية لهجمات السعوديين في صيف ١٨١٣، وفقدت بسبب الإرهاق والحرّ الشديد وانتشار الأمراض، والإعياء الناتج عن شدة القيظ وقلّة المؤونة والماء؛ عدداً من الجنود أكبر مما فقدته في المعارك<sup>(٥)</sup>، وحرّمها هلاك

(١) ابن بشر: ج١ ص ١٥٥ - ١٦٦.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٣) المصدر نفسه: ص ١٥٨ - ١٦١.

(٤) فاسيليف: ص ١٧٤.

(٥) ابن بشر: ج١ ص ١٦١ - ١٦٢.

دواب الركوب والنقل من إمكان المناورة والسير مسافات بعيدة وإيصال العتاد والذخيرة والأغذية إلى وحداتها المنتشرة في الوقت المناسب، فتراخت القبائل في التعامل معها.

وقام القائد العسكري الوهابي عثمان المضيبي في حريف ١٨١٣ بغارة على الطائف، فمُنِي بالهزيمة، وفرَّ من أرض المعركة، لكن قُبِض عليه وسُلِّم إلى الشريف غالب، الذي أرسله إلى القاهرة، ثم نُقل إلى استانبول حيث أُعدم<sup>(١)</sup>.

## قدوم محمد علي باشا إلى الحجاز

أدرك محمد علي باشا بأن السعوديين لم ينتهوا على الرغم من احتلال الحجاز، لذلك لا بدَّ من التمدُّد نحو نجد للقضاء على الدولة السعودية في عقر دارها، فقدم إلى الجزيرة العربية ليدرس الوضع الميداني عن كثب ويؤدي فريضة الحج في الوقت نفسه، ووصل إلى جدة مع بضعة آلاف من الجنود في تشرين الأول ١٨١٣، فاجتمع بالشريف غالب وتعاهدا على التعاون<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن حاكم مصر لم يثق بالشريف القوي، فاعتقله في أواخر ١٨١٣ متذرعاً بأن السلطان قد طلب منه ذلك، ونفاه مع عائلته إلى القاهرة، وصادر أمواله، وعيَّن الشريف يحيى بن سرور بدلاً منه، ووضع يده على مداخل الحجاز.

ويبدو أن سكان الحجاز لم يرضوا عن تصرف والي مصر، وتجلَّى غضبهم في لجوء كثير من وجهائهم إلى السعوديين خشية من البطش بهم، وكان من بينهم الشريف يحيى بن سرور والشريف راجح، وهو قائد عسكري، وحرس الشريف غالب<sup>(٣)</sup>.

وتعرَّض محمد علي باشا في أواخر عام ١٨١٣م وأوائل عام ١٨١٤م إلى الإخفاق العسكري، حيث مُنِيت قواته بقيادة ابنه أحمد طوسون باشا بالهزيمة في تربة وقنفذه<sup>(٤)</sup>، فتعرَّض وضعه للاهتزاز، وخشي من تزعزع مكانته في مصر إذا لم يُحقَّق انتصاراً حاسماً في الجزيرة العربية، لذلك اتخذ إجراءات عاجلة لإعادة فرض سيطرته على الحجاز، بحيث تكفل له توسيع فتوحه حتى تبلغ نجد للقضاء على الدولة السعودية، وتمثَّلت هذه الإجراءات بما يلي:

(١) ابن بشر: ج١ ص١٦٢. دحلان: ص٢٩٦.

(٢) المصدران نفسهما: ص١٦٣ و٢٩٦. Mengin: I pp 407 - 408.

(٣) ابن بشر: ج١ ص١٦٤ - ١٦٥. عبد الرحيم: ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٤) ابن بشر: ج١ ص١٧٧. فيليبي: ص١٩٢. Mengin: II pp 17 - 19.

- فرض ضرائب على الفلاحين المصريين لتمويل حملاته .
- أرسل إمدادات إلى جدة، كان من بينها قوة من خيالة بدو ليبيا الموالين له، والمعروف أن هؤلاء متمرسون في العمليات العسكرية في الظروف الصحراوية .
- اتَّفَق مع إمام مسقط حول إرسال سفن لنقل القوات المصرية .
- حَسَّن علاقاته مع الحجازيين .
- ألغى بعض الأتاوات المرهقة، وقلَّص الرسوم الجمركية في جدَّة .
- ورَّع النقود على المحتاجين .
- رَمَّم الكعبة، وقَدَّم الهدايا لعلماء الدين .
- أمر جنوده بعدم ممارسة النهب والتنكيل، وأن يدفعوا ثمن ما يأخذونه من أغذية<sup>(١)</sup> .

نتيجة لهذه الإجراءات، تغيَّر موقف الحجازيين تجاه المصريين على نحو أفضل<sup>(٢)</sup> .

وتميزت الشهور الأولى من عام ١٨١٤م بالعمليات العسكرية التي نشبت في الحناكية، وبتعرُّض نجد لموجة من أسراب الجراد التي أتت على كل شيء، فاضطر السكان إلى الاهتمام بهذا الخطر، متجاوزين الخطر المصري، وتوفي الأمير سعود بن عبد العزيز في أيار ١٨١٤م تاركاً لولده الأمير عبد الله مهمة الدفاع عن الدولة والقضية الوهابية<sup>(٣)</sup> .

أفادت وفاة أمير الدرعية، والي مصر محمد علي باشا، وكان السعوديون قد فقدوا الحجاز كله وعمان والبحرين وقسماً من تهامة، فتسلَّم الأمير عبد الله حكم دولة انتابها الخراب، وبعد أن أخضع المتذمرين من الحكم السعودي في الداخل، وثبَّت أقدامه في الحكم، نهض لمواجهة الغزو المصري ومواصلة الحرب ضد محمد علي باشا .

## معركة بسل

أخذت سياسة محمد علي باشا تؤتي ثمارها بعد الإجراءات المشار إليها آنفاً، فباشر العمليات العسكرية بنفسه لإقرار الأوضاع في الحجاز، وغيره من أقاليم ساحل البحر الأحمر، ونجح في إقناع الشريف راجح بالعودة إلى خدمته، وأضحى يمتلك قوة ذات بأس تقارب العشرين ألف جندي .

(٢) دحلان: ص ٣٠٠.

(١) Mengin: II pp 26 - 29.

(٣) فيليبي: ص ١٩٥.

وحشد السعوديون في كانون الثاني ١٨١٥م قواتهم البالغة نحو ثلاثين ألف مقاتل في بسل على مقربة من تربة بقيادة الأمير فيصل شقيق الأمير عبد الله، ونشبت بين الجانبين رحى معركة ضارية انتصرت فيها قوات محمد علي باشا، وسيطرت بعد المعركة على تربة ورنية وبيشة، واستمر محمد علي باشا في تقدمه غرباً، فاحتل خميس ومشبط وواحات وادي شهران، ووصل في تقدمه إلى ساحل البحر الأحمر، فاستولى على قنفذة، وجرى تسليمه زعيم عسير طامي بن محمد الذي قاتل إلى جانب السعوديين، وكان أصدقاؤه قد غرّروا به، فقبضوا عليه وأرسلوه إلى محمد علي باشا الذي أرسله إلى مصر، ثم أرسل إلى استانبول حيث أُعدم، فتمَّ بذلك دحر السعوديين في عسير وفي المناطق المهمة الواقعة بين الحجاز ونجد وعسير.

وتناهى إلى أسماع محمد علي باشا وهو في قنفذة بحدوث اضطرابات في مصر بين المماليك وحكومته، فقرّر العودة إلى مصر تاركاً أمر العمليات العسكرية لابنه أحمد طوسون باشا، وكان آنذ في المدينة المنورة، يتجهّز لمهاجمة نجد.

### تحقيق الصلح بين السعوديين والمصريين

تقدم أحمد طوسون باشا إلى القصيم بناء على دعوة أهلها في الرس والخبرة الذين ضاقوا ذرعاً بالحكم السعودي، فدخلها من دون مقاومة تُذكر، وأخضع الحصون في القرى المجاورة باستثناء المدن والقرى الواقعة في المناطق الوسطى والشرقية من القصيم التي ظلت موالية للحكم السعودي، وقد تعرّضت لهجمات المصريين، فسارع الأمير عبد الله لإنقاذها.

كانت قوات الأمير عبد الله مرابطة في عنيزة، فقامت بهجمات متفرقة ضد الرس والخبرة، وكنمت لفرقة عسكرية مصرية بقيادة توماس قيس، واستمرت العمليات العسكرية سجلاً شهوراً عدة حتى صيف عام ١٨١٥<sup>(١)</sup>، تعرّض أحمد طوسون باشا بعدها لضغط السعوديين الذي كاد أن يُدمره، وخشي أن يقوم أهل القصيم بالتمرد عليه، فغدا وضعه حرجاً، وفي المقابل عانى الأمير عبد الله من نقص في عديد قواته، ورأى نفسه لا يملك القدرة على مقارعة المصريين ودرء خطرهم، ونتيجة لوضع الرجلين الحرج، مالا إلى التفاهم، وعُقد الصلح بينهما الذي نصّ على ما يلي:

- وقف العمليات العسكرية.

- ينسحب أحمد طوسون باشا من القصيم، ويتوقف عن التدخل في شؤون نجد.

(١) دحلان: ص ٣٠١.

- ضمان حرية التجارة والحج للجميع .  
 - تخضع كل القبائل الضاربة شرقي الحناكية للأمير عبد الله .  
 - دخول الأمير عبد الله في تبعية السلطان العثماني<sup>(١)</sup> .  
 وقام الأمير عبد الله بعد انسحاب القوات المصرية بحملات تأديبية ضدّ بدو حرب ومطير الذين خانوا عهده، ولأم أمراء القصيم الذين استدعوا القوات المصرية .  
 ويبدو أن مناطق بيشة وتربة ورينة كانت مستثناة من اتفاقية الصلح، فاستمرت الصدامات فيها بين السعوديين والمصريين .

ارتفعت مكانة محمد علي باشا بعد سيطرته على الحجاز في الأوساط العثمانية الحاكمة في استانبول، فطلب من الباب العالي أن يمنحه حاكمية بلاد الشام على سبيل المكافأة بفعل الانتصارات التي حقّقها، وأضحت مهمته الآن تقتصر على تثبيت أقدامه في الحجاز والجزيرة العربية والقضاء على الدولة السعودية، أكثر إلحاحاً، فأرسل حملة جديدة إلى الجزيرة العربية بقيادة ابنه الآخر إبراهيم باشا في ٥ أيلول ١٨١٦م<sup>(٢)</sup> .

## سقوط الدولة السعودية الأولى

أدرك إبراهيم باشا أن التوغل في عمق الجزيرة العربية لا يتم من دون مساعدة البدو، لذا سعى إلى استقطابهم، فألغى الضرائب التي فرضها السعوديون عليهم، وراح يغريهم عن طريق المال، وتقرب من سكان الحجاز، وابتعد وجهاء وأعيان واحات وسط الجزيرة في هذه الأثناء عن السعوديين بسبب التوقف عن إمدادهم بثروات الغزوات، وتدمر السكان الحضر من الحروب المتواصلة والطويلة الأمد ومن دفع الأتاوات التي لا تنقطع، وكانت القبائل المتحالفة مع السعوديين على استعداد في أي لحظة للخروج عليهم، ولم يبق سداً للدرعية سوى رجال الدين الوهابيين .

وبالمقارنة بين وضع الجنود المصريين والجنود السعوديين، فقد اختلف الجنود المصريون عن أولئك الذين خاضوا معارك الحجاز قبل ستّ سنوات من حيث التدريب والكفاءة القتالية واستخدام المدفعية بمهارة، واصطحب إبراهيم باشا معه مدرّبين فرنسيين من جيش نابوليون بوناپرت، وأطباء أوروبيين<sup>(٣)</sup>، وفي المقابل لم يشهد الوضع العسكري السعودي أي تطور باتجاه الجيوش النظامية، وظل مقاتلو الأمير عبد الله على غرار المتطوعة العشائرية والحضرية كما كانوا سابقاً، وكان

(١) ابن بشر: ج١ ص ١٨٢ - ١٨٣ . عبد الرحيم: ص ٣١٢ .

(٢) الرافي: ص ١٥٣، ١٥٤ . (٣) عبد الرحيم: ص ٣١٨ .

السعوديون ضعفاء من حيث التعبئة والتجهيز والإعداد العسكري، صحيح أنهم يقاتلون في ظروف مناخية، مواتية لهم، وتعودوا عليها، ويدافعون هذه المرة عن قلب دولتهم؛ إلا أن قدرتهم القتالية كانت ضعيفة<sup>(١)</sup>.

والراجع أن الأمير عبد الله أدرك صعوبة موقفه وهو بصدد الاشتباك مع العدو في معركة مصيرية، فوضع خطة عسكرية تتمثل بانسحابه إلى عمق الأراضي النجدية لإغرائه على مطاردته، ثم يتوقف فجأة ويصطدم به بعد أن يكون قد أبعد عن قواعد التموينية، وأرهقه السير الطويل، فسار إلى الرس، ثم انسحب منها إلى وسط نجد.

وصل إبراهيم باشا إلى المدينة المنورة في تشرين الأول ١٨١٧م على رأس قواته، وبدأ منها زحفه البطيء على نجد، فاحتل الحناكية، وأسس فيها قاعدة لعملياته العسكرية، ثم زحف إلى الرس، فاستسلمت له، وخرجت الحامية السعودية منها، والتحقت بالأمير عبد الله، ثم استسلمت بريدة في أواخر ١٨١٧م، وأعلنت القصيم خضوعها لإبراهيم باشا<sup>(٢)</sup>، وانسحب الأمير عبد الله إلى شقرا، وعندما اقترب منها إبراهيم باشا انسحب الأمير منها، ولما وصل إليها في ٢٤ كانون الثاني ١٨١٨م اقتحمها بعد أن قصفها بالمدافع، ثم أطلق سراح حاميتها بعد أن جرّد أفرادها من السلاح، ووعده هؤلاء بالألّا يشاركوا في الحرب بعد الآن، ثم احتل ضرمى في شباط - آذار<sup>(٣)</sup>.

وجرى المشهد الأخير من المأساة السعودية في نيسان عندما بدأت معركة الدرعية، فقد قاد ثلاثة من أشقاء الأمير عبد الله هم: فيصل وإبراهيم وفهد، فرقاً عسكرية للتصدي للقوات المصرية، ودافع عن العاصمة قوات من منفوحة بقيادة عبد الله بن مزروع وكذلك فرقاً من حريق وسدير.

بدأ إبراهيم باشا هجومه على طول خط وادي حنيفة الذي تقع عليه الدرعية، وبعد بداية الاشتباكات، خرج المترددون من جيش الأمير عبد الله وانضموا إلى جيش إبراهيم باشا، وزوّده بمعلومات عن الوضع الداخلي في المدينة، وجرى الهجوم العام على المدينة في مطلع أيلول، واحتفى الأمير عبد الله في قلعة الطريف، وأدار منها العمليات العسكرية.

وتعرّضت الدرعية للقصف بالمدافع، ولما اشتد الضغط العسكري على السكان أدرك الأمير عبد الله أنه لا قِبَل له بمقاومة خصمه المصري، ورأى أن كل شيء قد

(٢) ابن بشر: ج١ ص ١٨٧ - ١٨٠.

(١) فاسيليف: ص ١٨١.

(٣) المصدر نفسه: ص ١٨٩ - ١٩٤.

ضاع، ما دفعه إلى الاستسلام في ١١ أيلول، ونتيجة للمفاوضات التي جرت بين الطرفين تقرر:

- تسليم الدرعية إلى الجيش المصري شرط عدم التعرض للأهالي.
- يسافر الأمير عبد الله بن سعود إلى استانبول لتقديم الولاء للسلطان.
- يرُدُّ الوهابيون الكوكب الدرّي، وما بقي في حوزتهم من التحف والمجوهرات التي أخذوها حين استولوا على المدينة المنورة<sup>(١)</sup>.
- وعمد إبراهيم باشا بعد تسلمه الدرعية إلى هدمها، وأرسل الأمير عبد الله إلى استانبول عن طريق القاهرة بصحبة اثنين من المقرّبين منه حيثُ قتل مع وزيره وإمامه، وعاد إبراهيم باشا إلى القاهرة<sup>(٢)</sup>.
- وعلى هذا الشكل سقطت الدولة السعودية الأولى.

## الوضع السياسي في الجزيرة العربية في ظل الحكم المصري

لم يعد للدولة السعودية، وجود بعد سقوط الدرعية، وأضحى محمد علي باشا حاكم أواسط الجزيرة العربية، فأخذ يُزيل معالم الدولة السعودية المندثرة، ويضطهد أتباعها الوهابيين، على الرغم من أنه عامل جميع أفراد الأسرة السعودية باحترام، ودمّر ابنه إبراهيم باشا عاصمة الدولة، الدرعية، كما ذكرنا، وابتز أهلها من دون رحمة، ويكشف الحكم المصري عن سلسلة من أقسى ما اقترّف بحق المغلوبين من تدمير الممتلكات وابتزاز الأهالي والقتل الذي جرى من دون رحمة.

وأدى انهيار القيادة السعودية إلى الإهمال المثير للتعاليم الوهابية، وبدأت تظهر في الأفق النزاعات القبلية بتشجيع من الحكم المصري، ذلك أن محمد علي باشا تغاضى عن مصلحة السكان وإعادة بناء اقتصاد البلاد، وأشاع الرعب في قلوب الناس، وفرض الضرائب الباهظة والمجحفة لتمويل قواته المرابطة في الحصون المختلفة، وهي جاهزة لقمع أي حركة مقاومة للوجود المصري، ويبدو أن الإهمال المقصود كان جزءاً من سياسة حاكم مصر، الذي كان مستعداً لأن يدع الصحراء العربية تغرق في الفوضى، لردعها عن القيام بغارات على أقاليم البحر الأحمر.

وعلى الرغم من انهيار الدولة السعودية الأولى سياسياً، إلا أنها تركت في نجد

(١) فريد بك، محمد: تاريخ الدولة العلية العثمانية: ص ٤٠٩. والكوكب الدرّي هو عبارة عن صحن مصنوع من الذهب الخالص، وفيه قطع من الماس فاخرة أهدها السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣ - ١٧٣٠م) ووضعه تجاه وجه النبي ﷺ ثم نُقل بعد ذلك إلى استانبول.

(٢) ابن بشر: ج١ ص ٢٠٦ - ٢٠٧. Mengin: II 139 - 140.

مقومات الدولة السعودية الثانية، إذ ظَلَّت أفكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب ماثلة في أذهان النجديين، وظل المجتمع النجدي يكرُّ الولاء للأسرة السعودية التي تبَنَّت الدفاع ضدَّ الحكم المصري، وزاد من تقرب الناس لآل سعود ما وصلت إليه البلاد من أوضاع سيئة وما لمسوه من سوء المعاملة على يد الجنود المصريين.

انطلاقاً من هذه المقومات شهدت نجد خلال الحكم المصري انتفاضات هدفها إعادة حكم آل سعود، وكانت الدولة العثمانية ومصر تقابلانها بإرسال حملات عسكرية لقمعها وإخمادها بوصفها تحدياً سياسياً لوجودهما في الجزيرة العربية، نذكر من هذه الانتفاضات:

- ما قام به الأمير السعودي مشاري بن سعود أخو الإمام عبد الله بن سعود، وهو آخر أئمة الدولة السعودية الأولى، فقد استطاع الأمير مشاري أن يفرَّ من قافلة الأسرى السعوديين المرسلين إلى مصر وهي في طريقها من المدينة المنورة إلى ميناء ينبع، فوصل إلى إقليم الوشم، فجمع الأنصار والمؤيدين حوله وتوجَّه بهم إلى الدرعية، وكان يحكمها محمد بن مشاري بن معمر بعد رحيل إبراهيم باشا عنها في عام ١٨١٩م، والمعروف أن آل معمر هم أمراء بلدة العيينة سابقاً، فتنازل محمد بن مشاري بن معمر عن السلطة للأمير مشاري بن سعود في أواخر عام ١٨١٩م، ويبدو أن هذا التنازل كان خدعة، إذ استطاع ابن معمر فيما بعد أن يُلقِي القبض على الأمير السعودي ويُرسله إلى المصريين في بلده سدوس قبل أن يُنقل إلى عنيزة وتُوفى في سجنه<sup>(١)</sup>.

- ما قام به الأمير السعودي تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود الذي كان بالحائر جنوبي الرياض عندما انقلب ابن معمر على ابن عمه مشاري، فعاد منها لينازع ابن معمر على الإمارة، ويبدو أن سلطة ابن معمر لم تكن مستقرة، فالتفَّ المتدمرون من حكمه حول الأمير تركي الذي استولى على الدرعية في عام ١٨٢٠ ثم زحف إلى الرياض فقبض على محمد بن معمر وابنه وقتلها<sup>(٢)</sup>.

الواقع أن الأمير تركي فشل في إعادة مجده نظراً لوجود القوات المصرية المرابطة في نجد، بالإضافة إلى الإمدادات التي كان يُرسلها محمد علي باشا إلى الجزيرة العربية، فعندما علم حاكم مصر بالصراعات الداخلية، قرَّر تعزيز الحاميات في منطقة نجد، فأرسل في خريف ١٨٢٠م حسين بك مع إمدادات لقمع حركة الأمير السعودي، وتحصَّن أنصار الأمير تركي في قلعة الرياض، لكنهم سرعان ما استسلموا

(١) ابن بشر: ج١ ص ٢٢١. الحيدري، إبراهيم فصيح بن صبغة الله: عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد: ص ١٩٨.

(٢) ابن بشر: ج١ ص ٢٢٢. دحلان: ص ٣٠٣.



عندما فرض القائد المصري الحصار عليهم ووعدهم بالمحافظة على حياتهم، إلا أنه نكث بوعده فيما بعد وقتلهم كلهم تقريباً، وتمكّن الأمير تركي من الهرب<sup>(١)</sup>.

- ما قام به الأمير السعودي تركي من محاولات أدّت إلى سيطرته على الرياض، وبعث سلطة السعوديين، فقد اختفى عن الأنظار سنوات عدة بعد هروبه، في المناطق الجنوبية على ما يبدو، ولكنه ظهر من جديد على مسرح الأحداث في نجد في حزيران ١٨٢٣، في بلدة الحلوة، فجمع قوة جديدة من أهالي الحلوة وعرة وسدير، من بينهم سويد حاكم مدينة جلال في سدير، وهاجم مدينتي منفوحة والرياض المتجاورتين<sup>(٢)</sup>.

وما جرى في القصيم في تلك الأثناء من ثورة عامة ضدّ المصريين بسبب الأتاوات والابتزاز من جانب حسن بك الذي خلف حسين بك؛ أجبر المصريين على الانسحاب إلى الحجاز، وتركوا حاميتين في الرياض ومنفوحة فقط<sup>(٣)</sup>، فانتَهز الأمير تركي فرصة ضعف المواقع المصرية في نجد، فوسّع نفوذه في المنطقة المحيطة بالرياض ومنفوحة، وأخضع سدير والمجمعة والدشم، وأجلى الحامية المصرية عن منفوحة ثم شدّد ضغطه على الرياض حتى سقطت في يده، فأخرج منها الحامية المصرية، واتخذها مركزاً لقواته، واعترفت مناطق القصيم بحكمه، وتمّ تطهير أواسط نجد كلها من الوجود المصري<sup>(٤)</sup>، ثم مدّ نفوذه إلى الخليج العربي، فسيطر على الأحساء، والقطيف في شرقي وجنوب شرقي الجزيرة العربية، وفي أواخر عام ١٨٣٠م فرض سلطة السعوديين على البحرين، لكن بعد مرور أقل من ثلاث سنوات انتفض حاكم البحرين عبد الله بن أحمد آل خليفة على الحكم السعودي، وقطع تبعية بلاده للرياض<sup>(٥)</sup>.

ونشط أنصار السعوديين في غضون ذلك، فاستولى سعد بن مطلق وهو ابن حاكم البريمي السعودي السابق، على مجموعة واحات البريمي المهمة، وقسماً من عُمان، وذلك في عام ١٨٢١، وعيّن الأمير تركي، عمر بن محمد بن عفيصان أميراً على البريمي<sup>(٦)</sup>.

كانت نهاية الأمير تركي مفاجئة، فقد أقدم ابن أخته مشاري بن عبد الرحمن على تدبير مؤامرة أودت بحياته قتلاً في أوائل أيار ١٨٣٤م، وتسلم مشاري الحكم في الرياض بالقوة إلى أن استطاع الأمير فيصل بن تركي أن يحاصره ويقتله في تموز من

(١) ابن بشر: ج١ ص ٢٢٤ - ٢٢٥. دحلان: ص ٣٠٣.

(٢) ابن بشر: ج٢ ص ١١، ٥٦. (٣) المصدر نفسه: ج١ ص ٢٣١ - ٢٣٢.

(٤) المصدر نفسه: ج٢ ص ١٢، ١٧، ٢٧.

(٥) ابن بشر: ج٢ ص ٣٣ - ٣٨. (٦) Lorimer: I pp 856 - 857, 955 - 956, 1095.

السنة نفسها ويتسلم الحكم<sup>(١)</sup>.

ما إن اعتلى الأمير فيصل بن تركي الحكم حتى أسرع لتقبُّل البيعة من سكان العاصمة، واستدعى القضاة من مختلف المناطق إلى الرياض للبحث في شؤون قضائية، وقد حلُّوا ضيوفاً عليه طوال مدة شهر، ووجَّه رسالة إلى الواحات والبادية دعا فيها السكان للولاء له، وضمَّنها اهتمامه الكبير بالأمر الديني، ما يدل على شدة تدينه، وأمر بتنظيم هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحضَّ الشعب على التماسك والوحدة، ونَبَّه من مساوئ الفرقة<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن مقتل الأمير تركي أحدث اضطراباً في بعض المناطق، فقد رفض أهالي وادي الدواسر والأفلاج وقبيلة قحطان الاستمرار في دفع الزكاة إلى الرياض، فاضطر الأمير فيصل أن يقوم بنفسه لتأديهم<sup>(٣)</sup>.

وسرعان ما عمَّت الاضطرابات منطقة شرقي الجزيرة العربية، بفعل الصدمات الضيقة التي نشبت بين عساكر أمير الرياض بقيادة المملوك زويد العبد، وبين البحرينيين الذين حاصروا القطيف والعقير، غير أن البحرين تعرَّضت آنذاك لضغط إيراني ما دفعها إلى الارتقاء في أحضان أمير الرياض ووافق حاكمها على دفع الزكاة، وفكَّت الحصار عن القطيف والعقير<sup>(٤)</sup>.

وظهرت آنذاك إمارة جديدة قُدِّر لها أن تؤدي دوراً مهماً في أواسط الجزيرة العربية، هي إمارة جبل شُمر بزعامة آل الرشيد، فقد شهدت منطقة جبل شُمر بعد سقوط الدرعية نزاعاً داخلياً بين الأمير الحاكم محمد آل علي وبين فخذ من قبيلته بزعامة آل الرشيد برئاسة الأخوين عبد الله وعبيد بن الرشيد، اللذان طُردا من عاصمة الإمارة حائل، ودخلا في خدمة الأمير تركي وابنه الأمير فيصل، وكان لعبد الله دور بارز في قتل مشاري بن عبد الرحمن، فكافأه الأمير فيصل بأن عينه حاكماً على جبل شُمر بعد أن عزل صالح عبد المحسن بن علي، فانتقل الحكم في الجبل من آل علي إلى آل الرشيد، ونشأت بذلك الإمارة الرشيدية في حائل، وبنى الأخوان قلعة في العاصمة في محلة البرزان، التي غدت فيما بعد رمزاً لأمجاد وقوة آل الرشيد، أما آل علي الذين رفضوا قرار الأمير فيصل، فقد أُخرجوا من الإقليم، فأقاموا في بلدة بريدة ثم انتقلوا إلى مكة.

تتميز هذه المرحلة من حكم الأمير فيصل بالعداء الذي نشب بينه وبين محمد علي

(١) ابن بشر: ج٢ ص ٥١ - ٥٣. فيليبي: ص ٢٥٧ - ٢٥٩.

(٢) المصدر نفسه: ص ٦٠ - ٦١.

(٣) المصدر نفسه: ص ٧٢. (٤) المصدر نفسه: ص ٦٨ - ٦٩.

باشا، وتعدُّ الاصطدامات التي وقعت بين الطرفين والتي أنهت حكمه المرحلي، امتداداً للحروب الطويلة السابقة التي وقعت بين آل سعود ووالي مصر، والتي انتهت بتدمير الدرعية، إلا أن الوضع السياسي في الجزيرة العربية شهد تغييرات جذرية، فقد تزايدت أهداف محمد علي باشا في جزيرة العرب، فراح يحاول تدعيم نفوذه فيها بشكل منفصل عن الدولة العثمانية، وبخاصة مكة والمدينة نظراً لوجود الحرمين الشريفين فيهما، وقد شجعت انتصاراته على الدولة العثمانية في بلاد الشام، على محاولة إنشاء دولة عربية تضم الأقطار العربية المشرقية الواقعة تحت الحكم العثماني؛ لذلك رأى أن يقضي على الثورات التي قامت في جزيرة العرب، ومنها محاولة السعوديين إحياء دولتهم التي تهدد سيادته في قلب نجد والمناطق الشرقية من الجزيرة العربية.

طلب محمد علي باشا من الأمير فيصل أن يشارك في حملاته التي أرسلها ضد عسير أو أن يقدم الجمال للقوات المصرية، والمعروف أن سكان عسير هم حلفاء له، لذلك رفض بلباقة الطلب وأرسل أخاه إلى مكة يحمل الهدايا إلى قائد القوات المصرية أحمد باشا<sup>(١)</sup>، لكن محمد علي باشا أصرَّ على فرض سلطته على نجد، فعين عليها صنيعته الأمير خالد بن سعود<sup>(٢)</sup>، وجَهَّز حملة عسكرية بقيادة إسماعيل بك وأرسلها إلى الجزيرة العربية، فاستعد الأمير فيصل للتصدي لها، وقَدَّر أن الهجوم المصري سيجري عبر القصيم، لذلك وضع قوة عسكرية في الرس التي تعدُّ بوابة القصيم من جهة الحجاز، إلا أنه واجه صعوبتين:

**الأولى:** تراجع إرادة القتال في صفوف قواته، وانفضاض كثير منهم من حوله.  
**الثانية:** شعر بأن روح الهزيمة استولت على سكان الرياض الذين رفضوا دعمه والتضحية بأنفسهم من أجله<sup>(٣)</sup>.

ومع ذلك، استمر في سياسته القاضية بالتصدي للقوات المصرية، فذهب نحو الجنوب إلى الخرج، ثم ذهب إلى الهفوف وظل فيها حتى تموز ١٨٣٧م<sup>(٤)</sup>. اعترفت القصيم بحكم الأمير خالد بن سعود، وحاول هذا الاستيلاء على شَمَر، فأرسل فرقة عسكرية إلى حائل، ففرَّ عبد الله بن الرشيد وأخوه عبيد منها، فعين عيسى بن علي حاكماً عليها، إلا أن عيسى لم يتمكَّن من البقاء في حائل إلا بضعة

(١) ابن بشر: ج٢ ص ٦٨ - ٧٠.

(٢) المعروف أن هذا الأمير قضى سنوات عديدة في مصر، وهو أصغر إخوة الأمير عبد الله الذين ظلوا على قيد الحياة بعد إعدامه في استانبول.

(٣) فيليبي: ص ٢٧١. (٤) المصدر نفسه: ص ٢٧٢.

أشهر، إذ إن ابتزازه للمال، وقساوة حماته المصريين، دفعا الأهالي للثورة على المحتلين وصنائعهم، وأضحى الوضع لا يطاق بالنسبة للمصريين، فانسحبوا من شَمْر، وارتحل عيسى بن علي معهم، وعاد عبد الله بن الرشيد حاكماً على الجبل<sup>(١)</sup>.

واحتل إسماعيل بك والأمير خالد بن سعود الرياض في أيار ١٨٣٧م، فانتهدت بذلك هذه المرحلة من حكم الأمير فيصل، وتُعزى سرعة هزيمته وسهولة احتلال المصريين لنجد إلى فظاعة إبراهيم باشا والمصائب التي ألحقها بالبلاد، وكانت لا تزال في أذهان السكان، وتفوق المصريين العسكري.

وتطلّع إسماعيل بك إلى الجنوب لضمه إلى الأملاك المصرية، فقاد حملة في تموز ١٨٣٧م بصحبة الأمير خالد بن سعود، تُقدّر بسبعة آلاف مقاتل لإخضاع المناطق الجنوبية، إلا أنه تعرّض لهزيمة قاسية في معركة الحلوة، وترغم المقاومة رؤساء الجنوب: تركي الهزاني وإبراهيم بن عبد الله وفوزان بن محمد بن مرشد، فاستغل الأمير فيصل هذه الهزيمة لاستعادة عاصمته، فحاصرها في ٧ أيلول ١٨٣٧م مدة شهرين، ولكنه لم يتمكن من اقتحامها<sup>(٢)</sup>، ففكّ الحصار عنها وتمركز بالدم، فهاجمه إسماعيل بك والأمير خالد بن سعود وتغلبا عليه، ودخلا الدم، واضطر الأمير السعودي أن يدخل معهما في مفاوضات من أجل الصلح الذي استقر على:

- استسلام الأمير فيصل.

- يذهب الأمير فيصل أسيراً إلى مصر ويقيم فيها مع الأسرى السعوديين.

- يعفو خورشيد باشا<sup>(٣)</sup> عن أتباع الأمير فيصل، ويعطيهم الأمان على أموالهم وأرواحهم.

- يحق للأمير فيصل أن يأخذ أمواله في الخرج.

وهكذا استسلم الأمير فيصل بن تركي في كانون الأول ١٨٣٨م وأرسل إلى القاهرة<sup>(٤)</sup>، وأضحى معظم مناطق الجزيرة العربية تحت سيادة محمد علي باشا بعد أن وصلت قوات خورشيد باشا إلى الأحساء، وعيّن الوالي المصري الأمير أحمد السديري حاكماً على الإقليم، فعمل على تنظيم الأمور الإدارية فيه<sup>(٥)</sup>، ودخلت

(١) ابن بشر: ج٢ ص ٧٢. حمزة، فؤاد: قلب الجزيرة العربية: ص ٣٤٢.

(٢) المصدر نفسه: ص ٧٣ - ٧٤، ٨١ - ٨٢.

(٣) حاكم الجزيرة العربية من قبل محمد علي باشا.

(٤) ابن بشر: ج٢ ص ٩٠. الريحاني: ص ٩٥.

(٥) ابن بشر: المصدر نفسه: ص ٩٢.

القوات المصرية القطيف وسيهات بعد أن أعلن حاكم القطيف سعد بن غانم وأمير سيهات علي بن عبد الرحيم ولاءهما للحكم المصري الذي تمثل في سيادة الأمير خالد بن سعود الاسمية<sup>(١)</sup>.

بعد أن سيطرت القوات المصرية على المراكز السعودية في الخليج العربي، الأحساء والقطيف وسيهات وتاروت، أضحت هذه المراكز جزءاً من الممتلكات المصرية، فتجاورت مع مشيخات الساحل العماني المتصالح، فأرسل خورشيد باشا، محمد رفعت إلى شيخ البحرين عبد الله آل خليفة للبحث في تنظيم العمليات التجارية وسهولة وصول المؤن للجيش المصري في الخرج<sup>(٢)</sup>. كان ذلك بداية الاتصال بين المصريين ومشيخات الساحل، واتصل الشيخ عبد الله بالوالي المصري وطلب منه أن يُساعده ضد أبناء أسرته الذين ثاروا عليه، والتمسوا مساعدة إيران، فأرسل خورشيد باشا، محمد رفعت إلى البحرين مرة ثانية، فوَقَّع مع شيخها اتفاقاً في أيار ١٨٣٩م ينص على تعهّد الحكومة المصرية بحماية شيخ البحرين مقابل أن يدفع زكاة تُقدَّر بألفي كرونة سنوياً، وتقديم بعض السفن لمساعدة الحملات المصرية.

كانت بريطانيا تتابع بقلق توسع نفوذ محمد علي باشا في الجزيرة العربية خشية أن يقطع عليها طريق مواصلاتها مع الهند، لذا احتلّت عدن لتحول دون تقدم المصريين في عسير واليمن، وبذلت مساعي سياسية لوقف الامتداد المصري في الخليج العربي، فحذّر القنصل البريطاني العام في القاهرة كايمبل، محمد علي باشا من محاولات التمركز في الخليج العربي ومنها البحرين، وهذّه باستخدام القوة عند الضرورة لوقف نشاطه التوسعي<sup>(٣)</sup>، واحتجّ وزير خارجية بريطانيا بالمرستون المعروف بعدائه الشخصي لمحمد علي باشا، أمام حكومة الهند البريطانية، على موقفها المتخاذل من التمدد المصري في الخليج العربي، لذلك أمرت قائد أسطولها في الخليج، السير ميتلند، بمراقبة تحركات خورشيد باشا وإيقاف النشاط المصري في الخليج العربي والدفاع عن البحرين عند الاقتضاء<sup>(٤)</sup>، كما طلبت من معتمدها في الخليج العربي هنل أن يُرسل لها تقريراً مفصلاً عن قوة ومواقف الشيوخ العرب، وجاء في التقرير أن هناك ثلاث قوى ناشطة في المنطقة هي: قوة خورشيد باشا، وقوة عبد الله آل خليفة شيخ البحرين، وقوة عيسى بن طريف شيخ قبائل آل علي التي تشمل عرب الخليج من مصب الفرات إلى رأس الحد الذي يقع إلى الجنوب من

(١) أبو عليه، عبد الفتاح حسن، تاريخ الدولة السعودية الثانية: ص ٦٥.

(٢) ابن بشر: ج٢ ص ٩٢.

(٣) الرفاعي: ص ٣٦٠.

(٤) Lorimer: I pp 862 - 865.

مسقط، ويشير التقرير إلى صعوبة تقدير قوة خورشيد باشا، ولكنه ذكر عدد أفراد جيشه وأشار إلى تجهيزاتهم وعتادهم<sup>(١)</sup>.

وقرّر خورشيد باشا أن يضمّ مشيخات الخليج العربي للنفوذ المصري، وبدأ يتجهّز لتحقيق هذا المشروع، غير أنه افتقر إلى السفن، فطلب من محمد علي باشا أن يزوّده بسفيتين عسكريتين لتكونا نواة الأسطول المصري في الخليج العربي، ولتدعيم مركزه في المنطقة، ويبدو أن حاكم مصر لم يكن لديه النية في قطع طريق مواصلات بريطانيا إلى الهند، ولا إرسال حامية مصرية لاحتلال البحرين، حتى لا يُثير عليه بريطانيا، فأمر قائده بالتريث بفعل وجود محظورات تحول دون الاستجابة لطلبه، تتمثل بمعارضة بريطانيا، وعلى الرغم من ذلك، تصرّف خورشيد باشا تصرفاً شخصياً، فأرسل رسله إلى مشايخ الخليج العربي، فلاقت ترحيباً في الكويت، ولما حاول دخول البحرين تصدّت له بريطانيا، فراسل القاهرة وأعلمها بذلك، فأمره محمد علي باشا بالتوقف عن التدخل في شؤون البحرين<sup>(٢)</sup>.

وامتدّ النفوذ المصري إلى عُمان، عندما عينّ خورشيد باشا نائباً عنه، هو سعد بن مطلق، ليعمل في المنطقة باسم الأمير السعودي خالد بن سعود، أمير نجد الجديد.

ورحّبت به مشيخات القواسم، مثل الشارقة ورأس الخيمة، لأنها كانت تميل إلى الدعوة الإصلاحية النجدية، كما أن شيخ أبو ظبي خليفة بن شخبوط أيّد سعداً على الرغم من عداته للسعوديين في المنطقة، ولم يخرج عن دائرة التعاون مع المندوب المصري سوى بعض قبائل نعيم من سكان البريمي والظاهرة<sup>(٣)</sup>.

استغلّت بريطانيا هذا الموقف، فزار هنل الساحل واجتمع بشيوخ الإمارات، وحرّضهم على الاستقلال، وخوّفهم من وقوعهم في قبضة مبعوث والي مصر، ووزّع عليهم الأسلحة لتقويتهم عسكرياً للوقوف ضدّ النفوذ المصري<sup>(٤)</sup>.

انهارت دولة محمد علي باشا في عام ١٨٤٠م نتيجة توقيع معاهدة لندن التي جرّده من أملاكه خارج مصر، فجلا عن نجد واليمن، ويبدو أنه كان بحاجة إلى قواته المنتشرة في بلاد الشام والجزيرة العربية للدفاع عن مصر في حال نشوب الحرب بين مصر وفرنسا من جهة، وبين الدولة العثمانية وبريطانيا من جهة أخرى، فغادرت القوات المصرية الجزيرة العربية باستثناء بعض الجنود الاحتياطيين الذين بقوا في المنطقة تحت إشراف الأمير خالد بن سعود، فأنتهى بذلك الحكم المصري في الجزيرة العربية.

(١) العقاد، صلاح: التيارات السياسية في الخليج العربي: ص١٤٦، أبو عليّة: ص٦٧ - ٦٨.

(٢) الرافي: ص٣٦٠.

Ibid: p704.(٤)

(٣) Lorimer: I p 703.

## الدولة السعودية الثانية ١٨٤٣ - ١٨٩١م

### قيام الدولة السعودية الثانية

تمخّضت الأوضاع السياسية في نجد في أعقاب الحكم المصري عام ١٨٤٠م عن صراع سياسي بين الأميرين السعوديين خالد بن سعود وعبد الله بن ثنيان وهو من أبناء عمومته، تطور حتى غدا حرباً أهلية شملت معظم قبائل نجد، ولعل دوافعها تعود إلى الخلاف بين الأميرين حول أسلوب الحكم وفلسفته، بالإضافة إلى تأثير الوسط البيئي المختلف.

فقد أخذ الأمير خالد بمبدأ التبعية السياسية في الحكم، ورأى الخروج على الأسلوب التقليدي الذي سارت عليه الدولة السعودية الأولى في حكم البلاد، في حين رأى الأمير عبد الله التخلص من التبعية السياسية في الحكم والمطالبة بالاستقلال تحت زعامة آل سعود، والمعروف أن الأمير خالد عاش مدة ثماني عشرة سنة في مصر، فأثر ذلك على تفكيره ونمط حياته، فحفل حكمه بالأفكار العصرية، فنفر منه النجديون وعدّوه أجنبيّاً، وعاش الأمير عبد الله في بيئة بدوية تسودها تعاليم الدعوة السلفية، فأثرت على نمط تفكيره وأسلوب حكمه.

لم يتمكن الأمير خالد من البقاء في الحكم أكثر من عام واحد بعد جلاء القوات المصرية، فقد كان مكروهاً من الجميع بوصفه تابعاً لمصر ومنفتحاً على النظم العصرية الأوروبية التي حاول فرضها في مجتمع بدوي متحفّظ، وعندما توجه إلى خورشيد باشا في آب ١٨٤١م لتوديعه بمناسبة مغادرته الجزيرة العربية، رفع الأمير عبد الله بن ثنيان راية العصيان، وساندته القبائل الناقمة على الأمير خالد، ففرض سيطرته على نجد واستولى في أواخر السنة المذكورة على الرياض، وانسحبت الجالية المصرية إلى قلعته، وفرّ الأمير خالد إلى مكة.

انتهج الأمير عبد الله أساليب خصومه المصريين المكروهة في الداخل، فكان كثيراً ما يفتك بخصومه ومعارضيه، مثل آل سديري، وذلك خلافاً لتقاليد الجزيرة العربية التي تنصّ على العفو عند المقدرة، وحاول أن يجمع المزيد من الأموال بشكل زكاة من البلد الفقير، وأراق دماء كثيرة، وقتل كثيراً من المؤمنين، فكرهه الأهالي وأحبوا الأمير فيصل.

كان الأمير فيصل بن تركي يعيش في مصر بحكم الأسير، ثم أخرج من السجن في شباط ١٨٤٣م ببايعاز من محمد علي باشا، على الأغلب، بهدف إعادته إلى الحكم في نجد والانتقام من الأمير عبد الله بن ثنيان، ثم إن عودة الأمير السعودي

إلى حكم نجد من شأنها أن تحافظ على العلاقات الودّية مع مصر، وفعلاً ظلّ هذا الأمير طوال مدة حكمه محافظاً على علاقاته الودّية مع ولاية مصر<sup>(١)</sup>.

عاد الأمير فيصل إلى بلاده في عام ١٨٤٣، فوصل إلى جبل شُمر، فاستقبله عبد الله بن الرشيد وأخوه عبيد بالترحاب، بوصفه صديقاً شخصياً قديماً، الأمر الذي يُعد عاملاً سياسياً مهماً لمستقبل الأمير السعودي والدولة السعودية، وحظي بتأييد قبائل سبيع والسهول والعجمان ومطير، وانتقلت عشائر نجد تدريجاً إلى جانبه، النعيم وسدير والوشم.

كان الأمير فيصل سياسياً محنكاً، عرّكه الزمن، وعصرته التجربة والحروب، وبخاصة أنه كان ساعد والده الأيمن، فقاد معارك عدة في نجد وخارجها، واكتسب الصبر والجلد أثناء إقامته في المنفى في مصر، لذلك كان تغلّبه على عبد الله بن ثيان محتملاً.

وعباً الرجلان أنصارهما، وجرت بينهما اشتباكات متفرقة كانت لصالح الأمير السعودي، واضطر عبد الله بن ثيان إلى الاحتماء بالعاصمة الرياض، فحاصره الأمير فيصل في أيار عام ١٨٤٣م وحاول أن يحلّ النزاع بالطرق السلمية، فعرض على عبد الله بن ثيان الاستسلام، والخروج الآمن من المدينة مع أمواله وسلاحه، واختيار البلد الذي يُفضّل العيش فيه في نجد أو في خارجها، ويُعين له راتباً سنوياً، فرفض عبد الله العرض، عندئذٍ شدّد الضغط عليه، فحاول الفرار، لكن الحرس ألقوا القبض عليه، وأمر الأمير فيصل بزجّه في السجن، وذلك في حزيران، حيث توفي بعد قليل من الوقت في شهر تموز، وكان موته مفاجئاً<sup>(٢)</sup>.

وهكذا انتهى حكم عبد الله بن ثيان الذي دام أكثر من سنتين قضاها في حروب منهكة، وتسلم الأمير فيصل الحكم للمرة الثانية، وقامت الدولة السعودية الثانية.

## الأوضاع الداخلية

تعدّ المرحلة الثانية من حكم الأمير فيصل، مرحلة تكوين الدولة السعودية الثانية، فاستهل حكمه بتوجيه رسالة إلى رعيته حثّهم فيها على التمسك بمذهب التوحيد وعلى تقوى الله وطاعته، وشدّد على دفع الزكاة للسلطة المركزية، وأبدى اهتمامه بأمر هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمر بتكوين هذه الجماعة، ودعا إلى ضرورة نظام الشورى في الحكم مستمداً من وحي الشريعة الإسلامية، وحثّ الناس

(١) فيليبي: ص ٢٩٣. أبو عليّة: ص ١٠٤ - ١٠٦.

(٢) ابن بشر: ج ٢ ص ٩٩ - ١٠٣. فيليبي: ص ٢٩٧. دحلان: ص ١١٣.



أيضاً على: التمسُّك بطاعة أولي الأمر لتكون دولته متحدة وقوية تحت قيادته، وعلى دفع الصدقات والمساعدات للفقراء والمساكين من أجل تحسين مستوى حياتهم المعيشية، وأمر حكام المناطق في نجد والأقاليم الشرقية أن يقرؤوها في المساجد مع صلاة الجمعة، وأن يعيدوا قراءتها مرة أخرى بعد شهرين<sup>(١)</sup>.

وأجرى الأمير فيصل سلسلة من الإجراءات والتعيينات الإدارية والقضائية والعسكرية في المناطق لضمان استمرار حكمه، فعزل عدداً من الموظفين في عهد عبد الله بن ثنيان، وعيّن خلفاً لهم أشخاصاً يثق بهم، كما عيّن أشخاصاً من ذوي النفوذ في المناطق حكاماً عليها، ما يعينه على خضوع أهلها للسلطة المركزية بوصفهم أكثر خبرة بإدارة مناطقهم، وأقام العدل، وعزّز الأمن، وأعاد إلى نجد بعضاً من انتعاشها الاقتصادي، على الرغم من الظروف التي واجهها والمليئة بالصعوبات والعقبات، المتمثلة بالحركات الثورية والانتفاضات ضدَّ حكمه والنزاعات القبلية.

قام الأمير فيصل بأول عمل عسكري ضدَّ حركات التمرد التي قامت ضدَّ السلطة المركزية في الرياض، فقد خرجت عليه بعض القبائل البدوية القاطنة في أنحاء مختلفة من أراضي دولته مثل: عشيرة المناصير في المناطق الشرقية الساحلية على الخليج العربي، وبعض قبائل مرّة القاطنة في منطقة الأحساء، وبنو هاجر المقيمون في منطقة القطيف<sup>(٢)</sup>، فهض لإخمادها وإعادة فرض سيطرته على الأقاليم.

ولعل أعقد مشكلة داخلية واجهها تتمثل بانتفاضات أهل القصيم، وكان هؤلاء على اتصال بالشريف محمد بن عون شريف مكة، ويتلقون منه المساعدات ضدَّ سلطة الرياض، ويجنحون إلى الحكم الذاتي ويطمعون بالاستقلال.

كانت منطقة القصيم تضم حوالي عشرين مدينة وقرية، منها بُريدة وُعَينزة، وكان أمراء الأسرة الحاكمة في عُينزة من آل زامل، وحدث أن شكَّ الأمير فيصل في ولاء حاكم عُينزة سليمان بن زامل، وأن له اتصالات مع الأشراف، فاتهمه بإثارة البلبله والاتصال بالخارج والعمل على فصل القصيم عن الرياض، فعزله وعيّن ناصر بن عبد الرحمن السبحمي مكانه، رفض سليمان هذا الإجراء واعتدى على الحاكم الجديد، ثم تطورت هذه المسألة باتجاه التعقيد، ذهب ضحيتها أفراداً من آل زامل، وانقسمت عُينزة إلى فئتين متنازعتين، وعمّت الفوضى البلدة، وتسرّبت إلى بُريدة، فعَمَّت منطقة القصيم كلها، وقرّر الثوار الانفصال عن الرياض، والتمسوا المساعدة من الأشراف، وطلبوا من عبد العزيز آل محمد حاكم بُريدة أن يتزعم الثورة، فاضطر الأمير فيصل أن يخرج بنفسه على رأس الجيش من الرياض إلى القصيم في نيسان ١٨٤٨م لإخماد الثورة، وتصرف على محورين:

(٢) المصدر نفسه: ص ١١٧.

(١) ابن بشر: ج٢: ص ١١٠.

الأول: دعا الثوار إلى الطاعة.

الثاني: أرسل قوة عسكرية بقيادة أحمد السديري، حاكم سدير، لحصار الثوار. فمال هؤلاء إلى الصلح ونزلوا على شروط الأمير التي تتضمن:

- الاستسلام وإنهاء الثورة.

- الاعتراف بالطاعة للسلطة في الرياض والانضواء تحت قيادتها.

- أن تُدفع الزكاة بشكل عادي مع دفع المتأخرات.

ودخل الأمير فيصل بُريدة وُعُنيزة وأجرى فيهما بعض التغييرات الإدارية، وعيّن أخاه جلوى حاكماً على القصيم.

ويبدو أن عبد العزيز آل محمد حاكم بُريدة الذي رأى تحييد منطقة القصيم، أخذ يُحرّض قبائل عتيبة المقيمة في المنطقة، على إثارة القلاقل والفوضى ضدّ السلطة المركزية في الرياض، فقاد الأمير فيصل حملة تأديبية ضده في عام ١٨٤٩م، فشنت أتباعه، وحتى لا يقع عبد العزيز في يد الأمير السعودي وهو يعرف مصيره، فرّ إلى مكة والتمس المساعدة من الأشراف، ويبدو أن هؤلاء لم يرغبوا في التورط في حرب مع الأمير السعودي فلم يُقدّموا المساعدة لعبد العزيز، بل إنهم توسطوا له عند الأمير فيصل، فعفا عنه وأعادته إلى حكم بُريدة وذلك في عام ١٨٥١م<sup>(١)</sup>.

لم تهدأ الاضطرابات في منطقة القصيم بعد هذه الحملات التأديبية وما تبعها من إجراءات إدارية، بل إن هذه المنطقة تُعدّ من أهم المناطق التي أفضّت مضاجع الأمير فيصل، ولم تنته ثورة عُنيزة إلا في عام ١٨٦٣م، بطلب الصلح<sup>(٢)</sup>.

## العلاقات الخارجية

العلاقة مع مشيخات الخليج العربي: نهج الأمير فيصل نهج والده في التوسع التقليدي على حساب مشيخات الساحل الغربي للخليج العربي، وكانت البحرين تشهد في عام ١٨٤٣م نزاعاً داخلياً بين الشيخين عبد الله ومحمد آل خليفة، وقد انتزع الثاني الحكم من الأول، فلجأ هذا إلى إيران لطلب المساعدة والحماية، ما دفع الحكومة البريطانية إلى التدخل لمنع تغيير الوضع الراهن في الخليج العربي، والحوّل دون امتداد النفوذ الإيراني إلى البحرين بخاصة.

وبعد أن استتبّ الأمر للأمير فيصل إثر تغلبه على عبد الله بن ثنيان، تقدم نحو ساحل الخليج العربي، فضمّ الأحساء والقطيف وسيهات في السنة الأولى من حكمه، وانتزع الدمام من حاميته البحرينية وأقام فيه حامية سعودية، وقرّر في

(٢) فاسليف: ص ٢١٦.

(١) فليبي: ص ٣١٠ - ٣١٧.

عام ١٨٤٧م ضمّ البحرين منتهزاً فرصة نشوب الخلافات الأسرية فيها، ذلك أن الشيخ عبد الله بن خليفة لما يئس من مساعدة حكومة إيران، عاد إلى المنطقة وأخذ يُكثّل بعض شيوخها حوله، وطلب المساعدة من الأمير فيصل، الأمر الذي أقلق الشيخ محمد، فالتمس المساعدة من الدولة العثمانية، ما دفع بريطانيا إلى وضع البحرين تحت حمايتها للمحافظة على مصالحها.

والواقع أن الأمير فيصل فشل في ضمّ البحرين في هذه المرحلة لسببين:

**الأول:** هجوم الشريف محمد بن عون وحليفه الأمير خالد بن سعود على منطقة القصيم التابعة للدولة السعودية، وتأييد الأهالي لهذا الهجوم الذي يؤدي في حال نجاحه إلى استقلالهم.

**الثاني:** موقف بريطانيا الرامي إلى وقف الزحف السعودي<sup>(١)</sup>.

لم تُسفر الصدامات بين إمارة الرياض والبحرين في عامي (١٨٤٥ - ١٨٤٦م) عن انتصار لأي من الطرفين، لذلك توافقا على الصلح الذي تضمّن:

- أن تدفع البحرين مبلغ أربعة آلاف ريال للأمير فيصل مقدّماً، وأن تدفع سنوياً هذا المبلغ كزكاة للدولة السعودية.

- يُسمح للشيخ عبد الله المعزول أن يقيم في الأحساء على أن تتحمل الدولة السعودية نفقات إقامته.

- عدم تدخل الأمير فيصل في الشؤون الداخلية للبحرين والاكفاء بالزكاة<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن الأمير السعودي وافق مضطراً على هذا الصلح بفعل ضغط هجوم شريف مكة وحليفه الأمير خالد بن سعود على القصيم، الرامي إلى احتلال نجد وإعادة الأمير السعودي المذكور إلى حكمه، فرأى أن يُسوِّي الأمور في الشرق ليتفرَّغ لحماية حدوده الشمالية الغربية.

وجدّد الأمير فيصل نشاطه في الخليج العربي في عام ١٨٥١، بهدف ضمّ البحرين إلى أملاكه، وقد ساعده آل ثاني في قطر وأولاد عبد الله بن خليفة، فالتمس الشيخ محمد بن خليفة المساعدة من سعيد بن طحون شيخ أبو ظبي، فأمدّه بأسطول قوي قاده بنفسه، لكن الخلاف السعودي - البحريني قد حُلَّ بطريقة سلمية بعد تدخل بريطانيا التي أنقذت حاكم البحرين من هزيمة، كانت تبدو محقّقة، واتفق الطرفان على أن تستمر البحرين بدفع الزكاة مع المتأخّرات<sup>(٣)</sup>.

كانت بريطانيا تراقب تحركات السعوديين في الخليج العربي باهتمام وقلق،

(١) فيليبي: ص ٣٠١ - ٣٠٢. أبو عليّة: ص ١٦٢ - ١٦٣.

(٢) أبو عليّة: ص ١٦٣. (٣) ابن بشر: ج ٢ ص ١٤١.

فاستخدمت القوة لوقف اندفاعهم، فقد قصف الأسطول البريطاني في الخليج العربي بعض موانئ ساحل الأحساء التابعة للدولة السعودية، غير أن بريطانيا اقتنعت أخيراً برأي معتمدها السياسي في الخليج العربي، هنل، بأن كل ما يطمع به الأمير فيصل هو قبول البحرين إعادة دفع الزكاة، كما أن الأمير فيصل أظهر ليونة سياسية تجاه بريطانيا، وأعلن أن علاقته مع البحرين تقتصر فقط على دفع الزكاة، مما لا يعني التبعية السياسية للدولة السعودية، ولا يؤدي إلى تغيير الوضع الراهن، ومع ذلك ظلّ موقف بريطانيا حذراً لأنها لم تطمئن إلى وجود هذه الدولة الكبيرة التي تتطلع للسيطرة على الإمارات والمشيخات المرتبطة معها بمعاهدات، لذلك قرّرت وضع البحرين تحت حمايتها في عام ١٨٦١م، ووقّعت معها معاهدة الملاحة البحرية<sup>(١)</sup>.

وتطلع الأمير فيصل إلى ضمّ قطر ضمن سياسته التوسعية في الخليج العربي، فأرسل حملة عسكرية في عام ١٨٥١م بقيادة ابنه الأمير عبد الله، نزلت في بلدة سلوى ثم انتقلت إلى جو الحريق الواقعة في الزاوية الجنوبية من قطر، وحاصرت قصر البدع وسيطرت بعد معارك دامية على قطر، وأجبرت علي بن خليفة آل ثاني وجنده على الارتحال بسفنهم.

ولم يمتد الحكم السعودي إلى الكويت، فقد حافظ حكامها على علاقات ودّية مع السعوديين.

وكانت العلاقة مع عُمان متوترة، وقد فجّرها الصراع السعودي - العُماني على واحات البريمي، والمعروف أن هذه الواحات كانت مركزاً مهماً للنفوذ السعودي في منطقة الخليج العربي الممتدة إلى حدود عُمان الداخلية<sup>(٢)</sup>، وأرسل الأمير فيصل رسالة إلى شيوخ عُمان ومنطقة البريمي في عام ١٨٤٣م يدعوهم إلى تأييد قائده سعد بن مطلق المطيري الذي سيرسله وكيلاً عنه، فغادر هذا الأحساء في ١٣ كانون الثاني في ١٨٤٥م على رأس قوة عسكرية مؤلفة من سبعمائة جندي متوجهاً إلى البريمي، واصطحب معه ناصر بن علي العريني ليقوم بمهام القضاء فيها، فوصل إليها في ٧ شباط، واستقبله السكان بالترحاب<sup>(٣)</sup>.

كان هدف سعد الأول إجبار سلطان عُمان على دفع الزكاة، فطلب من السيد ثويني بن سعيد نائب والده سعيد بن سلطان المقيم في زنجبار بإفريقيا، مبلغ عشرين ألف ريال، كما طلب من حمود بن عزان صاحب صحار وقريب سلطان مسقط مبلغ

(١) فاسيليف: ص ٢١٩.

(٢) البوريني، أحمد قاسم: الإمارات السبع ص ٧٥ - ٧٦.

(٣) ابن بشر: ج ٢ ص ١١٨.

خمسة آلاف ريال<sup>(١)</sup>. استشار ثويني والده، فأمره بالدفاع عن مسقط، ولا يغادرها مهما كانت الظروف، واستعرض سعد قوته في البريمي في إجراء تمهيدي، وساندته القبائل فيها، ثم سار إلى منطقة الباطنة الساحلية ودخلها.

عند هذه المرحلة من التطور العسكري تدخلت بريطانيا لحماية حليفها مسقط، فوجّه هامرتون المعتمد البريطاني، إنذاراً إلى كل من الأمير فيصل ونائبه سعد في ٢٥ حزيران ١٨٤٥م يحتج فيه على تصرفاتهما ضد سلطان عُمان، وطلب منهما تقديراً لصداقة بريطانيا للدولة السعودية أن يكفّ عن غزو بلاده.

كان ردُّ فعل الأمير فيصل رقيقاً معبراً عن صداقته لبريطانيا، غير أن له الحق في ممارسة سلطته على مقاطعة عُمان.

وأخيراً انتهت القضية بسلام عندما وافق سعيد بن سلطان على دفع مبلغ خمسة آلاف ريال سنوياً للدولة السعودية وألفي ريال لسعد شخصياً، واضطر حمود بن عزان أن يدفع خمسة آلاف ريال زكاة سنوية للسعوديين.

واختلف في مفهوم دافع الزكاة، فرأى السعوديون أنه يكون عادة تابعاً سياسياً لمن يدفعها له، في حين رأت بريطانيا أن الزكاة كانت تُدفع من حاكم ضعيف إلى حاكم دولة قوية مجاورة.

ويبدو أن معاملة القائد السعودي الشديدة للقبائل في شمالي عُمان وبخاصة في جباية الزكاة، دفعها إلى تكوين حلف ضده في عام ١٨٤٦م، ولم يتخلف عن دخوله سوى شيخ أم القيوين الذي ظل مؤيداً للسعوديين، وفي بداية عام ١٨٤٧م استدعى الأمير فيصل نائبه سعد لدراسة أسباب الموقف المتدهور في البريمي، وفي رواية أن الأمير السعودي عزل قائده في البريمي في تشرين الثاني عام ١٨٤٩م، واستدعاه إلى الرياض لأنه عدّه مسؤولاً عن الفوضى والاضطراب وحركات التمرد التي ظهرت في المنطقة<sup>(٢)</sup>، وعيّن عبد الرحمن بن إبراهيم حاكماً على البريمي بدلاً منه<sup>(٣)</sup>.

وحاول القائد محمد بن سيف العجاجي، وهو الذي خلف سعد بن مطلق المطيري بعد عزله وظل في حكم البريمي حتى وصول عبد الرحمن بن إبراهيم، في عام ١٨٤٨م؛ أن يجبي الزكاة بالقوة من حمود بن عزان صاحب صحار، إلا أنه وقع في كمين أعدّه له حمود في وادي الجيزي، ما أثار سلباً على الوضع العام للحامية السعودية في البريمي، فاستغل حاكم أبو ظبي سعيد بن طحنون تغيير الموقف السياسي لغير صالح السعوديين، فنهض لضمّ البريمي، فحاصر حصن سيف بن علي

(١) Kelly, J.B: Eastern Arabian Frontiers P68.

(٣) ابن بشر: جا ص ١٢٤.

(٢) فيليبي: ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

في ٤ أيار وقصفه بالمدفعية، واضطرت الحامية إلى الاستسلام، ثم حاصر حصن البريمي، فاستسلمت حاميته بقيادة محمد بن سيف العجاجي، بعد أن حصلت على شرط الأمان على أرواحها وممتلكاتها وسلاحها، والسماح لها بمغادرة الحصن، كما سقط حصن العبارة والخندق.

ولما تنهى إلى أسمع الأمير فيصل ما فعله ابن طحنون، غضب، وأرسل قوة عسكرية كبيرة بقيادة سعد بن مطلق المطيري ليعيد البريمي إلى الطاعة، فعلم ابن طحنون بقدمها عن طريق جواسيسه، فكمن لها في مكان يُدعى العاتكة وهزمها، لكن سعداً أعاد تنظيم صفوف قواته المشتتة، وقام بمساعدة أعوانه: مكتوم بن بطي صاحب دبي، وسلطان بن صقر صاحب الشارقة، بحصار حصن البريمي، وأجبر ابن طحنون على قبول الصلح، وأعاد ابن طحنون بموجبه الحصون التي كان قد استولى عليها.

وجاء سعد بن طحنون بعد سنتين إلى معسكر الأمير فيصل في قطر، واعتذر عما بدر منه في السابق، والواقع أن الحكم السعودي في البريمي كان في منتصف القرن التاسع عشر غير مستقر، ويعتمد على مدى قوة السلطة المركزية في الرياض وضعفها، ولم يتمكن الأمير فيصل من السيطرة بشكل نهائي على المناطق الخارجة عن الواحة، مثل الظفرة أو المنطقة الواقعة بين الجفرة والبريمي، وذلك بفعل سعي القبائل إلى نيل استقلالها<sup>(١)</sup>.

ودخلت مسقط ساحة النزاع مع الرياض في عام ١٨٤٩م، إثر تراجع النفوذ السعودي بفعل اعتداءات سعيد بن طحنون، ومن ثم رفض ثويني أن يدفع ما تعهد به من الزكاة، وجاء هذا التصرف في وقت كانت السلطة السعودية بأمر الحاجة إلى المال لسد نفقات حامياتها، ولم يكتب ثويني بذلك؛ بل حاول استقطاب الشيخ مكتوم بن بطي صاحب دبي، لكنه فشل، فالتفت إلى حمود بن عزان صاحب صحار وهو أحد أقربائه، وحاول إقناعه بالدخول في حلف معه ومع حليفه سعيد بن طحنون مُوجَّهاً ضدَّ السعوديين بهدف احتلال البريمي، لكن حموداً رفض الدخول في الحلف لأنه كان مرتبطاً بعهد مع آل خريبان المؤيدين لنجد.

لم تكن بريطانيا بعيدة عن أجواء هذه الأحداث، فنذت بسياسة ثويني، وجاء المعتمد البريطاني هنل إلى مسقط من أجل التوفيق بين المتنازعين، وكان البريطانيون يميلون إلى مساعدة حاكم مسقط، فنصحوا سعيد بن سلطان أن يعود إلى مسقط لمعالجة الوضع السياسي المضطرب.

ولم تكن الأحداث في البريمي في عام ١٨٥١م بأحسن حالاً من السنوات السابقة، فقد جهّز الأمير فيصل حملة عسكرية لإرسالها إلى عُمان، إلا أنه أرجأ إرسالها بفعل تعرّضه لضغط الأشراف الذين هاجموا القصيم، وضغط الظروف السياسية والمالية، وجدّد نشاطه بعد زوال خطر الأشراف، فضمّ قطر وأخذ الزكاة من شيخ البحرين، وعرّج على البريمي لتفقد أوضاعها، والنظر في أمورها، وإصلاح ثغورها، وغزا في عام ١٨٥٢ المنطقة الشرقية، وأرسل ابنه عبد الله إلى البريمي في عُمان، وكان سلطان بن سعيد قد عاد إلى مسقط، التي غدت في حال فوضى؛ كانت سبباً في نجاح مهمة الأمير عبد الله.

## العلاقة مع العثمانيين والأشراف في مكة

كانت علاقات نجد مع الحجاز بين الجيدة والمتوترة، وظلّ الباشوات العثمانيون في جدّة والمدينة، بالإضافة إلى شريف مكة، يدعون بحقّ التدخل في شؤون أواسط الجزيرة العربية ومنها نجد، واعترف الأمير فيصل بالسيادة الاسمية للعثمانيين، فكان يدفع للباب العالي مبلغاً سنوياً دليلاً على الطاعة، ويتصرف داخلياً بحريّة، وهو نوع من الاستقلال الذاتي، وظلت صلات الدولة السعودية مرتبطة مع الأشراف في مكة، وتُرسل الخراج عبرهم إلى استنبول، وتأثر دفع الخراج بتحصيل الزكاة المفروضة على مناطق نجد والمناطق الشرقية، فإذا تأخرت أو انقطعت، تأخر دفع الأمير فيصل للدولة أو انقطع عنها، ما كان يُسبّب المشكلات بين الطرفين، من ذلك أنه في عام ١٨٤٦م، شنّ الشريف محمد بن عون حملة على نجد بحجة رفض الأمير فيصل دفع الإتاوات للباب العالي، بالإضافة إلى الاضطرابات في منطقة القصيم التي جعلت حاكم مكة يأمل في الحصول على مساعدة فعّالة من هذه المنطقة.

وساءت العلاقات بين نجد ومكة في عام ١٨٤٧م بسبب مساندة الأشراف لإقليم القصيم، وقد طمعوا في ضمّ المنطقة على أن تُمنح الحكم الذاتي، والمعروف أن أهالي القصيم كانوا يسعون إلى الحصول على الاستقلال عن الدولة السعودية والانفصال عنها، ووصل الشريف إلى القصيم من دون أن تواجه قواته مقاومة، وكانت تتألف أساساً من البدو، وفرقة من القوات العثمانية النظامية.

وكانت مكة مركز تجمع الفارين من نجد، فقد لجأ إليها الأمير خالد بن سعود بعد فشله أمام ابن ثنيان، وفرّ عبد العزيز آل محمد زعيم منطقة القصيم إليها بعد فشل ثورته ضدّ الرياض، وتحت ضغط هذه العناصر الفارّة، قام الشريف محمد بن عون بمهاجمة الرياض، فاحتل القصيم وعزل الأمير فيصل وعيّن الأمير خالد بن سعود مكانه، والتفت جيوشه بالجيش السعودي، لكن الأمر حلّ بشكل

سلمي، على أساس أن يدفع الأمير فيصل مبلغ عشرين ألف ريال إلى شريف مكة كخراج سنوي للسلطان العثماني الذي منح نجد للشريف، وأن تنسحب قوات الشريف من القصيم وتعود إلى مكة<sup>(١)</sup>.

وحافظ الأشراف على نفوذهم في نجد ومناطقها، من ذلك توسط الشريف محمد بن عون لحلّ الخلاف الذي نشب بين الأمير فيصل وسعيد بن طحنون صاحب أبو ظبي بشأن البريمي<sup>(٢)</sup>.

وكانت علاقة نجد بالخدويين حكام مصر جيدة، ولم يحدث ما يعكسها والمعروف أن الخدويين يتبعون الدولة العثمانية اسماً على الأقل، وكانت عمليات التبادل والمحادثات وإرسال الجنود لقمع حركات التمرد في الجزيرة العربية، تتم عن طريقهم.

واستعانت الدولة العثمانية والخدويون بالأمير فيصل لإخماد ثورة عسير في عام ١٨٦٣م.

وعلى الرغم من أن إمارة نجد كانت آنذاك مستقلة عن الدولة العثمانية، إلا أن الأمير فيصل تحاشى الصدام معها، فلم يتم بغزوات على الشام والحجاز والعراق، وأكد خلال مراسلاته مع البريطانيين بشأن الأوضاع في الخليج العربي بأنه يعدّ نفسه تابعاً للباب العالي<sup>(٣)</sup>.

## عهد الاضطراب السياسي

### تمهيد

توفي الأمير فيصل في كانون الأول ١٨٦٥م مخلّفاً أربعة أولاد هم عبد الله ومحمد وسعود وعبد الرحمن، ووفقاً للقاعدة المتبعة في وراثته الحكم بشكل عام، بويع الابن الأكبر عبد الله بالإمامة، وبوفاة الأمير فيصل فقدت الدولة حاكماً قديراً، وعجلّ موته في اندلاع النزاعات الأسرية التي كانت سبباً في تمزق الدولة ووحدة البلاد، فبرز آل الرشيد على الساحة السياسية فسيطروا على نجد، كما بسط العثمانيون سيطرتهم على الأحساء، وخرج آخر الأمراء السعوديين من الرياض ليعيش مدة طويلة في الكويت.

(٢) Kelly: p73.

(١) ابن بشر: ج٢ ص١٢٢.

(٣) winder: 207.



## الحرب الأهلية

### أسبابها

لا بدّ لنا قبل البحث في أحداث الحرب الأهلية وتطوُّرها من أن نلّم بأسبابها؛ لنتمكّن من رسم صورة واقعية لأحداثها، والملاحظ أنها كثيرة ومتنوعة لكن يمكن إجمالها بما يأتي:

- طمع الأمير سعود بالسلطة، فلم يبايع أخاه عبد الله ولجأ إلى عسير، واتصل بآل عارض ملتصقاً مساعدتهم ضدّ أخيه<sup>(١)</sup>.

- انقسام القبائل في تأييد كل من الأخوين.

- تشجيع الصراع الأسري من جانب آل الرشيد في حائل، وشيوخ البحرين، وسلطان عُمان، والدولة العثمانية، بهدف القضاء على الدولة السعودية ووراثتها.

- طمع بعض الزعماء المحليين بالانفصال عن الدولة، مثل قبائل قحطان والعجمان ومطير وعتيبة وعنيزة في القصيم وبنو مرة وبنو خالد<sup>(٢)</sup>.

- إسناد الأمير عبد الله أعمال الإدارة إلى ولاية قساة.

- وجود خلاف بين سلالة تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود وهم الذين أحيوا الحكم السعودي بعد سقوط الدرعية، وسلالة أولاد عمومتهم سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، فشجّع الفرع الأخير الفتنة وزاد في إذكائها، طمعاً في انفصال الحكم عن الفرع الأول، علّهم يتمكنون من استلام الحكم<sup>(٣)</sup>.

- لقد تجمّعت لدى القبائل أسباب الخروج على الدولة، فظهرت إلى الوجود العداوات القديمة، بين بعضها بعضاً من جهة، وبينها وبين آل سعود من جهة أخرى، وهي لم تنسّ الحروب الطويلة التي قادها هؤلاء ضدّ القبائل المعارضة لدعوة التوحيد، وقد ظلّت خامدة حتى جاء من أيقظها، وهو الخلاف الأسري في الدولة السعودية<sup>(٤)</sup>.

### أحداثها

معركة المعتلا: توجّه الأمير سعود إلى عسير في الجنوب الغربي من الجزيرة العربية، والتجأ إلى آل عائض والتمس المساعدة منهم ضدّ أخيه، غير أن الأمير

(١) الريحاني: ص ٩٨. (٢) المصدر نفسه.

(٣) سعيد، أمين: تاريخ المملكة العربية السعودية: ج ١ ص ٧٠.

(٤) أبو عليّة: ص ١٩٩.

عبد الله قطع عليه الطريق عندما أقنع هؤلاء بعدم مساعدته، وحاول في الوقت نفسه إقناع أخيه بالعدول عن موقفه المعارض، ووعده بتحقيق مطالبه الأخرى.

توجّه الأمير سعود بعد فشله في إقناع آل عائض بمساعدته إلى أبها في الجنوب على حدود اليمن، فأجرى مباحثات ناجحة مع قبائل نجران، وآل ثامر، وقبائل منطقة السليل في جنوبي نجد، وساندته أبها، فكوّن منهم جيشاً اصطدم بقوات أخيه بقيادة محمد بن فيصل، في مكان يُدعى المعتلا، انهزمت فيه قواته وفرّ من أرض المعركة بعد أن جرح، وتوجّه إلى الأحساء ثم إلى عُمان<sup>(١)</sup>.

### نتائج معركة المعتلا

- فرار الأمير سعود وجماعة من آل مرة إلى المنطقة الشرقية للإقامة في الصحراء حتى تندمل جراحه، وتوجّه بعد أن شُفي إلى البريمي، فاستضافه أميرها تركي بن أحمد السديري<sup>(٢)</sup>.

- أخذ الأمير سعود يُخَطِّط لتكوين حلف من عُمان والبحرين والعجمان وآل مرة ضدّ أخيه، وراح يضرب مراكز المقاومة في قطر المؤيدة لأخيه الأمير عبد الله وكذلك الأحساء، القلعة السعودية في منطقة الشرق، والقطيف التي يرى فيها مؤيدين لأخيه.

- استطاع الأمير عبد الله أن يكشف أعداءه من خلال التحالفات التي قامت في منطقة القصيم ضدّه، فعزل واليه محمد السديري عن إمارة الأحساء بعد أن اتّهمه بالضعف إثر فشله في كبح جماح قبائل العجمان المؤيدة لأخيه الأمير سعود، كما أرسل حملة تأديبية بقيادة عمه عبد الله بن تركي ضدّ العجمان وآل مرة في الشرق<sup>(٣)</sup>.

- أرسل الأمير عبد الله حملات تأديبية، ضد بدو الجنوب في الدواسر، لمعاينة العناصر التي ساعدت أخيه، ولتثبيت سلطته في المنطقة.

- ظلّت أسباب التوتر قائمة بين الأخوين، لأن الأمير عبد الله أخذ يتجهّز للقضاء على الحلف الذي شكّله أخوه من إمارات الشرق<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن عيسى، إبراهيم بن صالح: عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجري: ص ٤٤.

(٢) فيليبي: ص ٣٣٧.

(٤) أبو عليّة: ص ٢٠١.

(٣) ابن عيسى: ص ٤٥.

معركة بئر جودة: توجّهت قوات الأمير سعود المتحالفة إلى الهفوف عاصمة الأحساء، فتصدّت لها حامية المدينة بقيادة ناصر بن جبر الخالدي، ثم التقى الطرفان في الوجاج، فانتصرت قوات سعود، فتراجعت الحامية إلى المدينة وتحصّنت بها، وقاومت الحصار الذي فرضه الأمير سعود، مدة أربعين يوماً، فطلب الأمير عبد الله نجدة من الرياض على وجه السرعة لمساعدتها، اشتبكت مع قوات الأمير سعود في بئر جودة في كانون الأول ١٨٧٠م، لكنها تعرّضت للهزيمة<sup>(١)</sup>.

نتائج معركة بئر جودة

- وقوع قائد قوات الأمير عبد الله، وهو أخوه الأمير محمد بن فيصل، في الأسر، فسُجن في القطيف تحت رقابة أخيه الأمير سعود، وظلّ في السجن حتى أطلق العثمانيون سراحه.

- تكبد الطرفان خمسمائة قتيل، ما أدى إلى امتعاض الأهالي في نجد والمناطق الشرقية، وبخاصة أن المعركة نشبت في رمضان وفي الأيام القريبة من عيد الفطر.

- استسلمت الأحساء للمتصرين، وأضحى الأمير سعود سيد المنطقة الشرقية من دون منازع<sup>(٢)</sup>.

- حرّم انفصال الأحساء والمنطقة الشرقية، الرياض، من طرق التموين الشرقية.

- تزايدت قوة العجمان وآل مرة وبنو خالد، وبدأ الجميع يتلمس طريقه الخاص لإعادة مجده.

- بدأ التدخل الخارجي في أمور نجد من جانب العثمانيين في بغداد، وبدأ آل الرشيد التابعين اسمياً للرياض في توسيع نفوذهم.

- تعدّ معركة بئر جودة بداية النهاية للدولة السعودية الثانية التي بدأت بالتقلّص والضعف حتى قُضي عليها في عام ١٨٩١م.

- خشي الأمير عبد الله أن يستتبع أخاه انتصاره بالهجوم على الرياض، ولما كان عاجزاً عن التصدي له، غادر المدينة إلى حائل لطلب المساعدة من أصدقائه آل الرشيد، كما قرّر الاتصال بوالي بغداد ليلتمس مساعدته ضدّ أخيه<sup>(٣)</sup>، وبخاصة أن الطريق إلى الرياض باتت مفتوحة.

- لم يغامر الأمير سعود بمهاجمة الرياض، وظلّ في المنطقة الشرقية ينظم أمورها ويؤبّت دعائم حكمه فيها، فعاد الأمير عبد الله إليها، لكن الأمير سعود هاجمها في

(١) أبو عليّة: ص ٢٠٣ - ٢٠٤. فيليبي: ص ٣٣٨ - ٢٥١ - ٢٥٠. Winder: pp 250 - 251.

(٢) ابن عيسى: ص ٥٦.

(٣) فيليبي: ص ٣٣٨ - ٢٤٩ - ٢٤٨. Ibid: pp 248 - 249.

عام ١٨٧١م، ففرَّ الأمير عبد الله منها ودخلها الأمير سعود، فانتقم من أهلها، وأضحى الحاكم الفعلي لنجد، وأعلن زعماء البلاد ولاءهم له<sup>(١)</sup>.

- عمّت نجد مجاعة كبيرة نتيجة لرداءة الموسم ولضعف الاقتصاد، وتراجع مرافق الحياة الأخرى؛ لانشغال الناس في الحروب.

## سقوط الدولة السعودية الثانية

حاول الأمير عبد الله إعادة تجميع قواته للاستخدام بأخيه واستعادة عاصمته، لكن أخاه عاجله بضربة أبعده عن الإقامة في منطقة الرياض، فالتجأ إلى قبائل مطير وسبيع<sup>(٢)</sup>، وحاول التماس المساعدة من مدحت باشا والي بغداد والي البصرة ونقيب الأشراف فيها، وهكذا تخطى النزاع في نجد حدوده الداخلية إلى البحرين وعمان والعراق متخذاً بُعداً إقليمياً.

استمرَّ النزاع داخل الأسرة السعودية، فظهر الأمير عبد الله في الأراضي التي تسيطر عليها الدولة العثمانية، في حين طُرد الأمير سعود من الرياض على يد الأمير عبد الله بن تركي شقيق الأمير فيصل، وعاد الأمير عبد الله إلى الرياض في أوائل عام ١٨٧٢م، إلا أن الوضع في الإمارة كان من سوء بحيث أضحى ميؤوساً منه، فالمجاعة مستمرة، وفي آذار عام ١٨٧٣م، عاد الأمير سعود مجدداً إلى الرياض، واستمرت المعارك سجلاً بين الأخوين.

توفي الأمير سعود في ٢٦ كانون الثاني ١٨٧٥م<sup>(٣)</sup>، فاعتلى أخوه عبد الرحمن السلطة في الرياض، ونازعه أولاد أخيه المتوفى، فخرج منها خشيةً على حياته، والتجأ إلى أخيه الأمير عبد الله وتعاون معه للتصدي لأولاد أخيهما الذين تمكّنوا من السيطرة على الرياض من جديد في تشرين الأول ١٨٨٧م، وخلال السنوات الأحد عشر التي مرّت على وفاة الأمير فيصل تبدّلت السلطة في المدينة للمرة الثامنة<sup>(٤)</sup>، وتقلّص حكم السعوديين فاقصر على الرياض وضواحيها.

وكان أمير الرياض قد التمس قبل ذلك المساعدة من حاكم حائل محمد بن الرشيد، الذي لم يتردّد في اغتنام الفرصة للاستيلاء على الرياض والسيطرة على نجد، فتوجّه إلى الرياض على رأس قوات كبيرة، ففرَّ أولاد الأمير سعود إلى الخرج،

(١) ابن عيسى: ص ٥٨. Winder: p251.

(٢) وهبة، حافظ: جزيرة العرب في القرن العشرين: ص ٢٤٢.

(٣) فيليبي: ص ٣٤٨.

(٤) المصدر نفسه: ص ٣٤٩. الريحاني: ص ٨٦.

وأطلق أمير جبل شُمر الأمير عبد الله من السجن ونقله إلى العاصمة حائل حفاظاً على سلامته، وعيّن أحد قادته العسكريين سالم آل سبهان أميراً على الرياض، ثم عزله بعد أن هاج الناس بسبب قتله أولاد الأمير سعود الثلاثة محمد وسعد وعبد الله بطريقة وحشية، وعيّن مكانه فهاد بن رخيص<sup>(١)</sup>.

وتوفي الأمير عبد الله في ٢٤ تموز عام ١٨٨٩م<sup>(٢)</sup>.

تولى الأمير عبد الرحمن بن فيصل الحكم بعد وفاة أخيه الأمير عبد الله، فطلب من محمد بن الرشيد أن يعزل عامله فهد بن رخيص عن إمارة الرياض لتبقى السلطة في يده، غير أن محمداً هذا تحدى الأمير عبد الرحمن، فعزل رخيصاً وعيّن ابن سبهان مكانه، وهو العدو اللدود لآل سعود، في خطوة تصعيدية، ما يدل على أن الحكم أضحى فعلياً بأيدي آل الرشيد، فهرب الأمير السعودي مع ابنه عبد العزيز، البالغ من العمر أحد عشر عاماً، وبقيّة أفراد العائلة إلى الربع الخالي، ثم خلّصهم أمير الكويت الشيخ محمد الصباح في عام ١٨٩٥م من قساوة ذلك المنفى الإجباري، وأتى بهم إلى الكويت وأكرمهم. وعلى هذا الشكل سقطت الدولة السعودية الثانية.

## الدولة السعودية الثالثة ١٩٠٢ - ١٩٣٢م

### قيام الدولة

لم يركن الأمير عبد العزيز الذي أتمم بالطموح السياسي إلى الهدوء، ولم يستسلم لتلك الهزيمة التي ألحقها به محمد بن الرشيد، فقرّر استعادة إمارة آبائه وأجداده، فهاجم الرياض البعيدة عن مركز قوة محمد بن الرشيد الذي كان يسكن في حائل شمالي نجد، معتمداً على أنصار عائلته فيها الذين كانوا يتوقون للتحرر من فساد آل الرشيد، ودخلها في ١٥ كانون الثاني ١٩٠٢م<sup>(٣)</sup>، وبشكل هذا التاريخ انعطافة في تاريخ الجزيرة العربية، وبداية لتأسيس مملكة الأمير عبد العزيز الذي ظلّ يعمل على استكمالها مدة ثلاثين عاماً.

(١) الريحاني: ص ٨٨، ١٠٤، وهبة: ص ٢٣٥ - ٢٣٦. حمزة، فؤاد: البلاد العربية السعودية: ص ٦.

(٢) ابن عيسى: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان: ص ١٩٤.

(٣) الريحاني: ص ١٠٨ - ١١٣. حمزة: ص ١٢ - ١٦. ابن هذلول، سعود: تاريخ ملوك آل سعود: ص ٥٧ - ٦٠.

استدعى الأمير عبد العزيز بعد أن استقرَّ الوضع له في الرياض، أباه من الكويت ليتولى شؤون المدينة كي يتفرَّغ لمقاومة خصومه والتوسع على حسابهم، وكافأه والده بأن تنازل له عن الإمارة بحضور العلماء، وقلَّده سيف سعود<sup>(١)</sup>. وهكذا بُعثت الدولة السعودية الثالثة التي لا تزال تحكم حتى وقتنا الحاضر.

## السيطرة على نجد والقصيم والأحساء

استمرَّ الصراع مع آل الرشيد وحلفائهم العثمانيين على شكل مناوشات ومعارك؛ تمكَّن خلالها الأمير السعودي من ضمِّ نجد الوسطى والمنطقة الجنوبية، التي تتألف من الخرج والحوطة والحربي والأفلاج ووادي الدواسر<sup>(٢)</sup>، وترك الأمير عبد العزيز الأقاليم الشمالية لمناسبة أخرى في المستقبل، إذ كان الموالون له من أهلها في وضع لا يسمح لهم تحدي السلطة الواقعية لحكام آل الرشيد.

أثار استيلاء الأمير عبد العزيز على الرياض وبسط نفوذه على نجد، مخاوف الدولة العثمانية، ورأت في ظهوره خطر بعث الدعوة السلفية التي حاربتها والتي كلَّفتها الكثير من قبل، وخشيت أن يحذوا الزعماء العرب الآخرون حذوه بعد أن خسرت الكويت إثر دخولها تحت الحماية البريطانية، بالإضافة إلى اليمن الذي دخل تحت حكم الإمام يحيى سنة ١٩٠٤م، كما شاعت الفتنة في البصرة، لذلك رأت ضرورة القضاء على سلطان الأمير السعودي عبر مساعدة ابن الرشيد، فأرسلت إليه جيشاً لاسترجاع ما أخذه منه الأمير السعودي، لكن الهزيمة حلَّت بالمتحالفين في معركتي البكيرية والشناتة سنة ١٩٠٤م<sup>(٣)</sup>.

تخلَّت الدولة العثمانية في غضون ذلك عن مساعدة ابن الرشيد، ومالت إلى التفاهم مع الأمير عبد العزيز التي أثبتت قوة وجدارة، لكن المفاوضات التي دارت بينهما انتهت إلى الفشل، فاستؤنف القتال مع عبد العزيز ابن الرشيد الذي تعرَّض لهزائم متكررة انتهت بمقتله في نيسان ١٩٠٦م في معركة روضة الهنا، واضطرت القوات العثمانية المتواجدة في المنطقة إلى إخلائها<sup>(٤)</sup>، فأضحى السعوديون نتيجة ذلك أسياد نجد شمالها وجنوبها، كما أضحى الأمير عبد العزيز من القوة إلى درجة أن أمير شمر الجديد معتب بن رشيد الذي خلف والده عبد العزيز، اعترف به رسمياً حاكماً على نجد والقصيم.

(١) ابن هذلول: ص ٦٢ - ٦٣. فيليبي: ص ٣٧٦.

(٢) فيليبي: ص ٣٧٦.

(٣) الريحاني: ص ١٤٠ - ١٤٨. ابن هذلول: ص ٧١.

(٤) فيليبي: ص ٣٩١ - ٣٩٣.

وانتهز الأمير عبد العزيز فرصة ضعف الدولة العثمانية بعد حروب البلقان (١٩١٢ - ١٩١٣م) فواصل تحركه لاستعادة إقليم الأحساء من أيدي العثمانيين الذين ضمّوه في عام ١٨٧١م، وأقاموا قواعد عسكرية في الهفوف والقطيف والعقير، فدخل الهفوف عاصمة الإقليم بعد التفاهم مع أهلها، واستسلمت له القطيف والعقير، وانسحبت القوات العثمانية منها، وذلك في نيسان ١٩١٣م<sup>(١)</sup>.

حقّق الأمير السعودي بسيطرته على الأحساء هدفين:

**الأول:** إطلاله على الخليج العربي ما أتاح له الحصول على مورد منظم للدولة من الرسوم الجمركية.

**الثاني:** تدخله في رسم السياسة في الخليج العربي.

ولا شك بأنه كان لهذا الانتصار أثر كبير في حياة الدولة السعودية، نظراً للأهمية التي تتمتع بها هذه المنطقة، إذ تُعدُّ من أغنى مصادر الثروة البترولية في العالم. واضطرت الدولة العثمانية بعد هذا التوسع السعودي إلى الاعتراف بالأمير عبد العزيز حاكماً على نجد والقصيم والأحساء تحت سيادة الدولة العثمانية، ومنحته رتبة الباشوية وتوريث حكمها لأولاده وأحفاده، لكنها أخذت في الوقت نفسه تُشجع آل الرشيد في جبل شمرّ ضدّه وتمدّهم بالسلاح لمهاجمة نجد<sup>(٢)</sup>.

## العلاقة مع بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى

وقف الأمير عبد العزيز عند اندلاع الحرب العالمية الأولى، موقف الحذر والمتربص الذي يراقب تطورات الأحداث السياسية والعسكرية، وقد أدرك منذ إقامته في الكويت أهمية بريطانيا في المنطقة، فسعى جاهداً للتفاهم معها. كانت سياسة بريطانيا في الخليج العربي آنذاك مزدوجة انطلاقاً من نظرتها التقليدية للأمر، فهي من جهة أصرّت على عدم التدخل في شؤون وسط شبه الجزيرة العربية المليئة بالصراعات القبلية، وهي من جهة أخرى خشيت من ردّ الفعل العثماني، إذا أقدمت على التفاهم مع الأمير السعودي في الوقت الذي حرصت على استقطاب الدولة العثمانية وهي على أبواب نشوب الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م. غير أن حكومة الهند البريطانية كان لها رأي آخر في العلاقات مع إمارة نجد تأميناً لمصالحها في منطقة الخليج التي تُشكّل شريان المواصلات البحرية مع الهند، فرأت من الضروري إقامة علاقات ودّيّة مع الأمير عبد العزيز، القوة الكبيرة الناشئة في تلك المنطقة، وبخاصة بعد ضمّه الأحساء وإطلاله على الخليج العربي.

(١) فون ميكوش، داكبورت: عبد العزيز: ص ١٧. فاسيليف: ص ٢٧٥.

(٢) وهبة، حافظ، خمسون عاماً في جزيرة العرب: ص ٩٦.

لكن بريطانيا اضطرت إلى تغيير سياستها في وسط الجزيرة العربية بعد دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا، وكانت هذه المنطقة عند اندلاع الحرب العالمية الأولى موزعة بين قوى عدّة، فكان الأمير عبد العزيز يسيطر على نجد والأحساء، في حين كان الحجاز ولاية عثمانية تحت حكم الشريف حسين، وتحكم أسرة آل الرشيد جبل شُمر.

وتسيطر بريطانيا على معظم دول الخليج العربية، فدخلت في مفاوضات ناجحة مع الشريف حسين لقيادة ثورة عربية ضدّ العثمانيين، واستقطبت الأمير عبد العزيز حتى لا يُعرقل ثورة الشريف لما بينهما من منافسة وعداء، وثمة دوافع أخرى جعلت بريطانيا تتقرب من الأمير السعودي، أبرزها:

- قوة السعوديين المتنامية في الجزيرة العربية وامتداد نفوذهم إلى السواحل الشرقية.  
- رغبة بريطانيا في التنسيق مع الأمير عبد العزيز لمحاربة العثمانيين، وبخاصة أنه جمعتهما مصلحة العداء لآل الرشيد حلفاء العثمانيين.

- رغبة الأمير عبد العزيز في كسب ثقة واحترام بريطانيا، والعمل على التوصل إلى اتفاق رسمي معها يضمن استقلال بلاده واعتراف بريطانيا بوحدة أراضيها وحمايتها<sup>(١)</sup>.

رحّب الأمير عبد العزيز بقدوم المعتمد البريطاني في الخليج العربي إلى بلاده، فأجرى معه مباحثات تمخّص عنها عقد اتفاقية دارين - العقير في ٢٦ كانون الأول ١٩١٥م، التزمت بريطانيا بموجبها ضمان سيادة أمير الرياض في نجد والأحساء والجبيل والقطيف وما يتبعها من موانئ وسواحل غير محددة، وتوارث أسرته لهذه الأملاك، وحماية مصالحه ومصالح بلاده من أي اعتداء خارجي، مقابل الالتزام بمساعدة الحلفاء، والتشاور مع بريطانيا في تعامله مع الحكومات والدول الأجنبية، وبعدم بيع أو رهن أية قطعة أرض من بلاده، أو منح امتياز في أراضيها لدولة أو شركة أجنبية من دون استشارة الحكومة البريطانية ورضاها، وبعدم التعدي على الإمارات العربية الواقعة على الخليج العربي والخاضعة للحماية البريطانية<sup>(٢)</sup>.

## الأوضاع السياسية حتى قيام المملكة العربية السعودية

على الرغم من أن المعاهدة المذكورة كانت لصالح بريطانيا أكثر منها لصالح

(١) وهبة: ص ٩٣.

(٢) انظر نص الاتفاقية: Hurewitz, J-c: Diplomacy in the Near and Middle East II pp 17 - 18.

الزبيدي، مفيد: عبد العزيز آل سعود وبريطانيا: ص ٣٦٣ - ٣٦٤. الملحق رقم ٦.



الإمارة السعودية، لأنها تضع الأمير السعودي في شبه تبعية للبريطانيين، كما لم تُحدّد مدة لانتهائها، إلا أنها تُعدّ انعطافة في العلاقات السعودية - البريطانية، وأضحت أساساً للتعامل بين الجانبين، حتى استبدلت باتفاقية جدة في ٢٠ أيار ١٩٢٧م، كما أضحت جزءاً من شبكة النفوذ البريطاني التي أرادت بريطانيا فرضه على القسم الأكبر من الشرق الأدنى بعامة وعلى الجزيرة العربية بخاصة بعد الحرب العالمية الأولى.

الواضح أن بريطانيا حرصت على التوصل إلى تفاهم مع الأمير عبد العزيز في جدة عام ١٩٢٧م على الرغم من اختلاف وجهات النظر بينهما على عدد من القضايا المشتركة، مثل قضية فلسطين وقضية الامتيازات الأجنبية في الحجاز، كما أن الأمير السعودي كان شديد الحرص على أن لا يُفوّت هذه الفرصة لانتزاع اعتراف رسمي من الحكومة البريطانية بما حقّقه من إنجازات خلال السنوات الماضية، والتي تمثّلت بضمه الحجاز، وبما وصل إليه من سلطة ونفوذ في أغلب مناطق الجزيرة العربية<sup>(١)</sup>. وأهم ما تضمنته المعاهدة:

- اعتراف بريطانيا الصريح بالاستقلال التام للأمير عبد العزيز آل سعود ملكاً على الحجاز ونجد.
- تعهد الجانبان بالمحافظة على علاقات السلام والصدقة بينهما.
- تعهد الأمير عبد العزيز بتسهيل مهمة الحجاج من الرعايا البريطانيين إلى الديار المقدسة أسوة بباقي الحجاج.
- اعترفت بريطانيا بالجنسية الحجازية - النجدية لجميع رعايا هذه البلاد وملحقاتها خلال وجودهم في بريطانيا أو المحميات الأخرى.
- تعهد الأمير عبد العزيز بالمحافظة على العلاقات السلمية مع الكويت والبحرين ومشيخات الساحل العُماني ومسقط وعمان الذين يرتبطون بمعاهدات مع بريطانيا.
- تعاون البلدين للقضاء على تجارة الرقيق في الحجاز<sup>(٢)</sup>.

## العلاقة مع الهاشميين

شهدت الجزيرة العربية بعد الحرب العالمية الأولى ظهور خمس إمارات حلّت محل الأتراك العثمانيين هي: مملكة الحجاز وعلى رأسها الشريف حسين، إمارة نجد وتوابعها وعلى رأسها الأمير عبد العزيز بن سعود، إمارة اليمن وعلى رأسها

(١) الزبيدي: الملحق رقم ٦، ص ٣١٤.

(٢) المرجع نفسه. وانظر الملحق رقم ٧، ص ٣٦٥ - ٣٦٦.

الإمام يحيى، إمارة عسير وعلى رأسها محمد الإدريسي، وإمارة سُمَّر وعلى رأسها ابن الرشيد.

كانت العلاقة بين هذه الإمارات متوترة، وبخاصة بين آل سعود والهاشميين، وتركز النزاع حول مناطق الحدود، وكان الشريف حسين في هذا النزاع أوهى الطرفين، على الرغم من كونه حاكماً على الأراضي المقدسة ومعبراً عن آمال العرب القومية. إذ كان عليه أن يواجه ثورة المسلمين في الهند الذين أثاروا الرأي العام ضده بفعل ثورته على الخلافة الإسلامية، ووجد نفسه في صراع مع جيرانه عندما تزعم الثورة ضد الأتراك العثمانيين، ورفض الأمير السعودي في أن ينضوي تحت سيادته ويتنازل له عن حقوق في السيادة على مناطقه، وامتنع عندما اتخذ لنفسه لقب ملك العرب في عام ١٩١٦م مع ما يتضمنه من معاني السيادة الشاملة، ومما زاد العلاقة سوءاً أن الأمير عبد العزيز كان بصدد انبعاثه وهابية تتجاوز حدود نجد إلى مناطق يحدّها الشريف حسين موالية له<sup>(١)</sup>.

شعر الأمير عبد العزيز بأن الصدام حتمي مع الشريف حسين، فانتهاز فرصة نشوب الحرب العالمية الأولى، وأرسل دعاته إلى القبائل لاستقطابها، كما أرسل وفداً إلى الشريف حسين يطلب منه ترسيم الحدود بين إمارتيهما والاعتراف بنجد وحقوقها ومصالحها، إلا أن الشريف ردّ عليه بإجابة غامضة، ما دفع الأمير عبد العزيز للتحرك على محورين ليضمن سيادته.

**الأول:** داخلي، فعقد مجلساً ضمّ كبار قومه ووالده عبد الرحمن ورئيس قضاة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، اتخذ قراراً بأن يُرسل الأمير عبد العزيز رسالة إلى الشريف حسين يطلب منه ترسيم مناطق الحدود حتى تزول الشكوك ويعمّ التفاهم. عدّ الشريف حسين مضمون رسالة الأمير السعودي تطاولاً وحمافة منه، فغضب عليه وهدهد وسخر منه، وردّ عليه برسالة شديدة اللهجة.

**الثاني:** خارجي، فقد اشتكى إلى المعتمد البريطاني في البصرة، بيرسي كوكس، الذي طمأنه بأن بريطانيا حريصة على ضمان استقلاله وعدم الاعتداء عليه<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن الأمير السعودي أراد أن يستوثق من الموقف البريطاني، فطلب أن:

- تضمن بريطانيا وتتعهد بعدم تدخل الشريف حسين في شؤون نجد.

- ألا يتكلم الشريف باسم العرب كلهم لأنه ليس المسؤول عنهم جميعاً.

وافق بيرسي كوكس وأخبره بأن بريطانيا أعلمت الشريف حسين باعترافها به ملكاً

(١) أنطونينوس، جورج، بقظة العرب، تعريب ناصر الدين الأسد وإحسان عباس: ص ٤٤٧.

(٢) عطار، أحمد عبد الغفور: صقر الجزيرة: ج١ ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

على الحجاز فقط، وبأنه ليست له سلطة على غيره من زعماء العرب في المنطقة<sup>(١)</sup>. والواقع أن الأمير عبد العزيز على الرغم من كل ذلك، لم يطمئن للموقف البريطاني، وبدا متشككاً في سياسة بريطانيا المزدوجة نحوه ونحو الشريف حسين، ما دفعه إلى الاعتماد على نفسه والعمل منفرداً لوضع حدّ لطموحات الشريف حسين، ومن جهته لم يرضَ الشريف حسين عن إصرار الأمير عبد العزيز على إعلان استقلاله في نجد وملحقاتها؛ لذلك بدأ بالتحرش به.

حدث أول اصطدام خطير بين الطرفين في ٢٥ أيار ١٩١٩م على مقربة من تربة على حدّ الحجاز الشرقي، حين انقضَّ الأمير عبد العزيز على فرقة عسكرية هاشمية يقودها الأمير عبد الله بن الحسين، وكاد يفنيها عن آخرها، وكان نصراً واضحاً، لو شاءت القوات السعودية استثماره لتقدمت نحو الحجاز من دون مقاومة.

نتج عن هذا الانتصار السعودي:

- فتح الطريق أمام القوات السعودية نحو مكة والطائف.

- ارتفاع نجم الأمير عبد العزيز بين القبائل.

- شعور الشريف حسين بالخذلان.

- إدراك بريطانيا حقيقة قوة الأمير عبد العزيز، فتغيّرت نظرتها إلى السعوديين

تدرجاً وابتعدت عن الشريف حسين.

- دخول القوات السعودية إلى تربة<sup>(٢)</sup>.

- تبهت الشريف حسين على عدم كفاءة قواته العسكرية.

- تدخلت بريطانيا بسرعة، فأندرت الأمير عبد العزيز بوجوب مغادرة تربة مع

قواته والعودة إلى نجد، وجعلها مع الخرمة أرض خلاء حتى تتم تسوية مشكلات ما

بعد الحرب، وحدّته من التوغل في الأراضي الحجازية، فكفَّ الأمير السعودي عن

التمادي في الحرب، لكن الشريف حسين أصرَّ على الحرب، فتحالف مع آل الرشيد،

العدو التقليدي للسعوديين، ومع بعض زعماء القبائل الضاربين في أطراف نجد،

وحاول أن يُنشيء صلات وديّة مع الإمام يحيى في اليمن.

وفي خريف عام ١٩٢١م حدث تغيّر مفاجئ في ميزان الصراع بين الطرفين، تمثّل

بإنهاء الأمير عبد العزيز عداه القديم مع آل الرشيد عقب ضمّه منطقة سَمُرَّ إلى أملاكه،

فأضحت حدوده تتاخم العراق، وهذا يعني زوال أسرة كان الشريف حسين يعتمد عليها.

وأنشئت في عام ١٩٢١م المملكة العراقية، تحت حكم فيصل بن الشريف حسين،

(١) الريحاني: ص ٢٣٦.

(٢) يحيى، جلال: المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث: ص ٣٨.

وإمارة شرق الأردن تحت حكم ابنه الآخر عبد الله، فأضحى الأمير عبد العزيز محاطاً بالأشراف من ثلاث جهات، فكثرت المشكلات الحدودية بين الطرفين، ما استدعى تدخل البريطانيين لوضع حدٍّ لها، تأميناً للاستقرار عبر عقد المؤتمرات، (مؤتمر المحمرة في عام ١٩٢١م ومؤتمر الكويت في عام ١٩٢٣م)، التي لم تُسفر عن نتيجة إيجابية بسبب تصلُّب الشريف حسين الذي أصرَّ على أن يتخلَّى الأمير عبد العزيز عن الجوف ووادي السرحان إلى شرق الأردن، وأن يتنازل عن خيبر وتربة والخزمة إلى الحجاز، ويُعيد حائل إلى آل الرشيد<sup>(١)</sup>.

وساءت في هذه الأثناء علاقات الشريف حسين مع بريطانيا التي قطعت عنه المساعدات المالية، ومع العالم الإسلامي، وبخاصة مصر، بفعل معاملة الحُجَّاج السيئة وفرض الضرائب عليهم وعدم العناية براحتهم وأمنهم، ومن جهته حرص الأمير عبد العزيز على توثيق علاقته مع العالم الإسلامي وبخاصة مصر، فأرسل بركة تهنئة إلى الملك فؤاد بمناسبة افتتاح أول مجلس نيابي مصري في عام ١٩٢٤م<sup>(٢)</sup>.

وهكذا كانت الظروف الداخلية والخارجية مواتية للأمير عبد العزيز للقضاء على الهاشميين في الحجاز، فسقطت الطائف في يده في ٧ أيلول ١٩٢٤م، وانسحبت القوات الحجازية إلى بازان في أعالي مكة إثر معركة الهدى بالقرب من الطائف في ٢٦ أيلول، ففتَّح الطريق أمام القوات السعودية إلى مكة، غير أنها لم تتقدم إليها بناء على أوامر الأمير عبد العزيز<sup>(٣)</sup>.

اضطر الشريف حسين تحت ضغط الأحداث العسكرية إلى الانسحاب إلى جدة والتحصن بها، غير أن ذلك لم يُغيِّر من الأوضاع التي مالت إلى صالح الأمير عبد العزيز، فرأى أعيان الحجاز عندئذٍ ضرورة أن يتنازل الشريف حسين عن العرش لابنه الأكبر علي، ظناً منهم أن هذا التغيير سيضع حداً للنزاع السعودي - الهاشمي.

وبالفعل، بويع الأمير علي ملكاً على الحجاز في ٤ تشرين الأول ١٩٢٤م، وغادر الشريف حسين جدة إلى العقبة، وبقي فيها حتى حزيران ١٩٢٥م، ثم أجبرته بريطانيا على مغادرتها لاعتراض ابن سعود على بقاءه فيها وخشية بريطانيا من أن تهاجمها القوات السعودية، فاختار أن يذهب إلى قبرص، فأقام بها ست سنوات، سمح له البريطانيون بعدها بالسفر إلى عمَّان، حيث توفي بعد ستة أشهر، أي في عام ١٩٣١م<sup>(٤)</sup>.

(١) وهبة: ص ٢٥٨، ٢٦١ - ٢٦٥.

(٢) المنار: مجلد ٢٥، ج ٤ ص ١٦٠ - ٢٦٨ وج ٦ ص ٤٦٤ - ٤٧٤.

(٣) الريحاني: ص ٢٣١ - ٢٣٥. Toynbee, A: Survey of International Affairs p297.

(٤) أنطونوس: ص ٤٥٥ - ٤٥٦.

تابع الأمير عبد العزيز تقدّمه، فدخل مكة في ١٦ تشرين الأول ١٩٢٤م، ثم سقطت المدينة المنورة في أيدي الجيش النجدي في ٥ كانون الثاني ١٩٢٥م<sup>(١)</sup>، وظلّ الملك علي على سدة الحكم في جدة مدة سنة وهو يقاوم، وكان باستطاعة الأمير السعودي أن يشق خطوط الدفاع الحجازية من دون صعوبة تُذكر، غير أنه آثر أن ينتظر استسلام الملك علي الذي رآه محتوماً، حقناً لدماء المسلمين، وتمّ ذلك في كانون الأول ١٩٢٥م، إذ استسلم الملك الحجازي ورحل إلى بغداد ليعيش في كنف أخيه، وبذلك تمّ توحيد نجد والحجاز تحت سلطة الأسرة السعودية، وأصبح لقب الأمير عبد العزيز «سلطان نجد وملحاقها وملك الحجاز، واختصاراً: الملك عبد العزيز، حيث نوّدي به ملكاً في ٨ كانون الثاني ١٩٢٦م»<sup>(٢)</sup>.

وصدر الأمر الملكي الرقم ٢٧١٦ تاريخ (١٧ جمادى الأولى ١٣٥١هـ / ١٨ أيلول ١٩٣٢م) بتوحيد أجزاء المملكة وتسميتها «المملكة العربية السعودية» وذلك يوم الخميس في (٢١ جمادى الأولى ١٣٥١هـ الموافق ٢٢ أيلول ١٩٣٢م)<sup>(٣)</sup>.

### سياسة الملك عبد العزيز العامة

وضع ضمّ الحجاز الملك عبد العزيز في صدارة أحداث شبه الجزيرة العربية، ويُعدّ التغيير الذي حدث انعطافة في تاريخ هذه البلاد من ناحية مظاهرها الخاصة والعامة على السواء، وقد أعاد للأخلاق الإسلامية والتقاليد العربية سيادتها في توجيه الشؤون العامة في قواعد السلوك الجماعي والفردي<sup>(٤)</sup>.

كانت المشكلات الداخلية والخارجية التي واجهها الملك عبد العزيز في الحجاز عديدة ومعقدة، فتمرّس بها بما اجتمع في شخصه من جرأة وحنكة، وكان أشدّها ما يتصل بكونه أضحى حاكم الأراضي المقدسة، مع ما يترتب عليه من تحديد علاقاته مع العالم الإسلامي الذي تأثر بالمشكلة التي نشأت عن أثر المعتقدات الوهابية، وتأثيرها على باقي المذاهب الإسلامية، ومشكلة الحدود مع جيرانه في شبه الجزيرة العربية وخارجها، ومسألة العلاقة مع بريطانيا والدول الأجنبية الأخرى.

أما في الداخل، فكان على الملك عبد العزيز أن يعالج المهمة الشائكة التي

(١) ماضي، محمد عبد الله: النهضة الحديثة في جزيرة العرب: ص ١٦٠. السباعي، أحمد:

تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع: ج ٢ ص ٢٥٤.

(٢) أنطونيوس: ص ٤٥٦. ماضي: ص ١٦٢ - ١٦٣. جريدة أم القرى: ٢ جمادى الآخرة

١٣٤٤هـ، ١٨ كانون الأول و ١١ جمادى الآخرة، ٢٧ كانون الأول، ١٩٢٥م.

(٣) جريدة صوت الحجاز، عدد ٢٥، تاريخ ٢٥ جمادى الأولى، ١٣٥١هـ.

(٤) أنطونيوس: ص ٤٥٧.

خلقها الاتصال المباشر بين أتباعه الوهابيين ذوي الحماسة الدينية المتشددة، وبين الحجازيين الذين يميلون إلى التسامح في شؤون الدين، وتخفيف وقع النكبات، والمجاعة التي أحدثتها تدهور الدخل الذي كان يدره موسم الحج.

انكبَّ الملك السعودي على معالجة تلك المشكلات بعقل منفتح وإرادة قوية، وأحرز قدراً ملحوظاً من النجاح، لقد واجه في البداية:

- سيلاً من النقد بفعل الموقف المتشدد لدى أتباعه.

- قبل عرش الحجاز من دون أن يستأنس برغبات المسلمين جميعاً، مع العلم بأنه كان يُصرِّح علناً بأنه سيترك اختيار حاكم للحجاز بما يُقرره العالم الإسلامي كافة، لكنه رأى بعد ذلك أن التباين بين المذهب الوهابي والمذاهب السنية الأخرى أوسع من أن يسمح بالبداية الفورية في التعاون المتكافئ، لذلك دعا إلى عقد مؤتمر إسلامي للتشاور في مسائل أخرى ذات علاقة بالإدارة في الحجاز<sup>(١)</sup>.

لا شك بأن الملك عبد العزيز كان سياسياً بارعاً في دعوته لهذا المؤتمر، لأنه:

- قطع الطريق على الكثيرين في الانسياق وراء الدعاية المغرضة التي كان يُطلقها الشريف حسين وأولاده.

- لم يُتيح لأحد الفرصة في مساعدة الأسرة الهاشمية على استعادة الحجاز.

- ضمن عدم دخوله في المستقبل في أي نزاع حول مركزه في الحجاز، كما ضمن تأييد الرأي العام الإسلامي له.

انعقد المؤتمر في مكة في ٧ حزيران ١٩٢٦م ولم يكن يمثل المسلمين كافة. فقد قاطعته الأسرة الهاشمية في العراق وشرق الأردن، وكثير من البلدان الإسلامية التي كانت تحت الاستعمار، مثل معظم بلدان جنوب شرقي آسيا وبلاد شمالي أفريقيا، واستمرت الجلسات حتى ٧ تموز ١٩٢٦م، وعلى الرغم من أن المؤتمر لم يخرج بنتائج حاسمة إلا أنه كان له الفضل الأكبر في طمأنة البلدان الإسلامية على سلامة الحرمين الشريفين، وتشجيع المسلمين على الحج بأعداد وفيرة، وهذا ما حدث منذ سنة ١٩٢٧م.

## علاقة الملك عبد العزيز مع جيرانه

تراوحت علاقات الملك عبد العزيز مع جيرانه بين التعاون المثمر والعداء، وكانت مشكلته الأولى ترسيم الحدود وإنشاء علاقات ودّية معهم، وبخاصة مع صاحبي عسير واليمن، علماً بأنه لم تكن لديه أطماع توسعية في أراضيها، غير أن

(١) أنطونيو: ص ٤٥٨ - ٤٥٩.

تطور الأحداث في هاتين الإمارتين دفعه إلى التدخل في شؤونهما، ففي بداية عام ١٩٢٣م توفي محمد الإدريسي، وخلفه ابنه الحسن، فنشبت النزاعات بينه وبين أفراد الأسرة، فاستغل إمام اليمن يحيى الفرصة وتمدّد نحو المناطق الجنوبية المتاخمة للحدود الشمالية لليمن على حساب الأدارسة، ووصل إلى ميناء الحديدة واستولى عليه، فالتمس الحسن المساعدة من الملك عبد العزيز على أن يمنحه سلطة معنوية في عسير، وأبرم معه اتفاقية مكة في ٢٢ تشرين الأول ١٩٢٦م قضت بجعل عسير تحت ما يشبه الحماية، فتخلّى الأدارسة بذلك عن الاستقلال السياسي واحتفظوا باستقلالهم الداخلي، وكانت تلك بداية النزاع السعودي - اليمني<sup>(١)</sup>.

شكّلت اتفاقية مكة الخطوة الأولى لضمّ عسير إلى أراضي المملكة السعودية، ذلك أن حكام الأدارسة كانوا أعجز من أن يوقفوا تفكك الإمارة أو أن يحموها من أطماع إمام اليمن، فاختاروا الدخول في تبعية المملكة السعودية، فعقدوا مع الملك عبد العزيز اتفاقية في ٢٧ تشرين الأول ١٩٣٠م، وضعت الإمارة تحت حمايته على أن تنتقل السلطة إليه بعد وفاة الحسن<sup>(٢)</sup>، فتجاورت أراضي المملكة وإمارة اليمن، وأضحى في شبه الجزيرة العربية دولتان مستقلتان ومتواجهتان، وانفجرت الخصومة بينهما في عام ١٩٣١م، وتمخّضت عن انتصار الملك السعودي، واكتسح السعوديون سهول تهامة، وسيطروا على الحديدة، واضطر الإمام اليمني إلى قبول عقد معاهدة الطائف في ٢٠ أيار ١٩٣٢، رضي بموجبها أن تكون عسير تحت حماية السعوديين<sup>(٣)</sup>.

أضحى واضحاً منذ صيف ١٩٣٢م أن النظام السعودي توطّد في كل الأراضي الشاسعة لمملكة الحجاز ونجد وملحقاتها، وفي ٢٣ أيلول ١٩٣٢م، أصدر الملك عبد العزيز في الرياض أمراً ملكياً بتوحيد المملكة التي تقرر أن تُعرف منذ ذلك الحين باسم: المملكة العربية السعودية، وعيّن الملك ابنه سعود وليّاً للعهد<sup>(٤)</sup>.

استمرت العلاقات السعودية - اليمنية متوترة حتى ١٥ أيار ١٩٣٤م، حين وقّع الأمير فيصل وعبد الله الوزير المقرّب من الإمام اليمني الهدنة واتفقا على شروط معاهدة الصلح التي جسّدتها اتفاقية الطائف في ٢٠ أيار، ونصّت على إقامة علاقات سلمية ووديّة بين البلدين واعتراف كل منها باستقلال الآخر وسيادته، وتخلّى الإمام عن ادعاءاته بأراضي إمارة الأدارسة، وفي المقابل انسحبت القوات السعودية من الأراضي التي سيطرت عليها، وتقرّر ترسيم الحدود، وألزم الإمام بدفع مائة ألف

(٢) المرجع نفسه: ص ٣٤٢.

(٤) حمزة: ص ٨٤ - ٨٧.

(١) فاسيليف: ص ٣٤١ - ٣٤٢.

(٣) أنطونيوس: ص ٤٦٦ - ٤٦٢.

جنه استرليني ذهب كتعويضات، ومدة المعاهدة عشرين عاماً، وتمّ ترسيم الحدود السعودية اليمنية في عام ١٩٣٦<sup>(١)</sup>.

وكان لا بدّ من أجل تعيين الحدود الشمالية من أن يتمّ التفاوض مع بريطانيا بوصفها دولة منتدبة على الأراضي المتاخمة للمناطق السعودية، وكانت القبائل في حال تنقّل دائم بين مناطق الحدود مع العراق وشرق الأردن وسوريا، وهي تحت الانتداب البريطاني والفرنسي، وتثير مشكلات معقدة يتوجّب حلّها، ففتحت بريطانيا باب المفاوضات مع الملك السعودي، نتج عنها توقيع اتفاقية حدّاء في ٢ تشرين الثاني ١٩٢٥م حصل الملك بموجبها على وادي السرحان، وتحدّد شريط من المنطقة الواقعة تحت الانتداب البريطاني فاصلاً بينه وبين المنطقة الواقعة تحت الانتداب الفرنسي.

وكانت اتفاقية بحرة في الأول من تشرين الثاني قد نظّمت تنقّل القبائل من نجد إلى العراق وشرق الأردن وبالعكس على نحوٍ يكفل الهدوء لمناطق الحدود<sup>(٢)</sup>.

وما كادت اتفاقية ترسيم الحدود الشمالية تتم حتى أثار الملك عبد العزيز أمر العلاقات بينه وبين بريطانيا، وكانت خاضعة آنذاك إلى اتفاقية عقدها مع حكومة الهند البريطانية في كانون الأول ١٩١٥م، وهي تضعه في شبه تبعية للبريطانيين، ولما لم تكن الاتفاقية مرهونة بمدة زمنية محدّدة، حرص الملك عبد العزيز على عقد اتفاقية جديدة أكثر ملاءمة لوضع الاستقلال الحقيقي، وكان قد تفرّغ بعد ضمّ الحجاز وثبّت أركان حكمه، فأجرى مباحثات مع بريطانيا نتج عنها عقد اتفاقية جدّة في ٢٠ أيار ١٩٢٧م، اعترفت بريطانيا بموجبها بعبد العزيز ملكاً على الحجاز ونجد وتوابعها، ومدة المعاهدة سبع سنوات قابلة للتجديد بموافقة الطرفين، وقد جُدّدت فعلاً مع بعض التعديلات في عام ١٩٣٤م<sup>(٣)</sup>.

التفت الملك عبد العزيز، بعد أن وضع علاقاته مع بريطانيا على أسس مقبولة، إلى تعزيز مركزه الدولي بعقد المعاهدات مع الدول الأجنبية التي يدخل في حكمها الرعايا المسلمين، أي هولندا وفرنسا وروسيا وإيطاليا، وقد وضع عقدها حدّاً للنزاعات، وفتح الأبواب أمام تغلغل الثقافة والاقتصاد والتفاعل الحرّ بين القوى التي لها علاقة بمستقبل العرب<sup>(٤)</sup>.

(٢) أنطونوس: ص ٤٦٢.

(٤) المرجع نفسه: ص ٤٦٤.

(١) فاسيليف: ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٣) المرجع نفسه: ص ٤٦٣.



## جهود الملك عبد العزيز الاجتماعية والاقتصادية

رأى الملك عبد العزيز بثاقب بصره أن حياة البداوة التي تطبع المجتمع في نجد وملحقاتها؛ غير مستقرة وتعوق تقدم الدولة التي يُريد إنشاءها، لذلك عمل منذ عام ١٩١٠م على تحويل المجتمع النجدي من حياة الغزو والارتحال والتنقل وراء الماء والكلاء، إلى حياة زراعية مستقرة حول مركز ثابت، فبدأ بتوطين البدو في منطقة الأوطاية الزراعية في منازل ثابتة، ووزع عليهم الأراضي وأمدّهم ببذور النباتات، وحدد لهم نظاماً لتوزيع المياه، وشجّعهم على امتحان العمل الزراعي والحرف اليدوية، وزوّد كل فرد قادر بالسلاح والعتاد، على أن يلبي نداءه عندما يدعوه إلى الجهاد، ويشبه هذا النظام، نظام الإقطاع العسكري الذي كان سائداً في المشرق في العصور الوسطى، وأمن للمملكة جيشاً نظامياً.

شجّع نجاح مشروع الأوطاية الملك عبد العزيز على مواصلة توطين البدو في عدد من القرى الزراعية القائمة على بئر أو نبع ماء عُرفت باسم الهجر<sup>(١)</sup>، وأغراهم بالمنح والمساعدات، وأمدّهم ببذور النباتات للزراعة والاستثمار<sup>(٢)</sup>.

وعمل الملك عبد العزيز على انتشار البدو من الجهل، فنشر العلم في أوساطهم وعلمهم فرائض الإسلام وأحكام الشريعة.

كُتب لمشروع الملك عبد العزيز في توطين البدو نجاحاً باهراً، فقد بلغ عدد الهجر في حياته ما يزيد عن مائة واثنين وعشرين هجرة<sup>(٣)</sup>، وعُرف سكان الهجر بالإخوان، وكانوا يميزون أنفسهم بعصابة بيضاء يلفونها على رؤوسهم بدل العقال التقليدي.

بعد نجاح الملك عبد العزيز في توطين بدو نجد وملحقاتها التفت إلى توطين بدو الحجاز، وقد أحرز نجاحاً ملحوظاً في ذلك.

وحقق الملك عبد العزيز نجاحاً ملفتاً في إدارة دولته، فأنشأ نظاماً قائماً على التقدم والعدالة في بلاد مفتوحة وامتامية الأطراف ظلّ سكانها من البدو على مدى قرون يتحدثون كل سلطة سوى سلطة شيوخهم، ويرفضون أن يرتبطوا بأي نظام سوى شرعة القبيلة، وهي تجربة في التخطيط الاجتماعي قد تؤدي إلى نتائج دائمة لأنها تُحقق أهدافاً أخلاقية ومادية معاً.

(١) الزركلي، خير الدين: قاموس الأعلام: ج١ ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٢) عطار: ج١ ص ١٩٨ - ١٩٩، ٢٠٠ - ٢٠١. Philby: p62.

(٣) جريدة أم القرى تاريخ ٦ رجب ١٣٤٧هـ.

## سلطة الملك عبد العزيز السياسة

ظلَّ الملك عبد العزيز في نظر الحضر أميراً على نجد والأراضي التي ضمَّها، أي حاكماً مطلق الصلاحية، لذا كان تحوُّل لقبه إلى سلطان ثم إلى ملك أمراً طبيعياً، في حين دعاه البدو بشيخ المشايخ، وكان بإمكان أي بدوي أن يخاطبه بكل بساطة، وبدون ألقاب، ولُقِّب شأن أسلافه بالإمام، ولا يقتصر ذلك على إمامة المسلمين في الصلاة فقط؛ بل يتعدى ذلك إلى زعامة المسلمين السياسية، لذلك ينبغي على رعاياه طاعته من دون قيد أو شرط، ويُشرف الأمير بحكم موقعه في المجتمع على التطبيق السليم لأحكام الشرع، ويتولى تنفيذ الأحكام القضائية، كما يُشرف على الأشغال العامة ويوفر الأمن للرعية، ويضمن عمل الخدمات العامة، ويُصدر التوجيهات الاجتماعية والاقتصادية في إطار أحكام الشريعة الإسلامية.

ويتشاور الأمير مع العلماء، وهو ملزم بالتمسك بأحكام القرآن والسنة وفقاً لتفسيراتهم، ويُوقَّر لهم ذلك نظرياً مكانة مهمة في التأثير والرقابة، ولكن محدودة، ويؤدي العلماء في المجتمع الوهابي دوراً مهماً بفعل تغلغل الدين في كل ميادين الحياة، وكان الملك عبد العزيز يُقدِّرهم ويحترمهم ويُقدِّمهم في مجلسه، ولهم فيه كلمة مسموعة، كما أنه يستمع إلى نصحتهم.

## تنظيم الدولة

قام الديوان الملكي في الرياض بوظائف الحكومة في البلاد كلها، وتألَّف من المجلس الخاص وعدد من الشُّعب هي بمثابة وزارات تختص بإدارة الشؤون العامة في مختلف مجالاتها<sup>(١)</sup>، وكانت كلمة الفصل في كل القضايا للملك.

وعندما اكتملت مرحلة التأسيس في عام ١٩٢٦، وبعد اكتمال وحدة الأرض والشعب والأمن، وتحول اسم المملكة إلى اسمها الحالي، المملكة العربية السعودية؛ بدأ التنظيم الإداري في النمو، فتأسست وزارات الدفاع والمالية والداخلية والشورى، فصدر المرسوم الملكي رقم ٤٢٨٨/١٩/٥ بإنشاء مجلس الوزراء في (٢١ صفر ١٣٧٣هـ/ ٣٠ تشرين ١٩٥٣م)<sup>(٢)</sup>.

يُعيِّن الملكُ أمراءَ المحافظات الرئيسة ويُعيِّن هؤلاء بدورهم أمراءَ التقسيمات الإدارية الأصغر، لكن بوسع الملك أن يتدخل في اختيارهم، وأسندت لأمراء المحافظات الإشراف على قبائل البدو، هذا في نجد وملحقاتها، أما في الحجاز فقد

(١) الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز: ص ٣٥٥ - ٣٥٦.

(٢) مجلة المنهل عدد ٦٠٦، ربيع الأول وربيع الثاني ١٤٢٨هـ، ص ٢٠٢.

أقام الملك عبد العزيز نظاماً معقداً للإدارة، فأصدر في آب ١٩٢٦م وثيقة تُعرف باسم «التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية» وتُسمى أحياناً بـ «الدستور»، وتنصُّ على أن المملكة مرتبطة بعضها ببعض، وأن الحجاز دولة ملكية شورية إسلامية مستقلة داخلياً، وأن مكة المكرمة عاصمة الدولة الحجازية، ويديرها صاحب الجلالة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وفقاً لأحكام الشرع الإسلامي، وذلك عبر نائب له يعينه عليها، وتتولى ست شُعب الشؤون العامة، وهي الشرع والداخلية والخارجية والمالية والمعارف والجيش، كما نصّت الوثيقة على تأسيس مجلس شورى يضم نائب الملك ومستشاريه وستة من أشرف الحجاز، يُعيّنهم الملك، ويتمتع المجلس بصلاحيات استشارية وتشريعية، فهو يعالج القضايا المتعلقة بميزانية الدولة والبلديات ويتولى إعطاء الرخص للشروع في عمل مشاريع اقتصادية وعمرانية، ويسنُّ القوانين والأنظمة، ويبثُّ في استخدام الموظفين المحليين والأجانب، وأضيفت إلى صلاحياته في عام ١٩٣٢م العناية بشؤون الحجاج<sup>(١)</sup>.

وصدر في تموز ١٩٢٨م مرسوم ملكي يقضي بتشكيل مجلس شورى للحجاز ونجد وملحقاتها، معاً، إلا أنه لم يُطبق.

ويعود تاريخ مجلس الوزراء في الحجاز برئاسة نائب الملك الأمير فيصل إلى كانون الثاني عام ١٩٣٢م، وقد ضمَّ الرئيس، أي نائب الملك، ووكلاء الخارجية والمالية والداخلية وأعضاء مجلس الشورى<sup>(٢)</sup>.

وهكذا توحدت المملكة العربية السعودية بكل أقسامها تحت سلطة الملك المركزية في ١٨ أيلول ١٩٣٢م، لكن التركيب الإداري ظلَّ منقسماً بين نجد والحجاز، وأشار المرسوم المتعلق بذلك إلى أن تشكيلات الحكومة الحاضرة في الحجاز ونجد وملحقاتها تظلُّ على وضعها مؤقتاً إلى أن يتم وضع تشكيلات جديدة، وكُلِّف مجلس الوزراء الحجازي بأن يشرع فوراً في إعداد النظام الأساس (الدستور) للمملكة ونظام تشكيلات الحكومة، لكن ذلك لم ينجز، وظلَّت الفوارق الإدارية بين القسمين قائمة لمدة طويلة.

### اكتشاف النفط في المملكة العربية السعودية

كان الحج المورد الرئيس لعائدات المملكة العربية السعودية، لذا فإنَّ تقلُّص عدد الحجاج بسبب الأزمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٢٩م، وازدياد النفقات الداخلية بسبب إصلاحات الملك عبد العزيز، أدى إلى تراجع المالية العامة، فتوقفت المملكة

(١) مجلة المنهل عدد ٦٠٦، ربيع الأول وربع الثاني، ١٤٢٨هـ، ص ٥٧١ - ٥٧٣.

(٢) حمزة: ص ٧٨.

عن تسديد ديونها، ولم تفلح محاولاتها في الحصول على قروض جديدة<sup>(١)</sup>.

دفعت الحاجة الماسة إلى موارد مالية الملك عبد العزيز على منح أول امتياز للتنقيب عن النفط إلى شركة بريطانية في عام ١٩٢٣م، هي شركة إيسترن آند جنرال سنديكت، ويبدو أن هذه الشركة لم تستخدم هذا الامتياز الذي انتهى في عام ١٩٣٣م، وكان الأميركيون الذين زاروا المملكة في العشرينات وأوائل الثلاثينات قد تركوا انطباعاً إيجابياً في نفس الملك، ما دعاه لاحقاً إلى اختيار شركة أميركية للتنقيب عن النفط واستغلاله لقاء مبالغ مالية، وكان كارل تويتشل وهو مهندس مناجم أميركي، قد ناقش مع الملك موارد المملكة الباطنية في جدة في عام ١٩٣١م، وجرى التركيز آنذاك على المياه، وتأسست في عام ١٩٣٤م المؤسسة العربية - الأميركية المحدودة للتعدين، لاستغلال الذهب الذي وُجد على بُعد حوالي ثمانين كيلومتراً جنوبي المدينة المنورة، ثم جاء قرار الملك عبد العزيز بالتنقيب عن النفط بعد مباحثات جديدة مع شركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا، والتي انتهت بمنح الشركة حقّ التنقيب عن النفط لقاء مبلغ معيّن وحصّة للمملكة، ووقع الاتفاق وزير المال السعودي عبد الله السليمان، ولويد هاملتون عن الشركة وذلك في أيار ١٩٣٣م، وفي ٧ تموز وقّع الملك عبد العزيز المرسوم الرقم ١١٣٥ بمنح الامتياز للشركة.

وهكذا بدأت تبشير عهد جديد في تاريخ المملكة العربية السعودية ستُحدث انعطافة في نموّها وفي علاقاتها مع الخارج.

كانت الشركات الأميركية في العشرينات غير مكترثة بالاحتياطات النفطية خارج الولايات المتحدة، أو تُمنى بإخفاقات في محاولاتها الحصول على امتيازات في النصف الشرقي من العالم بسبب القيود السياسية للدول الأوروبية الاستعمارية. لكن الشركات الأميركية أخذت منذ أوائل الثلاثينات تهتم بالرواسب النفطية في الخارج لثلاثة أسباب، فهي تخشى: نزوب النفط في الولايات المتحدة، وسيطرة الشركات الأنكلو - هولندية على موارد النفط في الشرق، بالإضافة إلى أنها لم تشأ أن تظل بعيدة عن استثمار حقول النفط الزهيد السعر الموجود في مواقع قريبة من الأسواق المهمة<sup>(٢)</sup>.

وبدأ عالمان جيولوجيان أميركيان، هما: برت ميلر وكروغ هنري، بالعمل في المملكة، في ٢٣ أيلول ١٩٣٣م، وانضم إليهما لاحقاً كارل تويتشل ثم سوك هوفر

(١) وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين: ص ١٣٦.

(٢) Klebanoff, S.H: Middle east oil and U.S. foreign policy p4.

الذي اصطحب معه المعدّات الضرورية من الولايات المتحدة الأمريكية، وفي أوائل صيف ١٩٣٤م أُتخذ قرار باختيار قمة الدمام بالحفر؛ إذ إنّ التكوين الجيولوجي لهذه القمة شبيه بمثيله في البحرين على بُعد نحو أربعين كيلومتراً فقط، وبدأت عملية الحفر، فحُفرت سبع آبار لم تكن نتائجها مشجعة، وفي خريف عام ١٩٣٧م استؤنفت الحفر في بئر الدمام رقم (٧)، وعندما بلغ الحفر عمق ١٤٤٠ متراً تدفقت كميات ضخمة من النفط، وكان ذلك فاتحة عهد جديد في تاريخ المملكة العربية السعودية والعالم، وقد تمّ إنجاز حفر البئر في آذار ١٩٣٨م، وتأسست شركة الزيت العربية - الأمريكية (أرامكو) والمعروفة اليوم باسم أرامكو السعودية.

وتزايدت إيرادات النفط مع مرور الزمن فتجاوزت الإيرادات ذات المصادر الأخرى، فاستخدم الملك عبد العزيز الثروة الجديدة في بناء الأسس والإنشاءات الأساسية في بلاده.

كان توقيع اتفاقية التنقيب عن النفط في عام ١٩٣٣م، فاتحة التغلغل الأمريكي الاقتصادي والسياسي في المملكة العربية السعودية، وقطع الطريق على بريطانيا التي قضت أكثر من قرن تعمل وتُخطط للاستئثار بالثروات العربية في شبه الجزيرة العربية<sup>(١)</sup>.

## المملكة العربية السعودية خلال الحرب العالمية الثانية

التزم الملك عبد العزيز جانب الحياد خلال الحرب العالمية الثانية، ونأى بنفسه وبدولته عن الاشتراك في العمليات العسكرية إلى جانب أيّ من الطرفين الحلفاء ودول المحور.

كانت ألمانيا الهتلرية تأمل خلال الحرب الوصول إلى إيران وأفغانستان والهند لضرب المصالح البريطانية فيها واتخاذها معبراً لمهاجمة الاتحاد السوفياتي من الجنوب، لذلك كان عليها أن تمرّ عبر البلاد العربية وتركيا، وأثارت ثروات العالم العربي في الشرق الأوسط اهتمامها، فأخذت تتقرب من العرب، وجرت الدعاية في هذه البلدان تحت شعار: انتصار دول المحور يُحرّر شعوبها من الاستعمار البريطاني، ما يُهدّد سيطرة بريطانيا عليها ويحرمها من تسخير إمكاناتها البشرية والمادية في الحرب.

وعندما ابتدأت الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩م ودارت عجلتها، أعلنت المملكة العربية السعودية وقوفها على الحياد، لكن مع توجه موالٍ لبريطانيا بفعل

(١) قدورة، زاهية: شبه الجزيرة العربية، كياناتها السياسية: ص ٧٩ - ٨٠.

المصالح المشتركة، والمعروف أن المملكة كانت تتاجر مع البلدان الشرقية التابعة للإمبراطورية البريطانية أو الدائرة في فلكها، وكانت الهند المصدر الرئيس للحبوب إلى المملكة، كما كانت غالبية الحجاج تأتي من بلدان إسلامية تابعة لبريطانيا، بالإضافة إلى ارتباط النقد السعودي بالجنية الاسترليني، وكانت المملكة محاطة بمحميات وقواعد عسكرية بريطانية، ويسيطر الأسطول البريطاني على البحر الأحمر والخليج العربي<sup>(١)</sup>.

وتعرّض الملك السعودي لضغط من دول المحور لاستقطابه، وطالب عدد من مستشاريه بالتعاون مع ألمانيا وإيطاليا وتطوير علاقات المملكة معهما التي ترعاها معاهدة عام ١٩٢٩م مع ألمانيا ومعاهدة عام ١٩٣٢م مع إيطاليا، رفض الملك ذلك حتى في الوقت الذي كانتا فيه في ذروة انتصاراتهما، إلا أنه قبل أوراق اعتماد السياسي الألماني غروبا، أحد مسؤولي المخابرات الألمانية، بضغط من إيطاليا، وبفعل انتصارات ألمانيا على جبهات القتال في عام ١٩٤٠م<sup>(٢)</sup>، وكانت إيطاليا قد احتلت الحبشة، وظهرت قطع الأسطول الإيطالي في البحر الأحمر، واحتلت ألمانيا سوريا ولبنان، وجرى في العراق انقلاب بكر صدقي في عام ١٩٤١م المعادي لبريطانيا، والتمس قادة الانقلاب المساعدة من الملك عبد العزيز الذي رفض بفعل ارتباطه مع بريطانيا بعلاقات ودية.

وتغيّر الوضع العسكري في الشرق الأوسط بدءاً من أيار ١٩٤١م، فاحتلت القوات البريطانية مواقع استراتيجية في العراق، وهُزم الجيش الإيطالي في الحبشة، وطردت القوات الإنكليزية والفرنسية المشتركة قوات فيشي الفرنسية الموالية لألمانيا من سوريا ولبنان في تموز، وكانت القيادة الألمانية منهمكة في إعداد حملة ضدّ الاتحاد السوفياتي، فلم تتمكّن من إرسال قوات كافية إلى الشرق لمواجهة القوات البريطانية.

وحاولت الحكومة البريطانية في إحدى مراحل الحرب إدخال قوات عسكرية إلى أراضي المملكة على غرار ما تمّ في العراق وسوريا ولبنان، ولكنها اصطدمت بالمصالح الأميركية الموجودة فيها، ونفور أهلها من الأجانب، وسرعان ما فسخ الملك السعودي معاهدة الصداقة مع ألمانيا في أيلول ١٩٤١م، وطرد المبعوث غروبا من البلد، وكانت العلاقات مع إيطاليا قد قُطعت في عام ١٩٤٠م<sup>(٣)</sup>.

وعلى الرغم من سياسة الحياد، فقد تأثّر الاقتصاد السعودي بأعباء الحرب، فقد

(١) فاسيليف: ص ٣٨٩ - ٣٩٠.

(٢) فاسيليف: ص ٣٩١ - ٣٩٢.

(٣) وهبة: ص ١٠٨ - ١٠٩.

استنزفت القوات السعودية المستنفرة عائدات الدولة، وأدّى تغيُّب الرجال عن قراهم ومزارعهم إلى الإضرار بالزراعة، وتقلَّص عدد الحجاج، وارتفعت أسعار السلع المستوردة، في الوقت الذي لم يطرأ أي تغيير في استخراج النفط في بداية الحرب، فاضطر الملك السعودي إلى استلاف القروض من الشركات النفطية، كما تلقَّى مساعدات أميركية وفق برنامج الإعارة والتأجير، وأكَّد الرئيس الأميركي فرانكلين روزفلت بناء على نصيحة الشركات النفطية الأميركية بأن الدفاع عن السعودية له أهمية حيوية لمسألة الدفاع عن الولايات المتحدة؛ ما أدَّى إلى ازدياد النفوذ الأميركي على حساب النفوذ البريطاني<sup>(١)</sup>.

وبازدياد الطلب على النفط خلال الحرب، عمدت الولايات المتحدة الأميركية إلى دعم مصالحها في المملكة، فأرسل الرئيس روزفلت في ربيع عام ١٩٤٣م الجنرال هارلي إلى السعودية لاستيضاح أوضاع شركات النفط الأميركية هناك، وعيَّنت الحكومة الأميركية في آذار ١٩٤٢م، قائماً بالأعمال في جدة، وفي تشرين الأول ١٩٤٣م زار ولي العهد سعود الولايات المتحدة الأميركية وأمضى فيها شهراً كاملاً، كما زار الأميران فيصل وخالد الولايات المتحدة الأميركية واجتمعا بالرئيس روزفلت وأعضاء الإدارة ومجلسي الشيوخ والنواب، وزار الجنرال رويس، القائد العام للقوات المسلحة الأميركية في الشرق الأوسط، السعودية في كانون الأول ١٩٤٣م، واتفق مع العاهل السعودي على بناء مطارات عسكرية في الظهران والدوكة، أنجزت في عام ١٩٤٦م، ووصلت إلى المملكة بعثة عسكرية أميركية تولَّت مع مجموعة من المدربين الإنكليز تدريب الجيش السعودي، وزوِّدت الولايات المتحدة، المملكة خلال الحرب، بالأسلحة والمعدات العسكرية وفق برنامج الإعارة والتأجير<sup>(٢)</sup>.

أدَّت هذه الزيارات المتبادلة، والمساعدات العسكرية إلى زيادة التقارب بين الولايات المتحدة الأميركية والمملكة العربية السعودية وتغلغل النفوذ الأميركي، وحلول النفوذ الأميركي محل النفوذ البريطاني الذي تراجع بشكل ملحوظ.

توجَّت العلاقات السعودية الأميركية باجتماع الملك عبد العزيز مع الرئيس الأميركي فرانكلين روزفلت على ظهر الطراد الأميركي كوينسي في البحيرات المرة في قناة السويس، في ١٥ شباط ١٩٤٥م، وتركز اللقاء حول القضية الفلسطينية والعلاقات الثنائية، وأسفر عن التوجهات الآتية:

- رفض الملك السعودي اقتراح الرئيس الأميركي بإسكان اليهود في فلسطين.

- حرية استخدام السفن الأميركية والبريطانية الموانئ السعودية الواقعة على الخليج العربي.

- إقامة قاعدة جوية ضخمة في الأراضي السعودية.

- اشترط الملك السعودي ألا تتعرض بلاده للاحتلال أو قطع أي جزء من أراضيها.

- يحصل الجيش الأميركي على المناطق التي يحتاج إليها على سبيل الإعارة ولمدة خمس سنوات.

- تحصل السعودية على قسم من السلاح الخفيف المخزون في إيران مقابل تعهد الملك السعودي بإعلان الحرب على دول المحور.

- طلب الملك عبد العزيز من الرئيس روزفلت مدّ يد الصداقة معه ودعم استقلال بلاده، وحصل على وعد بذلك.

- أكد الملك السعودي لروزفلت أن الامتيازات النفطية الأميركية باقية على حالها، ووافق على إنشاء خط لأنابيب النفط عبر شبه الجزيرة العربية يربط منطقة الأحساء بسواحل البحر الأبيض المتوسط.

ما إن علم رئيس الوزراء البريطاني تشرشل بنبأ اللقاء بين الملك عبد العزيز والرئيس روفلت حتى تملكه الغيظ، فأرسل البرقيات إلى سياسيه مُعبِّراً عن رغبته في مقابلة الملك السعودي، وفعلاً تمّ اللقاء بعد يومين في مصر، حاول خلاله تشرشل أن يحدّ من النفوذ الأميركي في المملكة، لكن اللقاء لم يُسفر عن نتيجة إيجابية، واستغلت واشنطن عدم ثقة آل سعود ببريطانيا لتعزيز مواقع الولايات المتحدة الأميركية في المملكة<sup>(١)</sup>.

وأعلنت المملكة العربية السعودية الحرب على دول المحور في آذار ١٩٤٥م، ما أتاح لها الانضمام إلى هيئة الأمم المتحدة والاشتراك في وضع ميثاقها والحصول على مساعدات مالية وعسكرية من الحلفاء.

### السنوات الأخيرة من عهد الملك عبد العزيز

استمرت العلاقات السعودية - الأميركية في التطور والنموّ في المجالين النفطي والعسكري بخاصة، ورفّع التمثيل السياسي الأميركي في جدة إلى مستوى السفارة في عام ١٩٤٩م، ومُدّدت في عام ١٩٥١م اتفاقية استعمال قاعدة الظهران خمس سنوات

(١) فاسيليف: ص ٣٩٦ - ٣٩٧.



أخرى، واستمرت الولايات المتحدة الأميركية في تسليح المملكة وتدريب قواتها العسكرية.

شاركت المملكة العربية السعودية في الحرب العربية - الصهيونية الأولى على الجبهة المصرية، وبذل الملك عبد العزيز جهوداً لاتتهاج سياسة حذرة ومحيدة مع الدول العربية، وابتعد عن سياسة الأحلاف والمحاور التي كانت ناشطة في تلك المدة، وأمر في عام ١٩٥٢م بإلغاء رسم الحج الذي بلغ آنذاك ثمانية وعشرين جنيهاً استرلينياً، ما أكسبه شعبية كبيرة وسمعة طيبة في العالم الإسلامي<sup>(١)</sup>.

وبفضل الزيادة السريعة في استخراج النفط وتعديل اتفاقيات الامتياز، ازدادت عائدات المملكة في السنوات الأولى التي أعقبت الحرب، بشكل ملحوظ، وصدرت في ١٩٥١ - ١٩٥٢م أول ميزانية عامة في تاريخ المملكة، وتبع ذلك إنشاء أول مصرف في البلاد، وأمر الملك عبد العزيز في تشرين الأول ١٩٥٣م، أي قبل وفاته بأيام، بإنشاء مجلس للوزراء يشمل البلاد كلها، ويكون مسؤولاً أمامه، وله أن يمارس حق النقض على قراراته، وعمد إلى تحديث أساليب الحياة البدوية على الرغم من معارضة بعض رجال الدين المتشددين، وأنشأ خطأً حديدياً بين الدمام والخليج العربي، وشجّع على إنشاء الطرق الداخلية والمرافئ والمطارات، وسمح بإنشاء إذاعة رسمية.

كان أكثر ما يخشاه الملك عبد العزيز هو حدوث تنافس على السلطة بين ولديه سعود وفيصل، فطلب منهما قبيل وفاته أن يُقسما على ألا يتنازعا، وقصّ ما حلّ بأبيه وأعمامه بعد وفاة جده فيصل، وخشي أن يؤدي الشقاق داخل الأسرة إلى تقسيم المملكة<sup>(٢)</sup>.

توفي الملك عبد العزيز في ٩ تشرين الثاني ١٩٥٣م في الطائف، بعد حكم حافل بالأحداث المصيرية استمر واحداً وخمسين عاماً، أرسى خلالها دعائم المملكة، ورسم الخطوط العريضة لسياساتها الداخلية والخارجية، وقد حكم طوال هذه المدة حكماً مطلقاً، ولم يحدّ من صلاحياته الواسعة سوى التزامه بالشريعة الإسلامية، واحترامه للأعراف والتقاليد والتحالفات القبلية والعشائرية.

## الملك سعود بن عبد العزيز

### إنجازاته الداخلية

خلف الملك سعود أباه الملك عبد العزيز في ١١ تشرين الثاني ١٩٥٣م وكان ولياً للعهد منذ عام ١٩٣٣م، تميّز عهده بالإنجازات التنموية الكبيرة والمشاريع التأسيسية. كانت فاتحة أعماله تعيينه أخيه فيصل نائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للخارجية، واحتفظ لنفسه برئاسة الحكومة.

واصلت الدولة في عهده مسيرتها التنموية، فأصدر توجيهات ومراسيم ملكية لتطوير أجهزة الدولة وقطاعاتها المدنية والعسكرية، وأنشأ وزارات جديدة لمواكبة النهضة الحديثة التي كانت تمرُّ بها البلاد خلال هذه المرحلة من مراحل التأسيس والتنظيم الإداري ونمو موارد البلاد وتطويرها، فصدرت مراسيم ملكية عدة أسست وزارات جديدة مثل: المعارف والزراعة والتجارة والمواصلات، والصحة والبتروال والثروة المعدنية، والحج والأوقاف، ويرجع إليه الفضل في تأسيس مجلس الوزراء في ٧ آذار ١٩٥٤، فترأس الجلسة الأولى وألقى فيها خطاب العرش، حدّد فيه سياسة المملكة الداخلية والإصلاحات التنموية والإنجازات الوطنية في البلاد، وأعلن عن تمسكه بأهداب الدين، وعزمه على مواصلة سياسة والده وأساليب حكمه، وتثبيت أصول الدين والشرع، وأن من مهمات حكومته: تعزيز الجيش، ومكافحة الفقر والجوع والمرض، وتحسين الخدمات الطبية، وأكد على الالتزام بالتقاليد ومراعاتها، وأشار إلى الرغبة في تحديث وتطوير الجهاز الحكومي<sup>(١)</sup>.

تركز اهتمام الملك سعود على نشر العلم على مختلف مستوياته التعليمية، فأنشأ الرئاسة العامة لتعليم البنات في عام ١٩٥٧م، وافتتح كلية الشريعة وكلية اللغة العربية في الرياض في العام نفسه، وأسّس إدارة عامة للمكاتبات في وزارة المعارف في عام ١٩٥٨م، ووكالة للشؤون الثقافية في عام ١٩٦٠م، ومعهد الإدارة العامة للتنظيم الإداري في العام نفسه، وجامعة إسلامية في المدينة المنورة في عام ١٩٦١م، ومعهد المعلمين الثانوي في العام نفسه، وكلية التربية بمكة في عام ١٩٦٢م، وطوّرت بعض القطاعات العسكرية والمدنية والخدماتية التي تهتم بشؤون المواطنين، وصدرت الكثير من الأنظمة التي تُعنى بمختلف نواحي الحياة في مواجهة التطور السريع الذي تعيشه البلاد<sup>(٢)</sup>.

(١) سعيد: ج٣ ص١٦ - ١٧.

(٢) مجلة المنهل عدد ٦٠٩، شهري ذو القعدة وذو الحجة عام ١٤٢٨هـ، ص١٣٢ - ١٣٤.

وُسِّدَتْ في عهده المباني الحديثة، وتوسعت المدن والقرى، وُعْبِدَت الطرق الحديثة، وتمَّ توسيع المسجد النبوي في المدينة، وبُدئ بتوسيع المسجد الحرام في مكة، وزوَّد الجيش بالأسلحة الحديثة<sup>(١)</sup>.

وتمَّ في عهده توجيه الدعوة لعقد أول مؤتمر إسلامي في مكة في موسم الحج لعام ١٩٥٥م، لبحث أوضاع المسلمين العامة وحل مشكلاتهم، وانبثقت عنه فيما بعد رابطة العالم الإسلامي في عام ١٩٦٢م، وافتتح الملك اجتماعها الأول في ٢٦ أيار من العام نفسه.

وشعر الملك سعود منذ أن تولَّى الحكم بِعِظَم المسؤولية الملقاة على عاتقه، فأخذ يتفَقَّد شؤون الرعية وأحوال المواطنين، ويُسرف على سير الأمور، وقام بزيارات متعددة للدول العربية والإسلامية والأوروبية بهدف توطيد العلاقات مع هذه الدول سياسياً واقتصادياً، وأرسى قواعد التعاون للمملكة على الصعد التنموية كافة<sup>(٢)</sup>.

وأحدث إنتاج النفط انعطافة في مختلف أوجه الحياة الاقتصادية والثقافية، والاجتماعية بخاصة، فدخلت الحضارة المادية إلى المجتمع السعودي، فغيَّرت نمط حياته، وأوجدت طبقات متفاوتة في العلم والفن والثقافة، وخلقت طبقة حرفية وصناعية وتجارية، ولاحق في المملكة في أواخر الأربعينات، وأوائل الخمسينات البوادر الأولى التي تشير إلى ظهور قوى اجتماعية جديدة، أخذت تطالب بإصلاحات سياسية واجتماعية.

## سياسته الخارجية

استندت سياسة المملكة العربية السعودية الخارجية منذ عهد الملك عبد العزيز على مضمون التعليمات التي زوَّد بها الملك ابنه سعود قبل زيارته للولايات المتحدة في عام ١٩٤٧م، وأشارت إلى وجود مصالح مشتركة تربط المملكة بالولايات المتحدة، وتؤكد تصميمها على اتخاذ جميع التدابير التي تكفل تنمية الصداقة والمصالح الاقتصادية والأدبية للجانبين<sup>(٣)</sup>.

وجاء في التعليمات فيما يتعلق بعلاقة المملكة مع بريطانيا، أنه على الرغم من الصداقة التي تجمع الجانبين، فقد اتخذت بريطانيا مواقف سلبية وغير ودية في بعض

(١) مجلة المنهل عدد ٦٠٩، شهري ذو القعدة وذو الحجة عام ١٤٢٨هـ، ص ١٣٢ - ١٣٤.

(٢) القصير، السيد عيسى بن علوي آل عيسى: أحلى اللطائف في متجع الطائف: ص ١٩٣.

(٣) ذكرها الزركلي في: كتابه شبه الجزيرة، الملك عبد العزيز: ص ٧٧٣ - ٧٧٨.

الأحيان تجاه المملكة، في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا حريصة على الاحتفاظ بمنطقة الشرق الأوسط ضمن دائرة النفوذ السياسي والاقتصادي البريطاني، غير أن دخول الولايات المتحدة الأميركية بقوة إلى المنطقة أثار مخاوفها، فأخذت تبتعد تدريجاً عن السعوديين تاركة الساحة للأميركيين.

وأشارت التعليمات فيما يتعلق بالعلاقة مع الاتحاد السوفياتي، إلى أن الشيوعية تُشكل خطراً على المملكة بسبب علاقتها القوية مع الصهيونية، كما أنها تستخدم الكنيسة الأرثوذكسية أداة للتغلغل في البلاد العربية.

وتؤكد التعليمات على عداوة العرب لليهود، وبخاصة الصهاينة، بسبب أطماعهم في فلسطين، وترى المملكة ضرورة تجرّد السياسة الأميركية عن التأثير بالعوامل اليهودية المحلية، وتحرّرها من سيطرة الدعاية الصهيونية، والفصل بين قضية اللاجئين اليهود المضطهدين والصهيونية السياسية.

كانت المملكة العربية السعودية بحاجة إلى الرساميل للقيام بمشروعات تنموية، فقدّم لها الأميركيون القروض، لذلك قطعت التبعية التي تربطها بلندن، وساد الأوساط الحاكمة الرأي أن الاعتماد على الولايات المتحدة الأميركية لا يجب أن يؤدي إلى بسط هذه الدولة هيمنة استعمارية أميركية، لكنها كانت حذرة في تحدي بريطانيا مباشرة، وحاولت الاستناد على الولايات المتحدة الأميركية للوقوف ضدّها، والواقع أن النزعة المعادية لبريطانيا داخل الأوساط السعودية الحاكمة أدّت بالمملكة إلى عقد تحالفات سياسية موجهة ضدّها، والمعروف أن بريطانيا كانت تساند الأسرة الهاشمية في الأردن والعراق، وهي الخصم التقليدي للأسرة السعودية، ثم إن مشروع سوريا الكبرى والهلال الخصيب الذي جرى إعدادهما في عمّان وبغداد كانا خطراً يهدد المملكة، وظلّت المحميات البريطانية تُطوّق المملكة، بنصف دائرة في شبه الجزيرة العربية التي تعدّها الرياض مجالها الحيوي<sup>(١)</sup>، والمعروف أن حركة التحرر الوطني في البلاد العربية في الخمسينات، والتي اصطبغت بالصبغة القومية، كانت معادية آنذاك لبريطانيا أيضاً، ولا يعدّ الحركيون الولايات المتحدة الأميركية عدوهم الرئيس، لذا فإن المصالح السعودية توافقت مؤقتاً مع النضال التحرري الوطني لبلدان عربية أخرى، رغم كونها ذات طابع اجتماعي مختلف<sup>(٢)</sup>.

أكّد الملك سعود في خطاب العرش الذي ألقاه في ٧ آذار ١٩٥٤م على ضرورة التعاون مع البلدان العربية في إطار الجامعة العربية وطبقاً لميثاقها ومعاهدة الدفاع

(١) ماضي: ص ٢٢٧ - ٢٥٣، ٢٥٩ - ٢٧٤. (٢) فاسيليف: ص ٤٢١.

العربي المشترك، ودعا إلى تعزيز العلاقات مع البلدان الإسلامية، ووعده باتباع سياسة مناهضة للكيان الصهيوني.

الواضح أن الدعوة إلى تعاون عربي ومناهضة الكيان الصهيوني، والمسحة المناوئة لبريطانيا في السياسة السعودية، هيأت التربة للتقارب مع مصر، واعترف الملك سعود بالنظام الجديد الذي انبثق عن ثورة تموز ١٩٥٢م، وكان أول رئيس دولة عربي يزور القاهرة بعد الثورة، فاجتمع مع رئيس الدولة محمد نجيب ومع جمال عبد الناصر<sup>(١)</sup>.

وفي مطلع آب ١٩٥٤م استغلَّ جمال عبد الناصر وجوده في السعودية لأداء فريضة الحج، فاجتمع مع الملك سعود الذي أيّد جهود مصر ضدَّ حلف بغداد، وقد أثاره انضمام العراق وإيران إلى هذا الحلف، لذا تقربَّ من مصر وسوريا واليمن، وسعى جمال عبد الناصر إلى عقد اتفاقيات عسكرية ثنائية مع الدول العربية لتكون بديلاً عن حلف بغداد، فوَقَّع ميثاق الدفاع المشترك مع سوريا في آذار ١٩٥٥م، أيّده المملّكة العربية السعودية، وعقد مع المملّكة في تشرين الأول معاهدة عسكرية ثنائية، لمدة خمس سنوات تُجدّد تلقائياً إذا لم يُعلن أي من الطرفين عن إبطال مفعولها، وشكّل مجلس أعلى يضم وزراء الخارجية والدفاع في البلدين، ومجلس عسكري وقيادة عسكرية مشتركة.

وزار الملك سعود في آذار ١٩٥٦م القاهرة وقابل الرئيس جمال عبد الناصر، كما زارها الرئيس السوري شكري القوتلي، وتقرّر عقد ميثاق للتعاون والأخوة، ونسّقت الدول الثلاث ذات الأنظمة المختلفة، والمصالح المتباينة، سياساتها على أساس معاداة النظم الاستبدادية والسلطوية، ووصل إلى جدة في نيسان إمام اليمن، حيث التقى بالملك سعود وجمال عبد الناصر، ووقَّع الأطراف الثلاثة اتفاقية الدفاع المشترك<sup>(٢)</sup>.

وأيدت الرياض القاهرة خلال العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م، وأعلنت عن استعدادها لمساعدة مصر عسكرياً، وقطعت علاقاتها السياسية مع بريطانيا وفرنسا، وأوقفت ضخ النفط إليهما وقدمت لمصر مساعدات مالية<sup>(٣)</sup>. لكن مع توثق التعاون بين المملّكة العربية السعودية ومصر، تزايد القلق الذي أثاره هذا التعاون في أوساط الأسرة الملكية الحاكمة والعلماء المتنفّذين، وأخذت الدعاية الإذاعية المصرية تؤثر في بعض فئات السكان ضدَّ الأنظمة الملكية، كما أثار تعاضم شعبية

(١) سعيد: ج٣ ص١٢٣ - ١٢٤.

(٢) المرجع نفسه: ص١٦٤ - ١٦٩.

(٣) المرجع نفسه: ص١٣٩ - ١٤٤.

جمال عبد الناصر داخل المملكة، الملك سعود، ولوحظت دلائل الثوران القومي في كل من الأردن والعراق، إضافة إلى أن وقف ضخ النفط إلى بريطانيا وفرنسا أثر سلباً على عائدات الخزينة، كما أن واشنطن التي عدت القاهرة خصمها العربي الأول في الشرق الأوسط؛ راحت تعمل على تأليب الرياض ضدها.

والواقع أنه حتى تاريخ العدوان الثلاثي على مصر كانت السياسة المصرية موجهة ضد بريطانيا والهاشميين في الأردن والعراق، وكان ذلك متوافقاً مع النهج السياسي للرياض والنزاعات المناوئة لبريطانيا في صنعاء.

وتغير كل شيء بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر، حيث ملأت الولايات المتحدة الأميركية الفراغ الذي أحدثه تراجع قوة بريطانيا وفرنسا في الشرق الأوسط، وراحت تعمل على إخماد حركات التحرر الوطني، ومنعت عدداً من الدول العربية، من التعاون مع الاتحاد السوفياتي، ثم طرحت مبدأ أيزنهاور في كانون الثاني ١٩٥٧م، الموجه أساساً ضد الشيوعية الدولية، عبر مساعدة دول الشرق الأوسط للدفاع عن وحدة أراضيها واستقلالها، والمقصود بسط هيمنتها على الشرق الأوسط بقوة السلاح إذا اقتضى الأمر.

وعوّلت الولايات المتحدة الأميركية على المملكة العربية السعودية في تنفيذ سياستها الشرق أوسطية، نظراً لارتباطها معها اقتصادياً، ولما تتمتع به من نفوذ في العالم الإسلامي، لكن المملكة تخلت عن تأييدها للمبدأ المذكور، وانضمت إلى الدول العربية التي رفضته، وعلى رأسها مصر وسوريا، وأعلنت أن العرب يجب أن يتولوا الدفاع عن أنفسهم خارج إطار التحالفات الأجنبية<sup>(١)</sup>.

وربما كان هذا الموقف مناورة تكتيكية لتهدئة الرأي العام في الداخل، وسائر بلدان الشرق الأوسط في الخارج، ولتفادي خطر مواجهة مع مصر، وبات واضحاً أن العلاقات الودية القائمة على توافق المصالح مع مصر انتهت إلى الطلاق.

والتفت الملك سعود بدفع من الولايات المتحدة الأميركية، إلى التقارب مع الأسرة الهاشمية في الأردن والعراق، وهي الخصم التقليدي للأسرة السعودية، ففي أثناء زيارته لواشنطن في كانون الثاني ١٩٥٧م التقى الملك سعود بولي العهد العراقي عبد الإله، وفي نيسان أقال الملك حسين حكومة سليمان النابلسي ذات التوجه اليساري، وقدم الملك سعود مساعدة عسكرية وسياسية لملك الأردن، وأضحت الرياض والقاهرة على طرفي نقيض<sup>(٢)</sup>.

(١) De Gaury, G: Faisal King of Soudi Arabia p83.

(٢) فاسيليف: ص ٤٣٥. سعيد: ج ٣ ص ٢٠٣ - ٢٠٥، ٢١١.

وانبثقت في ٢٢ شباط ١٩٥٨م الجمهورية العربية المتحدة، مصر وسوريا، وظهرت انتصاراً للقوى الوطنية الديمقراطية في العالم العربي، ولمقاومة هذا المدّ التقدمي، شجّعت واشنطن ولندن قيام الاتحاد العربي بين العراق والأردن ليكون معادلاً للجمهورية العربية المتحدة، وأخذتا تسعيان على حثّ دول عربية أخرى على الانضمام إلى الاتحاد، ولكن الحكومة السعودية وقفت على الحياد على الرغم من أن الملك سعود عدّ الجمهورية العربية المتحدة الخطر الرئيس على عرشه في ظلّ تزايد شعبية جمال عبد الناصر في العالم العربي، وخشيته الدخول في مواجهة سافرة معه.

## التمهيد لاعتلاء الأمير فيصل الحكم

كان الملك سعود يستعين بأخيه وولي عهده ورئيس وزرائه كلما واجهته صعوبات داخلية، وحدث في عام ١٩٥٨م أن توترت العلاقات مع مصر في الوقت الذي كانت فيه المملكة تعاني من أزمة مالية بسبب الإفراط في النفقات، ما أثار قلقاً بالغاً لدى أفراد الأسرة وكبار رجال الدين، وكانت قد جرت قبل ذلك اضطرابات عمالية في المنطقة الشرقية، كما بدت علامات التذمّر واضحة في أوساط الموظفين والمثقفين وبعض الضباط.

طلب الأمير فيصل من أخيه منحه سلطات مطلقة لمواجهة هذه الصعوبات، غير أنه لم يحصل على جواب<sup>(١)</sup>، ما دفعه إلى تقديم استقالته، والتفّ حوله بعض الأمراء المستائين من تزايد نفوذ أبناء الملك وحاشيته، وعلى رأسهم الأمير فهد بن عبد العزيز، فطلبوا من الملك تسليم السلطة إلى الأمير فيصل.

التمس الملك سعود المساعدة من الولايات المتحدة الأميركية، ولكنه لم يتلقَ منها جواباً إيجابياً، كما انفضّ عنه بعض كبار ضباط الجيش، فاضطر إلى قبول طلب الأمراء المستائين، وصدر في ٢٣ آذار ١٩٥٨م مرسوم ملكي يمنح رئيس الوزراء المسؤولية التامة للإشراف على تنفيذ جميع السلطات الإدارية فيما يتعلق بالشؤون الداخلية والخارجية والمالية، كما أضحى القائد العام للقوات السعودية المسلّحة<sup>(٢)</sup>.

أعلن الأمير فيصل فور تسلّمه مهامه الجديدة عن رغبته في إقامة علاقات ودّية مع كل دولة لا تعادي المملكة العربية السعودية، وتؤمن بالحياد الإيجابي، ولا تنتمي لأي كتلة عسكرية<sup>(٣)</sup>.

(١) سعيد: ج٣ ص٢٣٩.

(٢) فاسيليف: ص٤٤٠.

(٣) المرجع نفسه.

ويبدو أن الملك سعود لم يتنازل عن صلاحياته إلا مُرغماً، لذلك حاول استعادتها وتحسين علاقاته مع مصر، فزارها في صيف عام ١٩٥٩م، وحاول أن يدفع عن نفسه شبهات العدا لجمال عبد الناصر<sup>(١)</sup>، وأمضى عام ١٩٦٠م متنقلاً في أرجاء البلاد في محاولة لاستقطاب شيوخ القبائل، وطلب في تشرين الثاني من العام المذكور من الأمير فيصل إحاطته علماً بجلسات الحكومة، وعدم تعيين أمراء للمناطق والمدن والبلدات وقضاة، إلا بموافقة، وبأن يمتنع عن نشر الميزانية من دون مصادقته عليها.

وقدّم الأمير فيصل في ١٨ كانون الأول مسودة مرسوم ملكي حول الميزانية رفضها الملك سعود بحجة عدم تضمينها تفاصيل، فاحتجّ الأمير في رسالة بعثها إلى الملك الذي عدّها طلب استقالة، فوافق عليها في ٢١ كانون الأول، ويعني ذلك استقالة الحكومة.

وتولى الملك سعود مهام رئيس الحكومة، وعيّن وزراء جددًا، وشكّلت عودته إلى السلطة انبعثاً مؤقتاً للتوجهات المناوئة للغرب، وقد اقترنت شكوك الملك تجاه الولايات المتحدة الأميركية بالنزعة القومية لكثير من الأمراء، وفي آذار ١٩٦١م أعلنت المملكة العربية السعودية الولايات المتحدة الأميركية بأنها لن تُجدّد اتفاقية القاعدة الجوية في الظهران بسبب مساعدتها للكيان الصهيوني، فسلمتها الولايات المتحدة الأميركية في ٢٠ نيسان ١٩٦٢م إلى الحكومة السعودية، غير أن العسكريين الأميركيين ما لبثوا أن عادوا إليها بعد ستة أشهر تقريباً إثر اندلاع الثورة في اليمن في ٢٦ أيلول ١٩٦٢<sup>(٢)</sup>.

شكّلت ثورة اليمن تحذيراً للعائلة المالكة، لأن المملكة احتوت على العناصر الموضوعية للدفع الذي أدّى إلى الانفجار الثوري في البلد المجاور<sup>(٣)</sup>. غير أن تطور الأحداث في اليمن في مقابل الاستقرار النسبي للنظام الملكي في المملكة بيّن أن معظم الرأي العام السعودي لا يُحبّد التغيير، ما أدّى إلى استمرار النظام وبخاصة أنه تلقّى دعماً من الولايات المتحدة الأميركية، ومع ذلك انقسمت الفئات الاجتماعية العليا على نفسها حول السياسة الواجب اتباعها تجاه اليمن بين النظام الجديد في صنعاء، وبين تأييد الإمام محمد البدر المتحصّن في الجبال، وكان الملك سعود متوارباً بين دعم الملكيين وبين الاعتراف الحذر بالثوريين، في ظلّ تصاعد شعبي في العالم العربي مؤيد للرئيس جمال عبد الناصر، لذلك طلب من

(١) سعيد: ج٣ ص٤٣٥.

(٢) فاسيليف: ص٤٤٩.

(٣) Halliday, F: Arabia without sultans p59.



الأمير فيصل في ٢٦ تشرين الأول ١٩٦٢م العودة إلى تحمّل مسؤولياته بعد سنة ونصف من ابتعاده عن السلطة، فبادر فوراً إلى اتباع سياسة متصلة تجاه الرئيس المصري الذي راح يستثمر الثورة اليمنية، ما يهدّد بتفتيت بُنية النظام الملكي السعودي، وتضامنت الأسرة السعودية لمواجهة الخطر، وطرده الأمير فيصل الرعايا المصريين من المملكة.

وغادر الملك سعود البلاد في خريف ١٩٦٢ إلى الخارج للاستشفاء، فراح الأمير فيصل يُشدّد قبضته على السلطة، فعزل أبناء الملك من المناصب الحكومية، وعيّن إخوته خالد وفهد وعبد الله وسلطان مكانهم.

وسُمح للملك سعود بالعودة إلى بلاده شرط ألا يتدخل في شؤون الحكم، فاضطر للموافقة، وعاد إلى الرياض في أيلول ١٩٦٣، وفي ٢٩ آذار ١٩٦٤م أصدر العلماء فتوى أيّدها أفراد الأسرة الحاكمة حول تسليم السلطة بأكملها إلى الأمير فيصل، على أن يبقى سعود ملكاً اسماً، وأصدر مجلس الوزراء إثر هذه الفتوى سلسلة من القرارات تقضي بإلغاء سيطرة الملك على أجهزة الحكم.

كان آخر نشاط سياسي شارك فيه الملك سعود هو حضوره لأول مؤتمر قمة عربي عُقد في مصر في عام ١٩٦٤م، وقد أبدى استعداده لفتح صفحة جديدة من العلاقات مع مصر واليمن، وما إن عاد إلى الرياض حتى أعلن تنازله عن الحكم لصالح أخيه الأمير فيصل في الأول من تشرين الثاني ١٩٦٤م بناء على فتوى العلماء، وانتقل إلى القاهرة ومنها إلى اليونان، حيث توفي في ١٣ شباط عام ١٩٦٩م<sup>(١)</sup>.

## الملك فيصل بن عبد العزيز

### إنجازاته الداخلية

بادر الملك فيصل فور تسلمه السلطة إلى تعيين الأمير خالد بن عبد العزيز ولياً للعهد، وجمع في السنة الأولى من حكمه مناصب الملك ورئيس الوزراء، فتولى السلطة التنفيذية وتعيين الوزراء وإقالتهم، وغدت لديه عملياً سلطة كبيرة مماثلة لسلطة والده عبد العزيز.

عمل الملك فيصل على الاستمرار في التنمية الاقتصادية في مختلف القطاعات، فوضع الخطة الخمسية في نهاية عام ١٩٧٠، ومن أهم معالمها: عدم الاعتماد

الكُلِّي على موارد النفط وإيجاد موارد إضافية، واستثمار موارد البلاد الطبيعية من المعادن والغاز الطبيعي، وامتاز عهده بتوسيع عملية توطين البدو وتحضيرهم، وتطوير القطاع الزراعي وتنميته، واستخراج المياه من جوف الأرض وإقامة مزارع حديثة، وخلق قطاع صناعي متطور، وتقليص تبعية المملكة لشركة أرامكو عبر إنشاء شركة النفط السعودية «بترومين»، وتحسّنت في عهده شبكة النقل والمواصلات، وتطورت شبكات الإذاعة والتلفاز<sup>(١)</sup>.

وقام الملك فيصل بحركة إصلاحية تناولت مختلف القطاعات، من تطوير نظام الحكم، إلى تقوية الجيش، إلى تنمية الخدمات الاجتماعية والوظيفة العامة وعنصرها البشري.

ففيما يتعلق بتطوير نظام الحكم، فمن المعروف أن النظام السياسي في السعودية كان ولا يزال ملكياً، فعمد الملك فيصل إلى توسيع صلاحيات مجلس الوزراء، وطوّر النظم الإدارية وفق نظام مكتوب يُحدد الصلاحيات والمسؤوليات في القطاعين العام والخاص، واستعان بالاختصاصيين السعوديين في ذلك، وأضحت الوظائف المهمة والحساسة في القطاعين للسعوديين فقط، على أن يُستعان بالأجانب في المشاريع الإنشائية الجديدة.

وفيما يتعلق بتطوير القوة العسكرية وعصبها الجيش، فقد شغلت حيزاً كبيراً من اهتمامات الملك فيصل، وبخاصة بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧م، والانسحاب البريطاني من الخليج العربي عام ١٩٧١م، وإطاحة شاه إيران على يد الثورة الإسلامية عام ١٩٧٨م<sup>(٢)</sup>، وقوّى الملك فيصل الجيش وزوّده بأسلحة جديدة متطورة.

وفيما يتعلق بالخدمات العامة، فقد اهتمّ الملك فيصل بتحسين الاتصالات السلكية واللاسلكية، والهاتف، والخدمات البريدية، وتطوير المواصلات العامة والتعليم، ووضع مشاريع لتحسين وسائل النقل، فربط مثلاً الدمام بالرياض بخط حديد وصل قلب الجزيرة بشرقها، وطوّر المطارات والمرافئ، وعمل على تحسين وسائل الرّيّ وحفر الآبار وبناء السدود، واستصلاح الأراضي وغير ذلك من المشاريع.

وفيما يتعلق بالتنمية الاجتماعية والصحية، فقد أنشأت الحكومة دائرة البحوث

(١) Kay, Shirley and Malin Basil: Saudi Arabia pp 125 - 131.

(٢) Analysis and Data from Middle East Research Institute: Political Analysis of Saudi Arabia p13.

الاجتماعية بهدف البحث عن مشكلات المجتمع ومحاولة إيجاد حلول لها، ودراسة أوضاع الأسر، والسجون من حيث الرعاية الصحية والاجتماعية، كما تقوم بمسح الأحياء المتخلفة في المدن، ودراسة أسباب تخلفها، وأنشئت المؤسسات الاجتماعية، كدور الأيتام والعجزة والأحداث الجانحين، وأقيمت مراكز للتنمية الاجتماعية والتوعية ومكافحة الأمية، ودور التربية، وأنشأت الحكومة المستوصفات والمستشفيات الحديثة، وشجعت الحركة العمرانية، وشقت الطرقات، وجرى الاهتمام بالمنافع العامة، مثل إقامة الحدائق والمدن الرياضية ودور للمؤتمرات، إلى غير ذلك من المشاريع الحضارية التي تُسجّل انعطافة في تاريخ المملكة العربية السعودية<sup>(١)</sup>.

وفيما يتعلق بالتعليم، فقد ابتدأت المؤسسات التعليمية بالظهور منذ عهد الملك المؤسس عبد العزيز الذي أنشأ مديرية المعارف عام ١٩٢٦م، والتعليم في المملكة العربية السعودية على أنواع، التعليم العام ويتكوّن من خمس مراحل هي: رياض الأطفال، المرحلة الابتدائية، المرحلة المتوسطة، المرحلة الثانوية والمرحلة الجامعية، وتعليم إعداد المعلمين والمعلمات، والتعليم الفني ويشمل التعليم الصناعي والتجاري والزراعي، وهو ينقسم إلى ثانوي وعالي، وصدرت في عام ١٩٧٠م وثيقة مهمة توضح سياسة التعليم في المملكة وأهدافه وأأسسه العامة، وتعددت الجامعات والكليات المتخصصة، مثل جامعة الملك سعود بالرياض، والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وجامعة البترول والمعادن في الظهران وجامعة الملك عبد العزيز في جدة ومكة والحديبية، وجامعة أم القرى بمكة، وغيرها، وتوفر فيها مختلف الاختصاصات.

وفيما يتعلق بتنمية الوظيفة العامة، فإن مسيرة التعليم كانت جزءاً من الخطط الخمسية الثلاث التي وضعتها الحكومة السعودية لتطوير المورد البشري المهم، المرتبط بتطوير الموارد الاقتصادية، من حيث توفير العنصر الوطني الجامعي المؤهل ليستطيع القيام بعملية التنمية، لذلك صدرت مراسيم ملكية خاصة بنظام الموظفين والمستخدمين وتأديبهم في ٢٩ آذار ١٩٧١م، كما صدر مرسوم ملكي في ١٤ كانون الثاني ١٩٧٥م بزيادة رواتب الموظفين والمستخدمين والسلك القضائي والضباط والعسكريين<sup>(٢)</sup>.

(١) قدوة: ص ٨٦ - ٨٧.

(٢) جريدة القدوة، عدد ٣٦٩١، تاريخ ٩ صفر، ١٣٩١هـ.

## الصراع على اليمن

برز على صعيد السياسة الخارجية، الصراع على النفوذ في اليمن بين المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة، مصر، فقد تعاطف الملك فيصل منذ أن كان أميراً مع الثورة المصرية، ثم أخذ بدءاً من عام ١٩٥٨م يبتعد عن تأييدها، ثم تحوّل الابتعاد إلى عداً مع توجه مصر إلى التحالف مع الاتحاد السوفياتي وتبنيها قرارات عام ١٩٦١م الاشتراكية، ومع نشوب ثورة اليمن عام ١٩٦٢م ووقوف جمال عبد الناصر عسكرياً وسياسياً واقتصادياً إلى جانبها، تحوّل العداً إلى صراع مكشوف، مع الإشارة إلى أن كلاً من مصر والسعودية اتخذت من ميثاق الدفاع المشترك المعقود في جدة عام ١٩٥٦م بين مصر والسعودية واليمن؛ ذريعة لتقديم المساعدة العسكرية والمادية للجمهوريين (مصر) وللملكيين (السعودية).

وأعلن الأمير فيصل في الأول من كانون الثاني عام ١٩٦٣م بوصفه رئيساً للوزراء؛ التعبئة العامة، والتمس المساعدة من الولايات المتحدة الأميركية التي أرسلت سفنها العسكرية إلى السعودية، وأنشأت شبكة للدفاع الجوي على امتداد الحدود مع اليمن قرب نجران، وأرسلت مصر من جهتها بعض فرقها العسكرية إلى اليمن لمساعدة الجمهوريين. واتسع نطاق الحرب الأهلية في اليمن، وتفاقم معه النزاع المصري - السعودي، والواقع أن الحرب الأهلية داخل اليمن تحوّلت إلى حرب بين الجمهورية العربية المتحدة (مصر) وبين المملكة العربية السعودية.

ونظراً لخسائر الطرفين اتفقا في ربيع عام ١٩٦٣م على ضرورة إنهاء العمليات العسكرية في أراضي اليمن، وفصل القوات، والسماح لمراقبين دوليين بدخول اليمن، فوصلت طلائعهم في شهر تموز، غير أن مهمتهم لم تكن مُجدية، فغادروا اليمن في مطلع أيلول ١٩٦٤م.

كان ثمة خطر تحوّل النزاع في اليمن إلى حرب حقيقية بين مصر والسعودية، إذ أبدى الملك فيصل استعداده لإرسال قوات مسلحة إلى اليمن بطلب من الإمام البدر مع ما يُشكّل ذلك من تهديد سافر، إلا أن المملكة لم تكن تمتلك القوات الكافية للقيام بمثل هذه العملية<sup>(١)</sup>، ثم جرى الاتفاق بين الدولتين المصرية والسعودية في مؤتمر القمة العربي الذي عُقد في الاسكندرية في أيلول ١٩٦٤م، على أن يتوليا التوسط بين الجمهوريين والملكيين لتسوية النزاع<sup>(٢)</sup>.

(١) فاسيليف: ص ٤٦٦.

(٢) جريدة الأهرام، تاريخ ١٥ أيلول، ١٩٦٤م.

أدّت العمليات العسكرية الطويلة الأمد في اليمن إلى صعوبات كبيرة للبلدين بالإضافة إلى اليمنيين، فازداد عدد القوات المصرية من ثلاثة آلاف إلى خمسين ألفاً، وفقدت مصر زهاء خمسة عشر ألف قتيل بين تشرين الأول ١٩٦٢م وربيع ١٩٦٥م<sup>(١)</sup>، كما قُتل عشرات الآلاف من اليمنيين، وقوّضت الحرب الاقتصاد المصري، ويبدو أن جمال عبد الناصر بالغ في تقدير الموقف في اليمن بعد الثورة، واعتقد بأن العملية لن تستغرق أكثر من بضعة أشهر وسوف ينتج عنها: طرد البريطانيين من جنوبي اليمن بما فيه عدن، وانفجار ثوري يطيح بالنظام الملكي في السعودية، وقيام نظام ديمقراطي موالٍ له، والضغط على مواقع الغرب في الخليج العربي، لكن شيئاً من ذلك لم يتحقق، فقد كان للملكيين مواقع قوية ومُحصّنة داخل اليمن، ولم يكن المجتمع اليمني مهتماً بعد للتغييرات الثورية، ولم يكن الجنود المصريين متكيّفين بالشكل المطلوب لخوض عمليات عسكرية في الجبال والصحاري وهم الذين تربوا في وادي النيل وحوضه، وازداد عددهم إلى سبعين ألفاً عام ١٩٦٧م<sup>(٢)</sup>.

بيد أن كلاً من مصر والسعودية كانت تربط بمصير اليمن حسابات تتعدّى حدود هذا البلد بل حدود شبه الجزيرة العربية، لذلك دخلت القضية اليمنية في مجمل السياسة العربية والدولية لكل من البلدين، ولم يتوقف الصراع العنيف بين الملك فيصل وبين جمال عبد الناصر إلا مع هزيمة مصر في حرب عام ١٩٦٧م، فانسحب الجنود المصريون من اليمن في أواخر ذلك العام وفقاً لاتفاقية جدة المعقودة بين العاهل السعودي والرئيس المصري في ٢٤ آب ١٩٦٥م، والتي تأكدت في مؤتمر القمة الذي عُقد في الخرطوم في ٣١ آب ١٩٦٧، وتعهدت السعودية بوقف مساعداتها للملكيين<sup>(٣)</sup>.

الواقع أن انسحاب القوات المصرية من اليمن وضعت الجمهوريين في موقف حرج، لأن السعودية واصلت تقديم المساعدة العسكرية للملكيين، بما في ذلك تدريب القبائل المؤازرة لهم.

واعترفت السعودية رسمياً بالجمهورية العربية اليمنية في ٢٣ تموز ١٩٧٠م، ووقّعت معها في مطلع آذار ١٩٧١م اتفاقية الدفاع المشترك، وظلّ النفوذ السعودي هو السائد في اليمن خلال السبعينات، وأدى التقارب مع الرياض إلى تحسين علاقات اليمن الشمالية مع الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وألمانيا الغربية، وإلى إضعاف روابط التعاون مع البلدان الاشتراكية.

(٢) De Goury: 126.

(١) Halliday: p111.

(٣) انظر نص الاتفاقية عند: قدورة: ص ٢٠٣ - ٢٠٥.

ورفع الملك فيصل شعار الجامعة الإسلامية، كما دعم في اليمن الجنوبي نشاط القوى المناوئة للجهة القومية الموالية لمصر، وقوى في المقابل علاقات المملكة مع الأنظمة الملكية في المنطقة، وعلى رأسها الأردن وإيران ودول الخليج العربي، وقد بلغ من حدة الصراع بين البلدين أن اتهمت السعودية مصر بتمويل أعمال تخريبية في المملكة ودعم نشاط اتحاد الشعب في شبه الجزيرة العربية، وهو تنظيم سري أمكن القضاء عليه في عام ١٩٦٧ م.

كان مصير العقيد عبد الله السلّال قائد الثورة اليمنية، ورئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء قد تقرّر بانسحاب القوات المصرية، فغادر اليمن في الأول من تشرين الثاني ١٩٦٧م إلى بغداد في طريقه إلى موسكو، وما جرى أثناء غيابه من انقلاب برئاسة عبد الرحمن الإيراني الجمهوري المحافظ، دفعه إلى الإقامة النهائية في بغداد.

وابتداء من شباط ١٩٦٩م لم تعد المملكة العربية السعودية تُصرّ على عودة الإمام إلى الحكم، متخلفة بذلك عن دعم الملكيين، الأمر الذي أدى إلى التعايش بين الجمهوريين اليمنيين والملكيين اليمنيين، واعتراف المملكة رسمياً بالجمهورية العربية اليمنية في ٢٣ تموز ١٩٧٠م، ووقّع الطرفان في الأول من آذار ١٩٧١م اتفاقية دفاع مشترك، وقام رئيس الجمهورية اليمنية الحنجري بزيارة الرياض في آذار ١٩٧٣م، وصدر بلاغ مشترك في ١٨ آذار ثبت الحدود بين البلدين نهائياً، وظلّ النفوذ السعودي هو السائد في الجمهورية العربية اليمنية خلال السبعينات.

### سياسة المملكة في الخليج العربي

كانت المملكة العربية السعودية تعدّ كل الدول المجاورة لها في شبه الجزيرة العربية داخله ضمن دائرة نفوذها، ولئن أحجمت في البداية عن التدخل في النزاعات الجارية خارج هذه الحدود، فذلك لأنها لم يكن بوسعها المساس بالمصالح الحيوية المهمة للمملكة<sup>(١)</sup>.

وجرى في أواسط الستينات تقارب بين السعودية وإيران بوصفهما نظامين ملكيين، وكانت العلاقة بينهما جيدة ومتينة إجمالاً رغم التنافس الواضح على زعامة الخليج العربي، وأيد الشاه في عام ١٩٦٥م فكرة الحلف الإسلامي التي طرحها الملك فيصل، وتضافرت جهود الرياض وطهران في المساعدة على إحداث انعطافة جذرية

في مصر بعد وفاة جمال عبد الناصر في أيلول ١٩٧٠م، وكانت لهما الكلمة الفصل في إطار منظمة الأوبك، إذ كانت حصتهما من صادرات النفط الإجمالية تزيد على النصف. وحاول شاه إيران استقطاب الملك فيصل من أجل نهج سياسة موحّدة في منطقة الخليج العربي، بما في ذلك إقامة تعاون عسكري يجعل السعودية في وضع تابع لإيران، وأثر الملك فيصل بسبب ضعفه عسكرياً استثمار المساعدات المالية كوسيلة لتعزيز النفوذ السعودي في الإمارات العربية الصغيرة.

وظلّت السعودية تنظر بعين القلق إلى مخططات إيران في الخليج العربي في ظلّ عدم التوازن في قدراتهما العسكرية لصالح إيران، ولكن الأمور لم تصل إلى حدّ النزاع المسلح، وعارضت إيران انضمام البحرين إلى الاتحاد العربي، وأعلنت أنها تعدّها جزءاً من أراضيها، وكان للملك فيصل علاقات ودّية مع أمير البحرين، فرفض مطامع إيران، وتخلّت إيران عن مطامعها في هذه الإمارة بعد أن أعلنت استقلالها في ١٤ آب ١٩٧١م.

وأعلن شاه إيران في ربيع عام ١٩٧١م أن بلاده تتحمل مسؤولية الدفاع عن الخليج بعد انسحاب البريطانيين من هناك، وقرّر تثبيت سيطرته عسكرياً من دون أي اعتبار لرأي العرب، فاحتل الجزر الثلاث أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى الواقعتين في خليج هرمز، وقد شكّل ذلك ضربة موجعة للمصالح السعودية، لأنه عزّز مواقع إيران إلى حدّ كبير.

ورعتّ السعودية قيام اتحاد الإمارات العربية بعد الانسحاب البريطاني، حرصاً منها على تأمين الاستقرار في هذه الجزء الحساس من الخليج العربي، وخشية من أن يؤدي أي صدام محتمل بين المشيخات والإمارات المستقلة حديثاً إلى تدخل خارجي أو محليّ على حدود المملكة، قد يؤثر على وضعها الداخلي والخارجي، وبخاصة أن ثورة ظفار والتوجّهات اليسارية التي تبنّاها النظام الجديد في جنوبي اليمن كانت تثير قلق القادة السعوديين.

## تعاظم نفوذ المملكة في المحيط العربي

بدأ نفوذ الملك فيصل يتعاظم على الساحة العربية بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧م، وإثر انعقاد مؤتمر القمة العربي في الخرطوم، الذي كُرّس للمصالحة العربية، والذي بادر فيه الملك فيصل إلى استغلال سلاح النفط من خلال العائدات المالية، واستخدامها في المعركة بدلاً من قطعه عن البلدان المؤيدة للكيان الصهيوني، وقد وافق المؤتمر على هذا الاقتراح، فابتدأت بذلك مرحلة جديدة في سياسة المملكة تجاه الدول العربية، قائمة على تقديم المساعدات المالية في إطار سياسة التضامن العربي.

وأخذت المملكة تتحول إلى مُصدّر للرساميل وتقديم المساعدات المالية إلى دول المواجهة: مصر وسوريا والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية، فأرسلت إلى الأردن لواء قوامه ثلاثة آلاف جندي، تمركز بعيداً عن الجبهة مع الكيان الصهيوني، ولكنه كان قريباً بما فيه الكفاية لمساندة الملك حسين، ومن الواضح أن الملك فيصل عدّ الأردن دولة حاجزة تفصله عن الكيان الصهيوني.

وظلّ الرئيس جمال عبد الناصر الشخصية المحورية في العالم العربي رغم هزيمة عام ١٩٦٧م، وتزايدت التناقضات بين القاهرة والرياض مع استعادة مصر قدرتها العسكرية، لكن السياسة الخارجية للمملكة ظلت تفرض نفسها على المنطقة العربية ولكن بهدوء، وبرزت بوضوح بعد وفاة جمال عبد الناصر في أيلول ١٩٧٠م، فقد كثّف الملك فيصل نشاطه من أجل تزعم العالم العربي، وكان من مصلحته أن تتوطّد مواقع القوى اليمينية المصرية التي تخلّت تدريجاً عن مواصلة النهج الناصري، وكانت واشنطن الطامعة في استعادة مواقعها المهتزة في العالم العربي بسبب دعمها للكيان الصهيوني، تأملُ في اتخاذ المملكة جسر عبور إلى الدول العربية وفي مقدمتها مصر، وكان الرئيس المصري أنور السادات الذي خلف جمال عبد الناصر مهتماً بالتقارب مع السعودية أملاً في زيادة المساعدات المالية، وعندما زار الملك فيصل مصر في حزيران ١٩٧١م استُقبل استقبالاً حافلاً، وتوطّدت علاقات السعودية بمصر؛ ما ساعد على التخلي عن النهج الناصري، وأقدم السادات على التخلي أيضاً عن الخبراء العسكريين السوفيات في مصر.

وعلى أثر حرب تشرين الأول عام ١٩٧٣م وما رافق الحدث من تغيير جذري وتدرجي في التحالفات السياسية العربية والدولية، اتّبع الرئيس المصري سياسة داخلية منفتحة، وسياسة خارجية موالية للولايات المتحدة الأمريكية.

## المملكة وسلاح النفط

شعرت الرياض بتذبذب وتناقض السياسة الأميركية في الشرق الأوسط، فقد كانت واشنطن من جهة تسعى إلى ضمان أمن الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين في مجال الطاقة، والمحافظة على مصالحها واحتكاراتها والسيطرة على صادرات النفط؛ الأمر الذي يقتضي تعزيز علاقاتها مع الدول العربية وبخاصة المحافظة منها، حيث توجد احتياطات النفط الرئيسية مثل السعودية، ومن جهة أخرى قدّمت الولايات المتحدة الأميركية المساعدات السياسية والاقتصادية والعسكرية للكيان الصهيوني ونهجه العدواني التوسعي؛ الأمر الذي يُقوّض أسس العلاقات الوثيقة مع الدول العربية، وكانت مهمة تحرير القدس الشرقية بخاصة تتماشى مع مركز الملك فيصل



بوصفه حامى الحرمين الشريفين، ولذا فإن المملكة مع حاجتها الماسة إلى دعم الولايات المتحدة الأميركية والتعاون معها؛ اضطرت إلى الدخول في مواجهة معها في النزاع العربي - الصهيوني، وحذّر الملك فيصل واشنطن قبل حرب تشرين الأول ١٩٧٣م من تأييدها للكيان الصهيوني الذي قد يُخرّب العلاقات السعودية - الأميركية، ودعاها إلى الضغط على هذا الكيان، لتنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي الرقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ تشرين الثاني عام ١٩٦٧م.

والواقع أن الولايات المتحدة الأميركية والدول الغربية لم تأخذ هذا التحذير على محمل الجدّ ما دفع المملكة إلى تخفيض انتاجها النفطي تدريجاً، ثم قطعه نهائياً عن الولايات المتحدة الأميركية وهولندا لمدة قصيرة، غير أن هذا التصرف لم يؤدّ إلى قطع العلاقات مع الولايات المتحدة الأميركية ولا إلى تغيير موقف المملكة من الاتحاد السوفياتي، إنما كان تعبيراً عن موقف المملكة من القضية الفلسطينية، ورافق ذلك زيادة قيمة المساعدات المالية لدول المواجهة.

ونزعت المملكة العربية السعودية في عام ١٩٧٤م إلى التعاون الاقتصادي والسياسي والعسكري مع الولايات المتحدة الأميركية، وساعد إلغاء الحظر على تصدير البترول في ١٨ آذار، على حدوث بعض الانفراج في العلاقات السعودية - الأميركية، تُوّج بعقد اتفاقية ثنائية في ٨ حزيران على الرغم من الخلافات التي كانت لا تزال تفصل بين البلدين فيما يتعلق بحلّ القضية الفلسطينية، وكان الملك رغم التساهل الذي أبداه في مسألة أسعار النفط، وفي الحلّ الشامل للقضية الفلسطينية، إلا أنه كان مُتشدداً في مباحثاته مع هنري كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة الأميركية حول مسألة القدس التي طالما ردّد أنه يتمنى أن يُصلي في المسجد الأقصى قبل وفاته، لذا فإن سياسة كيسنجر المكوكية في الشرق الأوسط كانت تصطدم دائماً بموقف الملك فيصل الصارم من هذه القضية، إضافة إلى عدم ثقته به.

## نهاية الملك فيصل

اغتيال الملك فيصل في ٢٥ آذار عام ١٩٧٥م أثناء استقباله المهنيّن بالعيد، إذ أطلق عليه فيصل بن مساعد بن عبد العزيز النار من مسدس فأرداه قتيلاً، وكان الأمير الشاب قد عاد لئوّه من الولايات المتحدة الأميركية حيث أمضى سنوات عدة في مدارسها وجامعاتها، وكان قد عقد قرانه على إحدى بنات الملك الراحل سعود، وتعدّدت الآراء بشأن الدوافع بين شخصية، واختلال عقلي، ومؤامرة أميركية انتقاماً من الملك فيصل بفعل سياسته النفطية، ولكي يكون ذلك تحذيراً لسائر أفراد العائلة المالكة، ولم تُعلّن الدوافع الحقيقية للجريمة، وأُعدم القاتل.

## الملك خالد بن عبد العزيز

### إنجازاته الداخلية

خلف الملك خالد أخاه الملك فيصل، كانت أولى خطواته السياسية اختيار الأمير فهد ولياً للعهد ونائباً أول لرئيس مجلس الوزراء، واحتفظ مؤقتاً بوزارة الداخلية، وعيّن الأمير عبد الله نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء وقائداً للحرس الوطني، وأكد على استمرار نهج الملك فيصل في الحكم القائم على تدعيم وحدة الصف الإسلامي، والتضامن العربي، واستعادة الأراضي المحتلة، وتحرير القدس من أيدي الصهاينة.

لم تشهد الأوضاع الداخلية خلال السنوات الأربع التي أعقبت اعتلاء الملك خالد سدة الحكم ما يثير الاهتمام، بيد أن قوى داخل المجتمع السعودي بدأت تتجمّع في خريف عام ١٩٧٩م، إذ في هذه السنة تعرّضت المملكة لحادث خطير جرى في مكة، فقد وصل إلى علم السلطات في شهر آب أن خلايا سرية تشكّلت، وأن أسلحة تُهرّب إلى البلاد، فعمدت فوراً إلى منع مرور قوافل الشاحنات المحملة بالبضائع القادمة من سوريا ولبنان، عبر الأراضي السعودية، وشدّدت إجراءات الأمن، واعتقلت عدداً من الشبان من عسكريين ومدنيين، ووُزعت آنذاك منشورات في البلاد تدعو للعودة إلى التمسك بأهداب الدين الإسلامي، والقيام ضدّ السلطة الحاكمة، وطرده الأجنبي من المملكة.

بدأت الاضطرابات المناوئة للحكومة في أواسط تشرين الثاني في الحجاز، وسيطر الثائرون على جزء من الأراضي الممتدة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وهاجموا هذه الأخيرة، غير أن الهجوم ضدّ على يد القوات الحكومية المرابطة فيها، واستولى الثائرون في مكة على المسجد الحرام في ٣٠ تشرين الثاني، وأعلن زعيمهم الروحي محمد القحطاني الذي لُقّب نفسه بالمهدي المنتظر، أن هدف الحركة يتمثل في تطهير الإسلام، وتحرير البلد من العائلة المالكة ورجال الدين الموالين لها.

وأذيعت خطب الزعيم السياسي للحركة وهو جهيمان العتيبة الموجهة ضد النظام عبر مكبرات الصوت المثبتة على سطح المسجد.

تصدّت الحكومة لهذه الانتفاضة، وتولى الأمير فهد عملية قمعها بالقوة، ونجح في ذلك، وكان زعيم الحركة الديني من بين القتلى، وأُعدم زعيمها السياسي مع عدد من رفاقه.

استتارت حركة الانتفاضة، الشيعة الذين يقطنون في المنطقة الشرقية الغنية بحقول النفط، فاحتفلوا خلافاً لأوامر الحكومة بيوم عاشوراء في ٢٧ تشرين الثاني، فتصدى لهم الحرس الوطني.

استمر التطور الإداري في عهد الملك خالد عبر إنجاز الخطة الخمسية الثانية، فأعاد تنظيم الوزارات من خلال إنشاء وزارات جديدة هي:

التعليم العالي، البرق والبريد والهاتف، الصناعة والكهرباء، الأشغال العامة والإسكان، الشؤون البلدية والقروية، وحوّل الهيئة المركزية للتخطيط إلى وزارة التخطيط، وأحدث مؤسسات عامة جديدة مثل: مؤسسة الموانئ، والهيئة الملكية للجبيل وينبع وغيرها من المؤسسات الحكومية والشركات<sup>(١)</sup>.

وتّم في عهده تحسين أوضاع الموظفين عبر زيادة رواتبهم، وأنشأ مصارف للتنمية الزراعية والصناعية والعقارية لإقراض المواطنين من دون فوائد، وزاد المشاريع السكنية والمنح للمواطنين، وأنشأ جامعة الملك فيصل بالدمام وجامعة أم القرى بمكة، وزاد المحاكم الشرعية، ووسّع مستشفيات الجيش والحرس الوطني التي شهدت نمواً سريعاً، وزاد في بناء الكليات والمعاهد العلمية والفنية<sup>(٢)</sup>، كما زاد في بناء مشاريع البنى التحتية وبخاصة الخطوط البرية السريعة.

تحوّلت المملكة العربية السعودية بفضل جهود الملك خالد التنموية إلى دولة عصرية تستخدم أحدث ما توصل إليه العالم من تقدّم فنيّ، ودخل المجتمع السعودي بموجب تلك الخطة في دائرة الوفرة والرخاء.

ووضع الملك خالد الخطة الإنمائية الخمسية الثالثة التي تستهدف تنمية القوة البشرية السعودية.

## سياسته الخارجية

حافظت المملكة العربية السعودية على الصعيد الخارجي على تعاونها مع الولايات المتحدة الأميركية بفعل هيمنة الرأسمال الأميركي على صناعة استخراج النفط، واعتماد المملكة على السلاح الأميركي، وتأثير التقلبات الاقتصادية في الولايات المتحدة الأميركية على الإيداعات السعودية في أميركا، بالإضافة إلى ذلك، قامت صلات متينة بين كبار المسؤولين في البلدين، وأضححت السعودية أكبر مودع أجنبي في المصارف الأميركية، وأكبر مستثمر للمال في مجال شراء السندات

(١) سلوم، يوسف: النظام الإداري في المملكة العربية السعودية: ص ١٤ - ١٥.

(٢) القصير: ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

الحكومية والاقتصاد والعقار<sup>(١)</sup>، ويبدو أن الرياض كانت تُدرك أن تعاونها مع الولايات المتحدة الأميركية سيُضعف موقفها في نظر الشعوب العربية والإسلامية المناهضة للولايات المتحدة الأميركية والغرب.

وبوصفه حامي الحرمين الشريفين والمدافع عن المُثل الإسلامية، وقف الملك السعودي ضدَّ سياسة الكيان الصهيوني التوسعية والعدوانية المدعومة من الولايات المتحدة الأميركية، وطالب بجلاء القوات الصهيونية عن القدس الشرقية، حيث يوجد المسجد الأقصى، بالإضافة إلى سائر الأراضي العربية.

ودعمت الرياض الشعب الفلسطيني، وقَدَّمت المساعدات المالية لمنظمة التحرير الفلسطينية، التي اعترفت بها كمثل للشعب الفلسطيني في مؤتمر القمة العربي الذي عُقد في الرباط في تشرين الأول ١٩٧٤م، وعمل في المملكة عشرات الآلاف من الفلسطينيين، وأدركت الرياض أن عدم تسوية النزاع العربي - الصهيوني، واستمرار تأييد واشنطن للكيان الصهيوني، إنما يزيدان من عدم استقرار الوضع في الشرق الأوسط، ويُشكلان خطراً على النظام الملكي، لذا فإن محور الرياض - واشنطن كان يشهد توتراً بين الحين والآخر.

وصاغ الأمير فهد المشروع العربي الموحد لتسوية أزمة الشرق الأوسط سلمياً في أعقاب تحركات قام بها على الصعيدين العربي والدولي، صبَّت جميعها في إطار مبادرة عُرفت بمشروع فهد للسلام، الذي أُعلن في ٧ آب ١٩٨١م، وعرضه على مؤتمر القمة العربية في فاس في ٦ - ١٠ أيلول ١٩٨٢م، الذي أقرَّه مع بعض التعديلات، وأضحى يُعرف منذ ذلك الحين بمشروع فاس للسلام، وهو مؤلف من ثماني نقاط هي:

- انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية التي احتلت في عام ١٩٦٧م، بما فيها القدس العربية.

- إزالة المستوطنات التي أقامتها إسرائيل بعد عام ١٩٦٧م في الأراضي العربية.  
- ضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية لجميع الأديان في الأماكن المقدسة.  
- تأكيد حقِّ الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وممارسة حقوقه الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي الوحيد، وتعويض من لا يرغب في العودة.

- توضع الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة انتقالية تحت إشراف الأمم المتحدة ولمدة لا تزيد عن بضعة شهور.

(١) فاسيليف: ص ٥٠٥ - ٥٠٦.

- قيام الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس .

- يضع مجلس الأمن الدولي ضمانات سلام بين جميع دول المنطقة بما فيها الدولة الفلسطينية المستقلة .

- يقوم مجلس الأمن الدولي بضمان تنفيذ هذه المبادئ<sup>(١)</sup> .

قوبل المشروع بالرفض من جانب الكيان الصهيوني لأنه يتعارض مع الحلم الصهيوني التوسعي من النيل إلى الفرات، وعدم اعتراف الصهاينة بوجود شعب فلسطيني، كما رفضته الولايات المتحدة الأميركية لأنها تسير في فلك الصهيونية العالمية، ورأت فيه تعارضاً مع مشروع الرئيس الأميركي رونالد ريغن، ولاقي المشروع تاييداً سوفياتياً وأوروبياً، غير أن هؤلاء لم يكن لهم ثقل سياسي لفضه .

وواصلت الرياض اهتمامها بالجمهورية العربية اليمنية وبجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، وبعد مقتل الرئيس اليمني الشمالي الغشمي في حزيران ١٩٧٨م وتولي علي عبد الله صالح الرئاسة، وافقت الرياض على أن تدفع ثمن أسلحة ومعدات أميركية استوردتها الجمهورية العربية اليمنية وبلغت قيمتها أربعمائة مليون دولار، ولكنها أصرت بالمقابل على وقف التعاون مع الاتحاد السوفياتي .

وأقلقت المملكة التطورات التي جرت في البلدان المجاورة، لا سيما أحداث الثورة الإسلامية في إيران في كانون الثاني ١٩٧٩م، والتي أطاحت بنظام الشاه وقضت على تبعية إيران السياسية والعسكرية للولايات المتحدة الأميركية، وكانت بمثابة تحذير للرياض، وتحسباً لاعتداءات قد تقوم بها إيران، عمدت المملكة إلى تخصيص المزيد من ثروتها للتسليح، وتعاقدت على صفقات كبيرة من الأسلحة مع كل من الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وفرنسا، ويمكن استيعاب في هذا الإطار إنشاء مجلس التعاون الخليجي في ٤ شباط ١٩٨١م، الذي ضمَّ بالإضافة إلى المملكة العربية السعودية، الكويت، وقطر والبحرين والإمارات العربية المتحدة وعمان، والهدف المعلن لهذا المجلس هو تطوير التعاون في ميادين الاقتصاد والتجارة والتعليم والصحة والإعلام، واتخذ المجلس مع مرور الزمن سمات الحلف العسكري .

وانتاب الرياض القلق بفعل نشوب الحرب العراقية - الإيرانية في أيلول ١٩٨٠م خشيةً من ظهور خطر امتداد العمليات العسكرية إلى المملكة، كما قد تُشكل خطراً أيضاً على نقل النفط عبر الخليج العربي، ومع استمرار الحرب، وتدهور وضع العراق، أخذت المملكة وسائر الدول العربية المحافظة تقدّم الدعم والمساعدة للعراق .

(١) موسوعة السياسة، بيروت ط٢، ١٩٩٠م، ج٤ ص٦١٢ - ٦١٣ .

وعندما اندلعت الحرب الأهلية في لبنان في نيسان ١٩٧٥م، قدّمت الرياض المساعدة لحركة المقاومة الفلسطينية، وموّلت عملية دخول القوات السورية إلى لبنان، وفي ١٨ تشرين الأول ١٩٧٦م، دعا الملك خالد إلى عقد مؤتمر في السعودية شارك فيه الرؤساء أنور السادات وحافظ الأسد وياسر عرفات.

واتخذ المجتمعون قراراً بإنهاء الحرب في لبنان، ووُضعت القوات السورية في هذا البلد نظرياً تحت إمرة لجنة رباعية تضمّ السعودية ومصر والكويت وسوريا، تحت اسم قوات الردع العربية.

وقدّمت الرياض على صعيد الشرق الأوسط مساعدات للأنظمة اليمينية لتشجيعها على التخلي عن التعاون مع الاتحاد السوفياتي، من ذلك أن الرئيس أنور السادات تمكّن من القيام بثورة بيضاء في مصر وأعاد النظر جذرياً بالسياسة الخارجية، فألغى معاهدة الصداقة مع الاتحاد السوفياتي في آذار ١٩٧٦م، لكن السعودية عارضت تصرف السادات في زيارته للقدس واتباعه نهج الصفقات الانفرادية مع الكيان الصهيوني التي أدّت إلى عقد اتفاقيات كامب دافيد، لأن ذلك يعني تصفية القضية الفلسطينية، الأمر الذي من شأنه أن يُقوّض مواقع النظام السعودي على الصعد الداخلية والعربية والإسلامية، وإثر توقيع اتفاقية السلام بين مصر والكيان الصهيوني، قرّر وزراء الخارجية العرب قطع العلاقات السياسية مع مصر وإنزال العقوبات السياسية بحقها، وفي ٢٤ نيسان قطعت السعودية علاقاتها السياسية مع مصر، وتوقفت عن تزويدها بالمساعدات المالية، ولكنها استمرت في استخدام الأيدي العاملة المصرية.

وساندت الرياض على الصعيد الإسلامي ثورة نيسان ١٩٧٨م ضدّ النظام في أفغانستان، وتعمّق التدخل السعودي بعد أن دخلت القوات السوفياتية إلى هذا البلد في كانون الأول ١٩٧٩م لمساندة الحكومة، وتعرّزت العلاقات السعودية مع باكستان في عام ١٩٧٥م إثر استيلاء ضياء الحق على السلطة، وتسارعت عملية التقارب بين البلدين عبر معاداتهما للثورة الإسلامية في إيران والثورة اليسارية في أفغانستان.

## وفاة الملك خالد

توفي الملك خالد في ١٣ حزيران ١٩٨٢م في مدينة الطائف إثر نوبة قلبية، ونُقل جثمانه إلى مدينة الرياض.

## الملك فهد بن عبد العزيز

### إنجازاته الداخلية

خلف الملك فهد بن عبد العزيز أخاه الملك خالد في ١٣ حزيران ١٩٨٢م، وبويع أخوه الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولياً للعهد، وفي أول خطاب وطني له، حدّد الملك فهد نهجه السياسي والاجتماعي، فعاهد الشعب السعودي بأن يكرس كل جهوده من أجل العمل على راحته وتوفير الرخاء والأمن والاستقرار للبلد، وأنه سيكون أباً لصغيرهم وكبيرهم، وهو ليس إلا واحداً منهم.

وضع الملك فهد منذ بداية عهده المناهج الرئيسة لإتمام ما بناه الملك فيصل، وفرض حضوره الداخلي والعربي والدولي، وإليه يعود بلورة الاتجاهين الرئيسين لتطور المملكة: يتصل الأول ببناء قاعدة صناعية لتوسيع مشاركة كل سكان البلاد في هذه العملية، وجعلهم يستفيدون إلى أبعد مدى من الثروة النفطية.

ويقوم الثاني على بناء تجمع خليجي قوي في إطار مواجهة التطورات المحتملة، وبخاصة بعد أحداث أفغانستان والحرب العراقية - الإيرانية.

وتبّنى الملك فهد سياسة الملك فيصل الفلسطينية، وأولى أهمية لاستعادة القدس معتمداً على دور النفط المتزايد في السياسة الدولية.

اهتمّ الملك السعودي منذ سنوات حكمه الأولى بشؤون الأمن والدفاع، والتعليم للنهوض بالمجتمع السعودي، وأدّى ضغط الصهيونية على الإدارة الأميركية في عام ١٩٨٤م، إلى وقف تصدير الأسلحة إلى العالم العربي، ما دفع السفير السعودي في واشنطن بندر بن سلطان إلى التهديد بشراء الأسلحة من الاتحاد السوفياتي على الرغم من أنه لم يكن هناك علاقات سياسية بين البلدين.

ويبدو أن التهديد السعودي حقّق الغاية فتراجعت واشنطن بعد أشهر عدة عن قرار وقف تصدير الأسلحة إلى الدول العربية، وأرسلت أربعمئة صاروخ ستينغر إلى السعودية لحماية رأس تنورة والقصر الملكي.

وقرّرت السعودية في عام ١٩٨٥م شراء معدات عسكرية أميركية بمبلغ خمسة ملايين دولار تقريباً، فعارض اللوبي الصهيوني ذو النفوذ القوي في مجلسي الشيوخ والنواب الأميركيين ذلك، فتحوّلت المملكة عندئذٍ إلى بريطانيا التي رحّبت بهذه الصفقة الضخمة، وعارض اللوبي الصهيوني في هذين المجلسين بعد مدة بيع صواريخ أميركية إلى المملكة، الأمر الذي كاد يلغيها لولا تدخل الرئيس الأميركي رونالد ريغن، فنقض قرار الاعتراض في حزيران ١٩٨٦م.

وواصلت المملكة جهودها لتأمين السلاح اللازم لقواتها المسلحة، فعقدت في ٣ تموز ١٩٨٨م صفقة مع بريطانيا لشراء سلاح بقيمة نحو عشرين مليار دولار، تتضمن طائرات مقاتلة وطائرات مروحية (هليكوبتر)، واشترت المملكة في ٢٩ آب ١٩٩٠م أسلحة أميركية بقيمة ٢,٢ مليار دولار.

واشترت المملكة أسلحة من البرازيل في عام ١٩٨٤م، ووقَّعت معها اتفاقاً للتعاون العسكري، كما وقَّعت في السنة نفسها اتفاقاً مع فرنسا لتزويدها بصواريخ مضادة للطائرات لحماية حقول النفط وأهداف حيوية أخرى.

وتدارس الملك فهد مع القيِّمين على الدفاع والأمن، مشروع التجنيد الإجباري بهدف تحديد أفضل السبل التي تضمن مشاركة كل القطاعات في الدفاع عن البلاد، وأولى اهتماماً بالوضع الدستوري في المملكة من أجل قيام مجلس لنواب على مراحل، يُعيَّن في المرحلة الأولى جميع أعضائه، ويُنتخب في مرحلة لاحقة نصف أعضائه بطريقة غير مباشرة، ومن ثم يُنتخب في مرحلة أخيرة معظم أعضائه مباشرة.

وأصدر الملك فهد في آذار ١٩٩٢م ثلاثة أنظمة جديدة لإدارة الحكم في المملكة هي: النظام الأساسي للحكم ومجلس الشورى ونظام المناطق، وأنشأ وزارتي الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وبناء على ذلك أسس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، على أن يترأسه الأمير سلطان بن عبد العزيز، ويضم وزراء الداخلية والخارجية والمال والاقتصاد والتعليم العالي والعدل والشؤون الإسلامية، والأمين العام لرابطة العالم الإسلامي.

وأصدر الملك فهد في ٢٠ آب ١٩٩٣م أربعة أوامر ملكية تتعلق بعمل مجلس الوزراء، وتحديد مدة لمن يُعيَّن بمرتبة وزير، وتشكيل مجلس الشورى من ستين عضواً، ونظام مجلس الشورى، وتدخل هذه التنظيمات في إطار مرحلة جديدة من مراحل التطور السياسي في المملكة، وافتتح الملك أول مجلس للشورى في العهد السعودي الجديد في ٢٩ كانون الأول، وألقى كلمة أشاد فيها بقيام المجلس من أجل العمل على تحديث جميع الأنظمة الإدارية وتطويرها بما يتفق مع طبيعة العصر.

وشهد عام ١٩٩٥م افتتاح المركز الإسلامي في روما، وأكاديمية الملك فهد في بون، وكرسي الملك فهد للدراسات الإسلامية في جامعة لندن، وكرسي الأمير نايف للدراسات الإسلامية في موسكو، ودعم بعض المراكز الإسلامية في لندن وإستانبول.

عهد الملك فهد في الأول من كانون الثاني عام ١٩٩٦م لولي العهد الأمير عبد الله القيام بأعمال الدولة السعودية أثناء قضائه مدة راحة بسبب وعكة صحية ألمَّت به،



وترأس الأمير عبد الله نيابة عن الملك فهد وفد السعودية إلى القمة الخليجية في الدوحة في ٧ كانون الأول، عرضت السعودية خلالها وساطتها لحلّ الخلاف الحدودي بين البحرين وقطر.

وفي ٧ تموز عام ١٩٩٧م أصدر الملك فهد أوامر ملكية شملت: إعلان تشكيل مجلس الشورى والتمديد لسبعة وسبعين من كبار موظفي الدولة وأمراء المناطق والعلماء والمستشارين، وفي ٢٠ آب ١٩٩٩م توفي الأمير فيصل بن الملك فهد إثر نوبة قلبية، وقد اتصل العديد من زعماء العالم بالملك في محلّ إقامته في مارينا بإسبانيا التي كان يمضي فيها مدة النقاهة، لتقديم التعازي، وقد حال وضعه الصحي من دون المشاركة في تشييع ولده، وفي ٣٠ أيلول عاد الملك فهد إلى الرياض بصحة جيدة وعاود نشاطه السياسي من جديد.

## سياسته الخارجية

استمرت السياسة الخارجية السعودية في عهد الملك فهد على نهجها التقليدي، كما كانت في عهد أسلافه، فقد تعرّضت المملكة في صيف عام ١٩٩٣م لحملة إعلامية قاسية في الولايات المتحدة الأميركية وفي الدول الغربية الحليفة لها، ظاهرها اقتصادي وباطنها سياسي.

وزار رئيس الوزراء الفرنسي إدوار بالادور في كانون الثاني ١٩٩٤م المملكة، وأجرى مباحثات مع الملك فهد ومع الأمير سلطان النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران، تمحورت حول التعاون الاقتصادي والعسكري، وزار حيدر علييف رئيس جمهورية أذربيجان المملكة في ٢١ تموز، ووقّع اتفاقاً معها يُنظم التعاون بين البلدين في المجالات الاقتصادية والتجارية والثقافية والعلمية والشبابية، وفي ٢٧ أيلول زار رئيس كازاخستان نور سلطان نزار بايف المملكة واتفق مع الملك فهد على تبادل السفراء بين البلدين، وفي تشرين الأول زار الرئيس الأميركي بيل كلينتون المملكة وأجرى مباحثات مع الملك فهد دارت حول ثلاثة أمور هي: العلاقات الثنائية، والوضع في منطقة الخليج العربي، وتطورات عملية السلام، وأبدى الملك فهد خلالها تشدداً سعودياً على الثوابت السياسية، وربط السلام في المنطقة بالانسحاب الصهيوني من الأراضي العربية المحتلة بما فيها القدس، والتقدم على المسارين السوري واللبناني، ورفّض سياسة التطبيع الاقتصادي مع الكيان الصهيوني، وإقامة المصرف الإقليمي للتنمية.

وأعدت السعودية صوغ علاقاتها مع الدول العربية مثل اليمن والأردن، تُوجّ بقاء الملك حسين مع الأمير سلطان في نيويورك، إثر زيارة رئيس الوزراء الأردني

عبد الكريم الكباريتي إلى السعودية ولقائه الأمير سعود الفيصل، وتأكيد البلدين عن رغبتهما في إعادة القوة للعلاقات بينهما .

وأكدت واشنطن في عام ١٩٩٦م ثقتها باستقرار السعودية بعد تفجير البعثة العسكرية في الرياض في ١٣ تشرين الأول عام ١٩٩٥م، وأعلنت السعودية في ٤ آذار وقوفها إلى جانب سوريا في مفاوضات السلام مع الكيان الصهيوني، وكانت هذه المفاوضات قد توقفت في شباط ١٩٩٦م بعد أقل من شهر واحد على بدئها، وأبدت السعودية في ٢٧ آذار استعدادها للوقوف إلى جانب البحرين بعد أحداث الشغب التي شهدتها، وفي ٧ حزيران شاركت السعودية في القمة العربية الثلاثية المصغرة في دمشق إلى جانب الرئيس حافظ الأسد والرئيس حسني مبارك، وقد مثل الأمير عبد الله المملكة، وحرص الملك فهد في تصريح له في شهر آب، على مواصلة السعودية سعيها من أجل السلام في المنطقة، ووقعت في ١٣ أيلول على معاهدة حظر الأسلحة الكيماوية.

وتميز عام ١٩٩٧م بتكثيف المملكة اتصالاتها مع اليمن لاستكمال المحادثات بشأن مسألة الحدود وإغلاق هذا الملف، بالإضافة إلى تحرك سعودي نشط في الخارج، مع تشديد الملك فهد على أولية إنقاذ القدس من محاولات تهويدها، وبدء صفحة جديدة في العلاقات مع إيران في عهد الرئيس خاتمي، وقد اعترفت إيران بالدور السعودي الإقليمي والإسلامي، وجرى أول لقاء من نوعه بين ولي العهد السعودي الأمير عبد الله ومرشد الجمهورية الإسلامية آية الله علي خامنئي على هامش القمة الإسلامية في طهران، وعرض ولي العهد استعداد المملكة للتوسط بين إيران وأميركا، وقادت السعودية تحركاً باتجاه إيجاد أسس واقعية للتضامن العربي، ونجحت في احتواء التوتر في العلاقات بين مصر وقطر، وعلى الرغم من الوجود العسكري الأميركي في منطقة الخليج العربي، الذي تكثف بسبب مسلسل الأزمات بين بغداد من جهة وواشنطن ومجلس الأمن الدولي من جهة أخرى، أعلنت السعودية على لسان النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع الأمير سلطان، أن أمن الخليج تحميه دُوَلُه، وتؤكد ذلك في واشنطن عندما زارها هذا الأمير في ٢٦ شباط، وزار هذا الأمير أيضاً فرنسا في ٨ آذار، واقترح من باريس إنشاء صندوق لدعم الفلسطينيين، وقابل في ١٣ آذار رئيس الوزراء البريطاني في لندن جون ميجر، وعرض معه تطورات عملية السلام في الشرق الأوسط.

ومن بين أبرز المحطات في هذه السنة معالجة ملف الحدود السعودية - اليمنية، وجرى في ١٢ أيار اتفاق تعاون أمني بين البلدين، والتقى في مطلع تموز الأمير

نايف وزير الداخلية مع الرئيس اليمني علي عبد الله صالح في صنعاء لتسريع التفاهم على ترسيم الحدود، وتتابع اللقاءات والاجتماعات من أجل إيجاد حل نهائي له.

واعترضت السعودية على لسان الأمير سلطان في ١٦ حزيران على قرار الكونغرس الأميركي جعل القدس عاصمة موحدة للكيان الصهيوني، وفي ٢٥ حزيران وفي إطار التحرك النشط للمملكة من أجل إنقاذ عملية السلام ودعم الأطراف العربية المعنية، زار الأمير سلطان سوريا ولبنان، وتبعها بجولة عربية ثم جولة أوروبية شملت إيطاليا والفاتيكان تركّزت حول قضية القدس، وانتقل الأمير إلى إسبانيا فالتقى الملك خوان كارلوس، وكانت عملية السلام المتعثرة محور القضايا التي طرحها الرجلان، واجتمع في ٢٦ أيلول بالرئيس نيلسون مانديلا في كاب تاون في جنوبي إفريقيا.

وجرى في عام ١٩٩٨م لقائين سعوديين مع كل من: رئيس هيئة مجمع تشخيص النظام على أكبر هاشمي رفسنجاني في أواخر شباط، وذلك تويجاً لجهود التقارب بين السعودية وإيران، ورئيس الوزراء البريطاني طوني بلير، في ١٨ نيسان في جدة وقد جرى بحث عملية السلام وتوثيق العلاقات السعودية - البريطانية، وزار الأمير سلمان أمير منطقة الرياض اليابان، في سياق تطور العلاقات بين البلدين وفتح قنوات للتعاون الشامل، وكان رئيس الوزراء الياباني ريوتاروها شيموتو قد زار الرياض في تشرين الأول ١٩٩٧م، والمعروف أن العلاقات بين البلدين، اتسمت منذ قيامها في عام ١٩٥٤م بالوديّة والتقدير المشترك.

وأعلن الأمير عبد الله في عام ٢٠٠٢م عن مبادرة، سميت بمبادرة الأمير عبد الله للسلام في الشرق الأوسط، وتقضي بانسحاب كامل للصهاينة حتى الخط الرابع من حزيران ١٩٦٧م مقابل علاقات طبيعية مع كيانهن، وقد تبنت قمة بيروت عام ٢٠٠٢م هذه المبادرة، ولكن الصهاينة ردّوا عليها باجتياح مناطق السلطة في الضفة الغربية وارتكبوا أبشع المجازر.

## وفاة الملك فهد

توفي الملك فهد في الأول من آب ٢٠٠٥م في مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض، ودُفن في مقبرة العود بالرياض من دون مظاهر احتفاء، ما استرعى وسائل الإعلام الغربية لمظاهر الدفن البسيطة، وتمّ مبايعة ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز ملكاً على البلاد.

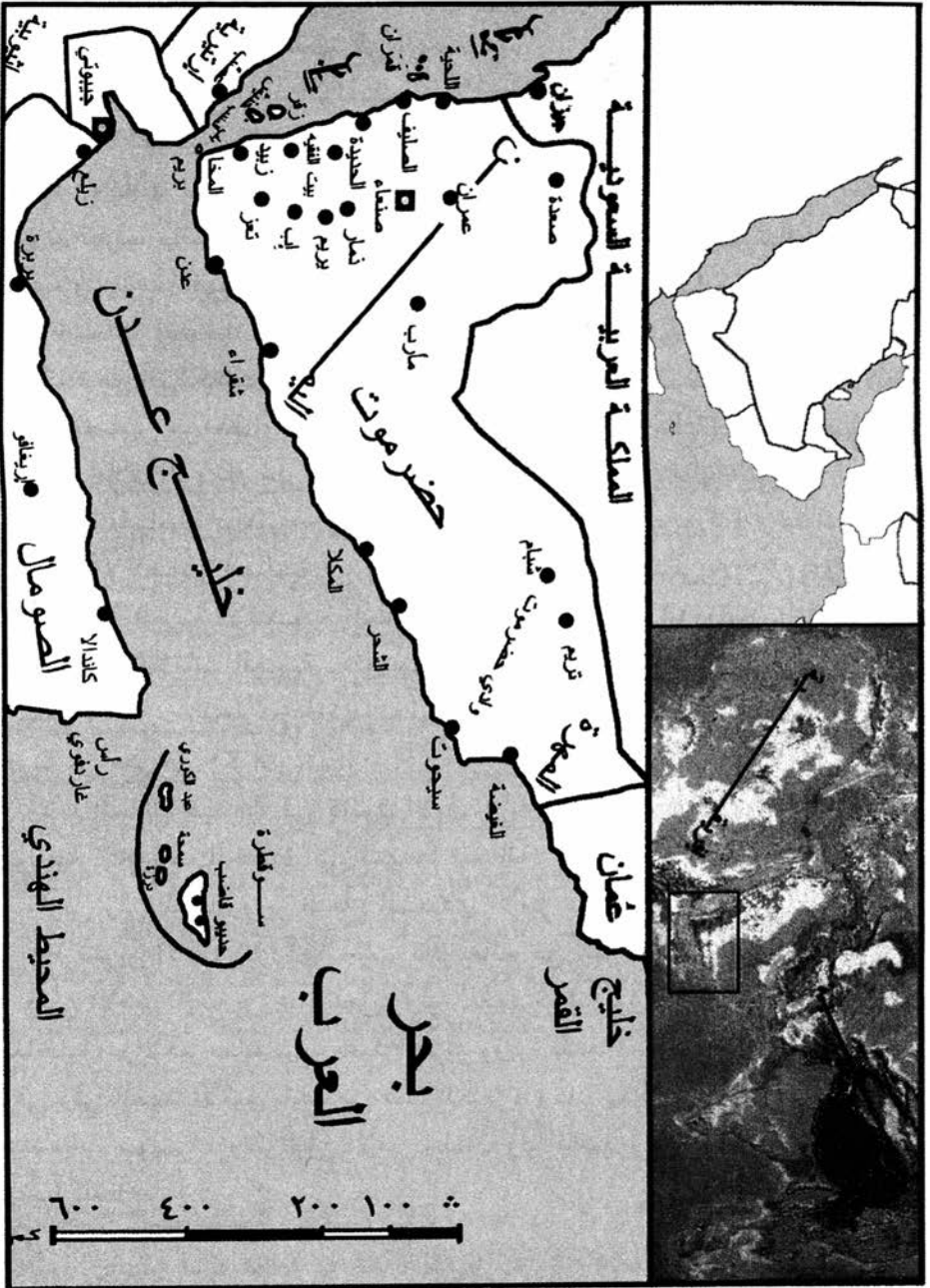
## الملك عبد الله بن عبد العزيز

خلف الملك عبد الله أخاه الملك فهد عقب وفاته، وبويع أخوه الأمير سلطان بن عبد العزيز ولياً للعهد في اليوم نفسه.

اهتمَّ الملك عبد الله منذ أن استلم الحكم بتحسين الأوضاع الداخلية على مختلف صعداها، الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والدينية، ووضع أسس العديد من مشاريع التنمية، وكانت له نشاطات متعددة على الصعيد الخارجي، وعُرف عنه اهتمامه بشؤون العرب والمسلمين، وحرصه على جمع كلمتهم على الحق والعدل ووحدة الصف والهدف، فهو رجل يؤمن بالسلام والإسلام، وهو الرابط القوي في وحدة الأمة جمعاء. فقد دعا القادة الفلسطينيين من حركتي فتح وحماس إلى عقد مؤتمر في مكة لحلّ المشكلات بينهما وقيام حكومة وحدة وطنية فلسطينية، وأصدر الأوامر بنقل المصابين من قطاع غزة إلى المستشفيات السعودية والتكفل بعلاجهم نتيجة إصابتهم خلال الاعتداء على القطاع، كما دعا الفصائل الصومالية المتقاتلة إلى توقيع اتفاقية للمصالحة برعايته، وافتتح مؤتمر الأديان في نيويورك، وشارك في قمة العشرين الاقتصادية العالمية في واشنطن في ١٥ تشرين الثاني ٢٠٠٨م، وأعلن في مؤتمر القمة العربية الاقتصادية المنعقد في الكويت بتاريخ ١٩ كانون الثاني ٢٠٠٩م عن نهاية الخلافات العربية - العربية، وأكد على مبادرة السلام العربية المقترنة باسمه، وعقد مصالحة مع العقيد معمر القذافي رئيس ليبيا أثناء انعقاد مؤتمر القمة العربية في قطر في ٣٠ آذار.

ودعا الملك عبد الله في كانون الأول ٢٠١١م إلى اتحاد دول الخليج العربي لمواجهة التحديات الخطيرة التي تشهدها المنطقة.

وتوفي ولي العهد ووزير الدفاع السعودي الأمير سلطان بن عبد العزيز في نيويورك في ٢٢ تشرين الأول ٢٠١١م؛ حيث كان يُعالج من المرض في إحدى مستشفياتها. فعُيّن الأمير نايف بن عبد العزيز ولياً للعهد ونائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للدخالية، والأمير سلمان بن عبد العزيز وزيراً للدفاع، وفي ١٦ حزيران ٢٠١٢م توفي ولي العهد الأمير نايف بن عبد العزيز، وكان يعالج من المرض في إحدى مستشفيات سويسرا، وتمّ تعيين الأمير سلمان ولياً للعهد ونائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للدفاع.



خريطة اليمن. عن اطلس دول العالم الإسلامي لشوقي أبو خليل. دار الفكر - دمشق

### اليمن

#### الموقع والجغرافيا

يقع اليمن في الجنوب الغربي من الجزيرة العربية، وتبلغ مساحته بشطريه مائتين وخمسة آلاف ميل مربع، خمسة وسبعين ألف ميل مربع مساحة الجمهورية العربية اليمنية، ومائة وثلاثين ألف ميل مربع مساحة اليمن الشعبية الديمقراطية والجزر التابعة لها. يحدُّ اليمن من الشمال عسير وتتبع المملكة العربية السعودية، ويمتد خط الحدود من ميناء ميدي على البحر الأحمر إلى شمال بلدة صعدة متبعاً وادي مخلاف إلى حدود نجران ويام الجنوبية، ويحدُّ اليمن من الجنوب محميات عدن، وتمتد الحدود بين الشيخ سعيد على البحر الأحمر إلى جنوب بلاد الحجرية وماوية وقعطبة، ويحدُّه من الشرق حضرموت، والخط الفاصل هو وادي بيمان وبادية الجوف الممتدة إلى الربع الخالي، ويحده من الغرب البحر الأحمر، ويتضح من هذا أن اليمن يشغل موقعاً مهماً، إذ يقع على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر.

تخترق اليمن سلسلتان من الجبال، تحصران في ما بينهما هضبة واسعة، ويمتد بمحاذاة الساحل سهل ضيق، يقطعه عدد من الوديان تصبُّ في البحر الأحمر.

ويُقسم اليمن من ناحية التضاريس إلى ثلاثة أقسام:

**الأول:** منخفض يمتد على طول الساحل، ويُسمَّى: تهامة، وهو عبارة عن شريط ضيق من الصحراء الرملية التي يشتدُّ حرُّها، ويتراوح عرضها بين ثلاثين وخمسين ميلاً.

**الثاني:** الهضبة ومرتفعاتها الشمالية، وتميل الهضبة نحو السهل الساحلي، وهي ليست جبلية وعرة، وبها أعلى قمة في كل الجزيرة العربية، هي قمة النبي شعيب، على بُعد ثلاثين ميلاً غربي صنعاء، ويُقدر ارتفاعها بحوالي أربعة عشر ألف قدم فوق سطح البحر.

**الثالث:** المنخفض الشرقي، ويُعرف بالجوف.

يتأثر مناخ اليمن بعوامل عدة منها:

- قربه من خط الاستواء.

- اختلاف تضاريسه.

- قربه من مسطحات مائية عريضة، مثل: البحر الأحمر في الغرب والبحر العربي

في الجنوب.

كانت اليمن وما تزال تُشكّل القسم الخصب والغني بالثروات الطبيعية في جنوبي الجزيرة العربية، وساعدت البيئة الطبيعية على ازدهاره اقتصادياً وعمرانياً وحضارياً، فأمطاره تهطل بكثرة في فصل الصيف وتُكوّن أنهاراً وودياناً استُغلت في إصلاح الأراضي المزروعة، وأقام أهلها أقينية الريّ، ما أنعش زراعة اليمن وأكثر من أشجارها وثمارها، فسمّاها العرب اليمن الخضراء، وأطلق عليها اليونان والرومان اسم بلاد العرب السعيدة، ووصفها الرحالة القدماء وعلى رأسهم هيرودوس بأنها من أغنى بلاد العالم<sup>(١)</sup>.

ومن أشهر مزارعات اليمن: البن، والفاكهة على اختلاف أنواعها، والخضراوات والحبوب، واللبن والمر، وهذه السلعة الأخيرة هي أهم تجارته الوطنية مع العالم القديم، وتوسعت تجارة اليمن بينه وبين مصر وأفريقيا والهند.

ولا تقلُّ الثروة المعدنية أهمية عن الثروة النباتية، ففي الشمال من منطقة صنعاء يوجد منجم للحديد، وفي الجنوب يوجد الفحم الحجري بكثرة، وفي حليف منجم للملح، ويحوي اليمن على كثير من الذهب والفضة واليورانيوم والنحاس والماغنيزيوم والبوتاس، وعُثر على النفط في منطقة حليف ومنطقة شبوة على الحدود الشرقية.

عاصمة اليمن صنعاء، وتقع في شمالي البلاد، وهي أكبر مدنه، تليها تعز في الجنوب، ومن أهم مدن اليمن: زبيد، بيت النقية، كوكبان، عمران وذمار، وأهم موانئها عدن والحديدة، وكانت مخاً مركزاً تجارياً ممتازاً ثم تضاءلت أهميتها منذ القرن التاسع عشر.

تتميز الحياة الاجتماعية في اليمن بأمور عدة منها:

- القبيلة هي الوحدة الاجتماعية للمجتمع اليمني.

- هناك اختلاف ظاهر بين سكان الجبال وسكان السهول في نواحي الحياة

المختلفة.

- شعب اليمن مُقسّم بين مذهبين هما: المذهب الشافعي والمذهب الزيدي، وقد

أدّت هذه الحقائق دوراً مهماً في تاريخ اليمن حتى اليوم، وهي ترجع في أصولها إلى جذور تاريخية وجغرافية<sup>(٢)</sup>.

(١) قدورة، زاهية: شبه الجزيرة العربية: ص ١٥٤، ١٥٥.

(٢) سالم، سيد مصطفى: تكوين اليمن الحديث: ص ٢٠.

## تاريخ اليمن الحديث

### تمهيد

اكتشف البرتغاليون في أواخر القرن الخامس عشر الطريق البحري المباشر إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح، وأخذوا يُحوّلون تجارة الشرق إلى هذا الطريق، ما أدى إلى تصدع البناء الاقتصادي الذي شهدته اليمن منذ فجر تاريخه، والذي يعتمد إلى جانب الثروة الزراعية على العمل التجاري العالمي بين الشرق والغرب، وأدى هذا الانقلاب في طريق التجارة العالمية وما ترتب عليه من صراع بين القوى الأوروبية وبين القوى الإسلامية والعربية، إلى انهيار النظام السياسي القائم في اليمن آنذاك، وشهد القرن السادس عشر سقوط آخر الأسر السنيّة التي كانت تتولى الحكم في اليمن خلال العصور الوسطى، وهي الأسرة الطاهرية، كما شهد انتقال السيادة من أيدي الجنوبيين السهليين إلى أيدي الشماليين الجبليين، واستمر هؤلاء، وهم الأئمة الزيديون وأتباعهم، يسيطرون على الحكم في اليمن حتى قامت ثورة أيلول ١٩٦٢م، وهكذا كان الاضطراب الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي أصاب اليمن وما نتج عنه من أوضاع سياسية جديدة هو الذي جعل القرن المذكور بداية لتاريخ اليمن الحديث<sup>(١)</sup>.

### الأوضاع السياسية في اليمن ١٥١٧ - ١٥٣٨م

كان المحيط الهندي والبحار التابعة له حتى القرن السادس عشر الميلادي مناطق بحرية إسلامية، تُبحر فيها السفن الإسلامية محمّلة بالبضائع، من الشرق إلى الغرب، ودخلت البرتغال خلال القرن المذكور كدولة بحرية كبرى سيطرت على هذا المحيط وتولّت أعمال التجارة بين الشرق والغرب، وقد أثر ذلك على الدولة العثمانية بصفقتها المهيمنة على التجارة الشرقية، من خلال تأثيره على الموانئ العثمانية كمراكز تجارية يستقطبها الخليج العربي بخاصة، وبقي أمام العثمانيين الطريق البري الذي يمرُّ بالأراضي الصفوية، ما أضرَّ بالمنافع التجارية العثمانية.

من أجل ذلك، تعاونت الدولتان العثمانية والمملوكية في مصر في عام ١٥٠٩م في مواجهة البرتغاليين في المحيط الهندي والبحر الأحمر، فأرسل قانصوه الغوري المملوكي بعد أن تلقى مساعدات عسكرية عثمانية؛ حملة بحرية في عام ١٥١٥م، عُرفت باسم حملة الهند، لإعادة فتح طريق الهند ومساعدة أمير الكجرات السلطان

(١) سالم، سيد مصطفى: الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨ - ١٦٣٥م، ص ٢٥.



أبي الفتح محمد بن محمد، وعيّن سلمان العثماني (سلمان الرومي) قائداً للأسطول، على أن يتولى قيادة الحملة الأمير حسين الكردي، نائب جدة، عند وصولها إلى هناك. لكن لم يُقدّر لهذه الحملة الوصول إلى هدفها النهائي في الهند بسبب الظروف المناخية التي واجهتها أمام السواحل اليمنية، وتوقفت في عدن، ومن ثمّ عمل المماليك بعد موافقة سلطان اليمن عامر بن عبد الوهاب الطاهري على إقامة القواعد البحرية على السواحل اليمنية واتخاذ عدن قاعدة لنشاطهم البحري في المحيط الهندي وفي الهند.

وما لبثت سياسة الدولة العثمانية أن تغيّرت بعد ضمّ العثمانيين لمصر وقضائهم على المماليك في عام ١٥١٧م، إذ بدأ الجهد الرئيس في العمل للرد على التهديدات البرتغالية، وسارعت القوة المملوكية في اليمن إلى الاعتراف بالسيادة العثمانية، وأدرك العثمانيون من جهتهم أهمية هذا البلد في نزاعهم مع البرتغاليين، وعلى الرغم من ذلك ظلّت خطواتهم لتدعيم سيطرتهم على اليمن ضعيفة، ولم يتمكّنوا من إرسال حملة قوية لبسط نفوذهم على اليمن إلا في عام ١٥٣٨م، أي بعد حوالي عشرين عاماً من وصولهم إلى مصر، وقد تغيّرت الأوضاع السياسية في اليمن خلال هذه المدة لغير صالحهم.

الواقع أن الأوضاع السياسية كانت خلال هذه المدة مضطربة، ومما جعل هذا البلد على أهمية كبرى، وقوعه على خطّ المواجهة المباشرة ضدّ الأطماع البرتغالية، وقد تعرّض فعلاً لهجمات البرتغاليين، كما كان يعاني في الوقت نفسه من اضطرابات داخلية بفعل صراع القوى المحلية.

فقد تمكّن الإمام شرف الدين الزيدي من ملء الفراغ الذي خلّفه سقوط السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري على أيدي المماليك، وقد أدى هذا السقوط إلى انتشار الفوضى والاضطراب في اليمن، إذ لم يتمكّن المماليك أو أحد أفراد الأسرة الطاهرية من أن يسيطر على الأوضاع، وترتّب على ذلك بأن قام صراع طويل بين ثلاث قوى هي: قوة الزيديين، وقوة المماليك، وقوة بقايا الأسرة الطاهرية، وأدّت النزاعات الدينية المذهبية وأعمال السلب والنهب التي كان يمارسها البدو، وغياب سلطة الحكومة القوية، إلى جوّ من عدم الثقة وإلى صدامات قبلية.

ففي مطلع القرن السادس عشر، شكّلت الطائفتان المتنازعتان الزيدية والإسماعيلية اللتان كانتا تسيطران على المناطق الجبلية في شمالي اليمن ووسطه، المنافس الدائم للسلطنة الطاهرية<sup>(١)</sup>.

(١) ابغانوف، نيقولاي: الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦ - ١٥٧٤م، ص ١٢٠.

ويبدو أن سلطة المماليك اضطربت إثر ورود أخبار من بلاد الشام عن انتصار العثمانيين على المماليك في معركة مرج دابق في عام ١٥١٦م، ومصراع السلطان المملوكي قانصوه الغوري .

وكانت سلطنة الطاهريين السُّنَّة هي الأقوى في اليمن، وتميزت بأنها المركز الديني والثقافي الرئيس في البلاد، فبسطت سيادتها على المراكز الزراعية وأكثر المدن المزدهرة، بما فيها تعز وصنعاء ومخا والعاصمة زبيد<sup>(١)</sup> .

أدَّى الوضع الجديد في اليمن إلى تعيُّر جذري، حيث وجد المماليك أنفسهم في وضع لم يألفوه بعد سقوط دولتهم الأم، ولم يعد لهم أي مكان يلودون به، وأضحوا مُرغمين على البقاء في اليمن وتثبيت مواقعهم فيه، فأسسوا دولة مملوكية بقيادة إسكندر الشركسي، واعترفوا بالسيادة العثمانية، واعترف السلطان سليم بدوره بالأمر الواقع في اليمن، وأرسل إلى إسكندر الشركسي يُثبته على أن يقيم الخطبة له ويضرب السكة باسمه، فامتثل اسكندر الشركسي لهذا الأمر .

وهكذا بسط السلطان سليم حمايته على المماليك في اليمن واضعاً بذلك بداية موضوعية لوجود الدولة العثمانية العسكري والسياسي في جنوبي الجزيرة العربية، حيث أخذ العثمانيون يعملون على إنقاذ البحر الأحمر من الخطر البرتغالي، وتمركزت حامية عثمانية في اليمن، وحاول العثمانيون ضمَّ عدن الواقعة تحت حكم الأمير مرجان، فأرسلوا إليها قوة عسكرية بقيادة حسين الرومي والي جدة في عام ١٥٢٠م، إلا أنه اصطدم بمقاومة عنيفة من جانب الحاكم المملوكي والإمام الزيدي وبقايا الطاهريين في عدن، والبرتغاليين، كقوى تتنازع للسيطرة عليه، واضطر للعودة إلى جدة .

وحاول البرتغاليون أيضاً السيطرة على المدينة، فأرسلوا حملة بحرية بقيادة نائب الملك لوبر سكويرا في أوائل عام ١٥٢٠م وهدفها مهاجمة جدَّة ثم عدن، لكنها لم تتمكن من الوصول إلى جدَّة بسبب الرياح العكسية، كما فشلت حملة أخرى توجَّهت إلى البحر الأحمر في عام ١٥٢٣م، غير أنهم نجحوا في إجبار عدن على عقد اتفاقية معهم تقضي بفتح ميناء المدينة أمام السفن البرتغالية، ودفع العدنيون جزية سنوية لهم، وقد ارتبط هذا النجاح باسم القائد البرتغالي البحري دي سلفيرا، وذلك في عام ١٥٢٤م، لكن نائب الملك في الهند فاسكو دي غاما رفض توقيع هذه الاتفاقية وهو المؤمن بضرورة السيطرة التامة على المراكز التجارية المهمة، لذلك قامت الحملة البرتغالية في عام ١٥٢٥م بضرب عدن بالمدافع، ولكنها لم تُحقِّق شيئاً، كما

(١) ايفانوف: ص ١١٩.

فشلت حملة أخرى قادها دي سلفيرا في عام ١٥٢٦م في احتلال المدينة، إلا أنه جدّد المعاهدة السابقة في عام ١٥٣٠م واعترف البرتغاليون بحرّيّة الملاحة للعدنيين بشرط عدم توجّه سفنهم إلى جدة<sup>(١)</sup>، وقد تركوا سفينة برتغالية وأربعين جندياً لضمان تنفيذها والإشراف على الميناء وعلى إيراداته المالية، وقد تعرّض حاكم عدن لغضب السكان والفقهاء والعلماء، لكنه تذرّع بالخوف من هجوم المماليك أو البدو على المدينة من الداخل اليمني.

الواقع أن الاتفاقية لم تستمر مدة طويلة، فقد قبض حاكم عدن، بعد مغادرة الحملة، على الجنود البرتغاليين وسجنهم ثم سخرهم في صناعة الأسلحة والآلات الحربية، وكتب إلى السلطان سليمان القانوني الذي خلف والده السلطان سليم في عام ١٥٢١م، يخبره بالدخول في طاعته<sup>(٢)</sup>.

تراجعت قوة الطاهريين بعد وفاة السلطان عامر بن عبد الوهاب، في الوقت الذي نشط فيه الزيديون بعد أن وحّدهم الإمام شرف الدين تحت زعامته، وراح يُوجّههم نحو التوسع على حساب المماليك والطاهريين، فمدّ سيطرته إلى صنعاء، وظلّت حروبه مع الطاهريين تتخذ شكل مناوشات، سنوات عدة، لانهماك الطرفين في شؤونهما الخاصة، فقد كان الإماميون يُنازعون قوى زيدية أخرى في الشمال بفعل تضارب المصالح المادية والسياسية على الرغم من وحدة المذهب، وشغل الطاهريون بالنزاعات الأسرية. ولم يحدث الصدام الكبير بين الطرفين إلا في عام ١٥٢٥م، وكان السبب تفرّد الإمام بالاستيلاء على صنعاء بعد أن كان قد اتفق مع أشرف الجوف بزعامه محمد بن عبد الله الشويح أن يتعاونوا معاً في الهجوم عليها، واقتسام غنائمها، عندئذٍ، تحالف المماليك وأشراف الجوف وإمام صعدة الحسن بن المؤيد، وكان قد أعلن إمامته منذ أيام السلطان عامر بن عبد الوهاب، وقرّروا العمل معاً ضدّ الإمام شرف الدين، فهاجموا معقله في حصن ثلاء في عام ١٥٢٨م، لكنهم فشلوا في الاستيلاء عليه، واستمرت الحرب بينهما سنوات طوال لم يتمكن الإمام شرف الدين خلالها من الاستيلاء على صعدة ونجران في أقصى الشمال، ولم يتحقّق ذلك إلا بعد خمسة عشر عاماً من الهجوم على ثلاء<sup>(٣)</sup>.

واشتد النزاع بين الإمام شرف الدين وأشراف الجوف وصعدة في عام ١٥٣١م عندما قرّر هؤلاء الاعتراف بإمامة عز الدين بن المؤيد في صعدة بعد وفاة أبيه،

(١) Kammerer, Albiti. La Mer Rouge II pp 283 - 299.

(٢) Serjeant, R.B: The Portugues of the south Arabian Coast pp55, 95.

(٣) سالم: ص ١٣٣.

وعندما أخذوا ينشرون دعوته ونفوذه في الأنحاء الشمالية، اشتعلت الحرب في تلك الجهات، واضطر الأشراف إلى الانسحاب من صعدة تحت ضغط القتال، ودخلها الإمام شرف الدين، وذلك في عام ١٥٣٣م، وتغلّب عليهم في معركة ثانية فتحت الطريق أمامه إلى أقصى اليمن الشمالية، فاستولى على نجران في ٢ أيلول ١٥٣٤م، واضطر الأشراف إلى مصالحته ومغادرة اليمن، وانصرف الإمام عز الدين بن المؤيد إلى العلم والتدريس، وترك العمل السياسي.

وحاربت جيوش الإمام الطاهريين في جنوبي اليمن، ولم تتمكن أي من القوتين من القضاء نهائياً على القوة الأخرى حتى مجيء العثمانيين في عام ١٥٣٨م.

وهكذا حدث تغيير كبير في خريطة اليمن السياسية في المدة الممتدة بين عامي ١٥١٧ و ١٥٣٨م، إذ نجح الزيديون لأول مرة في تاريخهم أن يمدّوا نفوذهم إلى جهات اليمن المختلفة حتى أسوار عدن جنوباً، وأسوار زبيد غرباً، ولنا أن نتصور أن الصدام الذي حدث بين الزيديين والطاهريين إنما هو صدام بين قطبي اليمن في صعدة في أقصى الشمال، وفي عدن في أقصى الجنوب، وكان كل منهما يُمثّل أوضاعاً خاصة تختلف في جوهرها عن أوضاع القطب الآخر، فقد كانت صعدة تمثل الشمال الجبلي الفقير نسبياً، والذي اعتنق المذهب الزيدي للتعبير عن شخصيته الخاصة وسط المحيط السنّي الملتف حوله، ومثّلت عدن الجنوب السهلي الغني زراعياً وتجارياً، وكانت لها السيادة والسيطرة حتى فقدتها في بداية القرن السادس عشر، فبرزت صعدة عندئذٍ لتملأ الفراغ الذي تركته عدن عند انهيارها<sup>(١)</sup>.

## ضم العثمانيين سواحل اليمن

بدأ العثمانيون منذ أوائل عام ١٥٢٠م في تنفيذ جزء من خططهم العامة في البحر الأحمر بمدّ نفوذهم إلى اليمن، وبذلوا أقصى جهد لهم، واستكملوا استعدادهم البحري في عام ١٥٣٨م في دار الصناعة في السويس، حتى تمّ لهم تكوين حملة كبيرة بقيادة سليمان باشا الخادم، تتألف من ثمانين سفينة ومن عشرين ألف جندي، وتُعبر ضخامة هذه الحملة عن قوة العثمانيين البحرية والعسكرية، واتخذ الخطوات اللازمة لتنفيذ خطته وهي السيطرة على سواحل البحر الأحمر واليمن قبل إرسال الأسطول إلى الهند لمواجهة البرتغاليين، فاتصل بالأمرء المختلفين في جهات البحر الأحمر وبخاصة أمراء الساحل اليمني، مثل أميرى عدن والشحر، يطلب منهم الدخول في طاعة العثمانيين، فراوغ الأول وهو عامر بن داود الطاهري في البداية

(١) سالم: ص ١٤١ - ١٤٢.

ولم يرد على رسالة سليمان باشا الخادم، وقَبِلَ الثاني وهو بدر الطويرق<sup>(١)</sup>. غادرت الحملة السويس في ٢٨ حزيران ١٥٣٨م، ومَرَّت بميناء جدّة ثم تقدمت إلى جزيرة كمران، وخرجت من البحر الأحمر ووصلت إلى عدن في ٣ آب من العام نفسه، وقام كل من عامر بن داود والإمام شرف الدين بالاتصال بسليمان باشا الخادم يطلب منه مساعدته ضدَّ الآخر، لكن لم يكن لهذه الاتصالات نتائج عملية مباشرة، فقد سيطرت الحملة على عدن بالحيلة في ٨ آب، ولما زار عامر بن داود سليمان باشا الخادم في سفينته وطلب منه تثبيته في حكم عدن تحت السيادة العثمانية، أحسن هذا استقباله وخلع عليه وعلى مرافقيه ثم أمر بشنقهم جميعاً على صاري السفينة، وحصَّن القائد العثماني المدينة وشحنها بالمدافع، وعيَّن أحد سناجق الحملة وهو الأمير بهرام حاكماً عليها، وترك معه حامية عسكرية مؤلفة من خمسمائة جندي<sup>(٢)</sup>.

توجَّهت الحملة العثمانية بعد ذلك إلى ميناء ديو في الهند لاستكمال القسم الثاني من خطتها، فوصلت إلى هناك في أيلول عام ١٥٣٨م، إلا أنها فشلت في مهمتها، عندئذٍ أصدر سليمان باشا الخادم أمراً بفكِّ الحصار عن ديو والعودة إلى السواحل العربية، وأضحى هدفه بعد هذا الفشل استكمال ضمِّ السواحل اليمينية، وتعويض فشله في الهند، فولَّى السلطانَ العثماني بدر الطويرق حكم حضرموت تحت السيادة العثمانية على أن يدفع للعثمانيين الجزية السنوية المقررة، ثم تقدم نحو عدن وأنزل جنوداً في مخا استعداداً لإخضاع المماليك في زبيد والسيطرة عليها، ولجأ من أجل تحقيق ذلك إلى أسلوب الغدر، فأرسل إلى الناخودة أحمد والي زبيد المملوكي يؤمِّنه في ولايته ويستدعيه لمقابلته في مخا، وبعد تردد قَبِلَ الأمير المملوكي الدعوة، ولكن ما إن وصل إلى مخا حتى أمر سليمان باشا الخادم بقتله، وعيَّن أحد الضباط العثمانيين، وهو مصطفى بك، حاكماً على زبيد وعلى المنطقة التي يحكمها المماليك في تهامة.

كان القضاء على الطاهريين في عدن والمماليك في زبيد، يعني بداية المواجهة المباشرة بين العثمانيين والقوة الثالثة في اليمن، وهي قوة الإمامة الزيدية المتمثلة في الإمام شرف الدين.

وضع سليمان باشا الخادم خطة من شقين تجاه الإمام الزيدي:

الأولى: استدراجه عن طريق الرسل والرسائل، إلا أنه لم يفلح.

الثانية: الاستيلاء على تعز وأقاليمها حتى يربط برّاً الممتلكات العثمانية في اليمن، أي بين زبيد وعدن، لكنه فشل في ذلك.

لكن القائد العثماني نجح في تحقيق هدفين أساسيين بالنسبة لإحكام سيطرة العثمانيين على مدخل البحر الأحمر الجنوبي، تمثلاً بتحصين جزيرة كمران وتزويدها بالمدافع، وإخضاع ميناء جيزان للسيادة العثمانية وتحصينه، وكان تحت سيطرة أشرف مكة، فطرد الأشراف منه وعيّن عليه أميراً عثمانياً وجعله تابعاً لوالي زبيد العثماني.

وهكذا على الرغم من الفشل الذي لازم أعمال سليمان باشا الخادم العسكرية في الهند، فقد نجح في إخضاع السواحل اليمنية من جيزان شمالاً إلى عدن والشحر جنوباً، مزوداً الدولة العثمانية لأول مرة بتلك المناطق التي تمتلك قواعد «استراتيجية» جديدة متقدمة ومهمة في الدفاع عن منطقة البحر الأحمر في مواجهة الغارات البرتغالية، وكان ذلك في الحقيقة أبرز نجاحات الحملة، وظلت المناطق الداخلية تحت حكم الزيديين، ويُعدُّ نجاحه هذا بداية للحكم العثماني في اليمن، بالإضافة إلى مرحلة جديدة من مراحل تاريخ هذا البلد.

### ضم العثمانيين الأول لليمن ١٥٣٨ - ١٥٥٥م

حاول كل من العثمانيين والزيديين دعم سيطرتهم في الأقاليم التي تقع تحت سلطتهم، وقد ترتّب على تمتع العثمانيين بالقوة في عهد السلطان سليمان القانوني؛ أن بدأ اهتمامهم بتنظيم ممتلكاتهم في اليمن بعد عودة سليمان باشا الخادم مباشرة، فثبّت السلطان الأميرين اللذين عيّنها سليمان باشا الخادم في عدن وزبيد، وأرسل مرسوماً إلى الإمام شرف الدين يتضمّن إبقاء الأوضاع القائمة على ما هي عليه، وتكليفه بإرسال القوافل إلى عدن، والعمل على استتباب الأمن في البلاد.

وازداد اهتمام العثمانيين بتدعيم نفوذهم في اليمن، فأرسلوا في عام ١٥٤٦م والياً جديداً لليمن، هو أويس باشا، على رأس جيش كبير لتحويل اليمن إلى قاعدة عسكرية كبيرة لهم عند مدخل البحر الأحمر الجنوبي، وبدأ في عهده الصدام العسكري بين العثمانيين والزيديين، الذي كان مرتقباً نظراً لتجاور هاتين القوتين الكبيرتين في إقليم واحد، وتراجع قوة الإمامة الزيدية بفعل الخلافات الأسرية.

الواقع أنه لم يكن متوقعاً أن تبقى العلاقات السلمية بين السلطتين العثمانية والزيدية في حال سلام دائم مع تجاورهما، إذ إن الاحتكاكات والمناوشات المستمرة بينهما كان لا بدّ أن تؤدي بالضرورة إلى اندلاع الحرب، وكان ضغط الإسماعيليين وغيرهم من اليمنيين على أويس باشا لإعلان الحرب على الإمام شرف الدين وأبنائه من العوامل المهمة التي دفعت العثمانيين إلى التقدم إلى داخل اليمن، وكان الداعي الإسماعيلي محمد بن إسماعيل زعيم الطائفة الإسماعيلية قد لجأ إلى

العثمانيين في زبيد بعد صدامه مع الإمام شرف الدين، وحاول دفعهم لمحاربته، كما اتصل المطهر، الابن الأكبر للإمام شرف الدين، بهؤلاء للاستعانة بهم ضد والده، بعد أن عيّن أخاه علي ولياً للعهد وحرّمه من هذا المنصب.

توجّه أويس باشا إلى تعز نظراً لأهميتها «الاستراتيجية» لجنوبي اليمن، وتأميناً لخطوط رجعتة قبل أن يصطدم مع الإمام، وكان واليها الزيدي يحيى النصيري قد حصّنها منذ أن شعر بقدوم أويس باشا إلى زبيد. لكن تعز سقطت في أيدي الجيش العثماني في شباط ١٥٤٦م، وتقدم أويس باشا بعد ذلك إلى ذمار إلى الجنوب من صنعاء، لكن العمليات العسكرية توقفت فجأة إثر اغتيال أويس باشا في حزيران ١٥٤٧م، وكان التفوق العثماني واضحاً أمام ضعف الحكم الزيدي، وسارع أهالي النواحي إلى إعلان تمردهم على ولاتهم الزيديين، كما سارع آخرون إلى الدخول في طاعة العثمانيين.

أدى انهيار الحكم الزيدي في جنوبي اليمن إلى ردّ فعل في الشمال تمثّل برغبة الإمام شرف الدين في توحيد صفوف أسرته للوقوف في وجه الزحف العثماني، فتفاهم مع ابنه المطهر على أن تكون السلطة العليا في يده، على أن يتسلم المطهر مقاليد الحكم، فتقدم هذا إلى صنعاء وتسلم الحكم، وضرب السكة باسمه، وقبض على أنصار والده وصادر أملاكهم<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن توحيد الأسرة كان شكلياً، فقد ظل إخوة المطهر يحقدون عليه لانتصاره عليهم في معركة الصراع على السلطة، وانقلبوا عليه، وساندوا العثمانيين ضده. وحدث بعد اغتيال أويس باشا أن كلّفت الحكومة العثمانية أزدمر باشا أحد قادة حملة اليمن بمواصلة عمل سلفه، فتقدم إلى صنعاء في ١٧ آب ١٥٤٧م واشتبك مع المطهر في رحى معركة ضارية انهزم فيها الأخير، ودخل أزدمر باشا المدينة، فامتد النفوذ العثماني بذلك إلى قلب المنطقة الشمالية، وتثبيت أقدام العثمانيين في اليمن بعامة.

وأرسلت الحكومة العثمانية في غضون ذلك والياً جديداً على اليمن، هو فرهاد باشا، وكلفته باستعادة عدن وإخماد الاضطرابات في جهات الساحل، والمعروف أن علياً بن سليمان، زعيم قبيلة الطوالق، كان قد استولى على عدن وطرده العثمانيين منها أثناء انهماك الأمير أزدمر بحروبه في المنطقة الشمالية، وكان وجود العثمانيين في عدن قد حرم تلك القبائل من مواردها المالية، لأن العثمانيين أخذوا على عاتقهم حماية طرق القوافل الممتدة من عدن إلى داخل اليمن، فحرموا بذلك تلك القبائل

(١) سالم: ص ١٨٥، ١٨٦.

من الدخل السنوي الذي كانوا يتقاضونه من سلاطين اليمن السابقين لضمان خضوعهم لسيادتهم ولتأمين طرق القوافل<sup>(١)</sup>.

حاصر فرهاد باشا عدن براً وبحراً حتى سقطت في يده، وقُتل علي بن سليمان زعيم الثورة خلال القتال، كما قُتل ابنه محمد الذي تولى القيادة بعده.

وعيّن السلطان سليمان القانوني قائده أزدمر باشا والياً على اليمن في عام ١٥٤٩م مكافأة له على جهوده بضمّ صنعاء، استطاع أزدمر خلال مدة ولايته التي استمرت ستّ سنوات أن يوحد أقاليم اليمن تحت السيطرة العثمانية، وواصل حروبه في المنطقة الشمالية، إلا أنه لم يُحقّق نجاحاً يُذكر أمام مقاومة المطهر، واضطر في النهاية إلى عقد الصلح معه، فأبقاه في إمارته مع اعترافه بالسيادة العثمانية<sup>(٢)</sup>.

الواقع أن صمود المطهر، الذي اتخذ مركزه في ثلاء، أمام القوات العثمانية هو الذي خلق له شهرته الواسعة التي تمتع بها في تاريخ اليمن الحديث، بوصفه رمزاً للمقاومة اليمنية ضدّ الحكم العثماني، وبدأ اليمنيون على اختلاف مذاهبهم يلتفون حوله ويربطون أنفسهم به<sup>(٣)</sup>، واضطر أزدمر إلى طلب المساعدة من استانبول فأمدّه السلطان بقوة عسكرية كبيرة مؤلفة من ثلاثة آلاف من المشاة وألف من الفرسان بقيادة مصطفى باشا النشار، وهو يحمل صلاحيات مطلقة لإقرار الأوضاع في اليمن بما في ذلك التفاوض مع المطهر من أجل الصلح وتحقيق السلام.

أدى مجيء مصطفى باشا النشار وما يحمل من صلاحيات مطلقة إلى تضارب المسؤوليات بينه وبين أزدمر باشا، وفشل القائدان في، الاستيلاء على ثلاء، واضطرا إلى عقد الصلح مع المطهر، على أن يدخل في طاعة العثمانيين مقابل الاحتفاظ بأملكه، باستثناء مدينة الطويلة التي تنازل عنها للعثمانيين نظراً لأهميتها العسكرية بالنسبة لهم لوقوعها على حدود أملكهم الشمالية.

الواقع أن هذا الصلح لم يؤد إلى استقرار الأوضاع في اليمن بشكل تام، كما لم يؤد إلى تنظيم العلاقات العثمانية - اليمنية بشكل نهائي، لأنه كان نتيجة لمواقف عسكرية وليس استجابة طبيعية لأوضاع قائمة<sup>(٤)</sup>.

كان المطهر بحاجة إلى الصلح نظراً لضعف موقفه، وكان أزدمر باشا مجبراً على عقد الصلح بفعل ما واجهه من صعوبات عسكرية، بالإضافة إلى موقف مصطفى باشا النشار المعارض له، وهو المؤمن بضرورة القضاء نهائياً على المطهر حتى لا

(٢) سالم: ص١٩٧، ١٩٨.

(٤) المرجع نفسه: ص٢٠٥.

(١) Serjeant: p108.

(٣) المرجع نفسه: ص١٩٨.



يُمثّل تهديداً مستمراً للنفوذ العثماني في اليمن، إذ ظلّ قائماً في مواقعه المحصنة، كما كان يُدرك قدرته على تأليب السكان ضدّ العثمانيين.

كان الصلح بين أزدمر والمطهر خاصاً بتنظيم العلاقة بين العثمانيين وبين المطهر فقط، ولا يشمل باقي الأقاليم أو الفئات اليمنية الأخرى لذلك استمر أزدمر في مواصلة الحرب في باقي أقاليم اليمن لإخضاعها للسيطرة العثمانية، ولم يكن هذا الصلح بالنسبة للمطهر يعني الاستكانة أو الجمود، فقد عمل على تقوية سيطرته داخل أقاليمه الخاصة وفي باقي الأقاليم الشمالية أيضاً، كما ظل والده الإمام شرف الدين الذي يقيم في كوكبان مع ابنه شمس الدين يمثل بقاء الإمامة الزيدية، أما أزدمر فقد توجه إلى المثلث الجبلي الذي يقع إلى الجنوب الغربي من صنعاء واستولى عليه في شباط ١٥٥٣م، وقضى على الاضطرابات في أقاليم كحلان وحبيش والشوافي، واهتم بالمناطق المحيطة بعدن لحماية ظهره أمام ثورات السكان من ناحية البحر.

وما جرى من النزاعات بين الإمامة الزيدية وأشرف الجوف حول اختيار خلف للإمام شرف الدين؛ أدى إلى التماس أحمد بن الحسين بن المؤيد المساعدة من أزدمر باشا، وهو الذي اختاره أشرف آل المؤيد إماماً في صعدة ضدّ أشرف الجوف الذين طردوه من المدينة، فانتهز الوالي العثماني هذه الفرصة وهاجم صعدة التي استسلمت له، فجعلها مركزاً متقدماً للعثمانيين في أقصى شمالي اليمن، وجعل لحليفه الإمام أحمد بن الحسين ولاية المناطق الجبلية التي تلي صعدة شمالاً.

وعُزل أزدمر باشا في عام ١٥٥٥م من ولايته على اليمن بعد أن نجح في فرض النفوذ العثماني في أقاليمه المختلفة، وحلّ محله مصطفى باشا النشار.

## تراجع النفوذ العثماني في اليمن ١٥٥٦ - ١٥٦٨م

لم تهدأ الأوضاع في اليمن في ظلّ السيطرة العثمانية إلا لمدة قصيرة بسبب كثرة الاحتكاكات بين العثمانيين واليمنيين، وسرعان ما تدهور الحكم العثماني بعد عزل أزدمر باشا، وبدأت ممتلكات العثمانيين بالانكماش تدريجاً لكن بخطوات سريعة، حتى لم يبق تحت سيطرتهم بعد حوالي عقد من الزمن إلا زبيد والمناطق التهامية التي تصل بينها وبين الساحل<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن لذلك علاقة بسوء سياسة الولاة العثمانيين وضعفهم من ناحية، وتنازع الأمراء والجنود العثمانيين من ناحية أخرى.

ففيما يتعلق بسوء سياسة الولاة وضعفهم، فقد نتج عن سوء تصرف مصطفى باشا

(١) سالم: ص ٢١٤.

النشار خسارة العثمانيين لحليفٍ مهمٍّ هو شمس الدين بن الإمام شرف الدين الذي استقطبه أزدمر، فقد أرسل شمس الدين هذا ابنه محمد لاستقباله لدى وصوله إلى اليمن، وبعد اجتماع الرجلين عاد محمد إلى كوكبان ونصح والده بالابتعاد عن هذا الرجل والانضمام إلى عمه المطهر، ويبدو أنه لمس من صفاته وتصرفه ما أفضَّ مضجعه، وفعلاً تمَّ الصلح بين الرجلين، وأضحى محمد من أكبر أعوان المطهر وبخاصة بعد وفاة الإمام شرف الدين في عام ١٥٥٦م، ومما زاد الأمر تعقيداً توالي حكام ضعاف مثل مصطفى باشا قره شاهين الذي اتبع سياسة مالية ضيقة وانصرف إلى جمع المال وعدم الانفاق على الأعمال العامة، وتضييقه على الجنود، وقد خلفه إثر عزله بعد أربع سنوات محمود باشا الذي اتصف بالانتهازية، والوصولية وتحقيق أغراضه الخاصة بمختلف الوسائل، وجمع أموالاً طائلة ساعدته على تبوؤ الحكم في مصر في شباط ١٥٦٥م، وانكشمت السيطرة العثمانية في اليمن في عهده بفعل سياسة التخلص من بعض الأمراء العثمانيين من أصحاب الخبرة بأوضاع البلاد، فاندلعت الثورات في البلاد بعد رحيله، وأدت سياسة كبار الأمراء والحكام إلى اضطراب أوضاع الجنود وإضعافهم، ما أدى بالتالي إلى قيام هؤلاء بظلم الأهالي.

وإزداد الوضع سوءاً بعد تعيين رضوان باشا خلفاً لمحمود باشا في عام ١٥٦٦م، وقد اتصف بعدم الكفاءة والمقدرة على مواجهة الانهيار الذي أصاب الحكم العثماني في اليمن، وشكَّلت سياسته عاملاً رئيساً ومباشراً لاندلاع الثورة في عهده.

الواقع أن حادثة رضوان باشا وقلة خبرته بأمر الحكم من الأسباب الرئيسة لفشله في معالجة أزمة الحكم العثماني في اليمن، وبخاصة أنه عاصر رجلين عُرفا بخطورتهما السياسية ودهائهما، وهما محمود باشا والمطهر بن الإمام شرف الدين، فلم يتلاف خطورتهما وسرعان ما اصطدم بهما.

وفيما يتعلق بتنازع الأمراء والجنود العثمانيين، فقد وقعت بعض الاضطرابات بينهما، فقد تمرَّدت حامية صنعاء على أميرها وحاولت قتله بعد عزل أزدمر باشا مباشرة، وتفاقم هذا التمرد عندما أغلق الجنود أبواب المدينة وهاجموا بيوت السناجق وقتلوا أحدهم، وكادت المدينة تغرق بالفتن لولا وقوف السكان إلى جانب الأمير ضدَّ المتمردين ومساندتهم له في القضاء عليهم خشية من أن تمتد أيديهم إلى بيوتهم وممتلكاتهم، بالإضافة إلى ذلك، فقد حدث خلاف بين كبار الأمراء بعد وفاة مصطفى باشا النشار في حزيران ١٥٥٦م كاد يؤدي إلى نشوب القتال بين العثمانيين أنفسهم، فقد أوصى هذا الوالي قبل وفاته بأن يتولى دفتردار اليمن زمام الأمور حتى يتم تعيين والي جديد، لكن نازعه حاكم تعز الذي قبض على مقاليد الحكم، وكاد

هذا الصراع يتحول إلى صدام مسلّح لولا ميل الدفتردار إلى السلم وقبوله بالأمر الواقع<sup>(١)</sup>.

تتمثّل خطورة هذه الأحداث في أنها زعزعت صورة البناء السياسي والعسكري للعثمانيين في اليمن، وهزّت صورتهم في أعين اليمنيين، ما شجّع هؤلاء على الثورة ضدّهم.

ومما زاد الوضع تعقيداً ما عرضه محمود باشا على السلطان في استانبول من اقتراح بتقسيم اليمن إلى ولايتين نظراً لانتساع مساحته وكثرة مشكلاته، على أن تشمل الولاية الأولى المناطق الجبلية الشمالية وتكون عاصمتها صنعاء، وتشمل الولاية الثانية المناطق التهامية وجنوبي الهضبة اليمنية، وجُعِلت عاصمتها زيد وفي بعض الأحيان تعز.

نجح الوالي في مسعاه لأن السلطات العثمانية في استانبول كانت تميل إلى هذا التوجه في التوسع «البيروقراطي» وتوسيع المُلْك وتكثير المناصب، وقد هدف محمود باشا من اقتراحه إضعاف نفوذ رضوان باشا، لأن وجود واليين يؤدي حتماً إلى احتكاكهما ونزاعهما.

ووصل إلى اليمن في آب ١٥٦٦م، مراد باشا ليتسلّم منصبه كوالٍ للمنطقة الجنوبية، واقتصرت ولاية رضوان باشا على المنطقة الجبلية الشمالية، وتابع محمود باشا من جهته تدبير المؤامرات ضدّ رضوان باشا حتى تمّ عزله من منصبه في أيار ١٥٦٧م، وكان النزاع بينهما قد وصل إلى حدّ التراشق بالتهم.

واصطدم رضوان باشا بالمطهر، ففعل اعتداده بنفسه وإدراكاً منه لأهمية وخطورة المطهر في اليمن، عمد إلى كسر شوكة الزعيم الزيدي، فرفع من قيمة الأموال المقررة على منطقة وادي السر الواقعة قرب صنعاء، وكانت من التزام علي بن الإمام شرف الدين، ورفض اعتراض المطهر بشأنها، وأرسل من يجمع الأموال المقررة بالقوة، فثار الأهالي ضدّه وقتلوه، فتقدّم رضوان على رأس جيشه في حزيران ١٥٦٦م لتأديب المطهر والأهالي، والتمس المساعدة من مراد باشا والي الجنوب، فأمدّه بقليل من المال والرجال بفعل النزاع بينهما حول تحديد الحدود بين ولايتيهما. وخسر رضوان بسبب سياسته الضريبية المرتجلة ولاء الإسماعيليين المعروفين بعدائهم الشديد للمطهر، فقد فرض عليهم الضرائب بعد أن كانوا معيّنين من دفعها بوصفهم جنوداً في الجيش العثماني، كما استغل الخلافات بين دعائهم فعمل على تأجيحها في الوقت الذي كان فيه بحاجة إلى الاستقرار لمعالجة الانهيار

(١) سالم: ص ٢٢٠، ٢٢١.

الذي أصاب الحكم العثماني في اليمن، كما لم يصمد أمام جموع المطهر الزاحفة إلى جنوبي اليمن، ففقد العثمانيون بذلك جميع ممتلكاتهم اليمنية باستثناء زبيد، واضطر إلى عقد الصلح مع المطهر في شباط ١٥٦٧م.

وعُزل رضوان باشا في هذا الوقت في أيار ١٥٦٧م، وعُيّن حسن باشا بدلاً منه، على أن يكون مراد باشا مسؤولاً عن ولايتي اليمن إلى حين وصول الوالي الجديد، وقد تأخر وصوله حتى أيلول من العام المذكور، فانفرد مراد باشا بحكم اليمن، فاستغل المطهر الفراغ الذي أحدثه عزل رضوان باشا، فتقدم إلى صنعاء وحاصرها بحجة أن العقد بينه وبين رضوان باشا كان محدداً ببقاء الأخير في الحكم، كما انتهز فرصة تدمير الأهالي من الحكم العثماني، وأشعل نار الثورة ضده.

كان على مراد باشا أن ينهض من ولايته الجنوبية لإنقاذ صنعاء وإعادة السيطرة العثمانية على شمالي اليمن، لكنه هوجم في ذمار وهو في طريقه إليها ما أعاق تقدمه، وتقهر إلى تعز على الرغم من معارضة أركان حربه، فسدّ اليمنيون الطريق أمامه بالحجارة ثم هاجموا عساكره من فوق قمم الجبال المحيطة به، ونهبوا معداته، وعلى الرغم من خروجه حياً من هذا الكمين، فقد تلقى ضربة ثانية في وادي جنان كانت كفيلة بتشتيت جيشه والقضاء عليه، فقد أغرق اليمنيون الوادي بالماء ما أدى إلى ارتباك الجيش، ثم انقضوا عليه وأعملوا فيه قتلاً، ونجح مراد باشا مع نفر من أتباعه في الفرار ولاذوا بقمم الجبال، فقبضت عليهم قبائل المضرح وقتلتهم جميعاً، وأرسلت رأس مراد باشا إلى المطهر<sup>(١)</sup>.

شكّل مقتل مراد باشا بداية النهاية لما تبقى من النفوذ العثماني في اليمن، إذ اكتسحت جيوش المطهر مختلف الأقاليم الجنوبية حتى وصلت إلى عدن جنوباً، واقتصرت سيطرة العثمانيين على زبيد والمناطق التهامية المحيطة بها، ثم سقطت صنعاء في يد المطهر، ودخلها في أيلول ١٥٦٧م، ودخلت أغلب المناطق التهامية الشمالية في طاعته على يد حليفه عيسى بن المهدي شريف جيزان<sup>(٢)</sup>.

لم يكن الوالي حسن باشا على قدر المسؤولية التي أُلقيت على عاتقه، فقد فوجئ فور وصوله إلى اليمن بمقتل مراد باشا وبسقوط صنعاء في يد المطهر، فبقي في زبيد لا يتجرأ على مغادرتها حتى أتى إليه الزيديون وحاصروه بها، ثم فَعَدَّ العثمانيون تعز بفعل تردده في التوجه إليها ونجدتها حتى انتهى الأمر بسقوطها في يد علي بن الشويع حليف المطهر في ٩ تشرين الأول ١٥٦٧م<sup>(٣)</sup>.

(١) سالم: ص ٢٤٣، ٢٤٤.

(٢) المرجع نفسه: ص ٢٤٦.

(٣) المرجع نفسه: ص ٢٤٥.

وأدت سياسة حسن باشا إلى ضعف جبهة العثمانيين وتفككها، وإخراج العثمانيين من أقاليم اليمن المختلفة باستثناء زبيد، لكن المدّ اليمني توقفَ أخيراً عند حدود هذه المدينة، ويعني ذلك في المقابل توقف التقهقر العثماني، وبداية الانطلاقة العثمانية من جديد لاستعادة سيطرة العثمانيين على اليمن.

## ضم العثمانيين الثاني لليمن

شعرت الحكومة العثمانية بخطورة الوضع في اليمن فقرّرت إرسال حملة كبرى بقيادة سنان باشا والي مصر؛ لتعيد سيطرتها على هذا البلد، وبخاصة المنطقة الساحلية بما فيها عدن، نظراً لأهميتها في الصراع الدائر بين العثمانيين والبرتغاليين. ويمكن تقسيم مرحلة وجود سنان باشا في اليمن إلى ثلاث مراحل:

**الأولى:** هي التي تمّ فيها سقوط تعز والجنوب بما في ذلك عدن في أيدي العثمانيين.

**الثانية:** هي التي تمّ فيها إخضاع منطقة وسط الهضبة اليمنية حتى صنعاء شمالاً للسيطرة العثمانية.

**الثالثة:** هي التي حدث فيها الصدام المباشر بين سنان باشا والمطهر عند ثلاء.

## المرحلة الأولى

غادرت حملة سنان باشا مصر في ٥ كانون الثاني ١٥٦٩م، وعند وصولها إلى ينبع أنزل قائدها معظم أفرادها إلى البرّ، ويبدو أنه تعمّد أن يتوجّه إلى اليمن برّاً لإخضاع شمالي تهامة، أي منطقة جيزان، واستعراض قوة الحملة في أنحاء اليمن أثناء زحفه، وإشاعة الرعب بين اليمنيين.

وصلت الحملة إلى جيزان في ١٩ آذار، فغادرها أميرها من قبل المطهر، وأقبل عليه رؤساء ومشايخ المنطقة يعلنون ولاءهم للسلطنة العثمانية، ثم غادر سنان باشا جيزان إلى تعز لإنفاذ القوات العثمانية المحاصرة بداخلها بقيادة عثمان باشا، والتي كانت تحت رحمة القوات الزيدية بقيادة محمد بن شمس الدين، فتغلّب على جيش القائد الزيدي في معركة صغيرة في ٣٠ نيسان، فتقهقر هذا إلى الشمال، ودخل سنان باشا المدينة وحاصر قلعتها التي كانت ما تزال في أيدي الحامية الزيدية، فاضطرت إلى التسليم في ٣ أيار بعد أن تعهد القائد العثماني بتأمين حياة أفرادها<sup>(١)</sup>.

كان استيلاء سنان باشا على تعز يعني بالضرورة سقوط باقي المناطق الجنوبية في يده نظراً لأهميتها السياسية والعسكرية بالنسبة لهذه المناطق، والتفت سنان باشا بعد

(١) سالم: ص ٢٦٤، ٢٦٥.

أن سيطر على تعز، إلى السيطرة على عدن، فزحف إليها وحاصرها برّاً وبحراً حتى سقطت في يده، وقتل حاكمها قاسم بن الشويع الزيدي<sup>(١)</sup>.

## المرحلة الثانية

تميزت هذه المرحلة بتغليب المواقف السياسية. بدأ سنان باشا خطواته الأولى في هذه المرحلة بعزل عثمان باشا من ولاية اليمن وتعيين حسن باشا مؤقتاً بدلاً منه، كان السبب المباشر لحادثة العزل هو رفضه التوجه إلى معسكر سنان باشا لمناقشة خطة الزحف إلى صنعاء، وقد أنف عثمان باشا أن تُوجّه إليه الأوامر من جانب سنان باشا لشعوره بأنه نذله، وخشي هذا من أن يؤدي موقفه إلى الانقسام داخل صفوف العثمانيين، لذلك أقدم على عزله.

باشر سنان باشا بعد عزل عثمان باشا عملياته للاستيلاء على صنعاء، فتمركز في القاعدة الواقعة إلى الشمال من تعز، وعمد الزيديون إلى عرقلة تقدّمه مستغلين بيئتهم الجبلية الوعرة، فسدّوا بعض المسالك الجبلية المؤدية إليها، وسلّطوا الأنهار على بعضها الآخر، وسدّوا بعض الشعاب بالصخور، ثم أخلوا المنطقة.

واختار سنان باشا طريق وادي ميثم للوصول إلى صنعاء على الرغم من طول مسافته، لأن الزيديين قد أهملوا وضع العراقيل به وتخريب مسالكه، إما لأنهم استبعدوا أن يختاره سنان باشا لسلوك قواته، أو لأنهم أرادوا أن يكون الطريق كميناً للقوات العثمانية.

ومهما يكن من أمر، فقد قام الزيديون بمناوشة الجيش العثماني المتقدم حتى وصل إلى ذمار الواقعة إلى الجنوب من صنعاء، واستولى في طريقه على معظم وسط الهضبة، ووصل إلى صنعاء في ٢٦ تموز ١٥٦٩م ودخلها من دون قتال، لأن المطهر سحب قواته منها إلى المنطقة الجبلية في الشمال لتنظيم عملية المقاومة<sup>(٢)</sup>.

## المرحلة الثالثة

كان المطهر قد وضع خطة عسكرية منذ وصول سنان باشا إلى اليمن على أساس أن تكون المنطقة الشمالية الجبلية، وهي معقله الرئيس، قاعدة انطلاق لمواجهة الجيش العثماني، وإعاقة تقدّمه، على أن تقوم قواته المتناثرة في أقاليم اليمن المختلفة بمناوشته وإضعاف قوته، لذلك توجّه إلى حصن ثلاء ليقيم فيه.

الواقع أن توزيع القوات الزيدية وانتشارها حرم سنان باشا من المواجهة مع جيش نظامي وخوض معركة حاسمة معه، لذلك رأى أن يتوجّه إلى ثلاء للقضاء على رأس

(٢) المرجع نفسه: ص ٢٦٩ - ٢٧٣.

(١) سالم: ص ٢٦٨.

المقاومة، لكنه واجه العديد من العقبات الطبيعية والبشرية التي أعاقته عن تحقيق هدفه.

واتبع المطهر خطة ذات شقين لوقف الزحف العثماني على نلاء:

**الأولى:** عسكرية، وتمثل في مهاجمة القوات العثمانية ومناوشتها من دون الاشتباك المباشر معها (حرب عصابات).

**الثانية:** دعائية تقوم على إثارة اليمنيين ضدَّ العثمانيين والتمرد عليهم.

ويبدو أن هذه الخطة قد نجحت في تحقيق أهدافها، فعمَّ الاضطراب أقاليم اليمن، وهو من أهم الأسباب التي دفعت القائد العثماني إلى عقد الصلح مع المطهر، الذي قام على قاعدتين:

**الأولى:** اعتراف المطهر بالسيادة العثمانية عليه، وتكون السكة والخطة في اليمن باسم السلطان العثماني.

**الثانية:** تبقى للمطهر ممتلكاته الخاصة على ما كانت عليه في عهد أزدمر باشا وهي: نلاء، والظواهر، وصعدة، وذي مرمر، والشرف، وحجة، وبعض لاعة، والأهنوم.

ترتّب على القاعدة الثانية تخلي المطهر عن حصن الطويلة للعثمانيين، وقد تمسك به سنان باشا نظراً لأهميته العسكرية على حدود ممتلكات المطهر، وحرص سنان باشا على أن يكون للعثمانيين وجود رمزي في صعده عبر تمركز حامية عثمانية صغيرة، ووافق المطهر على ذلك.

الواقع أن الصلح مع المطهر لم يُحقّق الهدوء التام في اليمن، واستمرت الاضطرابات ناشطة في هذا البلد، كما أن هذه المرحلة الثالثة لم تنته بعقد الصلح مع المطهر، ولكنها تمتد حتى مغادرة سنان باشا اليمن، وتميز الجزء الباقي منها بوجود بهرام باشا والي اليمن الجديد الذي خلف عثمان باشا، وقد وصل إلى اليمن في أيار ١٥٧٠م أثناء إجراء مفاوضات الصلح، وعلى الرغم من إمكاناته المتواضعة، فقد حقّق أهداف حملة سنان باشا، وتوضّح ذلك في ميدانين:

**الأول:** في تعز، حيث أخمد الاضطرابات والثورات بها بفعل سوء سيرة أميرها السابق، فقبض على بعض زعمائها، وأخذ رهائن من بعض قبائلها.

**الثاني:** تغلبه على الجموع اليمنية التي اعترضت طريق تقدمه عند نقيل أحمر بمساعدة قوات سنان باشا، وهي النقطة نفسها التي وقف عندها هذا الأخير من قبل أثناء زحفه من تعز إلى صنعاء<sup>(١)</sup>.

(١) سالم: ص ٢٧٣ - ٢٩٧.

كانت آخر أعمال سنان باشا في اليمن استيلاؤه على حصن حب في ٣ كانون الأول ١٥٧٠م، ثم غادر اليمن بعد ذلك بثلاثة أشهر بعد أن قام بتنظيم شؤون اليمن، وتسليم مقاليد الأمور إلى بهرام باشا<sup>(١)</sup>.

وهكذا عادت السيطرة العثمانية إلى اليمن مرة أخرى، وسُمِّي هذا بالفتح العثماني الثاني لليمن، ونتج عن حملة سنان باشا بداية مرحلة طويلة من السيطرة العثمانية على هذا البلد ستمتد حتى عام ١٦٣٥م.

### توطيد السيطرة العثمانية في اليمن ١٥٧١ - ١٦٠٣م

تميزت هذه المرحلة من الحكم العثماني لليمن ببذل الجهود السياسية والعسكرية لتثبيت السيطرة العثمانية وتقويتها، ونشر الأمن والهدوء في الربوع اليمنية، وسدّ الثغرات التي تركها سنان باشا، وتولى في هذه المرحلة ولاية أقوياء استطاعوا أن يحافظوا على النتائج التي حققتها حملة القائد المذكور، وأن يُطوّروا النتائج ليصلوا بها إلى قمتها في مدة حكم حسن باشا آخر ولاية هذه المرحلة.

وتوفي المطهر في غضون ذلك من دون أن يخلفه شخص قوي يستطيع أن يتزعم اليمنيين ويقود ثورتهم في ظلّ ضعف القوى اليمنية بسبب كثرة الحروب، وتنازعت أسرة المطهر الأمر فيما بينها، فضعف شأنها، وأضحّت ألعوبة في أيدي العثمانيين. لذا اتصفت الثورات في اليمن في هذه المرحلة بالفردية، الأمر الذي ساعد العثمانيين على القضاء عليها بسهولة.

أدّت التنظيمات التي وضعها سنان باشا إلى زيادة الأعباء الملقاة على كاهل الأهالي، فقد رفع الخراج المفروض على اليمن إلى أكثر من الضعف، كما رفع مرتبات ودرجات الأمراء والجنود مكافأة لهم على أعمالهم ولإغرائهم في البقاء في اليمن، فعل ذلك في الوقت الذي اهتزّ فيه اقتصاد اليمن الذي كان يمرُّ بمرحلة كساد تجاري عام نتيجة النشاط البرتغالي المعادي في البحار الشرقية، كما حُرمت الخزائنة المركزية من خراج ممتلكات المطهر التي عُدّت إيراداً خاصاً له مقابل خضوعه للسيطرة العثمانية، ثم إن العثمانيين كانوا يمنحون أمراء اليمن أمثال محمد بن شمس الدين وراتب سنوية كبيرة بوصفهم أمراء عثمانيين.

كانت مهمة بهرام باشا مواصلة الجهود العسكرية والمواقف السياسية التي بدأها سنان باشا حتى يتم للعثمانيين توسيع سيطرتهم في اليمن ودعم هذه السيطرة، وقد اختلفت من إقليم إلى آخر وفقاً للظروف العسكرية والسياسية.

(١) سالم: ص ٢٩٩.



حرص بهرام باشا على المحافظة على شروط الصلح مع المطهر والتقرب منه حتى يضمن استمرار الهدوء في الأقاليم الشمالية والتفرغ للمناطق الأخرى، وظلَّ يهادنه حتى توفي المطهر في شباط ١٥٧٣م، واتبع هذه السياسة مع خلفائه حتى عُزل عن ولاية اليمن.

واستعمل بهرام باشا أساليب الشدَّة والقسوة مع الأهالي في الأقاليم الخاضعة مباشرة للحكم العثماني، وأسرف في الانتقام والقتل حتى اشتهر في اليمن بحبه لسفك الدماء، وقد هدف من وراء ذلك إلى تصفية العناصر التي شاركت في الثورة من قبل، وإشاعة الخوف والرهبة في قلوب الأهالي.

واستخدم بهرام باشا أسلوباً آخر في الأقاليم التي استعصت على سنان باشا؛ يستند على شنُّ الحرب، مثل ملحان وخفاش وبرع، والملاحظ أنه لم يستعمل الشدَّة في القضايا المالية، وحرص على تحقيق هدف عسكري وهو انتزاع الأسلحة من أيدي الأهالي للقضاء على ثوراتهم المسلحة وإجبارهم على الخضوع له، وقد نجح في ذلك.

ويبدو أن أسلوب استعمال الشدَّة على الرغم من نجاحه في تثبيت سيطرة العثمانيين قد تسبَّب بنتيجة عكسية، سواء لدى اليمنيين الذين ضاقوا ذرعاً بهذا الأسلوب، أو لدى الجنود العثمانيين الذين لم يجنوا ثمار تنفيذه، كما لدى بهرام نفسه الذي لم يُحقق هدفه بإرضاء رجال الدولة في مصر واستانبول.

وعندما استفحل ظلم بهرام باشا بحق الأهالي وشعر المطهر بازدياد سخط اليمنيين فكَّر بنقض الصلح وإعلان الثورة ضدَّ العثمانيين، غير أن مشروع الثورة لم يتحقَّق بسبب موقف محمد بن شمس الدين المتخاذل، ووفاته بعد قليل<sup>(١)</sup>.

ومرَّت المنطقة الشمالية بدورها بتطورات سلبية في هذه المرحلة، قضت على عوامل الثورة، وتمثَّلت بالتنازع الأسري بعد وفاة المطهر، وتفتَّت المنطقة إلى عدد من المقاطعات الصغيرة بفعل ضعف القيادة المركزية، ويمكن القول بأن وفاة المطهر أدَّت إلى انهيار حكم أسرة الإمام شرف الدين وزوال سيطرتها، كما يمكن ربط هذه الوفاة باستقرار الحكم العثماني نسبياً في اليمن.

والتزم مراد باشا الذي خلف سنان باشا في حزيران ١٥٧٦م بعدم التدخل في النزاعات المحلية بين أمراء الإقليم الشمالي وعدم استغلالها لمدِّ السيطرة العثمانية إلى هذا الإقليم، طالما أن هذه النزاعات لا تمسُّ السيادة العثمانية، كما تقربَّ من اليمنيين، ونشر العدل بينهم ما أدى إلى اطمئنانهم إليه والتفافهم حوله، ووقف في

(١) سالم: ص ٣١٢، ٣١٣.

الوقت نفسه في وجه الأمراء العثمانيين الذين اشتهروا بظلم الأهالي والفساد، فعزل بعضهم وقتل بعضهم الآخر، فكان من أكثر الولاة العثمانيين شهرة بإقامة العدل في اليمن، وقد أدت هذه الأعمال وغيرها إلى تثبيت أقدام العثمانيين في اليمن.

غير أن موقف مراد باشا المتسامح لا يعني تهاونه في المحافظة على السيطرة العثمانية في اليمن كلما تعرّضت للخطر، فكان يتخذ إجراءات مشدّدة عندما يشعر بأن هناك ما يهدّد هذه السيطرة، وتجلّى ذلك في موقفين:

**الأول:** موقفه المتشدّد ممن أعلن أنه المهدي المنتظر في منطقة آس الواقعة إلى الجنوب من صنعاء، ودعا إلى محاربة العثمانيين.

**الثاني:** موقفه المتشدّد من دعوة الإمام الحسن بن علي بن داود المؤيدي الذي أعلن إمامته في منطقة الأهنوم الجبلية ودعا إلى محاربة العثمانيين.

وقد ظهرت هاتان الدعوتان في الوقت نفسه تقريباً على الرغم من تباعدهما الجغرافي، وذلك في آب ١٥٧٩م، وقد شعر مراد باشا بخطورة دعوة الإمام الحسن التي انتشرت في اليمن على الوجود العثماني، فنهض لإخمادها، وجرت بين الطرفين معارك عديدة انتهت بهزيمة الإمام الحسن الذي استقر في جبل الأهنوم وانصرف إلى التدريس.

وتحقّق في عهد حسن باشا الذي خلف مراد باشا أقصى توطيد وأوسع امتداد للسيطرة العثمانية على اليمن، فقد وصل المدّ العثماني إلى الصليف في كانون الأول ١٥٨٠م، وبلور هذا الوالي هذه الجهود خلال مدة ولايته الطويلة لليمن التي امتدت على مدى خمسة وعشرين عاماً.

تركزت سياسة حسن باشا في اليمن على:

- العمل على التخلص من العناصر القوية لأبناء المطهر وغيرهم من أمراء الشمال، ومدّ النفوذ العثماني إلى المنطقة الشمالية.

- توجيه الضربات ضد الثورات التي نشبت في أقاليم اليمن المختلفة مثل: ريمة وياض والحجرية وغيرها.

- الاهتمام بإقامة المنشآت العمرانية.

- الحرص على تقريب اليمنيين إليه ونشر العدل والأمن بينهم، واستخدامهم في الوظائف العامة، وتقديم المرتبات والهدايا إلى شيوخ القبائل والزعماء السياسيين وبخاصة الشماليين<sup>(١)</sup>.

(١) سالم: ص ٣٣٣، ٣٣٤.

غير أن سياسة حسن باشا على الرغم من نجاعتها لم تُحقّق الأمن تماماً في اليمن، فقد:  
أ - ظل أمراء الشمال على موقفهم الاستقلالي مع الاعتراف بالسلطة العثمانية.  
ب - ظهور الإمام القاسم في شهارة في عام ١٥٩٨م للتعبير عن تجدّد ثورة اليمنيين وتمردهم على الحكم العثماني.  
- أدّت شدة وطأة الحكم العثماني خلال ولاية حسن باشا إلى جانب ضخامة الأعباء المالية الملقة على كاهل اليمنيين، إلى قيام الثورات المتعددة في الأقاليم المختلفة.

- تمثّل نجاح العثمانيين في توطيد سيطرتهم في السواحل وفي المدن والمراكز والحصون المهمة وفيما حولها من أقاليم، وظلّت المناطق البعيدة لا سيما الشمالية خاضعة لزعمائها المحليين، لذلك تراوحت علاقة حسن باشا بهؤلاء بين العدائية والودّيّة<sup>(١)</sup>.

بدأ حسن باشا أعماله في اليمن بالقضاء على النزاعات الاستقلالية في المنطقة الشمالية، فاصطدم أولاً بمحمد بن ناصر في ظفار، فقبض عليه وسجنه في صنعاء حتى توفي بعد أشهر عدة، وذلك في أيلول ١٥٨٢م<sup>(٢)</sup>.

أمّنت سيطرة حسن باشا على ظفار موطن قدم للعثمانيين داخل المنطقة الشمالية، ما ساعدهم على بسط سيطرتهم على باقي أجزاء المنطقة، ما أثار أبناء المطهر وغيرهم من أمراء الشمال، فتنادوا إلى تناسي خلافاتهم وعقد حلف لمواجهة الخطر المشترك، وقد شعر حسن باشا بخطورة هذا التحالف الموجه ضده، فنهض لمحاربه والقضاء عليه في خطوة استباقية، فوجّه ضربته الأولى إلى علي بن يحيى في ثلاء ولطف الله في ذي مرمر لقرب أملاكهما من صنعاء، وذلك قبل أن يُرسلا قواتهما لمحاربه، وتقرب حسن باشا في الوقت نفسه من بعض الأمراء الآخرين، لذلك أدّت سياسته التي جمعت بين الشدة واللين إلى تحقيق أهدافه التي عجز غيره من الولاة عن تحقيقها، ونجح أخيراً في بسط سيطرته على المنطقة الشمالية حتى نجران شمالاً، مُحققاً خطوة نوعية لأول مرة في تاريخ العثمانيين في اليمن.

واستكمل حسن باشا تنفيذ خطته سياسياً وذلك بضرب الزعماء الزيديين بعضهم ببعض، وإثارة الخلافات القديمة بينهم، واهتم حسن باشا بإقامة المنشآت العمرانية، مثل بناء وترميم المساجد والمدارس وحفر الآبار والفتوات لتوصيل المياه، وبناء القصور التي كانت تضم مقرّ الحكومة والمحطات التجارية، وتمهيد الطرق وتأمينها، والاحتفال بالأعياد الدينية، وإقامة اللواتم، وتوزيع المنح والهدايا على الأشراف

(٢) المرجع نفسه: ص ٣٣٩.

(١) سالم: ص ٣٣٤، ٣٣٥.

والعلماء والفقهاء والقراء، كما كان يتابع أعمال ولايته في الأقاليم ويعزل الفاسدين منهم<sup>(١)</sup>.

لم تهدأ الأوضاع في اليمن تماماً على الرغم من نجاح حسن باشا إلى حد كبير في القضاء على الثورات، ويرجع ذلك إلى حساسية أوضاع اليمن المتمثلة في ضعفه الاقتصادي، وطبيعته الجبلية، وشهرة رجاله العسكرية، وارتفاع شأن الأئمة الزيديين.

## خروج العثمانيين من اليمن

الواضح أن قيام ثورة الإمام القاسم بن محمد التي أدت إلى خروج العثمانيين من اليمن في عام ١٦٣٥م، كانت تحمل في طياتها الكثير من الدلائل المعبرة عن أوضاع هذه المرحلة المهملة من تاريخ اليمن، كما أنها أدت إلى قيام الدولة الزيدية التي استمر حكمها في اليمن حتى قيام الجمهورية في عام ١٩٦٢م، وقد جسدت أمرين:

**الأول:** قلق اليمنيين تحت الحكم العثماني وتذمرهم منه.

**الثاني:** ازدياد قوة الإمامة الزيدية في اليمن حتى أضحت القوة الرئيسة في البلاد<sup>(٢)</sup>.

دعا الإمام القاسم بن محمد الذي يتحدّر بنسبه إلى علي بن أبي طالب، إلى إمامته في أواخر ولاية حسن باشا، وتمكّن في غضون أشهر عدة من فرض سيطرته على معظم الأقاليم الشمالية بين صعدة شمالاً وصنعاء جنوباً، ولما حاول حسن باشا القضاء على حركته في مهدها، تعرّض للهزيمة. مرّت الثورة اليمنية بخمس مراحل زمنية هي:

## المرحلة الأولى

أثارت انتصارات الزيديين، حسن باشا، فسارع إلى طلب الإمدادات من القاهرة واستانبول، واستدعى كتخداه<sup>(٣)</sup> سنان باشا، وكان في مهمة في الجنوب لإخماد الاضطرابات.

اهتمت الدولة العثمانية بمساندة واليها على اليمن، فأرسلت إلى والي مصر تأمره بتجهيز الإمدادات اللازمة، وإرسالها إلى اليمن على وجه السرعة، كما أرسلت الخلع والهدايا إلى حسن باشا بناء على طلبه لاستقطاب حاكمي كوكبان وحجة، وهما

(٢) المرجع نفسه: ص ٣٥٤.

(١) سالم: ص ٣٥٢.

(٣) الكتخدا هو: القائم بتدبير بيوت الأمراء.

أحمد بن محمد بن شمس الدين وعبد الرحمن بن المطهر من آل شمس الدين .

استطاع حسن باشا بفضل ما تجمَّع لديه من قوات وبما انضمَّ إليه من الأمراء الزيديين أصحاب السلطة والنفوذ في المنطقة الشمالية المناوئين للإمام أبي القاسم، من أن يلحق الهزائم بقوات الإمام في هذه المنطقة، حتى انتهى الأمر بحصاره في حصن شهارة بإقليم الأهنوم، وقد تمكَّن الإمام من النجاة وفرَّ إلى أقصى شمال شرقي اليمن، واستقر في جبال برط، وترك أمر الدفاع عن شهارة لابنه محمد، ولما كان ضغط القوات العثمانية كبيراً، استسلم محمد وخرج إلى كوكبان مع قواته بأمان وفق شروط الاستسلام، وذلك في تموز ١٦٠٢م<sup>(١)</sup>.

بقي الإمام القاسم بن محمد في برط بعض الوقت بعيداً عن متناول العثمانيين، والتفَّ حوله المريدون والأتباع، حتى أُتيحت له الفرصة لتجديد ثورته وإعلان الحرب على العثمانيين.

### المرحلة الثانية

أدى الأمير عبد الرحمن بن المطهر، أمير حجة، دوراً فاعلاً في تجدد الثورة، فقد تصاعد نفوذه بعد إخماد الثورة في المرحلة الأولى، وخشي من بطش سنان باشا الذي أضحى والياً على اليمن، وهو لا يسمح بوجود شخصية قوية إلى جواره، لذلك تقرب من الإمام القاسم بن محمد ودعا له في الأقاليم الواقعة تحت سيطرته، وفي المقابل طلب الإمام من أتباعه المنتشرين في تلك الأقاليم بالوقوف إلى جانبه ومساندته.

تشجع الإمام القاسم بن محمد بتلك التطورات، فانتقل من جبال برط إلى منطقة الظاهر الواقعة إلى الجنوب من صعدة لإثارة قبائلها ضدَّ العثمانيين، فالتفت حوله بعد انتصاره على قوة عسكرية عثمانية أرسلها سنان باشا لمحاربته، واستطاع أن يبسط سيطرته على معظم جهات المنطقة.

أثارت هذه البداية الناجحة الأمير عبد الرحمن حليف الإمام، وقد خشي من أن تتراجع سيطرته على أقاليم الشمال أمام توسع الإمام وانتصاراته، فسارع إلى الاتصال بالوالي الجديد جعفر باشا لدى وصوله إلى اليمن لعقد صلح معه، وبيدو أن الوالي العثماني شك في صدق الأمير، إذ كان يقوم ببعض الأعمال العسكرية أثناء مفاوضات الصلح لتوسيع سيطرته وفرض شروطه، لذلك تقرب الوالي من الإمام القاسم بن محمد، وعقد صلحاً معه ليتفرغ لمحاربة الأمير عبد الرحمن، قبل

(١) سالم: ص ٣٧٠.

أن يستفرد به ويقضي عليه، وهُزم الأمير عبد الرحمن أمام القوات العثمانية، وقُبض عليه ونُفي إلى استانبول، وذلك في تشرين الثاني ١٦١١م<sup>(١)</sup>.

### المرحلة الثالثة

حافظ جعفر باشا على الصلح الذي عقده مع الإمام القاسم بن محمد، وأطلق سراح محمد بن الإمام من أسرهِ في كوكبان لاسترضاء الإمام وتهدئة الأوضاع في شمالي اليمن، والواقع أن كلاً من الرجلين كان بحاجة إلى هدنة طويلة الأجل لتنظيم شؤونه داخل أقاليمه، لكن جعفر باشا عُزل من منصبه في عام ١٦١٣م وعُيّن إبراهيم باشا بدلاً منه، فوصل إلى اليمن في شهر أيار، فسارع عبد الله باشا شلبي كتحداً جعفر باشا إلى الدخول في طاعته، فعينّه والياً على صنعاء.

وما حدث بعد شهرين تقريباً من وفاة إبراهيم باشا في ١٦ تموز؛ أدى إلى انفجار الوضع الداخلي بين جعفر باشا وعبد الله باشا شلبي بسبب الصراع على السلطة، وأتاح للإمام القاسم بن محمد نقض الصلح مع العثمانيين، وراح يُرسل قواته إلى الأقاليم المختلفة ومدّ سيطرته على الكثير منها، مثل حجة وعفار والظاهر وجبل عيال يزيد، وهي من الأقاليم التي كانت تحت سيطرة الأمير عبد الرحمن قبل نفيه إلى استانبول.

ويبدو أن الأمر استتبَّ بعد ذلك لجعفر باشا، ما أعطى العثمانيين دفعاً جديداً وقوة متجدّدة، فاستطاعوا إلحاق بعض الهزائم بقوات الإمام القاسم بن محمد، وأسروا ابنه الحسن، واستعادوا صعدة، وتبادل الطرفان الهزيمة والنصر ما يزيد عن عامين، حتى وصل خبر عزل جعفر باشا من منصبه وتعيين محمد باشا بدلاً منه في عام ١٦١٦م، فسعى جعفر باشا إلى عقد هدنة مع الإمام القاسم بن محمد لمدة عام خشية من الفتنة.

لقد حقّق الإمام القاسم بن محمد في هذه المرحلة نجاحاً ملحوظاً في توسيع حدود ممتلكاته، غير أن ذلك لم يُخف حقيقة قوة العثمانيين، كما أن الأراضي التي استولى عليها كانت في معظمها أراضي جبلية فقيرة، لذلك مال إلى التفاهم مع محمد باشا وطلب منه تجديد الهدنة وجعلها عشر سنوات بدلاً من سنة واحدة، لكن الوالي رفض طلبه حتى يدرس أوضاع اليمن عن كثب ثم يُقرّر الخطوة التالية.

(١) سالم: ص ٣٧٧، ٣٧٨.

## المرحلة الرابعة

نشبت الحروب في هذه المرحلة في المنطقة الشمالية، واستمرت أكثر من ثلاث سنوات، انتهت بعقد الصلح في أيار ١٦١٩م بين الوالي محمد باشا والإمام القاسم بن محمد، وتوفي هذا في ١٦ شباط ١٦٢٠م، فبايع أتباعه أكبر أبنائه محمد، الذي، تلقَّب بلقب الإمام المؤيد، وكان الإجماع الذي حظي به من العوامل التي أدَّت إلى استمرار وحدة القوى الزيدية وتماسكها أثناء حروبها مع العثمانيين، ما حقَّق لها في النهاية الانتصار عليهم.

## المرحلة الخامسة

خلف فضل باشا، محمد علي باشا في حكم اليمن، اشتهر بتقواه وصلاحه، وعلى الرغم من قصر مدة ولايته، فقد أزال الخمر من بيوت الذميين، وكان يدور بنفسه على بيوت الأشراف للصدقة، كثير الصلاة والجماعة والجمعة، ومن تأخر عن ذلك عاقبه، وخلفه حيدر باشا في عام ١٦٢٥م، وقد ازداد وضع العثمانيين سوءاً في عهده بسبب سياسته المتعسفة مع الأهالي ونزاعه مع بعض العثمانيين، فقد قام بقتل محمد بن سنان باشا الكتخدا في مخا خوفاً منه بفعل التفاف الجنود حوله، كما قتل بعض أتباعه خشية من انتقامهم منه، وقد أضعفت هذه السياسة قوة العثمانيين إذ كان محمد وأتباعه من ذوي المكانة الكبيرة في اليمن، ومن ناحية أخرى، انصرف حيدر باشا إلى شرب الخمر والاشتغال باللَّهو، وترك شؤون الحكم في أيدي أتباعه، واقتدى أمراؤه وعمَّاله في الأقاليم به، فزادت الفوضى، وكثرت الاضطرابات، واندلعت الحروب، وقد تزعم الزيديين في هذه المرحلة الإمام محمد المؤيد.

كان السبب المباشر لاندلاع الحرب هو نقض الإمام المؤيد الصلح، وقد نتج عن إقدام حيدر باشا على قتل أحد كبار الفقهاء الزيديين أثناء زيارة له إلى صنعاء في حزيران ١٦٢٦م، بحجة أنه يدعو الأهالي إلى مبايعة الإمام، وهاجم الإماميون مراكز العثمانيين في الأقاليم الشمالية، وكانت الهجمات سريعة ومتتالية، وتمكَّنوا في غضون أشهر من اكتساح معظم الأقاليم الشمالية، ولم يبق بأيدي العثمانيين سوى حصن عمران وثلاء، وحصن كوكبان والطويلة في أيدي حلفائهم.

غير أن هذه الحصون لم تلبث أن سقطت في أيدي قوات الإمام في عام ١٦٢٧م<sup>(١)</sup>. مثَّلت هذه الانتصارات جانباً واحداً من إنجازات الإمام محمد المؤيد، ومثَّلت الفئات اليمينية المختلفة الجانب الآخر من الإنجازات عبر قيامها بخلع طاعة

(١) سالم: ص ٣٩٤، ٣٩٥.

العثمانيين وانضمامها إلى صفوف الإمام المؤيد، مثل أشراف: صبيا وجيزان والجوف حتى تعز، وسقطت ذمار، وحاصر الإماميون بقيادة الحسن بن الإمام القاسم صنعاء في أيار ١٦٢٦م.

عند هذه المرحلة من التطورات العسكرية، اضطر حيدر باشا إلى طلب عقد الصلح مع الإمام المؤيد، لكنَّ تصلُّب كل من الطرفين بموقفه عطلَّ عقد الصلح، فقد أبدى حيدر باشا استعداداً للخروج من صنعاء مع جنوده وعتاده بأمان في حين أصرَّ الإمام المؤيد على خروجهم من دون قيد أو شرط، وأدى ذلك إلى تشديد الحصار الذي استمر مدة عامين كاملين، واضطر حيدر باشا أخيراً إلى الاستسلام، فسلمَّ المدينة لقوات الإمام المؤيد وخرج سالماً إلى زبيد، وذلك في ٢٤ شباط ١٦٢٩م<sup>(١)</sup>.

### تمدُّد الإماميين إلى جنوبي اليمن

شكَّل اليمن حتى عدن جبهة أخرى من جبهات القتال بين العثمانيين والإماميين، فقد توجه الحسن بن الإمام القاسم إلى الأقاليم الجنوبية، وتوالت انتصاراته فيها، فسقطت تعز في يده في ٢ حزيران ١٦٢٩م بعد حصار، وتبعته باقي المدن، ودخل حاكم عدن في طاعة الإمام المؤيد، فأبقاه الحسن في ولايته، وتمَّ للإمام المؤيد مدُّ سيطرته إلى أقاليم اليمن المختلفة، ولم يبقَ بأيدي العثمانيين سوى زبيد والأقاليم التهامية المحيطة بها.

### ردُّ الفعل العثماني

أثارت انتصارات الإماميين وسيطرتهم على معظم أقاليم اليمن أولي الأمر في مصر، بوصفهم المسؤولين عن السيادة العثمانية في البحر الأحمر، غير أن ولاية مصر لم يكونوا على قدر المسؤولية التي أُلقيت على عاتقهم بفعل اضطراب أوضاعهم، ويعكس هذا الاضطراب الضعف العام الذي أصاب الدولة العثمانية نفسها آنذاك.

ومهما يكن من أمر، فقد أرسل عابدين باشا والي الحبشة إلى اليمن على رأس قوة عسكرية لإنقاذ الموقف، ولما وصل إلى مخا تعرَّض للهزيمة أمام الحسن ابن الإمام القاسم في أيلول ١٦٢٩م، ثم تقدَّم إلى مخا وحاصرها، غير أنه مُنيَّ بالهزيمة أيضاً<sup>(٢)</sup>.

(٢) المرجع نفسه: ص ٣٩٩، ٤٠٠.

(١) سالم: ٣٩٦.



كان أحمد قانصوه باشا آخر الولاة العثمانيين الذين أرسلوا إلى اليمن من جانب ولاية مصر، وما إن وصل في التاريخ المذكور أعلاه حتى بذل جهوداً مضنية لاستعادة الأملاك العثمانية في اليمن، ولكنها كانت جهوداً يائسة مُنيت أخيراً بالفشل، وتمّ في ولايته خروج العثمانيين من اليمن.

تركزت أعمال أحمد قانصوه باشا في تهامة فقط في دائرة ضيقة ومحدودة بين زبيد ومخا، ولم يتمكّن من التوغّل في داخل اليمن بفعل الاستعدادات الضخمة التي أعدّها الإمام المؤيد تحت قيادة أخويه الحسن والحسين، وفشل في التقدم إلى تعز لاستعادتها، فتوقف عندئذٍ عن القيام بأي عمل إيجابي وطلب عقد الصلح لمدة سنة، فوافق الإمام على ذلك، وتمّ عقد الصلح في ١٠ آب ١٦٣٠م<sup>(١)</sup>.

جمّد هذا الصلح مؤقتاً، الأعمال العسكرية، وطالت مدّته إلى بعد تاريخ انقضائه بفعل انهماك الطرفين بمشكلاتهما الخاصة، فقد انهماك الإمام المؤيد في تثبيت أركان حكمه وتنظيم شؤون البلاد، وراح يتجهّز للضربة الأخيرة للعثمانيين، فحصّن القلاع ووَقّر السلاح والعتاد، وجنّد أعداداً غفيرة من الأقاليم المختلفة، وقضى على الاضطرابات التي نشبت حول عدن، وانهماك العثمانيون بالنزاعات الداخلية فيما بينهم على السلطة، وأخذ جنودهم يفرّون من ثكناتهم ويغادرون إلى خارج اليمن على شكل جماعات في ظاهرة ملفتة تحصل لأول مرة في تاريخ العثمانيين في اليمن، ما أدى إلى تراجع قوتهم، ولما تجددت الحرب في عام ١٦٣٤م، كانوا الطرف الأضعف، فطلب أحمد قانصوه باشا عقد صلح لمدة سنة، فوافق الإمام المؤيد على طلبه وذلك في ٢٦ تموز ١٦٣٥م، ثم غادر أحمد قانصوه باشا اليمن بعد أقل من شهر من عقد الصلح وتوجّه إلى مصر، فأثرت مغادرته سلباً على معنويات من تبقى من الجنود، فانقسموا إلى فئات، فمنهم من غادر اليمن، ومنهم من لجأ إلى معسكر الحسين، ومنهم من بايع مصطفى الكتخدا والياً على اليمن؛ غير أن هذا لم يلبث بعد قليل من الوقت أن طلب عقد الصلح مع الحسن على شرط أن يغادر هو وجنوده اليمن سالمين إلى مصر، وذلك ٢٢ تشرين الثاني ١٦٣٥م، فتمّ بذلك خروج العثمانيين من اليمن<sup>(٢)</sup>.

(١) سالم: ص ٤٠٢.

(٢) المرجع نفسه: ص ٤٠٤، ٤٠٥.

## اليمن تحت حكم الزيديين

### الإمام إسماعيل المتوكل بن القاسم

التوسع الزيدي الداخلي: تمّ جلاء العثمانيين عن اليمن في عام ١٦٣٥م كاستجابة طبيعية لما فرضته عليهم الظروف الخارجية وظروف اليمن الداخلية؛ وعلى رأسها المقاومة العنيفة التي قامت بها قوات الإمام محمد المؤيد ضدّهم، ودخلت اليمن في مرحلة تاريخية جديدة بوصفها دولة مستقلة، وفي عام ١٦٤٤م مرض الإمام المؤيد وتوفي، فاندلع النزاع الأسري حول خلافته، وحسم ابنه إسماعيل أمر الإمامة وتلقّب بالمتوكل، واستقر في ضوران، وانضوت الأسرة تحت رعايته، وأضححت اليمن كلها تحت حكمه من ضوران إلى عدن<sup>(١)</sup>.

تطلّع إسماعيل المتوكل إلى توسيع رقعة دولته، فضمّ أبين الواقعة على ساحل بحر العرب شرقي عدن، ولحج الواقعة في الشمال الغربي من عدن، وعدن نفسها، والشعيب الواقعة في منطقة يافع، وذلك في عام ١٦٥٠م، وأعلن أمراء جنوبي الجزيرة العربية ولاءهم وطاعتهم له.

وبذلك خضعت المناطق الجنوبية لحكم الإمام إسماعيل المتوكل بعد حروب دامية خاضها أبناء إخوته وبخاصة محمد بن الحسن، وأخويه أحمد والحسين اللذين برزا في عهده كأعظم شخصيتين سياسية وعسكرية اعتمد الإمام عليهما في توسيع حدود دولته الزيدية جنوباً، وتوحيد اليمن.

وتوسّع الإمام إسماعيل المتوكل شرقاً في حضرموت، وكان سلطانها بدر بن عمر الكثيري قد اعترف بإمامته وخطب له، ووضع نفسه في مركز حاكم زيدي، فأثار بذلك معظم أهالي حضرموت وعلى رأسهم أفراد الأسرة الحاكمة، فحاولوا خلعه عبر مهاجمة قصره في عام ١٦٤٨م، ونجح ابن أخيه بدر بن عبد الله في القبض عليه وعلى ابنه محمد المردوف وسجنهما في تريس، وعيّن أخاه جعفرأ حاكماً على مدينة ظفار، ورفض الخضوع للإمام إسماعيل المتوكل، وفشلت المفاوضات التي أجراها الإمام معه لإعادة عمه إلى السلطة، لكن عندما حقّق الزيديون انتصارات في الجنوب، خشى بدر بن عبد الله على نفسه، فسارع إلى إعلان ولائه للإمام المتوكل وأطلق سراح عمه وعيّن حاكماً على ظفار بناءً لأمر الإمام<sup>(٢)</sup> المتوكل.

وأخذ الإمام المتوكل يتدخل في شؤون حضرموت في خطوة لضمّها إلى أملاكه،

(١) الوزير، عبد الإله بن علي: تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى: ج١ ص ١٠٠ - ١٠١.

(٢) الحداد، محمد بن يحيى: التاريخ العام لليمن: ج٤ ص ٩١.

وحدث في عام ١٦٥٨م أن قام جعفر بن عبد الله أخو بدر بالهجوم على ظفار، فغضب الإمام المتوكل وعده تحدياً له، واتهم بدرًا بأن له ضلعاً في الهجوم على الرغم من نفيه لأي علاقة له بالأمر، واتخذ الإمام المتوكل من ذلك ذريعة، فأرسل قوة عسكرية بقيادة ابني أخيه الحسن، وهما: أحمد والحسين، واستقطب القبائل في الطريق، والسلطان بدر الدين الذي أعلن الحرب على أخيه في ظفار، وقد أمل بوقف الزحف الزيدي المتوجه إلى أراضيه، لكن مع استمرار هذا الزحف اضطر إلى نقض وعده بمحاربة أخيه، وعرض أن يتكفل بنفقات الجيش الزيدي مقابل عودته إلى اليمن، فكان جواب الإمام المتوكل مزيداً من التعزيزات، وجرى اللقاء الدامي بين الطرفين في عام ١٦٥٩م وأسفر عن انتصار جيوش الإمام المتوكل، وفرَّ بدر بن عبد الله إلى هينن بحضرموت وطلب من أحمد بن الحسن الإبقاء على حياته، لكن أحمد رفض ذلك خشية من أن تكون خدعة، عند ذلك هرب بدر إلى قلعة الشناتر، وسقطت هينن بأيدي الزيديين الذين واصلوا تغلغلهم في الأراضي الحضرمية حتى وصلوا إلى شبام، وأرسل أحمد بن الحسن بعض فرقه العسكرية إلى سيئون وتريس، ويبدو أن عائلة الكثيري هالها التوغل الزيدي في أراضيتها، فعرضت الاستسلام، ثم استسلم السلطان بدر بن عبد الله وذهب إلى اليمن لمقابلة الإمام المتوكل الذي استقبله بالترحاب<sup>(١)</sup>.

وأرسل جعفر بعد استسلام أخيه بدر إلى سلطان بن سيف اليعربي في عُمان يلتمس مساعدته لمقاومة الوجود الزيدي في بلاده، فرحَّب هذا بتقديم المساعدة لكن ليس بهدف إنقاذ جعفر إنما لاستعادة أراضيه في منطقة ظفار، فأرسل أربعمئة جندي لحصار ظفار، وما إن تمَّ احتلال المدينة وخروج جعفر من المنطقة، حتى أعلن سلطان بن سيف ولاءه للزيديين.

وعاد أحمد بن الحسن إلى اليمن بعد أن عين حكاماً محلّيين موالين للزيديين منهم السلطان بدر بن عبد الله الذي عينه حاكماً على حضرموت بناء لأوامر الإمام المتوكل، وقد أمّن له ولاء بقية أسرة الكثيدي، أما جعفر حاكم ظفار المخلوع، فقد كتب إلى عمه بدر بن عمر طالباً منه التوسط لدى الإمام المتوكل ليبقي على حياته، ولما لم يتلقَّ منه جواباً واضحاً ذهب بنفسه إلى الإمام في شهارة في عام ١٦٦٠م، وهذا آخر عهد به.

ويبدو أن الكثيريين في حضرموت ساءهم ترك أراضيتهم في ظفار تحت الاحتلال

(١) الغالي، سلوى سعد سليمان: الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم ودوره في توحيد

اليمن: ص ١٠٦، ١٠٧.

العُماني، لذلك قاموا في عام ١٦٦٣م بمهاجمة حاكم ظفار، وأجبروه على مغادرة المنطقة، وعيّنوا محمد بن جعفر الكثيري حاكماً على المنطقة تحت سيادة الزيديين، فدخلت حضرموت ووظفار بذلك تحت الحكم الزيدي الذي استطاع أن يوحد اليمن لأول مرة في تاريخه، ويحقق الأهداف الزيدية السياسية والاقتصادية والدينية المذهبية، ويُعدُّ عهد الإمام المتوكل من أزهى عهود الإمامة الزيدية في اليمن، وتوفي الإمام إسماعيل المتوكل في عام ١٦٧٦م.

## العلاقات الخارجية

**العلاقة مع أشرف مكة:** تراوحت العلاقات بين الإمامة الزيدية وبين الدول الإقليمية والدولية بين الجيدة والعدائية، ونبداً بالعلاقات داخل الجزيرة العربية مع أشرف مكة:

فقد عاصر الإمام إسماعيل المتوكل حكم الشريف زيد بن محسن في مكة، وارتبط معه بعلاقات جيدة ظهرت دلائلها في الرسائل المتبادلة بين الطرفين، وقد سعى هذا الإمام إلى توثيق أواصر هذه العلاقة عبر القرار الذي اتخذه في عام ١٦٤٨م، ويقضي بتعيين أمير على موكب حجاج اليمن تصاحبه قوة عسكرية، وتزويده بالمال لتوزيعها على الفقراء المستحقين من أهالي مكة، بالإضافة إلى الحصّة المقررة للشريف<sup>(١)</sup>، والمعروف أنه قبل ذلك، كان موكب الحج يخرج من دون أمير.

توفي الشريف زيد في عام ١٦٦٦م، وخلفه ابنه الشريف سعد واستمرت العلاقات الجيدة بينه وبين الزيديين قبل أن تتراجع بسبب توتر العلاقات بينه وبين العثمانيين، وقد أوغر أحد خصومه، وهو الشيخ محمد بن سليمان المغربي، صدر الدولة العثمانية ضده، فأرسلت حملة عسكرية إلى مكة بقيادة حسين باشا لإقصائه عن الإمارة، فهرب إلى بيشة والتمس المساعدة من الإمام المتوكل، غير أن هذا رأى من الأفضل مسالمة الدولة العثمانية بدلاً من إثارة غضبها، وحذّرت الدولة العثمانية من مساعدة الشريف، ويبدو أنه كان حذراً في تعامله معها، وعلى أثر هزيمة الشريف سعد على أيدي العثمانيين، انتقلت الإمارة إلى الشريف بركات بن محمد<sup>(٢)</sup>، فأرسل رسالة إلى الإمام المتوكل يخبره فيها بانتظام الأمور له في مكة وطلب استئناف قدوم

(١) الغالي: ص ١١٦.

(٢) جارشلي، إسماعيل حقي: أمراء مكة في العهد العثماني: ص ١٢٢، ١٢٣. السباعي، أحمد: تاريخ مكة: ج ٢ ص ٣٧٩، ٣٨٠.

حجاج اليمن، لكنه اشترط عدم قدوم الأمير الذي يصحب ركب الحجاج، فاستجاب الإمام المتوكل لهذا الشرط، وألغى منصب أمير الحج، ويبدو أن لذلك علاقة بدعم العثمانيين شريف مكة بالقوة العسكرية.

**العلاقة مع اليعاربة في عُمان:** تأثرت العلاقات اليمنية اليعربية، بتوسع الزيديين في حضرموت، إذ أدى هذا إلى وضعهم في مواجهة القوة البحرية العُمانية، وهاجم الكثيرون اليمينيون ظفار في عام ١٦٦٣م وطرردوا حاكمها اليعربي خلف منها، فغادرها وترك مدفعين وراءه، ما أدى إلى توتر العلاقات بين الزيديين واليعاربة، وأخذت سفن اليعاربة تهاجم السواحل اليمنية، فبعث الإمام المتوكل برسالة إلى سلطان بن سيف اليعربي في عام ١٦٦٩م، يعاتبه فيها على هذا العمل، فردَّ سلطان بأن السفن العُمانية لم يكن هدفها مهاجمة السواحل اليمنية، وإنما كانت تتعقب السفن الأوروبية المعادية، وطلب في نهاية الرسالة بأسلوب التهديد باستعادة المدفعين<sup>(١)</sup>، فرفض الإمام المتوكل إعادتهما، وهدد بمهاجمة عُمان، وجدد العُمانيون هجماتهم على السواحل اليمنية في عام ١٦٧٤م الأمر الذي دفع الإمام المتوكل إلى أن يأمر نوابه أمراء السواحل بالتصدي للخطر العُماني<sup>(٢)</sup>.

لم تقتصر العلاقات بين الطرفين على المراسلات أو الاحتكاك العسكري، بل تعدت إلى لجوء أهالي عُمان إلى الإمام المتوكل طالبين مساعدته في خصومات حدثت بينهم وبين سلطانهم وذلك في عام ١٦٧٥م، إلا أن الإمام اعتذر عن تلبية طلبهم<sup>(٣)</sup>.

**العلاقة مع الدولة العثمانية:** كان اليمينيون في عهد الإمام إسماعيل المتوكل حديثو عهد بالاستقلال عن الدولة العثمانية، لذلك لم تكن علاقاتهم معها جيدة، كما لم تكن عداوية، ففي عام ١٦٦٦م قدم إلى اليمن مندوب عن السلطان العُثماني، هو محمد بن إبراهيم، وبرفته قوة عسكرية صغيرة وهدية إلى الإمام، ويبدو أن هذا لم يتقبل وجود المندوب العُثماني بين يديه، فأمر بنقله إلى مخا، واستعرض هذا المندوب في حديثه مع اليمينيين قوة السلطنة العثمانية؛ في محاولة لإيهامهم أن بإمكان العثمانيين العودة إلى اليمن، كما أن اليمينيين في المقابل، استغلوا هذه الفرصة لعرض قوتهم أمامه، مؤكدين أن باستطاعتهم صد أي هجوم عثماني<sup>(٤)</sup>.

الواقع أن العثمانيين كانت تراودهم فكرة استعادة اليمن، بدليل أن السلطان العثماني أمر في عام ١٦٧٤م بتوجيه حملة إلى هذا البلد لاستعادتها، ولكن ما إن

(٢) المرجع نفسه: ص ٣٠٦، ٣٠٧.

(٤) المرجع نفسه: ص ٢٢٠، ٢٢١.

(١) الوزير: ج١ ص ٢٥٥ - ٢٥٧.

(٣) المرجع نفسه: ص ٣١٨، ٣١٩.

وصلت إلى مصر حتى أمر بتوقفها، وعندما علم الإمام إسماعيل المتوكل بأخبار هذه الحملة سارع إلى إرسال هدية إلى السلطان<sup>(١)</sup>.

وأقام الإمام إسماعيل المتوكل علاقة جيدة مع بعض ولاة الدولة العثمانية في سواكن الواقعة على ساحل السودان وفي القطيف والبصرة.

**العلاقة مع الدولة المغولية في الهند:** أقام الإمام إسماعيل المتوكل علاقات جيدة مع سلاطين الدولة المغولية في الهند، وبخاصة في عهد شاهجان وأورنجزيب عبر تبادل الرسائل والهدايا على الرغم من الاختلاف المذهبي، وقد تضمنت بعض هذه الرسائل محاولة من الإمام على حث السلطان أورنجزيب على ترك مذهبه السني الأشعري واعتناق المذهب الشيعي الزيدي، لكنه لم يفلح.

**العلاقة مع الدولة الصفوية:** ربطت الإمام إسماعيل المتوكل والشاه عباس الثاني الصفوي في إيران علاقة طيبة، تمثلت بتبادل الرسائل وتوحيد الجهود ضدَّ الدولة اليعربية في عُمان<sup>(٢)</sup>، ولعل ازدياد منافسة عُمان التجارية لإيران هي التي دفعت الشاه إلى التفكير في هذا الأمر، لكن الزيديين أبلغوا الشاه اعتذارهم عن مهاجمة اليعاربة في هذا الوقت، ويبدو أنهم فضّلوا مسالمتها حتى لا يُعرّضوا سواحلهم لمزيد من الغارات التي كانت تشنها السفن العُمانية القوية وبخاصة بعد استعادة الكثيرين ظفار في عام ١٦٦٣م، في الوقت الذي كانوا فيه يفتقدون إلى أسطول يضارع الأسطول العُمانية<sup>(٣)</sup>.

**العلاقة مع الحبشة:** ارتبطت الحبشة مع اليمن بعلاقات متعددة منذ القدم، إذ كلتاها تواجه الأخرى، ولا يفصل بينهما سوى البحر الأحمر الذي يضيق كلما توجّهنا جنوباً، فقد أقام الامبراطور الحبشي فاسيلاداس (١٦٣٢ - ١٦٦٧م) علاقات مع المسلمين لحماية الحبشة من التدخلات الأوروبية، وبخاصة البرتغالية، وكان هذا التصرف انقلاباً على الأوضاع السابقة التي كانت فيها الحبشة تعتمد على البرتغاليين لمحاربة المسلمين، ويبدو أن لذلك علاقة بطلب البرتغاليين تغيير المذهب الديني للأبشاش والتحول من الكنيسة الأورثوذكسية إلى الكنيسة الكاثوليكية<sup>(٤)</sup>.

وعمد الامبراطور الحبشي إلى عقد اتفاقيات مع الولاة العثمانيين في سواكن ومُصَوِّع في عام ١٦٤٨م للتخلص من الضغط البرتغالي، كما أعدم جميع القسس الكاثوليك الذين تسلّلوا إلى الحبشة، ووثق علاقاته بجيرانه المسلمين، وبخاصة

(١) الوزير: ج١ ص ٣٠٧ - ٣١٨. (٢) المرجع نفسه: ص ٢٠٦، ٢٠٧.

(٣) الغالي: ص ١٣٣.

(٤) قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية: ص ١٣٢، ١٣٣.

اليمنيين، فاتصل بالإمام إسماعيل المتوكل وطلب منه في عام ١٦٤٧م أن يُرسل إليه رجلاً مسلماً يفقهه في الدين الإسلامي، فأرسل إليه القاضي الحسن بن أحمد الحيمي، وحمّله بالهدايا، وأمره بشرح تعاليم الدين الإسلامي للامبراطور إذا كان هدفه الدخول في الإسلام، غير أن مهمة القاضي فشلت وعاد إلى اليمن بعد أن تبيّن أن هدف الامبراطور هو تحويل التجارة بين الدولتين عن الموانئ التي يسيطر عليها العثمانيون، وعلى الرغم من ذلك ظلّ الإمام يطمع في تحويل الامبراطور إلى الإسلام، لذلك أرسل إليه رسالة يدعوه فيها إلى اعتناقه، لكن الامبراطور رفض ذلك وتوفي على نصرانيته في عام ١٦٦٧م.

### التدخل المصري في اليمن

توفي الإمام إسماعيل المتوكل في ١٥ آب ١٦٧٦م، وخلفه أئمة ضعاف سُغلوا بالنزاعات الأسرية الداخلية والصراع على السلطة، ما أدى إلى عدم الاستقرار في نظام الحكم وتراجع الحكم الزيدي، وشجّع ذلك على التدخل المصري في اليمن وعودة العثمانيين إلى حكمه.

ارتبط التدخل المصري في اليمن في أوائل القرن التاسع عشر بما جرى من حروب في الجزيرة العربية، بين الوهابيين والعثمانيين ممثلين بوالي مصر محمد علي باشا، الذي استطاع أن يسيطر على الحجاز بعد جهود كبيرة بين عامي ١٨١٢ و١٨١٩م، ورأى هذا الوالي أثناء انقضاء على ثورة الوهابيين أن أهالي عسير ومنطقة الساحل الشمالي لليمن يناصرون هؤلاء ويناوشون قواته في الحجاز، فوجّه حملة إلى شمالي اليمن تمكّنت من الاستيلاء على ميناء قنفذة.

وقدم في ذلك الوقت، إلى حسن باشا نائب محمد علي باشا في الحجاز أميران يمنيان، هما: علي بن حيدر ومنصور بن ناصر، يشكوان عمّهما الشريف حمود وريث آل خيرات في المخلاف السليماني الواقع شمالي اليمن<sup>(١)</sup>، وكان يدين بالولاء لأئمة صنعاء، ويساندون الوهابيين الذين يسيطرون على شمالي اليمن، وطلبوا منه أن يمدّهما بقوة عسكرية تمكّنهما من الاستيلاء على اليمن باسم الدولة العثمانية والتخلص من استبداد الشريف حمود، فأرسل الوالي المصري حملتان، توجّهت الأولى إلى عسير بقيادة سنان باشا ورافقها علي بن حيدر، وتوجّهت الثانية إلى تهامة بقيادة خليل باشا ورافقها منصور بن ناصر، وتعدّ هاتان الحملتان البداية الفعلية

(١) الواسعي، عبد الواسع بن يحيى: تاريخ اليمن المسمى فرحة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن: ص ٢٢.

للتدخل المصري في شؤون اليمن لدعم السيادة العثمانية<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن الشريف حمود الذي اشتهر بالتقلبات السياسية وجد نفسه مضطراً للتقرب من المصريين بعد انتصارهم على الوهابيين في معركة بسل عام ١٨١٥م، وسلّمهم القائد الوهابي طامي بن شعيب تعبيراً عن حسن نيته، ثم ترك المصريين واستجاب لنداء أشرف عسير المناهضين لهم، وقام بمهاجمة القوات المصرية المتمركزة في عسير بقيادة جمعة باشا وهزمها، كما هزم قوة أخرى بقيادة سنان باشا، فاضطرت القوات المصرية إلى الانسحاب من عسير، وقُتل سنان باشا أثناء ذلك<sup>(٢)</sup>.

وما لبثت الأوضاع أن تغيّرت لصالح المصريين إثر انتصار إبراهيم باشا بن محمد علي باشا على الوهابيين في عام ١٨١٨م وتدمير عاصمتهم الدرعية، فانتقلت العمليات العسكرية من الجبهة النجدية إلى الجبهة اليمنية، وتحركت القوات المصرية بقيادة خليل باشا لمطاردة فلول الوهابيين في شمالي اليمن والقضاء عليهم، وكان الشريف أحمد بن حمود قد خلف أباه في حكم عسير والمخلاف السليماني وتهامة، وقد أمل في التفاهم مع المصريين على أن يبقوه أميراً على بلاده، فاستدعاه خليل باشا إلى معسكره لإجراء مباحثات معه، فحضر وقدم ولاءه للمصريين، فطلب منه القائد المصري أن يكتب إلى جميع عماله وحامياته، من أبي عريش شمالاً إلى زيد جنوباً بالاستسلام، ففعل، فأضحت هذه المنطقة تحت إمرة خليل باشا<sup>(٣)</sup>.

وبعث خليل باشا رسولاً إلى إمام صنعاء المهدي عبد الله بن أحمد (١٨١٦ - ١٨٣٥م) يطلب منه أن يوفد مبعوثين من قبله للتفاوض في أمر إبقائه في منصبه مقابل أن يدفع مبلغاً من الخراج سنوياً إلى الباب العالي، ففعل، وبذلك أعادت قوات محمد علي باشا تبعية إمام صنعاء إلى السيادة العثمانية، وكان ذلك اعترافاً من أئمة صنعاء بعودتهم إلى الحضيرة العثمانية<sup>(٤)</sup>.

ورأى محمد علي باشا نتيجة تبلور فكرة إقامة دولة عربية كبرى بزعامته والسيطرة على الطرق التجارية الشرقية؛ أن يجتث جذور المتمردين في الجزيرة العربية ومنها اليمن، فأرسل حملة أخرى إلى هذا البلد بقيادة إبراهيم يكن باشا وعيّن «سر عسكر اليمن» وذلك في عام ١٨٣٦م، واستطاعت هذه الحملة السيطرة على معظم الثغور

(١) العقيلي، محمد بن أحمد عيسى: تاريخ المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ: ج١ ق٢ ص٥٤٨.

(٢) المرجع نفسه: ص٥٢٠ - ٥٢٤.

(٣) المرجع نفسه: ص٥٤٣.

(٤) مؤنس، حسين: الشرق الإسلامي في العصر الحديث: ص١٩٦.



اليمنية، وبعض المواقع الداخلية في تهامة، واتخذ القائد المصري ميناء الحديد مركزاً لإدارته، وأضحى والياً على اليمن<sup>(١)</sup>.

أقام محمد علي باشا إدارة منظمة في اليمن حَقَّقَتْ استقراراً نسبياً للبلاد لم تنعم به من قبل، وذلك خلال المدة القصيرة التي استمر فيها الحكم المصري، وتوالت ردود الفعل المؤيدة للوجود المصري من إمام صنعاء وأمراء حضرموت.

وما جرى في عام ١٨٤٠م من انهماك محمد علي باشا بالحرب في بلاد الشام، حيث أضحى بحاجة إلى القوات المصرية في اليمن، فأمر إبراهيم باشا يكن أن يُسَلِّمَ ما تحت يده إلى الحسين بن علي بن حيدر حاكم المخلاف السليماني والعودة مع قواته إلى مصر، وهكذا تمَّ جلاء القوات المصرية من اليمن وانتهى التدخل المصري<sup>(٢)</sup>.

### احتلال بريطانيا عدن

لقد أدَّت بريطانيا دوراً في دفع المصريين إلى الخروج من اليمن، إذ هالها تقدم هؤلاء في الجزيرة العربية والسودان، ومساهمة محمد علي باشا بتجارة الهند البريطانية القادمة من بومباي عبر البحر الأحمر شمالي جدة، والمعروف أن بريطانيا تعتمد في البحر الأحمر على موانئ السودان واليمن، ولما دخل هذان البلدان تحت الحكم المصري، شعر البريطانيون أن البحر الأحمر خرج من يدهم إلى يد مصر<sup>(٣)</sup>، ولهذا احتلوا عدن في ١٦ كانون الثاني ١٨٣٩م.

شكَّل الاحتلال البريطاني لعدن ضربة موجهة لمحمد علي باشا لإرغامه على الانسحاب من اليمن، في الوقت الذي كان فيه الوالي المصري يبذل كل طاقته لدعم الإدارة المصرية والتقرب من اليمنيين، وقد أعلن إمام صنعاء ولاءه لإبراهيم باشا يكن لانتفاء ضربات البريطانيين بعد سيطرتهم على عدن<sup>(٤)</sup>، وبخاصة أن هينز حاكم عدن البريطاني أخذ يُحرِّض القبائل ضدَّ الحكم المصري، وقد نجح في ذلك إلى حدِّ كبير<sup>(٥)</sup>.

وفي الوقت الذي تعقَّدت فيه المشكلات بين محمد علي باشا والسلطان العثماني، ونشبت الحرب بينهما، نُمي إلى بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا أن والي مصر ينوي السيطرة على مدخل البحر الأحمر الجنوبي والتوسع في سواحل

(١) العقيلي: جا ق ٢ ص ٥٤٩. (٢) Jacob, Harold, F: Kings of Arabia p23.

(٣) مؤنس: ص ٩٦.

(٤) الرافي، عبد الرحمن: تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر: ص ٣٤٣.

(٥) أباطة، فاروق عثمان: الحكم العثماني لليمن ١٨٧٢ - ١٩١٨م، ص ٤٣.

حضر موت، فطلب منه إجلاء قواته من اليمن، ويبدو أنه تَلَكَّأ في ذلك، وكان قد عُقد مؤتمر لندن في عام ١٨٤٠م للنظر في طموحات محمد علي باشا، واتخذ قرارات ضده أخذت بريطانيا تُنفذها بالقوة، فاضطر إلى سحب قواته من اليمن<sup>(١)</sup>، وقد أتاح ذلك لبريطانيا الأنسياح في الربوع اليمنية الجنوبية، وتوطيد أقدامها في عدن<sup>(٢)</sup>.

## الحملة العثمانية على اليمن ١٨٤٩م

رأت الدولة العثمانية أن تبادر إلى تأييد الحسين بن علي بن حيدر حاكم المخلاف السليماني، وتعترف به حاكماً على اليمن كي يحفظ سيادتها الاسمية عليه إلى أن تحين الفرصة المناسبة لإخضاعه لسيطرتها المباشرة، لذلك أرسل السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ - ١٨٦١م) تأييده للحسين مشروطاً أن تكون الخطبة للسلطان العثماني على منابر مساجد اليمن، وأطلق عليه لقب «حاكم اليمن حسين باشا» وذلك في عام ١٨٤٣م<sup>(٣)</sup>.

استقر الحسين بن علي في ميناء الحديدية وراح يُوسِّع حدود منطقتة في تهامة، فاستولى على مخا في الجنوب، غير أنه تعرَّض لهجمات الزيديين بقيادة محمد بن يحيى بن المنصور، ووقع في أسره، غير أن إخوته حرَّروه واستولوا على زبيد في عام ١٨٤٨م بعد أن طردوا القوات الإمامية منها<sup>(٤)</sup>، وللخروج من هذا المأزق، التمس الحسين المساعدة من السلطان العثماني الذي استغل هذه الفرصة لإعادة فرض السيطرة العثمانية على اليمن، فأمر واليه على الحجاز توفيق باشا وأمير مكة الشريف محمد بن عون بالتحرك إلى اليمن على وجه السرعة، فذهب على رأس قوة عسكرية قوامها ثلاثة آلاف جندي ونزلا بالحديدة، فاستقبلهما الحسين بن علي بالترحاب، وذلك في عام ١٨٤٩م<sup>(٥)</sup>.

وسارع إمام صنعاء محمد بن يحيى إلى الاتصال بتوفيق باشا مرحباً بقدومه إلى اليمن كي لا يتفرد الحسين بن علي بالتقرب منهم، بل إنه اتفق معه على دخول صنعاء، فدخلتها القوات العثمانية من دون مقاومة<sup>(٦)</sup>.

(١) Bury, G.W: Arabia nfelix or the Turks in Yemen p14.

(٢) انظر فيما يتعلق بمعاهدة لندن: كتابنا تاريخ العثمانيين: ص ٣٦٣ - ٣٦٧.

(٣) Bury: p14. (٤) العقيلي: ج١ ق٢ ص ٥٦٠.

(٥) الجرافي، عبد الله عبد الكريم: المقتطف من تاريخ اليمن: ص ٧٢، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٩٥١م.

(٦) Hogorth, David George: Penetration of Arabian p111.

استنكر أهالي صنعاء ما فعله محمد بن يحيى، فأشعل خصمه علي بن المهدي الثورة ضدّه وضدّ الوجود العثماني، فجمع القبائل حوله وهاجموا صنعاء وأخرجوا القوات العثمانية منها، واضطر توفيق باشا الذي جرح أثناء القتال إلى عقد الصلح، وانسحب إلى الحديدة، وقُبض على محمد بن يحيى وأعدم<sup>(١)</sup>.

وهكذا لم تتمكّن حملة العثمانيين التي وصلت إلى اليمن في عام ١٨٤٩م من السيطرة على صنعاء وإقامة حكم عثماني مستقر فيها على الرغم من التسهيلات التي قدّمها لهم الإمام الزيدي محمد بن يحيى.

## الحملة العثمانية على اليمن ١٨٧٢م

حاولت الدولة العثمانية في منتصف القرن التاسع عشر أن تقوم بإصلاحات مدنية وعسكرية حتى تلحق بركب الدول الأوروبية التي سبقتها في مضمار الحضارة، كما حاولت في الوقت نفسه أن تبسط نفوذها الفعلي على المناطق التابعة لها اسماً، ومنها اليمن، فحشدت قواتها على ساحل اليمن بقيادة مختار باشا وأمرته بالتوجه إلى صنعاء وإقرار الأمور في اليمن، فاستقبله الإمام علي بن المهدي مرحّباً ودعاه إلى الدخول إلى صنعاء فدخلها في ٢٦ نيسان ١٨٧٢م، وطلب منه تأديب المتمردين الخارجين عن طاعته على أن يعود من حيث أتى بعد إتمام مهمته.

لكن الأمر لم يجر كما أراده الإمام، فقد كان توجّه الدولة العثمانية إعادة بسط نفوذها الفعلي على اليمن وتحويله إلى ولاية عثمانية، وشكّل مختار باشا حكومة عثمانية في صنعاء، وأضحى والياً عليه<sup>(٢)</sup>، وأجرى تعديلات في أجهزة الدولة، واستبدل الموظفين اليمنيين بأخرين عثمانيين، وسمح للإمام بالإقامة في صنعاء ومنحه راتباً شهرياً على أن يقتصر نشاطه على ممارسة نفوذه الروحي، وتوسّع في أرجاء اليمن، فسيطر على كوكبان والمناطق الواقعة شمال غربي صنعاء، والأراضي الممتدة بين كوكبان غرباً حتى بلاد تهامة.

وهكذا تمكّن العثمانيون من العودة إلى اليمن في عام ١٨٧٢م بعد جلائهم عنها، باستثناء المنطقة الشمالية، وأقاموا حكومة عثمانية في صنعاء التي أضحت عاصمة الولاية، وسيستمر حكم العثمانيين في اليمن حتى هزيمتهم في الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٨م، وخروجهم منها في العام التالي<sup>(٣)</sup>.

(٢) المرجع نفسه: ص ٩٦. Jacob: p24.

(١) أباطة: ص ٥٠.

(٣) الواسعي: ص ٢٥٦.

انتهج العثمانيون سياسة مركزية في اليمن، واتّسم حكمهم بالقسوة والتعسف، لذلك اصطدمت سياستهم بطبيعة الشعب اليمني الذي يقوم في أساسه على النظام القبلي، فقاموا بثورات عدة كان من بينها ثورة ١٨٩١م فالتفّوا حول الإمام محمد المنصور بن يحيى وهاجموا صنعاء<sup>(١)</sup>، وسيطروا على حصون عدة، وأشعلت معظم القبائل اليمنية نار الثورة ضدّ العثمانيين الذين تحصّنوا وراء أسوار صنعاء<sup>(٢)</sup>.

وعندما اشتد أوار الثورة أرسل من بالحديدة من العثمانيين برقيات استغاثة إلى استانبول، والمعروف أن الحديدة ومدن الساحل الأخرى كانت بمأمن من هجمات القبائل، فعينّ الباب العالي فيضي باشا حاكم مكة السابق والياً على اليمن وأمره بإخماد الثورة وإقرار الأمور في اليمن، فاصطدم بالقبائل وتغلّب عليها بشقّ النفس وأحمد ثورتها في عام ١٨٩٢م، لكن هيبة الدولة العثمانية أُصيبت بضربة شديدة، وانخفض دخلها بعد أن استقلت قبائل كثيرة بولاياتها، في الوقت الذي تضاعفت فيه أعداد الحاميات العثمانية مع ما تتطلبه من نفقات باهظة، كما استمرت العمليات العسكرية ضدّ العثمانيين التي اتخذت شكل حرب العصابات ما ضايق هؤلاء، واضطر السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩م) إلى التفاهم مع الإمام الزيدي على تهدئة الوضع، إلا أن تبادل الرسائل بين السلطان والإمام لم تُسفر عن شيء<sup>(٣)</sup>.

### العلاقة العثمانية - اليمنية حتى صلح دعان ١٩١١م

توفي الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين في عام ١٩٠٤م وخلفه ابنه يحيى المتوكل<sup>(٤)</sup>، ولم تتغير العلاقات بينه وبين العثمانيين في بداية عهده على الأقل بفعل انتهاجه سياسة والده التي تقوم على معاداتهم ومحاربتهم لإجبارهم على الاعتراف بالوضع الخاص للأئمة في البلاد، وحقهم في الاستقلال.

بدأ الإمام يحيى إمامته بحصار صنعاء في عام ١٩٠٤م، وأخذت المدن اليمنية تتساقط في يده مثل: عمران وحجة وثلاء وغيرها<sup>(٥)</sup>، ورأى العثمانيون وأهالي صنعاء بعد أن اشتدّ الحصار على المدينة الاستسلام لقوات الإمام خوفاً من الفناء بفعل عدم وصول إمدادات ذات أثر فعّال، واتفق الجانبان على خروج العثمانيين إلى

(١) الجرافي: ص ٣٠٩، ٣٠٩. Jacob: p73.

(٢) أباطة: ص ١٣٦ - ١٣٩.

(٣) المرجع نفسه: ص ١٥٣، ١٥٤.

(٥) المرجع نفسه: ص ١١٣.

(٤) الريحاني: ج ١ ص ١٤٧.

حراز على أن يتركوا أموال الحكومة وأسلحتها للإمام<sup>(١)</sup>، ودخل الإمام المدينة في ٢١ نيسان ١٩٠٥م، واعترفت كثير من النواحي بحكمه باستثناء أب وتعز وقفلة وشمر وبلاد حرار والتهائم التي بقيت في أيدي العثمانيين.

أثارت ثورة اليمنيين في عام ١٩٠٤م، الحكومة العثمانية، فنهضت لإخمادها على وجه السرعة، فأرسلت قوة عسكرية بقيادة أحمد فيضي باشا حاصرت صنعاء وأجبرت الإمام على الخروج منها مع قواته وذلك في أيلول ١٩٠٥م<sup>(٢)</sup>.

وطارد أحمد فيضي باشا القبائل الثائرة في الهضبة الشمالية للقضاء عليها، فكانت تنسحب من أمامه وتتوغل في المناطق الشمالية الوعرة بهدف إنهاك قواته في سير طويل قبل أن تنقضّ عليها في خطوة تكتيكية، وقد حققت هدفها، فقد انهارت معنوياتها واضطر أحمد فيضي باشا للعودة إلى صنعاء من دون أن يُحقّق هدفه، وعانى أيضاً من تمرد بعض الضباط والجنود بسبب تأخر صرف مرتباتهم، ورجبة الجنود الرديف بتسريحهم وإعادتهم إلى بلادهم بعد انقضاء مدة تجنيدهم.

عند هذه المرحلة من تطور الأوضاع في اليمن، مالت الدولة العثمانية إلى الحلّ السلمي بعد فشل الأسلوب العسكري، فأرسلت وفداً إلى اليمن للتفاوض مع الإمام يحيى بشأن بنود الصلح، فقدّم هذا شروطه التي رفضتها الدولة العثمانية<sup>(٣)</sup>، وتمحور حول حقّ الإمام في المشاركة في جزء من السلطة الزمنية في ولاية اليمن، ولم يكن السلطان عبد الحميد الثاني ليقبل الاعتراف بأن تُقسم إحدى ولاياته بينه وبين شخص آخر لم يعترف به إلا متمرداً على سلطة الدولة، في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تتبع المركزية في الحكم، لذلك فشلت المفاوضات وتجدّدت الثورة، ونشبت بين الطرفين معارك دامية، وكان الطرف العثماني هو الأضعف، وتفاقت الأمور في اليمن ما دفع الحكومة العثمانية إلى تجديد الاتصالات مع الإمام يحيى والتفاوض معه من أجل الصلح، وعمدت إلى عزل أحمد فيضي باشا المتشدد وعيّنت حسين تحسين باشا بدلاً منه، وكان يحب العافية، وذلك تعبيراً عن حُسن النية، وشكّل هذا رجل المرحلة عبر أسلوب التهذئة الذي انتهجه.

وطلب السلطان عبد الحميد الثاني من الإمام يحيى أن يُرسل وفداً إلى استانبول

(١) العرشي، حسين بن أحمد: بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى مُلك اليمن من ملك وإمام: ص ٨٦.

(٢) الجرافي: ص ٢٢٠.

(٣) انظر الشروط عند: أباطة: ص ١٦٧ - ١٧٠. سالم: تكوين اليمن الحديث ١٩٠٤ - ١٩١٨م، ص ٨٠، ٨١.

للتفاوض حول شؤون اليمن، غير أن المفاوضات باءت بالفشل بسبب اختلاف أعضاء الوفد في عرض قضية بلادهم، على أن السلطان كانت لديه رغبة في إيجاد حلٍّ للقضية اليمنية بما يحفظ للدولة العثمانية مصالحها في الولاية ويبقيها تابعة للسيادة العثمانية، لذلك طلب من اليمنيين إرسال وفد آخر إلى استانبول للتفاوض، ولكن المفاوضات فشلت أيضاً بسبب مشكلة إقامة الحدود<sup>(١)</sup>.

وعُزل حسين تحسين باشا عن ولاية اليمن في آذار ١٩١٠م وخلفه كامل باشا حاكم تعز السابق، إلا أنه لم يستمر في منصبه أكثر من ثلاثة أشهر، فعُزل في حزيران وعُيّن مكانه محمد علي باشا<sup>(٢)</sup>، وهو أحد رجال الاتحاديين المتمسكين بالمركزية السياسية في ظلّ ميل الاتحاديين الذين تسلموا الحكم بعد عزل السلطان عبد الحميد الثاني في عام ١٩٠٩م؛ إلى المركزية، وكُلّف بمهمة خاصة هي القضاء على كل تمرد في اليمن مهما كان مصدره، فانتهج سياسة العنف، ما أدّى إلى تجدد اندلاع الثورات والحروب، ثم عُزل هذا الوالي في عام ١٩١١م، وتولى بعده عزت باشا الذي سيعقد صلح دعان<sup>(٣)</sup>.

### علاقة العثمانيين مع الأدارسة

لا بدّ لنا قبل أن نتابع أحداث اليمن من أن نتناول الوضع في بلاد عسير المجاورة لليمن، والتي كانت تُعدّ جزءاً منه وفقاً للتقسيم الإداري العثماني، وبخاصة بعد ظهور الأدارسة فيها كقوة كبيرة أدّت دوراً ضدّ العثمانيين.

يرجع قيام الأدارسة في عسير إلى وقت وصول السيد أحمد الإدريسي إلى صبيا قادماً من مكة، وهو أحد رؤساء الطرق الدينية، وأقام فيها، واستطاع أثناء إقامته أن ينشر مبادئ طريقته ويستقطب الأنصار.

وبرزت الأسرة على الصعيد السياسي في عهد السيد محمد بن علي الإدريسي الذي استغل ثقافته الواسعة ومقدرته الإدارية على ترقية أتباعه ورفع شأنهم والعمل على سعادتهم، واستقطب قبائل منطقتهم، ونشر دعوته خارج المخلاف السليماني، وامتد نفوذه شمالاً وجنوباً ما أثار الإمام يحيى الذي رأى أن يتحالف معه ضدّ العثمانيين في صنعاء، لحماية مؤخره جيشه عندما يهاجمها.

واتخذت القضية الإدريسية بُعداً دولياً عندما تدخلت إيطاليا لصالحه والاعتماد عليه من أجل القيام بثورة ضدّ الدولة العثمانية، وفتح جبهة تستنفد طاقتها، ما يسهل

(١) الواسعي: ص ٣١٠. (٢) العرشي: ص ٨٧.

(٣) دعان: قرية صغيرة في الشمال الغربي من عمران، تقع على قمة جبل.

عليها مهمة تحقيق مخططها الاستعماري بالسيطرة على طرابلس الغرب، وقد تقاطعت رغبتها مع طموح محمد علي الإدريسي في تأسيس دولة خاصة بالأدراسة في عسير والمخلاف السليمانى.

كانت اليمن بما فيها عسير والمخلاف السليمانى تُعاني من فوضى شاملة واضطراب مستمر في الوقت الذي ظهر فيه الإدريسي على مسرح الأحداث في عام ١٩٠٧م، وقد شكّل ذلك أرضاً خصبة يُنمي فيها ملكه الجديد، فامتدّ إلى صيبا والمخلاف السليمانى وقبائل الجعافرة وحلفائهم من بيث شمالاً إلى سبخة بندر جيزان، وفتح طريقاً يوصله إلى البحر عبر مُصَوِّع<sup>(١)</sup>.

أثار هذا التوسع الإمام يحيى الذي عدّ هذه المنطقة مجال نفوذه الروحي، كما أثار الدولة العثمانية، فاتفقت جهود الطرفين على مقاومته وتصفية نفوذه، فأرسل الإمام قوة عسكرية من قبائل حاشد وهمذان لضرب قبائل خولان التي ساندت محمد الإدريسي، واستطاعت هذه القوة أن توقف زحفه قبل أن يصل إلى صعدة مركز الإمامة الزيدية.

ومالت حكومة الاتحاديين التركية إلى التفاوض معه لاستقطابه، وجرت المفاوضات بين الطرفين في قرية الحفائر، ومثّل الدولة العثمانية فيها سعيد باشا، وانتهت باتفاق على البنود الآتية:

١ - يعترف محمد الإدريسي بالتبعية للدولة العثمانية وشرعيتها على المخلاف السليمانى.

٢ - يُمنح محمد الإدريسي رتبة قائمقام، ويقوم كموظف عثمانى بشؤون صيبا وما يتبعها.

٣ - يتعهد محمد الإدريسي بمدّ أسلاك البرق عبر المخلاف السليمانى بين اليمن والحجاز.

٤ - يسمح محمد الإدريسي بقيام مراكز جمركية للدولة في موانئ المخلاف السليمانى يديرها موظفون من قبلها.

٥ - تتعهد الحكومة العثمانية بإلغاء الضرائب، وتكتفي بحاصلات الزكاة الشرعية للحبوب والمواشي، وينوب محمد الإدريسي عنها في تحصيلها مقابل الثلث لنفقاته ونفقات جيش وطني لإقرار الأمن.

كانت هذه الاتفاقية لصالح محمد الإدريسي الذي حصل بموجبها على اعتراف الدولة العثمانية ضمياً بكيانه وبسلطته الشرعية على المنطقة التي يحكمها، وأضحى

(١) العقيلي: ج ٢ ص ٦٥.

بموجبها أشد خطراً وأكثر قوة، وشكّل تحالفه مع إيطاليا تحدياً للدولة العثمانية، فاستدعته للتحقيق معه بوصفه أحد موظفيها، فرفض الذهاب إلى العاصمة العثمانية، وهو يعلم ما وراء طلب استدعائه من خطورة على حياته، وانسحب إلى الجبال للتحصن بها ومقاومة العثمانيين.

وأعلنت الدولة العثمانية عصيان محمد الإدريسي، وجرّدت عليه حملة كبيرة بقيادة محمد راغب ذهبت إلى جيزان للاصطدام به وكان يحاصر المدينة، غير أن هذه الحملة تعرّضت للهزيمة بفعل مساعدة الأسطول الإيطالي للإدريسي الذي ضرب المراكز العثمانية الساحلية، وخرج العثمانيون من المدينة وتوجهوا إلى قنفذة، ثمّ رحلوا بحراً، ودخلها محمد علي الإدريسي، وطوّقت قواته مدينة أبها وجبل عسير في تشرين الثاني ١٩١٠م.

لم تياس الدولة العثمانية من القضاء على محمد الإدريسي، فأرسلت بعض قواتها بحراً إلى قنفذة لنجدة حاميتها المحصورة بقيادة نشأت باشا، فاصطدم مع طليعة الجيش الإدريسي في منطقة القنع وانتصر عليه، وواصل تقدمه حتى اصطدم بالجيش الإدريسي في وادي عجلان وتغلّب عليه، وتراجع الأدارسة إلى قاعدتهم في منطقة الفوز، واستولى العثمانيون على المنطقة وتقدّموا إلى وادي مشرف حيث يربط جيش الإدريسي بقيادة يحيى بن عرار النعيمي، فأرغمه على التراجع إلى بارق، فتعقّبه واستولى على المدينة، ودخل أبها، وتراجعت القوات الإدريسية إلى مواقعها الأولى، حتى أعلنت إيطاليا الحرب على الدولة العثمانية في عام ١٩١١م، فساعدت تلك القوات.

وسوف يؤدي الصلح الذي ستعقده الدولة العثمانية مع الإمام يحيى في العام المذكور إلى تفرّغها لقتال الإدريسي.

## صلح دعان

كان وصول محمد علي باشا إلى اليمن في أيار ١٩١٠م لتولي أموره بداية تجلّد الاضطرابات بصورة عنيفة وقاسية، فزحفت القبائل إلى المدن لتحاصرها وتُخرّبها، منها صنعاء التي تعرّضت للحصار في عام ١٩١١م، وأقدمت الدولة العثمانية على تجنيد فرق عسكرية، من ولاياتها المختلفة، وراحت تُرسلها إلى اليمن تباعاً، كان من بينها حملة كبيرة بقيادة عزت باشا رئيس أركان حرب الجيش، فوصل إلى الحديدة في شباط ١٩١١م، ثم زحف إلى صنعاء لفك الحصار عنها، واصطدم في طريقه بقبائل مختلفة<sup>(١)</sup>.

(١) الواسعي: ٣١٤ - ٣١٧.



وحاول محمد علي باشا المُحاصر داخل صنعاء أن يقوم بنشاط تسهيلاً لتقدّم جيش عزت باشا في الوقت الذي اشتدت فيه وطأة القتال، ويبدو أن القبائل المُحصّرة للمدينة والتي وقعت بين فكي الكماشة، رأت أن لا جدوى من استمرار القتال، ففكّت الحصار عن صنعاء في ٥ نيسان ١٩١١م وانسحبت نحو الشمال، وهكذا تمكّن عزت باشا من دخول صنعاء في مساء اليوم نفسه<sup>(١)</sup>.

الواقع أن الانتصار أمام صنعاء لم يكن سوى خطوة أولى في سبيل إيجاد حلّ للقضية اليمنية، وإذا كان عزت باشا قد نجح في تأكيد نفوذ الدولة في ساحل اليمن؛ وبخاصة في ميناء الحديدية، واستطاع السيطرة على المدن والمراكز اليمنية الواقعة في الطريق من الحديدية إلى صنعاء؛ فإن هذا لم يكن يعني خضوع اليمن بأكمله للحكم العثماني<sup>(٢)</sup>، إذ ظلّ الإمام يتمتع بنفوذ كبير في معظم مدن الهضبة اليمنية ويتزعم قبائلها، كما كان محمد الإدريسي يعتصم بجبال عسير؛ لذلك فضّل الجنوح إلى السلم مع الإمام يحيى في شهارة بوصفه رأس المقاومة.

وذهب عزت باشا إلى قرية دعان لمقابلة الإمام يحيى وإجراء مفاوضات الصلح معه، وقد أسفرت عن توقيع اتفاق دعان في ٢٤ تشرين الأول عام ١٩١١م، والذي يُعدّ ترضية للطرفين المتنازعين، اعترف العثمانيون بموجبه بالشخصية الخاصة للإمام يحيى وبعض النفوذ الديني، بوصفه زعيماً لطائفة دينية معينة، والاتفاق في جملته عبارة عن مواد تنظيمية لتحديد العلاقة بين العثمانيين والإمام، وتحديد اختصاصات الولاية والموظفين العثمانيين، ومدى سيطرة الدولة العثمانية على ولاية اليمن، ونصّت مواد الاتفاق كذلك على نظم الحكم في اليمن، وطريقة جمع الضرائب، وسير العمل في المحاكم المختلفة، ومراعاة الشريعة الإسلامية، وغير ذلك من الأمور الإدارية<sup>(٣)</sup>.

## أهمية صلح دعان

يُعدّ صلح دعان استجابة طبيعية للواقع العثماني واليمني معاً، وهو اعتراف بواقع يمتد جذوره عميقاً في المدى الزمني، لذلك فإن تلاقي القوّتين صاحبتَي النفوذ المادي والمعنوي في صلح يعترف لكل منهما بوضعه وحقوقه لا يعني أن هناك تنازلاً، بل هو وصول إلى الحل الذي يضمن لليمن حياة هادئة وآمنة، وهو يحمل في طياته جوهر وخلاصة كل العروض والمطالب والحلول التي ظهرت قبله.

(٢) أباطة: ص ٢٧١.

(١) الواسعي: ص ٣١٧.

(٣) انظر نص الاتفاق عند: سالم: ص ٥١٦ - ٥١٨.

وتوضّحت النتائج العملية لهذا الصلح في تغيير صورة العلاقات بين العثمانيين والإمام الزيدي، وفي تحويل الوضع العسكري إلى وضع سلمي، وقد حرص الجانبان على الإفادة منه إلى أبعد مدى ممكن، فأراده العثمانيون أن يمحو ذكرى الحروب التي دارت بينهم وبين الثوار اليمنيين، وأن يُشكّل بداية موضوعية في تاريخ حكمهم لليمن تتسم بطابع الأمن والاستقرار والسلام، لذلك عزلوا الوالي العثماني المتشدّد محمد علي باشا وعيّنوا مكانه محمود نديم باشا الذي كان يقوم بدور مهم في تقريب وجهتي النظر العثمانية واليمنية خلال المفاوضات التي انتهت بعقد الصلح، وأراده الإمام يحيى أن يفتح صفحة جديدة في العلاقات الوديّة مع العثمانيين.

والواقع أن أوضاع اليمن صلحت بعد عقد الصلح، وزالت الفتن، واستبشرت طبقة التجار خيراً، أملّة في تحقيق الاستقرار الذي يُروّج لتجارها، ويزيد من أرباحها، وأدى هذا الصلح في المقابل إلى ازدياد عدا محمد الإدريسي في عسير للعثمانيين وانقلابه على حليفه السابق الإمام يحيى، كما ترتّب على الموقف الجديد للإمام يحيى من الدولة العثمانية وتضامنه معها إلى تراجع مركزه كزعيم للمقاومة الشعبية في نظر أتباعه الزيديين بخاصة وأهالي اليمن بعامة، وبدأ يفقد زعامته لدى معظم اليمنيين على اختلاف مذاهبهم، والتفاف القبائل من حوله.

### موقف محمد الإدريسي من العثمانيين في أعقاب صلح دعان

واصل محمد الإدريسي الثورة على العثمانيين في عسير، وحمل لواء النضال ضدّهم، وبخاصة بعد أن علم باتفاق حليفه السابق معهم، ودعّم موقفه بما انضمّ إليه من القبائل التي انسلخت عن الإمام يحيى، وبايعته قبيلة حاشد، وكان تقدير هؤلاء القبائل له يرجع إلى: تمسّكه بأهداب الدين، وتعمّقه في فهم مشكلات مجتمعهم والتقريب بينهم، وقيامه بجهود لوضع حدّ للفوضى التي كانت تسود مناطقهم، وتنظيم حياتهم الإدارية والقضائية والاقتصادية، وأدى التنظيم الذي وضعه لمملكته في عسير إلى انزعاج كل من العثمانيين والإمام يحيى، ودفعهما إلى التعاون لتحطيمها.

ونفض محمد الإدريسي لمواجهة هذا التحالف، فأرسل عمه السيد مصطفى على رأس قوة عسكرية حاصرت أبها، وكانت مركزاً لتجمع القوات العثمانية في عسير، ودخلتها، وهزمت شريف مكة المتعاون مع العثمانيين عندما حاول إنقاذها<sup>(١)</sup>.

(١) جريدة المؤيد القاهرية، العدد ٦٣٨٠، ٣ حزيران، ١٩١١م، ص٦.

وانتصرت على مقدمة الجيش العثماني الذي كان يعسكر على بُعد ثلاثة أميال من جيزان، واستولت على عدد من المدافع والبنادق والذخائر، غير أن العثمانيين استطاعوا استعادة أربها وزحزحة ستة آلاف بدوي من شيعة محمد الإدريسي من عدن<sup>(١)</sup>، وفرَّ محمد الإدريسي إلى مرتفعات عسير الجنوبية<sup>(٢)</sup>.

واتخذت قضية محمد الإدريسي بُعداً دولياً عندما تدخلت إيطاليا لصالحه، فبعد أن احتلت طرابلس الغرب تحوّلت إلى البحر الأحمر، فحاصرت ولاية اليمن، وقصفت مدافعها معظم شواطئه، وأمدت محمد الإدريسي بالمدافع والبنادق، فاستأنف الحرب<sup>(٣)</sup>، والمعروف أن إيطاليا كانت تتطلع إلى الوثوب إلى الشواطئ الآسيوية العربية المواجهة لمستعمرتها الإفريقية أريتريا، ومضايقة الدولة العثمانية لتسهيل عملية احتلالها لطرابلس الغرب.

الواضح أن العلاقة بين محمد الإدريسي وإيطاليا التي قامت على المصلحة المشتركة، كانت مؤقتة ومرتبطة باحتلال إيطاليا طرابلس الغرب، ولما تمَّ لها ذلك وحصلت على اعتراف الدولة العثمانية؛ انتفى الغرض من ارتباطها بمحمد الإدريسي، فتخلّت عنه، وتركته وحيداً في مواجهة العثمانيين، ما دفعه إلى التقرب من بريطانيا<sup>(٤)</sup>.

وحاولت الدولة العثمانية أن تفاهم مع محمد الإدريسي، لكن المفاوضات فشلت بسبب تشدُّده في مطالبه التي تُجرِّد الدولة العثمانية من سيطرتها الفعلية، وبقي الوضع على ما هو عليه من حروب ومناوشات بين الطرفين حتى أعلن الشريف حسين في مكة الثورة على العثمانيين في عام ١٩١٦م، فتشجع محمد الإدريسي واحتل قنفذة. وكان من الطبيعي أن ينشأ التقارب بينه وبين الشريف حسين نظراً لتقاطع مصالحهما في العداء للعثمانيين، ما دَعَم موقفهما، وحمل الأول وحده عبء النضال ضدَّ هؤلاء حتى تمَّ جلاؤهم عن اليمن في عام ١٩١٩م بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

## اليمن خلال الحرب العالمية الأولى

كان النفوذ المادي للعثمانيين ضعيفاً بوجه عام في اليمن خلال الحرب العالمية الأولى، وكانت الحامية العثمانية هناك مؤلفة من فرقتين، واستمر موقف الأطراف

(١) جريدة المؤيد القاهرية، العدد ٦٤٣٢، تاريخ ٢٧ تموز، ١٩١١م، ص ٦.

(٢) الجغرافي: ص ٢٢٤.

(٣) المرجع نفسه. (٤) الواسعي: ص ٢٤٣.

المتنازعة على وضعه، وعندما دخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا، أسرع بريطانيا بالتفاوض مع الأمراء العرب لدخول الحرب إلى جانبها أو لتضمن بقاءهم على الحياد، ومنعهم من تشكيل كتلة عربية تقف في وجهها هناك وتقطع عليها طريق الهند، وكان الشيخ محمد ناصر مقبل في تعز أول من لبى النداء، فعقد مع البريطانيين معاهدة في ١٩ شباط ١٩١٥م تتمحور حول حرب العثمانيين وطردهم مع حلفائهم سواء الشافعيين أو الزيديين من مناطقهم، ويعني هذا أن البريطانيين كسبوا حليفاً جديداً، وفرضوا سيطرتهم على واحدة من أكبر أقاليم اليمن خصوبة، لكن هذه الاتفاقية لم تُنفَّذ، فقد عارضها نائب الملك في الهند، الذي أكد أن مكانة بريطانيا تتوقف على الانتصار في ميادين الحرب الأساس في أوروبا وليس في المواقع الثانوية، لذلك فرَّ الشيخ مقبل إلى الجنوب والتحققت جماعة من قواته بالعثمانيين.

ويبدو أن أول نجاح فعلي حققته بريطانيا كان مع محمد الإدريسي الذي عقد معها اتفاقية في ٣٠ نيسان ١٩١٥م تعكس مطالب كل طرف من الطرف الآخر، وموقفه من العثمانيين ومن الإمام يحيى<sup>(١)</sup>.

الواقع أن دور محمد الإدريسي كان محلياً يتمثل في قتال العثمانيين وإشغالهم في هذه المنطقة، ومنعهم من استخدام موانئها ضد بريطانيا، وتوسيع أراضيه على حسابهم، والامتناع عن القيام بأعمال عدوانية ضد الإمام يحيى بشرط ألا يتحالف هذا الأخير مع العثمانيين، وتضمن بريطانيا بالمقابل تزويده بالمال والسلاح، وتوفير حرية التجارة والملاحة لأتباعه عبر موانئ عسير<sup>(٢)</sup>.

وحاول العثمانيون من جهتهم استقطاب الأمراء العرب للوقوف إلى جانبهم، وقد أثمرت مع ابن الرشيد، وكان تَوَاقُفاً للتحالف معهم، وفضَّل الإمام يحيى البقاء على الحياد مع ميل إلى جانب العثمانيين، ورفض التحالف مع البريطانيين<sup>(٣)</sup>، وكانت علاقته بمحمد الإدريسي متوترة، ويرى هذا أن تكون له حقوق السيادة في منطقتة الخاصة في عسير، وكان الإمام يرفض ذلك<sup>(٤)</sup>، وأبرزت الحرب العالمية الأولى الخلاف بينهما ودفعت كل منها إلى اختبار موقفه الخاص.

(١) انظر نص الاتفاقية عند: وهبة، حافظ: جزيرة العرب في القرن العشرين: ص ٣٠٨، ٣٠٩. سالم: ص ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) خوداير ديف، عزيز: الاستعمار البريطاني وتقسيم اليمن: ص ٥٧، ٥٨.

(٣) أبوتني، سلفادور: مملكة الإمام يحيى: ص ٥٧.

(٤) Jacob: p160.

الواقع أن وضع الإمام يحيى الديني كان يمنعه أمام أنصاره، من أن ينضم للقوى غير الإسلامية ضدَّ العثمانيين المسلمين، على عكس محمد الإدريسي الذي لم يكن ملتزماً باتخاذ موقف إسلامي معيّن، لكن الإمام اجتهد ألا يثير بريطانيا ضده.

استمرت الأوضاع في اليمن قائمة على ما هي عليه، حتى العامين الأخيرين من أعوام الحرب العالمية الأولى، قبل أن تتبدل بفعل تراجع العثمانيين وتقدّم محمد الإدريسي بدعم من بريطانيا، ففي ١٨ شباط ١٩١٧م احتل الإدريسي بدعم من الأسطول البريطاني ميناء لحيا ثم زحف نحو الجنوب حتى الزيدية، وطرد العثمانيين من عسير باستثناء بعض النقاط، وحتى نهاية الحرب عاد الإدريسي التي كانت سلطته محصورة في مناطق الصببا سابقاً؛ يسطير على أراضي ساحلية شاسعة تمتد من مدينة البرك حتى الزيدية<sup>(١)</sup>.

واحتلت بريطانيا جزيرة كمران ومنحت حليفها محمد الإدريسي جزر فرسان، وحاول العثمانيون وحلفاؤهم من القبائل التقدم إلى عدن، فسيطروا على ضاحيتها شيخ عثمان إلا أن البريطانيين استعادوها، لكنهم سيطروا على مدينة لحج.

وما جرى من نجاح البريطانيين في توطيد سلطتهم في عدن، وتوسع حليفهم محمد الإدريسي، وتراجع قوة العثمانيين؛ جعل الإمام يحيى يشعر بالقلق، ومال إلى التفاهم مع بريطانيا في تموز ١٩١٧م والتحالف معها مقابل المال والسلاح والعتاد، والاعتراف بسيادتها على الأراضي الممتدة من الرأس الخالي على بُعد ستين كيلومتراً عن قنفذة حتى حضرموت ضمناً، ووافق على ترك عدن والمناطق المجاورة لها للبريطانيين.

استمرت المفاوضات بين الطرفين أكثر من عام من دون التوصل إلى اتفاق، إذ لم تقبل سلطات عدن بشروط الإمام يحيى، ورفضت تزويده بالسلاح لأن ذلك يؤثر سلباً على حلفائها الأدارسة، كما أن بريطانيا لم تعد بحاجة إلى التحالف مع الإمام يحيى، لا سيما وأن تنفيذ مطالبه من شأنها إضاعة المناطق الداخلية التي تؤدي دور الحاجز لحماية عدن من جهة البرّ وإمدادها بالأغذية، وهكذا ظلّ الزيديون محايدين حتى نهاية الحرب في عام ١٩١٨م<sup>(٢)</sup>.

وعلى أثر توقيع الدولة العثمانية هدنة مدروس في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨م والتي نصّت في بعض بنودها على استسلام القوات العثمانية وتصفية الإدارة العثمانية في بلاد الشام والعراق والجزيرة العربية، ومنها اليمن؛ وضعت القوات العثمانية

(١) العبدلي، أحمد فضل بن علي محسن: هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن: ص ٢١٦.

(٢) خودايردييف: ص ٦٤، ٦٥.

المرابطة في لحج السلاح، وسلّم الجنود العثمانيون في اليمن بقيادة علي سعيد باشا أنفسهم وسلاحهم إلى السلطات البريطانية في عدن، باستثناء ثمانمائة جندي التحقوا بصفوف الإمام يحيى، وسلّم القائد العثماني الإدارة العثمانية في صنعاء إلى الإمام يحيى، فدخلها في تشرين الثاني ١٩١٨م<sup>(١)</sup>.

وهكذا انتهى الحكم العثماني في اليمن لبدأ عهده كدولة مستقلة.

## تاريخ اليمن المعاصر اليمن بين الحربين العالميتين الأولى والثانية

### القوى في اليمن عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى

وُجدت في اليمن عقب الحرب العالمية الأولى ثلاث قوى، لكل منها ظروفها وأوضاعها الخاصة، وهي:

١ - محمد الإدريسي وكان في نزاع شديد حول تقرير المصير مع الإمام يحيى، وكانت قوته قد ازدادت بفعل تحالفه مع إيطاليا في عام ١٩١٢م، وحرابه المستمرة مع الحاميات العثمانية في عسير واليمن، ثم تحالفه مع بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى.

٢ - الإمام يحيى، وكان يعمل على تدعيم مركزه كأحد الأئمة الزيديين الذين يعتقدون أن لهم الحق المطلق في اليمن وفي الجنوب العربي كله، وانتهج خلال الحرب سياسة سلمية محايدة، ولما شارفت الحرب على الانتهاء سلّمه العثمانيون قبل رحيلهم صنعاء، والذخائر والمعدات التي يملكونها، وكان الوالي محمود نديم باشا يعتقد بأنه الوارث الطبيعي لهم.

٣ - بريطانيا في عدن ومحمياتها التسع المجاورة لعدن وهي: لحج، أبين، الحواشب، الصبيحة، القطيب، الضالع، يافع العليا والسفلى، العواتق وحضرموت، وكانت تعدّ نفسها صاحبة الحق في المنطقة، وقد عملت على تنظيم هذه المحميات من خلال اتفاقيات تُوّجت في عام ١٩١٤م باتفاقها مع العثمانيين أصحاب السلطة في اليمن حينذاك، وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى انتهى العمل بهذه الاتفاقيات، وهاجمها العثمانيون، ولم يخرجوا منها إلا عند إعلان الهدنة في تشرين الأول ١٩١٨م<sup>(٢)</sup>.

(١) الريحاني: ملوك العرب: ج١ ص ٤٠٣. (٢) سالم: ص ٢٥٥، ٢٥٦.

## علاقة الإمام يحيى مع البريطانيين

لعل أهم نتائج الحرب العالمية الأولى التي انعكست على اليمن في مدة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، حصوله على الاستقلال في المناطق التي كانت تشكل منها ولاية اليمن العثمانية، وتغيّر مركز الإمام يحيى في القسم الشمالي من اليمن عما كان عليه أثناء الحكم العثماني، إذ أضحى يُمارس بعد جلاء العثمانيين عن بلاده في مطلع عام ١٩١٩م إلى جانب سلطاته الدينية، سلطاته كملك لدولة ذات سيادة، هي المملكة اليمنية المتوكلية، وراح يعمل على توحيد اليمن بقسميه الشمالي والجنوبي، وأسّرت بريطانيا عقب إعلان الهدنة بين العثمانيين والحلفاء إلى احتلال اللحية والحديدة<sup>(١)</sup>.

اتّخذ الصراع بين الجانبين الزيدي والبريطاني صفتين سياسية وعسكرية، والملاحظ أن بريطانيا تحرّكت وفق التقارير التي رفعها الخبراء البريطانيون في عدن، والتي تُجمع على العمل على حماية المصالح البريطانية بشتى الوسائل والدفاع عن عدن. نذكر من هؤلاء الخبراء السياسيين والعسكريين الضابط ولتون، المقيم السياسي والقائد العام البريطاني في عدن، وهارولد جيكوب (بعقوب)، المساعد الأول للمقيم السياسي البريطاني في عدن.

وبدأت بريطانيا ترسم سياستها بما يتفق مع مصالحها في جنوبي اليمن من دون مراعاة لتطلعات الإمام في هذه الجهات، وكانت عودة بعثة جيكوب في عام ١٩١٩م من دون وصولها إلى صنعاء والاجتماع بالإمام، أولى مظاهر السياسة البريطانية تجاه الإمام يحيى بعد الحرب، وقد تأكّد إهمالها له ولأهدافه في الجنوب، وتعارض أهدافه مع الأهداف البريطانية، وراح يتطلع إلى المحميات، فهاجم الضالع والشعب والقطيب وغيرها، فردّ البريطانيون بالجلاء عن الحديدة في ٣١ كانون الثاني ١٩٢١م وسلّموها إلى محمد الإدريسي<sup>(٢)</sup>، وقد شكّل هذا التصرف إساءة إلى الإمام يحيى، لأن الحديدة تُعدّ المنفذ الطبيعي للهبضة اليمنية على البحر.

اهتزت الدوائر السياسية في لندن لهجوم الإمام يحيى على المحميات، فرأت ضرورة تغيير خطتها تجاهه، وقد نتج عن هذا التغيير استئناف المفاوضات معه وتبادل الهدايا، وعيّن الإمام القاضي عبد الله العرشي معتمداً له في عدن<sup>(٣)</sup>، وكلّفه

(١) الريحاني: تاريخ نجد الحديث وملحقاته: ص ٤١٨.

(٢) الجرافي: ص ٢٢٧، الواسعي: ص ٢٦٣، الريحاني: ملوك العرب: ج ١ ص ١٩٧.

(٣) الواسعي: ص ٢٦٣.

بإجراء مفاوضات مع السلطات البريطانية فيها، فأقام في عدن عامي ١٩٢٢ و١٩٢٣م<sup>(١)</sup>، ولكن هذه المفاوضات لم تسفر عن نتيجة إيجابية، لأن بريطانيا لم تقم بإجلاء محمد الإدريسي عن الحديدة وتسليمها له، وهو أحد مطالبه الرئيسة، وراحت تطالبه بإجلاء قواته من المناطق المحمية المتاخمة لعدن، والمعروف أن منطقة تهامة المتنازع عليها تعد بالنسبة لمحمد الإدريسي خط الدفاع الأول عن إمارته في عسير، كما كانت تُعدُّ بالنسبة للإمام يحيى جزء لا يتجزأ من الهضبة اليمنية، وتُمثِّل المنفذ الطبيعي لها على البحر الأحمر، بل إن الإمام يحيى كان يعدُّ عسير نفسها جزءاً من مملكته بوصفها كانت تابعة لأجداده، كما أنها كانت ضمن حدود ولاية اليمن العثمانية التي ورثها عقب جلاء العثمانيين في مطلع عام ١٩١٩م<sup>(٢)</sup>.

وما حدث من وفاة محمد الإدريسي في ٢٠ آذار ١٩٢٣م، أن اندلعت النزاعات الأسرية حول الحكم، فقد كان ابنه علي الذي خلفه صغير السن، لا يقدر على إدارة دفة الحكم، فخرج عليه عمه الأمير حسن وأقصاه عن الحكم في أوائل عام ١٩٢٦م.

أتاحت هذه النزاعات الفرصة للحجازيين ببسط سيطرتهم على جهات عدة من عسير الداخلية، واحتلال السعوديين الحقوة وبيشة الواقعتان شمالي شرقي صيبا عاصمة الأدارسة<sup>(٣)</sup>، وأدّى ذلك إلى إضعاف إمارة الأدارسة في عسير وتفككها، ما هبَّ للإمام يحيى أن يهاجمها ويحقق انتصارات كثيرة في تهامة شمالاً وجنوباً، فدخل الحمرة، واستسلم له قائد القوات الإدريسية في الحديدة، وسيطر على موانيء تهامة كابن عباس والصليف واللحية وميدي، بالإضافة إلى بعض المدن مثل الضحى والزهران والمغيرة والزيدية وغيرها، وعيّن عمالاً عليها من قبله<sup>(٤)</sup>، وحاصر مدينتي صيبا وجيزان.

عند هذه المرحلة من العمليات العسكرية خشي الحسن الإدريسي من سقوط عسير كلها بيد الإمام يحيى، فرأى أن يحتمي بالأمير عبد العزيز آل سعود، فاتصل به في شباط ١٩٢٦م يعرض عليه اعترافه بالحماية السعودية إذا تقدم الأمير السعودي لإنقاذه من الهجوم المنتظر، وتوصل الطرفان بعد تردد الأمير السعودي إلى عقد اتفاقية مكة في ٢١ تشرين الأول، قَبِل بموجبها الأمير حسن الحماية السعودية على عسير ليتجنب وقوعها في يد الإمام يحيى<sup>(٥)</sup>.

(١) الريحاني: ج ١ ص ١٩٨.

(٢) أباطة: العلاقات البريطانية اليمنية بين الحربين العالميتين ١٩١٩ - ١٩٣٩م، ص ٨٧.

(٣) المرجع نفسه: ص ٨٩. (٤) الواسعي: ص ٢٧٤.

(٥) شرف الدين، أحمد حسين: اليمن عبر التاريخ: ص ٢٨٤ - ٢٨٥. وانظر نص الاتفاقية عند:

سالم، الملحق رقم ٦، ص ٥٢٩ - ٥٣١.



تعدُّ هذه الاتفاقية بداية لمرحلة جديدة في تاريخ عسير وفي تاريخ العلاقات اليمنية السعودية، إذ أضحت الدولتان وجهاً لوجه، وبدأت مصالحهما ومطالبهما تتعارض، وبخاصة أن الإمام يحيى كان يتطلع إلى حدود اليمن التاريخية<sup>(١)</sup>.

أخذت السياسة البريطانية صورة جديدة بعد سيطرة الإمام يحيى على تهامة واسترداد موانئها المهمة، تمثّلت بموقف التفاوض، فأرسلت جليبرت كلايتون إلى صنعاء في ربيع عام ١٩٢٦م لإجراء مفاوضات مع الإمام يحيى حول حل مشكلة الحدود بين منطقتي نفوذهما في جنوبي اليمن، غير أن هذه المفاوضات لم تؤد إلى نتيجة إيجابية بفعل تشدّد الإمام يحيى بمطالبه وإصراره على حقوقه في النواحي التسع المحمية المتاخمة لعدن بوصفها جزءاً من اليمن الذي ورثه عن أجداده، كما لم يعترف بالاتفاقية التي تقدمها بريطانيا مع تلك النواحي، فضلاً عن عدم اعترافه باتفاقيات العثمانيين مع بريطانيا بشأن تحديد الحدود بين منطقتي نفوذهما قبل قيام الحرب العالمية الأولى<sup>(٢)</sup>.

ترتّب على فشل بعثة كلايتون في التوصل إلى اتفاق مع الإمام يحيى ظهور تقارب يمني - إيطالي سيكون له تأثير واضح على تطور العلاقات اليمنية - البريطانية في مرحلة ما بين الحربين، وقد توصلت بعثة غاسباريني التي زارت صنعاء وأجرت مباحثات مع الإمام يحيى، عن توقيع اتفاقية ثنائية في ٢ أيلول ١٩٢٦م، نظّمت العلاقات بين الدولتين، على أن تقدّم إيطاليا مساعدات اقتصادية وفنية لليمن<sup>(٣)</sup>.

وتعدّ أول اتفاقية يعقدها الإمام يحيى مع دولة أجنبية منذ جلاء العثمانيين عن بلاده، وتُشكّل أول اعتراف دولي باستقلال اليمن، وأول وثيقة دولية تُطلق على الإمام يحيى لقب ملك<sup>(٤)</sup>.

وكانت إيطاليا حريصة على إقامة علاقات تجارية مع اليمن بعد نجاحها في تأسيس مستعمرة لها في أريتريا، وإقامة مركز تجاري في صنعاء يقيم فيه أحد التجار الإيطاليين، وكانت تتويجاً لجهودها في مجال منافستها الاستعمارية لبريطانيا، وأدّت إلى تمتعها بالحظوة والنفوذ في اليمن خلال عهد الإمام يحيى، بل وحتى نهاية

(١) العقاد، صلاح: جزيرة العرب في العصر الحديث: ص ٦٤.

(٢) Reilly, R: Aden and Yemen p17.

(٣) Hurewitz, J.c: Diplomacy in the Near and Middle East II pp 146 - 147.

وانظر النص العربي للاتفاقية عند: الواسعي: ص ٣٤٥ - ٣٤٨، وعند سالم: الملحق رقم ٥، ص ٥٢٦ - ٥٢٨.

(٤) الواسعي: المصدر نفسه.

حكم أسرته بقيام ثورة اليمن الوطنية في ٢٦ أيلول عام ١٩٦٢م.

وقد هدف الإمام يحيى من عقد الاتفاقية تدعيم موقفه عسكرياً وسياسياً أمام بريطانيا التي تقف منه موقفاً معانداً بالنسبة لمطالبه في النواحي التسع المحمية المتاخمة لعدن، وترسيم الحدود بين منطقتي نفوذهما.

واتخذت بريطانيا في المقابل موقفاً متشدداً من الإمام يحيى بعد عقد الاتفاقية المشار إليها، فتوترت العلاقات بينهما قبل أن تتحول إلى حرب في ٨ شباط ١٩٢٨م، وكانت بريطانيا تخشى من التمدد الإيطالي إلى حضرموت، كما خشيت من النشاط الإيطالي المتزايد في البحر الأحمر، وإقدام الإمام يحيى على مهاجمة محمياتها.

وكان الذي فجّر الأوضاع، سيطرة الإمام يحيى على قعدة وجعلها مركزاً لتجمع قواته، فضربتها الطائرات البريطانية بالقنابل، وتمّ قصف الضالع في ٢١ إلى ٢٣ شباط ١٩٢٨م<sup>(١)</sup>، واستمرت الحرب حتى تموز ١٩٢٨م تخلّلتها بعض الهدن، واضطر الإمام يحيى تحت ضغط قصف مدنه إلى الانسحاب من الضالع في ١٤ تموز، كما سحب قواته من الأراضي المحمية في نهاية تشرين الثاني باستثناء جزء من يافع وحوالي نصف إقليم العوذلي<sup>(٢)</sup>، ثم طلب من حاكم عدن إعادة فتح باب المفاوضات، وقد رحّبت بريطانيا بهذا التوجه، وطلبت منه أن يُرسل مبعوثاً عنه إلى عدن لبحث بنود الاتفاق<sup>(٣)</sup>.

الواقع أن هناك خمسة عوامل تحكّمت بالعلاقات اليمنية البريطانية في مرحلة ما بين الحربين هي:

- ١ - المعاهدة اليمنية - الإيطالية وانعكاسها على أطراف النزاع.
- ٢ - رغبة حكام وأهالي النواحي التسع المحمية في استمرار صلاتهم مع بريطانيا، ورفضهم التبعية للإمام يحيى.
- ٣ - مركز الإمام يحيى وسياسته في اليمن، والمعروف أن الأوضاع المحيطة به لم تكن مستقرة بفعل سياسته القائمة على الشدة وأخذ الرهائن، وعدم نجاحه في استقطاب القبائل، زيدية كانت أو شافعية للانضواء تحت حكمه.
- ٤ - نجاح عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، في تسوية علاقاته مع بريطانيا عبر عقد اتفاقية جدة في ٢٠ أيار عام ١٩٢٧م، ما دفع الإمام يحيى إلى التفكير في انتهاج السياسة نفسها في علاقاته مع بريطانيا حتى لا يقع بين فكّي

(١) الجرافي: ص ٢٣٧.

(٢) أباطة: ص ١٠٨.

(٣) جريدة الأهرام، العدد ١٥٦٨١، ٣ تموز، ١٩٢٨م، ص ٣.

الكماشة، السعوديون من الشمال والبريطانيون من الجنوب، فبعد معها اتفاقية الصداقة والتعاون المتبادل في ١١ شباط عام ١٩٣٤م.

٥ - محاولة الإمام يحيى عقد اتفاقيات مع دول أجنبية أخرى غير إيطاليا، بهدف دفع بريطانيا إلى اتخاذ موقف أكثر إيجابية عبر الاتفاق معه<sup>(١)</sup>، ومن هذا المنطلق عقد اتفاقية مع الاتحاد السوفياتي في الأول من تشرين الثاني عام ١٩٢٧م<sup>(٢)</sup>، في الوقت الذي اشتد فيه صراعه مع بريطانيا، ويُعدُّ الإمام يحيى أول حاكم عربي أقام علاقات سياسية مع الاتحاد السوفياتي في وقت مبكر جداً بالنسبة لبلدان الشرق الأوسط<sup>(٣)</sup>. وقد حقق من ورائها أهدافه السياسية والاقتصادية، إذ اعترف الاتحاد السوفياتي باستقلال اليمن تحت حكمه، وتمَّ تنظيم عملية التبادل التجاري بين الجانبين، وكانت مدة المعاهدة عشر سنوات، إلا أنها لم تُجدَّد، إذ سحب الاتحاد السوفياتي هيئاته السياسية كلها التي تعمل في المجال العربي في عام ١٩٣٨م، ويرجع ذلك إلى فشله أمام منافسة إيطاليا وألمانيا اللتان تغلغلتا آنذاك في المنطقة العربية، وكانتا تمثلان من وجهة النظر العربية المنقذ من الاستعمار البريطاني والفرنسي، وتجدر الإشارة إلى أن التقارب اليمني - السوفياتي كان يمثل في جانب منه التنافس الدولي بين الاتحاد السوفياتي والدول الغربية، وبخاصة بريطانيا.

وهكذا دفعت ظروف الحرب بين الإمام يحيى وبريطانيا وما ارتبط بها من تنافس دولي، إلى جنوح الطرفين إلى التفاهم، وأدى ذلك إلى عقد اتفاقية صنعاء أو معاهدة الصداقة والتعاون المتبادل بينهما في ١١ شباط عام ١٩٣٤م<sup>(٤)</sup>، وقَّعها محمد راغب بن رفيق عن الجانب اليمني، وبرنارد رويدون رايلي عن الجانب البريطاني، وهو المقيم السياسي البريطاني في عدن، وهي في حقيقتها إقرار بالوضع الراهن، واتفق الجانبان على:

- ضمُّ أراضي العوذلي والضالع إلى النواحي المحمية من قبل بريطانيا.  
- ضمُّ منطقة البيضاء إلى منطقة نفوذ الإمام يحيى، وتقع ضمن منطقة النفوذ البريطاني، وذلك لأنها لم ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة حماية<sup>(٥)</sup>.  
تُعدُّ هذه الاتفاقية أهم حدث على النطاق المحلي في اليمن بعد حدث احتلال

(١) أباطة: ص ١١١ - ١١٨.

(٢) سالم: ص ٣٥٠، وانظر: نص الاتفاقية في الملحق رقم ٨، ص ٥٣٥ - ٥٣٧.

(٣) أباطة: ص ١١٩.

(٤) Hurewitz: II pp 196-197 انظر النص العربي للاتفاقية عند: سالم الملحق رقم ١٠، ص ٥٤٠ - ٥٤٣.

(٥) Reilly: p18.

بريطانيا عدن في عام ١٨٣٩م، وهي أول اعتراف بريطاني رسمي باستقلال الإمام يحيى استقلالاً تاماً وكاملاً في جميع الأمور، وأكّدت على حلول السلام بين الجانبين، وهذا ما هدف إليه الإمام يحيى. لكن النزاعات تجددت بين الطرفين في أواخر عام ١٩٣٨م على الرغم من المعاهدة، وتركزت حول شبوة، إثر أعمال التنقيب فيها عن النفط من قبل الشركات الأميركية، وانتهت هذه الأحداث في نهاية عام ١٩٣٩م ببقائها محايدة، ولم تتعرض العلاقات اليمنية - البريطانية لأي هزة أخرى بعد تسوية قضية شبوة.

وعندما اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م)، وقف الإمام يحيى على الحياد رغم ميله إلى دول المحور ألمانيا - إيطاليا، لإزعاج بريطانيا، ثم بدأ يُقلل من أهمية ميله نحو دول المحور بعد هزيمة الألمان في العلمين، قبل أن ينقلب عليهم، وبخاصة إيطاليا بعد انهيار امبراطوريتها، فأمر بإلقاء القبض على الإيطاليين والألمان الفارين إلى بلاده، واعتقل جميع رعايا دول المحور، وأوقف محطتي الإذاعة اللتين كانتا تعملان في بلاده باسم دول المحور، وقطع علاقاته معها، لكنه لم يُعلن الحرب على ألمانيا واليابان مثل باقي الدول العربية.

ودفعت أحداث الحرب الإمام إلى الخروج من عزلته، فانضم إلى جامعة الدول العربية في عام ١٩٤٥م، وإلى الأمم المتحدة في عام ١٩٤٧م، على أنه وجد في الأميركيين الذين بدأوا يهيمنون على منطقة الشرق الأوسط، عضداً ومسانداً جديداً يحل محل دول المحور.

## اليمن الجنوبي بعد الحرب العالمية الثانية وحتى الاستقلال

### تطلع اليمنيين الجنوبيين نحو الاستقلال

واجه البريطانيون في عدن بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة حركات وطنية قامت بها القبائل ضد السيطرة الاستعمارية، اتسمت بالعفوية وعدم التنظيم الكامل بفعل قلة الأشخاص القادرين على قيادتها، وضعف الطبقة الوسطى التي تعمل في التجارة والرهون العقارية، وخضوع الرأسماليين للبريطانيين، لارتباط مصالحهم، بهم فضلاً عن الاستعمار البريطاني الذي كان ينشر الثقافة الاستعمارية، ويبث التفرقة، ويستخدم المهاجرين من البلدان الأخرى في الوظائف العامة، لتوطيد مصالحه<sup>(١)</sup>.

كانت التنظيمات الوطنية الأولى تضمّ الجماعات المثقفة، وبدأ بعد الحرب

(١) المصري، أحمد عطية: تجربة اليمن الديمقراطية: ص ١٢٠.

العالمية الثانية تأسيس النوادي الوطنية الأدبية والسياسية التي تدعو إلى الوحدة وبعث الهمم ضد الاستعمار البريطاني، مثل: نادي الأدب العربي، ونادي الإصلاح العربي، ونادي الشعب، والجمعية الإسلامية الكبرى التي أثرت بشكل كبير في التوعية الاجتماعية والسياسية<sup>(١)</sup>.

غير أن هذا التوجه الوحدوي كان له رد فعل سلبي لدى أنصار النزعة الانفصالية العدنية الذين خشوا من ذوبان عدن، الأكثر تطوراً، في المحميات اليمنية المتاخمة لها، فأسسوا جمعيات دعت بفصل عدن عن جنوبي الجزيرة العربية، ومنحها الإدارة الذاتية، وإدخالها في رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث)، نذكر منها: الجمعية العدنية، وقد جرى تغيير اسمها في عام ١٩٥٤م إلى المؤتمر الشعبي، وقد لاقت تأييداً ومساندة من بريطانيا والرأسمالية الأجنبية والمحلية.

لكن المؤتمر الشعبي لم يستبعد قيام شكل معين للوحدة بين عدن والنواحي التسع المتاخمة لها في جنوبي اليمن ذات شكل اتحادي مرن<sup>(٢)</sup>، ويبدو أنه فُقد مع مرور الوقت ونتيجة تعصبه القومي العدني المحدود تأييد الأهالي، في ظل نمو المشاعر الوطنية، وانتشار أفكار العروبة ووحدة الجنوب، فانقسم في النصف الثاني من الخمسينات إلى قسمين هما:

الحزب الوطني الاتحادي برئاسة حسن البيومي وعبد الرحمن جرجرة، وقد دعا إلى وحدة عدن والنواحي التسع، والحزب الدستوري برئاسة عائلة لقمان، وقد أيد خطة السلطات البريطانية الداعية إلى إدخال عدن في اتحاد رابطة الشعوب البريطانية.

ومهما يكن من أمر، فقد دعت الحركة الوطنية والأحزاب والتنظيمات السياسية الأولى في جنوبي اليمن، إلى الاستقلال عن بريطانيا، ونتيجة لذلك لم تجد الأفكار الوحدوية الوطنية التي تولدت في جنوبي اليمن والمرتبطة بعملية توحيد شطري اليمن، الأساس الضروري في المطالب السياسية آنذاك.

ويبدو أن تفاقم النزاع في جنوبي اليمن بين المصالح الوطنية والمصالح البريطانية، أسفر عن تأسيس أبناء الجنوب «رابطة أبناء الجنوب العربي» المناوئة للاستعمار البريطاني، وكان قوام مؤسسيها خريجون جامعات البلاد العربية ومدارسها الثانوية وكذلك مدارس عدن والمحميات التسع، ودعت إلى إنشاء دولة موحدة ذات سيادة في كل جنوبي الجزيرة العربية بما فيها مسقط وعمان، وراحت تنشر أفكارها

(١) أباطة: بريطانيا والحركة الوطنية في الشطر الجنوبي من اليمن ١٩٣٩ - ١٩٦٧م، ص ٥٧.

(٢) المصري: ص ١٢٦.

في داخل اليمن، وقد ساعدها ذلك على إحراز مواقع متقدمة في المنطقة، إلا أنها لم تطرح مطالب اجتماعية واقتصادية محدّدة، الأمر الذي عرّضها للانتقاد<sup>(١)</sup>.  
والحقيقة أن النضال السياسي لرابطة اتحاد الجنوب العربي ضد مشاريع الاتحاد البريطانية، ومشروع اتفاقيات النفط، وخطة الإدارة الذاتية لعدن، والاستغلال الاستعماري لمزارع القطن في لحج وأبين؛ قد أكسبها شعبية كبيرة في جنوبي اليمن، غير أن تعاونها مع سلاطين ومشايخ النواحي التسع المتاخمة لعدن، أثار استياء عاماً، وعدم ثقة بها لدى العديد من الزعماء الوطنيين في اليمن الجنوبي، وأدى ذلك إلى انفصال الجناح اليساري الذي يدعو إلى وحدة شمالي اليمن وجنوبه، وأسس قاده برئاسة محمد سالم علي الجبهة الوطنية الموحدة<sup>(٢)</sup>، انضمت إليها بعض الجمعيات الثقافية، والاتحاد اليمني ذو التوجهات الوجودية، لكن موقف معارضو الرابطة من التنظيمات الوطنية الأخرى الذي اشتد في عام ١٩٥٨م، برز عنه دعوات إلى انفصال الشمال عن الجنوب، وإنشاء اتحاد الجنوب العربي وفصله عن اليمن الشمالية.

وترمز بداية الستينات بالنسبة للحركة الوطنية في الشطر الجنوبي من اليمن، إلى تعقّد الوضع الداخلي، وظهور عوامل دولية ساعدت على تطورها اللاحق، ففي عامي ١٩٦٠م و١٩٦٢م تعرّضت النقابات العمالية لسلسلة من الضربات البريطانية، فبدت في وضع صعب، كما منعت السلطات البريطانية الإضرابات، وتعرّفت في تعاملها مع الحركة العمالية، ما استدعى إنشاء حزب سياسي يُشكل واجهة للحركة العمالية<sup>(٣)</sup>، فتأسّس حزب الشعب الاشتراكي، وضمّ إلى جانب العمال، جميع العناصر الوطنية، وأضحى وريثاً للجبهة الوطنية الموحدة التي احتل زعمائها مراكز القيادة، كما أضحى أمين عام الحزب عبد الله الأصنج رئيس مؤتمر عدن العمالي<sup>(٤)</sup>.

وتبنّى الحزب المبادئ الآتية:

- انتماء اليمن والشعب اليمني للعرب والأمة العربية، واليمن جزء من الوطن العربي.
- تحرير اليمن من الاستعمار والرجعية، وتوحيده على أساس ديمقراطي اشتراكي.

(١) الجفري، محمد علي: حقائق عن جنوبي الجزيرة العربية: ص ٥٢.

(٢) رضا، عادل: تطور الحركة الوطنية في اليمن الديمقراطية: ص ٧٧.

(٣) المرجع نفسه: ص ١٠٢. (٤) أباطة: ص ٨٢.

- بناء مجتمع اشتراكي تسوده العدالة الاجتماعية .

واتخذ الحزب شعاراً له الحرية والوحدة والاشتراكية<sup>(١)</sup> .

الواقع أن الحزب تأثر بالأفكار التي كانت رائجة في ذلك الوقت عن الوحدة والاشتراكية التي تبنتها بعض الدول العربية، لا سيما مصر وسوريا .

### نشوب الثورة اليمنية في الجنوب وتداعياتها

انتهجت القوى الوطنية في القسم الجنوبي من اليمن أسلوب الكفاح المسلح ضد الوجود البريطاني هناك بعد استفاد أساليب العمل السياسي، فأعلنت الثورة في ١٤ تشرين الأول ١٩٦٣م والتي ستتصاعد حتى نيل الاستقلال في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٦٧م .

الواضح أن اندلاع الثورة ومساندتها من قبل اليمن الشمالية والجمهورية العربية المتحدة، شكلاً دفعاً معنوياً ومادياً قوياً نحو انتهاج أسلوب العمل العسكري، الذي ارتكز على التنظيمات السياسية داخل مدينة عدن، مثل: حركة القوميين العرب، منظمة البعث، الاتحاد الشعبي الديمقراطي وغيرها، وأدت هذه التنظيمات دوراً ملحوظاً في تشكيل الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل، التي أخذت على عاتقها مسؤولية الكفاح المسلح، وذلك قبيل قيام جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل .

وعُقد في صنعاء في ٢٤ شباط ١٩٦٣م مؤتمر اشترك فيه قادة حركة القوميين العرب وممثلي الضباط الأحرار من الجيش النظامي الاتحادي، وتوصل المؤتمر إلى اتفاق يقضي بتوحيد جميع القوى الوطنية في جبهة واحدة وإنشاء مكتب لوضع ميثاق مؤقت للتنظيم الجاري تشكيله، وفعلاً، فقد صدر الميثاق الذي تضمّن:

- النضال في سبيل وحدة اليمن المتحرر من أي استعمار أجنبي .

- النضال ضد الاستعمار البريطاني في القسم الجنوبي من اليمن .

- الدفاع عن الثورة وعن الجمهورية العربية اليمنية في القسم الشمالي من اليمن .

يُعدُّ الميثاق في الواقع أول وثيقة تُعبّر عن تضامن قوى التحرر الوطني في القسم الجنوبي من اليمن، واتفاقها على انتهاج أسلوب الكفاح المسلح ضد الوجود البريطاني هناك حتى نيل الاستقلال<sup>(٢)</sup> .

اندلعت الشرارة الأولى للكفاح المسلح في منطقة ردفان الجبلية الواقعة في الشمال الغربي من القسم الجنوبي من اليمن، على مقربة من الحدود مع الجمهورية

(١) وثيقة اتحاد الشعب الديمقراطي، الحركة الثورية العربية، تجربة اليمن الجنوبي: ص ٨.

(٢) أباطة: ص ٢٤٥.

العربية اليمنية، في ١٤ تشرين الأول ١٩٦٣م كما ذكرنا، قام بها أبناء قبائل ردفان بزعامة الشيخ راجح بن غالب ليوزة، وتلقّى الثوار دعماً من الجمهورية العربية اليمنية.

نهضت السلطات البريطانية للقضاء على الثورة في مهدها قبل أن تنتشر بين القبائل، فلجأت في الثمانية أشهر الأولى من عام ١٩٦٤م، إلى القيام بعمليات عسكرية كبيرة ضد الثوار استخدمت فيها مختلف أنواع الأسلحة الخفيفة والثقيلة من دبابات ومدافع وطائرات، لكن تلك العمليات العسكرية، فشلت في تحقيق الأهداف البريطانية، فقد انتشرت الثورة وتوسعت في الضالع وغيرها، فهُدمت القرى، وأحرقت المزروعات وقُضي على أرواح كثيرة في مقدمتها الشيخ راجح بن غالب الذي أضحي بطلاً وطنياً.

وعمدت السلطات البريطانية في عدن تجاه تفاقم الثورة إلى نقل بعض القوات العسكرية من حلف شمالي الأطلسي في ألمانيا الغربية، ومع ذلك فقد مُنيت بالهزائم.

لم تُساند الأحزاب اليمنية الثورة التي قامت بها الجبهة القومية باستثناء الاتحاد الشعبي الديمقراطي، وقد عدّوا الانتفاضة المسلحة عمل غريب ودخيل على المنطقة، وإهراق للدماء لا فائدة منه<sup>(١)</sup>، غير أن نجاح الثورة ووصولها إلى عدن نفسها؛ أدى إلى تدعيم مواقع الجبهة القومية في نزاعها مع الأحزاب المناوئة لها.

ويبدو أن بريطانيا مالت تحت ضغط الأحداث العسكرية وتداعياتها إلى استرضاء اليمنيين بمنحهم بعض الهيئات الدستورية، فدعت ممثلي الأحزاب والهيئات الموالية لها إلى عقد مؤتمر في لندن في ٩ حزيران، لتحديد موعد الاستقلال، وبحث العلاقة بين الحكومة الاتحادية وبين حكومات الإمارات التسع، وإمكان تطوير نظام الحكم. وأبدت الحكومة البريطانية استعدادها للانفتاح على المعارضة وإشراك بعض عناصرها في هذا المؤتمر، الذي استمر حتى ٤ تموز، وترأسه ساندس وزير المستعمرات البريطاني.

لم يُحقّق المؤتمر الغاية الذي عُقد من أجلها، ومُنِي بفشل ذريع بسبب ظهور الخلافات بين وزير المستعمرات وبين أعضاء الاتحاد الذين اعتقدوا بأن بريطانيا ستساعدهم على تطوير نظام الحكم وقوانين الانتخاب بدلاً من خضوعهم المباشر للسلطات البريطانية<sup>(٢)</sup>، ويبدو أن بريطانيا كانت تسعى إلى قيام حكومة في القسم

(١) عوبلي، محمد حسن: اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي: ص ١٣٧.

(٢) العقاد: ص ١٣٨.



الجنوبي من اليمن تضمن لها المحافظة على قاعدتها في عدن لحماية مصالحها في منطقة الخليج العربي والمناطق الواقعة شرق السويس<sup>(١)</sup>، وإن كانت قد أشارت إلى أن إمارات جنوبي الجزيرة العربية ستحصل على استقلالها في موعد لا يتعدى عام ١٩٦٨م؛ ما دفع وزير الإعلام في الحكومة الاتحادية، السلطان أحمد الفضلي، إلى مغادرة المؤتمر وتوجّه إلى القاهرة حيث انضمّ إلى الثورة المسلحة<sup>(٢)</sup>.

وحلّ حزب العمال البريطاني في السلطة محل حزب المحافظين في تشرين الأول ١٩٦٤م، وكان له نظرة مغايرة تجاه الأوضاع في اليمن، فاعتمد على السياسة المعتدلين، وزار أنطوني غرنيوود وزير المستعمرات البريطاني، عدن في محاولة لإقناع الوطنيين بالاشتراك في حكومة الاتحاد، غير أن هذه الحلول الناقصة لم تلبّ مطالب الثوار، لذلك نقلوا مهماتهم العسكرية إلى عدن لمزيد من الضغط على السلطات البريطانية، وقاموا بسلسلة من العمليات العسكرية، اشتدت عندما رفضت بريطانيا تطبيق قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ١١ كانون الأول ١٩٦٣م الذي أكّد حقّ سكان عدن والنواحي التسع في القسم الجنوبي من اليمن، في الحرية وتقرير المصير<sup>(٣)</sup>.

وعُقد اجتماع في مقر جامعة الدول العربية بالقاهرة في ٥ تموز ١٩٦٤م، حضره ممثلو مختلف الأحزاب والقوى السياسية في القسم الجنوبي من اليمن، واتخذ قراراً بمواجهة الاستعمار البريطاني يداً واحدة، والنضال المقدس ضده حتى يتم التخلص من جميع آثاره، وشجّب مؤتمر لندن الدستوري، ويُعدّ هذا الاجتماع الخطوة الأولى في الطريق نحو إنشاء منظمة يمنية جديدة، هي جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل.

وصعدّ الوطنيون عملياتهم العسكرية في عدن، فاغتالوا في ٢٩ آب ١٩٦٥م ضابط المخابرات البريطاني هاري باري، كما اغتالوا آرثر تشارلز رئيس المجلس التشريعي ومسؤول الخدمة المدنية البريطاني، ما سبّب هزة عنيفة للبريطانيين.

واتخذت بريطانيا بعض الإجراءات لمواجهة موجة الاغتيالات وتصاعد العنف، فرحلت مئات الأشخاص ممن لهم علاقة بالعمليات العسكرية، إلى اليمن الشمالية، وألقت القبض على زعماء الحركة العمالية ومن بينهم محمد صالح عولقي بتهمة مساندة الجبهة القومية، وأغلقت الصحف الموالية للثورة، وقوّت أجهزة الأمن، وقسمت مستعمرة عدن إلى أربعة محاور لتسهيل إدارتها والدفاع عنها<sup>(٤)</sup>، وعلّقت

(١) ناؤوكين: ص ٩٧، ٩٨.

(٢) عبد اللطيف، فصل: مؤتمر لندن للخيانة: ص ١١. أباطة: ص ٢٨٠.

(٣) ناؤوكين: ص ٩٨. (٤) أباطة: ص ٢٨٦، ٢٨٧.

دستور المجلس التشريعي، وألغت حكومة عدن بسبب رفضها إدانة الاغتيالات، وتحميلها السلطات البريطانية مسؤولية الأحداث، وبقيت عدن منذ التاريخ المذكور أعلاه وحتى الاستقلال بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩٦٧م، تحت الحكم البريطاني المباشر<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من تلك الإجراءات، فإن البريطانيين لم يستطيعوا تحقيق أهدافهم في القضاء على الثورة المسلحة أو الحد من نشاطها.

ويبدو أن رئيس وزراء اتحاد جنوبي اليمن عبد القوي مكاوي قد تأثر بالأحداث الجارية في اليمن، فأرسل إلى السلطات البريطانية مذكرة تضمّنت مطالب حكومته وهي:

- أن يتم استقلال الجنوب اليمني خلال ثمانية عشر شهراً.

- تُتخب خلال هذه المدة هيئة تأسيسية لوضع الدستور ونظام الاستفتاء الذي يُعزّز مصير اليمن الجنوبي.

- تشكيل حكومة اتحادية مؤقتة من اثني عشر عضواً، أربعة عن كلٍّ من عدن والمحميات الغربية والشرقية.

- تحتفظ كل إمارة بثروتها الطبيعية.

- الاعتراف بالنظام الجمهوري في القسم الشمالي من اليمن.

عدت بريطانيا ما تضمنته مذكرة مكاوي عصبانياً، لأن عدن لا زالت من الناحية القانونية مستعمرة، ومما زاد في سخطها تشكيل جبهة تحرير جنوبي اليمن المحتل في آب ١٩٦٥م التي دعت إلى وحدة قسمي اليمن، فأقالت مكاوي من منصبه<sup>(٢)</sup>، فسافر إلى القاهرة في شباط ١٩٦٦م وتسلّم رئاسة جبهة التحرير.

وعندما أعلنت بريطانيا عن سياستها الجديدة في شرق السويس بموجب الكتاب الأبيض الصادر في ٢٣ شباط ١٩٦٦م، وعزمها على إغلاق قاعدتها في عدن؛ بدا على الوزراء الاتحاديين الخوف من المستقبل، وأدركوا أن بريطانيا يمكن أن تُضحّي بحلفائها بكل سهولة إذا ما اقتضت مصلحتها ذلك<sup>(٣)</sup>.

## في الطريق إلى الاستقلال

عمدت بريطانيا إلى اتخاذ بعض الإجراءات تمهيداً للانسحاب من عدن، نذكر منها:

(١) ناجي، سلطان: التاريخ العسكري لليمن ١٨٣٩ - ١٩٦٧م، ص ٢٨٨.

(٢) العقاد: ص ١٤١. (٣) أباطة: ص ٢٩٩، ٣٠٠.

- دمج مختلف جيوش محمية عدن في جيش واحد، تسهياً لنقلها في المستقبل .  
- الالتقاء في منتصف الطريق مع الوطنيين الجنوبيين بهدف إرضاء الفريق المعتدل منهم والممثل بحزب الرابطة .

- السماح لزعماء حزب الرابطة بالعودة إن شاؤوا إلى القسم الجنوبي من اليمن .  
- تكليف اثنين من القضاة لوضع مقترحات دستورية، نُشرت في شباط ١٩٦٦م في الوقت الذي نقلت فيه قاعدة عدن إلى البحرين .

لَبَّت المقترحات الدستورية الجديدة رغبات المواطنين بالإسهام بقدر أكبر في الأجهزة الاتحادية، وقد نصّت على ما يلي :

- إن شكل الدولة الجديد هو جمهوري .  
- يُنتخب رئيس الجمهورية من قِبَل المجلس الاتحادي .  
- يُمنع الجمع بين حكم الولاية وبين الوزارة .  
- إجراء إحصاء للسكان لمعرفة نصيب كل ولاية في الأجهزة الاتحادية، وذلك تمهيداً لانتخاب جمعية تأسيسية على أساس الاقتراع العام .  
- تُعدُّ هذه المقترحات خطوة مهمة في تطوُّر السياسة البريطانية في جنوبي اليمن، إلا أنها جاءت متأخرة<sup>(١)</sup> .

ويمكن تفسير القرار البريطاني الانسحاب من عدن عبر أسباب عدة نذكر منها :  
- تصاعد حركة المقاومة المسلحة في جنوبي اليمن .  
- النفقات الاقتصادية الباهظة التي تتكبدها .

- أراد السياسة البريطانيون أن يكون هذا القرار بمثابة مُهدّيء لهذه الحركة، وإقناع جمال عبد الناصر الذي كانوا ينظرون إليه على أنه المسؤول الأول عن تصاعد المقاومة المسلحة في جنوبي اليمن؛ بحسن النوايا البريطانية<sup>(٢)</sup> .

- ارتباط الانسحاب من عدن بقضية انسحاب بريطانيا من شرق السويس .  
وبدأت بريطانيا بترحيل عائلات أفراد قواتها إلى بريطانيا في الأول من أيار ١٩٦٧م، واستبدلت مندوبها السامي ريتشارد ترنبول بآخر هو همفري تريغليان، وقد وصل إلى عدن في ٢٠ أيار، وحدد سياسة حكومته الجديدة في جنوبي اليمن من خلال مهمته القضائية بإجلاء القوات البريطانية منها بسلام، وفي ١٩ حزيران ١٩٦٧م، أعلن جورج براون وزير الخارجية البريطانية في مجلس العموم البريطاني أن القسم الجنوبي من اليمن سيصبح مستقلاً في ٩ كانون الثاني ١٩٦٨م .

أثار هذا الإعلان الجيش الاتحادي، فانضمَّ إلى صفوف الثوار، وهو أمر لم يكن

(٢) المرجع نفسه: ص ٣١٦ .

(١) أباطة: ص ٣١١، ٣١٢ .

في خطط الحكومتين البريطانية والاتحادية، كما أثار الجبهتين القومية وجبهة تحرير جنوب اليمن المحتل، فجرت بينهما اشتباكات بين ٦ - ١١ أيلول انتهت لصالح الجبهة القومية التي أضحت الممثلة الوحيدة للشعب اليمني في الجنوب، ما دَعَم موقفها في التفاوض مع بريطانيا.

وأخذ جيش الجنوب يتضاعف عدده منذ إعلان بريطانيا عن نيتها في الجلاء عن عدن، ما أدى إلى تصاعد نجاح الجبهة القومية، فحُرِّرت معظم مناطق اليمن الجنوبي، وتراجع مركز حكومة الاتحاد العربي الخاضعة للبريطانيين، وفشل هؤلاء في تشكيل حكومة اتحادية جديدة، ما جعل عدن تخلو من أي سلطة وطنية، ودفع هذا الأمراء التقليديين في النواحي المتاخمة لعدن التي تكوّن منها الاتحاد إلى مغادرة القسم الجنوبي من اليمن، وحلّت محلّهم قوَّات الجبهة القومية.

والواقع أن الجبهة القومية التي استطاعت السيطرة على الموقف عند جلاء القوات البريطانية كانت أوسع انتشاراً وأكثر تمثيلاً للمناطق الجنوبية، سواء في المحميات الغربية أم في حضرموت في الشرق، فضلاً عن تضعُّع جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل بسبب هزيمة عام ١٩٦٧م التي استشهد فيها حوالي خمسمائة من عناصرها في سيناء، وكذلك بسبب قرار انسحاب الجمهورية العربية المتحدة من اليمن<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن الظروف الصعبة التي واجهتها بريطانيا في جنوبي اليمن، دفعت الحكومة البريطانية إلى تقديم تاريخ جلائها، فقد أعلن جورج براون وزير خارجيتها في أوائل تشرين الثاني ١٩٦٧م أن تغيّر الظروف في جنوبي اليمن يدفع بريطانيا إلى وجوب تعديل موعد الانسحاب من اليمن الجنوبي، وتلى ذلك اعتراف بريطانيا بالجبهة القومية ممثلة للشعب اليمني الجنوبي، والموافقة على التفاوض معها لتسليمها السلطة، وحدّدت يوم ٣٠ تشرين الثاني عام ١٩٦٧م موعداً للاستقلال بدلاً من التاسع من كانون الثاني عام ١٩٦٨م.

أدى هذا التغير في سياسة بريطانيا وبروز الجبهة القومية على حساب جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل، إلى تجدد الاشتباكات بين ٣ و٦ تشرين الثاني ١٩٦٧م، وقد حسمت الجبهة القومية الموقف لصالحها.

## استقلال اليمن الجنوبي

بعد أن فرضت الجبهة القومية نفسها على الساحة اليمنية الجنوبية إثر الانتصار على جبهة تحرير جنوبي اليمن المحتل والسيطرة على أراضي اليمن الجنوبية باستثناء

(١) قدورة: ص ٢٦٦، ٢٦٧.

عدن؛ عدت نفسها الممثلة الشرعية الوحيدة لشعب جنوبي اليمن، وطلبت من السلطات البريطانية الاعتراف بحقها في التفاوض معها، وأعلنت وقف إطلاق النار لمدة ثلاثة أيام بدءاً من ٨ تشرين الثاني تعبيراً عن حسن نيتها، وعندما انتهت المدة من دون أن تحصل على جواب، استأنفت عملياتها العسكرية ضد البريطانيين في عدن في ١١ تشرين الثاني.

وما جرى من إعلان وزارة الخارجية البريطانية في اليوم المذكور اعتراف بريطانيا رسمياً بالجهة القومية بوصفها الحكومة الفعلية في عدن؛ توقفت الاشتباكات واستعد الطرفان لبدء المفاوضات بينهما التي بدأت في ٢١ تشرين الثاني في جنيف<sup>(١)</sup>.

مثل جنوبي اليمن في المفاوضات وفد تألف من: قحطان محمد الشعبي رئيس اللجنة التنفيذية للقيادة العامة للجهة القومية، رئيساً، وفيصل عبد اللطيف، وسيف الضالعي، وعبد الفتاح إسماعيل ومحمد أحمد البيشي أعضاء، ومثل بريطانيا اللورد شاكلتون.

وحاولت بريطانيا أثناء المفاوضات الاحتفاظ بموطيء قدم وإبقاء قواتها حول الجنوب العربي؛ لا سيما في الجزر التي تتحكم بمضيق باب المندب، كجزيرة بريم، وجزيرة كمران وسوقطرة وجزر كوريا بوريا، كما اقترحت في إحدى مراحل المفاوضات وضع جزيرة بريم تحت إشراف الأمم المتحدة، وهي سابقة لم تطبق على أي جزيرة من الجزر الأخرى ذات الموقع «الاستراتيجي» المماثل<sup>(٢)</sup>، لكنها لم تحقق أي شيء من ذلك، إذ تمسك الوفد اليمني بتلك الجزر بوصفها جزء لا يتجزأ من اليمن الجنوبي.

استمرت المفاوضات مدة ثمانية أيام أذيع على إثرها في ٢٩ تشرين الثاني بيان مشترك، تضمن تسليم جميع السلطات والحقوق التي كانت تزاولها بريطانيا، إلى الدولة الجديدة المستقلة ابتداء من ٣٠ تشرين الثاني وهو تاريخ إعلان الاستقلال، واتفق الجانبان على إقامة علاقات سياسية (دبلوماسية) بين بلديهما وتبادل السفراء<sup>(٣)</sup>.

وجرى جلاء آخر جندي بريطاني عن أرض جنوبي اليمن ليلة ٣٠ تشرين الأول مع إعلان الاستقلال ومولد الدولة الجديدة، بعد مائة وتسعة وعشرين عاماً من الحكم البريطاني المباشر، وهكذا كانت عدن أول منطقة في الجزيرة العربية تتعرض للغزو الأجنبي وتصبح مستعمرة بريطانية في عام ١٩٣٩م، كما كانت آخر مستعمرة في الوطن العربي تحصل على استقلالها عام ١٩٦٧م<sup>(٤)</sup>.

(٢) العقاد: ص ١٥٢.

(٤) قدورة: ص ٢٦٧، ٢٦٨.

(١) ناؤوكين: ص ٢٠٩.

(٣) أباطة: ص ٣٦٧، ٣٦٨.

وأصدرت القيادة العامة للتنظيم السياسي للجبهة القومية بياناً أعلنت فيه أن الجبهة القومية هي السلطة العليا في الجمهورية الفتية، واتباع الشكل الرئاسي في الحكم، وتعيين قحطان محمد الشعبي أول رئيس للجمهورية لمدة سنتين، وشكّل رئيس الجمهورية وزارة برئاسته ضمّت أحد عشر وزيراً، منهم علي صالح البيض وزيراً للدفاع، وسيف أحمد الضالعي وزيراً للشؤون الخارجية، واختصّت القيادة العامة للجبهة القومية بالسلطة التشريعية العليا إلى حين صدور الدستور المؤقت، كما أعلنت نفسها التنظيم السياسي الوحيد في البلاد، ويعني ذلك اتباع نظام الحزب الواحد، وحظر التنظيمات السياسية الأخرى.

وأعلن رئيس الجمهورية في خطابه في ٣٠ تشرين الثاني، المبادئ الأساس لسياسة الدولة في الحقل الخارجي وهي:

- الالتزام بميثاق الأمم المتحدة.

- الحياد الإيجابي وعدم الانحياز.

- التضامن مع شعوب البلدان النامية.

- العداء ضدّ الاستعمار.

كما أكّد أن هذه الجمهورية هي دولة شعبية تقدمية.

اعترفت الدول العربية بالدولة الوليدة، وقُبلت عضواً في جامعة الدول العربية في الثاني عشر من كانون الأول ١٩٦٧م، كما قُبلت عضواً في منظمة الأمم المتحدة في الخامس عشر من الشهر نفسه.

وهكذا وُلدت هذه الدولة الجديدة بعد كفاح شديد، وهي الدولة العربية الرابعة عشرة التي تتحرّر من الاحتلال الأجنبي.

## تاريخ اليمن الشمالي بعد الحرب العالمية الثانية،

### وحتى الانقلاب على الإمامة

#### الأوضاع السياسية

ارتبط التطور السياسي في اليمن الشمالي في عهد الإمامة بسياسة العزلة التي اتبعتها، وقد حاول كل من الإمام يحيى وابنه أحمد من بعده انتهاج هذه السياسة، غير أن عزل اليمن عن المؤثرات الخارجية لم يتحقّق تماماً، إلا أنهما استطاعا الحد من تسرب هذه المؤثرات إلى اليمن وتقليلها، ويبدو أن الدافع لانتهاج هذه السياسة يكمن في عاملين<sup>(١)</sup>:

(١) أحمد، أحمد يوسف: الأبعاد الوطنية والقومية للوحدة اليمنية: ص ٦٧.

الأول، التجربة التاريخية القاسية لليمنيين مع الدول الخارجية، سواء في حروبهم مع العثمانيين من أجل الاستقلال أو في علاقاتهم مع بريطانيا في الجنوب اليمني التي لم تتورع عن استعمال القوة ضدهم، بالإضافة إلى ما نشب بينهم وبين السعوديين من حروب في عام ١٩٣٤م والتي أسفرت عن خروج نجران وعسير عن سيطرتهم.

الثاني، رغبة أسرة حميد الدين في المحافظة على الحكم، وكان لموقف قبائل الشمال المعادي لأي حكومة مركزية أثراً: يتمثل الأول بخشية الأسرة الحاكمة من استغلال هذه القبائل من قِبَل الخارج لإثارة الاضطرابات ضدها، ويتعلق الثاني بالجهد الذي تبذله الحكومة المركزية لتثبيت سيطرتها عليها، يضاف إلى ذلك، فإن انفتاح اليمنيين على العالم الخارجي لا بدَّ أن يدفعهم إلى محاولة إحداث تغيير أو على الأقل إصلاح نظام الإمامة.

ويبدو أن التحديات الخارجية التي واجهت الإمام يحيى من الجنوب والشمال فضلاً عن الرغبة في تهدئة المعارضة الداخلية، وبخاصة بعد هزائم الإمام العسكرية والسياسية في المجال الخارجي؛ أدت إلى تخفيف نسبي لقيود العزلة في أواخر حكمه، وكان أهم مظاهر هذا التخفيف إرساله عدداً يسيراً من الطلاب إلى الخارج وبخاصة إلى العراق، لتلقي العلم، وكذلك استقدام بعثة عسكرية من العراق وأخرى تعليمية من مصر، والجدير بالذكر أن عدداً من هؤلاء الطلاب شاركوا في محاولات الانقلاب على الإمام، ومنهم من شارك في ثورة ١٩٦٢م<sup>(١)</sup>.

واستمر الإمام أحمد محافظاً على سياسة العزلة، غير أن عهده شهد ظهور تطورات جديدة لم تكن مقاومتها ممكنة، فحاول التكيف معها، وهي التي ساعدت في النهاية على القضاء على حكمه، مثل: تطور الاتصالات، ونشوب الحرب الباردة في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وقد أثراً سلباً على سياسة العزلة، وقيام ثورة تموز ١٩٥٢م في مصر، وكان لهذه الثورة تأثيراً كبيراً على اليمن، فقد أضافت أبعاداً جديدة على التأثير الثقافي والسياسي لمصر، وقد بلغت الحملة على النظام الملكي وعلى أسرة حميد الدين والإقطاع، والحكام السابقين أشدها، وهتف الناس في الأسواق اليمنية بحياة الثورة والضباط الأحرار<sup>(٢)</sup>، وتأثر زعماء المعارضة اليمنية أيضاً بالثورة، وتفاءلوا خيراً من انعكاساتها المحتملة على قضيتهم<sup>(٣)</sup>.

(١) الثور، عبد الله بن أحمد: ثورة اليمن ١٩٤٨ - ١٩٦٨م، ص ٤٣.

(٢) نعمان، محمد أحمد: لكي نفهم القضية، الاتحاد اليمني: ص ١٨.

(٣) نعمان: من وراء الأسوار: ص ١١١، ١١٢.

والواقع أن الوعي بخطورة الثورة المصرية قد امتد إلى الإمام أحمد نفسه، وبخاصة أن الأحرار اليمنيين مُنحوا حق اللجوء السياسي في مصر، ففزع الإمام وأبدى استياءه من ذلك، ولم يُخفِ نغمته على رجال الثورة المصرية والطنع في شخصياتهم، وحاول عزل شعبه عن تأثير الثورة، فمنع وسائل الاتصال في المدن، وحظّر دخولها إلى اليمن إلا بإذن خاص منه شخصياً<sup>(١)</sup>، وربما أدى إخفاق الإمام في محاولته هذه إلى التقارب مع مصر وتحسين علاقاته معها، بشرط ألا تساعد القاهرة زعماء المعارضة اليمنية المقيمين فيها من شُنّ الحملات ضدّ نظام حكمه<sup>(٢)</sup>.

وشكّلت السياسة البريطانية في جنوبي اليمن دافعاً آخر للإمام أحمد للتقرب من مصر، فقد كان ينظر بقلق منذ بداية الخمسينات إلى المشروع البريطاني في إقامة اتحاد لمحميات الجنوب العربي، وعارضه عندما عُرض على زعماء المحميات التسع في كانون الثاني ١٩٥٤م<sup>(٣)</sup>، وكان يخشى من تهديده للسلامة الإقليمية لليمن، بوصفه بمثل كياناتاً مذهبياً شافعيّاً يستقطب العناصر الشافعية الساخطة في جنوبي اليمن<sup>(٤)</sup>، فحاول الحصول على مساعدة من الغرب لمواجهة هذا الخطر الجديد، لكنه فشل بسبب التأثير البريطاني، واضطر إلى التطلع إلى مصر التي كانت سياستها المعادية للاستعمار والأحلاف الغربية تتبلور في هذه المرحلة، فأقام معها علاقات طيبة استمرت حتى قيام ثورة عام ١٩٥٥م، إذ استقبلت مصر زعماء الثورة بعد إخفاقها، لكن عقد ميثاق جدة الثلاثي بين مصر والسعودية واليمن في نيسان ١٩٥٦م، حقّق مصلحة أساسية لكل من الإمام أحمد وجمال عبد الناصر، فقد كسب الإمام وقف تأييد مصر لحركة المعارضة، فضلاً عن إعطاء شعب اليمن الانطباع بأنه حليف لجمال عبد الناصر، كما أضحى بوسع الإمام الوقوف في وجه بريطانيا<sup>(٥)</sup>.

وتطلّع الإمام أحمد إلى إقامة علاقات وديّة مع الاتحاد السوفياتي، وعقد في هذا الإطار معاهدة صداقة معه في عام ١٩٥٥م، وزار محمد البدر ابن الإمام أحمد الاتحاد السوفياتي في العام التالي، تلا ذلك وصول أسلحة سوفياتية إلى اليمن في تشرين الأول ١٩٥٦م<sup>(٦)</sup>.

(١) نعمان: لكي نفهم القضية: ص ١٨.

(٢) غالب، محمد أنعم: نظام الحكم والتخلف الاقتصادي في اليمن: ص ٦٧.

(٣) كينغ، جيليان: أهداف الاستعمار في عدن: ص ٩٤، ٩٥.

(٤) المرجع نفسه: ص ١٢٩. (٥) أحمد: ص ٧١، ٧٢.

(٦) الشريف، وليد: الاتحاد السوفياتي ومنطقة الخليج العربي، في مجلة دراسات الخليج

والجزيرة العربية: ص ٩٣، ٩٤.



تلا عقد صفقة الأسلحة السوفياتية - اليمنية، نشاط سوفياتي ومصري داخل اليمن، وإن لم يأخذ شكل التدخل في شؤونها الداخلية، فأرسل الاتحاد السوفياتي بعثة عسكرية إلى اليمن لتدريب الجيش اليمني على الأسلحة السوفياتية، كذلك أرسلت مصر بعثة عسكرية في العام نفسه<sup>(١)</sup>، تولت التدريب في الكلية العسكرية بصنعاء.

وأقدم الإمام أحمد في عام ١٩٥٨م على طلب الانضمام إلى الوحدة المصرية - السورية، وكان لهذا التوجه علاقة بمواجهة المعارضة الداخلية، وقد أمل أن يفرض على شركائه بعض الضمانات ضدَّ المعارضين اليمنيين<sup>(٢)</sup>.

وهكذا عُقد في آذار ١٩٥٨م اتحاد كونفيدرالي بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة، استمر حتى قيام الانفصال بين مصر وسوريا في أيلول ١٩٦١م، وقد شارك الإمام، الانفصاليين في سوريا في مهاجمة مصر، ما دفع جمال عبد الناصر إلى إلغاء الاتحاد بين بلاده وبين اليمن في كانون الأول من العام المذكور<sup>(٣)</sup>.

كانت سياسة العزلة تتأثر بطبيعة الأمور في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية، وتحت تأثير الثورة المصرية وأبعادها القومية في المنطقة العربية، وعندما قرر أن ينفذ يده من اللعبة السياسية كلها كانت نذر الانهيار لنظام الإمامة قد بدأت تلوح إذ كانت الحركة الثورية في اليمن قد وصلت إلى حد الاقتناع بحتمية تفجير الثورة<sup>(٤)</sup>، وقد أخذت شكل الحركات الانقلابية في ثورتَي عامي ١٩٤٨ و١٩٥٥م.

## ثورة عام ١٩٤٨م

أخذت الحركة الوطنية في القسم الشمالي من اليمن، شكل الحركات الانقلابية ضد نظام الإمامة الزيدية، وتُعد الثورة التي قامت في ٢٢ أيلول ١٩٤٨م أولى هذه الحركات، وتُشكّل حلقة في الصراع على السلطة الذي اجتاحت اليمن الشمالي في عهد الإمامة، إذ إن القائمين بها ينتمون إلى أسر عريقة ضُمَّت في صفوفها بعض أقارب الإمام يحيى، كان من بينهم ابنه سيف الإسلام إبراهيم، الذي افتقد إلى كل أمل في الوصول إلى الحكم بوصفه الابن الثامن للإمام.

(١) حمروش، أحمد: قصة ثورة ٢٣ تموز. مجتمع جمال عبد الناصر: ص ٢٠٠.

(٢) العطار، محمد سعيد: التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن، أبعاد الثورة اليمنية: ص ٩٣. غالب: ص ٧٠.

(٣) شرف الدين، أحمد حسين: اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين: ص ٣٥٢، ٣٥٣.

(٤) أحمد: ص ٧٦.

ويبدو أن تلك الحركة الثورية لم تكن تخلو من فكرة إحداث تغيير يتجاوب مع آمال الشعب اليمني بعامة والمثقفين من أبنائه بخاصة، إلا أن الظروف الداخلية والخارجية التي أحاطت بها ضعفت إمكاناتها، ما أدى إلى فشلها، وإن ظلت الشرارة الأولى ذات الدلالات الواضحة والأثر الكبير في تاريخ اليمن المعاصر، وبدا ذلك بوضوح في حرص الحركة على الاتصال بأحرار اليمن ودعوتهم لمشاركتها في الحكومة التي أنشأتها<sup>(١)</sup>.

وكانت رابطة الأحرار اليمنيين قد أنشئت في عدن بعد الحرب العالمية الثانية، وتكوّنت من العناصر التي تنادي بالإصلاح والتغيير، واستنكرت سياسة الإمام الاستبدادية وتخلّف نظامه، وازدادت هذه الحركة واتسع نشاطها بعد انضمام ابن الإمام سيف الإسلام إبراهيم إلى صفوفها وخلع لقبه، وتلقب بسيف الحق تعبيراً على تمرده<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن ثورة عام ١٩٤٨م حرّكتها ثلاثة عوامل هي:

١ - الصراع الأسري على السلطة بين أبناء الإمام يحيى العديدين، وبينهم وبين الأسر الكبيرة التي كان أبنائها يتطلعون إلى تعميم الإمامة بين الأسر، وتوضّح ذلك عندما أخذ الإمام يحيى البيعة لابنه أحمد بولاية العهد في عام ١٩٤٧م، وأجبر زعماء القبائل على الاعتراف به، وقد اصطدم ذلك برغبة صهره عبد الله بن الوزير الذي كان يطمع في اعتلاء منصب الإمامة، والذي رأى أنها حق لجميع الأسر المتمية إلى البيت الهاشمي<sup>(٣)</sup>.

٢ - وجود بعض المغامرين من البلاد العربية في صنعاء آنذاك ممن لهم توجهات قومية أو إسلامية ثورية، مثل الضابط العراقي جميل جمال الذي اعتقد بأن الإمام يحيى يُشكل عقبة في سبيل تطوير اليمن، والفضيل الورتلاني الجزائري الأصل الذي كان عضواً في جماعة الإخوان المسلمين، وأن اشتراكه في الحملة على الإمام كان تعبيراً عن تأييد تلك الجماعة لموقف المعارضة<sup>(٤)</sup>.

٣ - وجود نواة للمعارضة السياسية لحكم الإمام يحيى لم تتمكّن من ممارسة نشاطها في القسم الشمالي من اليمن، واضطرت للذهاب إلى عدن بوصفها أقرب مركز يُمكنها منه أن تمارس نشاطها بعيداً عن متناول يد الإمام، والمعروف أن السلطات البريطانية في عدن لم ترفض لجوء هؤلاء نظراً لاستمرار الخلاف على

(١) سالم: ص ٤٨٢، ٤٨٣.

(٢) الجرافي: ص ١٥٧. أباطة: ص ١٢١، ١٢٢.

(٣) العقاد: ص ٧٣ - ٧٥.

(٤) Philby: p350.

مسألة الجنوب اليمني مع حكومة صنعاء، لكن لم يصل الأمر إلى حدّ تواطؤ هذه السلطات مع المعارضة اليمنية بتدبير ثورة عام ١٩٤٨م<sup>(١)</sup>.

قام الثوار بحركتهم في الوقت الذي أُشيع فيه عن وفاة الإمام يحيى إثر مرض ألمّ به، وعلى الرغم من عدم صحتها فقد كان ذلك دافعاً للإسراع بقيام الحركة.

واستدعى الإمام يحيى ابنه أحمد من تعز إلى صنعاء وكلفه بالقضاء على الثورة، ونجح القائمون بها إلى اغتيال الإمام يحيى في كمين في منعرج حزير على بُعد بضعة كيلومترات جنوبي صنعاء في ١٧ شباط ١٩٤٨م<sup>(٢)</sup>، وعندما علم عبد الله بن الوزير بعملية الاغتيال بادر إلى قصر السلاح بصنعاء بحجة المحافظة عليه وحراسته حتى يعود الإمام أو يتضح أمره، ولما جيء به إلى صنعاء قتيلاً أبدى أسفه أمام الناس لما حدث وأعلن دعوته لنفسه خلفاً له بحجة أنه أصلح للإمامة من ولي العهد أحمد<sup>(٣)</sup>، فبايعه الأحرار من اليمنيين داخل صنعاء وخارجها وفي مقدمتهم دعاة الإصلاح وقادة الحركة الثورية.

وعيّن الإمام الجديد جميل جمال قائداً للجيش والشرطة الداخلية، وعلي بن الوزير رئيساً للحكومة، واستدعى إبراهيم ابن الإمام يحيى من عدن وعيّنه رئيساً لمجلس الشورى<sup>(٤)</sup>.

تحرك الإمام أحمد من تعز إلى صنعاء يوم مقتل والده على رأس قوة عسكرية، فاستقطب أمير الحديدية القاضي حسين الحلالى وضمن ولاءه له، وعندما وصل إلى معقل حجة راسل القبائل والشخصيات اليمنية للالتفاف حوله.

وجند عبد الله بن الوزير حملتين لحربه، تصدّت القبائل للثانية عند كمران وأجبرتها على العودة من حيث أتت، وتمكّنت الأولى من دخول مدينة شبام في بلاد كوكبان، ولكنها أغفلت الاستيلاء على الحصون المطلة عليها والتي تحفظها، الأمر الذي مكّن أمير الطويلة علي بن حمود شرف الدين من صدّ قائدها محمد بن محمد الوزير، وألقى القبض عليه وعلى كثير من جنده، وأرسلهم إلى الإمام أحمد في حجة، فاعتقلهم فيها، وسيطر علي بن حمود على المنطقة.

وتقدمت القوات الإمامية بعد ذلك إلى صنعاء وحاصرتها مدة ثلاثة أيام حتى سقطت في ١٧ تشرين الأول ١٩٤٨م، وقبض الإمام أحمد على عبد الله بن الوزير وعلى كثير من قادة الثورة وأنصارها واعتقلهم في حجة، قبل أن يأمر بإعدام عبد الله بن الوزير وقادة الثورة<sup>(٥)</sup>.

(٢) الحداد: ص ٣٧٩.

(٤) العقاد: ص ٧٥.

(١) أباطة: ص ١٢٥.

(٣) المرجع نفسه: ص ٣٨٠.

(٥) سالم: ص ٥٠٢، الحداد: ص ٣٨٣، ٣٨٤.

ويمكن التوصل في تحليل أسباب فشل حركة انقلاب عام ١٩٤٨م إلى ثلاثة:

١ - غياب الوعي السياسي لدى الشعب اليمني، والواقع أن التعاطف مع الانقلاب لم يحدث في أي مدينة رئيسة خارج صنعاء، وقد ترافق ذلك مع عدم العلم بحركة الانقلاب بسبب الصعوبة الشديدة للاتصالات في اليمن، فلم تعلم بها قطاعات واسعة من الشعب اليمني.

يضاف إلى ذلك، سوء التنفيذ الذي أتاح للإمام أحمد بأن يفلت من أيدي الثوار ويقوم بدوره في إجهاض الانقلاب، والراجح أن قادة الانقلاب وقعوا ضحية إدراك خاطيء لقوتهم.

٢ - ضعف قوى الانقلاب، بفعل التناقض الكامن بين عناصر المعارضة المحافظة منها والتقدمية المتحالفة لإنجاح الانقلاب، وقد سبب ذلك انشقاقات داخل صفوف الانقلابيين في بعض المسائل الحاسمة<sup>(١)</sup>، بالإضافة إلى قيادة ابن الوزير الضعيفة، وعدم تنظيم الأتباع المقاتلين، وقد اتضح ذلك من السهولة التي سقطت فيها صنعاء.

٣ - دور القوى الخارجية، في القضاء على الانقلاب، فقد كانت الأنظمة السائدة في العالم العربي ملكية محافظة، لذلك كان تعاطفها مع الثورة سلبياً، والمعروف أن الإمام أحمد بادر بالاتصال بالملك عبد العزيز آل سعود يُعلمه بالحادث وبأن خطورته لا تقف عند حدود اليمن، لأنه «وليد حركة من يسمون أنفسهم بالأحرار والإخوان المسلمين، وكلاهما خطر على الملوك وأسرهم» وطلب منه أن يتناسى ما بينهما من خلافات، والواقع أن الملك السعودي لم يكن أقل وعياً من الإمام بخطورة الحركة الانقلابية، لذلك منحه المساعدة من ذخيرة ومال، ما كان له أثر حاسم في فشل الانقلاب، ولم يكتف الإمام بذلك بل اتصل أيضاً بغيره من الملوك، فضمن تأييد مصر والأردن والعراق<sup>(٢)</sup>، ووقفت جامعة الدول العربية على الحياد<sup>(٣)</sup>، وكانت القوة الوحيدة المؤثرة هي بريطانيا، إلا أنها لم تستخدم نفوذها ضد الانقلاب على الرغم من تردد روايات عن تورطها في مساندة الانقلابيين، والراجح وجود تعاطف بريطاني تجاه عناصر المعارضة اليمنية لحكم الإمام أحمد، وصل إلى حدّ

(١) العطار محمد سعيد: التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن، أبعاد الثورة اليمنية: ص ٢٨٦.

(٢) انظر السيد مصطفى سالم: لماذا ثار اليمن السعيد؟ الصراع التاريخي بين القوى الثائرة والرجعية في الجزيرة العربية، جريدة الأهرام، تاريخ ١٨ تشرين الأول، ١٩٦٢م، ص ٦.

(٣) غالي، بطرس: الجامعة العربية وتسوية المنازعات المحلية: ص ٢٧ - ٣٠.

إيوائهم في عدن ليصبحوا ورقة رابحة في يدها تُلوِّح بها بوجه الإمام وتساومه عليها لتحقيق مصالحها في اليمن<sup>(١)</sup>.

## ثورة عام ١٩٥٥م

تُعدُّ الثورة التي قامت في اليمن الشمالي في ٢٠ آذار ١٩٥٥م ثاني ثورة مسلحة تستهدف القضاء على الحكم الملكي، وتستند على الأسس الاجتماعية والسياسية لثورة ١٩٤٨م، أي إلى ائتلاف بين المعارضة المحافظة والتقدمية، مع فارق هو أن المعارضة المحافظة كان يتزعمها جماعة من أسرة حميد الدين ذاتها بقيادة عبد الله شقيق أحمد، ويمكن إجمال دوافعها بما يأتي:

- نمو الوعي القومي العربي في المنطقة العربية، ومنها اليمن، عقب ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢م في مصر، فنقل أحرار اليمن نشاطهم إلى القاهرة، وأسسوا الاتحاد اليمني، وتزايد نشاطهم داخل اليمن وخارجه.

- لم يُحقِّق الإمام أحمد منذ اعتلائه منصب الإمامة في عام ١٩٤٨م شيئاً مما وعد به، وما يأمله منه الشعب اليمني من إصلاحات تُغيِّر الواقع المتخلف الناتج عن تحجُّر وانغلاق الإمام.

- الأثر الذي تركه الأمير عبد الله بن الإمام يحيى من خلال بعض الأفكار التحررية التي اكتسبها أثناء تمثيل بلاده في الأمم المتحدة وجولاته الكثيرة عموماً، وكان ذلك كافياً للقيام بحركة تستهدف التغيير والإصلاح، وكأنه يش من تحقيق أي فائدة من محاولة التغيير بالإقناع والتوجيه.

- دفع اليأس الذي خيَّم على نفوس دعاة الإصلاح من عسكريين ومدنيين من إمكان حصول التغيير؛ إلى عقد اجتماعات متوالية لدراسة الوضع ومحاولة الوصول إلى وسيلة تكفل الإصلاح في البلاد، وتوصَّّلوا إلى قناعة بأنه لا وسيلة لذلك إلا عن طريق قيام ثورة مسلحة تقضي على نظام الإمام أحمد<sup>(٢)</sup>.

تزعّم المقدم عبد الله الثلايا الثورة، وقد انتهاز فرصة مقتل أحد جنود الحامية في قرية النجدة، وعدم اهتمام الإمام أحمد بتسليح الجيش وتدريبه على الأسس الحديثة، ومرض الإمام؛ ليثير حماس الجنود، واتصل بالأمير عبد الله الذي اختاره ليخلف أخاه الإمام أحمد ووضعه في جوِّ الانقلاب.

وتحرك عبد الله من جهته، فأفنع كبار المسؤولين والعلماء في تعز بضرورة خلع

(٢) الحداد: ص ٣٨٦.

(١) أباطة: ص ١٢٩.

الإمام أحمد بحجة مرضه المستمر وعجزه عن إدارة الشؤون العامة، مع ما يُسببه ذلك من تدهور في الأوضاع، وفوضى في الإدارة، ومبايعته إماماً خلفاً له. استجاب الإمام أحمد للضغوط التي مورست عليه وتنازل بعد تردد لأخيه عبد الله<sup>(١)</sup>.

وما حدث بعد ذلك من قيام الإمام أحمد بحركة مضادة بالتعاون مع ابنه محمد البدر واستقطابه الأنصار والحرس؛ أدى إلى فشل حركة الانقلاب، واعتقل الأمير عبد الله في حجة، وقُبض على المقدم أحمد الثلايا وأُعدم في تعز. الواقع أن الإمام أحمد استطاع أن يُخمد الثورة إلا أنه لم يستطع إخماد جذوة الحرية التي لم تنطفئ من نفوس اليمنيين، والتي اشتعلت من جديد في ٢٠ أيلول ١٩٦٢م، لكن الإمام وتأثير من ابنه محمد البدر، اقتنع بإجراء بعض الإصلاحات، فاتفق مع الروس على بناء ميناء الحديدية، ومع الصين على بناء طريق صفاء - الحديدية، واشترى صفقة أسلحة من الاتحاد السوفياتي، ودرّب عليها عدداً من الضباط، وبنى مصنعاً للغزل والنسيج في صنعاء.

ويمكن رصد أسباب فشل الثورة في العوامل الآتية:

- استقطاب البدر بالاحتياطي القبلي لمساعدة والده، ونجاحه في حشد عدد كبير من القبائل، ما شكّل رادعاً للثوار الانقلابيين.  
- مكوث قادة الثورة والأمير عبد الله داخل ثكنات تعز الذي يسيطر عليها الإمام أحمد.

- عدم استعداد قادة الحركة للمقاومة والصمود داخل الثكنات.

- عدم رقابة الإمام أحمد داخل قصره، وعدم وضع حراسة عليه، ما أتاح له حرية التحرك.

- ضعف الرقابة على مداخل القصر الخلفية، الأمر الذي أعطى الإمام أحمد الفرصة لإدخال أنصاره وتجهيزاته عبرها.

- سرعة مبادرة الإمام أحمد بضرب حركة الثورة في مهدها داخل ثكناتها.

- تحوّل قيادة مدفعية القاهرة تعز، وهي المدفعية الرئيسية في المدينة، عن ولائها للحركة وانضمامها إلى صفوف الإمام أحمد، وضربها لثكنات الجيش المعارض بالمدفعية.

- انهيار معنويات غالبية الجنود داخل الثكنات، وعدم أخذهم برأي الأقلية القاضي بضرب قصر الإمام بمدفعية الثكنات.

(١) الحداد: ص ٣٨٧، ٣٨٨.

## نهاية الإمام أحمد

انزوى الإمام أحمد في قصره بعد إخماذ حركة الانقلاب وأدمن على تعاطي المخدر، فاعتلت صحته، وسافر إلى روما للعلاج في عام ١٩٥٨م، وأتاب ابنه وولي عهده الأمير محمد البدر في حكم البلاد، فالتفت حوله رجال الإصلاح وأقنعوه بإدخال بعض الإصلاحات في الإدارة والجيش، فاستعان بمدرّبين مصريين، وكلف قائده العقيد عبد الله السلال بإنشاء جيش البدر لتعزيز حرسه الخاص، وقد ساء ذلك أنصار الأمير الحسن بن الإمام يحيى المنافس الوحيد للبدر، فاتخذ من إقدامه على إنشاء فوج البدر من القناصة الذي كانوا في جيش تعز، وكانوا قد اشتركوا في حركة الانقلاب؛ حجة للانتفاض على حكم الإمام أحمد، وعندما علم هذا بالحركة الجديدة غادر روما قبل أن يستكمل علاجه، عائدًا إلى بلاده لمعالجة الموقف، وفي الوقت الذي كان فيه بمستشفى الحديدة للعلاج، دخل عليه ثلاثة أشخاص من صغار ضباط الجيش، وأطلقوا عليه الرصاص، وتركوه مضرراً بدمائه معتقدين أنه توفي، ولكنه لم يمّت، وعاش بقية حياته، قرابة عام ونصف، وهو يعاني من آلام مبرحة، وانتقل في أواخر حياته إلى تعز، وتوفي فيها في ٢٠ أيلول ١٩٦٢م، ونُقل جثمانه إلى صنعاء ودُفن فيها<sup>(١)</sup>، وخلفه ابنه الإمام محمد البدر، الذي قامت ثورة العشرين من أيلول في أيامه، وقضت على حكمه بعد سبعة أيام فقط من تربعه على العرش، وأنهت حكماً ملكياً دام أكثر من ألف عام<sup>(٢)</sup>.

## ثورة عام ١٩٦٢م

بدأ تنظيم الضباط الأحرار في اليمن الشمالي يتشكّل في صفوف الجيش تدريجاً وببطء شديد، وحذر بالغ، وعقدوا اجتماعهم السريّ الأول في كانون الأول ١٩٦١م، نتيجة تصاعد انفعالهم بما كان يجري من حولهم من أحداث أكّدت لديهم الرغبة في التغيير، وعلى الرغم من سرّيّة التنظيم إلا أنه كان هناك صلة بين حركة الضباط الأحرار في داخل اليمن وبين حركة الأحرار اليمنيين التي تألفت من المثقفين في المنفى، ومن الملاحظ أن الأحرار اليمنيين حرصوا على الاتصال بزعماء القبائل اليمنية لاستقطابها، لأنهم أدركوا أن الجيش القبلي هو الذي أنقذ الإمامة في الثورتين السابقتين، وأوضحوا لرؤساء القبائل أن الجمهورية التي يتطلعون إلى إنشائها لا تعني سحب امتيازاتهم، بل إنها تتيح لهم فرصة اعتلاء أعلى مناصب الدولة بما في ذلك منصب رئيس الجمهورية<sup>(٣)</sup>.

(٢) المرجع نفسه: ص ٣٩٣.

(١) الحداد: ص ٣٩٢.

(٣) نعمان: الأطراف المعنية في اليمن: ص ٧٤.

وشهد اليمن في أعقاب عودة الإمام أحمد اضطرابات قبلية استمرت حتى قبيل قيام الثورة، شاركت فيها أقوى قبيلتين هما حاشد وبكيل، وقد فقدتا ثقتهما بالإمام، وارتبطتا بسياسة الأحرار اليمنيين الهادفة إلى التحالف مع القبائل لإنشاء جمهورية يرأسها شيخ قبيلة، ويكون نائبه أحد الأحرار<sup>(١)</sup>.

وظهرت في القسم الشمالي من اليمن لأول مرة بين شهري حزيران وآب ١٩٦٢م ظاهرة القيام بمظاهرات تهتف بسقوط الحكم الإمامي في اليمن وتنادي بالجمهورية اليمنية، وترفع صورة جمال عبد الناصر، وتُرَدَّد شعارات الوحدة الوطنية، وسقوط التفرقة العنصرية والمذهبية، وانطلقت هذه المظاهرات يوم ٢٧ حزيران من المدرسة الثانوية بصنعاء، وانضم إليها طلاب المدرسة العلمية والابتدائية، وسارت من أمام وزارة المعارف إلى قصر البشائر وهو القصر الخاص بمحمد البدر، وسارت خلفها جموع حاشدة من أهل صنعاء، وهي تُرَدَّد الهتافات نفسها التي كانت تُعبَّر عن ضمير الشعب اليمني، ولم يتصدَّ لها آنذاك أي مسؤول<sup>(٢)</sup>، وعندما وصلت أنباء تلك المظاهرات إلى طلاب تعز، قاموا بمظاهرات ثورية عارمة في ٣٠ حزيران، وهم يهتفون بالشعارات نفسها.

وبفعل تصاعد نقمة المثقفين والعسكريين الأحرار، ضد نظام الإمامة في نهاية عهد الإمام أحمد؛ اتَّجه الضباط الأحرار في الجيش اليمني إلى القيام بثورتهم للقضاء على هذا النظام والإطاحة به، والراجح أنهم حدّدوا نهاية أيلول للقيام بذلك، غير أن وفاة الإمام أحمد في ٢٠ أيلول ١٩٦٢م كانت مفاجئة لهم، ثم تولى الإمامة بعده ابنه محمد البدر، وأعلن عن نيته في الإصلاح، منها: تكوين مجلس استشاري من أربعين شخصاً، نصفهم منتخبين والنصف الآخر معينين، وإنشاء مجالس بلدية في المدن، وتنظيم مجلس الوزراء على أن يرأسه الإمام، وأعلن إلغاء نظام الرهائن، والتوسع في المشاريع العمرانية<sup>(٣)</sup>، ومع ذلك فقد أضاف تصريحاً على اعتزامه السير على نهج أبيه، وذلك لاسترضاء المعارضة المحافظة، وشرع في إجراء مصالحة مع عمه الحسن لاقتسام السلطة ومواجهة أخطار المستقبل، بحيث يرأس الحسن مجلس الشورى ويكون نائباً للإمام، ويحكم أحد ألوية اليمن، والواقع أن هذا التصريح حسم مسألة الإصلاحات ودفع الضباط الأحرار للتعجيل في قيام ثورتهم الانقلابية.

ورأى الإمام محمد البدر عقب توليه السلطة أن يُعيِّن العميد عبد الله السلال قائداً لأركان الجيش وقائداً لحرسه، والواقع أن تعيينه في هذا المنصب كان عاملاً مساعداً في نجاح الثورة في السادس والعشرين من أيلول ١٩٦٢م.

(٢) أباطة: ص ١٥٦.

(١) أحمد: ص ٩٠.

(٣) العقاد: ص ٩٨. جزيان، عبد الله: التاريخ السري للثورة اليمنية ١٩٥٦ - ١٩٦٢م، ص ١١٣.



خَطَّط الضباط الأحرار أن تبدأ الثورة باغتيال محمد البدر في قصره، غير أن إخفاق الضباط المكلف بالمهمة حثَّ تحرك القوات قبل القضاء على البدر، لمهاجمة القصر. كان رد فعل البدر الفوري المقاومة العنيفة، ولكن اتضح له بعد قليل أنها عقيمة، ولن تُحقق نتيجة حاسمة، فجنح إلى السلم والتفاوض مع الضباط الأحرار للوصول إلى تسوية، وعندما رفضوا طلبه، بادر إلى الهرب إلى المملكة العربية السعودية<sup>(١)</sup>.

وفي صباح ٢٧ أيلول أعلن مجلس قيادة الثورة وفاة محمد البدر، وإلغاء نظام الإمامة وإقامة نظام جمهوري، والمساواة بين اليمينيين، وإزالة التفرقة السلالية والمذهبية والقبلية، والتصدي لكل الممارسات التعسفية والاستغلالية لنظام الإمامة، وكان التوجه القومي واضحاً في البيانات الأولى للثورة<sup>(٢)</sup>.

امتدت الثورة إلى معظم المدن اليمنية المهمة في تعز والحديدة، بل وإلى تلك المدن التي عُدَّت تاريخياً من معاقل الإمامة الزيدية كحجة وصعدة، واكتسبت تأييداً شعبياً واسعاً امتد إلى المهاجرين اليمنيين في الخارج<sup>(٣)</sup>، لكن الثورة افتقدت إلى تأييد وإجماع القبائل اليمنية حيث بدت صعوبة في إقناعها بالولاء لحكومة مدنية لا تستند إلى الزعامة الروحية، ما أكَّد حاجتها إلى مساندة خارجية، وبخاصة عندما اتضح أن البدر لا يزال على قيد الحياة، وأنه موجود في المملكة العربية السعودية، ويحظى بتأييدها ومساندتها، وقد انضم إليه عمه الحسن، وتعاونوا في شن الحرب ضد الجمهورية اليمنية الفتية، وحقَّقا بعض النجاح، فسيطر على نصف البلاد تقريباً، واقتصرت سيطرة الجمهوريين على مثلث تعز - صنعاء - الحديدة<sup>(٤)</sup>.

ويمكن إجمال أهداف الثورة بالأمور الآتية:

- القضاء على النظام الفردي المطلق، وعلى النفوذ الأجنبي.

- إنهاء الحكم الملكي وإقامة حكم جمهوري ديمقراطي إسلامي، أساسه العدالة الاجتماعية في دولة موحدة تمثل إرادة الشعب وتُحقق مطالبه الأساس العامة للجمهورية العربية اليمنية.

- تنظيم جماهير الشعب في خط شعبي موحد يشارك في عملية البناء الثوري ومراقبة أجهزة الدولة.

(١) جزيلان: ص ١١٧ - ١٣١. العطار: ص ٢٨٩. حاول محمد البدر خلال سبع سنوات استعادة الحكم لكنه فشل، فاستقر في الطائف ثم ذهب إلى لندن وتوفي فيها في عام ١٩٩٦م، ودُفن في المدينة المنورة.

(٢) شرف الدين: ص ٣٨٣ - ٣٨٥. الثور: ص ١٣٠ - ١٣٤. العقاد: ص ١٠٠.

(٣) جزيلان: ص ١١٥، ١٣٣. حمروش: ص ٢١٨.

(٤) العقاد: ص ١٠٣.

- رعاية وتنظيم الجيش على أساس حديث.

- إحداث ثورة ثقافية وتعليمية تقضي على مخلفات العهود البائدة، التي عمقت الجهل والتأخر الفكري.

- تحقيق العدالة الاجتماعية عبر نظام اجتماعي يتلاءم مع واقع الشعب وروح الشريعة الإسلامية والتقاليد الوطنية.

- تشجيع عودة المهاجرين.

- الإيمان بالقومية العربية والعمل على تحقيق الوحدة العربية الشاملة في دولة واحدة.

- التضامن مع الدول العربية بما يخدم المصلحة القومية.

- العمل على دعم الجامعة العربية وتطويرها وزيادة فاعليتها.

- مقاومة الاستعمار والتدخل الأجنبي بأشكاله جميعها.

- التقيد بميثاق هيئة الأمم المتحدة وتأييد موقفها من أجل السلام.

- إقامة علاقات ودّية مع جميع الدول التي تخدم استقلال اليمن وحرّيته.

- قبول الإعانات والقروض الخارجية غير المشروطة<sup>(١)</sup>.

وأعلنت إذاعة صنعاء عن تشكيل مجلس قيادة الثورة برئاسة العميد عبد الله السلال، وتشكيل مجلس سيادة برئاسة محمد علي عثمان، وتشكيل مجلس الوزراء برئاسة العميد عبد الله السلال رئيساً وقائداً عاماً للقوات المسلحة، وعبد الرحمن البيضاني نائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للاقتصاد والثروة المعدنية وعضوية ثمانية عشر وزيراً.

## التدخل المصري والسعودي في اليمن وانعكاساته

### أسباب التدخل المصري

غيّر النظام المصري سياسته تجاه اليمن الإمامية في أعقاب انفصال مصر وسوريا في عام ١٩٦١م، والسبب المباشر لهذا التغيير هو هجوم الإمام أحمد على جمال عبد الناصر ونظامه، وأضحى مضمون السياسة المصرية هو تغيير نظام الإمامة بالثورة، واعتمد النظام المصري في تطبيق هذه السياسة على عاملين:

الأول: الدعاية الخارجية، فقد أتاحت القاهرة في هذا المجال لعبد الرحمن البيضاني عبر محطة صوت العرب، القيام بدعوة صريحة للثورة ضد الإمامة، والاتصال ببعض الشخصيات اليمنية المهمة داخل اليمن من زعماء القبائل والضباط الأحرار.

(١) أباطة: ص ١٩٣، ١٩٤.

الثاني: الأنشطة السريّة، أقدمت القاهرة في هذا المجال على تدريب بعض العناصر اليمينية، وإمدادهم بالسلاح، كما كان لمصر اتصال بالثوار داخل اليمن عن طريق عبد الرحيم عبد الجبار، طيار الأسرة المالكة، والذي أدى دوراً كبيراً في نقل الأسلحة إلى الثوار<sup>(١)</sup>.

استمر تنفيذ هذه السياسة حتى وفاة الإمام أحمد وتولي ابنه محمد البدر منصب الإمامة، فأرسل برقية إلى جمال عبد الناصر في ٢٠ أيلول ١٩٦٢م تحدّث فيها عن الاستمرار في سياسة والده الرشيدة مع مصر والتعاون في الظروف كلها<sup>(٢)</sup>، ما دفع جمال عبد الناصر إلى وقف الإذاعة والنشر ضد الإمام محمد البدر أو معه، وهذا يعني وقوف مصر على الحياد من التفاعلات اليمينية.

الواقع أن القاهرة لم تُفاجأ بقيام الثورة ولا بطلب التدخل، والمعروف أن البيضاني اجتمع بجمال عبد الناصر ليلة ٢٦ أيلول من العام المذكور أعلاه، وطلب منه خمسمائة جندي وثلاث طائرات وخبير عسكري، وفي ٢٨ أيلول وصلت طائرة مصرية إلى صنعاء نقلت عبد الرحمن البيضاني، ومحمد محمود الزبير، وعبد الرحيم عبد الله، والعميد علي عبد الخبير<sup>(٣)</sup>، وهذا يعني بأن قرار التدخل العسكري قد اتخذ من حيث المبدأ على الأقل، ولكن إرسال القوات وفقاً لهذا القرار لم يبدأ إلا بعد ذلك بأيام قليلة.

ويبدو أن تدخل الجمهورية العربية المتحدة لمساعدة الثورة اليمنية في نهاية أيلول ١٩٦٢م، لم يكن يصاحبه إدراك القيادة المصرية بأن المسألة ستطول ويتسع نطاقها إلى الحدّ الذي حدث بالفعل في السنوات الست التي أعقبت ذلك، بل أضحى من العسير على هذه القيادة أن تتراجع بعد أن مدّت يد المساعدة في وقت أضحت الجمهورية العربية اليمنية الفتية محاطة بالخصوم من الجهات كلها<sup>(٤)</sup>.

وفور انتهاء الملكيين من حسم مشكلة الصراع على السلطة بين الإمام محمد البدر وعمه الحسن، بدأوا العمل على تصعيد المقاومة ضد الجمهورية العربية اليمنية الوليدة، وحلفائها المصريين، فطالبوا بانسحاب القوات المصرية، واعتمدوا على دعم المملكة العربية السعودية والأردن، وكان هناك تقارب مع الولايات المتحدة الأميركية استُخدم فيه التخويف من النفوذ السوفياتي في الجمهورية العربية اليمنية،

(١) جزيلان: ص ٨٦. حمروش: ص ٢٠٨.

(٢) انظر نص البرقية في جريدة الأهرام، تاريخ ٢١ أيلول، ١٩٦٢م.

(٣) جزيلان: ص ١٣٨، ١٣٩. حمروش: ص ٢١٦.

(٤) أباطة: ص ١٦٢ - ١٦٣.

واعترفت معظم الدول العربية بالنظام الجمهوري، واستمرت محاولات الملكيين للاحتفاظ بمقعد اليمن في الأمم المتحدة حتى انتقل إلى الجمهوريين في ٢١ أيلول ١٩٦٢م<sup>(١)</sup>.

## أسباب التدخل السعودي

ترجع أهمية الموقف السعودي الداعم للملكيين إلى عاملين:

**الأول:** جغرافي، فقد كانت السعودية تجاور جغرافياً اليمن، وتُمثل مكاناً نموذجياً لقاعدة خارجية للملكيين بحكم متاخمتها للإقليم الذي تركز فيه هؤلاء.

**الثاني:** اقتصادي، وفي هذا الإطار كان باستطاعة السعودية أن تتفوق على الجمهورية العربية اليمنية وحَماتها المصريين عبر رشوة القبائل.

وبرهنَ الساسة السعوديون عن وعي وإدراكٍ لمديّ امتداد تأثير الثورة اليمنية إلى نظامهم من خلال الحرب الأهلية اليمنية، وتنبع أهمية التعاون مع الملكيين أيضاً من حقيقة التشابه الكبير بين النظامين الإمامي في اليمن والسعودي في الرياض، واشتراكهما في الأساس الديني للشرعية السياسية، وقواعد توريث الحكم، وغيرها، ولهذا يمكن القول بأن سقوط النظام الملكي في اليمن أضحى بنظر السعوديين نديراً بسقوط نظامهم الملكي، لذلك ينبغي التحرك لإجهاض الثورة الانقلابية في اليمن.

وأدرك السعوديون أيضاً أن هدف جمال عبد الناصر من مساعدة الثورة اليمنية هو الحصول على موطنٍ قدم في الجزيرة العربية يطيح منه بالنظام السعودي، وقد ساعد على تأكيد هذا الإدراك تصريح عبد الرحمن البيضاني في تشرين الأول ١٩٦٢م، نقل المعركة إلى السعودية عند الضرورة<sup>(٢)</sup>.

وهكذا مثل الانقلاب الثوري في اليمن تحدياً خطيراً للنظام السعودي كان عليه مواجهته والتصدي له، فتعاون الملك سعود بن عبد الوزير مع أخيه الأكبر فيصل، فاستدعاه في تشرين الأول ١٩٦٢م لتولي رئاسة مجلس الوزراء، فاتخذ على الفور إجراءات عدة لمواجهة الموقف، فشكّل وزارة برئاسته وأعلن برنامجاً للإصلاح في ٦ تشرين الثاني من العام المذكور، يتضمن إصدار قانون أساسي للبلاد، والسير في خطى التنمية الاقتصادية، وإلغاء الرق، وتطوير الخدمات، والتعليم وغيرها.

(١) أحمد: ص ١٣٥.

(٢) انظر: جريدة الأهرام بتاريخ ٢ و٣١ تشرين الأول ١٩٦٢م و١٥ كانون الأول ١٩٦٢م.

اعتمد الدعم السعودي للملكيين اليمنيين على عاملين:

**الأول:** التدخل العسكري الذي اقتصر على تأمين القاعدة الخارجية للملكيين في نجران وغيرها، وتقديم الأموال والسلاح، وتجنيد اليمنيين العاملين في السعودية للعمل في صفوف الملكيين.

**الثاني:** المساندة السياسية والدعائية، فقد نشطت السعودية على الخط السياسي، ويقوم هذا الخط على المطالبة بوقف أي تدخل في الشؤون اليمنية الداخلية، وانسحاب القوات الأجنبية المتدخلة، وأن يُترك لليمنيين تقرير مصيرهم بحرية، وقامت السعودية نيابة عن الملكيين بجهود دعائية لخلق الاهتمام والتعاطف مع قضيتهم، كما شنت الإذاعة السعودية حملات دعائية معادية لثورة اليمن ومصر تستهدف تأكيد شرعية الإمام البدر، وإحداث التفكك في جبهة الثورة، وإثارة الشعب اليمني ضد القوات المصرية، وإثارة الرأي العام العربي ضد الرئيس جمال عبد الناصر.

### سياسة بريطانيا تجاه الجمهورية اليمنية<sup>(١)</sup>

تحدّدت السياسة البريطانية تجاه الثورة اليمنية والجمهورية العربية اليمنية بمجموعة من المصالح في الشرق الأوسط، فقد كانت بريطانيا تقوم من قاعدتها في عدن بدور رئيس في حماية المصالح البريطانية النفطية، والمرور عبر الشرق الأوسط وحمايته من سيطرة قوة معادية، والدفاع عن التحالف الغربي في المنطقة، وتجدر الإشارة إلى أن موقف بريطانيا من الثورة اليمنية وما تمخّض عنها من قيام نظام جمهوري؛ كان مثار نقاش وخلاف في الدوائر السياسية في لندن، فقد رأت بعض القطاعات مثل وزارة الخارجية، وقطاعات داخل مجلس العموم البريطاني، والمعارضة العمالية، والصحافة البريطانية، أن المصالح البريطانية يمكن أن تُصان بأفضل ما يمكن في حال الاعتراف البريطاني بالنظام الجمهوري الجديد في القسم الشمالي من اليمن، الأمر الذي يتفق مع الرأي العام العربي السائد، ويُزيل وصمة العار التي لحقت ببريطانيا نتيجة مساندتها الدائمة للحكام التقليديين، ويُحسّن السمعة السيئة للبريطانيين في الشرق الأوسط منذ حرب السويس في عام ١٩٥٦م، ويضمن درجة كبيرة من التأييد الشعبي في القسم الجنوبي من اليمن، ما يُعطي البريطانيين فرصاً أفضل للمحافظة على قاعدة عدن، في حين يكون البديل مزيداً من تدمير الوضع البريطاني

(١) انظر السياسة البريطانية في: أحمد: ص ١٥٤ - ١٧٣.

والمصالح البريطانية في البلاد العربية، ومواجهة مشكلات عسكرية في جنوبي اليمن<sup>(١)</sup>.

وقد دَعَم وجهة النظر هذه تقرير بعثة مجلس العموم البريطاني التي زارت اليمن في تشرين الأول، وتستند وجهة النظر هذه التي تُرَجِّح الاعتراف بالنظام الجمهوري الجديد في اليمن الشمالية على:

- استقرار الثورة اليمنية واستمرارها حتى تشرين الأول ١٩٦٢م.

- امتداد تأثير الثورة المعنوي إلى القسم الجنوبي من اليمن.

- ظهور بعض العناصر الفاعلة داخل السلطة الجمهورية ترى أن تُترك مشكلة القسم الجنوبي، لليمنيين الجنوبيين ليقرروا مصيرهم بأنفسهم.

- إعلان حكومة الجمهورية احترامها للالتزامات الدولية لليمن الإمامية.

- إن جمال عبد الناصر حاول أن يحد من الانعكاسات السياسية عبر إبلاغ البريطانيين بعدم وجود مخطط لديه فيما يتعلق بجنوبي اليمن، وهو يعمل على تهدئة دعاية النظام الجمهوري في صنعاء بشأن قضية الجنوب، وأنه ليس لديه مطمح توسعي في الجزيرة العربية<sup>(٢)</sup>.

- اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي بالجمهورية العربية اليمنية.

غير أن بريطانيا ظلَّت تتبنى وجهة نظر مضادة تسود في وزارتي المستعمرات وشؤون الكومنولث، والدفاع، وبعض قطاعات داخل مجلس العموم البريطاني، تقضي بعدم الاعتراف بالنظام الجمهوري في صنعاء، منعاً لتوجيه ضربة إلى سلاطين الجنوب، ومشاريع بريطانيا فيه، وتدعَّمت وجهة نظر هؤلاء بالرأي القائل إن جمال عبد الناصر من المتوقع أن يخسر معركة اليمن، فإذا انسحب منه فسوف تنهار الجمهورية العربية اليمنية، وإذا بقي هناك فمن المحتمل أن يدخل في حرب مكلفة ومنهكة داخل اليمن، تحدُّ من نشاطه على الساحة العربية<sup>(٣)</sup>.

ورأى السياسيون والعسكريون البريطانيون في عدن، الذين نظروا إلى الثورة اليمنية وما أفرزته من نظام جمهوري، من منظور التأثير على خطط بريطانيا في الجنوب اليمني المحتل، بأنه إذا لم تتخذ الحكومة البريطانية موقفاً ثابتاً ضد

(١) أباطة: ص ٢١٤، ٢١٥.

(٢) هيكلم، محمد حسنين: الأسد البريطاني وطبول الخطر، مقال في جريدة الأهرام بتاريخ ٢٨ كانون الأول، ١٩٦٢م.

(٣) أباطة: ص ٢٢١.

الجمهورية العربية اليمنية وضد القاهرة؛ فإن اتحاد الجنوب العربي سوف ينهار، وقد بنوا رأيهم على مشاهداتهم المباشرة لآثار الثورة، في عدن من جهة، ومتابعتهم الإذاعية للنظام الجمهوري في القسم الشمالي من اليمن من جهة أخرى<sup>(١)</sup>، وقد رجّح موقفهم هذا وجهة النظر المعارضة داخل وزارتي المستعمرات وشؤون الكومنولث، والدفاع.

ويبدو أن الرأي العام البريطاني كان حتى ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٢م يميل إلى عدم الاعتراف بالنظام الجمهوري في القسم الشمالي من اليمن، وجاء ذلك عبر التصويت في مجلس العموم البريطاني، على أنه من الواضح أن قرار الحسم جاء عبر مسؤول حكومي في ٤ شباط ١٩٦٣م بأن الموقف في اليمن غير واضح بما يكفي لتبرير الاعتراف الذي يمكن أن يتم عندما تملك حكومة الجمهورية السيطرة الفعّالة على كل أراضيها<sup>(٢)</sup>.

وأخيراً بلغ الأمر ببريطانيا إلى الحد الذي تبينت فيه مدى الضعف الذي تعرّض له اتحاد الجنوب العربي بفعل تأثير الثورة اليمنية في الشمال وقيام النظام الجمهوري الذي بدأ يُهدّد كيائها في دولة الاتحاد، وبات واضحاً لبريطانيا أن الأمم المتحدة لن تقبل بهذا الاتحاد ممثلاً لشعب الجنوب العربي، ما أضعف أملها في حماية وجودها ومصالحها في عدن تحت شعار اتحاد مستقل يحظى بالاعتراف الدولي<sup>(٣)</sup>.

## التطورات العسكرية

دفعت التطورات السياسية، المذكورة أعلاه، القيادة المصرية إلى تصعيد التدخل العسكري، وقد اتخذ شكل هجوم رئيس في شباط - آذار ١٩٦٣م فيما عُرف بهجوم رمضان، لتوافقه مع هذا الشهر الهجري، بهدف تحقيق نصر نهائي على المقاومة الملكية قبل أن تصل الجهود الدولية التي كانت تُبذل آنذاك لفض الاشتباك إلى نهايتها بحيث تكون أي اتفاقية فض الاشتباك مؤيدة للانتصار المصري - الجمهوري المشترك، ويتم ذلك بالسيطرة على المدن والطرق الرئيسة وإغلاقها بوجه الملكيين، وتنفيذاً لهذا التوجه جرت السيطرة على صعدة، ومنطقة الجوف حيث ملتقى طرق الإمدادات للملكيين القادمة من نجران، وعلى الخرم، وكانت مركزاً للمقاومة الملكية بحكم موقعها على طرق المواصلات من نجران إلى جميع المداخل اليمنية،

(١) أباطة: ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٢) Halliday, F: Arabia without sultan: p189.

(٣) أباطة: ص ٢٢٧.

ودخلت القوات المصرية - الجمهورية المشتركة مأرب في ٢٦ شباط ١٩٦٣م، والجوّة الواقعة إلى جنوبها في ٤ آذار، وحريب في ٧ آذار، وكانت طريقاً للإمدادات الملكية، وقد شارك الطيران المصري في هذا الهجوم، فحُرب قواعد إمدادات الملكيين في السعودية ونجران وخميس ومشيظ وجيزان<sup>(١)</sup>.

حقّق هجوم رمضان نجاحاً كبيراً على الصعيد العسكري، فاكتمل أمامه المقاومة الملكية، وشكّل ضربة موجعة للملكيين، وانعكس على القيادة المصرية التي عدّته نصراً نهائياً.

عند هذه المرحلة من الصدام العسكري تدخلت الولايات المتحدة الأميركية، لفضّ الاشتباك بين مصر واليمن من جانب، والسعودية من جانب آخر، وشاركتها الأمم المتحدة، وربطت الولايات المتحدة الأميركية اعترافها بالجمهورية العربية اليمنية بإعلان نوايا من مصر يتضمن الموافقة على سحب قواتها من اليمن على مراحل بعد وقف الدعم الخارجي للملكيين، وقد أثارها الهجمات الجوية المصرية على السعودية بين كانون الأول ١٩٦٢م، وكانون الثاني ١٩٦٣م، وقد نجحت مساعيها في ١٣ نيسان ١٩٦٣م بتوقيع الجانبين اتفاقية فض الاشتباك<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن الاتفاقية لم تُطبق كلياً على أرض الواقع، وتبين أن الطرف السعودي كان أكثر التزاماً في التوقف عن دعم الملكيين، وإن الطرف المصري لم يَفِ بالتزامه وهو الانسحاب من اليمن، والواضح أن التبرير المصري بعدم الانسحاب مردهً إلى استمرار النشاط الملكي، وثمة سبب واضح لذلك يكمن في أن الملكيين لم يكونوا طرفاً في الاتفاقية، كما أن الاتفاقية لم تُلزم السعودية بالضغط عليهم للكفّ عن نشاطهم العسكري، ثم إنّ مجرد الانسحاب المصري من اليمن من شأنه استئثار إمدادات الملكيين من السعودية.

لكن الواقع أن الطرفين، المصري والسعودي، قد توفرت لهما منذ البداية نيّة حقيقية بالالتزام بالاتفاقية، إلا أن التطورات اللاحقة لتوقيتها دفعت القيادة المصرية إلى إعادة تقويم الموقفين العسكري والسياسي، الأمر الذي انتهى إلى قرار بعدم الانسحاب، وهو ما أنهى المصلحة السعودية في تنفيذ الاتفاقية.

وما جرى من الضغوط الداخلية في مصر على القيادة المصرية<sup>(٣)</sup>، وقرّ للقيادة

(١) جريدة الأهرام، تاريخ ١٥ شباط ١٩٦٣م، ١٦ آذار ١٩٦٣م و٢ نيسان ١٩٦٣م.

(٢) انظر نص الاتفاقية في: أحمد: ص ٢١٩.

(٣) يمكن الإشارة إلى ضغط الرأي العام بسبب الخسائر المتزايدة في الأرواح، والإصابات، والضغط الاقتصادي، والضغوط المؤسسية، مثل: مجلس الوزراء والمؤسسة العسكرية والاتحاد الاشتراكي.



وزناً أسهم في تعزيز التوجه نحو التسوية، وبخاصة أن الوضع العسكري قد تطور لغير صالحها عبر استئناف الملكيين العمليات العسكرية بدءاً من كانون الأول ١٩٦٤م، وتحقيقهم نجاحات ملفته، حيث استعادوا بعض المدن مثل مأرب، واستولوا على أكثر من ثلث المنطقة التي كانت القوات المصرية تسيطر عليها، وبسطوا سيطرتهم على حوالي نصف أراضي اليمن<sup>(١)</sup>.

إلا أنهم لم يحرزوا نصراً نهائياً، وأدّى هذا التطور المتكافيء إلى تجميد العمليات العسكرية، وتوجه الطرفان نحو التسوية السلمية، وبخاصة إذا علمنا أن الضغط الداخلي المتمثل بانقسام جبهة الجمهوريين شكّل عبئاً على القيادة المصرية<sup>(٢)</sup>، وأن الضغط الخارجي كان كبيراً على القيادتين المصرية والسعودية<sup>(٣)</sup>.

وتلاحقت الأفعال وردودها، وبدأت تُعقد مؤتمرات السلام لحل القضية اليمنية، فعُقد مؤتمر خمر للسلام بين ٢ و٥ أيار ١٩٦٥م، ترأسه عبد الرحمن الإيراني، ونصّت بيانات المؤتمر الذي حضره كثير من قادة اليمن على تشكيل هيئة دائمة للسلام الوطني تتصل بجميع القبائل التي لم تحضر المؤتمر، وإنشاء جيش وطني، والسعي لوقف حال التوتر في العلاقات مع الجيران، وإرسال الوفود إلى الدول العربية للطلب منها التدخل لإنهاء حال الحرب، وتقديم الشكر باسم الشعب اليمني إلى الجمهورية العربية المتحدة على ما قدّمته من مساعدة لثورة وشعب الجمهورية العربية اليمنية<sup>(٤)</sup>.

وعُقدت بعد هذا المؤتمر اتفاقية جدة بين الملك فيصل والرئيس جمال عبد الناصر، فقد وصل الرئيس المصري إلى جدة في ٢٢ آب ١٩٦٥م، وأجرى

(١) Halliday: p111.

(٢) نذكر في هذا الصدد خلاف البيضاني مع السلال الذي انتهى بتحجيم دور الأول، واستقالة ثلاث شخصيات هي: أحمد نعمان رئيس مجلس الشورى، وعبد الرحمن الإيراني ومحمد محمود الزبيدي نائبي رئيس الوزراء.

(٣) نذكر في هذا الصدد الضغط العربي الذي يُفترض تأثيره على سلوك مسؤولي السياسة الخارجية في كل من مصر والسعودية، مثل الانقلاب الذي حدث في العراق في ٨ شباط ١٩٦٣م الذي أطاح بحكم عبد الكريم قاسم، وتداعياته المتمثلة بالقطيعة المصرية مع حزب البعث الحاكم في سوريا والعراق، بالإضافة إلى المواجهة مع الكيان الصهيوني، ويُذكر على الصعيد الأجنبي بشكل خاص، تغير السياسة الأميركية تجاه الشرق الأوسط بعد حادثة اغتيال الرئيس الأميركي جون كينيدي في ٢٢ تشرين الأول ١٩٦٣م، والتقارب المصري السوفياتي الذي توجّ بزيارة رئيس وزراء روسيا خروتشيف إلى مصر في أيار ١٩٦٤م.

(٤) قدورة: ص ٢٠٢.

مباحثات مع الملك السعودي استمرت ثلاثة أيام انتهت إلى عقد الاتفاقية المعروفة باسم اتفاقية جدة والتي نصت على ما يلي:

١ - يقرر الشعب اليمني ويؤكد رأيه في نوع الحكم الذي يرتضيه لنفسه، وذلك في استفتاء شعبي في موعد أقصاه ٢٣ تشرين الثاني ١٩٦٦م.

٢ - تُعتبر المدة الباقية حتى تاريخ الاستفتاء مرحلة انتقالية بقصد الإعداد والترتيب للاستفتاء المذكور.

٣ - تتعاون المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية اليمنية في تشكيل مؤتمر انتقالي يتكون من خمسين عضواً، ويمثل جميع القوى الوطنية وأهل الحل والعقد للشعب اليمني، بعد التشاور مع الفئات اليمنية المختلفة، حسب ما يتم الاتفاق عليه، ويجتمع المؤتمر المذكور في مدينة حرض في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٦٥م، وعلى هذا المؤتمر القيام بالمهام الآتية:

أ - تقرير طريقة الحكم في مرحلة الانتقال وحتى إجراء الاستفتاء الشعبي.

ب - تشكيل وزارة مؤقتة تُباشر سلطات الحكم خلال مرحلة الانتقال.

ج - تقرير شكل ونظام الاستفتاء الذي سيتم في موعد أقصاه ٢٣ تشرين الثاني ١٩٦٦م.

٤ - تتبنى الحكومتان قرارات المؤتمر الانتقالي اليمني المذكور وتدعمانها، وتتعاونان في إنجاح تنفيذها وتعلنان من الآن قبولهما لوجود لجنة محايدة منهما للمتابعة والإشراف على الاستفتاء، وذلك فيما إذا قرر المؤتمر ضرورة لوجود مثل هذه اللجنة المحايدة.

٥ - تقوم المملكة العربية السعودية على الفور بإيقاف عمليات المساعدة العسكرية بجميع أنواعها كافة أو استخدام الأراضي السعودية للعمل ضد اليمن.

٦ - تقوم الجمهورية العربية المتحدة بسحب قواتها العسكرية كافة من اليمن في ظرف عشرة أشهر ابتداء من يوم ٢٣ تشرين الثاني ١٩٦٥م.

٧ - توقف الاشتباكات المسلحة في اليمن فوراً وتُشكل لجنة سلام مشتركة من الجانبين تقوم بما يأتي:

أ - مراقبة وقف إطلاق النار بواسطة لجان خاصة للمراقبة.

ب - مراقبة الحدود والموانئ ونقاط المساعدات العسكرية بجميع أنواعها.

أما المساعدات الغذائية فتتم تحت إشرافها، وللجان المراقبة المذكورة أن تستخدم وسائل التنقل اللازمة، ويمكن لها أن تستخدم بحرية الأراضي اليمنية إذا دعت الضرورة لذلك، كي تصل إلى نقاط المراقبة التي سوف يُتفق عليها.

٨ - تتعاون المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة وتعملان إيجابياً على تأمين وتنفيذ هذا الاتفاق، وفرض الاستقرار في الأراضي اليمنية حتى إعلان نتيجة الاستفتاء، وذلك بتخصيص قوة من الدولتين تستخدمهما اللجنة عند اللزوم للقضاء على أي خروج على هذا الاتفاق، أو أي عمل على تعطيله، أو إثارة الفلاقل في سبيل إفشاله.

٩ - بغية دفع التعاون بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية نحو التقدم، واجتياز المرحلة الحالية إلى وضعها الطبيعي، كما كانت وكما ينبغي أن تكون عليه العلاقات بين البلدين؛ يتم اتصال مباشر بين الرئيس جمال عبد الناصر وجمالة الملك فيصل لتلافي حدوث أية مصاعب تقف في طريق تنفيذ هذا الاتفاق<sup>(١)</sup>.

### إنهاء الوجود المصري العسكري في اليمن

عُقد مؤتمر حرض في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٦٥م، ولم يتوصل الجانبان الجمهوري والملكي إلى تفاهم، فقد تمسك الجمهوريون بإنجازاتهم، في حين حاول الملكيون تصفية النظام الجمهوري سياسياً، وما جرى في ٢٢ شباط ١٩٦٦م من إعلان البريطانيين أنهم لا ينوون الاحتفاظ بقاعدة عدن في أعقاب استقلالها المقرر له عام ١٩٦٨م كحد أقصى؛ عُدَّ هذا القرار الذي شكَّلَ تغييراً مفاجئاً في السياسة الدفاعية البريطانية مسؤولاً عن تغيير جمال عبد الناصر لخطه، بحيث تبقى قواته في اليمن حتى إتمام الانسحاب البريطاني، ما يُمكنه من متابعة خطه في الجزيرة العربية، وبخاصة في ظل التعارض بين السياستين المصرية والأميركية - البريطانية في المنطقة، ولا بدَّ لهذه الرؤية المصرية أن تؤدي إلى صدام مدمر يكون هدفه إنهاء التدخل المصري في اليمن في أسرع وقت ممكن قبل أن يجني ثماره في الجزيرة العربية، وفقاً لما تصوّرتة الدوائر الغربية المختلفة، وكان الوضع القوي للتدخل المصري في ذلك الوقت يجعل من محاولة هزيمته في الجزيرة العربية، عملية صعبة إن لم تكن مستحيلة، كذلك كان النظام المصري محصناً في الداخل ضد محاولات الانقلاب، لذلك بدا أن المخرج يكمن في توجيه ضربة عسكرية قوية تمثلت بعد ذلك بعدوان الكيان الصهيوني في حزيران ١٩٦٧م على مصر وشكَّلت القضية اليمنية أحد أسبابها<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر نص الاتفاق في: مجلة السياسة الدولية، القاهرة، مؤسسة الأهرام، السنة الأولى، العدد: ٣ تشرين الأول ١٩٦٥م، ص ٢٤١، ٢٤٢.

(٢) لم تكن هذه الرؤية سوى وجهة نظر لأنها تُجرِّد العدوان الصهيوني من أسبابه الذاتية، انظر: أحمد: ص ٤٣٠ - ٤٣٣.

وعُقدت بعد ذلك مؤتمرات القمة العربية، وتضمّنت جداول أعمالها إنهاء مشكلة اليمن، كان آخرها مؤتمر الخرطوم الذي عُقد في آب ١٩٦٧م، وقد اتخذ قراراً نصّ على تأليف لجنة ثلاثية من رئيس وزراء السودان محمد أحمد محجوب، ووزير خارجية بلدين عربيين تختار أحدهما المملكة العربية السعودية والآخر الجمهورية العربية المتحدة، فاختارت السعودية وزير خارجية المملكة المغربية، واختارت مصر وزير خارجية الجمهورية العراقية<sup>(١)</sup>.

رفض عبد الله السلال استقبال هذه اللجنة الثلاثية المنبثقة عن مؤتمر الخرطوم التي كانت مهمتها تنفيذ اتفاق جدة وإحلال السلام في اليمن، ويبدو أنّ لرفضه علاقة بالتوصل إلى تأليفها وتحديد مهمتها من دون معرفته.

بدأت اللجنة أعمالها عقب ذلك، واجتمعت بكلّ من الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل، ثم ذهبت إلى اليمن واجتمعت بالمسؤولين فيها، وزارت بيروت واجتمعت بممثلين للملكيين والقوة الثالثة، وعدد من السياسيين الذين عدّوا أنفسهم ممثلين لمؤتمر خمر<sup>(٢)</sup>.

وبعد استجلاء الآراء حدّدت اللجنة يوم ٦ تشرين الثاني موعداً لانعقاد المؤتمر الوطني الذي نص عليه اتفاق الخرطوم، لكن الأحداث تحوّلت على نحو جذري، وحفلت بالتطورات السياسية الداخلية في اليمن، ففي ٥ تشرين الثاني وقع انقلاب أطاح بحكومة عبد الله السلال وكان آنذاك في القاهرة مع كل وزرائه باستثناء اثنين، وشكّل مجلس جمهوري ثلاثي برئاسة عبد الرحمن الإرياني وعضوية كل من محمد علي عثمان وأحمد محمد النعمان، كما تقرّر تعيين محسن العيني رئيساً لمجلس الوزراء، وأصدر هذا بياناً أكّد فيه التزام الحكومة الجديدة بمبادئ الثورة التي قامت في ٢٦ أيلول ١٩٦٢م، وتمسكها بالنظام الجمهوري، وتشكيل هيئة دائمة للسلم الوطني، تتولى الاتصال بكل القبائل للتوصل إلى تفاهم أقوى يؤدي إلى إقرار السلام.

كان هذا التطور الانقلابي طبيعياً لسببين:

**الأول:** إن التيار المتشدّد الذي كان يمثله عبد الله السلال كان يستند إلى الوجود المصري العسكري في اليمن كأحد عوامل قوته.

وكانت القوات المصرية في ذلك الوقت قد أخلت صنعاء، فضلاً عن عدم توفر أية نيّة لقيادة المصرية بالتدخل لمصلحته في هذه الظروف.

(١) مجلة السياسة الدولية، السنة ٣، العدد ١٠، تشرين الأول ١٩٦٧م، ص ٨٣٢.

(٢) أحمد: ص ٤٧٢ - ٤٧٤.

**الثاني:** إن طبيعة المرحلة التي كان يمرُّ بها النظام الجمهوري آنذاك كانت تستلزم حكماً جمورياً منفتحاً على التوجهات اليمينية كلها، ولم يكن عبد الله السلال بتوجهه المتشدد يصلح لرئاسة الجمهورية في مثل هذه الظروف<sup>(١)</sup>.

وكانت القيادة المصرية تُنفذ آنذاك التزامها بموجب اتفاقية الخرطوم، فأخلت قواتها مواقعها المتفرقة في اليمن، وتجمعت في الحديدة، قبل أن تعود إلى مصر في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٧م، وفي ٨ كانون الأول تَلَقَّت القيادة العامة للقوات المسلحة من ميناء الحديدة ما يفيد بأنه ابتداء من الساعة الحادية عشرة صباحاً لم يعد لمصر أي جندي في اليمن<sup>(٢)</sup>.

## الوحدة اليمينية

### العلاقة بين شطري اليمن ١٩٦٧ - ١٩٧٩م

تكاد الأحزاب اليمينية على الرغم من اختلاف مفاهيمها الفكرية وأهوائها السياسية؛ تُجمع على أن الوحدة اليمينية هي قدر اليمينيين، وأنها تعني التخلص من ميراث الماضي بشقيه الإمامة والاستعمار، والانطلاق إلى المستقبل بخطى ثابتة من المنعة والتقدم، وهذا تطور إيجابي في التفكير السياسي، ومن الأمور التي اجتمعت عليها هي ربط الوحدة اليمينية بالوحدة العربية، والتشديد على أن توحيد اليمن هو خطوة على طريق أكبر؛ هو الوحدة العربية.

### التطور السياسي في اليمن الشمالي

لم يلبث الجمهوريون بعد انسحاب القوات المصرية أن أبدوا بعض التقارب مع المملكة العربية السعودية، ويبدو أنهم أدركوا أن حلَّ قضية بلادهم يمرُّ عبر الرياض بفعل التجاور الجغرافي والتعاطف السعودي مع الملكيين، وأدى هذا التقارب إلى التعايش بين الجمهوريين والملكيين، والمحافظة على النظام الجمهوري، واشتراك ممثلين ملكيين في حكومة الجمهورية العربية اليمينية.

وشهدت البلاد منذ الإطاحة بالمشير عبد الله السلال في ٥ تشرين الثاني ١٩٦٧م وضعاً مستقراً حتى ١٣ حزيران ١٩٧٤م، عندما قام العقيد إبراهيم الحمدي بانقلاب عسكري وانتزع السلطة من الرئيس عبد الرحمن الإيراني، وما إن وصل إلى قمة

(١) أحمد: ص ٤٧٤، ٤٧٥.

(٢) جريدة الأهرام، تاريخ ٣٠ تشرين الثاني، و٩ كانون الأول ١٩٦٧م.

السلطة حتى بادر بضرب النفوذ القبلي مستنداً على دعم الضباط، واعتمدت سياسته الداخلية على توازن القوى، فهادنته الحركة الوطنية بعد أن لَبَّى مطالبها الإصلاحية في عدد من القطاعات الاقتصادية والعمرائية، ولكنه لم يستمر في هذا الخط الإصلاحي بسبب الضغط الداخلي عليه.

وأقام إبراهيم الحمدي علاقات طيبة مع المملكة العربية السعودية على الرغم من وجود بعض الخلافات بالنسبة للقرن الإفريقي، كما استجاب إلى تطلعاتها، فقطع العلاقات مع الاتحاد السوفياتي، كما أقام علاقات ودية مع الولايات المتحدة الأمريكية، حصل بنتيجتها على مساعدات مالية متعددة من المملكة كانت ضرورية لبلاده.

ووقع في ١١ تشرين الأول ١٩٧٧م انقلاب أطاح بالرئيس إبراهيم الحمدي، وتولى أحمد حسين الغشمي الحكم، وكان رئيساً للأركان في حكومة الحمدي، مكث الغشمي في الحكم مدة سبعة أشهر فقط، وكان موالياً للمملكة العربية السعودية ويؤمن بالاتحاد معها، وأقامت الجبهة الوطنية الديمقراطية حواراً معه لم يؤد إلى نتيجة إيجابية، إذ لم يتجاوب مع طروحاتها، ما أدى إلى مواجهة عسكرية بينهما في حزيران ١٩٧٨م دامت ثلاثة عشر يوماً، توصل الجانبان بعدها إلى اتفاق على وقف إطلاق النار، وإجراء بعض الإصلاحات في المؤسسات.

قُتل الغشمي في ٢٤ حزيران ١٩٧٨م نتيجة انفجار حقيبة ملغمة كان يحملها مبعوث خاص للرئيس سالم ربيع علي رئيس جمهورية اليمن الجنوبية، وقد حملته صنعاء المسؤولية وقطعت علاقتها مع عدن، وبعد ثمان وأربعين ساعة من هذه الحادثة لقي سالم ربيع علي مصرعه في محاولة انقلاب، فقبض عليه وأعدم في عدن.

وتشكّل مجلس رئاسة في صنعاء إثر مقتل الغشمي، للقيام بمهام رئيس الجمهورية، واختير القاضي عبد الكريم العريشي رئيساً له إلى جانب رئاسته لمجلس الشعب التأسيسي، وظل منصب الرئاسة شاغراً، حتى تولى الرئيس علي عبد الله صالح هذا المنصب في ١٧ تموز ١٩٧٨م، فأجرى مباحثات مع الحركة الوطنية توصل الطرفان من خلالها إلى اتفاق على مطالب لا تخرج عن المطالب التي اتفق عليها مع الغشمي، لكن الحملات العسكرية تجددت، وتوسعت رقعتها إلى خارج الحدود باتجاه اليمن الجنوبية، فتدخلت جامعة الدول العربية، وشكّلت لجناً عسكرية لتسوية الأمور انتهت باتفاق على وقف إطلاق النار.

## التطور السياسي في اليمن الجنوبي

انقسم السياسيون اليمنيون في الجنوب إلى قسمين، اليمين واليسار، وسيطر تيار اليمين على الحكم برئاسة قحطان الشعبي، وبرز في تيار اليسار عبد الفتاح إسماعيل وسالم ربيع علي وقد اتَّهما الشعبي بالتفرد بالسلطة، وتمحور الخلاف بين التيارين أساساً حول صلاحيات الجيش والتنظيم الاقتصادي والاجتماعي، وأخذت الهوة تتسع بينهما مع مرور الوقت، ما أدى إلى قيام حركة انقلابية ضد حكم الشعبي، واضطر هذا إلى الاستقالة من رئاسة الجمهورية في ٢٢ حزيران ١٩٦٩م، فشكّل التيار اليساري مجلساً للرئاسة من زعماء الجبهة القومية، وعُيِّن سالم ربيع علي رئيساً له وذلك في ٣ من الشهر المذكور، ثم تمَّ تشكيل حكومة جديدة في ٢٤ منه برئاسة محمد علي هيثم، الذي أدى دوراً كبيراً في حركة الانقلاب وهو أحد قادة التيار اليساري.

شكّل ابتعاد قحطان الشعبي وقادة التيار اليمني عن الجبهة القومية والمناصب الكبرى في الدولة، انعطافة في تاريخ اليمن الجنوبي المعاصر، فالانتقال من معسكر اليمين إلى معسكر اليسار يُمثل انتقالاً من مرحلة تاريخية إلى مرحلة تاريخية أخرى، فقد عاصر ممثلوا التيار اليمني عبد القوي مكاوي وقحطان الشعبي، بروز التيار القومي العربي والناصر في الوقت الذي كان فيه الاستعمار البريطاني يحاول تثبيت أقدامه في عدن عبر تحديث أساليبه الاستعمارية وخططه الاجتماعية، في حين عاصرت الفئة اليسارية التي استولت على الحكم والمتمثلة بعبد الفتاح إسماعيل وسالم ربيع علي ومحمد علي الهيثم، مرحلة الذروة للمدِّ القومي العربي، وانتشار الأفكار التقدمية، وإن تفاوتوا في مدى انفتاحهم على اليسار، وقد عاصروا في بداية وعيهم السياسي تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي على مصر والوحدة بين مصر وسوريا<sup>(١)</sup>.

استمر محمد علي الهيثم يشغل مناصب قيادية حتى عام ١٩٧١م حيث أُقيل بسبب خلاف عقائدي مع رفاقه في الجبهة التقدمية الذين التزموا بالخط اللينيني - الماركسي كقاعدة للعمل داخل الدولة، والسير على خطى موسكو في السياسة الخارجية، وجيء بعلي ناصر محمد وزير الدفاع آنذاك رئيساً للحكومة<sup>(٢)</sup>.

وما جرى من اغتيال أحمد حسين العشمي رئيس اليمن الشمالية في ٢٤ حزيران ١٩٧٨م كما ذكرنا، واتهام الرئيس سالم ربيع علي بأن له ضلعاً في حادثة الاغتيال،

(٢) المرجع نفسه: ص ٢٧٢.

(١) قدورة: ص ٢٧٠، ٢٧١.

ولتهدئة الوضع مع اليمن الشمالي؛ اجتمعت اللجنة المركزية للجبهة القومية لاتخاذ قرار بشأن مصير سالم ربيع علي، وقد تعرض أعضاؤها لقصف مدفعي مصدره القصر الرئاسي بهدف التخلص منهم، إلا أنهم سيطروا على الوضع، واستسلم سالم ربيع علي وحُكم عليه بالإعدام بقرار من عبد الفتاح إسماعيل الأمين العام للتنظيم السياسي الموحد، وتولى منصب الرئاسة وأمانة اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الحاكم قبل أن يستقيل من منصبه بعد ذلك لأسباب صحية، وأقام في موسكو مدة ثلاثة أعوام، وتولى علي ناصر محمد رئاسة مجلس الرئاسة<sup>(١)</sup>.

واختلفت وجهات نظر السياسيين في تطوير شؤون البلاد وفي طريقة معالجة أمور الجيش، والإدارة، وقانون الإصلاح الزراعي، وتنظيم العمل، وعدالة التوزيع، فقد رأت قيادة الجبهة المحافظة على الأجهزة القائمة التي كانت موجودة في زمن الاحتلال البريطاني كالجيش والجهاز الإداري، في حين رأى التيار المتشدد في الجبهة، ضرورة إجراء تغييرات في صفوف الجيش للحد من سطوته، وإنشاء حرس وطني يكون أكثر ولاء للحزب الحاكم، وأكثر تحراً من نزعته القبلية، وأقل كلفة في أجور ورواتب ضباطه وجنوده.

واتسعت الهوة بين فريقَي الجبهة القومية، وبادر الفريق اليساري المتشدد إلى التحرك، فشكّل لجاناً شعبية في بعض مدن حضرموت، واتخذ بعض إجراءات التأميم، على أن وضع البلاد لم يساعد على تطبيق التأميم، حيث لا توجد ثروات وطنية ولا موارد طبيعية كبيرة تستحق التأميم، فتوجهت اهتمامات اللجان الشعبية عندئذٍ إلى الإصلاح الزراعي، حيث توجد ملكيات فردية كبيرة مشابهة إلى حد كبير للإقطاع الاقتصادي والسياسي<sup>(٢)</sup>.

وارتأت الحكومة أن يكون توزيع الأراضي وفق نسب معينة، وأن يوضع حد أقصى للملكية الفردية لا يتجاوز خمسين فداناً في الأرض البعلية، وخمسة وعشرين فداناً في الأرض المروية، مع تعويض الملاك، في حين أصرَّ الجناح اليساري المتشدد على توزيع جميع الأراضي على العاملين فيها من دون تعويض<sup>(٣)</sup>.

ترافقت مع هذه الخلافات مشكلات عصبية أثرت سلباً على الاقتصاد الوطني نذكر منها:

(١) جريدة السفير البيروتية، تاريخ ٢٦، ٢٩، ٣٠ حزيران، ١٩٧٨م.

(٢) الحبشي، محمد عمر: اليمن الجنوبي سياسياً واجتماعياً واقتصادياً منذ ١٩٣٧م وفي قيام جمهورية اليمن الشعبية: ص ١٧٩، ١٨٠.

(٣) العقاد: ص ١٥٥.



- إغلاق قناة السويس بعد حرب عام ١٩٦٧م وما نتج عن ذلك من توقف الملاحة وبالتالي تراجع النشاط الاقتصادي في ميناء عدن.

- تخفيض بريطانيا مساعداتها المالية التي كانت قد وعدت بها حكومة الاتحاد في محادثات جنيف لمواجهة الوجود المصري.

لجأت الدولة تجاه هذه الضائقة الاقتصادية إلى وسائل أخرى للتخفيف من حدتها، فطلبت دعماً مالياً من الجامعة العربية أسوة بالمساعدات التي يتلقاها الأردن ومصر إثر حرب حزيران ١٩٦٧م، على أساس أنها هي أيضاً قد تضررت من العدوان الصهيوني وإن بطريقة غير مباشرة، لكنها اصطدمت بعدم اعتراف المملكة العربية السعودية بها، فتوجّهت عندئذٍ إلى صندوق التنمية العربي، كما طلبت المساعدات مباشرة من بعض الدول العربية مثل الكويت والجزائر والسودان، وقد تجاوزت هذه الدول مع طلبها، كذلك طلبت المساعدة من الكتلة الشرقية<sup>(١)</sup>.

### محاولات لتوحيد الشطرين الشمالي والجنوبي

ابتعد النظامين المتعارضين في الشمال والجنوب أحدهما عن الآخر، فدفع النظام في الشمال بالثورة إلى أقصى اليمين، في حين دفع النظام في الجنوب الشطر الجنوبي بعد الاستقلال إلى أقصى اليسار، ثم تطور النظامان في اتجاه سياسي واقتصادي مختلف، ومع ذلك فقد نظرا إلى المصلحة اليمنية العليا ولكن بحدود ضيقة، فاتفقا على تبادل الوفود السياسية والاقتصادية والعسكرية، بهدف تنسيق سياسة الشطرين في المجالات المختلفة بدلاً من تبادل البعثات «الدبلوماسية»، ثم قرّرت الحكومتان في ٢٥ شباط ١٩٦٨م عقد مؤتمر لبحث توحيد الشطرين<sup>(٢)</sup>، وعلى الرغم من تبادل الاعتراف القانوني بين النظامين، وتشكيل مكتب يُعنى بشؤون الوحدة في كلا الشطرين؛ فإن بوادر صراع دموي بينهما بدأت تتجمع في الأفق، فقد شهدت صنعاء وعدن في منتصف عام ١٩٦٨م العديد من التصفيات الدموية ضد القوى الوحودية المناوئة للنظامين، فقد تَمَّت مطاردة قوى اليسار والقوميين في صنعاء وتعز والحديدة، وانفردت الجبهة القومية في عدن بالحكم، وأعلنت نفسها التنظيم السياسي الوحيد المعترف به، وشرعت في تصفية قيادات وقواعد القوى الوطنية التي شاركتها في النضال ضد الاستعمار، ثم التفتت إلى تصفية نفسها فيما سُمي بحركة التطهير في ٢٢ حزيران من العام المذكور، والتي أدّت إلى سجن رئيس

(١) العقاد: ص ١٥٨، ١٥٩.

(٢) سطحة، محمد محمد: اليمن شماله وجنوبه: ص ١٤٩.

الجمهورية فحطان الشعبي، ومن ثم وفاته في الإقامة الجبرية، وإعدام رئيس وزرائه عبد اللطيف الشعبي، وتولي الجناح الأكثر تشدداً ويسارية الحكم برئاسة عبد الفتاح إسماعيل وسالم ربيع علي.

شكّل وجود نظامين مختلفين في اليمن فرصة للقوى الوطنية والمواطنين عموماً، وأصحاب رؤوس الأموال، والمضطهدين؛ إلى الهرب المتبادل، وخلقت ذريعة احتفظ بها كل نظام لمواجهة النظام الآخر، ومع اشتداد الخلاف بلغ الصراع ذروته عندما ألغى رئيس الجمهورية العربية اليمنية في الشمال، عبد الرحمن الإرياني وجود جمهورية اليمن الجنوبية وخصّص ثلاثة عشر مقعداً في المجلس الوطني (المجلس التشريعي) باسم المحافظات اليمنية الجنوبية، الأمر الذي شجبتة اليمن الجنوبية، واندلعت الحملات الإعلامية العنيفة إثر ذلك بين العاصمتين استمرت حتى قيام حركة ٢٢ حزيران الانقلابية التي تزعمها الجناح الماركسي.

ونج عن الصلح اليمني الشمالي - السعودي في عام ١٩٧٠م ميل الحكم في صنعاء نحو النظم التقليدية وانتهاج سياسة السوق المفتوح اقتصادياً، في حين التزم النظام في عدن توجهاً أكثر تطرفاً وميلاً نحو الفكر الاشتراكي، وعلى الرغم من ذلك، اتفقت الجمهوريتان اليمنيتان على احتواء الموقف المتفجر، واتخاذ بعض الإجراءات التي تُقرّب الوحدة بينهما، فتمّ تشكيل لجان مختلفة لبحث الخطوات الرئيسة التي يجب البدء بها كمدخل للوحدة<sup>(١)</sup>.

وبات واضحاً منذ عام ١٩٧١م أن النظامين يسيران في اتجاهين مختلفين، وأن كل المؤشرات تدل على أنهما سائران في طريق الصدام نظراً لاختلاف وتناقض نهجيهما، وقد مثل ذلك اعترافاً ضمناً من قبل الجانبين بأن الشروط الموضوعية للوحدة لم تتوافر بعد، وأنها لكي تتوافر لا بد من شرطين متلازمين: انسجام الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ووحدة الأداء<sup>(٢)</sup>، ومن جانب آخر، فإن تصور النخبة الحاكمة في الجنوب للوحدة تضمّن تحليلاً غير مباشر لطبيعة السلطة في الشمال، فهي ائتلاف يحافظ على الرموز الجمهورية، ولكنه إقطاعي قبلي وعسكري. وتُمثل هذه التصورات المتضاربة عن الوحدة، وعن طبيعة وأهداف السلطتين في شطري اليمن الأساس الذي قامت عليه المواجهة العسكرية الأولى بين الشطرين في آذار ١٩٧٢م عبر حدودهما، وتمّ التوصل بعد الاصطدام إلى اتفاقية القاهرة في ٢٨ تشرين الأول من العام المذكور بفضل جهود جامعة الدول العربية، وقد ربّبت

(١) العبدلي، سمير محمد أحمد: الوحدة اليمنية والنظام الإقليمي العربي: ص ٤٨.

(٢) أبو طالب، حسن: الوحدة اليمنية: ص ٧٦.

الخطوات العملية لكيفية إقرار الدستور الموحد وطرق الاستفتاء عليه من قبل الشعب، وانتخاب سلطة تشريعية جديدة<sup>(١)</sup>.

والتقى في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٢م كل من عبد الرحمن الإيراني رئيس المجلس الجمهوري في الشطر الشمالي، وسالم ربيع علي رئيس مجلس الرئاسة في الشطر الجنوبي في مدينة طرابلس الغرب بدعوة من العقيد معمر القذافي لاستكمال الخطوات الوجدوية بين الشطرين، فاتفقا على ما اصطلح على تسميته ببيان طرابلس الوجدوي وهو عبارة عن أسس اتفق عليها الرئيسان في لقاء القمة تطبيقاً للمادة الرابعة من اتفاقية القاهرة، ومن هنا يُعدُّ بيان طرابلس جزءاً مكملًا لهذه الاتفاقية من جهة، ومجموعة من الأسس التي تسترشد بها اللجان المشتركة في عملها من أجل إنجاز عملية الوحدة من ناحية أخرى، واشتمل على بعض التفسيرات والتوضيحات لعدد من البنود الواردة في الاتفاقية كتحديد اسم الدولة، وعلمها وعاصمتها، ونظمها، ومصادر التشريع فيها، وشكل النظام السياسي، وحدودها.

وعلى الرغم من الجهود المبذولة، فقد تعرّثت مسيرة الوحدة واقترب الطرفان من استئناف الحرب، وقد ساهمت في هذا التعثر: الظروف الداخلية في الشطرين، والتغيرات السياسية المستمرة، وغياب المنظمات الشعبية والرسمية القادرة على الاضطلاع بمهام تحقيق الوحدة.

فقد عانى الشطر الشمالي من الفوضى والرشوة، وعدم فاعلية مؤسسات الدولة السياسية والمدنية والإدارية، وفي عام ١٩٧٤م قامت حركة تصحيحية تسلّمت الحكم سلمياً وبدأت في بناء دولة مركزية قومية، ما أدى إلى نوع من الاستقرار الداخلي، وتمّ في الجنوب في عام ١٩٧٥م حسم مشكلة التنظيم السياسي بعد سلسلة من التصنيفات الدموية، وذلك عبر توحيد المنظمات اليسارية التي كانت تعمل من خارج السلطة، وأضحى لها ممثلون في السلطة، وهذه التنظيمات هي: اتحاد الشعب الديمقراطي، والحزب الشيوعي، وحزب الطليعة الشعبية (البعثيين). لكن سرعة تحرك القيادتين السياسيتين برئاسة إبراهيم الحموي وسالم ربيع علي، ولقائهما في مدينة قعطبة الحدودية في ١٥ شباط ١٩٧٧م، أدى إلى تهدئة الموقف والاحتكام إلى الحوار، وجرى الاتفاق على تأسيس مجلس يماني أعلى، يضم بالإضافة إلى الرئيسين، مسؤولي الدفاع والاقتصاد والخارجية، والتخطيط، مهمته تسيير أعمال اللجان، والتعجيل بيوم الوحدة، ويُعدُّ ذلك تجسيداً لرغبة الطرفين في تحقيق

(١) انظر نص اتفاقية القاهرة في: الجمهورية اليمنية. سلسلة وثائق رقم ٤ ص ٣٨، صنعاء،

مكتب شؤون الوحدة، ١٩٩٠م.

التقارب عبر تنسيق السياسة الخارجية وتنشيط عمل اللجان<sup>(١)</sup>، لكن مقتل إبراهيم الحمدي في ١١ تشرين الأول ١٩٧٧م قبل سفره بيوم واحد إلى عدن لتوقيع اتفاقية الوحدة؛ أجهض المشروع الوحدوي الوليد، ويبدو أن القوى القبلية التي تضررت من أسلوب الحمدي في الحكم والإدارة، ومنع اتخاذ مزيد من الخطوات الوحدوية التي رأت فيها إمكان تمرير الأفكار الشيوعية إلى الشطر الشمالي؛ كانت وراء عملية الاغتيال، والمعروف أن الحمدي كانت له رؤية متميزة واضحة الأهداف في عملية إعادة بناء الدولة وتقوية السلطة المركزية على أسس حديثة، وهو ما يستلزم تغيير بنية السلطة السياسية التقليدية لمصلحة القوى الجديدة والكفاءات الفنية على حساب شيوخ القبائل<sup>(٢)</sup>.

وما جرى في ٢٤ حزيران ١٩٧٨م من اغتيال الرئيس الغشمي الذي خلف الرئيس الحمدي في الشطر الشمالي أدى إلى الصدام في أواخر شباط ١٩٧٩م، وهو الثالث من نوعه خلال عقد السبعينات والأخير في حياة الشطرين منذ استقلال الجنوب في تشرين الثاني ١٩٦٧م وسيطرة الجبهة القومية على مقدراته السياسية. ويمكن أن نشير إلى أسباب عدة داخلية وخارجية تصافرت كلها ودفعت الطرفين إلى الصدام نذكر منها:

- اغتيال الرئيس الغشمي وما أفرزه من مناخ مواتٍ للحرب إثر اتهام صنعاء النظام الحاكم في عدن بالتورط في حادثة الاغتيال.

- توظيف كل نظام للفئات المعارضة في مواجهة النظام الآخر ما خلق وضعاً متوتراً على الحدود.

- عودة أطروحات تحقيق الوحدة بالقوة العسكرية.

- محاولة استغلال حال الصراع السياسي الناشب في قيادة الحزب الاشتراكي الحاكم في الجنوب؛ والذي أدى إلى القبض على الرئيس سالم ربيع علي ومحاكمته بعد أن اتهم بالانتهازية اليسارية والفردية في اتخاذ القرارات، والمعروف أن عبد الفتاح إسماعيل خلفه في رئاسة الدولة وفي رئاسة الأمانة العامة للحزب، وتولي علي ناصر محمد منصب رئيس الوزراء.

- إيداء قوى إقليمية في الجزيرة العربية، استعدادها للتدخل وتقديم الدعم والمساندة للنظام في الشمال في حال اندلاع الحرب، في ضوء تشدّد السياسيين في الجنوب والذي يتيح تدخل الاتحاد السوفياتي.

- تزايد عزلة النظام في الجنوب عربياً إثر قرار الجامعة العربية بتجميد العلاقات

(٢) أبو طالب: ص ١٣٣ - ١٣٤.

(١) العبدلي: ص ٥٥، ٥٦.

السياسية بين دول الجامعة واليمن الديمقراطي، ووقف المساعدات الاقتصادية والثقافية والفنية التي تقدمها الدول العربية إلى عدن<sup>(١)</sup>.

لم يتمكّن أي من الطرفين من حسم الحرب لصالحه خلال مدة ثلاثة أسابيع، ويبدو أن لذلك علاقة بواقع الصراع الدولي بين معسكر الاتحاد السوفياتي والمعسكر الغربي؛ حيث ساند كلٌّ منها أحد الشطرين، فضلاً عن الضعف الذاتي لكل منهما.

تدخلت جامعة الدول العربية في هذه الأجواء وشكّلت لجنة وساطة، ثم عُقدت دورة استثنائية في الكويت بتاريخ ٤ آذار ١٩٧٩م، صدر عنها قرارات عدة في ٦ منه تمحورت حول وقف القتال واستئناف الحوار.

## العلاقة بين شطري اليمن ١٩٨٠ - ١٩٩٠م

### الأوضاع السياسية في الشطر الشمالي

شهدت الساحة اليمنية الشمالية استقراراً سياسياً نسبياً عقب تولي علي عبد الله صالح الحكم في ١٧ تموز ١٩٧٨م وتوقيع اتفاقية الكويت في آذار ١٩٧٩م، وقد ساعد على ذلك تطورات سياسية عدة، نتج بعضها عن علاقات اليمن الشمالية بالدول العربية وتحديداً الخليجية، ونتج بعضها الآخر عن الإجراءات الداخلية التي استهدفت البنية السياسية وعلاقات القوى بداخلها، وإيجاد الإطار المؤسسي الذي يسمح بالعمل من داخلها، وتبلور ذلك التطور في البنية السياسية في إنشاء المؤتمر الشعبي العام كإطار مؤسسي للعمل السياسي للقوى وللتوجهات كلها داخل الشطر الشمالي، وذلك تعويضاً لها عن حظر الحزبية والعمل الحزبي<sup>(٢)</sup>.

وكان الرئيس أحمد حسين الغشمي قد أصدر خلال مدة رئاسته، قراراً في ٢٦ شباط ١٩٧٨م بتشكيل مجلس الشعب التأسيسي من تسع وتسعين عضواً يختارهم مجلس القيادة، وحدّد اختصاصاته في اختيار الرئيس، وتحديد مهمات رئاسة الدولة، واتخاذ الإجراءات الكفيلة بتنفيذه، ومباشرة مهام مجلس الشورى، ورفع الرئيس علي عبد الله صالح إثر انتخابه رئيساً للجمهورية عدد أعضائه إلى مائة وتسعة وخمسين عضواً.

كان دور المجلس كسلطة تشريعية قاصراً على إصدار القوانين ومراجعتها من دون

(١) انظر حول دوافع الصدام: موافي، عبد الحميد محمد: النزاع بين شطري اليمن ومؤتمر الكويت، مجلة السياسة الدولية السنة ١٤ العدد ٥٤، تشرين الأول ١٩٧٨م، ص ١٧٠، ١٧١.

(٢) أبو طالب: ص ١٤٦.

محاسبة الحكومة ومساءلتها، ما أضعف تأثيره في الحياة السياسية العامة، وافتقر إلى الإحساس بمطالب الشعب، وقد أدركت القيادة السياسية غياب البُعد الشعبي في الدفاع عن النظام خلال الحرب الأهلية بين الشطرين، بالإضافة إلى غياب الإطار المؤسسي الشعبي<sup>(١)</sup>.

ومن أجل تصحيح هذا الخلل أصدر علي عبد الله صالح قراراً جمهورياً رقم ٥ تاريخ ١٩٨٠م يقضي بتشكيل لجنة الحوار الوطني والتمهيد للمؤتمر الشعبي العام، تنحصر مهمتها في وضع مشروع ميثاق وطني، وتقصّي آراء المواطنين، وفي عام ١٩٨١م صدر القرار الجمهوري الرقم ١٩، حدّد عدد أعضاء المؤتمر بألف عضو على أن يتم انتخاب ٧٠٪ من أعضائه، ويتم اختيار ٣٠٪ من قبل الدولة<sup>(٢)</sup>.

عُقد الاجتماع الأول «للمؤتمر الشعبي العام» في آب ١٩٨٢م تحت شعار من أجل ميثاق وطني يُجسّد عقيدة الشعب وأهداف الثورة، وتضمّن بيانه الختامي توصيات عدة حول القضايا الداخلية والخارجية، وتعدّدت مؤتمراته العامة كل عامين، كان آخرها في آب ١٩٨٨م.

ارتبطت تجربة المؤتمر الشعبي العام ببلورة صياغة فكرية تتسم بالمرونة والاتفاق على العناوين الكبرى كالحرية والديمقراطية والعدالة والوحدة اليمنية وحدّدت الأهداف والمهام المطلوب إنجازها داخلياً وخارجياً، وقد أتاحت سدّ الفراغ العقائدي والتفاف غالبية القوى السياسية حولها<sup>(٣)</sup>.

وجرت الانتخابات في تموز ١٩٨٥م لاختيار ثمانية عشر ألقاً لعضوية المؤتمر الشعبي، وأنشئت العديد من النقابات والجمعيات والاتحادات لتمارس نشاطها السياسي والاجتماعي والثقافي في إطار المجتمع، كما جرت انتخابات أخرى في تموز ١٩٨٨م لاختيار أعضاء مجلس الشورى المؤلف من مائة وتسعة وخمسين عضواً يمثلون عموم الجمهورية، وعُدّ ذلك صرح الديمقراطية.

ساهمت تلك التجربة على الرغم من بعض سلبياتها في الواقع العملي اليمني عبر إحداث نوع من الاستقرار السياسي العام في المجتمع والدولة، وتعرّز ذلك الاستقرار بشكل أكثر بفعل عوامل اقتصادية أتاحت توفير موارد إضافية للدولة وبالتالي إنجاز العديد من المشاريع التنموية والخطط الاقتصادية، نذكر منها:

(١) العبدلي: ص ١١٥.

(٢) الكبيسي: أحمد محمد: المسيرة الديمقراطية عبر المؤتمر الشعبي العام، مجلة الإكليل اليمنية، خريف ١٩٨٩م، ص ١٠٣.

(٣) أبو طالب: ص ١٤٧.

- تدفق المساعدات الاقتصادية الخليجية بهدف تقوية النظام وترسيخ تجربته السياسية والاقتصادية.

- تدفق عائدات العمالة اليمنية التي استقرت بأعداد كبيرة في بلدان الخليج العربي، وبخاصة في السعودية<sup>(١)</sup>.

وهكذا كان الاستقرار السياسي النسبي في الشطر الشمالي من اليمن مع ما صادفه من تفاعلات رسمية عملت على خلق مؤسسات سياسية وشعبية، وإن كانت محدودة القدرة، إلا أنها تبقى على أي حال أفضل سنوات الاستقرار منذ قيام ثورة أيلول ١٩٦٢م؛ ما كان له أثر فعّال في التقارب بين الشطرين تمهيداً لقيام الوحدة اليمنية<sup>(٢)</sup>.

## الأوضاع السياسية في الشطر الجنوبي

اختلفت التطورات السياسية في اليمن الجنوبي عنها في اليمن الشمالي، والتي يمكن إجمالها في استمرار تجربة الحزب الاشتراكي، وتعاظم دوره في الحياة السياسية كقائد وموجه للدولة والمجتمع، الأمر الذي يعني مصادرة الصراعات السياسية والاجتماعية وتحبيدها، وقد نتج عن هذه الظاهرة قيام صراع وانقسامات دورية في طبيعة البناء الحزبي والحكومي، وكان من أبرز مظاهره تجريد عبد الفتاح إسماعيل من جميع مناصبه الرسمية والحزبية في نيسان ١٩٨٠م وتولي علي ناصر محمد أمانة الحزب ورئاسة الدولة<sup>(٣)</sup>.

وما جرى خلال ابتعاد عبد الفتاح إسماعيل الذي استمر خمس سنوات قضاها في موسكو، أن أُتيح لعلي ناصر محمد أن يتحرك بحرية انعكس في التخفيف من العداء للدول التقليدية الخليجية، وتوالي لقاءات القمة مع الشطر الشمالي والرئيس علي عبد الله صالح. غير أن العلاقات الداخلية كانت متوترة بسبب أسلوب الرئيس في إدارة الدولة وتوجهاتها الخارجية، فذبّ الانقسام بين جناحين أحدهما بقيادة علي عنتر الأكثر صلة بعبد الفتاح إسماعيل، والآخر بقيادة علي ناصر محمد، وقد أحرز الجناح الأول مكاسب سياسية في المؤتمر الحزبي العام الثالث في تشرين الأول ١٩٨٥م، تمثّلت باتخاذ قرار بعودة عبد الفتاح إسماعيل إلى الحزب والعمل السياسي، الأمر الذي مهّد عملياً إلى المواجهة الدموية في ١٣ كانون الثاني ١٩٨٦م.

(١) أبو طالب: ص ١٤٩.

(٢) أبو طالب: ١٥٠، ١٥١.

(٣) العبدلي: ص ١٢٠.

الواضح أن مرحلة حكم علي ناصر محمد (١٩٨٠ - ١٩٨٦م) كانت من أهم مراحل الاستقرار النسبي في الشطر الجنوبي، والتي تفوّقت فيها الإيجابيات على السلبيات في مسيرة الوحدة بين الشطرين، فقد تميزت هذه المرحلة ومراحل من خلفه في الحكم بالعديد من الإيجابيات التي دفعت نحو المزيد من التقارب الوحدوي بين الشطرين، وعلى الرغم من مأساوية الحدث الداخلي الذي تفجّر في ١٣ كانون الثاني بين قادة النظام، إلا أنه كان له الفضل في إسراع عملية الوحدة، وذلك كنتيجة طبيعية لما خلّفته الأحداث من مآسٍ أليمة، مثل اهتزاز ثقة أركان النظام بأنفسهم وبالتجربة الماركسية<sup>(١)</sup>.

أدّت عودة عبد الفتاح إسماعيل إلى العمل السياسي في شباط ١٩٨٥م وتحالفه مع علي عنتر وصالح مصلح وعلي سالم البيض، إلى خلل في موازين القوى السياسية المتصارعة، فتنازل علي ناصر محمد عن رئاسة الوزارة لصالح حيدر أبو بكر العطاس كنوع من توزيع المسؤولية لإرضاء الجناح الآخر المناويء له، ولكن مع نجاح علي عنتر ورفاقه في مؤتمر الحزب العام الذي انعقد في تشرين الأول ١٩٨٥م؛ هرب علي ناصر محمد مع أتباعه إلى صنعاء.

ومرّ الوضع السياسي بعد ذلك بثلاث مراحل حتى قيام الوحدة هي:

- سيطرة الفريق المنتصر في الحرب الأهلية على أجهزة الدولة المختلفة، وراح يعمل على استيعاب الآثار المترتبة عن تلك الحرب بإنهاء مظاهر الانقسام في النخبة الحاكمة، والتشدد ضد قيادات الجناح المنافس وصل إلى حدّ التصفية الجسدية، وإعادة الوحدة إلى الحزب، وإعادة بناء أجهزة الدولة وتقويتها، واتباع سياسة التهديد مع الخارج.

- بروز اتجاه نقد الذات ومراجعة التجربة الحزبية والسياسية طوال العقدين المنصرمين، والتي أدّت إلى إعادة صياغة تجربة الشطر الجنوبي على صعيد الحزب والدولة، وطرح مفاهيم سياسية كان يصعب طرحها من قبل.

- طرح تطبيق مشروع الإصلاح السياسي والاقتصادي الشامل، الذي تبلورت أفكاره وتوجهاته الرئيسة في ضوء عملية النقد الذاتي، وتبدو الدعوة إلى الديمقراطية المقرونة بتعددية سياسية واجتماعية واقتصادية؛ مدخلاً جوهرياً أثر على مسيرة التجربة كلها، وقد تزامنت مع دعوات سياسية إصلاحية في الاتحاد السوفيياتي، وانعقاد بلدان الكتلة الشرقية من الهيمنة السوفيادية، تمهيداً لإنهاء حكم الأحزاب الشيوعية فيها<sup>(٢)</sup>.

(٢) أبو طالب: ص ١٧٨ - ١٨١.

(١) العبدلي: ص ١٢٤، ١٢٥.



وتتشابه الأزمة الاقتصادية في الشطر الجنوبي من اليمن مع الأزمة الاقتصادية في الشطر الشمالي، وذلك بالاعتماد على مبدأ التخطيط المركزي، ووضع الخطط والبرامج الإنمائية لسنوات محدودة على الرغم من التوجه الاشتراكي للاقتصاد، إلا أن غياب العناصر المؤهلة، والبنية التحتية، وشح الموارد الطبيعية؛ لم تساعد في دفع عملية البناء الاقتصادي وتمويل الخطط التنموية<sup>(١)</sup>.

### دور النفط كدافع للوحدة اليمنية

اكتشف النفط بدءاً من عام ١٩٨٤م في العديد من المناطق اليمنية، المتاخمة للحدود بين الشطرين، وفي مناطق قرب الحدود اليمنية السعودية، ودخلت اليمن مع بداية عام ١٩٨٦م سوق النفط عبر تصدير أول شحنة، وأدى ظهور النفط في شطري اليمن وبخاصة في منطقة الحدود المشتركة بينهما إلى تطلع حكومتهما إلى معالجة الخلل الاقتصادي في ميزان المدفوعات، ودفع برامج التنمية المتوقعة للعودة إلى العمل، وإنعاش اليمن اقتصادياً واجتماعياً.

وكادت عمليات التنقيب عن النفط في مناطق الحدود المشتركة بين الشطرين، أن تُفجّر حرباً أهلية جديدة بينهما، وبخاصة أن تلك المناطق كانت متشابكة بحيث يصعب الفصل بين حقوق وامتيازات كل طرف، ما دفع كل نظام إلى تكثيف وجوده العسكري فيها<sup>(٢)</sup>.

وتوتر الوضع بين الشطرين في آذار ١٩٨٨م، فقام رئيس الوزراء الشمالي بزيارة مفاجئة إلى عدن أجرى خلالها مباحثات مع الرئيس الجنوبي حيدر أبو بكر العطاس، لخلق الظروف الملائمة التي توفر للوطن والمواطن الأمن والاستقرار والعيش الكريم، وتمهيد الطريق لاستخراج واستثمار الثروات الطبيعية<sup>(٣)</sup>، وأكد العطاس بعد انتهاء المباحثات بين الشطرين على ضرورة العمل مع الشطر الشمالي لسد الثغرة بينهما من خلال إقامة المشاريع المشتركة<sup>(٤)</sup>.

وتوالت اللقاءات الثنائية بعد ذلك، ففي ١٦ نيسان ١٩٨٨م، اجتمع الرئيسان علي عبد الله صالح وعلي سالم البيض في مدينة تعز لتوقيع اتفاقية للتنقيب المشترك عن النفط واستثماره بما يخدم مصالح الشطرين الاقتصادية مع إخلاء المنطقة من المراكز العسكرية لمنع المواجهة بينهما.

(١) أبو طالب: ص ١٥٢. العبدلي: ص ١٣٥.

(٢) العبدلي: ص ١٣٥.

(٣) ابن حارث، عبد الرحمن يوسف: الوحدة اليمنية، التاريخ، الواقع، المستقبل: ص ١٧٠.

(٤) المرجع نفسه: ص ١٧١.

وعلى هذا الشكل استطاع النهج الوحدوي اليمني أن يُعالج قضية وجود النفط في المنطقة الحدودية المشتركة بين الشطرين انطلاقاً من المنظور الوظيفي، مُثبتاً القدرة الوجودية اليمنية على المعالجة الناجحة لقضية طالما فجرّت أزمات في العلاقات الدولية<sup>(١)</sup>.

وهكذا أدى ظهور النفط في اليمن دوراً بارزاً، ودافعاً نحو الوحدة بدلاً من الصدام والذي استكمل بالعديد من الخطوات حتى تَمَّت الوحدة في ٢٢ أيار ١٩٩٠م.

### أثر لقاءات القمة الثنائية في ميلاد الجمهورية اليمنية

حدث منذ النصف الأول من الثمانينات تركيز على مسيرة تحقيق الوحدة اليمنية بين الشطرين الشمالي والجنوبي، وخلق إطار للتنسيق من خلال بناء مؤسسات سياسية مشتركة وصولاً إلى أعلى مستوى، كما في المجلس اليمني الأعلى، على ألا تُلغى سلطة الدولة في كل من الشطرين، وأتاح الاستقرار النسبي فيها بداية مرحلة من التواصل المنتظم عبر اللقاءات والمشاورات، سواء على مستوى القمة أو على مستوى اللجان الوزارية المشتركة أو على مستوى أمانة سرّ المجلس اليمني الأعلى.

فقد تَمَّ عقد سبعة عشر لقاء قمة على مستوى رئيسي الشطرين، بالإضافة إلى اللقاءات الثنائية التي تَمَّت على هامش لقاءات القمة العربية، وقد نتج عنها تنسيق كبير بين القيادتين.

وعقدت اللجان الوزارية المشتركة أكثر من سبعة اجتماعات بين عامي ١٩٨٢ و١٩٩٠م، بالإضافة إلى اللقاءات الثنائية بين الوزراء المختصين والوفود لمناقشة القضايا الفنية المعلّقة.

وعقدت أمانة سرّ المجلس اليمني الأعلى ثلاثة عشر اجتماعاً لتنفيذ ومتابعة ما يصدر عن لقاءات القمة، كان آخرها في ٤ آذار ١٩٨٩م.

وهكذا وُقِّر المنهج الوظيفي قدرماً من الاستقرار في العلاقة بين الشطرين، وساهم من خلال اللقاءات والتواصل في بناء جسور من الثقة عملت على امتصاص الصدامات المسلّحة والخلافات الحدودية ومعالجتها<sup>(٢)</sup>.

وسنركّز في هذا المقام على دور لقاءات القمة بين الشطرين التي استطاعت أن تصنع الحدث، مع الإشارة إلى أن اللقاءات بين المؤسسات الأخرى هي انعكاس لما يتم اتخاذه في لقاءات القمة.

(١) أحمد: ص١٦.

(٢) العبدلي: ص١٤٢.

ففي حزيران ١٩٨٠م قام علي ناصر محمد بزيارة إلى الشطر الشمالي واجتمع مع علي عبد الله صالح، وصدر في ختام اللقاء بيان مشترك أكد على ضرورة إسراع الخطى نحو الوحدة، وتنفيذ كل الاتفاقيات السابقة ذات الصلة، وأسس اللقاء بعض الشركات المشتركة في مجال النقل البري والبحري والسياحة والثروات الطبيعية، وتنسيق السياسة الخارجية بين الشطرين<sup>(١)</sup>.

وتوالى اللقاءات بعد ذلك في أيلول ١٩٨٠م بمدينة تعز، وتموز ١٩٨١م في مدينة تعز أيضاً، ومن بين أهم اللقاءات تلك التي تمت في ٣٠ تشرين الأول ١٩٨١م وتمثلت بزيارة قام بها علي عبد الله صالح لمدينة عدن، وتحقق من خلالها تحريك عمل المجلس الأعلى اليمني، وإنشاء أمانة سر تابعة له.

وجرى في أيار ١٩٨٢م لقاء في تعز أزال الصعوبات التي كانت تعترض تحسن العلاقات بين الشطرين من خلال عدم تدخل أي طرف في شؤون الطرف الآخر، ونبذ العنف في العلاقة بينهما، وحل المشكلات سلمياً<sup>(٢)</sup>.

وشكّل لقاء القمة في عدن في كانون الثاني ١٩٨٥م انعطافة في مسار العلاقات بين الشطرين، عندما زار علي عبد الله صالح عدن براً ليفتح الطريق البري بين صنعاء وعدن، ثم انتقل الرئيسان إلى تعز في الشمال لاستكمال المناقشات التي طالبت بضرورة الإسراع بتنفيذ ما تمّ الاتفاق عليه في اجتماعات المجلس الأعلى اليمني<sup>(٣)</sup>.

وتمّ آخر لقاء بين الرئيسين في صنعاء في كانون الأول ١٩٨٥م قبل انفجار الأحداث الدامية في الشطر الجنوبي في ١٣ كانون الثاني ١٩٨٦م والتي أنهت حكم الرئيس علي ناصر محمد.

وكانت قمة صنعاء في أيار ١٩٨٨م متميزة من حيث أنها تمت بعد حدوث توترات في مناطق الحدود المشتركة عقب اكتشاف النفط فيها، وتمكّنت القمة بين علي عبد الله صالح وعلي سالم البيض من تجاوز ذلك عبر الاتفاق على مشروع مشترك لاستثمار الثروات النفطية في المنطقة المشتركة، مأرب وشبوة، وتأسيس الشركة اليمنية للاستثمارات النفطية والمعدنية، بين شطري اليمن، وتسهيل حركة

(١) العبدلي: ص ١٤٢.

(٢) اليمن الواحد ص ١٣٠، سلسلة وثائقية عن الوحدة اليمنية ٣، إصدار مكتب شؤون الوحدة، صنعاء، كانون الثاني ١٩٨٩م.

(٣) العبدلي: ص ١٤٣.

انتقال المواطنين بين الشطرين بالبطاقات الشخصية بعد تعبئة استمارات خاصة بذلك، وإلغاء النقاط الحدودية القائمة واستبدالها بنقاط مشتركة<sup>(١)</sup>، فتدفق المواطنون نتيجة ذلك عبر بوابات الحدود، وقد شعروا للمرة الأولى منذ عام ١٩٦٢م بمدى قيمة الوحدة ومميزاتها، وشكّل هذا الاندفاع وتفاعله بالحدث، عامل ضغط على القيادة السياسية في الشطرين، فلم تستطع التراجع عن استكمال الإجراءات الحدودية<sup>(٢)</sup>.

وزار في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٨٩م، علي عبد الله صالح عدن يرافقه وفد شعبي كبير للمشاركة في احتفالات الشطر الجنوبي بأعياد الاستقلال، وتمّ خلال اللقاءات الثنائية بين الرئيسين مصادقة القيادتين على مشروع دستور دولة الوحدة الذي أنجزته اللجنة الدستورية المشتركة، وإقراره وتحويله إلى مجلسي الشعب والشورى في الشطرين للمصادقة عليه استعداداً للاستفتاء الشعبي، وتكليف لجنة التنظيم السياسي بوضع تصور لمستقبل العمل السياسي في اليمن الموحد، وإجراء حوار مع المنظمات والشخصيات الوطنية واشراكها في مناقشة المشاريع، ووضع تصور لدور القوات المسلحة في ظل دولة الوحدة<sup>(٣)</sup>.

وما جرى من احتفالات شعبية في اليمن بشأن الوحدة، انتقلت حكومة الشطر الجنوبي إلى الشطر الشمالي لإجراء لقاء موسع للقيادتين السياسيتين، والتباحث بشأن تنظيم المرحلة الانتقالية، وتمخّض اللقاء عن الاتفاق على إعلان الجمهورية اليمنية في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٩٠م.

## قيام الجمهورية اليمنية

نظراً للتطورات الداخلية والخارجية، وسعي أعداء الوحدة إلى منع قيامها، فقد تقرّر تقديم موعد الوحدة إلى ٢٢ أيار ١٩٩٠م، وجرى في ٢١ أيار مصادقة مجلس الشورى في صنعاء على مشروع الدستور والمرحلة الانتقالية، وإعلان مولد الجمهورية اليمنية، وكان مجلس الشعب الأعلى في عدن قد سبقه بالموافقة على القرارات الحدودية، فأُنزلت أعلام الشطرين وارتفع بدلاً عنها علم اليمن الواحد، كما تمّ اختيار مجلس رئاسة من خمسة أعضاء، تولّى قيادته علي عبد الله صالح، في حين تولّى علي سالم البيض منصب نائب الرئيس.

(١) اليمن الواحد: ص ٢٢٨، ٢٢٩.

(٢) العبدلي: ص ١٤٥.

(٣) المرجع نفسه: ص ١٤٧، ١٤٨، وانظر نص الدستور في: مجلة وثائق وحدوية، العدد ٣٩٨،

تاريخ ٢٣ أيار، ١٩٩٠م.

## التحديات التي واجهت الوحدة

بعد أن توفرت الشروط الموضوعية على المستويين الداخلي والخارجي في قسيمي اليمن، تمّ الإعلان عن قيام الجمهورية اليمنية، الموحدة في ٢٢ أيار ١٩٩٠م كما ذكرنا، كما تمّ تحديد مرحلة انتقالية مدتها ثلاثين شهراً يجري خلالها الانتقال من وضع الانقسام إلى وضع الوحدة، وانتُخب مجلس رئاسي، عن طريق المجلس الاستشاري، المؤلف من ستة وعشرين شخصاً من الجمهورية العربية اليمنية (الشمال) وسبعة عشر شخصاً من أعضاء مجلس الرئاسة في الجمهورية الديمقراطية الشعبية (الجنوب)، واختار المجلس الرئاسي حيدر أبو بكر العطاس رئيساً للوزراء للمرحلة الانتقالية، إضافة إلى مجلس نيابي يتكوّن من ثلاثمائة عضواً واحداً، منهم مائة وتسعة وخمسين من الشمال، ومائة وأحد عشر من الجنوب، وواحد وثلاثين عضواً مستقلين يتم تعيينهم من قِبل مجلس الرئاسة، ثم طُرح دستور دولة الوحدة على الاستفتاء في أيار ١٩٩٢م لبدأ الصراع على النصوص والسلطة.

عارض حزب التجمع اليمني للإصلاح (الإخوان المسلمون)<sup>(١)</sup> أي استفتاء على الدستور قبل طرحه للنقاش، وقد هدف إلى قطع الطريق على القوى اليسارية، وبخاصة الحزب الاشتراكي في الجنوب من تبني أي توجه علماني في البلاد، وقاد مظاهرات حاشدة تدعو إلى التعديلات الدستورية قبل الاستفتاء، وفي المقابل قاد الحزبين الحاكمين، المؤتمر الشعبي العام في الشمال والاشتراكي في الجنوب، حملات دعائية مؤيدة للاستفتاء، وقد نجح في تمريره، ثم دخلا في صراع مبكر على السلطة، فقام كل حزب في توزيع الوظائف على أعضائه وأنصاره، واستخدما المال لشراء الولاءات والمناصرين، وإثارة النزعات القبلية.

كانت لتلك التصرفات آثار اقتصادية وسياسية واجتماعية خطيرة، حيث تعرّض الاقتصاد للانهايار نتيجة استثمار المال العام في إدارة الصراع، وأتاح هذا الصراع للقوى السياسية الأخرى وبخاصة حزب التجمع اليمني للإصلاح، الدخول في اللعبة السياسية، وقد رأت بأن اتفاق الحزبين سيكون على حسابها ووجودها في الساحة السياسية، وسيؤدي إلى تحجيم دورها، لذلك عمدت إلى إذكاء الصراع وتصعيده بين الطرفين.

(١) المعروف أن حزب الإصلاح تكوّن من جناحين، الجناح السياسي ويمثله الإخوان المسلمون بقيادة الشيخ عبد المجيد الزنداني، والجناح القبلي بقيادة الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر.

اتجه الوضع السياسي في ظل تلك الصراعات والتناقضات نحو التصعيد من خلال القيام بأعمال تصفيات جسدية، واغتيالات سياسية، تعرّض لها قادة وعناصر ينتمي أغلبهم إلى الحزب الاشتراكي، ومما زاد الوضع تعقيداً احتواء حزب المؤتمر، قوى مختلفة إسلامية وقومية وقبلية، وبدا الهدف واضحاً من ورائها وهو إيصال علاقة الحزبين الحاكمين إلى مرحلة التصادم.

واتخذ كل من الحزبين تدابير عسكرية في محاولة للحسم عن طريق القوة، وحرص على إبقاء الجيش من دون دمج تحسباً لمواجهة عسكرية، فقام الحزب الاشتراكي بنقل وحدات عسكرية إلى المناطق الشمالية، واختار مناطق جغرافية تُمكنه من السيطرة في حال احتدام الصراع، كما قام حزب المؤتمر بالخطوات نفسها، فأعاد انتشار قواته المسلحة في مناطق جنوبية عدة.

وكانت الانتخابات التي جرت في ٢٧ نيسان ١٩٩٣م آخر المحاولات لحسم الصراع السياسي عن طريق الشرعية الدستورية، عبّرت عن حجم كل حزب في الشارع، ولم تُعبّر عن واقعه السياسي الفعلي في الساحة السياسية.

نتج عن الصراع السياسي بين القوى اليمينية نشوب حرب أهلية في صيف ١٩٩٤م، استمرت ستاً وستين يوماً، كانت نتائجها كارثية، أودت بحياة الآلاف من أبناء الشعب اليمني، ودمّرت البنية الاقتصادية، وشقّت الصف اليمني، وخلقت وضعاً من الصراع بين أبناء الشعب، وأخلّت بالتوازن السياسي بعد خروج الحزب الاشتراكي من الساحة السياسية على أثر هزيمته في الحرب، الأمر الذي أحدث فراغاً سياسياً أتاح لحزبين سياسيين السيطرة على السلطة في بادئ الأمر، هما ائتلاف حزبي الشعب العام والتجمع اليمني للإصلاح، حيث استطاع حزب المؤتمر استعادة زمام المبادرة، فقلّص دور حزب التجمع بعد حرب عام ١٩٩٤م وانتخابات عام ١٩٩٧م عبر استقطاب زعماء القبائل، ويبدو أنه لم يكن بقادر على المنافسة على رئاسة الجمهورية بسبب سيطرة الحزب الحاكم على مراكز النفوذ، لذلك فضّل الإبقاء على علاقته الطيبة بالرئيس علي عبد الله صالح وسانده في انتخابات عام ١٩٩٩م، واستطاع حزب المؤتمر أن يحصل على أغلبية مريحة في مجلس النواب، وقد مكّنه ذلك من السيطرة على الحياة السياسية، واستمر يُقلّص دور منافسيه مستغلاً التناقضات داخل صفوف المعارضة.

ورأى حزب التجمع على أثر تراجع دوره في الحياة السياسية والتشريعية أن يتحالف مع قوى المعارضة في مواجهة حزب المؤتمر، ومثّل عام ٢٠٠١م انعطافة في العلاقات المتشنجة بين الحزبين من خلال خروج الصراع السياسي إلى العلن،

فقد أعلن الأمين العام لحزب التجمع انتهاء التحالف «الاستراتيجي» بين حزبه وحزب المؤتمر، ومثلت أحداث العنف التي جرت بين وحدات الجيش وأنصار حزب الإصلاح أثناء انتخابات السلطة المحلية، شرخاً في علاقة الحزبين.

وتحالف حزب الإصلاح مع أحزاب المعارضة: الحزب الاشتراكي، والحزب الوحدوي الشعبي الناصري، وحزب البعث العربي الاشتراكي، وحزب الحق، وحزب اتحاد القوى الشعبية اليمنية، وأطلقوا على تحالفهم اسم «تكتل أحزاب اللقاء المشترك».

ويبدو أن التنسيق بين قوى المعارضة في انتخابات ٢٧ نيسان ٢٠٠٣م، لم يرقَ إلى المستوى المطلوب، حيث تنافس بعض مرشحي تلك الأحزاب في بعض الدوائر الانتخابية، ما أتاح لحزب المؤتمر الحصول على الأغلبية الساحقة في المجلس النيابي، وتراجع دور أحزاب المعارضة أكثر من ذي قبل، لتأخذ أهداف اللقاء المشترك في المرحلة اللاحقة، إصلاح النظام السياسي بما في ذلك إعادة تشكيل اللجنة العليا للانتخابات التي ترى أحزاب المعارضة بأنها منحازة للحزب الحاكم، وكان ذلك من بين أسباب تحرك المعارضة الشعبية الذي بدأ في ١١ شباط ٢٠١١م ضد السلطة الحاكمة وضد حزب المؤتمر.

وشهد اليمن الجنوبي حراكاً خلال المرحلة الانتقالية تمثل بمحاولة الحزب الاشتراكي استعادة الدولة الجنوبية، والتي انتهت بعراك مسلح خرج الحزب الاشتراكي على إثره من الساحة السياسية كما ذكرنا، وتمّ تشكيل التجمع الديمقراطي الجنوبي (تاج) في ٧ تموز ١٩٩٤م، وظهرت قيادات سياسية جنوبية في الداخل تطالب بإصلاح مسار الوحدة تمثلت في شخصين هما محمد حيدر باحدوس وحسن باعوم، إلا أن الدعوات الانفصالية التي سادت بعض أوساط الجنوبيين لم تصدر عن تجمعات سياسية تاريخية كالأحزاب السياسية المعروفة أو تجمعات قبلية أو مناطقية جماعية، إذ لا يزال الانفصال قيمة سلبية لغالبية اليمنيين بما فيهم الجنوبيين.

لكن الحراك الجنوبي أخذ في التطور والتنامي بالتوازي مع الأزمات السياسية والاقتصادية، وبدأت الأصوات المنادية بالانفصال تعلو على تلك التي تتمسك بالوحدة، وعلى الرغم من عدم نجاح الدعوات الانفصالية إلا أن هناك أسباباً عدة خلقت أجواء سياسية واقتصادية واجتماعية، مكّنت العناصر المتطرفة الحراك بحرية، وتعميق مفهوم الانفصال في أوساط سكان المناطق الجنوبية، نذكر فيها:

- غياب الرؤية «الاستراتيجية» التي تبحث في إمكان نجاح الوحدة وضمن استمرارها.

- تحول المشروع السياسي العام إلى مشروع سياسي لأحزاب وتجمعات سياسية تهدف إلى البقاء والسيطرة.
- تركت حرب صيف ١٩٩٤م آثاراً سيئة على الحياة في الجنوب، والتي أدت إلى ميلاد القضية الجنوبية، والمطالبة بالانفصال، وبخاصة بعد تسريح غالبية أفراد جيش وأمن القوات المسلحة التي كانت تابعة للحزب الاشتراكي بعد الحرب المذكورة، وإحالة عدد كبير من الموظفين على التقاعد، الأمر الذي ساعد على تفشي البطالة في صفوف المواطنين الجنوبيين.
- أدار الحزب الحاكم الصراع السياسي بعد الحرب بأسلوب انتقامي من جهة وحذر من جهة أخرى، حيث كانت التحديات والمؤامرات تُحاك ضد الوحدة.
- تعامل كثير من قادة العمل السياسي والإداري مع مواقعهم ووظائفهم القيادية بوصفها الفرصة الأخيرة للكسب غير المشروع.
- مثلت قضية نهب الممتلكات العامة والخاصة داخل مدينة عدن وبعض المحافظات الشرقية حجة استند عليها نشاط الحراك الجنوبي في تصعيد مطالبه بفك الارتباط.
- اتبعت السلطة الحاكمة أسلوباً انتقائياً في عملية التعيينات لأبناء المناطق الجنوبية والشرقية، والذي خلق حالاً من السخط وعدم الرضا<sup>(١)</sup>، الواقع أن خروج الحزب الاشتراكي من السلطة لم يكن المحطة الأخيرة في الصراع السياسي، ومن الطبيعي أن يسعى الحزب إلى إدارة الصراع بكل الوسائل سعياً إلى تحقيق أهدافه في استعادة دولته في الجنوب، وظل يراهن على انهيار الدولة نتيجة المعطيات السلبية على الأرض من تدهور اقتصادي، وزيادة حدة الفقر، وانتشار الفساد، وانقسام النخبة الحاكمة<sup>(٢)</sup>.
- تطور الحراك الجنوبي في المرحلة التالية عبر الإعلان صراحة عن أهدافه الانفصالية في عام ٢٠٠٧م، وتمّ دمج جميع الكيانات التي تشكّلت منذ عام ٢٠٠٨م تحت قيادة الثورة السلمية، واختير نائب الرئيس اليمني السابق علي صالح البيض رئيساً لها، إلا أنه جرى التراجع عن التسمية في ٣٠ تشرين الثاني ليكون المجلس الأعلى للحراك السلمي لتحرير الجنوب، واختير حسن باعوم رئيساً له.

(١) جعثان، صالح ناصر: المحددات الداخلية والخارجية للاستقرار السياسي في اليمن ١٩٩٠ - ٢٠١٠م ص ٢٥، ٢٦. الدانمارك الأكاديمية العربية، ٢٠١٢ على الموقع:

WWW.AG Communication master Degree letter by salih Nasir G AA.

(٢) المرجع نفسه: ص ٢٦.



- الانتقال إلى مرحلة العصيان المدني بعد أن أخذ الحراك الجنوبي حيزاً في وسائل الإعلام المحلية والدولية، واتخذُ بعداً دولياً من خلال مناشدة المجتمع الدولي للتدخل وتخليص اليمن الجنوبي من المحتل الشمالي.

وتُرك أمر استخدام القوة لتطورات الموقف الداخلي والخارجي، وبخاصة أن الصراع السياسي بين أجنحة النظام في صنعاء أخذ يتطور بسرعة، وبدأت المؤشرات تلوح في الأفق على انهيار هذا النظام ومعه الدولة، وعندما اندلعت المظاهرات والاعتصامات في جميع محافظات الجمهورية مطالبة بإسقاط النظام السياسي، توقّف الحراك الجنوبي المنفرد، والتحق بميادين الاعتصامات، وأكّدت قيادات جنوبية أنها تُعوّل على نتائج الثورة الشبابية في التوجه نحو الانفصال، إلا أن اجتماع القاهرة الذي عقده قيادات معارضة في المدة بين ٩ و١١ أيار ٢٠١١م، كشف عن تباين في مواقف القوى الجنوبية بين المحافظة على الوحدة (علي ناصر محمد) وبين الانفصال (علي سالم البيض) في حين تبنى حيدر أبو بكر العطاس مشروع الدولة «الفيدرالية»، ولم يرَ علي عبد الله صالح أن وراء الحراك الجنوبي مشكلة سياسية، وإنما هي مشكلة ناتجة عن سوء الإدارة، وأقدم على تسوية أوضاع المتقاعدين العسكريين، إلا أن الحراك استمر بالتصعيد، وكان ذلك بمثابة ناقوس الخطر الذي جعل السلطة تستشعر مدى خطورة القضية، لذلك كان لا بد أن تتحرك بسرعة لاحتواء الحراك، وانتهجت طرق عدة في سبيل ذلك منها:

- الاستجابة لمطالب الحراك وامتصاص الغضب في المناطق الجنوبية.
- رفع المرتبات والأجور، فاتخذ الحراك الجنوبي من ذلك ذريعة لرفع سقف مطالبه بفك الارتباط وحقّ تقرير المصير، والتشكيك في شرعية الوحدة.
- تكثيف التواجد العسكري في أغلب مدن الجنوب وبخاصة في الضالع وأبين ولحج، وهي المناطق التي كان الحراك فيها ينادي بالانتقال إلى مرحلة العمل العسكري.
- قيام السلطة بإصلاحات سياسية تمثّلت بانتخاب المحافظين من قبل مجلس النواب بدلاً من تعيينهم بقرار جمهوري، وذلك بهدف إبطال ذريعة المعارضة بانتخابهم من الشعب مباشرة، وقاطعت المعارضة عملية الانتخاب.
- تشكيل لجنة للتحقيق في قضايا نهب الأراضي في المناطق الجنوبية والغربية، غير أن الرئيس علي عبد الله صالح لم يتعامل بجدية مع تقاريرها.
- كلّف رئيس الجمهورية اليمنية نائبه عبد ربه منصور هادي بعلاج الوضع في ثلاث محافظات شملها التقرير، وهي عدن وأبين ولحج، من أصل خمس محافظات، وقد تمّ حل نحو ٩٠٪ من مشكلات الأراضي.

واندفعت المعارضة لمشاركة الحراك في نشاطه، ووظفت وسائل إعلامها لتأييد مطالب الحراكيين، والواضح أن المعارضة لم تكن السبب الرئيس في دفع الحراك إلى حيز الوجود في بداية الأمر، إلا أن التطورات التي حدثت في الجنوب كانت امتداداً لتطورات الصراع بين القوى السياسية والنخب السياسية في قمة الهرم السياسي<sup>(١)</sup>.

## المشكلة الحوثية

ارتبطت الحروب التي نشبت في منطقة صعدة شمالي اليمن باسم الحركة الحوثية، وهي حركة سياسية - دينية تُعدُّ تطوراً لبناء الإمامة الشيعية في اليمن، ومستغلة التوغل الإمامي الاثني عشري الإيراني في المنطقة، وبرزت عبر سلسلة من الأحداث بين عامي ٢٠٠٤ و ٢٠٠٩م مستغلة سوء الأوضاع السياسية والاقتصادية<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن الحركة الحوثية لم تبرز على الساحة السياسية في اليمن قبل اندلاع المواجهات الأولى مع السلطة في ١٨ حزيران ٢٠٠٤م، ونشطت في العاصمة صنعاء عبر شبكة من الخلايا قامت بعمليات اغتيال لقادة وضباط وأفراد أمن، وقد ارتبط وجودها باتحاد الشباب المؤمن الذي تأسس في عام ١٩٨٦م ومثلَّ اللَّبنة الأولى في مدامك بنائها. ومع تطور الأحداث في المنطقة العربية واحتلال الولايات المتحدة الأميركية للعراق في عام ٢٠٠٣م؛ خرج الحوثيون في مظاهرات ضخمة في العاصمة صنعاء ضد هذا الاحتلال، فتصدت لهم الحكومة بشدة.

ويبدو أن مؤسس الحركة الحوثية أدرك بأنه لا يستطيع قلب نظام الحكم في صنعاء في هذه المرحلة بعد أن اتَّسع اليمن جغرافياً بفعل الوحدة، وأضحى الزيدون يمثلون نسبة أقل مما كانوا عليه، وبخاصة بعد انتقال بعض مشايخ القبائل الزيدية إلى المذهب السني، إلا أنه كان له هدف مرحلي يتمثل في بناء تنظيم حركي فكري على أساس مذهبي وولاء طائفي، فاتبع نهجاً مشابهاً لنهج التنظيمات الشيعية المدعومة من إيران، ونشط في تحقيق ذلك في المناطق ذات الخلفية المذهبية الزيدية مثل صعدة وعمران والجوف، وقد حاولت الحكومة القبض عليه وتقديمه للمحاكمة بتهمة الخيانة ما أدى إلى اندلاع الحرب.

بدأت الحرب بين الحكومة اليمنية والحركة الحوثية في عام ٢٠٠٤م، وأسفرت

(١) جعشان: ص ٣٢.

(٢) الأحمدى، عادل علي نعمان: الزهر والحجر، التمرد الشيعي في اليمن حزيران ٢٠٠٥م، شباط ٢٠٠٦م، وموقع الأقليات الشيعية في السنايو الجديد، ص ١١.

المواجهات الأولى عن مقتل زعيم الحركة حسين بدر الدين الحوثي<sup>(١)</sup>، فتولت والدته رئاسة الحركة بعد مقتله، وكان من الواضح من خلال المعارك الشرسة التي خاضها الحوثي ضد قوات الجيش، أن الحركة قد استعدت بشكل جيد تنظيمياً وتسليحاً، وهو الأمر الذي وضع تساؤلات عدة حول مصدر دعمها وقوتها، إلا أن الطرف المستفيد من سيطرة الحوثيين على صعدة والظروف الإقليمية التي تزامنت معها الأحداث تُرجح بأن إيران قد وضعت اليمن ضمن خططها السياسية بهدف تطويق المملكة العربية السعودية من جهة الجنوب.

نتج عن الحرب آثاراً اجتماعية خطيرة، تمثلت بنزوح نحو مائتين وخمسين ألف شخص، وفقدان الأرواح، وتدمير النسيج الاجتماعي، وزرع بذور الشر والانتقام والثأر، وإتلاف الممتلكات العامة والخاصة، بالإضافة إلى مزيد من الفقر والبطالة، وخلق بيئة خصبة للتطرف<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن نشوب الحراك العربي فيما عُرف بالربيع العربي قد أدى دوراً في تقوية موقف الحوثيين في مواجهة السلطة، فقد اتضح بأن حسين عبد الله الأحمر شيخ مشايخ حاشد، وتاجر السلاح فارس مناع، قد أدّيا دوراً محورياً في الصراع، عبر تزويد الحركة الحوثية بالمال والسلاح الذي قدّمه العقيد معمر القذافي لزعزعة استقرار المملكة العربية السعودية في إطار الصراع الدائر بينهما.

وأُسست قضية صعدة، إلى جانب الكوارث الاقتصادية والإنسانية التي أفرزتها الحروب، لصراع سياسي على أسس طائفية في ظل التحولات التي يشهدها اليمن بخاصة والمنطقة العربية بعامة، فدخلت الحركة الحوثية في صراع مع حزب التجمع اليمني تمثّل بالتسابق على السيطرة على المحافظات الغربية من صعدة، واتخذ منحى مذهبياً (شافعيّاً - زيدياً)، ونشبت معارك شرسة بين الجانبين في محافظة الجوف في محاولة من كلا الطرفين للسيطرة على المناطق التي انسحبت منها القوات الحكومية<sup>(٣)</sup>، وقد شكّلت مشكلة الحوثيين أحد عوامل الحراك الشعبي ضد الحكومة المركزية في صنعاء.

## انعكاس التنافس الإقليمي على الأوضاع في اليمن

شكّل الاحتلال الأميركي للعراق في عام ٢٠٠٣م تحولاً في دور القوى السياسية والمذهبية في هذا البلد، فقد أدى التغيير الذي طرأ على هيكل السلطة التقليدي من

(١) جعشان: ص ١٩.

(٢) المرجع نفسه: ص ٢٠.

(٣) المرجع نفسه: ص ٢٣.

خلال تراجع قوة السنة، واستبدالها بهيكل جديد عبر صعود الشيعة، إلى التأثير في تطورات الأمن السياسي للمنطقة، وتساعد أهمية العامل الشيعي والكردي في العراق الجديد بالإضافة إلى النفوذ الإيراني، ما دفع الدول المجاورة وبخاصة المملكة العربية السعودية إلى التدخل لبدأ طور جديد في مسار العلاقات السعودية - الإيرانية القائم في الأساس على صراع سياسي تحت غطاء ديني<sup>(١)</sup>.

ونجحت إيران من خلال استغلال ضعف العلاقات العربية، أن تُسخر العامل الديني المذهبي في إدارة صراعها ضد الكيان الصهيوني وضد الولايات المتحدة الأميركية وحلفائها العرب، ومد نفوذها إلى المنطقة العربية عبر الحركات المسلحة في لبنان وقطاع غزة، وتوسيع نطاق تلك الصراعات للوصول إلى اليمن عن طريق مساندة الشيعة الزيدية في منطقة صعدة في الشمال<sup>(٢)</sup>.

وتعدُّ الوحدة اليمنية نقطة التحول الرئيسة في السياسة الخارجية اليمنية، ومن أكثر العوامل المؤثرة في توجيهها، فقد أدت التطورات التي شهدتها اليمن إلى لفت أنظار إيران التي كانت تعاني من ضغوط إقليمية مع دول الخليج العربية؛ وبخاصة المملكة العربية السعودية التي تُمثّل المنافس الرئيس للنفوذ الإيراني، إضافة إلى العلاقات المتوترة مع الولايات المتحدة الأميركية.

شكّل هذا المشهد السياسي عامل ضغط على إيران دفعها إلى تشكيل شبكة من الروابط والتحالفات الإقليمية بهدف امتلاك المزيد من القدرات لمواجهة التهديدات التي تتعرّض لها، وبالتالي زيادة فرصها في تعزيز مكانتها الإقليمية وحماية مصالحها، وتجسيدا لهذا التوجه، أعلنت عن تأييدها للوحدة اليمنية، وسعت عبر استقطاب اليمن بفعل موقعه الجغرافي المهم، وضمه إلى شبكة التحالفات لمواجهة الأخطار التي يمكن أن يتعرّض لها الطرفان، والمعروف أن الولايات المتحدة الأميركية وحلفاءها العرب كانوا في عقد التسعينات يسعون إلى عزلها، واحتوائها، وحصارها عسكرياً واقتصادياً، وهو النهج نفسه الذي اتخذته دول الخليج العربية مع اليمن، ما دفع البلدين إلى التقارب<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن مسار الأحداث، ومن خلال التحالف اليمني - الأميركي فيما بعد على الإرهاب، وخطورة التوتر في العلاقات اليمنية - السعودية على الاستقرار الداخلي في اليمن؛ مكنّ المملكة العربية السعودية من العودة إلى ممارسة نفوذها في اليمن وبخاصة بعد انتهاء ملف الحدود بين البلدين، واحتدام الصراع الداخلي بين القوى

(١) جعشان: ص ٤٤.

(٢) المرجع نفسه: ص ٤٥.

(٣) المرجع نفسه: ص ٤٦.

السياسية، حيث رأى النظام أن التحالف مع المملكة العربية السعودية أمر ضروري لإدارة الصراع الداخلي نظراً لتمتعها بنفوذ كبير على المستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وقدرتها على التأثير في الأمور داخل اليمن، الأمر الذي لا يُقارن مع الاحتفاظ بعلاقات يمنية - إيرانية.

وأخذت سياسة اليمن منذ عام ٢٠٠٤م تنحاز إلى المواقف الإقليمية المعادية لإيران، وتراجع دعمها للمقاومة العربية في لبنان وقطاع غزة، فتحرّك الشيعة في صعدة، واصطدموا مع النظام في حربهم الأولى، ولم تُعلن إيران صراحة عن دعمها لهم<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن النظام الإيراني أراد توظيف الحرب في السياسة الخارجية، ومحاولة جرّ المملكة العربية السعودية لمواجهة الخصوم الداخليين عن طريق الإعلان بأن إيران تدعم الحركة الحوثية في شمالي اليمن، وتحدّث مسؤولون يمنيون في أواخر تشرين الأول ٢٠٠٩ إلى وسائل الإعلام المحلية عن اعتراض سفينة محملة بالأسلحة كانت قادمة من إيران، واعتقال خمسة مرشدين إيرانيين كانوا في طريقهم إلى الحوثيين.

ووضعت إيران مخططاً «استراتيجياً» يهدف إلى جعل منطقة البحر الأحمر الجنوبية منطقة نفوذ لها بالتعاون مع أريتريا، وقد زادت احتمالات التدخل الإيراني في شؤون اليمن مع ارتفاع حدة التصريحات الرسمية بوجود الالتزام بالاتفاقية التي تتوسط فيها دولة قطر لحل الأزمة، كونها وسيلة جيدة لاستعادة السلم والأمن في اليمن، كما صرّح بعض رجال الدين ونواب إيرانيون بوجود دعم الشيعة في اليمن<sup>(٢)</sup>.

وأثارت تصريحات قائد الحرس الثوري الإيراني محمد علي جعفري المتضمنة نية إيران في تكثيف تواجدها في خليج عدن لضرورات دفاعية؛ المخاوف، وأكّدت أطماع إيران في اليمن والبحر الأحمر<sup>(٣)</sup>، ما يشكل خطورة على أمن اليمن والمملكة العربية السعودية، فتوترت العلاقات بين البلدين، اليمن وإيران، مع الإشارة إلى أن كل التدخلات الخارجية في اليمن لم تستهدف هذا البلد مباشرة، وإنما تأتي في إطار الصراع مع المملكة العربية السعودية تماماً، كما كان هدف التدخل المصري في اليمن في عقد التسعينات<sup>(٤)</sup>.

(١) جعشان: ص ٤٧.

(٢) صحيفة الوطن الالكترونية اليمنية، ارتفاع حدة التوتر بين صنعاء وطهران، تاريخ ١٨ آب، ٢٠٠٩م.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) جعشان: ص ٤٩.

## انعكاسات المتغيرات الدولية على الأوضاع في اليمن

حملت التطورات التي نتجت عن نهاية الحرب الباردة في أوائل عقد التسعينات، وانتقال بنية النظام الدولي من الثنائية إلى الفردية؛ الكثير من الإشكالات التي أثرت على الاستقرار في اليمن، كما حصل هذا البلد على إيجابيات.

فمن حيث الإشكالات عانى اليمن:

- من الضعف، وشح الموارد، ومحدودية الخيارات، وحرية الحركة.  
- من تعامل الدول الفاعلة في النظام الدولي مع التحول الديمقراطي في البلدان النامية من منظور مصلحي، ما جعل مواقفها من بعض القضايا وعلاقتها بالأنظمة الحاكمة في العالم الثالث ومنها اليمن، متذبذبة وغير مستقرة، وتخضع للمستجدات التي تؤثر على مصالحها.

- اشترطت الولايات المتحدة الأميركية على اليمنيين، الأخذ بالنظام الديمقراطي مع عدم تصديره إلى الخارج.

- عانى اليمن بعد حرب الخليج الثانية (غزو العراق للكويت) كثيراً من ممارسات الولايات المتحدة الأميركية وحلفائها، سياسياً واقتصادياً، حيث كانت الخيارات أمامها محدودة.

- مارست المملكة العربية السعودية ضغطاً كبيراً اقتصادياً وسياسياً على اليمن بعد حرب ١٩٩٤م بهدف إخضاعه للتسليم بالأمر الواقع فيما يتعلق بقضية الحدود المشتركة المتنازع عليها.

ومن حيث الإيجابيات:

- زوال الصعوبات أمام الوحدة اليمنية.

- دعم الولايات المتحدة الأميركية إجراءات إتمام الوحدة بفعل النظرة الغربية العامة بأن استمرار الصراع بين الشطرين اليمنيين من شأنه أن يؤدي إلى حال عدم الاستقرار في جنوبي الجزيرة العربية، كما أن قيام الوحدة سوف يقضي على ما تبقى من توجهات ماركسية في جنوبي اليمن<sup>(١)</sup>.

### نهاية حكم علي عبد الله صالح

أعلن الرئيس اليمني علي عبد الله صالح في عام ٢٠٠٥م بمناسبة الذكرى السابعة والعشرين لتوليته مقاليد السلطة؛ عن عدم نيته في الترشح في الانتخابات الرئاسية التي ستجري في ٢٢ أيلول ٢٠٠٦م، وأدى إعلانه هذا إلى توتر شديد، فقامت

(١) جعشان: ص ٦٣، ٦٤.

مظاهرات شعبية مؤيدة لترشحه، ونهضت حملات لجمع التواقيع، فيما عدته المعارضة مسرحية سياسية تهدف إلى حشد التأييد الشعبي للرئيس، فنظمت مظاهرات مضادة أيدت عزمه على عدم الترشيح لولاية جديدة، ولكن الأمر بقي معلقاً لأن حزب المؤتمر الحاكم الذي يترأسه الرئيس تمسك بترشيحه في الوقت الذي لم تقدم المعارضة أي مرشح.

وكرر الرئيس علي عبد الله صالح في ٢١ تموز ٢٠٠٦م عدم نيته في الترشح، ولكنه عاد عن عزمه وترشح في وقت لاحق، ورشحت المعارضة بن شمالان، وفاز الرئيس في الانتخابات لمدة رئاسية جديدة مدتها سبع سنوات.

وفي ١١ كانون الأول ٢٠١٠م تقدمت الكتلة النيابية للحزب الحاكم بمشروع قانون يقضي بالسماح لعلي عبد الله صالح بالترشح للرئاسة القادمة وإلغاء المدة الزمنية المحددة لولاية الرئيس وجعلها مفتوحة، فانتفضت أحزاب المعارضة المنضوية تحت تكتل اللقاء المشترك، وأعلنت عن مقاطعتها لجلسات المجلس النيابي، وعدت مشروع التعديل انقلاباً على الدستور.

وعلى أثر نجاح الحراك الشعبي التونسي في ١٤ كانون الثاني ٢٠١١م، والحراك الشعبي المصري في ١١ شباط ٢٠١١م، قام في اليمن حراك شعبي، قاده الشباب اليمني وأحزاب المعارضة، يطالب برحيل الرئيس علي عبد الله صالح عن الحكم، والقيام بإصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية، فأعلن هذا عن:

- عزمه بعدم الترشح لانتخابات عام ٢٠١٣م.

- عدم توريث ابنه أحمد وكان يشغل منصب قائد الحرس الجمهوري والقوات الخاصة.

- تجريد مشروع التعديلات الدستورية.

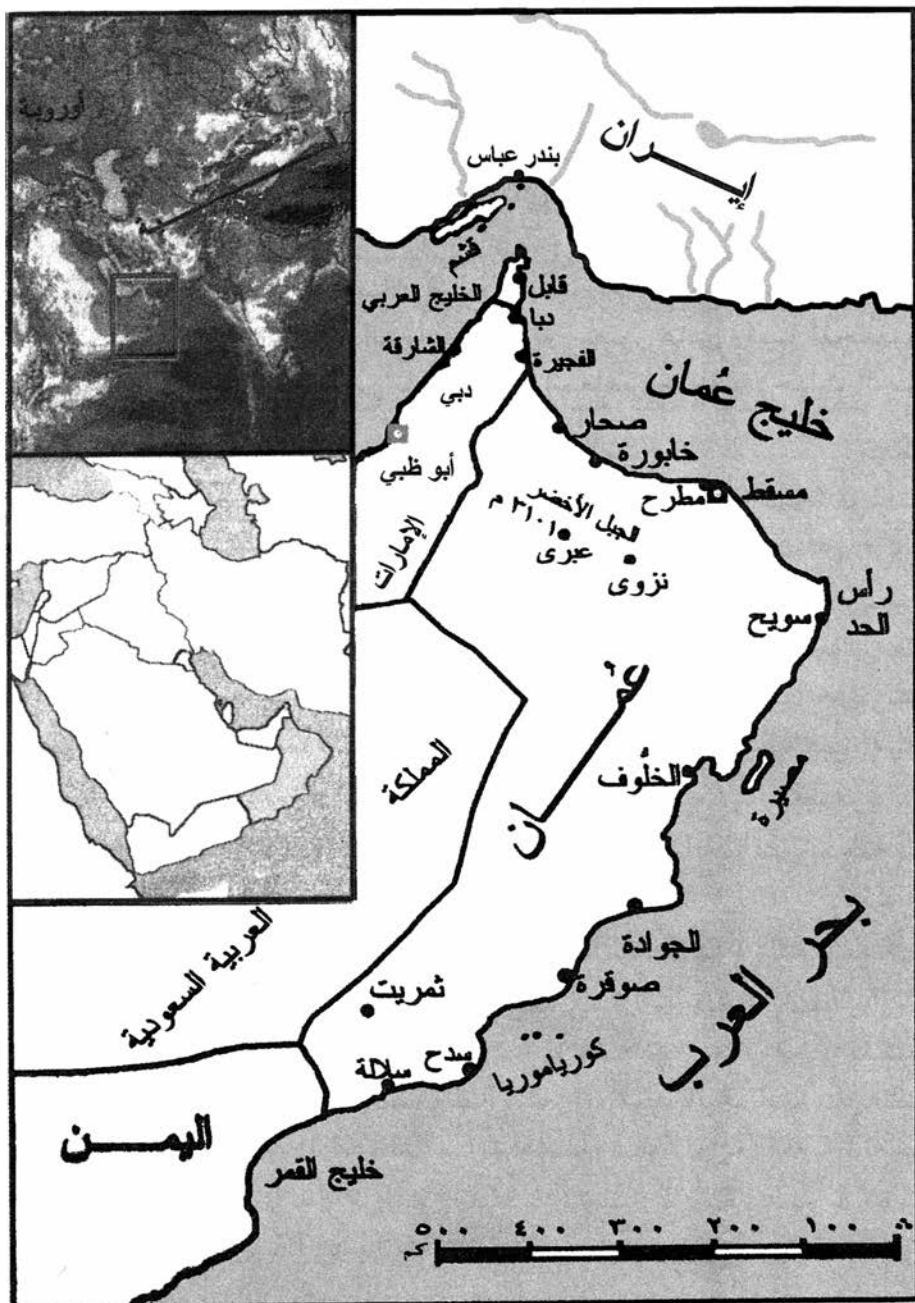
ورأى أنصار النظام أن الرئيس علي عبد الله صالح يمثل صمام الأمان لما تمرُّ به المنطقة بعامة واليمن بخاصة، من مشكلات، مثل خطر الانقسام بفعل استمرار المظاهرات المطالبة بالانفصال، وحشد النظام أنصاره في ٣ حزيران ٢٠١١م في جمعة أسماها «جمعة الأمن والأمان» وأسماها شباب المعارضة «جمعة الوفاء لتعز الصمود».

وقامت بفعل الضغوط الشديدة المتبادلة، محاولة لاغتيال الرئيس في مسجد دار الرئاسة، فأصيب بجروح وحروق، فاتهم الإعلام اليمني أنصار الشيخ صادق الأحمر شيخ قبائل حاشد بارتكاب ما أسمته بالجريمة، ونفى مدير مكتب الشيخ عبد القوي القيسي أي صلة للشيخ في محاولة الاغتيال، واتهمت صحيفة الثورة تنظيم القاعدة بتدبير محاولة الاغتيال.

واكتنف الغموض مصير الرئيس حتى فجر يوم الأحد ٥ حزيران ٢٠١١م، عندما أعلن الديوان الملكي السعودي عن وصوله إلى الأراضي السعودية لتلقي العلاج، واعتقد الكثيرون بأنه الخروج النهائي له من صنعاء، لكنه عاد إلى اليمن يوم الجمعة ٢٣ أيلول ٢٠١١م بعد اكتمال علاجه في المستشفيات السعودية، وفي ٢٢ كانون الثاني غادر اليمن إلى سلطنة عُمان، ومنها سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمتابعة العلاج، وسلّم نائبه عبد ربه منصور هادي صلاحياته الدستورية لحين انتخاب رئيس جديد للبلاد.

وانتهى حكم الرئيس علي عبد الله صالح للجمهورية اليمنية دستورياً وقانونياً يوم السبت ٢٥ شباط ٢٠١٢م، إثر انتخاب عبد ربه منصور هادي رئيساً للجمهورية اليمنية، فطويت بذلك صفحة من تاريخ اليمن المعاصر حافلة بالأحداث الجسام الداخلية والخارجية.





خريطة سلطنة عُمان. عن أطلس دول العالم الإسلامي لشوقي أبو خليل. دار الفكر - دمشق

## عُمان

### الموقع والجغرافيا

تقع سلطنة عُمان على مدخل الخليج العربي في أقصى الجنوب الشرقي للجزيرة العربية، يحيط بها البحر من ثلاث جهات، المحيط الهندي، وبحر العرب من الجنوب، والخليج العربي من الشمال، ويفصل الربع الخالي بينها وبين المملكة العربية السعودية من جهة الغرب، وتحدها الصحراء من الجهة الرابعة، ولها حدود مشتركة في الداخل لجهة الشمال الشرقي مع دولة الإمارات العربية المتحدة، وتناخم جمهورية اليمن حدود منطقة ظفار<sup>(١)</sup> في الجنوب الغربي من عُمان.

يتمتد الساحل العماني إلى مسافة ألف وسبعمائة كيلومتراً تقريباً، من مدخل الخليج العربي في الشمال عند نقطة تقع في الوسط من الشاطئ الجنوبي للجزيرة العربية.

وهناك مدلولات جغرافية وسياسية عدة لكلمة عُمان أهمها:

- تشمل عُمان القسم الكبير من الجزيرة العربية بين ساحل عُمان وبين الساحل الجنوبي الممتد من رأس الحد إلى ما يجاور جزيرة مصيرة، وهذا المدلول هو الأوسع انتشاراً.

- تشمل عُمان القسم الداخلي وحده من تلك المنطقة، وتبقي مدينتي عُمان ومسقط خارجها.

- تشمل عُمان المنطقة الممتدة من قطر إلى حضرموت<sup>(٢)</sup>.

تُقسم عُمان من الوجهة الجغرافية إلى المناطق الآتية:

مُسندَم، الحجر الغربية، عُمان الداخل، الحجر الشرقية، جعلان، صور الشاطئ جنوب شرقي مسقط، الشمال الغربي (الظاهرة)، عُمان الوسطى، المنطقة الجنوبية (ظفار) وجزر: قصيرة وكوريا موريا.

(١) هي غير ظفار اليمنية.

(٢) قاسم، جمال زكريا: دولة البوسعيد في عُمان وشرق إفريقيا من ١٧٤١ إلى ١٩٧٠م، ص ١٤.

وجزّأت بريطانيا عندما استعمرت المنطقة، عُمان إلى ثلاثة أجزاء هي:

١ - مسقط وتوابعها، سلطنة عُمان، وأهم مدنها العاصمة مسقط وتقع على خليج عُمان على مقربة من مضيق هرمز.

٢ - عُمان الداخلية، إمامة عُمان، وعاصمتها نزوى.

٣ - الساحل العُماني الذي فتّته إلى سبع كيانات سياسية، هي المشيخات التي شكّلت دولة الإمارات العربية المتحدة: أبو ظبي، دبي، الشارقة، أم القيوين، عجمان، رأس الخيمة والفجيرة.

تبلغ مساحة عُمان بين حدي مُسندَم في الشمال وظفار في الجنوب نحو ثلاثمائة وتسعة آلاف وخمسمائة كيلومتراً مربعاً، وهي البلد الثاني في الجزيرة من حيث المساحة بعد المملكة العربية السعودية، وتُشكّل بحكم موقعها مفتاحاً للخليج العربي، حيث يقع مضيق هرمز ضمن مياها الإقليمية، فتسيطر بذلك على أهم وأقدم الطرق التجارية البحرية في العالم.

تتميز عُمان بوجود سلسلة جبال الحجر التي تمتد من منطقة رؤوس الجبال في رأس مُسندَم حيث يقع مضيق هرمز إلى رأس الحد أقصى امتداد للجزيرة العربية من جنوبها الشرقي في المحيط الهندي، وذلك على شكل قوس كبير يتجه من الشمال الشرقي للبلاد إلى جنوبها الغربي، ويصل أقصى ارتفاع له ثلاثة آلاف متر، في منطقة الجبل الأخضر، وهو بمثابة العمود الفقري للبلاد، وتتخلّله وديان عديدة.

يختلف مناخ عُمان باختلاف المناطق، فهو معتدل في الشمال شديد الحرارة على السواحل، وتسقط الأمطار بمعدلات قليلة في الشتاء، كذلك تختلف التربة والإنتاج الزراعي في البلاد، من ذلك أن الجبل الأخضر يتمتع بمناخ معتدل بالمقارنة مع المناطق الأخرى، باستثناء منطقة ظفار ذات المناخ الموسمي، وهي خصبة وغنية بالمحصولات الزراعية والثروة السمكية والنفط.

غالباً ما تُحدّد الجغرافية السياسية مسار التاريخ، وأضفت طبيعة عُمان عبر تاريخها طابعاً مميزاً، فهي على درجة من التباين والتناقض بين الداخل الذي مال إلى العزلة والانكفاء الذاتي وبين الساحل الذي انفتح على العالم الخارجي بوصفه همزة وصل. وبلغ الخروج من العزلة ذروته في إنشاء امبراطورية عُمانية مترامية الأطراف في القرن الثامن عشر، وقد فرض هذا الوضع السياسي أعباء تاريخية مختلفة على الشعب.

## عُمان في العصر الحديث وحتى الاستقلال

الدولة اليعربية ١٦٢٤ - ١٧٤١م

### تمهيد

عُمان دولة قديمة أسهمت في مراحل تاريخية عديدة بنصيب حضاري فاعل، وكانت في وقت ما قوة بحرية وسياسية مؤثرة امتدت علاقاتها وصلاتها إلى الصين والولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وفرنسا.

ومثل التاريخ العُماني سلسلة متصلة الحلقات عبر عصوره التاريخية، وفي الوقت الذي تمكّنت فيه عُمان تحت حكم اليعاربة الذي بدأ في عام ١٦٢٤م من طرد البرتغاليين من السواحل العُمانية والخليج العربي والمحيط الهندي؛ فإن الدولة البوسعيدية التي قامت على يد مؤسسها الإمام أحمد بن سعيد عام ١٧٤٤م، استطاعت على مدى قرنين ونصف أن تضع عُمان في مصافّ الدول القوية والمؤثرة، باستثناء بعض مراحل الضعف التي كانت تؤدي إلى الانكفاء الذاتي بفعل الخلافات الداخلية.

### ناصر بن مرشد

يبدأ تاريخ عُمان الحديث بقيام الدولة اليعربية الإباضية<sup>(١)</sup> على يد ناصر بن مرشد

(١) الإباضية مذهب ديني يعود إلى النصف الثاني من القرن الأول الهجري، ويربط المؤرخون غالباً، بين الخوارج والإباضية، وحاول الإباضيون إبراز الفرق بينهم وبين الخوارج بإرجاع أصول حركتهم إلى ما قبل نشوء الخوارج عقب معركة صفين، إلى المدة الزمنية التي تكوّنت فيه المعارضة للخليفة عثمان بن عفان.

كان أول قائد للحركة الإباضية أبو بلال مرداس بن أدية التميمي، أحد الناجين من معركة النهروان (٦٥٨م) التي تمّ فيها تصفية الخوارج، وانضم إليه عدد من الشخصيات من بينهم عبد الله بن إياض الذي عاصر معاوية وعبد الملك بن مروان، وإليه تُنسب الحركة الإباضية، بيد أن مؤسس المذهب هو جابر بن زيد الأزدي العُماني المتوفى في عام (٧١١م).

والواقع أن هذه الحركة اكتسبت خلال مرحلة طويلة من النضال السياسي والعقائدي في عهد الدولة العباسية خبرة ونضجاً، ووصلت إلى صياغة الأسس العقائدية والفكرية والتنظيمية للحركة. انتشرت الحركة في عُمان وزنجبار في شرقي إفريقيا وتميزت بثلاثة مبادئ أساسية هي:

- تأكيدها على الاعتدال في حكمها على الأمور، ورفضت مبدأ الخروج على الإمام أو الدخول في حرب مع أي طرف آخر إلا في حال تعرضها لاعتداء، وفضّلت العمل السري والسلمي لنشر المذهب.

اليعربي في عام ١٦٢٤م، فاستعادت الإمامة بناء ذاتها، وحققت وحدة البلاد الاجتماعية بعد مرحلة طويلة من التمزق الداخلي.

وتذكر الرواية التي تؤسس لقيام تلك الدولة أن سبعين من العلماء والوجهاء عقدوا اجتماعاً في قرية قصرى في منطقة الرستاق، وانتخبوا بالإجماع ناصر بن مرشد اليعربي إماماً ويبلغ من العمر واحداً وعشرين عاماً تقريباً.

واجه ناصر بن مرشد صعوبات داخلية وخارجية، تهدد إرادة أكثر الرجال صلابة تمثلت بروح العصبية القبلية المتجذرة في المجتمع العُماني وبوجود استعمار برتغالي هدفه تفتيت وحدة البلاد والهيمنة على مقدراتها وبخاصة التجارية، فكان عليه أن يُعيد بناء الوحدة الاجتماعية، ويوطد الوحدة الوطنية، ويُحرر البلاد من النفوذ البرتغالي.

طبّق ناصر بن مرشد سياسة ثابتة وحازمة تجاه القبائل المتمردة فأخضعها، كما أخضع الممالك الصغيرة الشكلية في المقاطعات والمناطق، ثم التفت إلى ناحية الساحل فخضعت له القبائل بعد أن قضى على جيش قبائل ياس، وألغى الأعراف الإقطاعية التي كانت القبائل والإمارات العُمانية قد فرضتها، فحقّق بذلك مرحلة حاسمة من النجاح الذي سوف يُخرج البلاد من الفوضى ومن الظلمات إلى النور<sup>(١)</sup>.

وأثبت هذا الحاكم أنه من أقوى وأكفأ حكام الدولة اليعربية، فتمكّن بعد وقت قصير من السيطرة على الأمور من تحقيق الاستقرار وطرده المستعمرين الذين كانوا يسيطرون على المناطق الساحلية.

كان على العُمانيين الاعتماد على قواهم الذاتية، ذلك أن العلاقات البرتغالية - البريطانية كانت في تلك الأثناء علاقات تحالف، وكذلك البرتغالية - الصفوية في إيران، فقد كانت علاقات وثيقة.

اصطدم ناصر بن مرشد بالبرتغاليين والصفويين في جلفار في آب ١٦٣٣م فانتصر

---

= - تمسّكت بعدم القيام بالثورة ضد الحكام شرط أن يكونوا عادلين، وأن يُراعوا مبادئ الشريعة، والتزمت بإعلان إمامة الظهور لإسقاط الحكام المستبدّين وإحلال نظام الإمامة محلهم.

- أقرّت الكتمان كمرحلة مهمة للمحافظة على نقاوة المذهب وسلامة الحركة، بالإضافة إلى الشراء والظهور والدفاع وهي التي تُعرف بمسالك الدين، ورفضت احتكار قريش للسلطة ووراثية الحكم، وتستند على خمسة مصادر تشريعية هي: القرآن والسنة والإجماع والقياس والاستدلال.

(١) غباش، حسين عبيد غانم: عُمان: ص ١٠٨.

عليهما وأخرجهما من المدينة<sup>(١)</sup>، وكان ذلك أول انتصار عسكري على القوات الأجنبية، وبعد سنة سقطت صور وقريات في قبضته في حين ظلت صحار ومسقط خاضعتين للقوات البرتغالية، ودخلت قواته في حروب متقطعة في عام ١٦٤٣م، عجزت خلالها عن اختراق التحصينات البرتغالية المحيطة بمسقط، وكان البرتغاليون قد بنوا فيها قلعتين كبيرتين هما الميداني والجلالي المشهورتين<sup>(٢)</sup>.

وقاد كل من مسعود بن رمضان وخميس بن سعيد حملة عسكرية هاجمت مسقط وحاصرتها من ١٦ آب حتى ١١ أيلول ١٦٤٨م، فاضطر البرتغاليون إلى قبول الشروط التي حددها الإمام وهي خمسة بنود، ينص إحداها على إلغاء القانون المتعلق بالضريبة المفروضة على العُمانيين من قِبَل البرتغاليين، فكان هذا أول اتفاق فرضته قوة وطنية على مستعمرين، كما كان نصراً سياسياً للعُمانيين بقدر ما كان نصراً معنوياً. لكن البرتغاليين لم يأسوا، وقد أدركوا أن سقوط مسقط يعني فقدانهم لمواقعهم نهائياً، في منطقة الخليج العربي، فالتمسوا المساعدة من قواتهم المعسكرة في الهند، وتوفي ناصر بن مرشد في هذه الأثناء في نيسان ١٦٤٩م<sup>(٣)</sup>.

## سلطان بن سيف

عقد العلماء يوم وفاة ناصر بن مرشد مجلساً عاماً لانتخاب إمام جديد وفقاً للإجراءات التقليدية، فأجمعوا على سلطان بن سيف ابن عم الإمام المتوفي وأحد قاداته العسكريين وكان قد شارك في بناء الدولة اليعربية، اشتهر بالحكمة والإرادة الصلبة، وكان عهده امتداداً لعهد ناصر.

كان سلطان مدركاً لمسؤولياته ولقدرات العُمانيين على إنجازها وقد واجه قوة البرتغاليين بصلافة عندما انتهزوا فرصة وفاة ناصر ونقضوا الاتفاق المعقود مع الإمامة، وبخاصة لجهة الضرائب، فأعلن سلطان الحرب عليهم، وقاد بنفسه العمليات العسكرية التي أسفرت عن طردهم من القلعتين المشهورتين في ٢٣ كانون الأول ١٦٥٠م، وحرّر في أقل من عام من بداية عهده كامل عُمان، وأنهى بناء الدولة العُمانية.

فاستعادت عُمان بفضل جهوده موقعها كأقوى دولة بحرية في المحيط الهندي،

(١) ابن قيصر، عبد الله خلفان: سيرة الإمام ناصر بن مرشد: ص ٧، ١٧.

(٢) قاسم، جمال زكريا: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر: ج ١ ص ٩٨.

(٣) السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان: ج ٢ ص ١٧.

وبسطت سلطتها على الخليج العربي وشرقي إفريقيا، وطارد البرتغاليين خارج حدود عُمان، وحرّر جزر كلوة وباتا وزنجبار ومومباسا، وعيّن عليها حكاماً عُمانيين لإدارة شؤونها، فغدت كل هذه المنطقة جزءاً من الدولة العُمانية.

وهاجم العُمانيون في عام ١٦٧٠م منطقة ديو القاعدة البرتغالية في الهند، ومستعمرة بيسان في عام ١٦٧٤م، وتديلاً على هذا الانتصار بنى الإمام قلعة نزوى المشهورة وقد مَوَّلَ بناءها من الغنائم التي كسبتها القوات العُمانية من معركة ديو، وتعدُّ هذه القلعة التي استمر بناؤها اثني عشر عاماً إحدى معالم تاريخ عُمان الوطنية.

وشهدت عُمان في عهد سلطان نهضة اقتصادية واجتماعية وسياسية، ونشطت التجارة بفضل الأسطول البحري، وعادت مسقط التي حلّت محل هرمز أهم موقع ميناء تجاري لعبور البضائع إلى مناطق الخليج العربي كافة، كما عرفت عُمان نهضة تربية وثقافية.

## بلعرب بن سلطان

توفي سلطان بن سيف عام ١٦٨٨م، فانتُخب ابنه بلعرب بالإجماع، الذي اشتهر بسخائه فلُقِّب بأبي العرب، وقد أسهم في المنجزات التي حقّقها سلفاه، ويعود إليه الفضل في خلق مؤسسات للتعليم الرسمي قدّم فيها التسهيلات للطلاب كافة.

لكن بلعرب، على الرغم من شرعية انتخابه، وكفاءته، كان مؤشراً لبداية تغيير طبيعة الإمامة في العصر الحديث التي تحوّلت إلى أسرية، وكانت تلك سابقة وبداية لتقليد جديد في الثقافة السياسية، العُمانية الإباضية، وفتح الطريق أمام الطامعين بالسلطة.

## نهاية الدولة اليعربية<sup>(١)</sup>

أثبتت تعاقب الانتخابات اللاحقة أن ثغرة قد فُتحت في التقاليد الإباضية، فقد توالى على الحكم سبعة أئمة ينتمون إلى الأسرة نفسها، لكن الأواخر منهم لم يتمتعوا بشرعية كاملة، فأعيد انتخاب سيف بن سلطان الأول ثلاث مرات (١٧١٨ و١٧٢٢ و١٧٢٨م) على الرغم من رفض علماء الإباضية ذلك، وعدُّوا بيعته اغتصاباً، ولكنهم أذعنوا خوفاً من بطشه، ونتيجة لذلك أُفرغ المنصب من محتواه

(١) انظر حول سقوط الدولة اليعربية: غباش: ص ١١٧ - ١٢٥.

الانتخابي، ولم يعد ممارسة ديمقراطية فعلية، كما لم يعد أكثر من شكلية احتفالية يقيمها رؤساء القبائل لفرض مرشحهم، وكان على العُمانيين أن يُطيعوا تحت طائلة إثارة حرب أهلية، وتقع على عاتق سيف مسؤولية إنهاء التجربة اليعربية بفعل التماس المساعدة من الصفويين في إيران لتوطيد إمامته.

وما إن حدث الخرق السلالي لمبدأ السيادة الانتخابية حتى ظهر نوع آخر من النزاع تمثّل بتحدي سيف بن سلطان أخاه بلعرب، وخاض الاثنان حرباً دامية إلى أن توفي بلعرب بعد سبعة أعوام من الحكم، وكسب سيف مبايعة عدد من القبائل على الرغم من رفض علماء الحركة الإباضية كما ذكرنا.

توفي سيف بن سلطان في ١٦ تشرين الأول ١٧١١م، فانتُخب ابنه سلطان بن سيف الثاني إماماً وعُرف عنه قوة شخصيته، لكنه كان محباً لجمع الثروة والتبذير، فأنفق الثروة التي تركها والده، واستدان من أموال المساجد والأوقاف، ونجح العُمانيون خلال عهده من تحرير البحرين من الصفويين، وسيطر العُمانيون على بعض المواقع على الساحل الشرقي للخليج العربي مثل قشم ولارك وهرمز، فتمَّ بذلك إرساء السيطرة العُمانية على منطقة الخليج العربي والتي سوف تستمر حتى القرن التاسع عشر.

دخلت عُمان بعد وفاة سلطان بن سيف الثاني مرحلة جديدة من الصراع على السلطة، ذلك أن سلطان بن سيف ترك أبناء عدة أكبرهم سيف في الثانية عشرة من عمره، فانقسمت القبائل بين مؤيد ومعارض له، إضافة إلى العلماء، فنشبت الحرب الأهلية بين القبائل العُمانية (١٧١٨ - ١٧٣٧م) وقد قضت على نظام الإمامة التي سقطت كمؤسسة، والتفَّ العُمانيون حول قبائلهم التي راحت تؤدي دوراً سياسياً متنامياً على حساب الإمامة والوحدة الاجتماعية والسلام الداخلي.

ولوضع حد للفوضى والاضطراب والانقسام الداخلي، وإنقاذ عُمان من التردّي، اتفق العلماء على ترشيح شخصية من خارج الأسرة اليعربية، فانتخب محمد بن ناصر الغافري إماماً في عام ١٧٢٤م، فتمكَّن من فرض نفسه على القبائل الثائرة عليه، لكنه خرَّ صريعاً في إحدى المعارك في صحار عام ١٧٢٨م، فأعيد انتخاب سيف بن سلطان، لكن إمامته لم تدم طويلاً، فعزله العلماء بسبب حياته الخاصة وأنيطت الإمامة ببعرب بن بلعرب، لكن سيفاً ومناصريه التمسوا المساعدة من نادرشاه في إيران، فأسرع هذا وأنزل قواته في منطقة خورفكان، وتسَلَّلت إلى المدن الساحلية حتى نزوى<sup>(١)</sup>.

(١) العقاد، صلاح: التيارات السياسية في الخليج العربي: ص ٤٨.



ويبدو أن هذا الغزو كان عاملاً توحد، فقد وضع العُثمانيون خلافاتهم جانباً وتصدوا للغزو الإيراني، فحرّروا معظم المناطق باستثناء صحار التي كان يحكمها سعيد البوسعيدي<sup>(١)</sup>، ولإصلاح الوضع الداخلي، التفت بعض القبائل وجماعة من العلماء حول سلطان بن مرشد اليعربي وعهدوا إليه بالإمامة في عام ١٧٣٨م، فحقق وحدة البلاد بعد أن قضى على معارضة الإمام السابق سيف بن سلطان وحلفائه الإيرانيين، وتوفي في عام ١٧٤٠م، فانهى بوفاته عهد الدولة اليعربية، كما توفي سيف بن سلطان بعد أن التجأ إلى الرستاق.

## دولة البوسعيد أحمد بن سعيد

### اعتلاؤه السلطة

انتهى نظام الإمامة الإباضية مع سقوط الدولة اليعربية، خلال الحرب الأهلية (١٧٢٨ - ١٧٣٧م)، وبدأ نظام السلطنة مع تولي الإمام أحمد بن سعيد مقاليد الحكم في عُمان عام ١٧٤١م، إلا أن الحركة الإباضية استمرت في إضفاء طابعها في تاريخ المنطقة الداخلية من عُمان، وظلّت الثقافة الإباضية سائدة في البلاد كلها. دخل أحمد بن سعيد المعترك السياسي عقب تعيينه والياً على صحار في عهد سيف بن سلطان الثاني اليعربي، وارتبط اسمه بتحرير عُمان من السيطرة الإيرانية، وبإسهامه في المقاومة الوطنية في منطقة صحار، وبرز كرجل دولة قادر على إخراج عُمان من حال الحرب الأهلية، وإعادتها إلى مكانتها على الساحة الآسيوية والإفريقية والبحرية.

واجه أحمد بن سعيد عند اعتلائه السلطة بعض الصعوبات، فقد كان عليه تثبيت أقدامه في الحكم، فدخل من أجل ذلك في صراع عنيف مع بلعرب بن حمير في الرستاق، ومن المحتمل أن يكون هذا قد ترشّح مجدداً بعد وفاة سيف بن سلطان بدعم من القواسم في الساحل العُماني، وتواجه الرجلان عسكرياً، فانتصر أحمد بن سعيد وقتل بلعرب في المعركة<sup>(٢)</sup>، ونتيجة لذلك التفت القبائل حوله وبايعته بالإمامة في الرستاق، ويبدو أن هذه البيعة كانت مدبرة<sup>(٣)</sup>، اعترض عليها

(١) العقاد: ص ٤٩.

(٢) عبد الله، محمود مرسي: إمارات الساحل وعُمان والدولة السعودية الأولى: ج ١ ص ٩١ - ٩٣.

(٣) لوريمر، جون غوردون: دليل الخليج: ج ٢ ص ٦٤١.

بعض العلماء لأنها تَمَّت من دون استشارتهم، فالرجلان اللذان عقداها، وهما: حبيب بن سالم البوسعيدي وابن عُريق، لا يمثلان مرجعية دينية، ولا تُلزم بيعتهما العلماء، لا سيما وأنها عُقدت بعد فتنة<sup>(١)</sup>.

ويدل اعتراض بعض القبائل الغافرية لاحقاً بزعامة محمد بن ناصر أن أحمد بن سعيد وصل إلى السلطة بفضل مبايعة الهناويين الذين ينتمون إلى قبيلة البوسعيدي<sup>(٢)</sup>، ويبدو أن فضله في تحرير عُمان كان السبب الذي حصل من أجله على البيعة بالإمامة<sup>(٣)</sup>.

ومهما يكن من أمر، فمن الثابت أن أحمد بن سعيد لم يحصل على الإجماع المطلوب، إلا أن وضعه عدَّ حالاً خاصة، فقد استفاد بفضل صفته كرجل دولة، من رصيده السياسي الوطني للوصول إلى السلطة، فأخضع بذلك التقاليد والأعراف، للسياسة، كما أن طموحه كان يدفعه إلى أن يكون قائداً سياسياً، أكثر منه قائداً روحياً<sup>(٤)</sup>.

### سياسته الداخلية

عُرف عن أحمد بن سعيد مقدرته الفائقة على الحكم والإدارة، فقد قام بإصلاحات عدة منها وضع القوانين لإدارة جهاز الحكومة، واهتم بإرساء النظم الاقتصادية والقضائية، ويرجع إليه الفضل في إنشاء جيش نظامي دائم أشرف بنفسه على إعداده وتنظيمه، وعلى الرغم من توجهه لمركزية السلطة إلا أن الظروف اضطرته أن يحكم بشكل لا مركزي، فقد ترك اليعاربة وبعض الغافريين يمارسون نفوذهم على بعض الأقاليم العُمانية نظراً لمساندتهم له أثناء محاولاته اعتلاء السلطة، وترك لأبنائه إدارة أقاليم الدولة، ومنحهم لقب «السيد»، وهو أول من ابتدع هذا اللقب من أسرة البوسعيد.

لعل ما يؤخذ على أحمد بن سعيد أنه أشرك أبناءه معه في الحكم، حيث كانت العواقب وخيمة في حياته بفعل تنافسهم على النفوذ وخروجهم عليه، واضطر أن يتفاهم مع ابنه سيف وسلطان، فمنح الأول قلعة مسقط الشرقية، وعين الثاني على القلعة الغربية، ويبدو أنهما لم يفتنعا بهذه القسمة فاستمرا في خروجهما عليه، ما أثار الاضطراب في البلاد.

(٢) لوريمر: ج٢ ص ٦٤٤.

(١) السالمي: ج٢ ص ١٣٧.

(٣) العقاد: ص ٥٠.

(٤) غباش: ص ١٣٠. قاسم، دولة البوسعيد في عُمان وشرق إفريقيا: ص ٦٢ - ٦٤.

استغلت القبائل المتنافسة ما حصل من اضطراب لتحظى بقدر أكبر من النفوذ، ما شكّل خطراً على الدولة الناشئة، وبذلك ورثت أسرة البوسعيد عن اليعاربة ذلك النزاع الأسري الذي سيتوضح بشكل أسوأ في عهد خلفائه.

## أحمد بن سعيد في شرقي إفريقيا

تشمل منطقة إفريقيا الشرقية مجموعة جزر ومدن ساحلية أهمها: زنجبار، مومباسا، بمبا، كلوة، ويبلغ طول هذا الساحل ألف وخمسمائة كيلو متر تقريباً، وعُرف باسم منطقة زنجبار.

يعود تاريخ الوجود العربي وبخاصة العُماني في تلك المنطقة إلى القرن التاسع الميلادي، وتوصل العُمانيون إلى إقامة إمارات عربية عدة فيها، واهتمت الدولة العُمانية اليعربية التي ارتبطت أصولها بالجماعات العربية - الإسلامية الفاطنية في شرقي إفريقيا، بهذه المنطقة بعد تحريرها من الاستعمار البرتغالي في بداية القرن السابع عشر، وكان يُنظر إلى الساحل الإفريقي على أنه المركز الثاني في الأهمية الاقتصادية للقوة العُمانية، وكامتداد لعمان.

وكان أحمد بن سعيد قد واجه في ممتلكاته الإفريقية بعض الحركات الانفصالية، وقُدّر لمومباسا أن تتزعمها على أثر نجاح محمد بن عثمان المزروععي في تأسيس الأسرة المزروععية في عام ١٨٣٩م، وكان سقوط اليعاربة فرصة استغلها المزروععي لكي يُعلن استقلاله عن التبعية العُمانية، وإذا كان قد لقي مقاومة شديدة في كل من مومباسا وبات، فإنه لقي أيضاً تأييداً وولاء فعلياً من بعضها (زنجبار، مركة) أو خضوعاً إسمياً من بعضها الآخر (كلوة).

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها لمواجهة التحالف الذي شكّله مومباسا من المقاطعات الثائرة ضد عُمان، مثل مقديشو وبراو وغيهرما، إلا أنه لم يكن على استعداد لكي يتمادى في بذل جهد أكثر من ذلك بفعل أن حكمه في عُمان لم يكن قد توّظّد بعد، فكان عليه أن يقضي على الحركات الانفصالية داخل عُمان نفسها، فضلاً عن العلاقات العدائية التي قامت بينه وبين كريم خان الزندي حاكم إيران، وما أدّت إليه من اللجوء إلى القوة العسكرية، بالإضافة إلى وقوع بلاده في حلبة الصراع البريطاني - الفرنسي؛ وكلها أمور تستدعي تفرغه لمعالجتها.

## علاقاته الخارجية

العلاقة مع إيران: تنوّعت علاقات أحمد بن سعيد الإقليمية والأوروبية الخارجية، فعقب النجاح الذي حقّقه بطرد الإيرانيين من عُمان، واغتيال نادرشاه في عام ١٧٤٧م

ضعفت إيران، فتوقف أحمد بن سعيد عن دفع الأموال التي كان يُرسلها سنوياً إليها، فتخلص بذلك من آخر مظاهر التبعية العُمانية لإيران، والمعروف أن هذه الأموال قد فرضتها إيران عقب خروجها من البلاد في أيام الدولة اليعربية، على أن وصول كريم خان الزندي إلى السلطة في إيران عام ١٧٥٦م، أدى إلى بعث الصراع العُماني - الإيراني من جديد، وقد حاول حاكم إيران أن يعيد للبحرية الإيرانية بعض ما كان لها من قوة في عهد نادرشاه، ومن ثم أخذ يوجه جهوده صوب سواحل الخليج بعامة والسواحل العُمانية، بخاصة، بهدف استعادة ما كان لإيران من نفوذ، وإجبار عُمان على استئناف دفع الأموال لإيران، فكان طبيعياً أن يرفض أحمد بن سعيد، بعد بناء القوة العُمانية الإذعان لمطالب كريم خان، ما أدى إلى بعض الاشتباكات البحرية بين الدولتين نتج عنها استيلاء القوات الإيرانية على بعض القطع البحرية العُمانية، وفرض القوات العُمانية الحصار على ميناء بوشهر.

وتعرّض كريم خان في هذه الأثناء لمشكلات داخلية صرفته عن الاهتمام بأمر الخليج، فعهد إلى حاكم بوشهر الشيخ نصر آل مدكور بمواصلة الحرب أو عقد الصلح مع أحمد بن سعيد، لكن جهود الصلح فشلت عندما أصرَّ الشيخ نصر على ضرورة استمرار عُمان في دفع الأموال لإيران، وعدَّ أحمد بن سعيد أن ذلك لا يتماشى مع التطور الذي حصل في عُمان، فرفض دفع الأموال، وترتّب على ذلك أن توترت العلاقات بين الطرفين.

وما إن جرت استعادة النفوذ العُماني في منطقة الخليج حتى طلب السلطان العثماني مصطفى الثالث من عُمان التحالف معه في نزاعه مع إيران، وكان كريم خان قد فرض حصاراً على البصرة في عام ١٧٥٦م، فأرسل أحمد بن سعيد أسطولاً من عشرة سفن تحمل عشرة آلاف مقاتل، فأغلق الإيرانيون الميناء بسلسلة من الحديد كي يمنعوا السفن من الدخول إليه، غير أن السفن العُمانية تمكّنت من تحطيم السلسلة، ودخلت الميناء وأجبرت القوات الإيرانية على فك الحصار عن البصرة. أشاد السلطان مصطفى الثالث بالمساعدة العُمانية، وأصدر فرماناً يقضي بدفع مساعدة مالية شهرية لإمام عُمان<sup>(١)</sup>.

أثار موقف أحمد بن سعيد العدائي، كريم خان، فجدد هجومه على البصرة في عام ١٧٧٦م، وحاصر صادق خان قائد الحملة المدينة ودخلها، واضطر الإمام أن يتراجع بأسطوله إلى مسقط، وبقيت البصرة تحت السيطرة الإيرانية قرابة ثلاث سنوات (١٧٧٦ - ١٧٧٩م) وحاول كريم خان السيطرة على مسقط، غير الظروف

(١) ابن زريق، حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان: ج٢ ص ٣٧٠ - ٣٧١.

السياسية في إيران لم تساعده، فقد اغتيل في عام ١٧٧٩م، ودخلت إيران في نزاعات أسرية حول العرش، فتراجعت قوتها، ما أتاح لعمان أن تتبوأ مكان الصدارة على السواحل الشرقية للخليج العربي، وهكذا أحرز العُمانيون نصراً جديداً على إيران، ووطدوا علاقاتهم مع الدولة العثمانية.

**العلاقة مع القواسم:** عاصر قيام دولة البوسعيد انفصال القواسم عن الوحدة مع عُمان، والمعروف أن دولة اليعاربة استطاعت أن تجمع القبائل العربية في ساحل عُمان الشمالي تحت رايتها بهدف القضاء على النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، وتحقيق وحدة عُمان، إلا أن هذه الدولة لم تلبث أن تعرّضت للتمزق الداخلي في أواخر أيامها، وبدا النزاع واضحاً بين قبائلها الهناوية والغافرية، وعندما قامت دولة البوسعيد على أكتاف القبائل الهناوية، أخذت القبائل الغافرية المعارضة تتجمع في المناطق الشمالية ذات الأصول العدنانية، ما كان سبباً في قيام الاتحاد القواسمي وانفصاله عن التجمع العُماني، وعلى الرغم من أن أحمد بن سعيد تعاون مع القواسم عندما كان والياً على صحار، إلا أنه لم يلبث بعد أن عُقدت له الإمامة، وحرّر عُمان من النفوذ الإيراني؛ أن أخذ يعتمد بشكل واضح على الكتلة الهناوية، ومن ثم وقف الغافريون ومن بينهم القواسم موقف المعارضة ضد حكمه، ما أثار نزاعاً بينه وبينهم، فأعلن زعيم القواسم الشيخ رحمة بن مطر القاسمي استقلاله عن عُمان في عام ١٧١٧م، وانفرد بحكم المناطق التي آلت إليه في الساحل العُماني، واضطر أحمد بن سعيد أن يعترف بحكمه في تلك المناطق عقب سلسلة من المعارك التي دارت بين الطرفين<sup>(١)</sup>.

ترتّب على نشاط القواسم في الخليج العربي، دخولهم في علاقات تحالف مع أحمد بن سعيد وقد جمعتهما مصلحة مشتركة، تتمثل بإضعاف إيران وبسط النفوذ العربي على الخليج؛ ونجاح قوى التحالف في السيطرة على ميناء بندر عباس وتحطيم سفن إيرانية عدة بالإضافة إلى مستودع عسكري كانت إيران قد أنشأته في ميناء لنجة.

غير أن هذا التحالف لم يستمر مدة طويلة، فانفصمت عراه في عام ١٧٧٥م عندما حاول الشيخ راشد فرض سيطرته على ساحل الباطنة والاستيلاء على بعض الموانئ العُمانية، وبخاصة ميناء شيناص، فأضحت القوات القواسمية تُهدّد عُمان في عقر دارها، في الوقت الذي كان أحمد بن سعيد يعاني من نزاعات داخلية، واستمرت الأوضاع مضطربة حتى تدخل البريطانيون الذين توافقت مصالحهم مع مصلحة إمام

(١) قاسم: ص ٦٧.

عُمان في ضرب قوة القواسم البحرية، ونجح الطرفان في إحكام سيطرتهما على القواسم وعلى غيرهم من قبائل الساحل<sup>(١)</sup>.

**العلاقة مع سلطنة ميسور:** امتدت علاقات أحمد بن سعيد إلى سلطنة ميسور في الهند، وقد اتخذت مظهراً تجارياً من واقع تصدير السلطنة الأرز إلى عُمان، وتوطدت علاقات الصداقة بين أحمد بن سعيد وتيبو حاكم ميسور بالنيابة عن والده حيدر علي، وخصم البريطانيين.

وحدث أن انقطع إرسال الأرز إلى عُمان، فأرسل أحمد بن سعيد سفينته المشهورة الرحماني ليستفسر عن ذلك، فعلم بأن القراصنة في ساحل مليبار كانوا وراء هذا الحادث، فأرسل حملة تأديبية إلى سواحلها وساحل مانجولور، ما أدى إلى ارتياح حاكم ميسور، فأرسل مبعوثاً إلى عُمان لكي يؤكد متانة العلاقة بين الطرفين ويعقد معاهدة مع الإمام نصّت على إنشاء وكالة تجارية لميسور في ميناء مسقط يقيم فيها مبعوث سياسي، وقد سميت «بيت النواب»، واستمر الوضع على هذا الشكل حتى سقوط سلطنة ميسور في أيدي البريطانيين ومقتل تيبو في عام ١٧٩٩م.

**العلاقة مع التوابع في شرقي إفريقيا:** ما كاد أحمد بن سعيد يُثبّت حكمه في عُمان حتى وجّه اهتمامه إلى الجانب الإفريقي من ممتلكاته، علماً بأن حكام المقاطعات الشرقية لإفريقيا قد استقلوا عن الإدارة المركزية في مسقط التي لم تكن تمارس إلا قدراً واهياً من السلطة والنفوذ، وتوقفت مومباسة عن دفع الأموال المقررة عليها للإدارة المركزية، وتزعمت الحركات الانفصالية في الساحل الشرقي لإفريقيا في أواخر عهد الدولة اليعربية. وعندما اعتلى أحمد بن سعيد سدة الحكم في مسقط أعلن ولاية إفريقيا ولاههم له، باستثناء أسرة المزارعة في مومباسة بزعامة محمد بن عثمان.

أدرك أحمد بن سعيد مدى الأثر السلبي الذي يُشكّله انفصال الإمارات الشرقية على وضع الدولة العام نظراً لما بين الإقليمين الآسيوي والإفريقي من روابط اقتصادية وصلات وثيقة، فنهض لإخضاعها وتأكيد نفوذه وسيطرته المباشرة عليها، فأرسل من قتل محمد بن عثمان وأعوانه في مومباسة<sup>(٢)</sup>.

وظل الوضع في مومباسة غامضاً في ظل عجز أحمد بن سعيد عن تحقيق نجاح في السيطرة على الشطر الإفريقي من ممتلكاته حتى مجيء السلطان سعيد بن سلطان في عام ١٨٠٦م.

(١) قاسم: ص ٦٨ - ٦٩.

(٢) Guillain, C: Documents sur L'Histoire La Geographie et la Commerce de L'Afrique Orientale I pp 543 - 544.

**العلاقة مع الأوروبيين:** كانت أجواء التبعية الاستعمارية تنزع إلى التراجع مع استعادة سلطة الحكم في عُمان، فعلى الرغم من توجهات أحمد بن سعيد السياسية المعتدلة، لم تقم علاقات رسمية أو خاصة مع بريطانيا، بل إن الإمام أحمد رفض طلب شركة الهند الشرقية البريطانية إقامة مركز لها في مسقط، وعدَّ الإباضيون موقفه من السيطرة البريطانية، إحدى مزاياه، لكنه لعب بالورقة الفرنسية لا سيما في علاقاته مع جزيرة موريشيوس وجزيرة الريونيون الفرنسيتين ومع تيبو خصم بريطانيا.

### تقويم عهد أحمد بن سعيد

بغض النظر عن أساليب حكمه، يعود الفضل لأحمد بن سعيد في إنهاء الحرب الأهلية وإخراج عُمان من أزمتها، وقد نجح في تطوير إدارة البلاد، وبنى أسطولاً بحرياً وتجارياً، ووطد موقع دولته كقوة إقليمية في المحيط الهندي والخليج العربي، وأعاد تثبيت سلطة عُمان نسبياً، على الممتلكات العُمانية في منطقة شرقي إفريقيا التي كانت خاضعة للدولة اليعربية قبل الحرب الأهلية.

وشهد عهده الطويل (٣٩ سنة) تحولات وتوجهات جديدة في المجتمع العُمانى، فقد خلق رؤية جديدة لنظام سياسي متطور، وأسهم في إرساء هوية سياسية وطنية وثقافية جديدة، وشكّل عهده مرحلة انتقالية من نظام الإمامة إلى نظام السلطنة ذات الطابع الجديد، والذي سيتبلور في عهد خلفائه، وسجّل مجيئه إلى الحكم بداية تغيير في بنية السلطة، فابتعدت عن النموذج التقليدي للإمامة، ولم يعد يستند على العلماء وحدهم، وأحاط نفسه بالأقارب والأبناء، للمشورة وإدارة شؤون الإمامة، كما عيّن الولاة والقضاة من دون العودة إلى العلماء أو الحصول على موافقتهم، وتعرّضت الأعراف والتقاليد في عهده إلى بعض التغيير.

وضعف على خطّ موازٍ نفوذ العلماء الإباضيين، وتراجع على مستوى القرار السياسي والسلطة، فوجدت الحركة الإباضية نفسها معزولة عن الواقع السياسي، الأمر الذي أثار في تاريخ عُمان الحديث، ولكن ظل نفوذ الحركة الإباضية منتشرًا داخل البلاد بين عامة الشعب.

وتكوّنت خلال مرحلة السلام والاستقرار النسبي التي شهدتها عُمان طبقة تجارية واسعة النفوذ ساهمت في الانتعاش الاقتصادي والتجاري، وبقي التطور القبلي محدوداً.

توفي أحمد بن سعيد في عام ١٧٨٣م بعد حياة حافلة بالنشاط السياسي قضاها في توطيد سلطة دعائم الحكم لأسرته.

## الوضع السياسي في عُمان عقب وفاة أحمد بن سعيد

تغيّر الوضع السياسي في عُمان عقب وفاة أحمد بن سعيد، إذ دخلت البلاد في صراع أسري على السلطة، وظهرت ثقافة سياسية وطنية، متباينة بين النظامين: نظام الإمامة ونظام السادة الذي سيُعرف فيما بعد باسم السلطنة<sup>(١)</sup>، فقد انتُخب ابنه الرابع سعيد إماماً في عام ١٧٨٩م وكان أخوه الأكبر هلال قد أُصيب بمرض في عينيه كاد يُفقد البصر، الأمر الذي اضطره للذهاب إلى كوجرات في الهند للعلاج، وما لبث أن توفي هناك.

أما أخويه سلطان وسيف فلم يكونا مقبولين من المجتمع العُماني نتيجة تحديهما لوالدهما.

تميز حكم سعيد بالضعف بفعل عوامل عدة أهمها:

- ضعف شخصيته، فلم يكن على مستوى رجل دولة، ولم يُقدّر المسؤوليات الملقاة على عاتقه، وانزوى في عاصمته الدينية نزوى أو الرستاق غير مبالي بالتطورات التي كانت عُمان تجتازها.

- التفكك الداخلي الذي نجم عن:

١ - إقدامه على إقطاع بعض الأقاليم لأفراد من أسرته، فقد عيّن ابنه حمد حاكماً على منطقة الساحل ومنحه سلطات واسعة، وسرعان ما أضحي صاحب السلطة الفعلية، ونقل عاصمته إلى مسقط، والمعروف أن حمد كان يتمتع بشخصية قوية وأبدى طموحاً لاعتلاء السلطة.

٢ - ثورة أخويه قيس وسلطان ضده في عام ١٧٩٢م<sup>(٢)</sup>.

- طبيعة البلاد الجغرافية التي قسّمتها إلى منطقتين متميزتين، هما المنطقة الداخلية وعاصمتها الرستاق، وهي مهد الحركة الإباضية، والمنطقة الساحلية وتشمل صور وصحار وجعلان ومسقط ومطرح وساحل الباطنة، وعاصمتها مسقط، فمضى الساحل في الانفتاح على الخارج بشروط الدول الاستعمارية، وراح يُوفّق بين مصالحها ومصالحه الوطنية، في حين عانى الداخل من العزلة، محافظاً على قيمه الدينية، ويبدو أن البريطانيين أدّوا دوراً في تكريس الانفصال عبر شركة الهند الشرقية البريطانية، فنقل العاصمة إلى مسقط جاء بناءً على اقتراح التاجر الهندي رام شاندر رادجي وكيل شركة الهند الشرقية في مسقط<sup>(٣)</sup>.

# مكتبة

t.me/soramnqraa

(١) غبّاش: ص ١٣٥.

(٢) السالمي: ج ٢ ص ١٦٧، ١٦٨.

(٣) Bondarevsky, G: Hegemonists and Imperialists in Persian Gulf: p59.



كُرِّست هذه العوامل انفصال النظامين الديني والسياسي، وعرَّضت العاصمة الجديدة مسقط والبلاد كلها للنفوذ السياسي والعسكري والثقافي الأجنبي البريطاني بخاصة.

انتهج سعيد سياسة دنيوية لم يألفها الإباضيون المتمسكون بتقاليد الإمامة، فخرجوا عليه، ونادوا بخلعه وعقد البيعة لمن يُجمع الناس عليه ما أدى إلى تهافت الطامعين، واندلعت الاضطرابات نتيجة ذلك ودخلت البلاد في مرحلة الصراع على السلطة.

بدأ التنافس على السلطة بخروج حمد على أبيه سعيد ونجاحه في السيطرة على مسقط بقلعتيها الشرقية والغربية، وبعد أن تَبَّت أقدامه في الحكم أخذ يتطلع إلى ممارسة السلطة فيها من دون العودة إلى أبيه، وحرص على التفاهم مع الغافرين من أجل تدعيم حكمه؛ على الرغم من أنه انتزع قلعة الحزم من حلفائهم اليعاربة<sup>(١)</sup>. نقل حمد العاصمة من نزوى إلى مسقط، فأضحى لعمان عاصمتان، نزوى العاصمة التقليدية والمركز الديني والروحي للداخل، ومسقط العاصمة التجارية والسياسية لمنطقة الساحل.

وثار سلطان بن أحمد على حكم ابن أخيه حمد، فانتهاز فرصة ذهابه إلى الشرق الإفريقي لتفقد ممتلكاته هناك، وقام بتحريك القبائل المناوئة له بهدف خلعه عن الحكم، غير أن الصلح تمَّ بينهما بعد عودة سعيد إلى مسقط، وظل حمد مسيطراً على منطقة الساحل حتى وفاته في عام ١٧٩٣م.

وحاول سعيد أن يستعيد سلطته على المنطقة بعد وفاة ابنه، فسيطر على مسقط وما يجاورها، لكنه لم يستطع أن يحتفظ بها مدة طويلة بفعل خروج أخويه قيس وسلطان عليه، وانزوائه في الرستاق وعدم إدراكه لأهمية التحرك الخارجي، بالإضافة إلى ما اتصف به من الدعة والخمول، ما أتاح الفرصة لأخيه سلطان بشخصيته القوية انتزاع مسقط والمناطق المجاورة لها على الساحل وإخضاعها لسيطرته، ثم أضحى الحاكم الفعلي لعمان كلها، إذ لم يكن لسعيد سوى سلطة واهية في الداخل، فضلاً عن عدم اعتراف معظم الإباضيين بشرعية إمامته.

وما جرى من لقاء بين الورثة، الأخوة والأبناء في ميناء بركا الصغير؛ تمَّ الاتفاق على تقسيم عُمان إلى ثلاث مناطق هي: الرستاق التي بقيت تحت حكم سعيد، ومسقط تحت حكم سلطان، ومنطقة صحار القريبة من مضيق هرمز تحت حكم قيس<sup>(٢)</sup>.

(٢) غَبَّاش: ص ١٣٨.

(١) قاسم: ص ٧٩ - ٨٠.

لم يمثل هذا الاتفاق بداية تاريخ سياسي جديد في عُمان، وبفعل تدخل البريطانيين والسعوديين، خرجت عُمان من المسرح السياسي وهي مقطعة الأوصال. لم يمنع وصول سلطان بن أحمد إلى سدة الحكم من تجدد الصراعات الأسرية، ما أتاح للسعوديين بسط سيطرتهم على بعض المقاطعات العُمانية مثل الظاهر وواحة البريمي أحد أهم التجمعات العُمانية على حدود الدولة السعودية، وأثر النفوذ الوهابي منذ ذلك الحين في تاريخ المنطقة، وفي تاريخ عُمان، ففرض السعوديون الجزية على العُمانيين مستغلين ما وصلت إليه المقاطعات الداخلية من الفوضى والتدهور، وانهماك حكام مسقط بتثبيت حكمهم في منطقة الساحل أو قمع ما يعترضهم من حركات مناوئة.

ولجأ بعض العُمانيين الطامعين إلى التحالف مع السعوديين لتقوية موقفهم والوثوب إلى السلطة، مثل بدر بن سيف الذي حاول خلع سلطان بن أحمد، وعندما فشل في ذلك التمس المساعدة من الأمير عبد العزيز، وترتب على التدخل السعودي ظهور النفوذ الوهابي بشكل واضح في الأقاليم العُمانية، وبخاصة بعد مقتل سلطان بن أحمد في عام ١٨٠٤م في معركة بحرية مع السعوديين وتولي بدر بن سيف المؤيد للسعوديين الوصاية على سعيد بن سلطان<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا الشكل بدأ ظهور السلطنة في مسقط إلى جانب الإمامة في الرستاق، وتميز تاريخ عُمان الحديث بالصراع بينهما، واشتد بفعل انفتاح حكام الساحل على الدول الأجنبية، وكان للتطورات التي شهدتها السلطنة في المجالات الاقتصادية والعلاقات الخارجية أثر كبير في تراجع نفوذ الإمامة واقتصاره على بعض المقاطعات الداخلية، ولم تشارك بأي نصيب في الحكم في مقاطعات الساحل منذ ظهور السلطنة في مسقط، وظلت على موقفها بعدم الاعتراف بحكام الساحل الذين عدّتهم خارجين عن التعاليم الإباضية الصحيحة<sup>(٢)</sup>.

الواقع أن حكام الساحل منذ عهد أحمد بن سعيد المؤسس الأول لسلطنة مسقط، التفتوا إلى إقامة علاقات مع الدول الأجنبية بفعل انفتاحهم على البحر، وبالتالي لم يعبأوا بما كان يجري في المناطق الداخلية، وكان لذلك أثره في التباعد بين الطرفين، ودفع حكام الساحل إلى البحث عن وسائل القوة العسكرية باعتمادهم على تأييد الدول الأجنبية، ويتضح ذلك بوجه خاص في عهد سعيد بن سلطان الذي اكتسب صداقة بريطانيا كي يستمد منها القوة التي تساعد على البقاء في الحكم.

ويبدو أن الفرصة لم تُتَحْ لحكام الداخل من الإباضيين المحافظين استمرارية

(٢) المرجع نفسه: ص ٨١.

(١) قاسم: ص ٨٠.

حكمهم وبقاء الإمامة، فقد تعرّضوا لغزوات السعوديين ومحاولات حكام الساحل المتكررة للسيطرة على الداخل.

## سلطنة مسقط بين البريطانيين والفرنسيين

شهدت المدة الزمنية بين أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، صراعاً عنيفاً بين بريطانيا وفرنسا على الشرق، وكانت عُمان تاريخياً الممّون الرئيس لجزيرة موريشيوس وجزيرة الريونيون الواقعتين في جنوبي الهند والتابعتين لفرنسا، كما كانت الحليف التاريخي والتقليدي للهند، وبالتالي فإن من الطبيعي أن تكون حليفة فرنسا في شرقي إفريقيا والمحيط الهندي.

ولعل أحمد بن سعيد كان أول من أدرك أهمية الصداقة مع فرنسا للحدّ من النفوذ البريطاني، فأقام علاقات تجارية مع حاكم جزيرة موريشيوس، ولم تلبث العلاقات بين مسقط وفرنسا أن اتخذت طابعاً سياسياً عندما هاجم القبطان داستان في عام ١٧٥٩م، بعض السفن البريطانية الراسية في ميناء مسقط، كما ضرب الوكالة التجارية التابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية في بندر عباس في محاولة لعرقلة التجارة البريطانية<sup>(١)</sup>.

والملفت أن سلطان مسقط رحّب في عام ١٧٨٥م بأن يُقيم الفرنسيون مركزاً تجارياً في بلاده، ورفض في الوقت نفسه طلباً تقدّمت به شركة الهند الشرقية البريطانية لتأسيس وكالة لها في مسقط<sup>(٢)</sup>، وعلى الرغم من أن فرنسا رحّبت بهذه الخطوة إلا أنها لم تُقدم على إنشائها، إذ لم تُتح لها الفرصة بسبب نشوب الثورة الفرنسية في عام ١٧٨٩م وانهماكها بمعالجة شؤونها الداخلية ومحاربة أعدائها في أوروبا، وصرفت النظر عن توثيق علاقاتها بمسقط أو غيرها من دول الخليج العربي، ما أضعف نفوذها في الشرق، إلا أنها ظلّت تُقدّر أهمية ميناء مسقط الذي يقع على الطريق البحري بين البصرة والهند، كما أن وجود قنصلية فرنسية في ذلك الميناء يُعدُّ مكسباً مهماً لسياستها الشرقية، لذلك لم تكد تفرغ من ثورتها وتُعلن الجمهورية حتى أقدمت على محاولة تأسيس قنصلية في مسقط وعيّنت عليها يوشمب، بهدف مراقبة تحركات البريطانيين في الهند ودراسة أوضاع بلاد العرب وإيران، والأساليب التي يمكن أن تستخدمها في حال قيامها بغزو عسكري للشرق<sup>(٣)</sup>.

(١) قاسم، جمال زكريا: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر: ص ١٥٩.

(٢) المرجع نفسه: ص ١٦٢.

(٣) العقاد، صلاح: الاستعمار في الخليج الفارسي: ص ٣٣.

لكن هذه القنصلية لم تر النور بسبب خطأ ارتكبه يوشمب الذي اعتقد أن مسقط تابعة للدولة العثمانية، فذهب إلى استانبول ليستأذن الباب العالي في افتتاحها، واستغرقت رحلته وقتاً طويلاً، ما أضاع على فرنسا فرصة تأسيس تلك القنصلية<sup>(١)</sup>، وصادف في ذلك الوقت وصول حملة نابليون بونابرت إلى مصر في عام ١٧٩٨م التي دفعت بريطانيا إلى عرقلة النشاط الفرنسي، كما أدت إلى إثارة الدولة العثمانية بخاصة لأن مصر كانت تابعة لها، ثم إن توجه الشعوب الإسلامية بعامة كان ضد فرنسا، وعلى الرغم من ذلك استمرت العلاقات الجيدة مع فرنسا، ما لفت نظر المقيم البريطاني في الخليج، فكتب إلى حكومة بمباي بذلك، فأرسلت مبعوثاً إلى مسقط للإطلاع عن كذب على مدى التقارب العُماني - الفرنسي، والطلب من السلطان سلطان بن أحمد تأكيد موقفه الحيادي، فأرسل إليها رسالة تطمين.

وما لبثت العلاقات بين مسقط وفرنسا أن تدهورت بسبب فشل مشاريع نابليون بونابرت في الشرق، وأدّت سياسته إلى تدعيم النفوذ البريطاني، والمعروف أن هدف حملته كان ضرب المصالح التجارية البريطانية في الشرق عبر الاستيلاء على مصر التي تُعدُّ محطة مهمة على ذلك الشريان التجاري الموصل إلى الهند، ودخل من أجل ذلك في حرب مع الدولة العثمانية صاحبة السيادة على هذا البلد التي تَلَقَّت دعماً من بريطانيا.

وأرسل نابليون بونابرت فور وصوله إلى مصر، رسالة إلى سلطان مسقط أكد فيها الصداقة العُمانية، الفرنسية، وطمأن السلطان إلى أن وجود القوات الفرنسية في مصر لن يضر بالحركة التجارية والبحرية العُمانية نحو السويس<sup>(٢)</sup>، إلا أن البريطانيين احتجزوا هذه الرسالة التي لم تصل إلى السلطان إلا بعد سنة، عمدت بريطانيا خلالها إلى عرقلة الاتصالات بين مسقط وفرنسا عاملة في الوقت نفسه على تحييد عُمان كقوة إقليمية فاعلة، وقد نجحت في ذلك عندما عقدت مع سلطان بن أحمد اتفاقية عام ١٧٩٨م.

كانت بريطانيا تخشى قيام حلف عُماني - فرنسي - ميسوري ضدها، والواقع أن هذا الحلف كان قائماً عملياً بسبب الصداقة التقليدية بين الأطراف الثلاثة، وكان التعاون المستمر بينها يعرقل المشاريع البريطانية في منطقة المحيط الهندي وشبه القارة الهندية وشرقي آسيا، ويُزعج بريطانيا، لذلك نهضت لإفشاله، فاستغلت انتشار

(١) العابد، صالح محمد: موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج ١٧٩٨ - ١٨١٠م، ص ٧٢.

(٢) Graz, L: les Omanias Nouveaux Gardiens du Golf p22.

موجة السخط ضد فرنسا في العالمين العربي والإسلامي بسبب حملة نابوليون بونابرت لتقلب موازين القوى لصالحها، فكُلِّف حاكم بومباي، مهدي علي خان وهو ممثل شركة الهند الشرقية في بوشهر الاتصال بسلطان بن أحمد ومحاولة عقد اتفاقية معه، فنجح هذا المبعوث في مهمته، وعُقدت الاتفاقية في ١٢ تشرين الثاني ١٧٩٨م، وإذ كان هدف الاتفاقية عرقلة النشاط الفرنسي، ووضع أسس للمصالح البريطانية في الخليج العربي، وتوثيق العلاقات مع سلطنة مسقط لما لها من أهمية بالنسبة للمواصلات البريطانية إلى الهند، إلا أنها شكَّلت تحوُّلاً في السياسة البريطانية من حيث الاهتمام بمصالحها السياسية و«الاستراتيجية»، وعدم الاقتصار على النواحي التجارية كما كان عليه الحال من قبل<sup>(١)</sup>.

تضمَّنت الاتفاقية سبع مواد، اختصَّت المادتان الأولى والثانية بالتأكيد على إرساء علاقات الوُدِّ والصداقة بين شركة الهند الشرقية البريطانية وسلطنة مسقط، واحتوت المواد الأخرى على بعض القيود بهدف عرقلة النفوذ الفرنسي فيها، مثل منع الفرنسيين من إقامة مراكز لهم في ربوعها أو في ربوع الممتلكات التابعة لها، ومنع السفن الفرنسية من دخول موانئها، وفي المقابل يُسمح بذلك للسفن البريطانية، وتعهد سلطان بن أحمد بأن يساند السفن البريطانية إذا ما نشب نزاع بين بريطانيا وفرنسا داخل مياهه، ونصت المادة السابعة على تأسيس وكالة لبريطانيا في بندر عباس<sup>(٢)</sup>. والواقع أن السلطان رفض بعد ذلك السماح لبريطانيا بإنشاء هذه الوكالة خشية من أن يُورطه ذلك في نزاع مع الفرنسيين والهولنديين، كما تراجع عن موافقته على تعيين وكيل سياسي في مسقط التي أبداها أثناء مباحثاته مع علي مهدي خان<sup>(٣)</sup>.

شكَّلت الاتفاقية نجاحاً ملحوظاً للسياسة البريطانية، في الشرق، وتعدُّ أول تدخل بريطاني مباشر في شؤون مسقط، كما كانت أول اتفاقية تعقدها بريطانيا مع أمراء الخليج العربي والجزيرة العربية، وقد أعطت غطاءً شرعياً للوجود البريطاني في المنطقة.

ويبدو أن الاتفاقية لم تُطبَّق بالكامل، ولم تؤثر في سياسة مسقط الحيادية التي

(١) قاسم: دولة البوسعيد: ص ١١٨ - ١١٩.

(٢) راجع نص الاتفاقية عند:

Aichison, C.U: A Collection of Treaties, Engagement and Sanads Relating to India and Neighboring Countries XI pp206 - 208.

(٣) قاسم: ص ١١٩.

حافظت على استقلال قرارها السياسي و«الاستراتيجي»، وبقيت البلاد منفتحة على العلاقات مع جزيرتي الريونيون وموريشيوس<sup>(١)</sup>، وسرعان ما سعى سلطان بن أحمد إلى التخلص من عبئها، فرفض السماح بإقامة مركز بريطاني في مسقط كما ذكرنا. وخشيت بريطانيا أن تبقى المعاهدة من دون تنفيذ على أرض الواقع، فأرسلت مبعوثاً هو جون مالكولم استخدم لغة التهديد مع سلطان بن حمد لإرغامه على توقيع اتفاقية جديدة تُثبت اتفاقية عام ١٧٩٨م، وهذّده بإغلاق الموانئ الهندية في وجه السفن العُمانية، والمعلوم أنها طردت الفرنسيين من معظم الموانئ الهندية وحلّت محلهم. حصل مالكولم بهذه الوسيلة على اتفاقية جديدة في كانون الثاني ١٨٠٠م تضمّنت بندين: يؤكد الأول على الالتزام باتفاقية عام ١٧٩٨م، ويُسمّي الثاني الدكتور أرشيبالد بوغل وكيلاً سياسياً بريطانياً يقيم في ميناء مسقط، وتتم عن طريقه جميع الاتصالات بين الجانبين البريطاني والعُماني، والمعروف أنه أضحى فيما بعد طبيب سلطان بن أحمد الخاص، ومن شأن ذلك أن يُزيد نفوذه ويُسهّل مهمته، وتوصل هذا المبعوث إلى أداء دور سياسي مهم والتأثير على الموقف الشخصي للسلطان ضد الفرنسيين<sup>(٢)</sup>.

واحتدم الصراع في عام ١٨٠١م بين العُمانيين والسعوديين فالتمس العُمانيون المساعدة من حلفائهم البريطانيين، لكن هؤلاء فضّلوا عدم التدخل، والوقوف على الحياد حفاظاً على علاقاتهم الطيبة مع السعوديين، فعَدَّ السلطان موقف بريطانيا السليبي تعطيلاً لبنود معاهدة ١٧٩٨م، ووجد في ذلك فرصة للتخلص من التزاماتها الثقيلة، وقرّر إعادة تنشيط العلاقات مع فرنسا التي كانت مستعدة لرد مباشر تمثّل بإرسال بعض السفن لمساعدته.

وأنزل سلطان بن أحمد ضربة قاسية بالسعوديين وقبائل العتوب، وسيطر على البحرين، وعهد إلى ابنه سالم بحكمها، وعادت العلاقات العُمانية - الفرنسية، إلى أفضل مظاهرها.

لم تنظر بريطانيا بعين الارتياح إلى مسار الأحداث، وقد بلغت علاقاتها مع مسقط وضعاً متوتراً، وللرد على ذلك، ضغطت اقتصادياً لخنق اقتصاد مسقط، وإضعاف موقف السلطان، فألغت حكومة الهند الامتيازات الممنوحة بموجب اتفاقية عام ١٧٩٨م بما فيها التجارية<sup>(٣)</sup>.

(١) عبّاش: ص١٤٧ - ١٤٨.

(٢) العقاد: ص٧٧ - ٢٠٩ - ٢٠٨ Aitchison XII pp 208 - 209.

(٣) المرجع نفسه: ص٧٨.

واجه سلطان بن أحمد التدابير البريطانية بمبادرة تمثّلت بإرسال الشيخ علي، المعروف بعدائه لبريطانيا وبصداقته لفرنسا، سفيراً إلى ماغالون حاكم جزيرة موريشيوس، رَحَّب الحاكم بالسفير، لكن وُضِع سياسة مشتركة ضد التهديد البريطاني قد تأخر مدّة سنتين حتى أدرك الحاكم أهمية مسقط، فأرسل مبعوثاً إلى السلطان هو كافياك. ويبدو أن المبعوث الفرنسي لم يكن يتمتع بالمرونة السياسية واللباقة الضروريتان لنجاح مهمته، وتزامن وصوله في تشرين الأول ١٨٠٣م مع نقض اتفاقية أميان في أوروبا، واستئناف القتال بين بريطانيا وفرنسا<sup>(١)</sup>، وعندما علم السلطان بذلك تراجع عن استقبال كافياك خشية أن تستغل بريطانيا نصوص معاهدة ١٧٩٨م ضده، وبخاصة المادة الخامسة التي تنص على حياد مسقط في حال الحرب بين بريطانيا وفرنسا، كما كان باستطاعة الأخيرة وقف صادرات الأرز إلى مسقط وفرض حصار اقتصادي عليها. ولا شك بأن سلطان بن أحمد كان واقعياً في رفضه استقبال كافياك نظراً لتأزم العلاقة بينه وبين السعوديين، ولتقديره قوة بريطانيا، ويبدو أن البريطانيين هدّدوه بفرض حصار شامل على موانئه إذا منح المبعوث الفرنسي مكاناً في عاصمته، وتفهم المبعوث الفرنسي حرج موقف السلطان.

وحدث تحول في سياسة مسقط الخارجية إثر مقتل سلطان بن أحمد واعتلاء بدر بن سيف سدة الحكم في عام ١٨٠٤م، فقد بادر هذا السلطان بتوثيق علاقاته مع فرنسا، وأرسل في عام ١٨٠٥م رسالة إلى ديكان حاكم جزيرة موريشيوس أكّد فيها عن إخلاصه الشديد للفرنسيين، وعن ارتياحه لمجيء السفن الفرنسية إلى ميناء مسقط للترزود بما تحتاج إليه من المؤن والمياه<sup>(٢)</sup>.

كان من الطبيعي أن تؤدي سياسة بدر بن سيف الوثيقة بالفرنسيين إلى إثارة حكومة بومباي البريطانية، فسارعت إلى إرسال الكابتن سيتون ليخلف الدكتور بوغل كوكيل سياسي في مسقط<sup>(٣)</sup>، وعلى الرغم من أن سيتون واجه صعوبات شديدة بفعل توثق علاقات بدر بالفرنسيين، إلا أنه نجح في وضع حجر الأساس للنفوذ البريطاني في مسقط عبر وضع اتفاقيتي ١٧٩٨ و١٨٠٠م موضع التنفيذ، غير أن مسقط بقيت مع ذلك أكثر ارتباطاً بفرنسا التي لم تطمئن إلى السلطان الجديد سعيد بن سلطان الذي تخلّص من بدر بن سيف، وسيطر على الحكم في عام ١٨٠٦م<sup>(٤)</sup>.

(١) Kelly, John: Britain and the Persian Gulf 1795 - 1880. P75.

(٢) Coupland, R: East Africa and its Invaders, from the Earliest Times to the Death of Seyyid Said p110.

(٣) Kelly: p75.

(٤) قاسم: ص ١٣٠ - ١٣١.

سقطت حكومة مسقط في يد سعيد بن سلطان عقب مقتل بدر بن سيف في عام ١٨٠٦م، وكان عمره آنذاك سبع عشرة سنة. لم يكن سعيد الابن الأكبر لأبيه سلطان بن أحمد حتى ينتقل الحكم إليه بالوراثة، كما أن الحكم لم يؤول إليه عبر المبايعة أو الانتخاب، وهي الطريقة التقليدية المتبعة عند المنتمين إلى المذهب الإباضي، وإنما تولى السلطة بالغلبة بعد أن قضى على سلفه في ظل تفكك الدولة العُمانية بعد مقتل سلطان بن أحمد، وأضحى للغلبة المكان الأول في الثوب إلى السلطة بعد سعيد بن سلطان.

### الأوضاع الداخلية في عهده

تلقّب سعيد بن أحمد بالسلطان، وهو أول من تلقّب بهذا اللقب من الحكام العُمانيين، ثم دُعي بالكبير، كان قوياً وطموحاً، فما إن وصل إلى الحكم حتى أخذ يعمل على تثبيت حكمه، فتخلّص من عمته موزة بنت أحمد ذات النفوذ القوي، وهادنه عمه قيس حاكم صحار، وانتزع ما كان لليعارية من سلطة في مقاطعتي نخل والحزم، وسيطر على إقليم صحار بعد وفاة عمه، ومدّ سيطرته على مدينة الرستاق، العاصمة الدينية لعمان في ظل تفكك الدولة العُمانية بعد مقتل سلطان بن أحمد، ومع ذلك لم تكن له إلا سلطة واهية على شيوخ القبائل، حيث ظل معظم هؤلاء يمارسون حياتهم وفقاً لنظمتهم المألوفة من دون تدخل من جانب السلطة المركزية.

ويبدو أن السلطان سعيد لم يستطع المحافظة على وحدة عُمان مدة طويلة بفعل انهماكه في التوسع الخارجي سواء في الخليج العربي أو في شرقي إفريقيا، فانتهز الزعماء العُمانيون تلك الفرصة للاستقلال بولاياتهم، بالإضافة إلى الأخطار التي هدّدت الوحدة العُمانية بفعل غزوات السعوديين ومحاولات الإباضيين بعث الإمامة؛ ما أدى إلى تفكك الوحدة العُمانية من جديد التي بذل جهداً كبيراً في سبيل تحقيقها<sup>(١)</sup>، وعليه يمكن القول بأن سلطته تركزت في منطقة الساحل، وعلى الرغم من أن السلطان سعيد لم يستطع أن يُحقّق نجاحاً كبيراً في السيطرة على عُمان، إلا أنه حقّق نجاحاً ملفتاً في الشطر الشرقي لإفريقيا عندما نقل مقر إقامته إلى زنجبار بعد ثلاثين عاماً قضاها في مسقط، واستمر في تلك الجزيرة حتى وفاته في عام ١٨٥٦م<sup>(٢)</sup>.



واجه السلطان سعيد خلال إقامته في مسقط بعض الحركات الانفصالية نذكر منها:

**ثورة قبيلة البوعلي:** وهي من توابع القواسم، وكانت خاضعة للنفوذ السعودي، فكان من الطبيعي أن تعلن انفصالها عن حكومة مسقط، وبادر زعماءها بالاستقلال بشؤون مقاطعاتهم في إقليم جعلان الواقع إلى الجنوب الغربي من العاصمة مسقط. حاول السلطان سعيد السيطرة على هذه القبيلة أكثر من مرة، لكن من دون جدوى، لذلك استعان بالبريطانيين الذين شكَّلت هذه القبيلة خطراً كبيراً على السفن البريطانية بفعل نشاطها البحري، وتعاونت حامية جزيرة قشم البريطانية مع قوات السلطان سعيد في الصدام الذي حصل مع القبيلة في عام ١٨٢١م، والذي أسفر عن هزيمة الحليفين، وأصيب السلطان سعيد بجروح في ذراعه، وعندما تلقت حكومة بومباي البريطانية نبأ الهزيمة، أرسلت قوة كبيرة بقيادة ليونيل سميث، وهو من رجال البحرية الهندية، نجحت في الاستيلاء على قلعة جعلان وسلمتها للسلطان<sup>(١)</sup>.

**الحركات الانفصالية في صحار:** استعاد السلطان سعيد ميناء صحار بعد وفاة قيس بن أحمد، وحرّم أبناء قيس من الولاية عليه ثم ذهب إلى زنجبار، فانتهز حمود بن عزان فرصة غيابه، واستولى على صحار، وسيطر على بعض المقاطعات المجاورة مثل الخابورة وشياص، ثم ركّز جهوده للاستيلاء على مسقط، وكاد ينجح لولا تدخل بريطانيا لإنقاذ الموقف بدافع المحافظة على سلامة الميناء<sup>(٢)</sup>.

أثارت محاولة حمود بن عزان، السلطان سعيد، فنهض لانتزاع صحار منه، فشنّ هجوماً عليها في شباط ١٨٣١م، وحتى يقطع عليه طريق الاستعانة بجيرانه استمال الشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة والشيخ راشد بن حميد حاكم عجمان، ومع ذلك فقد تعرّض للهزيمة، واضطر إلى التفاهم مع حمود بن عزان، فعقد معه اتفاقية نصّت على أن يحكم حمود بن عزان صحار بشرط الاعتراف بتبعيته له<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن هذه الاتفاقية لم تُحقق الهدف المنشود في تهدئة الموقف بين الطرفين، واضطر السلطان سعيد إلى التحالف مع سعد بن مطلق المحيري المفوض السعودي

(١) السالمي: ج٢ ص ١٨٨ - ١٨٩. قاسم: ص ١٤٦.

Perrin, N: Relations de la Compagne d'Ebrahim Pacha contre les Wahabites p292.

Ruete, R.S: Said Bin Sultan, Ruler of Oman and East Africa 1791 - 1856. Pp 56 - 57. (٢)

Aitchison p805.

Ruete: p58. (٣)

في مسقط للقضاء على حمود بن عزان، على أن تقوم البحرية السعودية بحصار الميناء في الوقت الذي تتقدم قوات مسقط براً.

كانت القوة السعودية من الضخامة ما أفرع السلطان وخشي من أن ترتد عليه بعد القضاء على حمود بن عزان، لذلك التمس المساعدة من البريطانيين، وكان حمود بن عزان قد انسحب من صحار وتمركز في السوق تمهيداً لمهاجمة مسقط، فسارعت حكومة بومباي البريطانية إلى إرسال بعض سفنها لمساندة حليفها السلطان سعيد، حتى لا يخرج الأمر من يديه إلى آخرين لا تطمئن إليهم<sup>(١)</sup>، الأمر الذي يُكبدها أضراراً جسيمة، ثم رأت تقسيم الحكم في مسقط بين السلطان سعيد وحمود بن عزان بفعل أن نشوب الاضطرابات في البلاد يؤدي إلى إضعافها، ولكي تضمن ولاء الرجلين، وتنفيذاً لهذه السياسية، فرضت اتفاقية عام ١٨٣٩م عليهما، وتقضي بانفصال صحار عن مسقط، وتعهد السلطان سعيد بمساعدة حاكم صحار في حال تعرّضه لهجوم أعدائه، واستمرار العلاقات التجارية بينهما، وتوقّف جميع الأعمال العسكرية<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن بريطانيا لم تُلزم نفسها بضمان تنفيذها، وكان من نتيجة ذلك أن حاول حمود بن عزان التخلص من النفوذ العُماني، فنصحته حكومة بومباي البريطانية بعدم القيام بأي عمل يؤدي إلى الإخلال بالوضع القائم<sup>(٣)</sup>.

وحدث أن تنازل حمود بن عزان عن الحكم لابنه سيف الذي انتهج سياسة مخالفة لسياسة أبيه، وقد دخل في علاقات ودية مع ثويني القائم بالسلطة في مسقط نيابة عن السلطان سعيد خلال إقامته في زنجبار، ما أزعج والده حمود فبادر بالتخلص منه وعاد إلى حكم صحار وذلك في عام ١٨٤٩م، لكنه لم يستقر مدة طويلة في الحكم، فقد خرج عليه ثويني، فقبض عليه وسجنه في قلعة مسقط الشرقية، وتوفي في سجنه<sup>(٤)</sup>.

لم تستتب الأمور في مسقط بعد تلك التطورات، إذ تزعم قيس بن عزان الثورة ضد السلطان سعيد للثأر لأخيه، ودفع عنف الثورة السلطان سعيد إلى المجيء إلى مسقط من زنجبار كي يُعالج الأمور، ويبدو أنه أثر التهدة فتفاهم مع قيس بن عزان، واتّفقا على تخلي الأخير عن حكم إقليم صحار، على أن يحكم الرستاق ويتعهد

(٢) Aitchison: pp242 - 244.

(١) قاسم: ص ١٥٥.

(٣) Coupland: p469.

(٤) ابن رزين، حميد: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين: ص ٥٤٩.

بدفع ماتتي ريال شهرياً إلى السلطان سعيد، ويظل على ولائه له، وعهد السلطان إلى ابنه تركي بحكم إقليم صحار<sup>(١)</sup>.

## علاقته مع الإباضيين

أدى التحول من نظام الإمامة إلى نظام السلطنة، إلى حدوث انفصال بين سلاطين مسقط والإباضيين المحافظين في الداخل العُماني، وتوترت العلاقات بين الجانبين في عهد السلطان سعيد، ووسَّعت سيرته الهوة بينهما، إذ كان الإباضيون المحافظون يكرهون أخذه بالإساليب الغربية، وحسن استقباله للأجانب في بلاده، وزادت كراهيتهم له نتيجة المعاهدات التي كان يُبرمها مع الدول الأجنبية، وتحريمه تجارة الرقِّ بناء على طلبهم التي كانوا يعدُّونها من تقاليدهم الاجتماعية.

أسفرت تلك العلاقات المتوترة عن محاولات بذلها الإباضيون لبعث نظام الإمامة منتهزين فرصة ضعف سيطرة السلطان على المقاطعات الداخلية، وانصرافه إلى شؤون مملكته في شرقي إفريقيا، إلا أن محاولاتهم لم يُقدَّر لها النجاح.

ونذكر في هذه المناسبة محاولة حمود بن عزان خلال مدة حكمه لصحار، وقد قدَّم نفسه كزعيم ديني محافظ، استحوذ على نفوذ شعبي كبير وبخاصة بعد استقراره في الرستاق، العاصمة الدينية التاريخية للإمامة الإباضية، وأخذ يتقرَّب من الزعامات الدينية.

ويبدو أن عاملين رئيسين أحبطا تلك المحاولات:

**الأول:** النفوذ الديني والسياسي للسعوديين، إذ إن تعاون هؤلاء مع السلطان سعيد أحبط العديد من المحاولات التي بُدِّلت لإعادة بعث نظام الإمامة.

**الثاني:** غلبة التنازع الأسري على تلك المحاولات، وغياب المبادئ الخالصة للعقيدة الإباضية عنه.

## السلطان سعيد في شرقي إفريقيا

كان للصراع الذي وقع في عُمان عقب وفاة الإمام أحمد بن سعيد في عام ١٧٨٣م أثر كبير على الوضع العام في المقاطعات الإفريقية الشرقية التي استُخدمت مجالاً لهذا الصراع الذي قام بين سعيد بن أحمد الذي خلف أباه في الحكم وبين أخيه سيف الذي لجأ إلى الشرق الإفريقي، وعندما تولى سلطان بن أحمد الحكم، أظهر اهتماماً أكبر بالناحية السياسية، فأقدم على ممارسة سيطرته الفعلية على

مقاطعات شرقي إفريقيا، بيد أن المشكلات التي نتجت عن التوجه السياسي الجديد للدولة، لم تُتَح له أن يتفرَّغ لممتلكاته في إفريقيا الشرقية، حتى إذا ما تولى ابنه سعيد الحكم في عام ١٨٠٦م، واشتدَّ حرصه على الاهتمام بهذا الجزء المهم من دولته نظراً لوفرة موارده ولزيادة فرص استغلاله، وبخاصة أن الظروف الجديدة التي آلت إليها الدولة في عهده لم تكن تضطره كما اضطرت أسلافه إلى البقاء في عُمان ذي الطابع الديني التقليدي، وظهر ذلك واضحاً في نقل عاصمته من مسقط إلى زنجبار في عام ١٨٣٢م وإقامته بها<sup>(١)</sup>.

لعل من بين أهم إنجازات السلطان سعيد في شرقي إفريقيا هو قضاؤه على حكم الأسرة المزروعية، والاحتفاظ بممتلكاته الإفريقية خالصةً له، والواقع أنه استاء عندما فرضت حكومة الهند الشرقية البريطانية حمايتها على مومباسة وعلى غيرها من مقاطعات شرقي إفريقيا، وذلك بناءً على طلب آل المزروعي.

وعلى الرغم من أن حكومة بومباي قد ألغت هذه الحماية في عام ١٨٢٦م، إلا أنها خشيت من أن يلجأ المزروعون إلى طلب الحماية من فرنسا، لذلك ألحَّ المقيم البريطاني في الخليج العربي على السلطان سعيد أن يُخفِّف من لهجته العدائية للمزروعين، هذا في الوقت الذي لجأ فيه هؤلاء إلى طلب الحماية من حكومة لندن التي رفضت الطلب خشية أن يؤدي ذلك إلى حدوث عداء بينها وبين السلطان سعيد، وقد جمعتهما أوامر الصداقة<sup>(٢)</sup>.

ومهما يكن من أمر، فإنه ما كادت القوات البريطانية تنسحب من مومباسة حتى استأنف السلطان سعيد صراعه مع المزروعين، فأرسل حملة بحرية إلى مومباسة نجحت في إخضاعهم، واعترفوا بالسيادة العُمانية، ونصت الاتفاقية التي عقدها الطرفان على:

- اعتراف المزروعين بالسيادة العُمانية على المقاطعات الخاضعة لهم في شرقي إفريقيا.

- يتم اقتسام دخل هذه المقاطعات بالتساوي بين الطرفين.

- خضوع قلعة مومباسة للسلطان سعيد على ألا يتجاوز عديد حاميتها خمسين جندياً<sup>(٣)</sup>.

الواقع أن السلطان سعيد لم يحترم بنود الاتفاقية بدليل أنه حصَّن مومباسة، وزاد في أعداد الحاميات في الحصون والقلع، واختار حاكم جزيرة بمبا ناصر بن سليمان

(١) قاسم: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ج١ ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٣) قاسم: ج١ ص ١٩٤.

(٢) Coupland: p272.

الموالي له ممثلاً له في مومباسة، ولكنه لم يتسلم الحكم لأن المزروعيين قبضوا عليه وقتلوه، ما دفع السلطان سعيد إلى مهاجمة مومباسة في عام ١٨٢٩م، غير أنه لم يُحقق شيئاً يُذكر، واضطر للعودة إلى مسقط للتصدي لغزوات السعوديين على المناطق العُمانية.

ويبدو أن السلطان سعيد لم ييأس من إخضاع المزروعيين، وحاول أن يستعين بحكام جزيرة مدغشقر الخاضعة للنفوذ الفرنسي، فمنعته بريطانيا وحالت بينه وبين الحصول على قوة عسكرية منها، فالتفت عندئذٍ إلى الولايات المتحدة الأميركية الطامعة في الدخول تجارياً إلى المنطقة وإقامة علاقات اقتصادية مع مسقط وزنجبار؛ وأبدى استعداداً لمنح الأميركيين كل ما يطلبونه من امتيازات مقابل مساعدته عسكرياً للسيطرة على موزامبيق واستعادة سيادته على مومباسة، ولكن الحكومة الأميركية لم تشأ التورط في شؤون الشرق السياسية، وفُضِّل أن تقتصر علاقاتها مع مسقط على الشؤون الاقتصادية فقط<sup>(١)</sup>.

وما حدث بعد وفاة الشيخ سالم المزروعي في عام ١٨٣٥م من نشوب النزاعات الداخلية بين الشيوخ الطامعين في خلافته؛ أوقع مقاطعات الساحل في اضطراب وفوضى شاملة، قام على إثرها حاكم مقاطعة كلنديني بالثورة على أسرة المزروعي، والتمس مساعدة السلطان سعيد على التخلص من حكمهم، وبفعل هذا التعاون تمكّن السلطان في عام ١٨٣٧م من الاستيلاء على حصون مومباسة وقلاعها، وتفرد بحكم الساحل الشرقي لإفريقيا من رأس جردفون شمالاً حتى خليج دلجادو جنوباً، وأمر ابنه الأمير خالد الذي كان قائماً بالحكم في زنجبار بالنيابة عنه، بالقبض على جميع أفراد أسرة المزروعي وقتلهم، فقبض على خمسة وعشرين منهم وفرّ الباقي وتشتتوا في البلاد<sup>(٢)</sup>.

وشجع السلطان سعيد أثناء إقامته في زنجبار الزراعة والتجارة، وكان قد أدخل إلى البلاد زراعة القرنفل المستوردة من جزيرة موريشيوس في عام ١٨١٨م التي سرعان ما نمت وأضحت عماد الثروة في المنطقة، جاعلةً من زنجبار أول مُصدّر عالمي للقرنفل<sup>(٣)</sup>.

وتوافق هذا النجاح مع هجرة عدد كبير من التجار العُمانيين، ومنذ عام ١٨٣٠م كان السلطان سعيد يقيم في زنجبار أكثر من إقامته في مسقط، وأضحت خلال سبع سنوات مقر تجارة مزدهرة، وأضيفت إليها مهمة إعادة تحديد التوازنات السياسية الإقليمية.

(٢) قاسم: ج١ ص١٩٦.

(١) Coupland: p281.

(٣) Wendell, Philips: Oman, A History p101, Beyrouth Librairie du Liban.

## علاقاته الخارجية

العلاقة مع البحرين: استقرت في عهد السلطان سعيد بعض الأسر الحاكمة في البحرين والكويت وغيرهما من إمارات الخليج العربي، وشهد عصره ازدياد نشاط القواسم البحري ضد السفن الأجنبية العابرة في الخليج، واشتداد الحركة الوهابية، ووصول القوات المصرية إلى سواحل الخليج مندفعة من قلب الجزيرة العربية، وجهود بريطانيا لتوطيد نفوذها في سواحل الخليج والجزيرة العربية.

تعرّضت البحرين خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر لأخطار عدة تمثلت بتغلغل النفوذ السعودي، ومحاولات السلطان سعيد المتكررة لضمّها، وأطماع إيران والدولة العثمانية وبريطانيا للسيطرة عليها.

وأدرك السلطان سعيد أهمية ضمها إلى ممتلكاته من أجل توطيد مركزه في الخليج، وبخاصة أنه يسيطر على جزر وموانئ عدة على سواحله الشرقية من بينها جزيرتي قشم وهرمز وميناء بندر عباس، بالإضافة إلى المنافع الاقتصادية التي كانت تُشكّل جزءاً مهماً من سياسته، والمعروف أنها اشتهرت بصيد اللؤلؤ؛ لذلك بذل جهوداً كبيرة للسيطرة عليها، إلا أن جميع محاولاته باءت بالفشل على الرغم من التماسه المساعدة من البريطانيين في الهند الذين لم يرضوا عن طموحه لعدم ثقتهم بقدرته المحافظة على نفوذه في سواحل الخليج، أو لأنّ عرب البحرين لم تكن لديهم الرغبة في الخضوع لسلطته بفعل اختلاف المذهب الديني، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى وقوع اضطرابات ما يتعارض مع سياستهم الهادفة إلى استتباب الأوضاع في المنطقة.

وارتبطت جهود السلطان سعيد في ضمّ البحرين، بالدور الذي قام به الأمير سعود بن عبد العزيز في توحيد البحرين وقطر والقطيف تحت إدارة واحدة، ثم سيطرته عليها في عام ١٨١٠م، فالتفت عندئذٍ إلى إيران، وصادفت عروضة للتحالف معها قبولاً بفعل انتماء عدد كبير من سكان البحرين إلى المذهب الشيعي، بالإضافة إلى طموح الإيرانيين بالسيطرة عليها.

ويبدو أن السلطان سعيد خشي أن تُنازعه إيران على البحرين بعد تخليصها من قبضة السعوديين في الوقت الذي علم أن الحكومة الإيرانية تعمل على إبقاء شيوخ البحرين من آل خليفة تحت سيطرتها، ورفضت الاعتراف بتبعية البلاد لمسقط، ونتيجة لذلك فشل مشروع التحالف بين الجانبين.

استمر السلطان سعيد في محاولاته لضمّ البحرين على الرغم من فشل تلقيه المساعدة من بريطانيا وتحالفه مع إيران، وهي محاولات لم تسفر عن شيء، ولعل

أبرزها تلك التي قام بها بالتعاون مع أحد زعماء قبائل العتوب المعارض لآل خليفة، وهو رحمة بن جابر الجلاهمة.

وسنحت للسلطان سعيد فرصة أخرى لضمّ البحرين في عام ١٨٣٩م، عندما قام خورشيد باشا بتكليف من محمد علي باشا والي مصر بالسيطرة على الأحساء والقطيف، ثم توجه للسيطرة على البحرين، فأجرى معه اتصالات لم تُسفر عن نتيجة إيجابية بفعل معارضة بريطانيا، وكان السلطان حريصاً على ألا يُضحّي بصدافته مع بريطانيا على حساب صداقته مع محمد علي باشا.

**العلاقة مع إيران:** ترتبط العلاقة مع إيران بسياسة السلطان سعيد في الخليج العربي الهادفة إلى توطيد مركزه في الخليج عبر كل ما يقع تحت يديه من موانئ وجزر، والمعروف أنه ورث عن أبيه جزيرتي قشم وهرمز، وكان يدفع إيجاراً سنوياً لإيران مقابل إدارته ميناء بندر عباس، ومن جهتها حاولت إيران استعادة تلك الموانئ والجزر، وكان ذلك كافياً لتأزم العلاقات بين الجانبين والتي وصلت إلى درجة نشوب حرب بينهما.

نجحت إيران في عام ١٨٥٤م في استعادة بندر عباس ومواقع أخرى على ساحل كرمان، كما طردت الحامية العُمانية وموظفي سلطنة مسقط من مقاطعاتها، ولعل تلك التطورات كانت دافعاً للسلطان سعيد للعودة إلى مسقط لمواجهة الموقف، فأرسل حملة عسكرية أسند قيادتها إلى ابنه ثويني، وحاول عبثاً التماس المساعدة من أصدقائه البريطانيين، غير أن هؤلاء تخلوا عنه مراعاة لعلاقاتهم الجيدة مع إيران، ومنعوا أسطوله من التقدم صوب السواحل الإيرانية بحجة أن ذلك يتعارض مع نظام الهدنة البحرية الدائمة التي فرضوها منذ عام ١٨٥٣م، ونتيجة لذلك لم تحقق حملة ثويني أهدافها، واضطر السلطان إلى عقد اتفاقية سائنة مع إيران في نيسان ١٨٥٦م تنازل بموجبها عن جزيرتي قشم وهرمز، وجدّد إيجار بندر عباس وملحقاته لمدة عشرين عاماً، واستمر الوضع قائماً على ذلك النحو خلال الأيام الأخيرة من عهد السلطان سعيد<sup>(١)</sup>.

**العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية:** كانت الولايات المتحدة الأمريكية صاحبة النفوذ في زنجبار، وتمكّنت بفضل علاقاتها الودّية مع السلطان سعيد أن تنافس غيرها من الدول الأجنبية في المجال التجاري، وجاء النشاط التجاري الأميركي وامتداده إلى بلدان الشرق عقب نهاية حرب الاستقلال وقيام الجمهورية الأمريكية في عام ١٧٨٩م، حيث انطلقت السفن الأميركية في رحلاتها البعيدة، ووصلت إلى

(١) قاسم: دولة البوسعيد ص ١٧٦ - ١٧٨.

الشرق الأقصى والمحيط الهندي، وكانت تنقل الحرير من الصين، والبن من جنوبي الجزيرة العربية، والبخور من مسقط، وعُقدت اتفاقية تجارية بين البلدين في عام ١٨٣٣م<sup>(١)</sup>، وهي أول معاهدة تعقدها زنجبار مع الدول الأجنبية، كما كانت أول اتفاقية تعقدها الولايات المتحدة الأمريكية مع بلدان المشرق العربي، وأسست الولايات المتحدة الأمريكية قنصلية لها في زنجبار وعيّنت عليها أحد التجار الأميركيين ويدعى ريتشارد واترز<sup>(٢)</sup>.

رحّب السلطان سعيد بعقد اتفاقية عام ١٨٣٣م التي ظلت سارية المفعول حتى عام ١٨٥٩م، حين استُبدلت بمعاهدة جديدة للصدقة والعلاقات الاقتصادية والقنصلية بين الجانبين، وكان يأمل في تأييد الولايات المتحدة الأمريكية لمركزه في داخل عُمان أو الاستعانة بها في إمداده بما يحتاج إليه من السلاح في الوقت الذي لم يجد فيه مساندة من بريطانيا<sup>(٣)</sup>.

نصّت معاهدة عام ١٨٣٣م على:

- استمرار العلاقات الودية بين الجانبين العُماني والأميركي.
- حرية التجارة لرعايا البلدين كلٌّ في بلد الطرف الآخر.
- تمثُّع الولايات المتحدة الأمريكية بالمزايا الممنوحة للدولة الأكثر رعاية في أراضي السلطنة.
- تعيين قناصل أميركيين يستقرون في موانئ السلطنة وتوابعها، ويقومون بفضّ الخلافات التي تنشُب بين الرعايا الأميركيين، وتصفية ممتلكات من يموت منهم في أراضي السلطنة.
- أتاحت تلك الاتفاقية للولايات المتحدة الأمريكية القيام بنشاط ملحوظ في أراضي السلطنة لا سيما في زنجبار.

كان من الطبيعي أن تثير اتفاقية عام ١٨٣٣م حكومة الهند البريطانية في بومباي، التي اعتقدت بأن السلطان سعيد منح الأميركيين الامتيازات مقابل الحصول على مساندهم لحكمه في عُمان بعد أن وجد صعوبة في الحصول على مثل هذه المساعدة من بريطانيا التي انتهجت سياسة عدم التدخل في شؤون عُمان الداخلية طالما أن الأمر لا يمس مصالحها، فبادرت فوراً إلى إرسال إحدى سفنها العسكرية بقيادة

(١) منسى، عبد الله سراج: العلاقات العُمانية - الأميركية بين الحربين العالميتين ١٩١٩ - ١٩٣٩م، ص ١٥ - ١٩.

(٢) Burton, R: Zan Zibar, City, Island and Coast I p295.

(٣) قاسم: ص ٢٠٦.



الكابتن هارت إلى زنجبار للتعرف على حقيقة العلاقات العُمانية - الأمريكية، وعبر هذا المبعوث أمام السلطان عن توجس حكومته من تلك العلاقات.

وأظهر السلطان حسن نواياه أمام المبعوث البريطاني، واستعداده لعقد اتفاقية مماثلة مع حكومة الهند الشرقية، ومن المؤكد أن تأثير تلك الحكومة على السلطان سعيد كان سبباً في اضمحلال التجارة الأمريكية في زنجبار وفي غيرها من مقاطعات السلطان في عُمان والشرق الإفريقي<sup>(١)</sup>.

**العلاقة مع بريطانيا (حكومة الهند الشرقية البريطانية):** رأت حكومة الهند الشرقية البريطانية أن تُوثق علاقاتها مع السلطان سعيد التي اعترها بعض التوتر نتيجة عدم مساندتها له فيما كان يتطلع إليه من توطيد نفوذه في الخليج العربي وبخاصة في البحرين، ولعل منافسة الولايات المتحدة الأمريكية لها، بالإضافة إلى التقارب العُماني - الفرنسي؛ دفعها إلى عقد اتفاقية مع السلطان في عام ١٨٣٩م شبيهة إلى حد كبير بالمعاهدة الأمريكية في عام ١٨٣٣م، وقد أتاحت لها الفرصة لكي تشارك في النشاط التجاري في شرقي إفريقيا، فأُسست قنصلية لها في زنجبار عام ١٨٤١م، وأخذ النشاط البريطاني يتزايد منذ ذلك الوقت، بشكل ملحوظ في الشرق الإفريقي.

وارتبط تدعيم النفوذ البريطاني في الخليج العربي وشرقي إفريقيا منذ السنوات الأولى من القرن التاسع عشر بالدور الذي قامت به بريطانيا في مكافحة القرصنة وتجارة الرقيق والأسلحة، وقد واجهت صعوبات عديدة في مكافحة تجارة الرقيق، ويبدو أن السبب في ذلك هو أن تلك التجارة كانت تُشكل جزءاً مهماً من دخل السلطان سعيد.

وعندما انتقل السلطان إلى زنجبار، تضاعف الاعتماد على تجارة الرقيق وكان المزارعون من كبار الملاك يستفيدون من خدماتهم بعد أن أضحت الزراعة إلى جانب التجارة دعامة النظام الاقتصادي في زنجبار.

وأدركت حكومة الهند الشرقية أنه إذا ما أرادت أن تكافح تلك التجارة ينبغي عليها أن تستقطب السلطان سعيد ليتجاوب مع توجهاتها في القضاء عليها، وقد أذعن على الرغم من المكاسب العديدة التي يحصل عليها أملاً في أن تساعده في توطيد نفوذه في ممتلكاته العربية والإفريقية، والحصول على تعويضات مقابلة.

ويبدو أن السلطان لم يُحقّق أمله، وانعكس ارتباطه مع بريطانيا في معاهد ٤ أيلول ١٨٢٢م التي قضت بمنع بيع الرقيق إلى رعايا الدول المسيحية، والتي عُرفت

(١) قاسم: ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

بمعاهدة مورسبي<sup>(١)</sup>، سلباً، فقد تعرّض مركزه للخطورة بين رعاياه الذين كانوا يرون في تجارة الرقيق دعامة لنظامهم الاقتصادي والاجتماعي، كما تكبّد مبالغ كبيرة من دخله<sup>(٢)</sup>.

ولم تلبث الحكومة البريطانية أن خطت خطوة أخرى أكثر جرأة حين طالبت السلطان بإلغاء تجارة الرقيق في ممتلكاته، بشكل نهائي، ووقّعت معه معاهدة في ٢ تشرين الأول ١٨٤٥م تعهّد فيها بأن يمنع نقل العبيد من ممتلكاته الإفريقية إلى ممتلكاته العربية، وأن يبذل جهوده ونفوذه لدى شيوخ وأمراء الخليج والجزيرة العربية لوقف استيراد العبيد من المناطق التي يسيطر عليها في شرقي إفريقيا، على أن يبدأ العمل بها في الأول من كانون الثاني ١٨٤٧م، وذلك لإتاحة الفرصة لإخطار كل من يعنيههم الأمر<sup>(٣)</sup>، وعلى الرغم من توقيع تلك الاتفاقية، استمرت تجارة الرقيق قائمة، ويبدو أن السلطان سعيد لم يكثر بتطبيق بنودها، ولم يلبث أن توقّف مفعولها عقب وفاته في عام ١٨٥٦م.

**العلاقة مع فرنسا:** شهد بداية القرن التاسع عشر توطّد السيطرة البريطانية في الخليج العربي الأمر الذي دفع السلطان سعيد إلى التقارب مع فرنسا التي عادت إلى المحيط الهندي بعد أن استردّت جزيرة ريونيون بموجب معاهدة باريس في آذار ١٨١٤م<sup>(٤)</sup>.

لم تنظر بريطانيا بعين الرضا إلى التقارب العُماني - الفرنسي، وكان السلطان سعيد ما يزال يخشي الطموح البريطاني، ورأى أن موقع مسقط لا يوفر له ضمانات الاستقلال، لذلك قرّر الاعتماد أكثر فأكثر على ساحل إفريقيا، وتوّج هذا الوضع بنقل عاصمته إلى زنجبار في عام ١٨٤٠م كما ذكرنا، بناء على نصيحة الفرنسيين بحيث يُصبح أكثر استقلالاً عن القوة البريطانية، وأقرب إلى ممتلكات أصدقائه الفرنسيين<sup>(٥)</sup>.

وتمتّع الفرنسيون بمركز سياسي واقتصادي مهم في سلطنة مسقط، تُوجّ بتوقيع اتفاقية مع السلطان في عام ١٨٤٤م، وتمت المصادقة عليها في ٤ شباط ١٨٤٦م،

(١) وقّع فيرفاكس مورسبي من الأسطول الملكي البريطاني المعاهدة بتفويض من حكومة بمباي البريطانية.

(٢) قاسم: ص ٢١٢.

(٣) Hutchison, Edward: The Slave Trade of east Africa p12.

(٤) Kajar, Firouz: Le Sultanat d'Oman etude d'Histoire Diplomatique et de Droit International. P95.

(٥) Ibid: p97.

أقامت فرنسا بموجبها وكلاء في مسقط وزنجبار، وكانت نجاحاً للسياسة الفرنسية إذ كانت تعني عودة ازدهار العلاقات الاقتصادية بين السلطان سعيد والفرنسيين<sup>(١)</sup>، وتأجيج المنافسة بين بريطانيا وفرنسا في المنطقة، وقد نصّت على:

- حرية التجارة.

- السماح للرعايا الفرنسيين بحرية التنقل في ممتلكات السلطان من دون عقبات ومعاملتهم كمعاملة رعايا الدول الأكثر رعاية.
- منح الفرنسيين بعض الامتيازات القضائية.
- السماح لهم بتأسيس مراكز تجارية في جميع أرجاء السلطنة.

واتخذت المعاهدة شكلها النهائي في عام ١٨٤٦م بعد إجراء تعديلات عليها، وتبع ذلك تأسيس قنصلية فرنسية في زنجبار في عام ١٨٤٧م بالإضافة إلى العديد من البيوت التجارية الفرنسية، وأخذت سفن السلطان تصل إلى الموانئ الفرنسية حاملة معها موارد الشرق الإفريقي.

تراجع النفوذ الفرنسي في المحيط الهندي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وفي المقابل تصاعد النفوذ البريطاني، ما انعكس على سلطنة مسقط وزنجبار التي شهدت أقول السياسة الفرنسية، وبالتالي صداقتها لفرنسا، وترك الانسحاب الفرنسي في المنطقة السلطنة تواجه وحدها التهديدات الجديدة<sup>(٢)</sup>.

## وفاة السلطان سعيد

توفي السلطان سعيد في ٣٠ تشرين الأول ١٨٥٦م خلال سفره من مسقط إلى زنجبار، وجاءت وفاته في غرض البحر وهو على ظهر سفينته.

## الأوضاع السياسية في عُمان وزنجبار عقب وفاة السلطان سعيد

### الصراع الأسري على السلطة وانفصال زنجبار

تعدّ وفاة السلطان سعيد انعطافة في تاريخ الدولة العُمانية، وكان قد ورّع المهام الإدارية بين أولاده، فعين ابنه خالداً حاكماً على ممتلكاته في شرقي إفريقيا، وعين ابنه الآخر ثويني حاكماً على ممتلكاته في عُمان والخليج العربي، وطلب من بريطانيا رعايتهما، وصار من المتوقع حدوث صراع على السلطة بين أبنائه الذين برز منهم ثويني وتركي وماجد وبرغش<sup>(٣)</sup>.

(١) Kajar: p98.

(٢) Wendell: p135.

(٣) غيَّاش: ص١٥٨.

أعلن ثويني عقب وفاة والده نفسه سلطاناً على مسقط وزنجبار بوصفه الابن الأكبر الذي له حق شرعي في خلافة والده، كما أعلن ماجد نفسه سلطاناً على زنجبار بدعم من بعض رؤساء القبائل والأعيان<sup>(١)</sup>، ويعني ذلك انفصال القسم الإفريقي عن عُمان، واستقرَّ تركي في صحار.

رفض ثويني تصرف أخيه إلا أنه لم يستطع الردَّ عليه إلا بعد مرور سنة، لأنه كان يواجه أزمات داخلية وإقليمية.

وطلب ثويني من بريطانيا الاعتراف بحكمه، فاكثفت الدوائر البريطانية بتقديم التعازي بوفاة والده مع الإشادة بعلاقات الصداقة التي تربط السلطنة بالحكومة البريطانية، وتصرفت مثل ذلك مع أخيه ماجد عندما طلب منها الاعتراف بحكمه على زنجبار، وهذا يعني تحفظ واضح عن الاعتراف بحكم الأخوين، وتذرَّعت بوصية والدهما السلطان سعيد برعاية ولديه خالد وثنويني والتي يجب أن تُنفَّذ من وجهة نظرها على الرغم من أنه لم يكن في هذه الوصية ما يسمح بالتصرف قانوناً بتركة السلطان المتوفى، ويبدو أنه لم يكن عليها أن تُبرَّر قراراتها وتصرفاتها في هذه المرحلة من توسعها الاستعماري، وقد فسَّرت مضمون الوصية وفق مقتضيات مصالحها السياسية، وكَلَّفت الجنرال كوغان السهر على تنفيذها<sup>(٢)</sup>.

ولتثبيت حكمه في زنجبار بادر ماجد بإعلام العديد من الدول ذات العلاقة بشرق إفريقيا مثل بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، بوفاة والده ووراثته، فتلقى تهنئة من الدوائر الفرنسية والأميركية وتحفظاً من الدوائر البريطانية كما ذكرنا.

والواقع أن فرنسا لم تتمكَّن من التدخل فعلياً في النزاعات القائمة بين الإخوة المتنافسين على الحكم، واكتفت بتقديم الاحتجاجات على تدخل بريطانيا فيها، واعترفت الولايات المتحدة الأميركية بأولية المصالح البريطانية في المنطقة.

لم يقنع ثويني بحكم القسم الآسيوي من الدولة العُمانية، ورغب في المحافظة على وحدة السلطنة بقسميها الآسيوي والإفريقي، وفي محاولة لتسوية خلافه مع أخيه ماجد أرسل إليه سفارة مؤلفة من أخيه محمد بن سعيد وابن عمه محمد بن سالم، وتوصلت إلى عقد اتفاقية معه في شباط ١٨٥٧م تقضي بأن يدفع ماجد لأخيه ثويني أتاوة سنوية لتعويضه عن فقر الممتلكات الآسيوية التي آلت إليه، وألا يتعرَّض لأخيه تركي الذي استقلَّ بصحار، غير أن تلك التسوية لم تستمر مدة طويلة بفعل اختلاف كل من الأخوين بماهية الأتاوة التي رأى ثويني فيها نوعاً من تبعية أخيه إليه، وعدّها

(٢) غبَّاش: ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

(١) السالمي: ج٢ ص ٢٣٠.

ماجد بمثابة مساعدة شخصية لأخيه، فتوتر الجوُّ بينهما، وتوقف ماجد عن دفعها في عام ١٨٥٨م<sup>(١)</sup>.

وقرَّر ثويني حسم خلافه مع أخيه بالقوة، فجهَّز حملة عسكرية في تشرين الأول ١٨٥٨م وخرج على رأسها من ميناء مسقط، وعندما علم اللورد الفنستون حاكم بمباي بأخبارها، بادر إلى اتخاذ إجراءات فورية بالاتفاق مع كاننغ نائب الملك بالهند، للحؤول دون متابعة إبحارها وذلك للدفاع عن ماجد الذي كان أكثر انصياعاً للوفاء بالتزاماته تجاه البريطانيين، وبخاصة في القضاء على تجارة الرقيق في الشرق الإفريقي، على عكس ثويني الذي كان يميل إلى فرنسا، وأرسل أسطولاً أوقف سير الحملة وأعادها إلى ميناء مسقط، وتضمَّنت تعليماته إلى ثويني:

- صرف النظر عن القيام بالحملة.

- رغبة حكومة الهند البريطانية في عدم قيام نزاع بين أبناء السلطان سعيد قد يُشكِّل خطراً على المصالح البريطانية في الطريق البحري الموصل إلى الهند.

- عرض النزاع بينه وبين أخيه على تحكيم حكومة الهند البريطانية<sup>(٢)</sup>.

اضطر ثويني إلى الموافقة وبخاصة أنه تناهى إلى أسماعه في تلك الأثناء استعداد أخيه تركي للقيام بهجوم على مسقط<sup>(٣)</sup>.

ونتيجة لاستمرار الاضطرابات في زنجبار بفعل النزاع الداخلي بين ماجد وأخيه برغش الموالي لثويني، أسرع بريطانيا بالتدخل في محاولة لسبق فرنسا في التوسط بين الأخوين، واستطاع ماجد بمساعدة البريطانيين، القبض على أخيه برغش ونفاه إلى بمباي في كانون الثاني ١٨٦٠م، ما شكَّل ضربة قاسية للنفوذ الفرنسي في زنجبار. مكث برغش مدة سنة ونصف في المنفى إلى أن عفى عنه أخوه بعد تدخل حكومة بمباي البريطانية، وسمح له بالعودة إلى زنجبار في منتصف عام ١٨٦١م.

وهكذا استطاعت حكومة الهند البريطانية أن تُخلِّص ماجد من الأخطار التي كانت تُهدده، ومنعاً من تأزيم الموقف بين البريطانيين والفرنسيين، اتفقت الدولتان على عدم تدخل فرنسا في النزاعات الأسرية العُمانية، وأن تُحال الخلافات القائمة بين الأخوة على تحكيم حكومة الهند البريطانية، ووافق كل من ثويني وماجد على هذا الاتفاق<sup>(٤)</sup>.

كان هدف البريطانيين من وراء التحكيم ما يأتي:

(٢) قاسم: ص ٢٤٤.

(١) Aitchison: p230.

(٣) Wendell: p136.

(٤) لاندن، روبرت جيران: عُمان منذ ١٨٥٦م مسيراً ومصبوراً، ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

- تسوية النزاع بين مسقط وزنجبار الذي من شأنه في حال استمراره أن يؤدي إلى الإضرار بمصالحهم الحيوية .

- إن سياسة التقسيم من شأنها أن تجعل كلاً من القسمين محتاجاً إلى بريطانيا، القسم الآسيوي الذي سيتلقى الإعانة المالية بزمانها، والقسم الإفريقي الذي سيصبح مديناً لها باستقلاله<sup>(١)</sup> .

شكّلت حكومة الهند البريطانية لجنة التحكيم استناداً إلى موافقة الأخوين برئاسة كوغلان المقيم السياسي البريطاني في عدن، وبعد تقصي الحقائق أوصت بما يلي :

- تثبيت ماجد حاكماً مستقلاً على زنجبار وتوابعها في الشرق الإفريقي .

- عدم السماح لمسقط ولزعماء القبائل في عُمان، بالتدخل في شؤون الحكم في زنجبار .

- يلتزم ماجد بدفع المساعدة المالية إلى أخيه ثويني كتعويض عن تنازله عن ادعاءاته في زنجبار، كما يلتزم بدفع المتأخرات التي كانت قد توقفت منذ عام ١٨٥٨م، وتعدّ تلك المساعدة التزاماً مستمراً لا يجوز قطعها إلا في حال حدوث اعتداء من قبل حاكم مسقط ضد حاكم زنجبار .

- تُعقد اتفاقيات خاصة لمكافحة تجارة الرقيق مع كل من مسقط وزنجبار .

- يتم تعيين معتمد سياسي في مسقط .

- السماح لبرغش المقيم في بومباي بالعودة إلى زنجبار بعد أن هدأت الأمور بينها وبين مسقط<sup>(٢)</sup> .

وافق كل من ثويني وماجد على نتيجة التحكيم، على الرغم من استياء الأول لما تمّ التوصل إليه من قرارات أدّت إلى انفصال زنجبار عن التبعية العُمانية، واستطاع ماجد تحقيق هدفه في الاستقلال بزنجبار، لكنه استاء لما اتُّخذ من قرارات خاصة بدفع الأموال المتأخرة لمسقط<sup>(٣)</sup> .

الواقع أن التحكيم كان مخالفة واضحة لقواعد القانون الدولي، لكنه لم يلبث أن اكتسب الصفة الدولية عقب موافقة فرنسا، فصدر تصريح مشترك في ١٠ آذار ١٨٦٢م يعترف الطرفان بموجبه باستقلال زنجبار واحترام سيادتها وسيادة مسقط، وعدم قيام أي دولة باكتساب مناطق نفوذ لها في أي من السلطتين<sup>(٤)</sup> .

(١) قاسم: دراسة في تاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠ - ١٩١٤م، ص ٨٦.

(٢) قاسم: دولة البوسعيد: ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٣) المرجع نفسه: ص ٢٥٤ - ٢٥٥. (٤) لوريمر: ج١ ص ٣٨٩.

وعلى هذا الشكل الذي تمّ بموجبه الانفصال، أضحى هناك سلطتان مستقلتان، إحداهما في مسقط والأخرى في زنجبار، يحكمهما أخوان من أسرة واحدة. تأثرت مسقط سلباً بالانفصال، فقد تدهورت أوضاعها الاقتصادية بفعل انتقال التجار إلى القسم الإفريقي الذي كان أكثر ازدهاراً، كما غادرت مسقط، الأموال التي أنعشت الاقتصاد الوطني من قبل، وعانى القطاعان الزراعي والتجاري من ذلك، وضرب الانفصال البنية الاجتماعية، وأضححت الأزمات أكثر حدة، وباتت وحدة المجتمع العُماني على أبواب كارثة حقيقية أخذت منذ مطلع القرن العشرين، وبسبب الأدوار البريطانية؛ أبعاداً مأساوية دامت أكثر من قرن.

الثورات التي قامت ضد حكم ثويني: دخلت سلطنة مسقط بعد انفصال زنجبار مرحلة انحذار تاريخي قاد البلاد إلى الإفلاس السياسي والاقتصادي والمعنوي، والاندفاع أكثر فأكثر للانخراط تحت جناح الاستعمار البريطاني. كانت هذه المرحلة من التاريخ العُماني تحتاج إلى رجل دولة قوى يتمتع بدعم العلماء الإباضيين ويلتف الجميع حوله، ولما كان ثويني لا يتمتع بهذين الشرطين، فقد واجه تحديات كثيرة على شكل ثورات.

فقد خرج عليه الإباضيون بقيادة الإمام قيس بن عزان، كما ثارت عليه قبيلة آل سعد في منطقة الباطنة، وطلبت منه الانضواء تحت سلطتها، لكن قيساً قُتل في معركة ضد هلال حاكم تلك المنطقة<sup>(١)</sup>، وما كاد ثويني يضع حداً لتلك الثورات حتى وجد نفسه أمام ثورة عزان بن قيس الذي خلف أباه في الرستاق، وجرت معارك بينهما على مدى سنتين لم تُسفر عن نتائج تُذكر. استغل السعوديون تلك الثورات وأرسلوا قواتهم بقيادة عبد العزيز بن مطلق، دخلت البلاد بحجة التوسط بين الطرفين المتنازعين<sup>(٢)</sup>، وفي عام ١٨٦٥م سُنت قبيلتا آل بو وهيبة وآل بو علي المتحالفتان مع السعوديين، غارات عنيفة على قواته في المنطقة.

تجاه تلك التحديات وعجز ثويني عن إخمادها تدخلت بريطانيا، فأرسلت تحذيراً إلى الأمير السعودي وطلبت منه اعتذاراً ودفع تعويضات عن الأضرار الحاصلة<sup>(٣)</sup>. وتلقّت في ٢٠ شباط ١٨٦٦م من الأمير السعودي عبد الله الذي خلف أباه فيصل، رسالة تعهد بامتناع الوهابيين عن مهاجمة القبائل العربية المتحالفة مع بريطانيا وبخاصة قبائل عُمان ما دامت تدفع الأتاوة المفروضة عليها<sup>(٤)</sup>. وحاول ثويني أن يستغل تراجع الضغط السعودي ليحل المشكلات الناجمة عن

(٢) المصدر نفسه: ص ١٨٨.

(٤) المصدر نفسه.

(١) السالمي، عبد الله: ج ٢ ص ١٨٦.

(٣) لوريمر: ج ٢ ص ٧٣٧.

تواجههم في بلاده لا سيما مشكلة واحات البريمي<sup>(١)</sup>، والمعلوم أن السعوديين كانوا قد سيطروا عليها من قبل، فتعاون مع صالح بن علي الحارثي، ودعمته القبائل المعارضة للنفوذ السعودي، كما تلقى دعماً من أخيه تركي بعد مصالحته، وجَهَّز حملة عسكرية عهد بقيادتها إلى ابنه سالم، غير أن السعوديين استقطبوه، وبدلاً من أن يقود الجيش ضدهم، توجه إلى مسقط وقتل أباه<sup>(٢)</sup>.

## سالم بن ثويني

خلف سالم أباه ثويني سلطاناً على مسقط في عام ١٨٦٦م، وكان أسير جريمته، إذ انزوى في قصره حتى سقوطه، وعاش العُثمانيون طوال مدة حكمه التي استمرت ستين مرحلة أقل زهواً وأكثر مرارة.

رفضت بريطانيا في بادئ الأمر الاعتراف بحكمه وطلبت منه التخلي عن الحكم<sup>(٣)</sup>، كما رفض عمه تركي الاعتراف به سلطاناً على مسقط، ولما حاول إثارة المشكلات في وجهه ردعته بريطانيا ونفته إلى الهند، ويبدو أن موقف تركي المعارض لانفصال زنجبار في عام ١٨٦١م هو السبب في التصرف البريطاني.

وطلباً تعديل بعد ذلك على الموقف البريطاني، فأرسلت حكومة الهند البريطانية، مبعوثاً هو بيللي، إلى مسقط، قَدِّم لسالم الاعتراف الرسمي به سلطاناً على عُمان، وفتحت تلك الحكومة قنصلية بريطانية في مسقط في عام ١٨٦٧م<sup>(٤)</sup>.

الواضح أن فشل سالم في توطيد مركزه الداخلي، كان عاملاً مهماً من عوامل سقوطه، ويبدو أن تعاونه مع السعوديين دفعه إلى التعاون مع القبائل الغافرية ما أثار القبائل الهناوية، وتزامن ذلك مع ثورة الحزب الديني الإباضي الذي أطاح به وبعث نظام الإمامة الإباضية، فغادر عاصمته إلى بندر عباس، واستولى الإباضيون عليها في ١٢ تشرين الأول عام ١٨٦٨م.

## الإمام عزان بن قيس

كان سقوط السلطان سالم يعني سقوط نظام السلطنة، فاختار الزعماء الإباضيون عزان بن قيس إماماً، واشتروا عليه ألا يعقد راية، ولا يُنفذ حكماً، ولا يقضي أمراً، إلا برأي المسلمين ومشورتهم<sup>(٥)</sup>.

(١) تتألف منطقة البريمي من تسع قرى.

(٢) لوريير: ج٢: ص٧٣٩.

(٣) السالمي: ج٢ ص١٩٠.

(٤) لوريير: ج٢ ص٧٤٢.

(٥) انظر النص الكامل للبيعة عند غبَّاش: ص٧٤.



شكّل وصول الإمام عزان بن قيس إلى سدة الحكم انعطافة في طبيعة الحكم وأساسه، فقد ألغى نظام الوراثة، وألّف مجلساً للشورى من قادة الثورة، تركّزت فيه السلطتين الاستشارية والتنفيذية، وكان إلى جانب الإمام: رئيس الحكومة وقائد الجيش والمسؤول عن بيت المال.

تمحور نظام الإمامة حول أربع نقاط:

١ - إلغاء السلطة المستقلة للقبائل المعارضة وإخضاعها للسلطة المركزية، ووضع حد للفوضى وإعادة تطبيق القوانين.

٢ - تحرير واحات البريمي من السيطرة السعودية ووضع حد للنفوذ السعودي في عُمان.

٣ - وضع حد للنفوذ البريطاني، والعمل على إلغاء الالتزامات والاتفاقيات التي فُرضت على مسقط خلال عهد السلطنة، والحصول على اعتراف بريطانيا بإمامة عزان بن قيس، وتأكيد استقلال عُمان.

٤ - استعادة زنجبار ومعالجة قضيتي جوادر وبندر عباس<sup>(١)</sup>.

انصرف الإمام عزان بن قيس لمعالجة تلك النقاط، وحقّق في السنة الأولى من عهده خمسة نجاحات تاريخية هي:

- إعادة توحيد المجتمع العُماني.

- إلغاء النظام القبلي.

- تحقيق السلام والاستقرار في الداخل.

- استعادة واحات البريمي.

- إعادة نظام الإمامة.

وباشر الإمام عزان بن قيس في موازاة حل المشكلات الداخلية، معالجة الشؤون الخارجية، وبخاصة العلاقة مع حكومة الهند البريطانية التي رفضت الاعتراف بحكمه، فأرسل وفداً إلى بومباي ليتباحث مع حكومتها في صيغة جديدة للعلاقات العُمانية - البريطانية، قائمة على مبدأ المساواة، والحصول على الاعتراف البريطاني. لكن هذه الحكومة لم ترد إيجاباً على مبادرة الإمام.

وحاولت حكومة الهند البريطانية من جهتها القضاء على النظام الجديد، فأيدت كل حركة تمرد ضده من ذلك، فقد سارعت إلى تأييد الانقلاب الذي تزعمه ناصر بن ثويني واستيلائه على جوادر ودعمته باعتراف رسمي، وعندما حاول الإمام استعادة المدينة تصدّت له<sup>(٢)</sup>.

(٢) لوريمر: ج٢ ص ٨٥٤.

(١) غُبّاش: ص ٢٢١.

وأقنع البريطانيون السلطات الإيرانية بإلغاء العقود الموقعة مع مسقط أثناء حكم ثويني والمتعلقة بتأجير ميناء بندر عباس، ومنعوا الإمام من بسط سلطته على هذا الميناء.

لكن ذلك الوضع لم يستمر مدة طويلة، ففي تشرين الأول عام ١٨٦٩م أرسلت حكومة الهند الشرقية بيللي إلى مسقط لتقصي وضع الإمامة، كان الإمام آنذاك بصدد إخضاع قبيلة آل بو علي المعارضة في المنطقة الشرقية واستعادة واحات اليريمي، ولما حقق نجاحاً في ذلك وبسط سلطته الكاملة على الداخل؛ أعادت حكومة الهند البريطانية النظر بموقفها وبخاصة بعد اعتراف فرنسا وهولندا بإمامة عزان بن قيس، وما جرى من تدخل حكومة لندن في هذا الأمر أدى إلى اعترافها بشرعية حكم الإمام، لكنها استمرت تحريك المؤامرات وتساند كل ثورة ضده، من ذلك أنها دعمت المؤامرة التي حاكها تركي بن سعيد للإطاحة به في عام ١٨٧٠م، وساعده شيوخ ساحل عُمان الخاضعين للنفوذ البريطاني، والقبائل الغافرية وبعض الهناوية المعارضة لإجراءات الإمام، بالإضافة إلى السعوديين، وعندما ضمن شروط النجاح التقى بجيش الإمام عزان بن قيس في منطقة ضنك في ١٢ تشرين الأول ١٨٧٠م وتغلب عليه، وتلقى الإمام هزيمة أخرى عندما اشتبك مع سيف بن سليمان البوسعيدي وهو حليف لتركي، ولم تلبث الإمامة أن سقطت بعد موته، ودخل تركي العاصمة مسقط منتصراً.

الواقع أن بريطانيا نجحت في إجهاض مشروع الدولة الإسلامية الإباضية، وبدو أن وراء ذلك عوامل عدة منها:

- المحافظة على مكتسباتها الاستعمارية.
- تدمير الحضارة العُمانية.
- عجز البريطانيين وسوء نيتهم فيما يتعلّق باستيعاب واقع المنطقة وثقافتها، وقبولهما.

## تركي بن سعيد

تكمن أهمية السلطان تركي بن سعيد في أنه أعاد نظام السلطنة من جديد، لكن وصوله إلى الحكم أدخل البلاد في نفق مظلم بفعل الحرب الأهلية التي تجاوزت عهده وعهود خلفائه، وجعلت الاستقرار الداخلي شبه مستحيل<sup>(١)</sup>.

أبطل في سنوات حكمه الأولى جميع الإجراءات التي اتخذتها حكومة الإمامة

Wikinson, J.C: The Imamate Tradition of Oman p238. (١)

على الرغم من المعارضة الشديدة من جانب الإباضيين المتشدّدين، فلجأ إلى الدهاء للتخلص من زعمائهم، فكان يستدعيهم إلى مجلسه ثم يباغتهم بالقبض عليهم وإيداعهم السجن ومن ثمّ يقتلهم، كما فعل مع سعيد بن خلفان الخليلي مرشد الثورة الإمامية وابنه محمد.

وتعرّضت مسقط لهجمات شديدة من جانب صالح بن علي الحارثي الذي نجا من اضطهاد السلطان، ولم يتوقف إبراهيم بن قيس الذي كان قد انسحب إلى الداخل العُماني؛ عن شنّ غارات ضد السلطان، واستغل السعوديون الوضع الداخلي المضطرب لإعادة نفوذهم في واحات اليريمي، وترثت بريطانيا بالاعتراف بحكومة السلطان حتى ١٦ حزيران ١٨٧١م، ونتيجة لاضطراب الوضع الداخلي بسطت حمايتها على مسقط ومطرح، ودعمت موقف السلطان ضد كل عدوان يتعرّض له مقابل أن يحكم البلاد وفقاً لتوجهاتها<sup>(١)</sup>.

وقام السلطان بمحاولة الاتصال بسلطان زنجبار برغش الذي كان قد خلف أخاه ماجد، لإقناعه باستئناف مساعدة زنجبار، لكن بريطانيا تدخلت لمنع عودة الاتصال بين مسقط وزنجبار، خشية من إعادة الوحدة بين القسمين العُمانيين الآسيوي والإفريقي.

لكن السلطان المتوثب لإعادة الوحدة حاول تجاوز الوصاية البريطانية عندما اقترح على أخيه برغش أن يصبح سلطاناً على زنجبار وعُمان معاً، وهذا يعني أنه كان مستعداً للتنازل عن منصبه في مسقط من أجل إعادة الوحدة بين القسمين على الرغم من معارضة بريطانيا<sup>(٢)</sup>، ويبدو أن التفكك والانقسام كان نصيب السلالة السلطانية بفعل سيطرة بريطانيا على البلاد، ووجدت سلطنة عُمان نفسها بلداً من دون بنية سياسية، ومن دون سلام اجتماعي، ممزقاً بحرب أهلية، قوّت من جديد الروح العشائرية القبلية، وأخضعته للحكم البريطاني، بحيث أضحت حكومة الهند البريطانية الممثل الرسمي لعُمان.

توفي السلطان تركي بن سعيد في عام ١٨٨٨م، وخلفه ابنه فيصل.

## فيصل بن تركي

تبنى السلطان فيصل مواقف وطنية واضحة، وحاول التعبير عن موقف حازم من بريطانيا التي ازداد نفوذها في مسقط بشكل ملفت. عدّت حكومة الهند البريطانية التي كان يرأسها آنذاك نائب الملك اللورد كيرزون، والحكومة البريطانية في لندن

(٢) المرجع نفسه: ص ٨٠٢.

(١) لوريمر: ج ٢ ص ٨٠٠.

برئاسة سالزبوري، هذا الموقف تحدياً غير مقبول من جانب أمير صغير كان لها الفضل في وصوله إلى الحكم، ومن جهته كان السلطان يطمع في أن يصبح حاكماً على دولة موحدة وقوية ومستقلة عن أي نفوذ أجنبي، وبخاصة أنه كان متأثراً بالنموذج الإباضي، فاتخذ لقب إمام بدلاً من سلطان. غير أن الحركة الإباضية لم تقبله، لذلك كان عليه أن يواجه ريبة شعبه، والثورات المستمرة التي كانت تقوم ضده، وشهد عهده تنافساً بريطانياً - فرنسياً، فأدرك عندئذٍ مدى شدة حاجته إلى مساندة بريطانيا لمواجهة المشكلات الداخلية والخارجية التي كان يعاني منها، لذلك كان أول عمل قام به هو توقيع اتفاقية صداقة وتجارة وملاحة مع حكومة الهند البريطانية في عام ١٨٩١م، وألحق بها تعهداً عن نفسه وعن ورثته وخلفائه من بعده بعدم التنازل عن أي جزء من ممتلكاته أو رهنها أو تأجيرها أو بيعها لأي دولة أخرى دون موافقتها<sup>(١)</sup>، ويُعدُّ ذلك انتصاراً كبيراً للسياسة البريطانية، إذ بعد هذا لم يعد بوسع عُمان أن تكون بلداً مستقلاً وسيداً مهما كانت مقاومة السلطان قوية<sup>(٢)</sup>.

عارض العُمانيون هذه الاتفاقية بشدة، كما أثارت الحكومة الفرنسية، وظلَّت مسقط خلال هذه المدة من نهاية القرن التاسع عشر وحتى السنوات الأولى من القرن العشرين مسرحاً للتنافس البريطاني - الفرنسي الذي لم تخفَّ حدَّته إلا بعد توقيع الاتفاق الودي بين لندن وباريس في عام ١٩٠٤م.

واكتسبت علاقة بريطانيا بالسلطنة وضعاً خاصاً على أثر تعيين اللورد كيرزون نائباً للملك في الهند، وتعيين بيرسي كوكس، وكيلاً سياسياً وقنصلاً عاماً في مسقط، إذ استطاع هذان الرجلان استقطاب السلطان والإحاطة به، فوجد نفسه أكثر انسياقاً للسياسة البريطانية.

لقد تحالفت قبائل عُمان الداخل ضد السلطان تاركة خلافاتها الثانوية جانباً، وقامت بهجوم واسع النطاق على العاصمة مسقط بقيادة عبد الله بن صالح بن علي الحارثي، فهرب السلطان من عاصمته التي دخلها الثائرون، وضحت بريطانيا بحليفها السلطان، فلم تتدخل لمساعدته، إلا أن السلطان تمكَّن في ١٠ تموز ١٨٩٤م من استعادة عاصمته وتدعيم سلطته من جديد، وتقرَّب من فرنسا، فمنح أسطولها تسهيلات كبيرة في ميناء جسة الذي يبعد حوالي ثمانية كيلومترات عن مسقط، وقد أدَّى ذلك إلى ازدياد حدة التنافس في المنطقة بين لندن وباريس، إلا أن القوة المتصاعدة لبريطانيا والاتفاق الاستعماري على تقاسم مناطق النفوذ، جعلاً الأسطول الفرنسي ينسحب من المياه العُمانية، فكان ذلك بمثابة هزيمة كبرى للسلطان الذي وجد نفسه مجبراً على الخضوع للقوة البريطانية.

(٢) غباش: ص ٢٥٠.

(١) لوريمر: ج ٢ ص ٤٨٢.

وما حدث في تلك الأثناء من تعيين بريطانيا مندوباً جديداً لها في مسقط هو السير بيرسي كوكس، أن أخذ هذا يُخطط لترسيخ السيطرة الاستعمارية البريطانية في مسقط، وركّز اهتمامه على الابن الأكبر للسلطان فيصل وهو تيمور.

ونتيجة للسيطرة البريطانية وعجز السلطة المركزية عن مواجهتها، وتزايد نفوذ رؤساء القبائل، والخيبة التي تلقاها السلطان بانسحاب الفرنسيين، ففقد الشعب العُماني ثقته بالسلطان الذي لم يبقَ له من النفوذ سوى إمامة المسلمين يوم الجمعة، وفي هذه الأجواء المشحونة نجحت الزعامات الدينية في تحقيق التماسك والاتحاد، ونهضت للتصدي للبريطانيين والسلطان معاً، وبعثت الإمامة من جديد عندما بايعت سالم بن راشد الخروصي فاجتاح الإباضيون على إثر ذلك وادي سمايل الذي سقط في أيديهم في آب ١٩١٣م، وهو المنفذ الموصل بين الداخل والساحل، ثم راحوا يستولون على القلاع القريبة من مسقط، وعلى الرغم من التماس السلطان فيصل المساعدة من البريطانيين، إلا أنه لم يستطع وقف تقدم الثوار، ولم يلبث أن توفي في ٤ تشرين الأول ١٩١٣م<sup>(١)</sup>، وخلفه ابنه تيمور البالغ من العمر سبعة عشر عاماً.

## تيمور بن فيصل

اعتلى السلطان تيمور السلطة في وقت كانت فيه البلاد تغرق من جديد في أزمة داخلية خطيرة، تمثلت بثورة الإمامة، ووضع السلطنة الاقتصادي المتدهور.

وضع الإمام الخروصي برنامجاً يقوم على أربعة نقاط هي:

- ١ - إسقاط نظام السلطنة.
- ٢ - إنهاء الوجود البريطاني.
- ٣ - العمل على توحيد البلاد.
- ٤ - إعادة إقامة نظام الإمامة<sup>(٢)</sup>.

أخبر الخروصي السلطان بقيام الإمامة، وطلب منه إنهاء النفوذ البريطاني وتطبيق الشريعة الإسلامية، وهذا يعني التنازل عن الحكم، وكانت بريطانيا آنذاك منهمكة بالحرب العالمية الأولى، فنصحت السلطان بالتفاهم مع الشيخ عيسى بن صالح الحارثي بوصفه صديقاً قديماً له من أجل الوصول إلى تسوية للنزاع القائم، ويبدو أن الحكومة البريطانية نحت هذه السياسة لثلاثة أسباب هي:

الأول: إن قوات الإمام تقبض على مفتاح الموقف، لأنها تسيطر على وادي سمايل وحصنه.

(٢) غباش: ص ٢٧٨.

(١) السالمي: ج ٢ ص ١٥١.

**الثاني:** إن دعوة الإمام إلى الجهاد ضد البريطانيين وأعاونهم هي دعوة مخيفة في تلك الظروف الدقيقة في ذلك الوقت على الأقل، لأن البريطانيين كانوا يفاوضون الشريف حسين على إعلان الجهاد ضد العثمانيين، ولا بد أن تؤدي دعوة إمام عُمان للجهاد الديني ضد البريطانيين إلى مشكلات بالغة الخطورة ولا سيما في الهند والجزيرة العربية وشمال إفريقيا.

**الثالث:** لا يمكن حلَّ المشكلة عن طريق الرشوة، التي اقترحها سلطان مسقط، لأن الحكومة البريطانية جرّبت ذلك في الماضي وفشلت، كما لن تستطيع السفن البريطانية مساعدة السلطان عندما يحتاج إليها بسبب انشغالها في الحرب<sup>(١)</sup>. لكن محاولة التفاهم باءت بالفشل<sup>(٢)</sup> بسبب التصلب في المواقف، فتدخل عندئذٍ الشيخ حمدان بن زايد حاكم أبو ظبي كوسيط بين السلطان والإمام، وبعد عقد اجتماعات عدة في منطقة السيب الواقعة على بُعد حوالي سبعين كيلومتراً عن مسقط، انتهت المفاوضات بالفشل أيضاً، كذلك فشل البريطانيون في شق صفوف الحركة الإياضية، عندئذٍ كان لا بد من القتال لتقرير المصير.

كانت المواجهات قاسية بين الجانبين، فاستولى الثائرون على معظم البلاد، واقتصرت سلطة تيمور على مسقط ومطرح وبعض المدن الساحلية، فتغير ميزان القوى لصالح الإمامة التي لم يبق أمامها سوى الاستيلاء على العاصمة مسقط، فهاجمتها في عام ١٩١٤م، لكنها فشلت في اقتحامها.

أدركت بريطانيا أن سقوط مسقط يعني نهاية نفوذها في عُمان، فنشرت قواتها حول المدينة للدفاع عنها وإنقاذ مقلها الأخير، وأرسل المقيم السياسي البريطاني رسالة تهديد وتحذير إلى الإمام، وفي آب ١٩١٥م جرى أول لقاء رسمي بين الإماميين والبريطانيين في السيب لدراسة المعطيات الجديدة واقتراحات كل من السلطان والإمام، ومثّل السلطان كل من عيسى بن صالح الحارثي وقاضي الإمام الشيخ سعيد بن ناصر، وترأس بين (Bain) الوفد البريطاني.

لم يُسفر ذلك اللقاء عن نتيجة إيجابية بفعل اختلاف وجهات النظر بين الجانبين، فقد طالب البريطانيون بانسحاب القوات الإمامية من منطقة سمايل الاستراتيجية، ورفض الإماميون ذلك، فأقدمت بريطانيا عندئذٍ على فرض حصار اقتصادي على

(١) قاسم، جمال زكريا: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر: ج٢ ص ٤٦١.

(٢) شركة الزيت العربية الأمريكية، إدارة العلاقات شعبة البحث: عمان والساحل الجنوبي للخليج

الفارسي: ص ٨٢ - ٨٣.

الداخل العُماني للضغط على الإمامة عبر رفع الرسوم الضريبية على البضائع الواردة من مناطقها<sup>(١)</sup>.

وظلّت الأوضاع في حال حرب استنزاف طيلة خمس سنوات، كانت البلاد خلالها خاضعة لسُلطين، سلطة السلطان تيمور في مسقط والمدن الساحلية، وسلطة الإمام الخروصي في بقية المناطق الداخلية.

وعندما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها في عام ١٩١٨م، ركّزت بريطانيا المنتصرة في الحرب اهتمامها على فرض سلامها في منطقة الخليج العربي بعامه ومنها عُمان، وكان الإمام الخروصي قد قُتل في عام ١٩١٩م على يد أحد الناقمين عليه من قبيلة وهيبة، فاختر العلماء الإباضيون محمد بن عبد الله الخليلي إماماً في تموز ١٩٢٠م، وهو أحد أحفاد سعيد بن خلفان الخليلي مرشد إمامة عزان بن قيس.

اشتهر الإمام الجديد بالمرونة السياسية، فأبدى استعداداً للتفاهم مع السلطان، لكنه واجه انقساماً داخلياً خطيراً تمثّل بالخلاف مع القبائل، وبدا آنذاك أن خطين سياسيين في طريقهما إلى الظهور، خط العلماء المؤيد لاستمرار الثورة، وخط القبائل التي لم تعد ترى في الثورة فائدة، وبدت بريطانيا في الوقت نفسه أنها مستعدة لتقديم تنازلات، وهكذا مال الطرفان إلى التفاهم، ونتيجة للمفاوضات التي جرت في السبب في أيلول ١٩٢٠م، صاغت بريطانيا حلاً فيما عُرف باتفاقية السبب، يقضي بالاعتراف بالإمام كسلطة معنوية في البلاد، وهي خطوة تقسيمية بطبيعة الحال، وقد رفضها السلطان، إلا أنه لم يكن باستطاعته تغييرها أو التأثير فيها، وأقرّ مبدأ التعايش السلمي بين السلطنة والمقاطعات الداخلية من عُمان، وعدم تدخل كل طرف بشؤون الطرف الآخر<sup>(٢)</sup>.

وهكذا أضحي لعُمان بموجب تلك المعاهدة، ومنذ ذلك التاريخ، واقعان تاريخيان معترف بهما من جانب بريطانيا، الساحل تحت حكم السلطان تيمور والداخل تحت سلطة الإمامة وزعماء القبائل.

وحاولت بريطانيا إحكام قبضتها على البلاد، فأغرقتها بالديون، وعندما أدرك السلطان تيمور أنه عاجز عن الوفاء بها، وأنه سيقى رهينة في يد البريطانيين، تخلّى عن الحكم في ١٧ تشرين الثاني عام ١٩٣١م لصالح ابنه سعيد البالغ من العمر إحدى وعشرين سنة، والواقع أن بريطانيا هي التي تولّت أمر هذا التغيير، وغادر

(١) لاندن: ص ٣٥٥.

(٢) Revue Egyptienne de Droit International XII: Treaty of sib between Sultan of Muscat and Oman and Imam of Oman pp120 - 122.

تيمور البلاد إلى الهند، ولم يسمح له ابنه بالعودة إلى عُمان إلا مرة واحدة في نهاية الحرب العالمية الثانية ثم غادر مسقط نهائياً، وتوفي في بومباي في الهند عام ١٩٦٥م، ودُفن فيها.

## سعيد بن تيمور

### الأوضاع الداخلية

بدأ السلطان سعيد حياته السياسية بالخضوع التام لبريطانيا، فحلَّ مجلس الوزراء بناء على طلبها، وفرضت عليه وزارة جديدة مؤلفة من وزيرين هما أليان وزيراً للدفاع والمالية والشيخ زبير وزيراً للعدل، مؤكدة هيمنتها على السلطنة مع اقتراب نشوب الحرب العالمية الثانية، وكثّفت قواتها العسكرية في أراضي السلطنة خلال الحرب، وأقامت قواعد جوية في المناطق الواقعة بين صلالة ومسقط<sup>(١)</sup>.

وشكّلت الإمامة بدورها حكومتها في الداخل العُماني، وعيَّنت طبقاً لتقاليدها، ولاية وقضاة في المدن الخاضعة لها، ولكنها وجدت نفسها محاصرة بمعطيات القرن العشرين المتسارعة.

وهكذا نجحت بريطانيا في تحقيق هدفها: عزل الإمام في الداخل العُماني، وتوطيد نفوذها في المناطق الساحلية، وعزلت عُمان عن بقية أجزاء العالم العربي وعن العالم الخارجي، لتتفرّد بها وبثروتها النفطية، وتُبَعدها عن المنافسة الدولية، ووقّعت معها ضمن هذا الإطار معاهدة عام ١٩٥١م، وظلَّ الوضع هادئاً نسبياً رغم المعارضة التي بدأت تنفّس إلى أن مات الإمام الخليلي في عام ١٩٥٤م وانتخاب غالب بن علي الهناوي إماماً.

وتحقّقت بريطانيا في غضون ذلك من وجود نفط في منطقة الفهود على حدود الإمامة، فقرّرت استعادة المناطق الداخلية وضمها إلى مسقط، ومن جهته أراد الإمام غالب أن يسترجع ما فقدته الإمامة من نفوذ في الوقت الذي أخذ السلطان يمد نفوذه شيئاً فشيئاً إلى بعض المناطق الأخرى، وبخاصة ظفار في أقصى الجنوب الغربي، فاندلعت الثورة ضد حكم السلطان سعيد.

التفَّ العُمانيون في هذا الصراع حول الإمام، ونُظمت المقاومة الوطنية، وجرى التهيؤ لحرب شعبية طويلة، وشكّل الإمام غالب مجلساً لقيادة الثورة اتخذ الجبل الأخضر وسط عُمان مقراً له، ونظّم العمليات العسكرية خلال السنوات (١٩٥٦ - ١٩٥٨م)، لكن قوات

(١) قاسم: دولة البوسعيد ص ٣٩٣ - ٣٩٤.



الثورة مُنيت بهزائم متكررة، وتكبّدت خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات، وتمكّنت قوة مظلية بريطانية في بداية عام ١٩٥٩م من النزول في الجبل الأخضر وسيطرت عليه، وتمركزت فيه، وفرّ الإمام غالب إلى المملكة العربية السعودية مع بعض أعوانه<sup>(١)</sup>.

## عُمان والعالم الخارجي

ارتبطت القضية العُمانية بالقضايا العربية، ففي عام ١٩٥٤م، طلب الإمام انضمام عُمان إلى الجامعة العربية في محاولة لتلقي دعمها ضد العدوان البريطاني. وصبّ العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦م في مصلحته، فقد جمعت الشعوب العربية ومعظم الدول العربية العداء لبريطانيا. وعلى الرغم من الدعم العربي، لم يلق الملف العُماني قبولاً في مجلس الجامعة، ولعل مرد ذلك يعود إلى:

- الوضع الاستثنائي للإمامة، والغموض الذي يُحيط بكيانها السياسي المستقل.  
- الضغط البريطاني على حلفاء بريطانيا العرب للامتناع عن التصويت، والتماسها المساعدة من الولايات المتحدة الأميركية للتدخل لتغيير الموقف السعودي الموالي للإمامة.

ودفع تصاعد العمليات العسكرية في عام ١٩٥٦م الجامعة العربية إلى تشكيل لجنة لدراسة القضية العُمانية، ما أثار قلق بريطانيا، وتجاهل السلطان طلب الجامعة السماح لأعضاء اللجنة بدخول عُمان، ما حمل الجامعة العربية إلى نقل القضية إلى الأمم المتحدة واصفةً الاعتداءات البريطانية بأنها تُشكّل تهديداً للسلام والأمن في الشرق الأوسط.

وعُرضت القضية العُمانية أمام الأمم المتحدة لأول مرة في آب، ورأى العرب أنه يسري على عُمان مبدأ حق تقرير المصير، وخشيت بريطانيا من وصول القضية إلى الأمم المتحدة، فاحتجت على الموقف العربي بفعل:

- عدم وجود دولة عُمانية مستقلة.  
- أن قطاع عُمان هو جزء من سلطنة مسقط وعُمان.  
- أن سيادة عُمان على المناطق الساحلية والجبالية معترف بها في معاهدات دولية عدة<sup>(٢)</sup>.

(١) الزرقاني، محمد علي: عُمان قديماً وحديثاً: ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٢) غباش: ص ٣٢٠.

وهكذا فشلت جهود العرب في محاولتهم هذه، وتأجلت القضية من سنة إلى أخرى حتى عام ١٩٦٠م عندما عُرضت مجدداً على الأمم المتحدة، وكان التباين واضحاً بين وجهتي النظر البريطانية والأميركية بشأن تحديد مناطق النفوذ في شبه الجزيرة العربية، ما تطلب إجراء مباحثات ثنائية تمخّض عنها ترسيم منطقتي النفوذ البريطاني والنفوذ الأميركي، وقُسمت المنطقة رسمياً على الشكل التالي:

- تخضع عُمان ومنطقة ساحل عُمان واليمن والبحرين وقطر والكويت للنفوذ البريطاني.

- تبقى المملكة العربية السعودية وإيران تابعتين للنفوذ الأميركي<sup>(١)</sup>، وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا التقسيم لم يحل قضية عُمان التي بدا أن بريطانيا ما زالت متمسكة بوصايتها عليها، وحتى عندما عُرضت اتفاقية السيب على طاولة البحث الدولي لم يحسم النقاش السياسي والقانوني الهوية الوطنية العُمانية، ولا النزاع السياسي المعروض على الأمم المتحدة، ووجدت القضية العمانية نفسها تؤجل من دورة إلى أخرى حتى عام ١٩٦٣م عندما قرّرت الجمعية العامة للأمم المتحدة إرسال لجنة تقضي الحقائق، ووضعت اللجنة تقريراً نفت فيه التهم التي كان يوجهها أنصار الإمام ضد البريطانيين والسلطان، فاتهمتها الدول العربية ومعظم دول العالم الثالث بالانحياز لبريطانيا ما استدعى تشكيل لجنة ثانية لدراسة القضية العُمانية، فقدمت تقريراً إلى الأمم المتحدة في عام ١٩٦٥م يوصي بأن تُنهي بريطانيا حمايتها على عُمان فوراً.

وظلّت تلك القضية موضع بحث ونقاش في المحافل الدولية سنوات عدة، ولم تُقبل عُمان عضواً مستقلاً في الأمم المتحدة إلا في تشرين الأول عام ١٩٧١م أي بعد سنة من وصول السلطان قابوس بن سعيد إلى سدة الحكم، وبداية انسحاب بريطانيا من الخليج العربي الذي تمّ في آخر السنة المذكورة.

## قضية واحات البريمي

كانت واحات البريمي منطقة خلافات دائمة منذ ظهور الدولة السعودية الأولى في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، والمعروف أنها تُشكّل نقطة اتصال بين المملكة العربية السعودية من جهة وبين كلاً من عُمان وأبو ظبي، واحتدمت القضية عام ١٩١٣م عندما سيطر عبد العزيز بن سعود على الأحساء، وجرت محاولات لتعيين الحدود بين السلطنة والمملكة باء بالفشل، وتوقّفت في عام ١٩٣٧م،

(١) غُبّاش: ص ٣٢٤.

وبقيت القضية معلّقة طيلة سنوات الحرب العالمية الثانية، وتجدّدت في السنوات التي أعقبت انتهاء الحرب، ففي تشرين الأول عام ١٩٥٢م، عيّنت الحكومة السعودية مدعومة من شركة أرامكو، تركي بن عطيشان حاكماً على البريمي، فاحتجت عُمان على هذا التدخل وتعاونت مع أبو ظبي وبريطانيا لطرده منها، واستمرت الأزمة حتى عام ١٩٥٤م عندما اتفقت الأطراف عرضها على التحكيم، وشكّلت لجنة تحكيم دولية تألفت من: شارل فيشر البلجيكي الجنسية، ومحمود حسن الباكستاني الجنسية، ومندوب عن كل من المملكة العربية السعودية وبريطانيا.

عقدت اللجنة أول اجتماع لها في مدينة نيس في ٢٤ تشرين الأول ١٩٥٥م، انتهى إلى الفشل، وما جرى في هذه الأثناء من تحقّق بريطانيا من وجود نفط في منطقة الفهود على حدود الإمامة وانتخاب غالب بن علي إماماً بعد وفاة الإمام الخليلي؛ فقرّرت حل القضية عسكرياً، وتعاونت قواتها مع قوات السلطان لطرده الحاكم السعودي وإعادة المنطقة إلى عُمان.

## ثورة ظفار

قامت ثورة ظفار في عام ١٩٦٣م من أجل استقلال الإقليم الجنوبي (ظفار) عن مسقط، منطلقة من الجبال، وساندتها عناصر متعددة من الداخل. كان الثوار في بداية أمرهم متفرقين على شكل جماعات عقائدية الميول والتوجهات، منهم القوميين والماركسيين والاشتراكيين، قبل أن يتحدوا تحت قيادة واحدة هي جبهة تحرير ظفار، وقد تلقت مساعدات من حركة القوميين العرب والمملكة العربية السعودية ومصر والعراق.

لاقت الجبهة تأييداً واسعاً من قبيل رجال القبائل في جبال ظفار بسبب حال البؤس والظنك التي فرضها عليهم السلطان سعيد بن تيمور، وبفعل الأجواء الثورية التي قادها طالب شقيق الإمام غالب بن علي. مرّت ثورة ظفار في مراحل ثلاث استناداً إلى مدى انتشارها وعلاقتها الخارجية، والتحوّلات الداخلية، وهي:

المرحلة الأولى، ١٩٦٥ - ١٩٦٨م: أصيبت الجبهة بنكسة في نيسان عام ١٩٦٥م عندما ألقى القبض على أربعة من أعضائها في مدن مختلفة في ظفار، فتراجعت قواتها، ونتيجة لذلك عقدت مؤتمرها الأول في أول حزيران في جمرين في الوادي الكبير بوسط ظفار لمناقشة وسائل النهوض وتنظيم الحركة، وتمّ انتخاب لجنة مؤلفة من ثمانية عشر عضواً أيدت مبادئ الكفاح المسلح وانسحاب ظفار من سلطنة عُمان الواقعة تحت حكم السلطان سعيد بن تيمور المتعسف، وأصدرت الجبهة بيانها

الأول بهذا الصدد في ٩ تموز، ندد بحكم السلطان وطلب من جميع الظفاريين الانضواء تحت راية الثورة، وتمكنت من السيطرة على حوالي ٩٠٪ من أراضي ظفار، وأدخلت إصلاحات جذرية في المناطق المحررة مثل: التوعية حول أهمية الولاء الوطني والطبقي، ومضار الولاء القبلي، ورفع شأن المرأة ودورها في التعليم ومحو الأمية.

وقسمت الجبهة المنطقية الخاضعة لها إلى ثلاثة أجزاء، شرق وغرب ووسط، كي يسهل الإشراف عليها، وجنّدت المتطوعين، وقامت بهجمات عسكرية متقطعة اقتصرت على التخريب والقتل والكمائن لمواقع الحكومة وبخاصة في طاقة ومرباط وعلى طول طريق صلالة - ثمريت، ولعل أبرز عملياتها في هذه المرحلة محاولة اغتيال السلطان في ٢٦ نيسان ١٩٦٦م.

وواجهت الجبهة منذ أوائل عام ١٩٦٧م نقصاً في التمويل بعد أن قطعت المملكة العربية السعودية مساعداتها عنها بفعل ميولها اليسارية، ما دفعها إلى اتخاذ موقف دفاعي، فتراجعت عملياتها العسكرية بسبب نقص السلاح وزيادة ضغط قوات السلطان، وتشتت قواتها.

المرحلة الثانية، ١٩٦٨ - ١٩٧٤م: عقدت الجبهة مؤتمرها الثاني في حمرين في أيلول ١٩٦٨م، وناقشت توسيع نطاق عملياتها، وتنسيق نشاطات مجموعات التمرد المتفرقة في المناطق، وخرج هذا المؤتمر بتبني سياسة شاملة أكثر وضوحاً، فقرر أن تستخدم الجبهة سياسة العنف الثوري المنظم، ومبدأ الاشتراكية، فأضحت بذلك ماركسية التوجه، ويعني هذا القرار بداية تصعيد التمرد القبلي المحلي إلى حركة عقائدية وراها تأييد جماهيري في أنحاء الخليج، واستدعى ذلك تغيير اسم الحركة من: جبهة تحرير ظفار، إلى: الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل، موجهة بعقيدة ماركسية تهدف إلى تغيير أنظمة الحكم الداخلية، وإقامة دولة عربية في الخليج العربي، تمتد من الكويت إلى ظفار، فأدخل هذا النجاح تغييراً في أهداف جبهة تحرير ظفار، فخرجت بذلك من نطاقها المحلي الضيق إلى أفق خارجي أوسع، ودعت جماهير الشعب العربي في الجنوب والخليج العربي، وفي كل أراضي العروبة؛ بتقديم التأييد المادي والمعنوي للنضال في ظفار العربية، ويبدو أنها تأثرت بنجاح الثورة في عدن ضد السلطة البريطانية، وحصولها على الاستقلال في عام ١٩٦٧م<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من ضيق قاعدة الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل،

استطاعت هذه الجبهة إحراز بعض النجاح بمساعدة الصين وروسيا والعراق، فسيطرت في أواخر عام ١٩٧٠م على كل ظفار ما عدا صلالة مقر السلطان الذي أضحى مُحاصراً، وعزّزت وجودها السري في الخليج العربي وبخاصة في البحرين والكويت.

ويبدو أن الأفكار الاشتراكية التي تبنتها الجبهة، لم تُرض بعض قادتها، فانفضوا عنها، ورفض الكثير من رجال القبائل التعامل معها فتعرضوا للقتل، وأقلقت المفاهيم التي اعتنتقتها، الدوائر الرسمية في الغرب، وحتى تُقوّي موقفها اندمجت في عام ١٩٧٠م في تنظيم ثوري عُماني آخر هو الحركة الثورية الشعبية في عُمان والخليج العربي، فسُميت عقب ذلك بالجبهة الوطنية الديمقراطية لتحرير عُمان والخليج العربي، وحاولت فتح جبهة عسكرية ثورية جديدة في وسط البلاد وفي إمارات الخليج العربي، فأنشأت خلايا سرية كانت وراء سلسلة من الإضرابات التي قام بها عمال النفط.

إلى هنا، وصلت الجبهة إلى ذروة قوتها ليبدأ بعد ذلك انحدارها، وشكّل اعتلاء قابوس بن سعيد الحكم في عام ١٩٧٠م بمساعدة البريطانيين، وسفره إلى المملكة العربية السعودية واتفاقه مع السعوديين على ضرب الجبهة؛ السبب الأساس لوضع حد نهائي لانتشارها، فقد اعترفت المملكة العربية السعودية بالنظام الجديد، وقدمت له مساعدات مادية، وقرّرت إغلاق ممرات تموين الجبهة من جانب الربع الخالي.

وأدّت إيران دوراً كبيراً في عرقلة ثورة ظفار، اعتقاداً منها أن نجاحها في عُمان سيكون مقدمة لامتدادها في الخليج كله ما يُشكّل خطراً على أمن نظامها واستقرار المنطقة، فأرسل الشاه في عام ١٩٧٣م حملة عسكرية مؤلفة من ثمانية آلاف جندي مزودين بطائرات عامودية (هليكوبتر) وسفن حربية لمساعدة سلطان عمان استجابة لطلبه.

المرحلة الثالثة، ١٩٧٤ - ١٩٧٥م: تضافرت عوامل عدة أثرت سلباً على مصلحة الثوار نذكر منها:

- نقص السلاح والخبرة الفنية والتدريب العسكري والإعلامي، في الوقت الذي كانوا يواجهون فيه خصماً قوياً مدرباً عسكرياً وفنياً وإعلامياً، تتمتع عناصره بخبرة طويلة في التنظيم والتخطيط والقتال وحرب العصابات.

- التطور النوعي لقوات السلطان.

- تدخل إيران العسكري.

- مساندة الأردن للسلطان.

قلبت تلك العوامل ميزان القوة لمصلحة حكومة مسقط، فعقدت الجبهة في كانون الثاني ١٩٧٤م مؤتمرها الرابع والطارئ لتدارس وضعها المتدهور، لكنها فشلت في الاتفاق على سياسة طوارئ، وأعدت في شهر آب تقويم سياستها فأدخلت عليها تعديلاً عبر تضييقها، فجعلت هدفها تحرير عُمان فقط، وتخلّت عن هدفها السابق وهو تحرير الخليج العربي كله، ودعت نفسها، الجبهة الشعبية لتحرير عُمان، ما سدّد ضربة قوية للثورة. وشكّل الاتفاق العراقي - الإيراني في عام ١٩٧٥م، خطوة إضافية في عملية تلاشي المساعدات للثوار، وأدّت السياسة العراقية دوراً مع الكويت ومصر في إقناع اليمن الجنوبي بإعادة النظر في علاقاته مع الجبهة على ضوء المساعدات الاقتصادية التي قُدّمت له، فانعزلت الثورة عن الدول العربية، وانحسرت، وانتصر السلطان، وذلك في ١١ كانون الثاني ١٩٧٦م<sup>(١)</sup>.

## قابوس بن سعيد

### الإصلاحات الداخلية

أطاح قابوس بن السلطان سعيد بوالده في ٢٣ تموز ١٩٧٠م، واعتلى سدة الحكم، ولعل الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتردية بالإضافة إلى دعم البريطانيين له؛ كانت وراء هذا الانقلاب، وتمثّل السبب المباشر لهذا التغيير في اكتشاف مخازن أسلحة تعود لثوار ظفار في وسط البلاد وما يعنيه ذلك من امتداد بالغ الخطورة على النظام.

كان أول عمل قام به السلطان الجديد هو أنه سمّى السلطنة باسم «سلطنة عُمان»، وبدأ بممارسة الحكم بتشكيل مجلس استشاري مؤقت ضمّ بعض الوافدين العرب والبريطانيين يتولى إصدار القرارات وإخطارها للسلطان، وعلى الرغم من أن هذه القرارات كانت تصدر باسم السلطان، إلا أن كثيراً منها لم تكن تلقى هوىً في نفسه لعدم اقتناعه بها، وكان كثيراً ما يتغاضى عنها، نذكر من ذلك دعوة المجلس السيد طارق بن تيمور، وهو عم السلطان، من منفاه بألمانيا الغربية، وكلفه السلطان بتشكيل أول حكومة في عهده، وقد صبّب هذا التكليف في سياسة السلطان الجديدة بتصحيح المسار السياسي والإداري في الدولة، واتفق معه على أن تبقى القضايا المتعلقة بالدفاع والمال والنفط ومنح الامتيازات، من اختصاص السلطان<sup>(٢)</sup>.

(١) Khalifa: p168. Osborne, Christine: The Gulf States and Oman p147.

(٢) منها: ص ٥٩٧.

لكن ترتب على تقليد السيد طارق ذلك المنصب إثارة العديد من المشكلات والأزمات السياسية بفعل التناقض الشديد بين شخصيته وشخصية السلطان قابوس، بالإضافة إلى عدم وجود ثقة بينهما، والمعروف أن السيد طارق كان أكثر تحركاً واندفاعاً وثقةً بنفسه، كما كان أكثر شهرةً في ذلك الوقت من السلطان قابوس.

ويبدو أن الحكومة واجهت العديد من التعقيدات أثناء ممارستها لعملها، إذ لم تكن هناك فكرة واضحة عن السلطة السياسية العامة، وافترق الوزراء إلى التجربة والتنسيق فيما بينهم، وغياب رئيسه السيد طارق معظم الوقت عن حضور جلساته بفعل سفره إلى الخارج؛ فاستغل السلطان ذلك وعمل على دفع السيد طارق إلى الاستقالة في كانون الثاني ١٩٧٢م، وشكّل السلطان قابوس بنفسه حكومة جديدة واحتفظ بحقائب المالية والخارجية والدفاع، فكان لذلك تأثير إيجابي على تفعيل العمل الحكومي، فكان مجلس الوزراء يجتمع مرة في الأسبوع لتنسيق العمل السياسي والمناقشات العامة<sup>(١)</sup>، ومن أبرز القرارات التي اتخذها المجلس في ذلك الوقت، تحجيم دور المستشارين الأجانب في البلاد، وإنشاء مجلس تخطيط مؤقت مؤلف من اثني عشر عضواً من العُمانيين ليحل محل لجنة المناقصات التي كان يهيمن عليها الأجانب<sup>(٢)</sup>.

اتهج السلطان قابوس سياسة قائمة على إزالة كل مظاهر التخلف الشديد التي ميّزت عهد والده، والانفتاح على العالم الخارجي، وبخاصة أن بلاده كانت على عتبة الدخول إلى عالم النفط بعد اكتشافه واستخراجه في عام ١٩٦٧م، وبعد أن قمع ثورة ظفار التفت إلى سياسة التنمية، فبنى شبكة من الطرق منها طريق مطرح - صحار وطريق السيب - نزوى، وطريق مسقط - صور، بالإضافة إلى شبكة جوية، وشبكة من الاتصالات السلكية واللاسلكية التي وصلت إلى حدّ استخدام الأقمار الصناعية، وأنشأ ميناء مطرح ومطار السيب، وبنى العديد من المدارس والمستشفيات، وبدأت تظهر في البلاد المصارف والفنادق الكبرى، وشركات التأمين.

وساعد القضاء على ثورة ظفار، التي كانت تستنزف قسماً كبيراً من الدخل القومي، السلطان قابوس على سرعة إنجاز برامج التنمية منذ عام ١٩٧٦م، وقد ركّزت الخطة الخمسية الثانية ١٩٧٦ - ١٩٨٠م على ربط أقاليم الدولة بهدف تقوية الشعور بعُمان كوطن واحد، واهتمت بتنمية موارد الثروة الطبيعية، وتنوع الاقتصاد، واستثمار رؤوس الأموال في قطاعات الصناعة والتعدين والزراعة والمصائد وتنمية الموارد المائية وإحداث نقلة نوعية في الإدارة الحكومية.

(١) Townsend, John: Oman - The Making of the Modern State pp88 - 89.

(٢) جريدة الندوة السعودية، تاريخ ٤ شباط، ١٩٨٥م.

وأبدى السلطان قابوس اهتماماً بتطوير القوات الدفاعية، واتبع نهجاً متدرجاً لمشاركة العُمانيين في الحكم، ولم تمضِ عشر سنوات حتى برهن الشعب العُماني عن قدرته على التجاوب مع متطلبات التنمية، والديمقراطية معاً.

وشكّل السلطان قابوس مجلس الشورى في تشرين الثاني ١٩٨١م تكوّن في بادئ الأمر من خمسة وخمسين عضواً يتم تعيينهم بحيث يمثلون القطاعات الحكومية والخاصة وولايات السلطنة المختلفة، وعلى الرغم من أن هذا المجلس افتقد إلى حق التشريع؛ إلا أنه تُركت الفرصة لأعضائه لإبداء الرأي، ورفع توصيات أو ملاحظات إلى السلطان، ثم أُدخل تعديل على صلاحيات أعضائه بتأثير حرب الخليج الثانية (١٩٩٠ - ١٩٩١م) أتاح فرصة أكبر للمشاركة في الحكم فأضحى من حق المجلس مناقشة القضايا التي تُعرض عليه من دون أن يتخذ قرارات بشأنها، والملفت أنه أُتيح للمرأة العُمانية أن تشارك في المجلس، والمعلوم أنه فازت سيدتان في انتخابات المجلس هما شكور الغماري وهي سكرتيرة سابقة لجمعية المرأة العُمانية، وطبية المعلولي وهي مذيعة في الإذاعة العُمانية، وزيدٌ عدد أعضائه بحيث أضحى يتكوّن من تسعة وخمسين عضواً<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا الشكل، نقل السلطان قابوس عُمان في غضون سنوات قليلة، من عصر القرون الوسطى إلى العصر الحديث والمعاصر على جميع الصعد والقطاعات. وشهدت عُمان في عام ١٩٩٤م توسيعاً لنطاق المشاركة السياسية للمواطنين في المجتمع المدني؛ عبر ترشيح السلطان قابوس أعضاء مجلس الشورى من مختلف الولايات على أساس الكثافة السكانية، ما أدى إلى زيادة عدد أعضائه إلى ثمانين عضواً<sup>(٢)</sup>.

قام مجلس الشورى العُماني بدور حيوي في تهيئة وإعداد أبناء الوطن للمشاركة في تحمل المسؤولية سواء على صعيد الشورى أو السلطة التشريعية، وتكامل جهوده في هذا المجال مع جهود مجلس الدولة الذي أُنشئ في عام ١٩٩٧م، وبانتخاب مجالس الشورى للمرة الخامسة (٢٠٠٤ - ٢٠٠٦م)، تصل الشورى العُمانية إلى مرحلة النضوج الكامل، حيث يُمارس كل مواطن عُماني دوره كاملاً، ويُساهم في صياغة وتوجيه التنمية الوطنية.

وتميز الاحتفال بالعيد الوطني الخامس والعشرين الذي جرى في عام ١٩٩٥م بالإعلان عن عفو عام عن السجناء السياسيين المتهمين بالانتماء إلى تنظيمات محظورة.

(١) جريدة عُمان، تاريخ ١٩ تشرين الأول، ١٩٩٢م.

(٢) وزارة الإعلام في سلطنة عُمان، عمان ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م، ص ١٥.



وأصدر السلطان قابوس في ٤ حزيران ١٩٩٧م قانوناً للأحوال الشخصية للمرة الأولى في تاريخ عُمان، تضمّن مائتين واثنتين وثمانين مادة تُعالج كل قضايا الزواج والطلاق والوصاية والحضانة وغيرها.

## السياسة الخارجية

العلاقات مع الدول العربية: شهدت عُمان في علاقاتها مع العالم الخارجي وعلى مدى قرن من الزمان قبل عهد السلطان قابوس؛ حال من الركود والعزلة نتيجة الفتن والاضطرابات الداخلية وسياسة الاستعمار البريطاني التي فرضها على البلاد، وانتعشت سياسة عُمان الخارجية، وعادت الحيوية إليها مع مجيء السلطان قابوس إلى الحكم، فقد أنشأ وزارة الخارجية في ١٦ آب ١٩٧٠م<sup>(١)</sup>، ورسم سياسة بلاده التي تتمثل بالخصائص الآتية:

- حسن الجوار مع دول المحيط.
- عدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي دولة، ورفض أي تدخل في سياسة بلاده.
- تدعيم علاقات عُمان مع دول الخليج العربي، والدول العربية، ودعم القضايا العربية في المحافل الدولية.
- إقامة علاقات صداقة مع دول العالم المحبة للسلام.
- دعم القضايا الإفريقية، وتأييد نضال الأفارقة من أجل الحرية والاستقلال.
- تبني سياسة مناهضة للتفرقة العنصرية.
- الالتزام بسياسة الحياد التي تنتهجها دول العالم الثالث.
- دعم التعاون الإسلامي.

تُرجمت هذه السياسة إلى أهداف واقعية شكّلت المحاور الرئيسة للسياسة الخارجية العُمانية على الصُّعد الإقليمية والقومية والدولية، وفي إطار نهج السلام الذي تتحرك السلطنة عبره، تؤمن بأنه لا يمكن المحافظة على إقامة السلام في العالم وحيانته إلا إذا كان قائماً على أسس ثابتة من العدالة والتفاهم بين جميع الأمم، وأن الإرهاب بكل صنوفه هو اعتداء على السلام الذي ينشده العالم، ومن هذا المنطلق أدانت السلطنة الإرهاب ودعت إلى التصدي له وإلى معالجة أسبابه، كما أنها تتعاون في إطار الحملة الدولية لمكافحة الإرهاب، مع تحذيرها لمخاطر

(١) مهنا: ص ٦١٣.

التوسع العشوائي لهذه الحملة من دون أدلة قاطعة؛ حتى لا تمسّ أطرافاً بريئة<sup>(١)</sup>.

كان طبيعياً بحكم إيمان السلطنة بالمبادئ المذكورة أن تحرص على:

توثيق علاقاتها مع الدول الشقيقة والصديقة، وتدعيمها، وتوسيع نطاقها عبر التعاون الاقتصادي تحقيقاً للمصالح المشتركة والمتبادلة، وتعزيزاً لجهود التنمية الوطنية، لذلك انطلقت من مسقط الدعوة المبكرة للتعاون الخليجي، وتبلورت خلال الاجتماعات التي عُقدت فيها الأسس التي يرتكز عليها مجلس التعاون الخليجي عند إنشائه في عام ١٩٨١م، وستظل قمم مجلس التعاون الخليجي التي انعقدت في مسقط في أعوام ١٩٨٥، ١٩٨٩، ١٩٩٥ و ٢٠٠١م، علامات بارزة ومؤثرة في مسيرة دول هذا المجلس، وتقترب بها من التكامل المنشود فيما بينها في المجالات المختلفة، بدليل أن قمة مسقط الثانية والعشرين لقادة دول مجلس التعاون، اتفقت على بدء تطبيق الاتحاد الجمركي بين دول المجلس في الأول من كانون الثاني في ٢٠٠٣م، وهو ما تمّ بالفعل، وإقامة السوق الخليجية المشتركة عام ٢٠٠٧م، وتحقيق العملة الخليجية الموحدة عام ٢٠١٠م، وتوقيع الاتفاقية الاقتصادية الموحدة لتحل محل الاتفاقية السابقة وإقرار تشكيل مجلس الدفاع المشترك والسياسة الأمنية الموحدة لمكافحة التطرف. علماً بأن بعض هذه القرارات لم يُنفذ إلى الآن.

ودلالة على مكانة ودور السلطنة في مجلس التعاون، تمّ في ١٨ أيار ٢٠٠٣م إقرار نقل الهيئة الاستشارية للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية إلى مسقط، حيث تمّ إنشاء مقر دائم لها.

وفي إطار العلاقات الوثيقة بين سلطنة عُمان وشقيقاتها العربيات، فقد شهدت علاقات عُمان مع جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية العديد من المشكلات، ويعود الخلاف بين البلدين إلى تباين النظام السياسي في كل منهما، ولم تتحسن العلاقات بينهما إلا بعد القضاء على ثورة ظفار، وتوسط المملكة العربية السعودية والكويت، حيث تمّ الاتفاق في عام ١٩٨٢م على عدم تدخل أي دولة منهما في شؤون الدولة الأخرى، وعدم القيام بأعمال معادية، وتشكيل لجنة مشتركة تشارك فيها الكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة بهدف الوصول إلى حل نهائي لترسيم الحدود بينهما، ثم تمّ الإعلان عن إقامة علاقات سياسية على مستوى السفراء<sup>(٢)</sup>.

وجرى في تشرين الأول ١٩٩٢م ترسيم الحدود بينهما، وأصدرت عُمان في كانون الأول خريطة رسمية جديدة تكشف التغييرات التي لحقت بحدودها الجنوبية

(١) عُمان ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م، ص ١١٣.

(٢) قاسم: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ج ٥ ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

مع الجمهورية اليمنية، مع العلم بأن هذه التغييرات لا يعدو كونها تصحيحاً لبعض التعديلات المؤقتة التي جرت في السبعينات نتيجة انتصار القوات العُمانية على جبهة تحرير ظفار التي كانت تتلقى دعماً من اليمن الجنوبية، ووقَّع نائب رئيس الوزراء العُماني قيس بن عبد المنعم الزواوي عقد ترسيم الحدود الدولية مع اليمن الجنوبية، وبعد أقل من أسبوعين على التوقيع، زار السلطان قابوس اليمن<sup>(١)</sup>.

وتصطلع سلطنة عُمان على الصعيد العربي بدور نشيط من أجل تحقيق أكبر قدر من التعاون والتفاهم بين الأشقاء، سواء عبر الجامعة العربية أو على المستوى الثنائي، وتمتتع بعلاقات راسخة ووثيقة مع مختلف الدول العربية، واستطاعت أن تؤدي دوراً إيجابياً في التقريب بين الأشقاء، وإيجاد مناخ إيجابي لذلك في كثير من الأحيان، من ثمَّ فإنها من الدول القليلة التي يلتقي عندها الجميع وتحظى بثقتهم، فأقامت علاقات جيدة مع الأردن، وكان للضباط الأردنيين دور إيجابي في تدريب قوات الدفاع العُمانية، وبدت العلاقات متوترة بين عُمان وليبيا بسبب اتهام السلطنة ليبيا بتقديم المساعدات إلى الجبهة الشعبية لتحرير عُمان، وتميزت علاقات عُمان مع مصر بالجيدة، وظهر ذلك واضحاً بعدم قطع علاقاتها معها كما فعلت دول الخليج الأخرى على أثر توقيع مصر اتفاقية كامب - دافيد، وعقد معاهدة مع الكيان الصهيوني في عام ١٩٧٩م، وتوسطت بعد اغتيال الرئيس المصري أنور السادات في استئناف العلاقات السياسية بين دول الخليج العربية ومصر، والتزمت عُمان جانب الحياد في الحرب العراقية - الإيرانية، وربما مالت في البداية إلى جانب العراق، لكن سرعان ما تعيَّر الموقف الحيادي عندما شعر السلطان قابوس باحتمال تعرُّض بلاده لاعتداءات من قِبَل إيران، ومن ثمَّ اتخذ موقفاً معتدلاً هو أقرب إلى التدخل كوسيط بين الطرفين المتنازعين.

وأدانت سلطنة عُمان الغزو العراقي للكويت، غير أن موقفها تميز بالاعتدال بالمقارنة مع موقف دول الخليج العربية الأخرى، وعقب انتهاء هذه الأزمة في عام ١٩٩١م تمحور توجه السلطنة حول إيجاد ترتيبات أمنية بين دول الخليج العربي كافة بما فيها إيران، ويبدو أن عُمان بحكم موقعها وقوتها البشرية تستطيع أن تؤدي دوراً مهماً في تكوين تحالف خليجي دفاعي.

وسعت سلطنة عُمان في التسعينات إلى تخفيف الحصار عن الشعب العراقي الذي فُرض عليه، وأسهمت بدور ملموس في إصدار قرار النفط مقابل الغذاء من خلال مجلس الأمن الدولي أثناء عضوية السلطنة في عام ١٩٩٥ و١٩٩٦م، ودعمت وحدة

(١) عُمان ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م، ص ٢٠.

الأراضي العراقية وتوفير عناصر الاستقرار للشعب العراقي واختيار حكومته، وشكل نظامه السياسي، واستمرت على هذا النهج السياسي خلال وجود الولايات المتحدة الأميركية العسكري الذي بدأ في عام ٢٠٠١م.

وأيدت سلطنة عُمان قضية الشرق الأوسط وعملية السلام، وأعربت عن أملها في أن تُتاح للشعب الفلسطيني الفرصة لتحقيق أهدافه ووضع حدٍّ لمعاناته وإقامة دولته المستقلة، في إطار الحلِّ العادل والشامل للنزاع، مع استمرار دعمها وتأييدها الاقتصادي والسياسي والمعنوي للشعب الفلسطيني وكفاحه العادل، وأدانت الممارسات الصهيونية البشعة ضد الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة في المحافل الدولية، نظراً لأن هذه الممارسات تحول دون نجاح جهود السلام ووصولها إلى غايتها.

وحاولت سلطنة عُمان تطبيع علاقاتها مع الكيان الصهيوني عقب عقد مؤتمر مدريد في عام ١٩٩١م لتسوية مشكلة الشرق الأوسط، مع استمرار موقفها الراض للاحتلال الصهيوني للأراضي العربية، والمطالبة بإعادة القدس إلى السيادة العربية، والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني، غير أن التطبيع تجمّد في عام ١٩٩٦م وسط استياء من تراجع رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتانياهو عما تحقّق في عملية السلام. وجرى في المقابل في ٢٢ تموز ١٩٩٧م فتح عُمان مكتباً تمثيلاً في غزة لدعم التعاون بين السلطنة والسلطة الفلسطينية.

**العلاقات مع الدول غير العربية:** أخذ النفوذ البريطاني يتراجع في سلطنة عُمان بانسحاب بريطانيا من منطقة الخليج العربي، ومن ثمّ توجّهت السلطنة إلى التحرر من الارتباط بالسياسة البريطانية وفتّح المجال أمامها لإقامة علاقات دولية أوسع.

وبرزت مصالح الولايات المتحدة الأميركية على مسرح الأحداث في الخليج العربي بعامّة وفي سلطنة عُمان بخاصة لتحل محل المصالح البريطانية، فارتبطت مصالحها الاقتصادية لا سيما في مجال النفط بمصالحها السياسية، وظهر ذلك واضحاً في إدانة السلطنة للتدخل السوفياتي في أفغانستان عام ١٩٧٩م.

ودفعت المتغيرات السياسية في المنطقة، السلطنة إلى الارتباط بشكل أوثق بالسياسة الأميركية، فأجّرت الولايات المتحدة الأميركية قاعدتي مصيرة وصلالة بعد أن أخلاهما البريطانيون، والمعروف أن مصيرة تحتل موقعاً متقدماً عند المدخل الجنوبي للخليج العربي، وقد رحّبت الولايات المتحدة الأميركية بذلك بفعل أن هاتين القاعدتين أضحتا حلقة في سلسلة القواعد الأميركية الممتدة من دايجو غارسيا

في غرب المحيط الهندي إلى قاعدة الجفير في البحرين، وقد وُقِّعت الاتفاقية الخاصة بهاتين القاعدتين في عام ١٩٨٠م، كما وُقِّعت اتفاقية أخرى خاصة بقاعدتي السيب وتومرت<sup>(١)</sup>.

ولم تصل علاقات عُمان مع الاتحاد السوفياتي إلى مستوى علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية، ويعود ذلك إلى ما شاب العلاقات العُمانية السوفياتية من توتر بسبب المساعدات التي كان يُقدمها الاتحاد السوفياتي لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وإلى ثوار ظفار، وظلَّ الجمود يُخيم على العلاقات بينهما حتى عام ١٩٨٥م عندما اتَّفَق في ذلك العام على إقامة علاقات سياسية (دبلوماسية)، وعلى الرغم من ذلك لم تتوثَّق العلاقات بينهما إذ لم تُعين موسكو سفيراً دائماً لها في مسقط، واكتفت بسفير غير مقيم.

وتوثَّقت علاقات عُمان مع الصين الشعبية، إذ كانت الدولة الشيوعية الأولى التي أوقفت مساعداتها لثوار ظفار منذ عام ١٩٧٣م، وأخذت تعمل على تطبيع العلاقات مع السلطنة التي تُوِّجت بتبادل سياسي في عام ١٩٧٩م، وتعاون الطرفان في المجال الثقافي فيما سُمي بمشروع السندباد عندما أبحر ملاحون عُمانيون بسفن شراعية من ميناء مسقط إلى ميناء كانتون عام ١٩٨٠م تخليداً لذكرى البعثات التجارية الأولى التي كانت تَفِد من عُمان إلى الصين خلال العصور الوسطى<sup>(٢)</sup>.

وأقامت سلطنة عُمان علاقات وثيقة مع باكستان والهند، وارتبطت مع اليابان بروابط اقتصادية نفطية.

وظهرت العلاقات مع إيران جيدة في عهد الشاه محمد رضا بهلوي، ودفعت الضرورة السلطنة إلى طلب المساعدة العسكرية من طهران لمواجهة الحركات اليسارية في ظفار، كما تعهَّد السلطان والشاه في عام ١٩٧٦م على التعاون لحماية الإمدادات النفطية في الخليج عبر مضيق هرمز الذي تُشرف عليه الدولتان<sup>(٣)</sup>.

وقامت سلطنة عُمان بدور نشيط لتوسيع نطاق علاقاتها مع رابطة الدول المطلة على المحيط الهندي التي كان لها دور فعَّال في تأسيسها في آذار عام ١٩٩٧م، علماً بأن المحيط الهندي مثلّ دوماً نافذة بحرية للسلطنة تربطها بالعالم الخارجي، وتولت

(١) شامية، جبران: سجل الآراء والوقائع والأحداث السياسية في العالم العربي: ص ١٥٨.

(٢) قاسم: ج ٥ ص ٢٠٠.

(٣) تُشرف سلطنة عمان على الجانب الغربي من المضيق.

رئاسة الرابطة لمدة عامين في نيسان ٢٠٠١م حتى نيسان ٢٠٠٣م، وحرصت على إعطاء دفعة للتعاون بين دول الرابطة اقتصادياً وسياحياً، والمعروف أن هذه الرابطة تضم الهند وباكستان واليمن وعمان وجنوب إفريقيا وأستراليا وكينيا ودولاً أخرى مطلة على المحيط الهندي.

وازدهرت العلاقات العُمانية مع شرق ووسط إفريقيا، وتطورت خلال مسيرة النهضة العُمانية، والمعروف أن هذه العلاقات تعود بجذورها إلى ما قبل الإسلام ثم اتسعت وتوطدت مع ازدياد الهجرات والتجارة العُمانية إلى تلك المناطق بعد الإسلام وخلال دولة اليعاربة والعهد البوسعيدي، وقامت السلطنة بمشروعات تنمية عديدة في زنجبار، وارتفع معدل التبادل التجاري مع تنزانيا وجنوب إفريقيا وكينيا وزامبيا.

وكمثمة للتعاون الحضاري مع دول هذه الرابطة، جرى في ٧ آذار ٢٠٠٣م التوقيع على اتفاقية مع جامعة ملبورن الأسترالية لإنشاء كرسي سلطان عُمان للدراسات الإسلامية والعربية<sup>(١)</sup>.

ويقوم السلطان قابوس بزيارات خارجية لبحث مختلف القضايا الخليجية والعربية والدولية، ذات الاهتمام المشترك، ودعم العلاقات الثنائية بين السلطنة والدول الشقيقة والصديقة بما يخدم المصالح المشتركة والمتبادلة، ويُعزز الإسهام الإيجابي للسلطنة في كل ما من شأنه تحقيق وصياغة السلام والأمن والاستقرار في المنطقة، نذكر من هذه الزيارات، زيارته إلى كل من دولة الإمارات العربية المتحدة، ودولة الكويت، وجمهورية مصر العربية، ودولة قطر، والمملكة الأردنية الهاشمية.

ووقَّعت سلطنة عُمان وروسيا في ١٦ أيار ١٩٩٧م اتفاقاً لمد أنابيب نفط قزوين التي تنقل النفط الكازاخستاني عبر الأراضي الروسية إلى أحد موانئ البحر الأسود.

## السياسة الاقتصادية<sup>(٢)</sup>

عملت سلطنة عُمان في ظل إطار التنمية الاقتصادية على وضع خطط التنمية الخمسية المتتابة منذ الخطة الخمسية الأولى (١٩٧٦ - ١٩٨٠م) وحتى الخطة الخمسية السادسة (٢٠٠١ - ٢٠٠٥م)، من أجل الخلاص من حال الفقر والتخلف،

(١) عُمان ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م، ص ٢٣.

(٢) عُمان ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م، ص ١٣٠ - ١٣٣.

وإرساء قاعدة صلبة لاقتصاد وطني قوي قادر على النمو الذاتي وبناء الإنسان العُماني.

وحقق الاقتصاد العُماني انعطافة نوعية توفر له القدرة على النمو الذاتي، وتنوع مصادر الدخل القومي، والاندماج في الاقتصاد العالمي، والتفاعل الإيجابي مع مختلف التطورات الإقليمية والدولية وبخاصة ما يتعلق بتذبذب أسعار النفط في الأسواق العالمية.

وتبلورت الرؤية المستقبلية للاقتصاد العُماني حتى عام ٢٠٢٠م مع نهاية المرحلة الأولى للتنمية عام ١٩٩٥م، ومن ثمّ بدأ تطبيقها مع خطة التنمية الخمسية الخامسة (١٩٩٦ - ٢٠٠٠م) وهو الأمر المستمر مع خطة التنمية السادسة، وتسعى هذه الرؤية إلى توفير إطار مستقر للاقتصاد العُماني، يتم من خلاله زيادة نسبة مساهمة الغاز الطبيعي والحد من الاعتماد على النفط، مع تنوع مصادر الدخل وتنمية قطاع خاص كفاء وفعال، وتنشيط سياسات التخصيص، وتحقيق تنمية متطورة للموارد البشرية، والعمل على جذب مزيد من الاستثمارات.

وتحرص السلطنة على تحقيق قدر أكبر من الاندماج الاقتصادي خليجياً ودولياً، من خلال تنفيذ الاتحاد الجمركي لدول مجلس التعاون الخليجي، بدءاً من أول كانون الثاني ٢٠٠٣م، والانضمام إلى منظمة التجارة العالمية، وتنفيذ متطلبات منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى، وقد حقق الاقتصاد العُماني نجاحاً جيداً في عام ٢٠٠٢م حيث سجل معدل نمو ٢,٩٪ مقارنة بـ ٠,٤٪ فقط عام ٢٠٠١م، ولا تزال عملية النمو في تصاعد مستمر.

وأدركت السلطنة مدى ضرورة الاستعداد لمواجهة تحديات العولمة، وذلك عبر تطوير القدرات الوطنية، وتأسيس الاقتصاد على قواعد راسخة من التنافسية والإنتاجية العلمية، والارتقاء بالأجهزة والمؤسسات والاهتمام بالعلم والتقنية والبحث والتطوير، وتوفير المناخ الذي يكفل للقطاع الخاص النمو المطّرد والمشاركة الواسعة في صياغة خطط التنمية والسياسات الاقتصادية، ما يكسبه القدرة على ممارسة النشاط الاقتصادي بكفاءة ومرونة، ويُمكنه من مواجهة تحديات ما بعد الانضمام لمنظمة التجارة الدولية.

### السياسة الدفاعية<sup>(١)</sup>

تحرص سلطنة عُمان على تحقيق الأمن والأمان وترسيخهما، للوطن والمواطن،

(١) عُمان ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م، ص ٨٢ - ٩٣.

بوصفهما ركناً أساسياً من أركان التنمية والاستقرار، وفي إطار هذه الرؤية تمّ بناء وتطوير قوات السلطنة المسلحة لتقوم بواجبها في الدفاع عن الوطن وحماية منجزات النهضة، وتحقيق الأمن والطمأنينة، والإسهام في جهود التنمية الوطنية وذلك بحكم ما يتوافر لها من إمكانيات.

وحققت هذه القوات تطوراً واسع النطاق في التنظيم والتخطيط والتدريب، وأضحت منظومة عسكرية حديثة ومتكاملة ذات كفاءة قتالية عالية بفضل تنوع أسلحتها الأرضية والجوية والبحرية المتطورة، ما يضعها في مصاف الجيوش الحديثة، والمعروف أن القوات المسلحة تتألف من المشاة، وسلاح الجو، والبحرية أو الحرس الوطني، وشرطة عُمان والكليات والمدارس العسكرية، وهي في تحديث متواصل لتتماشى مع الأسلحة والفنون العسكرية المتطورة.

## النظام الأساسي للدولة

كان السلطان في عُمان رأس الدولة ومصدر السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية حتى صدور الدستور في ٦ تشرين الثاني عام ١٩٩٦م، والمكوّن من إحدى وثمانين مادة، ويُمثل الإطار القانوني الذي يحكم عمل السلطات المختلفة ويفصل بينها، وتستمد أجهزة الدولة كافة منه أساس ونطاق عملها، ويوفّر حماية و ضمانات حرية الفرد وكرامته وحقوقه.

حدّد الدستور نظام الحكم في الدولة والمبادئ الموجّهة لسياستها في المجالات المختلفة، وبيّن الحقوق والواجبات، وفصّل الأحكام الخاصة لرئيس الدولة ومجلس الوزراء والقضاء، وأشار إلى المجالس المتخصصة والشؤون المالية ومجلس عُمان. ونصّ على أن سلطنة عُمان دولة عربية إسلامية مستقلة ذات سيادة تامة عاصمتها مسقط، وأن دين الدولة الإسلام، والشريعة الإسلامية أساس التشريع، ويقوم الحكم على أساس العدل والمساواة والشورى، وللمواطنين حق المشاركة في الشؤون العامة وفقاً للقانون، ونظام الحكم سلطاني وراثي في الذكور من ذرية السيد تركي بن سعيد بن سلطان، ويشترط فيمن يختار لولاية الحكم أن يكون مسلماً، رشيداً، عاقلاً وابناً شرعياً لأبوين عمانيين مسلمين<sup>(١)</sup>.

(١) عُمان ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م، ص ٦٠.



## التنظيم الإداري للدولة

يتكوّن التنظيم الإداري للدولة في عُمان من:

**السلطان:** هو رئيس الدولة والقائد الأعلى للقوات المسلحة ورمز الوحدة الوطنية.

**مجلس الوزراء:** يُعدّ مجلس الوزراء السلطة التنفيذية العليا للجهاز الإداري للدولة وهو مسؤول عن الأمور الآتية:

- تقديم المشورة للسلطان في الشؤون الاقتصادية والسياسية والإدارية.

- الإشراف على سير الجهاز الإداري للدولة.

- رعاية مصالح المواطنين وضمان توفير الخدمات الضرورية لهم ورفع مستواهم الاقتصادي والاجتماعي والصحي والثقافي.

- رسم السياسات، واتخاذ الإجراءات اللازمة، واستخدام الموارد المالية والاقتصادية بهدف تنمية الاقتصاد الوطني.

- اقتراح القوانين والمراسيم السلطانية.

- متابعة تنفيذ القوانين وضمان الالتزام بأحكامها.

- متابعة أداء عمل وحدات الجهاز الإداري للدولة والتنسيق بينها.

- مناقشة اقتراحات الوزراء وسياساتهم خلال تنفيذ اختصاصاتهم.

يستمد مجلس الوزراء سلطاته من السلطان، وله أمانة عامة تعاونه على أداء أعماله، وكل وزير مسؤول بصفة فردية عن أعماله تجاه السلطان<sup>(١)</sup>.

وتدخل المجالس المتخصصة في الهيكل التنظيمي للسلطة التنفيذية، وتجتمع برئاسة

السلطان، وتضم أعضاء من مجلس الوزراء وغيرهم من المسؤولين، نذكر منها:

**مجلس الدفاع:** تمّ تشكيل مجلس الدفاع بموجب المرسوم السلطاني الرقم ١٠٥

تاريخ ٢٨ كانون الأول ١٩٩٦م برئاسة السلطان وعضوية ثمان شخصيات بحكم مناصبهم، يتولى النظر في الموضوعات المتعلقة بالمحافظة على سلامة السلطنة والدفاع عنها.

**مجلس الشؤون المالية وموارد الطاقة:** يتولى إعداد السياسة المالية للدولة وكل ما

يتصل بالنظام المالي والنقدي، وكذلك إعداد الموازنة العامة ودراسة الاعتمادات

المالية لمشاريع التنمية وما يتصل بالاستثمارات الداخلية والخارجية وتمويلها، ويُعنى

المجلس أيضاً بشؤون موارد الطاقة والعمل على تطوير مصادرها.

(١) عُمان ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م، ص ٦١. الطحاوي، سليمان: السلطات الثلاث: ص ٣٠٥.

**المجلس الأعلى للقضاء:** يختص هذا المجلس برسم السياسة العامة للقضاء، ويؤمّن استقلاله ومتابعة تطويره، ويُسرف على حسن سير العمل بالمحاكم والادعاء العام، وينظر في الترشيحات التي ترفعها الجهات المختصة لشغل الوظائف القضائية، ويقترح مشاريع القوانين المتعلقة بالقضاء، ويُبدي رأيه في مشاريع اتفاقيات التعاون القضائي بين السلطنة والدول الأخرى، بالإضافة إلى موضوعات أخرى يرى السلطان عرضها على المجلس لدراستها وإبداء الرأي فيها.

**مجلس الخدمة المدنية:** يتولى مهمة رسم السياسات العامة المتعلقة بالخدمة المدنية والنظر فيما يطرأ من مشكلات، وإيجاد الحلول لها في إطار المصلحة العامة.

**مجلس التعليم العالي:** أنشئ هذا المجلس في ٢٧ أيلول ١٩٩٨م، ويختص برسم السياسة العامة للتعليم العالي والبحث العلمي في الجامعات والمعاهد العليا، ويوجّهها بما يتفق مع حاجات البلاد، ويكفل تحقيق الأهداف الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية للدولة، ويُنظم قبول الطلاب في الجامعات والمعاهد العليا، ويحدّد أعدادهم، ويبحث في تعديل قوانين وأنظمة التعليم العالي في ضوء تطور السياسات العامة للدولة، وينظر فيما تعرضه عليه الجامعات والجهات الحكومية المختصة من مسائل تتعلّق بالتعليم العالي، ويُعدّ تقارير سنوية يرفعها لمجلس الوزراء عن أوضاع التعليم العالي وتقديم التوصيات بشأنها.

**مجلس التنسيق الاقتصادي:** أنشئ في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٩٩م، ويختص بالنظر في جميع المسائل الاقتصادية وما يعترض مسيرة التطور الاقتصادي من معوقات، واقتراح الحلول المناسبة لتنشيط الاقتصاد الوطني بوجه عام، وتذليل الصعوبات التي يواجهها القطاع الخاص، ويمثّل الحكومة في الاجتماعات المشتركة التي تُعقد مع مجلس رجال الأعمال، وغير ذلك من المسائل والموضوعات التي يُكلفه بها السلطان.

**مجلس جامعة السلطان قابوس:** مهمته المحافظة على مستوى التعليم الجامعي والارتقاء به، ويُنسّق بين مجالات التعليم الجامعي وبين احتياجات خطة التنمية الوطنية من خريجي جامعة السلطان قابوس.

**مجلس المناقصات:** يتولى مسؤولية فتح ودراسة عروض ترسية جميع المناقصات الحكومية وينفذها.

**جهاز الرقابة المالية للدولة:** إنه جهاز قائم بذاته، يتمتع بالاستقلال المالي والإداري وقد حلّ محلّ الأمانة العامة للرقابة المالية للدولة: أنشئ في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٩٩م.

مجلس رجال الأعمال: أنشئ هذا المجلس في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٩٩م، يختص بالتنسيق بين الحكومة والقطاع الخاص في كل ما من شأنه تنمية الاقتصاد الوطني وتطوير التجارة والصناعة والسياحة والاستثمار.

مجلس الاعتماد: أنشئ في ٢٧ حزيران ٢٠٠١م للعمل في مجال التعليم العالي، ويختص بإعداد الدراسات والأبحاث اللازمة حول متطلبات اعتماد مؤسسات التعليم العالي واعتماد البرامج المطروحة الخاصة بها، ووضع أسس هذا الاعتماد في ضوء السياسات التي يضعها مجلس التعليم العالي، وقد تمّ إعادة تشكيل هذا المجلس في ٢٧ آذار ٢٠٠٢م.

المجلس الأعلى لرعاية الشباب: يضطلع هذا المجلس بمهمة تطوير الرعاية الشبابية، ويوفر المناخ اللازم لتنمية قدرات الشباب عبر الأنشطة الثقافية والاجتماعية والرياضية.

مجلس حماية البيئة وموارد المياه: هو المسؤول عن المحافظة على البيئة ومكافحة التلوث، والتنسيق فيما يتعلق بالكشف عن موارد المياه، وتحقيق التوازن بين ما هو متاح وبين الاحتياجات.

## السلطة التشريعية

مرّت السلطة التشريعية قبل عام ١٩٩٦م في عُمان بمرحلتين:

الأولى: تمتد في المدى الزمني إلى عام ١٩٨١م، وتتميز بوجود ديوان التشريع التابع للسلطان، مهمته إعداد مشاريع القوانين ورفعها إلى السلطان ليوقعها كي تصبح نافذة بعد نشرها في الجريدة الرسمية<sup>(١)</sup>.

الثانية: تبدأ في ١٨ تشرين الأول ١٩٨١م عندما أنشأ السلطان قابوس المجلس الاستشاري للدولة بهدف إتاحة الفرصة لأكبر قدر من مشاركة المواطنين في الجهود التي تبذلها الحكومة لتنفيذ خططها الاقتصادية والاجتماعية، ويتمتع المجلس بالشخصية القانونية والاستقلال المالي والإداري، ومقره في العاصمة مسقط، ويُختار أعضاؤه من القطاعين الرسمي والأهلي، ويُشترط في العضو أن يكون عُمانياً الجنسية، وألا يقل عمره عن ثلاثين عاماً، وأن يكون من ذوي الخبرة والرأي<sup>(٢)</sup>، ويختص بـ:

(١) عمان ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م، ص ٧٠ - ٧٩.

(٢) مهنا: ص ٦٠٢ - ٦٠٥.

- إبداء الرأي في القوانين الاقتصادية والاجتماعية النافذة، والتوصية بما يرى تطويره منها لمواجهة ما يطرأ من متطلبات التنمية.
- إبداء الرأي فيما تعرض عليه الحكومة من سياسة عامة في مجال التنمية، والتوصية بما يراه من أجل استكمال الخطط الإنمائية وتشريعاتها التي تنوي الحكومة استصدارها.
- اقتراح ما يرى المجلس اتخاذه من إجراءات حكومية في المجالات الإنمائية التي لم يسبق للحكومة أن عالجتها.
- النظر فيما يواجه القطاع الخاص من ضائقات والتوصية بوسائل العلاج المناسب لها.
- إبداء الرأي في الموضوعات الأخرى التي يرى السلطان إحالتها إليه<sup>(١)</sup>.
- يعقد المجلس ثلاث دورات سنوياً خلال الأسبوع الأول من كانون الثاني وأيار وأيلول من كل عام، والنصاب القانوني لصحة انعقاده حضور ثلثي أعضائه، ويصدر قراراته بغالبية ثلثي الأعضاء الحاضرين، وله أن يُشكّل لجان دائمة أو مؤقتة من بين أعضائه تقوم بدراسة الموضوعات التي يحيلها إليها المكتب التنفيذي، ويتم تعيين رئيسه ونائبه بمرسوم سلطاني، وتؤدي أمانته العامة جميع الأعمال اللازمة لمعاونته.
- يتضح مما سبق أن طبيعة تكوين المجلس الاستشاري هي استشارية وليست تشريعية، لكنه يُشكل الخطوة الأولى على طريق إنشاء مؤسسة تشريعية ذات اختصاص تشريعي أصيل<sup>(٢)</sup>.
- وهذا ما حصل في عام ١٩٩٦م، عندما أُنشئت مؤسسات الشورى العمانية الثلاث وهي: مجلس عُمان، ومجلس الدولة، ومجلس الشورى، وقد تبلورت في صيغة متميزة للمشاركة السياسية الفاعلة للمواطنين، ويظل عام ٢٠٠٣م ذا أهمية خاصة نظراً لما شهدته من انعطافة تاريخية تمثلت في ترسيخ قاعدة المشاركة في انتخابات ممثلي الولايات في مجلس الشورى لتشمل كل المواطنين العُمانيين ممن بلغوا سن الحادية والعشرين ذكوراً وإناثاً، ولهم حق التصويت.
- يتكوّن مجلس عُمان من مجلس الدولة ومجلس الشورى، وهو نظام المجلسين،

(١) سلطنة عمان، المجلس الاستشاري للدولة خلال أربع سنوات، ص ٢٠ - ٢١.

(٢) منها: ص ٦٠٨.

علماء بأن سلطنة عُمان كانت السبّاقة بالأخذ بهذا النظام في المنطقة، ويعقد جلساته بدعوة من السلطان، ويصدر قراراته بالأغلبية، ويجتمع في دور انعقاد سنوي، حيث يُلقى السلطان خطاباً شاملاً يُحدد فيه القضايا المهمة.

ويضطلع مجلس الدولة بحكم تكوينه ومهامه واختصاصاته بدور حيوي على صعيد ترسيخ المشاركة بين الحكومة والمواطنين، ويتكوّن من خبرات عُمانية رفيعة المستوى وذات كفاءة في مختلف المجالات، ويتم تعيين رئيس وأعضاء المجلس بمرسوم سلطاني. ويُشترط أن يكون عضو المجلس عُماني الجنسية بصفة أصلية، وأن لا يقل عمره عن أربعين سنة، ولا يجوز الجمع بين عضويته وعضوية مجلس الشورى أو الوظائف العامة، ويُستثنى من ذلك العاملين في مجالات العلم والأدب والثقافة وأساتذة الجامعات والكليات والمعاهد، بلغ عدد أعضاء المجلس ثلاثة وخمسون عضواً في عام ٢٠٠٣م منهم خمس نساء، يعقد المجلس أربع دورات عادية في العام خلال أشهر كانون الثاني وآذار وأيار وتشرين الأول على التوالي، ويجوز لرئيسه الدعوة إلى دورة استثنائية إذا اقتضت الضرورة ذلك. يتمتع المجلس بالشخصية الاعتيادية والاستقلال المالي والإداري، كما يتمتع بصلاحيات عديدة أبرزها: إعداد الدراسات المتعلقة بخطط التنمية، وتقديم الاقتراحات لتشجيع الاستثمار، وتحسين الأداء، ومراجعة مشاريع القوانين والتعديلات المقترحة قبل اتخاذ إجراءات إصدارها، باستثناء القوانين الإدارية والإجرائية، والقوانين التي يوصي مجلس الوزراء برفعها مباشرة إلى السلطان لإصدارها، كما يدرس المجلس ما يحيله إليه السلطان أو مجلس الوزراء من موضوعات وإبداء الرأي فيها.

إن مجلس الشورى العُماني هو المجلس النيابي المنتخب الذي يضم ممثلي الولايات، حيث يشارك المواطنون ممن بلغ سنهم إحدى وعشرين عاماً بانتخاب ممثلي ولاياتهم في المجلس وفق الأسس والقواعد المنظمة لذلك، والتي تجعل حق الانتخاب والترشيح من الحقوق الأساسية للمواطن العُماني، رجلاً كان أو امرأة، متى توفّرت فيه الشروط الضرورية لذلك، ومنها ألا يقلّ عمر المرشح عن ثلاثين سنة، وأن يكون من ذوي المكانة والسمعة الحسنة في الولاية، وعلى مستوى مقبول من الثقافة والخبرة العملية، وغير محكوم عليه بعقوبة جنائية أو في جريمة مُخلّة بالشرف والأمانة، بالإضافة إلى جنسيته العُمانية الأصلية.

لا يجوز الجمع بين عضوية مجلس الشورى وعضوية مجلس الدولة أو الوظائف

العامة، ومدة عضوية مجلس الشورى ثلاث سنوات، ويمكن لعضو مجلس الشورى أن يُعيد ترشيح نفسه لدورة أخرى تالية، ولا يحق له الترشيح إذا شغل عضوية المجلس لدورتين متتاليتين، ويعيّن رئيس المجلس بمرسوم سلطاني.

يعقد مجلس الشورى أربع دورات عادية في العام خلال أشهر كانون الثاني وآذار وأيار وتشيرين الأول، ويجوز لرئيس المجلس أن يدعو إلى عقد جلسة استثنائية عند الضرورة.

يتمتع مجلس الشورى بالشخصية الاعتبارية وبالاستقلال المالي والإداري، ومقره محافظة مسقط، كما يتمتع بصلاحيات تشريعية واقتصادية واجتماعية، ويقوم في هذا الإطار بمراجعة مشاريع القوانين التي تعدها الوزارات قبل إصدارها، باستثناء تلك التي يوصي مجلس الوزراء برفعها إلى السلطان مباشرة، ويُحيل المجلس مشاريع القوانين بعد مراجعتها مشفوعة بتوصياته، وله أن يُبدي رأيه في ما تعرضه الحكومة عليه من موضوعات، ويستأنس المجلس في دراسته لمشاريع القوانين والقضايا الاقتصادية والاجتماعية بآراء عدد من الوزراء والكلاء وكبار المسؤولين في القطاع العام، ويجري التنسيق بين المجلس والمؤسسات الأخرى في الدولة من أجل تحقيق أكبر قدر من التعاون لصالح الوطن والمواطن.

ويزداد نشاط مجلس الشورى ومشاركته في اجتماعات اتحادات المجالس التشريعية العربية والإسلامية، ما يُعزّز علاقات السلطنة الخارجية، من ذلك فقد شارك هذا المجلس في اجتماعات اتحاد المجالس التشريعية العربية في الخرطوم وبيروت والقاهرة وبغداد في شباط وآذار ونيسان وأيلول عام ٢٠٠٢م، كما شارك في اجتماع اتحاد مجالس الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي في الكامبيرون في كانون الثاني ٢٠٠٣م، وفي اجتماع اتحادات المجالس التشريعية الآسيوية من أجل السلام في الصين في نيسان ٢٠٠٢م، وفي مؤتمر حوار المجلس العربي - الإفريقي في أديس أبابا في كانون الثاني ٢٠٠٣م، وفي اجتماع الأعضاء العاملين في مجالس الشورى والوطني والأمة لدول مجلس التعاون الخليجي في أيار ٢٠٠٣م.

### السلطة القضائية<sup>(١)</sup>

السلطة القضائية بالمفهوم الدستوري هي السلطة المختصة بتفسير القانون وتطبيقه على النزاعات التي تُعرض عليها، وهي سلطة ثالثة تتمتع بالاستقلالية وتُمارس اختصاصها عبر المحاكم ووفق قانون السلطة القضائية الصادر بالمرسوم السلطاني

(١) عمان ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م، ص ١٠٣ - ١٠٧.

رقم ٩٠ عام ١٩٩٩م، والمعدل بالمرسوم السلطاني رقم ١٤ عام ٢٠٠١م.

ترتكز السلطة القضائية على قاعدتين في ممارستها لاختصاصها:

**الأولى:** أن حق التقاضي مكفول للناس جميعاً، وأن المتهم بريء حتى تثبت إدانته في محاكمة قانونية تؤمن له حقَّ الدفاع، ويُحظَر إيذاء المتهم جسدياً ومعنوياً.

**الثانية:** تتمثل في الضمانات التي تتمتع بها السلطة القضائية واستقلاليتها في ممارسة اختصاصها، حيث لا سلطان على القضاة في قضائهم لغير القانون، وهم غير قابلين للعزل إلا في الحالات التي يُحددها القانون، ولا يجوز لأي جهة التدخل في القضايا أو في شؤون العدالة، ويُعدُّ مثل ذلك جريمة يُعاقب عليها القانون.

رتَّب قانون السلطة القضائية الذي بدأ تطبيقه منذ أول حزيران عام ٢٠٠١م المحاكم العُمانية، وحدَّد اختصاصات وإجراءات حكمها، وهي:

- المحكمة العليا: تتألف من رئيس وعدد من نواب الرئيس والقضاة، ومقرُّها مسقط، تفصل في النزاعات المتعلقة بمدى تطابق القوانين واللوائح مع النظام الأساس للدولة وعدم مخالفتها لأحكامه، كما تفصل في الطعون المرفوعة إليها، وهذه المحكمة هي أرفع المحاكم العُمانية.

- محاكم الاستئناف: مهمتها النظر في الطعون التي يُقدمها أصحاب العلاقة ضد الأحكام الصادرة عن المحاكم الابتدائية.

- المحاكم الابتدائية: تختص هذه المحاكم بالحكم في الدعاوى المدنية والتجارية، وطلبات التحكيم، ودعاوى الأحوال الشخصية، والدعاوى العمومية والعمالية والضريبية، ودعاوى الإيجار وغيرها من الدعاوى التي تُرفع إليها، وتشكِّل هذه المحاكم من دوائر اختصاصية تصدر أحكامها عن قاض منفرد، وتشكِّل في مسقط وبعض المدن الكبرى إلى جانب الدوائر الفردية، دوائر من ثلاثة قضاة تختص بالقضايا النوعية والقيمة التي يُحددها القانون، وتنشأ الدوائر الجزائية في نطاق اختصاص المحاكم الابتدائية، كدائرة من دوائرها، وذلك بقرار من وزير العدل.

- محكمة القضاء الإداري: تختص بالفصل في الخصومات الإدارية التي تكون الإدارة طرفاً فيها، وهي هيئة قضائية مستقلة، وتنظر بالدعاوى التي قد يرفعها موظفو الجهاز الإداري للدولة ضد رؤسائهم الإداريين، وغيرها من الدعاوى التي تدخل في نطاق اختصاصها.

- محكمة أمن الدولة: صدرت بالمرسوم السلطاني رقم ٢١، تاريخ ٢٧ شباط ٢٠٠٣م.

- الادعاء العام: يتولى الدعوى العمومية باسم المجتمع، ويُشرف على شؤون الضبط القضائي في مختلف المناطق، ومن صلاحياته تطبيق القوانين الجزائية، وملاحقة المذنبين، وتنفيذ الأحكام.

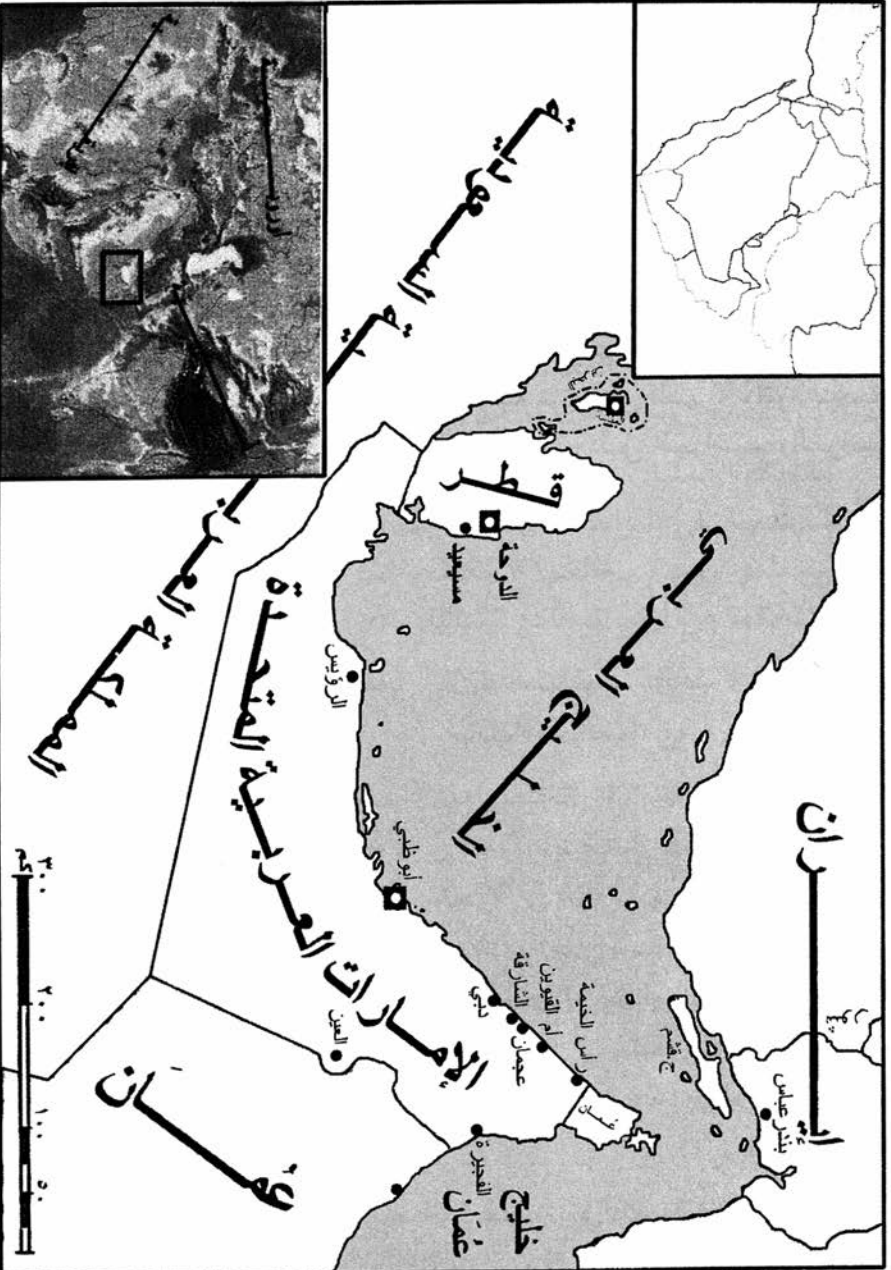
### الشؤون القانونية

تقوم وزارة الشؤون القانونية في إعداد ومراجعة مشاريع القوانين والمراسيم والاتفاقيات الدولية والعقود التي تكون الحكومة طرفاً فيها، وإبداء الرأي القانوني في ما تعرضه عليها الوزارات والوحدات الإدارية من موضوعات قانونية، أو تطلب الاستشارة القانونية بشأنها، وتصدر الجريدة الرسمية مرتين في الشهر، وتقوم بتجميع وتصنيف وإصدار المجلدات السنوية للتشريعات، ودليل المراسيم والقوانين والقرارات السلطانية<sup>(١)</sup>.

---

(١) عمان ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م، ص ١٠٧.





خريطة الإمارات العربية المتحدة. عن أطلس دول العالم الإسلامي شوقي أبو خليل. دار الفكر - دمشق

## الإمارات العربية المتحدة

### الموقع والجغرافيا

تقع دولة الإمارات العربية المتحدة على أطراف الجزيرة العربية المحاذية للخليج العربي وخليج عُمان، وتمتد من قطر غرباً وخور العديد جنوباً وحتى رأس مُسندم شرقاً، وتنتشر على هذه الرقعة الجغرافية إمارات: أبو ظبي ودبي والشارقة وعجمان وأم القيوين ورأس الخيمة، في حين يمتد ساحل الإمارة السابعة وهي الفجيرة على ساحل خليج عُمان بطول تسعين كيلومتر.

يحد دولة الإمارات العربية الخليج العربي من الشمال والشمال الشرقي، ودولة قطر والمملكة العربية السعودية من الغرب، وسلطنة عُمان والمملكة العربية السعودية من الجنوب، وخليج عُمان وسلطنة عُمان من الشرق، فتشكل بذلك امتداداً طبيعياً للجزيرة العربية، وجزء لا يتجزأ من منطقة الخليج العربي جغرافياً وتاريخياً وسكانياً، وتتمتع بموقع متميز كمركز للتبادل التجاري والحضاري، فضلاً عن كونها ذات أهمية عسكرية بفضل الشريان الحيوي الذي يُشكله الخليج العربي، والذي يربط دول آسيا الوسطى بآسيا الشرقية والجنوبية.

تبلغ مساحة دولة الإمارات العربية، خمسة وثمانين ألف كيلومتر مربع تقريباً، تقع مناخياً في المنطقة المدارية الجافة، وترتبط معدلات درجات حرارتها الشديدة صيفاً بارتفاع نسبة الرطوبة، مع وجود فروق كبيرة بين مناخ المناطق الساحلية والصحراوية الداخلية والمرتفعات التي تُشكل تضاريس البلاد، بحيث تزيد درجة الحرارة على الساحل في شهر تموز عن ٣٨ درجة، وترتفع الرطوبة أحياناً لتصل إلى حدّ الإشباع، ويتّسع المدى الحراري كلما توغلنا في الصحراء التي تُمثّل القسم الأكبر من أراضي الإمارات العربية، ويعتدل المناخ في مناطق الجبال والمرتفعات.

وتهب على البلاد رياح شمالية تمتاز بجفافها، وتلطيفها حرارة الجو ما لم تكن محملة بالأتربة والرمال، ورياح جنوبية شرقية، قد تكون شديدة الرطوبة، وتعاني

البلاد من قلة الأمطار<sup>(١)</sup>.

تتكون معظم أراضي دولة الإمارات العربية المتحدة من صحاري لا سيما في المناطق الغربية الداخلية، تتخللها واحات مثل العين وضواحيها الغنية بالمياه الجوفية، وبعض الجبال، أهمها جبل حفيت الذي يُشكل حداً جنوبياً لواحة البريمي، ويبلغ ارتفاعه نحو ١٢٢٠ متراً، وتتفرع منه سلسلتان متوازيتان تنتهيان عند مدينة العين باتجاه الجنوب، وسلسلة جبال حجر التي تقسم شبه جزيرة مُسندم، وتمتد على مسافة ثمانين كيلومتراً شمالاً وجنوباً بعرض يصل إلى نحو اثنين وثلاثين كيلومتراً، وتتميز السفوح الغربية للسلسلة بوجود وديان كبيرة وأخاديد يُستغلُّ بعضها للزراعة<sup>(٢)</sup>.

تتخلل التضاريس الطبيعية بعض السهول أهمها:

- سهل ساحل خليج عُمان، ويُعرف بسهل الباطنة.

- السهل الساحلي الشمالي، ويبلغ طوله نحو أربعين كيلومتراً ومتوسط عرضه ثلاثة كيلومترات.

- السهل الساحلي الجنوبي، يتضمّن سهول عدة صغيرة أهمها خورفكان ودبا.

وتتمتد السهول موازية لسفوح الجبال التي تفصل بينها متجهة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي.

- سهل الخليج العربي، يتميز بطوله على امتداد مسافة مقدارها مائتي كيلومتراً حتى رأس غناضة، باستثناء مواضع قليلة يتوغل البحر في الداخل عند مصبات الأودية، مثل وادي دبي ووادي الشارقة ووادي عجمان ووادي أم القيوين ووادي رأس الخيمة، وقامت الموانئ ومراكز العمران في أماكن قريبة من أطرافها<sup>(٣)</sup>.

## الإمارات المكونة للاتحاد

الإمارات السبع، أو إمارات ساحل عمان، أو إمارات الساحل المتصالح<sup>(٤)</sup>، أو إمارات الخليج؛ هي أسماء تُطلق على الإمارات العربية المتحدة وقد سُميت

(١) وزارة الإعلام والثقافة: دولة الإمارات العربية المتحدة، شعب عريق ودولة فتية: ص ٣٢.

(٢) وزارة الإعلام والثقافة: دولة الإمارات، حقائق وأرقام: ص ١٠ - ١١.

(٣) جودة، حسنين جودة: شبه الجزيرة العربية، دراسة في الجغرافية الإقليمية: ص ٢٣٧ - ٢٣٨، ٢٤٢.

(٤) تُعرف المنطقة الواقعة غرب عُمان تاريخياً باسم جلفار، المسماة أحياناً الصبر، وعموماً ساحل عُمان، وشهدت هذه المنطقة منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر ظهور تشكيلات عرقية وسياسية خاصة، وعندما تعرّضت هذه المنطقة للأطماع البريطانية أطلقت عليها بريطانيا اسم ساحل القراصنة، لكن عندما أخضعتها بالقوة ووقّعت القبائل معها معاهدة الهدنة البحرية عام ١٨٥٣م، أعادت تسميتها باسم الساحل المهادن أو الساحل المتصالح.

بالإمارات المتصالحة أو إمارات الهدنة بعد خضوعها للسيطرة البريطانية التي وضعت حداً للنزاعات بينها، والإمارات السبع هي:

## أبو ظبي

تُعدُّ إمارة أبو ظبي أكبر إمارات الخليج العربي وأغناها ثروة، فهي أكبر من الكويت وقطر والبحرين مجتمعة بأربع مرات، إذ تبلغ مساحتها ثمانين ألف كيلومتراً مربعاً، وتُشكل ٨٦٪ من مساحة الإمارات العربية المتحدة، كما يُشكل سكانها ٤٠٪ من مجموع سكان الإمارات، وتبلغ مالىتها ٩٠٪ من مالىة الإمارات<sup>(١)</sup>.

ويعود تسمية الإمارة بهذا الاسم إلى أن بدوياً ظلَّ يعدو خلف ظبي حتى اصطاده، وعندما أكله شعر بعطش شديد لم يستطع تحمله، فسقط ميتاً بجوار ما تبقى من الظبي، فأطلق على ذلك المكان الذي سقط فيه البدوي أبو ظبي، وأضحى بعد ذلك مدينة وعاصمة للإمارة، وهناك رواية أخرى تتعلق بسبب التسمية تقول بأن المكان كان مرتعاً للغزلان التي انقرضت من المنطقة لكثرة اصطيادها<sup>(٢)</sup>.

تقع إمارة أبو ظبي في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية، تحدها إمارة قطر من الغرب، وإمارة دبي وسلطنتا مسقط وعمان من الشرق، والمملكة العربية السعودية من الجنوب والخليج العربي من الشمال<sup>(٣)</sup>، وتمتد سواحلها على مدى أربع مائة كيلومتراً، وفيها حوالي مائتي جزيرة، أهمها جزر: أبو ظبي وداس وبنو ياس ودلما، عاصمتها مدينة أبو ظبي الواقعة على جزيرة أبو ظبي، وينقسم سكان الإمارة إلى أربع قبائل هي: بني ياس والمناصير والظواهر والهوامر<sup>(٤)</sup>، ومن مدنها: العين ومنطقة الظفرة.

كان الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم الإمارة، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة منذ تأسيسها عام ١٩٧١م، وظل في السلطة حتى وفاته في ٢ تشرين الثاني ٢٠٠٤م، وخلفه ابنه خليفة بن زايد آل نهيان، والمعروف أن آل نهيان هم من حلف ياس الذي يتكون من خمس عشرة عشيرة يتزعمهم جميعاً آل نهيان.

كانت صناعة اللؤلؤ العمود الفقري لاقتصاد أبو ظبي، ويعمل فيها حوالي ٨٥٪ من السكان، وتُساهم بنسبة ٩٥٪ من الدخل القومي، وتشكل الزراعة والتجارة

(١) Khalifa, Ali Mohammed: The United Arab Emirates p125 . دولة الإمارات العربية المتحدة،

الكتاب السنوي ١٩٧٤م، ص٧٤.

(٢) سعيد، أمين: الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة: ص١٠٤.

(٣) نانو، جان: اتحاد الإمارات العربية: ص٩٨.

(٤) أبو ظبي بين الأمس واليوم، مكتب الوثائق والدراسات في وزارة شؤون الرئاسة، ص٢٠.

حوالي ١٥٪، غير أن صناعة اللؤلؤ تراجعت بعد رواج اللؤلؤ الصناعي الياباني منذ عام ١٩٣٥م، فتراجع الاقتصاد الوطني ودخلت الجزيرة في مرحلة تقشف حتى عام ١٩٦٢م عندما استعاد الاقتصاد الوطني عافيته وازدهرت البلاد بفعل اكتشاف البترول، وأضحى أبو ظبي بعد ذلك من بين الدول المصدرة للنفط. وأنشئت في مدينة العين جامعة الإمارات التي افتتحت في تشرين الثاني ١٩٧٧م.

## البي

تُعدُّ إمارة دبي الثانية بعد أبو ظبي من بين الإمارات السبع من حيث المساحة والثروة، تُقدَّر مساحتها بـ ٤١١٤ كلم<sup>٢</sup>، وعدد سكانها مليونان ومائة نسمة (إحصاء ٢٠٠٨م)، وهناك نظرية تقول إن كلمة دبي هي تصغير لكلمة دبا التي كانت سوقاً مشهورة، وسُميت دبي بهذا الاسم تشبيهاً لها بسوق دبا، ولعل اسمها الحقيقي تصغير لكلمة الضب أو حجر الضب المنتشر في صحرائها<sup>(١)</sup>، يحدها من الغرب الخليج العربي، ومن الشمال والشرق إمارة الشارقة، ومن الجنوب إمارة أبو ظبي، تتميز بكثافة السكان من مختلف الطوائف والأجناس وبخاصة الشرقية، يعمل معظم سكانها في الزراعة والتجارة والرعي وصيد الأسماك.

كانت دبي في الماضي قرية صغيرة يعمرها صيادو الأسماك، يعيش سكانها حياة بسيطة، ولا يؤم المسافرون الأوروبيون موانئها إلا نادراً إذ كانت عدن المحطة المفضلة لتجارة الهند، غير أن اكتشاف النفط في عام ١٩٦٦م، وتسويقه عام ١٩٦٩م نقلها إلى عصر جديد من النمو الاقتصادي والعمران.

ودبي من أجمل إمارات الساحل المتصالح وعاصمتها على الإطلاق، لهذا سُميت فينيسيا الشرق، ولؤلؤة الخليج، وهونغ كونغ الخليج وعروس الخليج العربي، وهي عاصمة الإمارة ومركز الاقتصاد وإدارة البلاد، ونقطة ارتكاز لإمارات الساحل المتصالح، وأهم المراكز التجارية في الخليج العربي<sup>(٢)</sup>.

تنقسم دبي إلى قسمين بسبب امتداد خليج صغير إلى داخل الساحل، ويُعدُّ الشطر الشمالي الذي يُعرف بـ ديرة دبي شريان الحياة النابض فيها، إذ تسكنه غالبية السكان، ويضم أضخم الشركات والمصارف، والمحلات التجارية، والأبنية الشاهقة، والفنادق العالمية الفخمة، ويُعرف القسم الجنوبي باسم دبي، وهو لا يقل

(١) سعيد: ص ١٠٣. عطوي، أحمد خليل: دولة الإمارات العربية المتحدة: ص ٤٧. حويلي، عبد الستار: دبي بين الماضي والحاضر: ص ١.

(٢) دولة الإمارات العربية المتحدة الكتاب السنوي ١٩٧٤م، ص ١٨٠. نانو: ص ١٥٦.

أهمية عن القسم الأول، إذ توجد فيه بعض دوائر الحكومة، والمدارس، بالإضافة إلى قصر أمير البلاد، وبعض المتاجر والشركات<sup>(١)</sup>.

إن أهم قبائل دبي قبيلة البوفلاسية التي تنتمي إليها الأسرة الحاكمة، وهي أحد الفرعين الكبيرين لقبيلة بني ياس، كما توجد قبائل أخرى منها البحارنة، البومهير، المناصير، الزاري، الشويهيون<sup>(٢)</sup>، أسس الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم الإمارة وحكمها في عام ١٩٥٨م، واختير في ٢ كانون الأول ١٩٧٢م نائباً لرئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، وتوفي في ٧ تشرين الأول ١٩٩٠م، وخلفه ابنه الشيخ مكتوم بن راشد، وقد توفي بدوره في عام ٢٠٠٦م، وخلفه شقيقه محمد بن راشد آل مكتوم.

أنجزت الإمارة حتى نهاية الثمانينات مشاريع بنيتها التحتية، ساعيةً بذلك إلى الخروج من دائرة الاعتماد على النفط كمصدر وحيد للدخل، فأنشأت مينائين تجاريين كبيرين (راشد وجبل علي)، واجتذبت المنطقة الحرة في جبل علي حتى أوائل عام ١٩٩٤م أكثر من ستمائة شركة، وفيها شبكة طرق ومياه وكهرباء واتصالات سلكية ولاسلكية، ومصنع للألمنيوم، وحوض جاف لتصليح السفن، وشركة طيران، ومطار حديث، ومرافق أخرى عديدة وحديثة.

وأدركت دبي في مطلع التسعينات أن هذه البنية بحاجة إلى إضافات وتطوير بعض مرافقها كي تُلبّي الحاجة التجارية المتنامية في المنطقة، فأنشأت قرية الشحن على مساحة ثلاثمائة ألف متر مربع بمواصفات تُضاهي مواصفات مجمعات الشحن في أمستردام وهونغ كونغ وسنغافورة، وأسست مجلس ترويج التجارة والسياحة، والدائرة الاقتصادية التي تُنظّم شؤون التجارة والاستثمار.

وواكب القطاع الخاص هذه الإضافات مركّزاً على السياحة، والملفت أن هذا النمو الاقتصادي حصل في وقت شهدت فيه الأسواق العالمية في أوروبا وأميركا الشمالية ظروف كساد اقتصادي.

أضحى مدينة دبي بالفعل الإنماء المتسارع، في غضون سنوات قليلة، مركزاً للعديد من المعارض التجارية والسياحية والصناعية الدولية، بالإضافة إلى عقد المؤتمرات، وإقامة الندوات البحثية والدراسية التي تتناول مختلف الشؤون الاقتصادية في المنطقة والعالم، واختيرت مركزاً لعقد مؤتمر عربي - دولي لمناقشة معوقات الإنماء، وعلى رأسها ما يُسمى بالإرهاب، الذي أضحى يتصدر قائمة

(١) عطوي: ص ٤٨.

(٢) دولة الإمارات العربية المتحدة، الكتاب السنوي ١٩٧٤م، ص ٨٢.

أوليات المنطقة والعالم، وكان عنوان المؤتمر الذي انعقد في نيسان ١٩٩٤م، مكافحة الإرهاب والتطرف بأحدث السبل، وقدم اختصاصيون في المجالات الأمنية من مختلف أنحاء العالم رؤيتهم في السياسة المتعلقة بالتخطيط الأمني والتصدي للإرهاب وظواهره<sup>(١)</sup>.

## الشارقة

هي الثالثة من حيث المساحة والثروة بين الإمارات العربية المتحدة، إذ تبلغ مساحتها حوالي ألفين وستمئة كيلومتراً مربعاً<sup>(٢)</sup>، وهي تتوسط باقي الإمارات ولها حدود مشتركة معها، تطلُّ على الخليج الشرقي لساحل عُمان بطول يبلغ حوالي عشرة أميال، ويتبعها ثلاث مناطق على هذا الساحل هي: كلبا وخورفكان ودبا، ويضمُّ بحرهما بعض الجزر منها: الحمرية، أبو موسى وصيربونعير، كما تطل على الخليج العربي<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن اسم الإمارة مشتق من وقوعها في أقصى الشرق من الإمارات التي كانت معروفة من قبل<sup>(٤)</sup>.

استغلت بريطانيا موقع الشارقة «الاستراتيجي» خلال الحرب العالمية الثانية، فبنت فيها قاعدة جوية لقواتها، وأقامت أول مطار دولي في منطقة الساحل المتصالح استخدمته طوال الحرب<sup>(٥)</sup>.

كانت الشارقة مركزاً مزدهراً لتجارة اللؤلؤ التي تُعدُّ المصدر الحياتي الرئيس لعدد كبير من أهل البلاد، إلا أن هذه الثروة تراجعت أهميتها بسبب ظهور اللؤلؤ الصناعي الياباني ما دفع عدداً كبيراً من سكانها إلى الهجرة إلى دول الخليج العربية التي ظهر فيها النفط مبكراً، علماً بأن النفط لم يُكتشف في هذه الإمارة إلا في عام ١٩٧٤م.

يتألف سكان الشارقة من قبائل عدة، أبرزها قبيلة القواسم المشهورة التي تنتمي إليها الأسرة الحاكمة، ولهذه القبيلة دور كبير في مواجهة الاستعمار والدفاع عن عروبة الخليج ضد الغزو الاستعماري الذي بدأ مع البرتغاليين، وشكل القواسم قوة بحرية هائلة راحت تهاجم سفن المستعمرين، وظلَّت كذلك حتى حطَّم الأسطول الإنكليزي أسطولها، وفرضت بريطانيا سيادتها عليها.

(١) الخوند: ج٣ ص١٤١.

(٢) دولة الإمارات العربية المتحدة، الكتاب السنوي ١٩٧٤م، ص٨٨.

(٣) عطوي: ص٥٠ - ٥١.

(٤) سعيد: ص١٠٠.

(٥) المرجع نفسه: ص٥١.

تولى الشيخ سلطان بن محمد القاسمي حكم الإمارة في ٢٥ كانون الثاني ١٩٧٢م خلفاً لأخيه الشيخ خالد بن محمد القاسمي، وقد تميز حكمه بالمرونة السياسية، وتجلت لباقته السياسية عندما وقع الاعتداء الإيراني على جزيرة أبي موسى التابعة لإمارته، فقد صرّح يومها: «إن الشارقة حصن العرب، ولا يمكن أن أفرط بشبر من أراضيها... والذي فعلته هو تجميد الموضوع والاحتفاظ بأكبر جزء يمكنني الاحتفاظ به لأبناء الإمارة... وأنا لم أتنازل عن سيادة بلادي على أبي موسى ولا وقّعت إتفاقية، لقد حاولنا بكل الأساليب الدبلوماسية مع إيران»<sup>(١)</sup>، انتهج الشيخ سلطان نهج أخيه الشيخ خالد السياسي الإسلامي والعربي.

أهم مدن الإمارة بالإضافة إلى العاصمة الشارقة، مدينة الخان الساحلية، وتقع جنوبي العاصمة، ثم بلدة الليلة التي اختيرت لإقامة ميناء الشارقة الرئيس، وهو ميناء خالد، ثم بلدة الذيد، وتقع على بُعد ستين كيلومتراً جنوبي العاصمة، وهي واحة خصبة لذلك اختارها الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة وحاكم إمارة أبو ظبي، للإقامة فيها بعض الوقت من العام ويملك فيها مزرعة وقصراً<sup>(٢)</sup>.

## رأس الخيمة

تقع هذه الإمارة في الناحية الشمالية الشرقية من شبه الجزيرة العربية وتبلغ مساحتها ألف وسبعمائة كيلومتراً مربعاً<sup>(٣)</sup>، وللإمارة حدود مشتركة مع إمارات: أم القيوين والشارقة والفجيرة، كما لها حدود مع سلطنة عُمان في الجنوب والشمال الشرقي، ويبلغ طول ساحلها المطل على الخليج حوالي أربعين ميلاً ويتخلله عدد من الجزر، أهمها جزيرتا طنب الكبرى وطنب الصغرى المتنازع عليهما مع إيران.

سُميت إمارة رأس الخيمة بهذا الاسم لأن أحد حكامها السابقين كان ينصب خيمة كبيرة لكي تراها السفن القادمة وتهتدي بها مراكب الصيد<sup>(٤)</sup>، تتمتع الإمارة بموقع ممتاز يتحكم في مضيق هرمز، بالإضافة إلى مناخ جيد نظراً لارتفاعها عن سطح البحر، ويُطلق عليها أحياناً اسم حديقة الشاطئ المتصالح<sup>(٥)</sup>، وذلك دلالة

(١) مجلة العربي الكويتية، تاريخ العدد ١٦، آذار، ١٩٧١م، ص ١٣٨.

(٢) عطوي: ص ٥٤.

(٣) دولة الإمارات العربية المتحدة، الكتاب السنوي ١٩٧٧م، ص ١٤٩.

(٤) نانو: ص ١٨١. Khalifa: p188.

(٥) العقاد صلاح: معالم التغيير في دول الخليج العربي: ص ٨١.



على وفرة مياهها وخضرة واحاتها وتنوع مزروعاتها<sup>(١)</sup>، وعاصمتها مدينة رأس الخيمة.

ترجع أصول حكام رأس الخيمة إلى قبيلة القواسم العربية التي نزحت من موطنها الأصلي سامراء في العراق إلى شبه الجزيرة العربية، ونزلت في جلفار<sup>(٢)</sup> واستقرت بها، وذلك في عام ١٧٤٧م، في عهد جدها الأعلى الشيخ رحمة بن مطر القاسمي، ولهذا الرجل تاريخ مشهود، فقد امتدت دولته حتى لنجة وبندر عباس وقشم، ووصلت إلى شرقي إفريقيا والشواطئ الهندية والبحر الأحمر، واستطاعت هذه المشيخة بفعل شجاعة القواسم أن تصدَّ هجمات القراصنة البرتغاليين، والهولنديين والفرنسيين، والإنكليز الذين حاولوا السيطرة على الخليج العربي ومضيق هرمز لمصلحة شركة الهند الشرقية<sup>(٣)</sup>، وتعرّضت المشيخة في كانون الأول ١٨٢٠م لهجمة بريطانية وخضعت للحكم البريطاني.

تضم رأس الخيمة مدناً عديدة أهمها العاصمة رأس الخيمة، وتقع على الساحل العماني وهي مقر الحاكم وفيها الدوائر الحكومية، ومدن الرمس وخورخوير وهي ميناء مشهور، ومن مناطقها البرابرات التي تبعد خمسة عشر كيلومتراً عن مدينة رأس الخيمة. ينتشر السكان في المدن الرئيسة والقرى المختلفة، والمعروف أن هذه الإمارة كانت آخر الإمارات التي انضمّت إلى الاتحاد وذلك في ١٠ شباط ١٩٧٢م، وحاكم الإمارة هو سعود بن نصر القاسمي.

## الفجيرة

تقع إمارة الفجيرة في الجزء الشرقي من شبه الجزيرة العربية، تحدها من الشمال سلطنة عُمان وإمارة رأس الخيمة، ومن الشرق خليج عُمان، ومن الغرب إمارتا رأس الخيمة والشارقة، ومن الجنوب كلبا التابعة للشارقة وسلطنة عُمان. تضاريسها الطبيعية جبلية وعرة، تتخلَّلها أودية عديدة تجري فيها مياه الأمطار، وينحصر بين جبالها وبين ساحل البحر في خليج عُمان سهل خصب يُسمى الباطنة يتراوح اتساعه بين الميل والعشرين ميلاً، تقوم عليه المدن والقرى الغنية ببساتين النخيل، وجوُّها كجوّ سائر الإمارات يمتاز بالحرارة والرطوبة<sup>(٤)</sup>.

(١) عطوي: ص ٥٧.

(٢) جلفار: هو الاسم القديم لرأس الخيمة.

(٣) قدورة، زاهية: شبه الجزيرة العربية، كياناتها السياسية: ص ٥٤٧.

(٤) جواد، ناجي محمد: الفجيرة: ص ١٣.

ينتمي سكان الفجيرة إلى قبيلة الشرقيين الذين ينحدرون من قبيلة بني مالك، وهي قبيلة عربية نزحت إلى منطقة الخليج مع القبائل العربية الأخرى من بلاد اليمن بعد انهيار سد مأرب، ومنهم حكام الإمارة، وأطلق هذا الاسم على هذه القبيلة لأنها كانت تسكن شرقي جلفار، وهي المدينة التي تزعمت البحر مدة طويلة، وتقوم على أنقاضها اليوم مدينة رأس الخيمة كما ذكرنا<sup>(١)</sup>.

تبلغ مساحة الفجيرة ألفاً ومائة وستاً وستين كيلومتراً مربعاً، وعدد سكانها نحو سبعة عشر ألف نسمة، عاصمتها مدينة الفجيرة الواقعة جنوبي البلاد، ومن مدنها: الغرفة وهي مركزها التجاري، ودبا المشهورة بهدونها وجمالها، والبديا وهي قرية ساحلية تمتاز بخصوبة تربتها وثروتها السمكية.

يعمل سكان الفجيرة بالزراعة والصيد والثروة الحيوانية، وهو على كل حال مورد ضعيف لا يساعد على تنمية البلاد وتطويرها. لكن أوضاعها الاقتصادية تغيرت بعد قيام دولة الإمارات العربية المتحدة لأنها نالت مع الشارقة ورأس الخيمة الحصص الكبرى من ميزانية الاتحاد.

ما زالت الفجيرة تحتفظ بأبنية قديمة وآثار وإن كانت الأبنية الحديثة والشاهقة باتت تشكل القسم الأكبر من أبنيتها، وتأسست فيها إدارة للآثار عام ١٩٨٧م، أجرت تنقيبات ومسوحات حددت مواقع تعود إلى ما قبل الإسلام.

تعرّضت الإمارة في أيلول ١٩٨٣م لكارثة بيئية ناتجة عن تلوث مجهول المصدر أصاب شواطئ بعض مناطق الإمارات العربية المتحدة، تعطلت على أثره مرافق كثيرة لها علاقة بالبحر وبالسوق الاستهلاكي للأسماك والمأكولات البحرية، كما تعرّضت لكارثة بيئية بحرية أخرى في نيسان ١٩٩٤م، وكانت أشد خطراً، وقد نجمت عن اصطدام ناقلتي نفط إحداهما إماراتية والأخرى ترفع علم بنما، ما أدى إلى تسرب كميات كبيرة من النفط شكّلت بقعة ضخمة، أصابت شواطئ الإمارة والساحل الشرقي، نتج عنها شلل تام في سوق بيع الأسماك والمأكولات البحرية.

وبرزت دور الكتب في دعم الحركة العلمية في الفجيرة مع نشوء التعليم، فظهرت لأول مرة في أول آذار ١٩٦٩م نواة مكتبة في مدينة الفجيرة كان قوامها خمسة كتب هي:

- نسخة من القرآن الكريم.
- نهج البلاغة.
- ديوان أبي الطيب المتنبّي.

- قانون المحاماة العراقي .

- القانون التجاري العراقي .

واحتوت المكتبة في نهاية ١٩٦٩م على ٥١٦٨ مطبوعة بين كتاب ومجلة وصحيفة<sup>(١)</sup>، وحاكم الإمارة هو حمد بن محمد الشرقي .

## أم القيوين

تقع إمارة أم القيوين على الساحل الغربي للخليج العربي، تحدها من الشرق إمارة رأس الخيمة، ومن الغرب إمارة الشارقة، وتأتي في المرتبة السادسة من حيث المساحة بين إمارات الساحل، إذ تبلغ مساحتها ثلاثمائة ميلاً مربعاً<sup>(٢)</sup> وأم القيوين معناها أم القوة، لأنها امتازت بالقوة في منطقة الساحل، القوة البرية والقوة البحرية<sup>(٣)</sup>، اشتهر أهلها بالشجاعة في الحرب وصدّ الغزاة عن سواحل الخليج العربي .

ينتمي حاكم الإمارة الشيخ سعود بن راشد المعلا إلى قبيلة المعلا التي عُرفت باسم آل علي .

يتألف سطح الإمارة من كثبان رملية ملحية في قسمها المجاور للساحل، أما منطقة فلج المعلا فهي مرتفعة قليلاً عن سطح البحر، لذا فإنها تتميز بغطاء نباتي، وثروتها من الطيور النادرة<sup>(٤)</sup>، وأهم مدن الإمارة ومناطقها هي: أم القيوين وهي العاصمة تقع على خور<sup>(٥)</sup> عميق يبلغ طوله خمسة كيلومترات وعرضه كيلومتر واحد، إلا أن طابعها المناخي صحراوي، ويوجد فيها مقرّ الحاكم والدوائر الحكومية وعدد من المدارس والشركات، وأشهر ما تتميز به وجود نادٍ للتزلج المائي، ومدينة فلج المعلا وتقع على بُعد خمسين كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من العاصمة، وتعدّ أفضل المناطق الزراعية في الإمارة، وجزيرة السينية وهي رملية وتمتاز بثروتها من الطيور النادرة المتعددة الألوان كما تنتشر على شواطئها الأصداف الجميلة المتنوعة<sup>(٦)</sup> .

تتميز إمارة أم القيوين عن غيرها من الإمارات بوجود عدد كبير من القلاع والأبراج الأثرية المنتشرة على طول الساحل، ويعمل السكان إجمالاً بصيد السمك،

(١) جواد: ص ٦٢ .

(٢) دولة الإمارات العربية المتحدة، الكتاب السنوي ١٩٧٧م، ص ١٥٢ .

(٣) سطيحة، محمد وعبد الفتاح وهيبه: جغرافية الوطن العربي: ص ٢٣٠ .

(٤) عطوي: ص ٦٢ .

(٥) الخور: الأرض ارتخت من كثرة المطر . (٦) عطوي: ص ٦١ .

وينتمون إلى قبائل عدة أهمها: قبيلة آل علي التي تنتسب إليها الأسرة الحاكمة، وقبيلة البومهير وقبيلة الجفالة<sup>(١)</sup>.

ظلت مؤسسات أم القيوين متأثرة بالأسلوب القبلي ولم تتطور، وذلك لضعف مواردها وتدني مستوى التعليم فيها ووجود العادات القبلية المكثفة. يعمل معظم السكان بصيد السمك وتصنيعه، ويعملون كذلك بالزراعة، وبناء السفن، والكراسي المعدنية، وتفتيح وتعبئة مياه الشرب، والخيام.

## عجمان

تقع إمارة عجمان على الشريط الساحلي للخليج العربي بين إمارتي أم القيوين والشارقة اللتان تحيطان بها من جميع الجهات<sup>(٢)</sup>، وهي أصغر إمارات الساحل المتصالح، إذ تبلغ مساحتها مائة ميل مربع، وأقلها سكاناً<sup>(٣)</sup>، واسمها مشتق من تفجر العيون من الجبال الموجودة هناك، أو لشدة ما كانت تعانيه من الفقر.

تمتاز هذه الإمارة بهوائها اللطيف ومياهها العذبة، لذلك تُسمى مصيف الساحل<sup>(٤)</sup>، عاصمتها مدينة عجمان. شهدت الإمارة إنماءً صناعياً متسارعاً، حاكم الإمارة هو الشيخ حميد بن راشد النعيمي، وتشتهر الإمارة بثروة معدنية وبخاصة الكروم والنحاس.

إن أهم القبائل التي ينتمي إليها السكان هي قبيلة النعيمي، وتنتسب إليها الأسرة الحاكمة، وقد ساهمت بشكل فعّال في مقاومة الغزو الأوروبي الاستعماري، وهناك قبائل أخرى مثل: آل بوكليبي، المسائية، الشقوص والبومهير.

يعمل سكان الإمارة بصيد السمك وصناعة السفن والزراعة والتجارة ورعي الماشية، وهم حريصون على التمسك بالعادات والتقاليد العربية المحلية والإسلامية.

أهم مدن الإمارة عدا العاصمة عجمان، المنامة<sup>(٥)</sup> التي تبعد خمسة وستين كيلومتراً عن العاصمة وتُعدُّ من المناطق الزراعية في الإمارة وتشتهر بمنازلها المطلية باللون الأبيض، وصفوت، وتقع إلى الجنوب الشرقي من العاصمة وتبعد عنها نحو مائة وعشر كيلومترات، وهي منطقة زراعية مهمة، وتشهد الإمارة في ظل دولة الاتحاد نهضة عمرانية وزراعية وصناعية حديثة.

(١) دولة الإمارات العربية المتحدة، الكتاب السنوي ١٩٧٤م، ص ٤٩٢.

(٢) دولة الإمارات العربية المتحدة، الكتاب السنوي ١٩٧٧م، ص ١٥٣.

(٣) سعيد: ص ٩٩.

(٤) زلوم، عبد القادر: عُمان والإمارات السبع: ص ٨٩.

(٥) هي: غير المنامة عاصمة البحرين.

## الإمارات العربية المتحدة حتى نشوب الحرب العالمية الأولى

حدثت في منتصف القرن الثامن عشر تطورات مهمة في وضع الأوروبيين في الشرق كان لها آثار مباشرة على الخليج العربي، فقد حلَّ البريطانيون والهولنديون والفرنسيون محل البرتغاليين الذين تراجعت قوتهم السياسية والعسكرية والتجارية في المنطقة، وأخذت شركة الهند الشرقية البريطانية تتحول من شركة تجارية إلى شركة عسكرية - سياسية مهيمنة وتوسعية، وظهر في المنطقة في الوقت نفسه عدد من القبائل العربية ذات قوة بحرية مثل القواسم<sup>(١)</sup>، وقفت في وجه البريطانيين ومحاولاتهم في التوسع والسيطرة على المنطقة، وحمل القرن التاسع عشر الميلادي تطورات جديدة كان لها تأثير كبير على منطقة الخليج العربي، ونَبَّهت البريطانيين إلى أهميتها تمثَّلت بانتشار أفكار الثورة الفرنسية، وغزو نابليون بوناپرت لمصر، وتهديده خطوط مواصلات بريطانيا في الشرق، ما دفع هذه الأخيرة إلى تكريس جهودها لتعزيز نفوذها وبسط سيادتها عليها، ووضعها في مواجهة مباشرة مع القواسم، فشنت ثلاث حملات بحرية ضدهم ونجحت في إنزال جنودها في رأس الخيمة في ٣ كانون الأول ١٨١٩م واحتلت المدينة وأخضعت القواسم الذين وقَّعوا معاهدة سلام معها في كانون الثاني ١٨٢٠م، تولت بموجبها مسؤولية الأمن في ساحل عمان الشمالي المتصالح<sup>(٢)</sup> وجعلت من نفسها حكماً بين قبائله، الأمر الذي نتج عنه انهيار الاتحادات القبلية وظهور إمارات تحمل أسماء إقليمية أو جغرافية، والمعروف أنه ارتبط ستة رؤساء من شيوخ الساحل المتصالح بتلك الاتفاقية، هم شيوخ: الشارقة ورأس الخيمة والجزيرة الحمراء ورامس وعجمان وأم القيوين.

ودُعي كل من شيخ دبي وشيخ أبو ظبي لتوقيع هذه المعاهدة، فكرست بريطانيا بذلك سياسة التقسيم في المنطقة، وحوَّلت الاتحاد القواسمي إلى مجموعة من المشيخات الصغيرة لا حول لها ولا قوة وتدور في فلكها، ما فتح الباب واسعاً للولوج والتصرف

(١) القواسم: اسم أطلق على القبائل العربية التي كانت تسكن على طول ساحل عُمان الشمالي الغربي المعروف باسم الساحل العماني المتصالح.

(٢) كان الكابتين بريدو من ضباط البحرية الهندية هو الذي اقترح تسمية الساحل العماني الذي تطلُّ عليه هذه المشيخات باسم الساحل المتصالح، وكان ذلك على أثر عقد بريطانيا معاهدات الهدنة البحرية مع شيوخها.

بمقدراتهم كما تشاء<sup>(١)</sup>، وعيّنت حكومة الهند البريطانية أول وكيل لها في الشارقة.

وعقدت بريطانيا بعد ذلك اتفاقيات مع شيوخ الساحل المتصالح، نصّبت بموجبها نفسها رقيباً على تنفيذ اتفاقيات الهدن البحرية المُتجدّدة مدّة بعد مدّة، وكانت تتدخل عبرها في النزاعات الداخلية التي تؤثر على الاستقرار والحركة التجارية في الخليج العربي<sup>(٢)</sup>. كان أولها في ١٣ نيسان عام ١٨٣٦م فيما سمي بالهدنة البحرية، حطّرت بموجبها على سائر الشيوخ ورعاياهم أن يشتبكوا في نزاعات بحرية، وهدّدت بإنزال العقاب بكل من يقوم بذلك<sup>(٣)</sup>.

وتقاطعت مصالح الشيوخ مع المصلحة البريطانية في أن يعمّ السلام البحري في المنطقة لمدة طويلة، لذلك وافق الطرفان على تحديد مدة الهدنة بعشر سنوات، ووُقِّعت اتفاقية خاصة بذلك في الأول من حزيران ١٨٤٣م، وكان الدافع إليها محو الأثر الذي نتج عن ظهور القوات المصرية وما حدث من علاقات بين القادة المصريين وبعض أمراء الساحل، كما كان الهدف تعويض الانسحاب البريطاني من جزيرة خرج في عام ١٨٤٢م<sup>(٤)</sup>.

الملفت أن اتفاقية الهدنة البحرية لم تتناول النزاعات البرية بين المشيخات، وذلك لأن هدف بريطانيا هو سلامة الخطوط التجارية البحرية، وعدم التورط في النزاعات الداخلية إلا بالقدر الذي قد يؤثر على مصالحها التجارية، وأخذ شيوخ الساحل المتصالح يشعرون مع مرور الزمن بفائدة الهدنة، فتطلعوا إلى تحويلها إلى نظام دائم<sup>(٥)</sup>، فوَقَّع شيوخ الشارقة ورأس الخيمة وأم القيوين وعجمان ودبي وأبو ظبي اتفاقية السلم البحرية الدائمة مع بريطانيا بين ٤ و٩ أيار عام ١٨٥٣م، تعهدوا بموجبها بعدم الدخول في مراسلات أو علاقات أو توقيع اتفاقيات مع أي جهة باستثناء الدولة البريطانية، وبعدم السماح لوكيل أي حكومة أخرى بالإقامة في أراضيهم من دون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية، وبعدم منح أي جزء من أراضيهم سواء عن طريق البيع أو الإيجار أو الرهن أو التنازل وغير ذلك باستثناء بريطانيا<sup>(٦)</sup>.

(١) العابد، صالح محمد: دور القواسم في الخليج العربي ١٧٥٠ - ١٨٢٠م، ص ٣٢٥ - ٣٢٧.

(٢) Kelly J.B: Britain and Gulf 1795 - 18 p166.

(٣) لوريمر، ج.ج: دليل الخليج، القسم الجغرافي: ج٢ ص ٢٧١.

(٤) قاسم، جمال زكريا: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر: ج١ ص ٣١٢.

(٥) المنديلاوي، محمد محمود: تاريخ الإمارات العربية المتحدة: ص ٩٦.

(٦) عبد الغني، عبد العزيز: سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي ١٨٥٨ - ١٩١٤م، ص ٢٥٦.

ضمنت بريطانيا بموجب هذه الاتفاقية سيطرتها المطلقة على مقدرات ساحل عُمان المتصالح لمدة تزيد على ثلاثة أرباع القرن، واستندت عليها للوقوف بوجه تطلعات ومنافسات الدول الأخرى في أراضي هذا الساحل، وبعدم إتاحة الفرصة لأي دولة إقليمية أو دولية بإقامة علاقات سياسية واقتصادية مع أمرائه.

فقد وقفت بريطانيا في وجه إيران المتوثبة لإيجاد موطن لها على الساحل الغربي للخليج العربي، ومدّ نفوذها إلى الساحل المتصالح وإقناع شيوخه باستبدال النفوذ البريطاني بالنفوذ الإيراني، واقتصر نجاحها على رفع العلم الإيراني على جزيرة صرى في عام ١٨٧٧م، واحتلال مدينة لنجة التي يعدها قواسم عُمان تابعة لهم.

وكان أبرز ما قام به المقيم السياسي البريطاني في الخليج، رداً على النشاط الإيراني هو عقد اتفاقية جديدة مع شيوخ الساحل المتصالح في عام ١٨٧٧م: أكدت ما جاء في اتفاقية عام ١٨٥٣م، لكن النشاط الإيراني استمر، وكان وراءه رئيس الوزراء أمين السلطان، وقام بتنفيذ المشروع نائبه حاجي أحمد خان، فاجتمع مع بعض شيوخ الإمارات، منهم الشيخ زايد بن خليفة حاكم أبو ظبي، وحثهم على قبول مندوب إيراني يكون على قدم المساواة مع الوكيل السياسي البريطاني، وعلى رفض النفوذ البريطاني والإذعان لنفوذ إيران، مع الإشارة إلى أن الشيخ راشد بن مكتوم حاكم دبي رفض الاجتماع به ومناقشة هذا الأمر معه.

ووقفت بريطانيا أيضاً في وجه التمدد العثماني إلى منطقة الأحساء، وكانت الشارقة ودبي وأبو ظبي داخلة ضمنها من وجهة نظرها، فضغطت الحكومة البريطانية على الباب العالي لحصر العمليات العسكرية على الأحساء وقطر فقط، وأخطرت الشيوخ في الساحل المتصالح بعدم الانضمام إلى أي من الطرفين المتنازعين، الدولة العثمانية وآل سعود، ونجح العثمانيون في السيطرة على الأحساء في عام ١٨٧١م، ومدّوا نفوذهم إلى قطر ما أزعج البريطانيين، وكان عدم اعتراف الباب العالي بالاتفاقيات التي عقدتها حكومة الهند البريطانية مع شيوخ الساحل المتصالح؛ سبباً في زيادة قلقهم<sup>(١)</sup>.

وشهدت منطقة الساحل المتصالح منذ عام ١٨٩٠م تنافساً دولياً فرنسياً روسياً وألمانياً، وقد شعر البريطانيون نتيجة ذلك بتحدٍّ حقيقي يُهدّد وجودهم وسيادتهم، فقد أرسلت فرنسا مبعوثين فرنسيين هما شبو وترومي إلى الساحل المتصالح في عام ١٨٩١م، فاجتمعا بشيخ أم القيوين لإقناعه بإقامة علاقات صداقة مع بلادهما،

(١) المندلاوي: ص ١٢٠.

ووافق الشيخ على إرسال خطاب إلى الحكومة الفرنسية يتعهد فيه بأن يُحسن استقبال الفرنسيين في أراضيه<sup>(١)</sup>.

وفي ضوء أهداف السياسة البريطانية، الانفراد بالعلاقة مع مشيخات الساحل المتصالح، وحرص الدوائر البريطانية الحاكمة على عدم إتاحة الفرصة لأي دولة خارجية بإقامة علاقات اقتصادية وسياسية معها، تَوَجَّت بريطانيا سياستها الخليجية بربط حكام الساحل المتصالح برباط محكم تمثل باتفاقية آذار عام ١٨٩٢م، مارست من خلالها السياسة الخارجية لهؤلاء مقابل حمايتها لهم، فأضحى لإمارات الساحل المتصالح وضع قانوني خاص أمام الدول الأجنبية، فهي إمارات مستقلة في شؤونها الداخلية، لكن شؤونها الخارجية والدفاع عنها هما من مسؤولية الحكومة البريطانية، وسُميت هذه الاتفاقية، بالاتفاقية المانعة أو الأبدية<sup>(٢)</sup>، واستمرت حتى عام ١٩٧١م.

أضحت الاتفاقية المذكورة الدعامة الأساس للنفوذ البريطاني في الساحل المتصالح، ونموذجاً لكل الاتفاقيات التي عقدتها بريطانيا بعد ذلك مع حكام البحرين والكويت وقطر، لكن منطقة الخليج العربي أضحت بعد توقيع الاتفاقية وبداية الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤م محطّ أنظار الدول الأوروبية الكبرى، فتحدّى الفرنسيون والألمان والروس، البريطانيين بحقوق قديمة لهم في الخليج العربي، في الوقت الذي عدّت فيه حكومة الهند البريطانية المنطقة بحيرة بريطانية، وأبدت حزمًا لمنعهم من إقامة قواعد لهم فيها، وأجبرتهم على عقد اتفاقيات معها اعترفوا رسمياً بموجبها بسيادتها السياسية على المنطقة، وحذت الدولة العثمانية حذوهم في عام ١٩١٣م<sup>(٣)</sup>.

كانت لتلك المنافسات آثارها المباشرة على الإمارات العربية بفعل أن منطقة الخليج العربي بعامه كانت ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسياسة البريطانية منذ بداية القرن التاسع عشر وبقضية تأمين سلامة الامبراطورية في الهند.

شهدت هذه المرحلة من الصراع الدولي ظهور ثلاث شخصيات بريطانية أخذت على عاتقها التصدي لطموحات الدول الأجنبية وتوطيد النفوذ البريطاني هي: لانداون وزير خارجية بريطانيا، وكيرزون نائب الملك في الهند، وكوكس المقيم السياسي في بوشهر.

(١) المندلوي: ص ١٢٢.

(٢) Hurewitz, J.c: The Middle East and North Africa in world Politics, I P464.

(٣) Busch, B.C: Britain and the Persian Gulf. PP68, 117 - 118, 180, 190, 326 - 329, 365.



## الإمارات العربية من الحرب العالمية الأولى

### إلى انتهاء الحرب العالمية الثانية

تميزت منطقة الساحل العُماني المتصالح خلال المدة من الحرب العالمية الأولى إلى انتهاء الحرب العالمية الثانية: بكثرة حوادث الاغتيالات بين الشيوخ المتنافسين على السلطة، وبالغفل السعودي الذي بلغ ذروته في نهاية العشرينات.

### الأحداث السياسية في الإمارات العربية المتحدة

سادت مشيخات الساحل العُماني المتصالح الحروب الأهلية، والفوضى، والاضطراب، ويرجع ذلك إلى أسباب منها:

- الظروف القبلية التي تعيشها المنطقة.
- عدم وصول المشيخات إلى مرحلة النضج والاستقرار السياسي.
- التدخل البريطاني في شؤونها الداخلية.

وتطالعا من بين هذه الاضطرابات تلك الناتجة عن:

الصراع بين رأس الخيمة ورامس: في حزيران ١٩٢١م عقب مقتل شيخ رامس عبد الرحمن بن صالح وأتهم شيخ رأس الخيمة بأنه وراء عملية القتل، فتدخلت بريطانيا للتوسط بين الطرفين وفرضت الصلح الذي يقوم على أن:

- يتعهد شيخ رأس الخيمة ألا يُلحق ضرراً بأبناء الشيخ المقتول.
- يُعين شيخ رأس الخيمة شيخاً على رامس.
- يحتجز شيخ رأس الخيمة القاتل في إمارته.

- يتعهد شيخ رامس الجديد بعدم القيام بأي عمل عدائي ضد رأس الخيمة، ويقطع علاقته بشيخ الشحوح.

لكن شيخ رامس الجديد أصرَّ على خرق الصلح، فقام بهجوم ضد رأس الخيمة، فتدخل القائد الأعلى للبحرية البريطانية في الخليج العربي وفرض تسوية جديدة تقوم على الأسس الآتية:

- يتعهد شيخ رامس بدفع زكاة سنوية إلى شيخ رأس الخيمة.

- يوافق شيخ رأس الخيمة على بناء استحكامات خاصة بإمارته في خور رامس لحمايتها من هجوم قد يقوم به شيخ رامس.

ولما كان شيخ رامس يعتمد على تأييد ومساندة كل من شيخ بكا وديا فقد كان من الضروري الحصول على موافقتهما على هذه التسوية<sup>(١)</sup>.

(١) قاسم: ج٣ ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

الصراع بين عجمان والشارقة: انشق في عام ١٩٢٠م أحد أقرباء الشيخ خالد حاكم الشارقة ويدعى عبد الرحمن، وقام بهجوم على عجمان للاستيلاء عليها والاستقرار فيها، ونجح في السيطرة على قلعتها.

فتدخل الشيخ خالد في هذه القضية وأمر الجيش الذي رافق عبد الرحمن بالعودة إلى الشارقة، واضطر هذا أن يلتجئ إلى الحيرة وهي قرية تتبع إمارة الشارقة، فهاجمه الشيخ خالد لإخراجه منها، فتدخل الضابط الأعلى للبحرية البريطانية في الخليج العربي، وقام بعقد صلح بين الرجلين، ويبدو أن عبد الرحمن لم يركن إلى الهدوء، فقوى موقفه عبر استقطاب الشيخ سلطان بن صقر وزوجه ابنته، والمعروف أن الشيخ سلطان كان من أشد المعارضين للشيخ خالد، وتعاون الرجلان، فطردا الشيخ خالد وتولى عبد الرحمن الحكم في الشارقة في عام ١٩٢٤م، وفي عام ١٩٢٨م تولى الشيخ رشيد بن حمد الحكم في مشيخة عجمان فحاول مد نفوذه إلى الحيرة، ولما كان موضوع الحيرة يلقى اهتماماً من جانب سلطان بن صقر، فقد قرّر مهاجمة شيخ عجمان لإبعاده عنها، ولما كان حصول اضطرابات في الشارقة يُعرض القاعدة الجوية البريطانية المقامة فيها للخطر؛ تدخل المقيم السياسي البريطاني، فوجّه إنذاراً إلى كل من شيخ الشارقة وشيخ عجمان في عام ١٩٣٤م بوجود إنها النزاع بينهما، وقد نجح بعد زيارة قام بها إلى المنطقة في عقد الصلح بين الشيخين بواسطة شيخ دبي<sup>(١)</sup>.

الصراع بين أبو ظبي وأم القيوين والشارقة: تركّز هذا الصراع بين المشيخات الثلاث حول شؤون قبيلة عتب، وانحاز شيخ الشارقة إلى شيخ أبو ظبي ضد أم القيوين، والمعروف أن الشيخ عبد الله بن راشد ظل حاكماً على أم القيوين حتى اغتياله في تشرين الأول ١٩٢٣م بفعل الصراع الداخلي على الحكم، وخلفه الشيخ حمد بن إبراهيم، غير أن هذا الشيخ ما لبث أن تعرّض لمتاعب بالغة من قبل إخوة الشيخ المقتول وأعمامه، واغتيل في شباط ١٩٢٩م على يد ابن عمه حمد بن راشد الذي نصب نفسه حاكماً على أم القيوين. كان من الطبيعي أن يطمئن شيخ الشارقة لمقتل شيخ أم القيوين وتولية آخر لا يمت بصلة القرابة للشيخ خالد، ومن ناحية أخرى برهن الشيخ أحمد أنه حاكم ضعيف، وقد أمل شيخ الشارقة أن يسيطر من خلاله على أم القيوين<sup>(٢)</sup>.

الاضطرابات في مشيخة دبي: عانى الشيخ سعيد بن مكتوم حاكم دبي في عام ١٩٣٤م من متاعب كثيرة، سببها له أبناء عمه من آل أبو فلاسة، الذين اتهموه بأنه باع

(٢) المرجع نفسه: ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

(١) قاسم: ج ٣ ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

بلاده للبريطانيين، الأمر الذي أَدَّى إلى نشوب اضطرابات وعدم استتباب الأمن، فتدخلت المقيمة البريطانية في تشرين الثاني ١٩٣٤م، ونصحت باتخاذ التدابير الضرورية لحماية نفسه ومشيخته، وحدّرت سكان دبي من مغبة إلحاق الأذى بممتلكات وأموال الرعايا البريطانيين، وهُدِّدَ الشيخ سعيد أبناء عمومته إما بالفاهم معه أو الرحيل عن المشيخة، فضلّوا الحلَّ الأول<sup>(١)</sup>.

**الصراع بين الفجيرة ورأس الخيمة:** نشبت النزاعات القبلية بين القبائل الشرقيين من رعايا الفجيرة وقبائل الخواطر، الموالون لشيخ رأس الخيمة، فتدخلت قبائل الشحوح للتوسط بين الجانبين، لكن شيخ رأس الخيمة رفض قبول وساطتهم، كما أن الحكومة البريطانية لم تتدخل في هذا النزاع تجنباً لتعرض رعاياها للأضرار<sup>(٢)</sup>.

**الصراع بين دبي والشارقة:** ترجع أسباب هذا الصراع إلى النزاعات القبيلة بين قبيلة القواسم وقبيلة بني ياس، وتجدّد في عام ١٩٤٠م بسبب مشكلات الحدود وتحريض قبائل آل ماهر الذين أبعدهم الشيخ سعيد بن مكتوم عقب فشل مؤامرة قاموا بها ضده والتجأوا إلى الشارقة، استمرت الخلافات واقعة بين دبي والشارقة أشهراً عدة، انتهت بعقد صلح بينهما بحضور مندوب عن الوكيل السياسي البريطاني الذي اتخذ مقره في الشارقة، فتوقفت النزاعات القبلية.

وأرسلت دول المحور بعد معركة العلمين في الحرب العالمية الثانية، عملاء عبر إيران والعراق لإثارة قبائل الساحل العُماني المتصالح ضد البريطانيين، لكن هذه المحاولات باءت بالفشل بسبب ولاء شيوخها للحكومة البريطانية، بالإضافة إلى ازدياد السيطرة البريطانية على هذه الإمارات<sup>(٣)</sup>.

**علاقة الإمارات العربية المتحدة مع السعودية:** انتاب شيوخ الساحل العُماني المتصالح الخوف بفعل انتزاع الأمير عبد العزيز آل سعود صحراء شاسعة شملت الجافورة وواحة جبرين، والمعروف أن هؤلاء كانوا يتمتعون بنفوذ متفوق في المنطقة في ظل سيطرة العثمانيين على الأحساء، لذلك اجتمع شيخا أبو ظبي ودبي للتشاور في هذا الأمر، فأبديا تخوفهما من عودة النفوذ السعودي إلى المنطقة، واتفقا على دعوة أنصارهما من زعماء البدو لمواجهة أي نشاط سعودي، كما ظهرت توجهات مماثلة لدى كثير من القبائل العُمانية الشمالية المناهضة للسعوديين، ففي ٢٥ تموز ١٩٢٥م تحالف بنو نعيم وبنو ياس، وبنو قتب وشيخ الشارقة للوقوف في وجه أي اعتداء سعودي عليهم، وبخاصة بعد أن توقفوا عن دفع الزكاة للسعوديين.

(١) قاسم: ج٣ ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه: ص ٢٧٠.

الواضح أن السعوديين تطلعوا إلى تحقيق هدفين:

الأول: ضم الساحل العُماني المتصالح إلى حكومة نجد.

الثاني: السيطرة على المقاطعات العُمانية المستقلة عن سلطنة مسقط.

ولتحقيق هذين الهدفين، كان عليهم أن يسيطروا على واحة الظفرة التي تنتمي إلى أبو ظبي، وهي الخطوة الأولى لتأسيس موطيء قدم لهم في شرقي الجزيرة العربية فيضطر شيوخ الساحل المتصالح عندئذٍ أن ينضوا مضطرين تحت لوائهم.

عارضت كل من أبو ظبي ودبي المشروع السعودي، ومالت بقية إمارات الساحل المتصالح للوقوف على الحياد، باستثناء الشارقة ورأس الخيمة، لذلك كتب حاكم الأحساء جلوى إلى الإمارات المعارضة يؤنبها، وتعددت ولاءات قبائل البريمي، فقبيلة النعيم وهي أقوى القبائل نفوذاً في المنطقة كانت على علاقة بسلطنة مسقط، وقبيلة الظواهر معادية للسعوديين، وقبائل شميمس وهم فرع من النعيم هم وهابيون وأقرب إلى الولاء للسعوديين، واقترح المقيم البريطاني على حكومة الهند الشرقية البريطانية كبح جماح جلوى أمير الأحساء، وتذكير الأمير عبد العزيز آل سعود بالتزاماته تجاه بريطانيا<sup>(١)</sup>.

علاقة أبو ظبي مع السعوديين: تولى الشيخ حمدان بن زايد الحكم في أبو ظبي في عام ١٩١٢م خلفاً لأخيه طحنون، واستمر في الحكم حتى عام ١٩٢٢م، حقق الأمن في الداخل واحتفظ بالمكانة التي ظفر بها والده، وعندما استولى الأمير عبد العزيز آل سعود على الأحساء، خشي حمدان أن يمتدّ التوسع السعودي فيشمل بلاده، لذلك أعدّ قواته استعداداً للتصدي له، وعندما اطمأن إلى قيام الحكومة البريطانية باتخاذ الإجراءات الاحتياطية لمنع الغزو السعودي، أوقف جهوزيته، وكتب إلى ابن سعود رسالتان بعد أربع سنوات يبدي امتناناً كبيراً للأمير السعودي، وهو تصرف غير متوقع، وعلى الرغم من أنه من المشكوك فيه أن الشيخ حمدان كان يقصد في الرسالتين تقديم أي تبعية أو ولاء للسعوديين، إلا أن ابن سعود اتخذ منهما دليلاً على تبعية أبو ظبي للسعودية، والمعروف أن أبو ظبي كانت أشدّ المنافسين للحكم السعودي في المنطقة الجنوبية الشرقية من الجزيرة العربية<sup>(٢)</sup>.

والواضح أن الشيخ حمدان كان يقصد تحقيق السلام في المنطقة.

## الأوضاع العامة في أبو ظبي

في عهد حمدان بن زايد: شهد عهد الشيخ حمدان بن زايد صراعاً قليلاً في واحات البريمي: المناصير والمزارع وبنوياس من جانب وآل شماس والدروع من

(٢) المرجع نفسه: ص ٢٧٣.

(١) قاسم: ج ٣ ص ٢٧١ - ٢٧٣.

جانب آخر، والتمس كل فريق المساعدة من عبد الله بن جلوى حاكم الأحساء، وحرصاً من الشيخ حمدان على تحقيق الأمن، فقد ذهب بنفسه إلى البريمي وعمل على التوفيق بين القبائل المتنازعة، وقُتل الشيخ حمدان في عام ١٩٢٢م على يد شقيقه سلطان بن زايد الذي اتهمه بارتكاب المظالم ضد أفراد أسرته، تبع ذلك مرحلة من الاضطراب السياسي وانقسمت الأسرة على نفسها.

في عهد سلطان بن زايد: تشكَّلت المعارضة من خليفة ومحمد وزايد وأبناء عمومته، وقد عارضوا المؤامرة التي أدَّت إلى حادثة الاغتيال، وراحوا يثيرون المتاعب في وجه الشيخ سلطان، وبرَّر هذا اغتيال أخيه في رسالة بعث بها إلى المقيم البريطاني في الشارقة في آب ١٩٢٢م؛ بأنه أوقف مرتبات أسرته وظلم الأهالي، وأكد المحافظة على ارتباط بلاده بالاتفاقيات الموقعة بين أبو ظبي والحكومة البريطانية<sup>(١)</sup>، وما جرى بعد ذلك من تفاهم الشيخ سلطان مع أسرته، دفع الحكومة البريطانية إلى الاعتراف بحكمه.

وتوترت العلاقات مع السعوديين في عهده بفعل تحريضه لقبائل المناصير والمزاريع وغيرها من القبائل القاطنة في الظفرة؛ بعدم دفع الزكاة إلى عمالهم، إلا أنه لم ينجح في تحقيق هدفه، ويبدو أن لذلك علاقة بمدى ضعف شعبيته المرتبط بما قام به من القضاء على أخيه، كما أن رجال القبائل لم يرتاحوا لزعامه أبو ظبي<sup>(٢)</sup>، وهذه إشارة على اكتساب الحكم السعودي قوة داخل أبو ظبي.

وتدهور نفوذ أسرته في البريمي، وراح آل النعيم يشتبكون في نزاعات مع أبو ظبي، وطالبت بعض القبائل في حزيران ١٩٢٥م بحماية عبد الله بن جلوى، فأرسل سعيد آل عرفة لجباية الزكاة، وحاول الشيخ سلطان أن يعتمد على تأييد الشيخ سعيد بن مكتوم حاكم دبي للوقوف في وجه حاكم الأحساء والسعوديين، فكتب عبد الله بن جلوى إلى الشيخ سعيد في تشرين الثاني ١٩٢٥م يطمنئه ويُلقي مسؤولية اضطراب الأوضاع على عاتق الشيخ سلطان<sup>(٣)</sup>.

في عهد صقر بن زايد: اتسم حكم الشيخ سلطان بن زايد بعدم الاستقرار، فاغتيل في ٤ آب عام ١٩٢٦م على يد شقيقه صقر الذي اعتلى السلطة وتسلم الحكم، حرص الشيخ صقر على إقامة علاقات طيبة مع عبد الله بن جلوى حاكم الأحساء، ومع الملك عبد العزيز آل سعود، وذلك لحماية نفسه من ابني سلطان،

(١) Mann, Clarence: Abu Dhabi, Birth of an oil Sheikdom p79.

(٢) قاسم: ج٣ ص ٢٧٥.

(٣) كيلي، جون: الحدود الشرقية للجزيرة العربية: ص ١٣٤ - ١٣٥.

شخبوط وهزاع اللذان التجأ إلى عبد الله بن جلوي، إلا أنه واجه صعوبة أدت في النهاية إلى مقتله، تمثلت في عدم قدرته على إقامة علاقات جيدة مع قبائل المناصير بفعل أنه قُتل من أعطياتهم السنوية، وأدت شكوكه بهم إلى تأمره على اغتيال ابنه محمد وخليفة المرتبطان معهم بالمصاهرة، لكن مؤامرتة انكشفت، وقُتل على يد أحد المناصير عام ١٩٢٧م<sup>(١)</sup>.

أدى اغتيال الشيخ صقر إلى ازدياد التباعد بين القبائل واشتداد حدة التوتر والشقاق بينها، فقد حاول المناصير تعزيز موقفهم في أبو ظبي بتنصيب محمد بن خليفة حاكماً على البلاد، واستاءت في المقابل جماعة أبو فلاح من تدخل هؤلاء في اغتيال الشيخ صقر ومحاولتهم التحكم بمقاليد الأمور واختيار خلف له، لكن الأمور لم تلبث إن استقرت عندما انسحب الشيخ محمد من الولاية، واختيار الشيخ شخبوط بن سلطان<sup>(٢)</sup>.

**في عهد شخبوط بن سلطان:** تميزت سنوات حكم الشيخ شخبوط بن سلطان بن زايد الطويلة (١٩٢٧ - ١٩٦٦م) بتراجع النفوذ السعودي، لكن في عام ١٩٣٢م جرى نزاع بين أبو ظبي ودبي وجرى بينهما قتال، وفي عام ١٩٤٠م حاول سعيد بن مكتوم حاكم دبي أن يردّ حدود أبو ظبي إلى الجنوب عبر سيطرته على خور غناضة، وقد أعلن أن هذه تعدّ الحدّ الطبيعي لمشيخته، في حين تمسك الشيخ شخبوط بالجبل كحدّ طبيعي لمشيخته<sup>(٣)</sup>، وقد نتج عن هذا النزاع معارك متقطعة دامت بضع سنوات، فتدخلت الحكومة البريطانية وفرضت هدنة بين الشيخين في عام ١٩٤٧م<sup>(٤)</sup>.

تراجعت أهمية أبو ظبي خلال خمسينات القرن العشرين أمام تقدم إمارة دبي التي أضحت مركزاً لتجارة الساحل العُماني، وقد ساعدها على ذلك، موقعها المتوسط بين الإمارات، وانتعشت إمارة الشارقة كذلك التي اختيرت لبناء قاعدة جوية بريطانية ومحطة للطيران المدني بين بريطانيا وكراتشي، وظلت أبو ظبي متخلفة حتى اكتشاف النفط فيها بكميات كبيرة في منتصف الستينات، وقد درّت عليها ثروة هائلة، ما أدى إلى انتعاشها اقتصادياً وسياسياً<sup>(٥)</sup>.

(١) شركة الزيت العربية - الأميركية، عُمان والساحل الجنوبي للخليج العربي: ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

(٢) Mann: p81.

(٣) الجبيل: تلّ يمتد مسافة ٢٥ ميلاً إلى الشمال عبر الساحل.

(٤) شركة الزيت العربية - الأميركية: ص ٢٢٩.

(٥) قاسم: ج ٣ ص ٢٨٠.

## تطور السياسة البريطانية في مشيخات الساحل العُماني

طراً منذ الثلاثينات من القرن العشرين تطورات سياسية دفعت الحكومة البريطانية إلى تشديد قبضتها على إمارات الساحل العُماني المتصالح نذكر فيها:

- سوء علاقة بريطانيا برضا خان حاكم إيران الذي حظّر مرور الطائرات البريطانية فوق أراضيه.

- تعرّض المنطقة إلى تهديدات من جانب المملكة العربية السعودية.

- اضطراب الأوضاع الداخلية للمنطقة، بفعل النزاعات الأسرية.

- اكتشاف النفط في المنطقة وفتح شهية الدول الكبرى على استغلاله، لا سيما الولايات المتحدة الأمريكية.

- النشاط الياباني التجاري المتزايد لتسويق البضائع التي تنتجها اليابان بثمان زهيد.

قامت الحكومة البريطانية نتيجة لتلك التطورات السياسية بإنشاء محطات واستراحات بين العراق والهند، ووقع الاختيار في بداية الأمر على رأس الخيمة لتكون مركزاً لها، لكن شيخ الإمارة عارض ذلك بشدة خوفاً من ضياع نفوذه على إمارته، والراجح أنه كان يتصرف وهو تحت الضغط السعودي، لكن الحكومة البريطانية كانت مضطرة لتدبير أمر هبوط طائراتها في منطقة الساحل العُماني المتصالح أثناء رحلتها إلى الهند والشرق الأقصى، لذلك أجرت مباحثات مع شيخ الشارقة الذي وافق بعد ترددٍ على توقيع اتفاقية تموز ١٩٣٢م التي جعلت بلاده قاعدة بريطانية للخط الشرقي الذي يصل البصرة بكراتشي<sup>(١)</sup>، كما أنشأت في بداية الحرب العالمية الثانية قاعدة عسكرية تابعة لسلاح الطيران الجوي الملكي<sup>(٢)</sup>، وبذلت في عام ١٩٣٤م محاولات لعقد اتفاقية جوية مع أبو ظبي، فوافق شيخها على إنشاء مطار في جيرة صير بني ياس<sup>(٣)</sup>، ووقّعت بريطانيا في عام ١٩٣٨م اتفاقية تجارية مع مشيخة دبي.

الواضح أن بريطانيا كان مُقبلة على مرحلة تزايدت فيها مصالحها الاقتصادية و«الاستراتيجية» في منطقة الساحل العُماني المتصالح، في الوقت الذي كانت فيه المنطقة معرّضة لتهديدات كثيرة من جانب الحكومة الإيرانية والحكومة السعودية، بالإضافة إلى الأوضاع الداخلية المضطربة، فأقدمت في نيسان ١٩٤٢م على وضع تنظيمات خاصة بالدفاع عن الساحل العُماني المتصالح بما في ذلك مسقط.

(١) Marlowe, John: The Persian Gulf in the 20<sup>th</sup> Century p122.

(٢) قاسم: ج ٣ ص ٢٨٦.

(٣) Ibid: p163.

وظهرت تغييرات أكثر وضوحاً بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، طالت الإدارة البريطانية في الخليج، إذ إن صدور مرسوم استقلال الهند وباكستان في عام ١٩٤٧م أدى إلى إلغاء حكومة الهند الشرقية البريطانية، وبالتالي أضحت شؤون الخليج العربي تُدار من قبل وزارة الخارجية البريطانية في لندن، ونقل البريطانيون مقرهم من بوشهر على الساحل الإيراني إلى البحرين في عام ١٩٤٦م، وكان ذلك دليلاً على تحول السياسة البريطانية في التركيز على السواحل العربية في الخليج العربي بدلاً من السواحل الإيرانية<sup>(١)</sup>.

## الإمارات العربية المتحدة حتى قيام الاتحاد

### ازدياد أهمية النفط ونتائجه

ازدادت أهمية النفط بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، فحشدت الحكومة البريطانية أقدر سياسيينها ورجال بحريتها للمحافظة على مركزها الممتاز في المنطقة النفطية الخاصة بها، ومنحتهم حرية الحركة والتصرف لتسهيل أعمال الشركات البريطانية، والسهر على رعاية مصالحها في وجه الشركات المنافسة غير البريطانية.

وأكدت اتفاقيات عام ١٩٢٢م التي فرضها المعتمد البريطاني على شيوخ الساحل العُماني المتصالح والتي نصّت على أن امتيازات التنقيب عن النفط هو من حقّ الشركات البريطانية فقط؛ مركز بريطانيا الممتاز وهيمنتها التامة على المنطقة.

لكن الصراع الحقيقي على النفط بدأ في منتصف الثلاثينات من القرن العشرين، عندما دخلت شركات النفط الأميركية ذات الخبرة المتقدمة والرأسمال الضخم، منطقة الجزيرة العربية، وحصلت على امتيازات هناك وبخاصة في المملكة العربية السعودية، وحاولت الحكومة البريطانية منعها من دخول منطقة الساحل العُماني المتصالح، وراحت تُشدّد قبضتها أكثر فأكثر على إماراتها، وترصد تحركات كل زائر أميركي، ومنعت معظم الزائرين الأميركيين من الدخول إلى المنطقة عبر عدم منحهم تأشيرات دخول<sup>(٢)</sup>، ثم عزلت المنقطة عن باقي مناطق الجزيرة العربية بوصفها منطقة نفوذ خاصة لها، وفرضت على شيوخها قيوداً عدة نذكر منها:

- يجب أن يكون العاملون في منطقة الساحل العُماني المتصالح من الجنسية البريطانية.

(١) قاسم: ج٣ ص ٢٩٢ - ٨٨ - pp87 Mann

(٢) Zahlan, Rose Marie: The Origins of the United Arab Emirates p115.



- التزام جماعة المساحة بتعليمات المقيم السياسي البريطاني في الإمارات .  
- يُقدم حاكم كل إمارة تعهداً خطياً بمسؤوليته عن أمن وأرواح المجموعة العاملة هناك .

- لا يجوز الدخول في مفاوضات من أجل الحصول على امتيازات التنقيب قبل الحصول على إذن من الحكومة البريطانية .

- يخضع الامتياز الذي تحصل عليه الشركات لموافقة الحكومة البريطانية<sup>(١)</sup> .  
وعلى هذا الشكل ضمنت بريطانيا لشركاتها في الثلاثينات من القرن العشرين حصة كبيرة، فحصلت الشركتين الأم، شركة النفط الإنكليزية - الإيرانية وشركة نفط العراق على امتيازات التنقيب عن النفط في الإمارات السبع بالإضافة إلى إمارة قطر .  
وأدى التنافس البريطاني - الأميركي دوراً في خلق الكيانات ورسم الحدود، الأمر الذي ساعد الشيوخ على الانتقال من مرحلة القبيلة إلى مرحلة الدولة، فاكتمل مفهوم الحكم والإمارة بذلك أبعاداً جديدة نقلت الحاكم من مسؤول عن قبيلة إلى مسؤول عن مساحة جغرافية ودولة ذات سيادة فوق البر والبحر بقدر ما هو مسؤول عن سيادته على الأفراد والجماعات<sup>(٢)</sup> .

وكما أدى النفط دوراً في تخطيط الحدود وساعد بالتالي على بروز فكرة الكيان والسيادة، فقد أدى كذلك دوراً مهماً في تقوية سلطة وهيبة الشيوخ نتيجة حصولهم على ثروات هائلة من عائدات النفط، وتفردهم بالحكم والسلطان بمعزل عن القوى التي كانت تشاركهم من قبل، المتمثلة بالأعيان وبطبقة التجار والقطاعات الشعبية، وأضحى الأسرة الحاكمة القوة الاقتصادية والمالية في المجتمع<sup>(٣)</sup> .

وشجعت شركات النفط وحكوماتها هذا التطور الفردي، لأن التعامل مع أسرة واحدة حاكمة ذات سلطة مركزية مطلقة وفي حاجة دائمة إلى حماية من القوى الأجنبية؛ يُسهّل عليها عملية الاحتكار من جهة، ويُطيل أمد الحماية الأجنبية من جهة أخرى، وإذا كانت مشكلة الحدود بين الإمارات الخليج وبين السعودية قد مكّنت بريطانيا من ترسيم حدود محمياتها واحتكار الإمارات لمصالحها النفطية، إلا أن تشجيعها لمفهوم الحدود بين الإمارات نفسها، خلق مشكلات معقدة لها وللحكام معاً، فكان كل حاكم يحاول الحصول على أكبر مساحة ممكنة من الأرض علّها

(١) Zahlan: pp 109 -110 .

(٢) إبراهيم، إبراهيم: أثر النفط على قيام دولة الإمارات: ص١٨٨، وهو بحث في كتاب تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة، الفصل السادس .

(٣) المرجع نفسه: ص١٨٨ - ١٨٩ .

تحتوي على النفط<sup>(١)</sup>.

وأدرجت بريطانيا في مطلع الخمسينات من القرن العشرين خطر تشرذم الإمارات ومعظمها مدن صغيرة محدودة المساحة وقليلة السكان، ثم إن النزاع على الحدود بينها قد يقود إلى عدم الاستقرار وبالتالي إعاقة عمل الشركات النفطية، لذلك كانت بحاجة إلى سلم دائم بينها وداخلها، فأنشأت في عام ١٩٥١م قوة أمن عربية موحدة تحت قيادة ضباط بريطانيين، أضحت فيما بعد نواة جيش الاتحاد ورمزاً للوحدة في السبعينات من القرن العشرين.

وأدت حركة التحرر العربية، والصراع القائم بين الاستعمار البريطاني والقومية العربية، دوراً لا يقل أهمية، فقد وجدت بريطانيا نفسها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وبخاصة بعد نكبة فلسطين عام ١٩٤٨م وحرب السويس عام ١٩٥٦م، في مواجهة ثورات عربية في معازل نفوذها النفطية (ثورة العراق ١٩٥٨م)، وفي مواقعها المفصلية بالقرب من منابع النفط (في اليمن الشمالي ١٩٦٧م).

ووجدت الحركة الناصرية في المقابل صدىً وتجاوباً من جانب الأوساط الشعبية، وكانت بريطانيا على إدراك كامل بأن الثورات الوطنية وحركة تصفية الاستعمار، ستترك أثراً على هذه المنطقة، وليس من قبيل الصدفة أن الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان، رفض الضغوط البريطانية عام ١٩٤٩م حول اعتبار المياه الإقليمية من حقّ الشركات البريطانية العاملة على اليابسة، واستطاع تحدي الحكومة البريطانية عندما منح امتياز التنقيب في الرصيف القاري إلى شركة أميركية في عام ١٩٥٠م<sup>(٢)</sup>، لذلك التفتت بريطانيا إلى ترتيب الأوضاع الداخلية في الإمارات، فأقامت في عام ١٩٥٢م مجلس إمارات الساحل العُماني المتصالح برئاسة المعتمد البريطاني، للتداول في المشكلات العامة وتطوير برامج التنمية<sup>(٣)</sup>، وعلى الرغم من أن توصيات المجلس لم تكن ملزمة، إلا أن مجرد التقاء الحكام والمداولات بينهم؛ خلقت نوعاً من التفاهم حول القضايا الأساس التي تهّم الإمارات، واستطاعت إمارة أبو ظبي من خلال هذا المجلس أن تتوصّل إلى ترسيم حدودها البحرية مع إمارة دبي في عام ١٩٦٨م<sup>(٤)</sup>.

(١) الفيل، محمد رشيد: مشكلات الحدود بين إمارات الخليج العربي. مجلة دراسات الخليج وللجزيرة العربية، جامعة الكويت، السنة ٢، العدد ٤، تشرين الأول ١٩٧٦م، ص ٣٤.

(٢) إبراهيم: ص ١٩٠ - ١٩١.

(٣) Fenelon, K.G: The Trucial States: A Brief Economic Survey p39.

(٤) الرميحي، محمد غانم: الصراع والتعاون بين دول الخليج العربي، المستقبل العربي، السنة

٢، العدد ١٣، آذار ١٩٨٠م، ص ٨٧، p39 Fenelon.

وتطرق المجلس إلى قضايا التطور الاقتصادي، والمواطنة، ووثائق السفر، ومكافحة الجراد، وتطور بفضل نمو حركة الوعي السياسي نتيجة انتشار التعليم، وتدخل جامعة الدول العربية في قضايا المنطقة في منتصف الستينات، حيث انتقلت رئاسته من المعتمد البريطاني إلى واحد من الحكام الأعضاء بطريق الانتخاب لمدة محدودة، وانتُخب الشيخ صقر بن محمد القاسمي حاكم رأس الخيمة أول رئيس له، وألحق به «مكتب تطوير الإمارات» و«صندوق تطوير الإمارات»<sup>(١)</sup>.

وسرعان ما نما هذا المجلس وتطور بعد تولي الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حكم إمارة أبو ظبي في عام ١٩٦٦م، فقد ساهم هذا الشيخ بنصف ميزانيته في عام ١٩٦٧م ثم زادت هذه المساهمة في العام التالي إلى تسعين في المائة<sup>(٢)</sup>.

ساعدت هذه السياسة البريطانية الجديدة بالإضافة إلى الاجتماعات المنتظمة بين الحكام في مجلس التطوير؛ على تكوين بداية سياسية نحو الاتحاد، تطورت بفعل جهد الحكام والمواطنين، إلى جانب ما تهيأ لها من ظروف محلية ودولية، إلى تحقيق الأمل القومي ألا وهو قيام الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٧١م<sup>(٣)</sup>.

## تطور العلاقة مع بريطانيا

أخذت بريطانيا تُبدي اهتماماً متزايداً بمنطقة الساحل العُماني المتصالح قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها، ويرجع ذلك إلى تحول سياستها في الخليج العربي من التركيز على السواحل الإيرانية إلى التركيز على السواحل العربية<sup>(٤)</sup>، بدليل أنها نقلت مقميتها من بوشهر إلى البحرين في عام ١٩٤٦م، وجاء ذلك نتيجة للظروف السياسية التي واجهتها في إيران بالإضافة إلى ما أقدمت عليه من إنشاء وكالة سياسية في الشارقة ونقلها بعد ذلك إلى دبي، واتخذتها قاعدة رئيسة للإشراف على منطقة الساحل العُماني المتصالح، ولم تكن مستعدة بأن تفقد نفوذها على السواحل العربية للخليج بعد أن فقدت نفوذها على السواحل الإيرانية<sup>(٥)</sup>.

وحتى تُخفف من شدة قبضتها على الإمارات العربية راحت تُبدي تحفظاً نظرياً على الأقل، بشأن مسؤوليتها التي تنحصر في شؤون الدفاع والعلاقات الخارجية، وأنها لا تعدُّ نفسها مسؤولة عن الشؤون الداخلية، والواضح أنها كانت تعمل على

(١) Khalifa: pp 25 - 27. Hawley, Donald: The Trucial States p228.

(٢) المندلوي: ص٢٠٥. (٣) المرجع نفسه.

(٤) Al Baharna, Hussain: The Legal Status of the Arabian Gulf States p264.

(٥) قاسم: ج٤ ص١٥٠.

الحصول على الفوائد التي تتوافر لها نتيجة فرض نفوذها من دون أن تتحمل في مقابل ذلك أي مسؤوليات تجاه هذه الإمارات من حيث إنمائها وتطويرها، وقد نجحت في سياستها بجعل الوضع القانوني للإمارات تحت الحماية البريطانية وليست محميات بريطانية، بحيث أضحت غير ملزمة بما يفرضه القانون الدولي من وجوب تزويد الأمم المتحدة بالمعلومات اللازمة عن أوضاع البلاد الخاضعة للسيطرة البريطانية المباشرة<sup>(١)</sup>.

وكان تبرير بريطانيا في تجنبها تحمُّل مسؤولية الشؤون الداخلية للإمارات بتأكيد ما بأن تلك الإمارات تمرُّ بمرحلة اضطراب سياسي بفعل الصراع الداخلي على السلطة، والملفت أن بريطانيا نفسها كانت تشجع هذه الصراعات، وتتدخل في النزاعات، وإثارة الحرب بين الأسر الحاكمة، وتشديد قبضتها على الشيوخ بدليل ما أقدمت عليه في عام ١٩٥١م من تشكيل قوة مسلحة عُرفت باسم قوة ساحل عُمان، وضعتها تحت تصرف الوكيل السياسي البريطاني في دبي بدلاً من وضعها تحت سيطرة المشيخات التي تعمل في أراضيها، واتخذت من الشارقة مركزاً لها، وعهدت إليها المحافظة على الأمن والنظام داخل المشيخات، ويبدو أن السبب الحقيقي لتسكيلها يكمن في ما اعتزمت عليه من الاحتفاظ بمركزها في المنطقة.

وأضحت هذه القوات تُعرف ابتداءً من عام ١٩٥٤م باسم كشافة ساحل عُمان، وأضحت فيما بعد القوة الرئيسة لدولة الإمارات العربية المتحدة بعد قيامها في كانون الأول ١٩٧١م<sup>(٢)</sup>.

وأشرفت بريطانيا أيضاً على الشؤون القضائية، فقد تشكَّلت داخل الوكالة البريطانية في دبي محكمة خاصة يرأسها قاضٍ بريطاني ينظر في القضايا التي تُعرض على المحكمة وبخاصة تلك المتعلقة بالأجانب مسلمين وغير مسلمين، كما كانت تنظر في القضايا الخاصة بالوطنيين المتعلقة بطرف آخر غير منتمي إلى المشيخات<sup>(٣)</sup>.

وأنشأت بريطانيا في عام ١٩٦٣م مجلساً للشيوخ مهمته مناقشة الأمور المشتركة بين المشيخات وتنسيق خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وإقرار القضايا ذات الطبيعة الواحدة لجميع الإمارات، مثل مشكلات الهجرة والنقود والبريد وغيرها، وكان يجتمع كل أربعة أشهر<sup>(٤)</sup>، وألحق بهذا المجلس في عام ١٩٦٥م مكتباً لتطوير الإمارات.

(٢) المرجع نفسه: ص ١٥٢ - ١٥٣.

(١) قاسم: ج٤ ص ١٥٠ - ١٥١.

(٤) Ibid.

(٣) المرجع نفسه: ص ١٥٣. MarLow: p197.

الواقع أن هذا المجلس لم يؤد إلى توحيد الأنظمة السياسية والنقدية بين المشيخات بشكل كامل، بدليل استمرار هذه المشكلة حتى بعد خمسة عشر عاماً من إنشائه، والمعروف فيما يتعلق بالنقد المتداول أن الروبية الهندية كانت المستعملة في إمارات الساحل العُماني المتصالح، وعندما أقدمت الحكومة الهندية على تخفيض قيمتها في عام ١٩٦٦م لظروف اقتصادية خاصة، تحوّلت بعض الإمارات إلى استعمال الريال السعودي، في حين استعملت إمارات أخرى الدينار البحريني مثل إمارة أبو ظبي، ولم تلبث قطر ودبي أن تحوّلتا من استعمال النقد السعودي إلى إصدار عملة محلية خاصة بهما<sup>(١)</sup>.

لم تُقدم بريطانيا على تطوير الإمارات العربية، إلا في مرحلة متأخرة في عام ١٩٦٠م، وكانت مُرغمة على ذلك بفعل انتشار تيار القومية العربية في منطقة الشرق الأوسط، فأنشأت مكتب التطوير البريطاني في رأس الخيمة، فأنشأ هذا بدوره بعض المدارس نذكر منها: مدرسة زراعية في رأس الخيمة، ومدرسة صناعية في الشارقة وأخرى في دبي في عام ١٩٦٣م، والمعهد المهني في الخليج في عام ١٩٦٨م ومركزه في البحرين، لإعداد خريجي المدارس المتوسطة من أبناء الخليج إعداداً مهنياً<sup>(٢)</sup>، إلا أن بريطانيا لم تُنشئ الطرق التي تربط بين الإمارات لتسهيل الانتقال، واستمر هذا المكتب قائماً حتى تمَّ إلغاؤه إثر انسحاب بريطانيا من منطقة الخليج العربي في نهاية عام ١٩٧١م، وقيام دولة الإمارات العربية المتحدة التي أخذت على عاتقها مهمة التطوير الداخلي للإمارات المتحدة.

## مشيخات الساحل العُماني وجامعة الدول العربية

بدأت جامعة الدول العربية تولي اهتماماً بمشيخات الساحل العُماني المتصالح منذ آذار ١٩٦٣م عندما أنزلت إيران قواتاً في جزيرة أبو موسى التابعة لإمارة الشارقة خلال مناورة مع الأسطول الأميركي، كما لمست هذه الجامعة أن الكيان الصهيوني يعمل على تهريب بضائعه إلى أسواق إمارات الخليج العربي، فنَبّهت شيوخها إلى ذلك، فوافق كل من حاكم دبي وأبو ظبي والشارقة على إنشاء مكتب لمقاطعة البضائع الصهيونية في بلاده.

وأرسلت الجامعة العربية في عام ١٩٦٤م بعثة إلى إمارات الساحل العُماني للتباحث مع شيوخها في توثيق العلاقات والروابط مع العالم العربي، والعمل على تقييد الهجرة الأجنبية، والواقع أن هذه البعثة ركّزت على ثلاثة موضوعات هي:

(٢) المرجع نفسه.

(١) قاسم: ج٤ ص١٥٤.

١ - أخطار الهجرة الأجنبية إلى المنطقة، وبخاصة هجرة الإيرانيين والهنود والبلوش والباكستانيين والأفغان وغيرهم بفعل تأثيرها سلباً على الوضع الديمغرافي والاجتماعي، والمعلوم أن الهجرة تركّزت في دبي بحيث أضحى يُخشى من العناصر الأجنبية وما قد تؤدي إليه من مشكلات مثل البطالة والفقر وإثارة النزعات القومية والطائفية.

٢ - تسوية المشكلات القائمة بين الإمارات، بما في ذلك مشكلات الحدود، وهي الأكثر تعقيداً وترتبط بتنقل القبائل التي تؤدي إلى مطالبة إمارة على رعايا لها موجودين في إمارة أخرى.

٣ - تنظيم المساعدات المالية العربية لإيادها عن طلب المساعدات من إيران الطامعة في أراضيها، واستثنت الجامعة البحرين وقطر وأبو ظبي نظراً لوفرة دخلها. وأرسلت الجامعة العربية بعثة فنية لدراسة المشاريع الأكثر إلحاحاً، وأنشأت من أجل ذلك مكتباً للتنمية تُسهم الدول العربية بتمويله<sup>(١)</sup>.

رأت بريطانيا أن نشاط جامعة الدول العربية في الإمارات العربية يؤثر سلباً على مصالحها في هذه الإمارات لذلك عارضت بشدة هذا التدخل، وأصرّت أن من حقها هي الإشراف على الشؤون الخارجية لهذه الإمارات حتى في إطار تعاملها مع الجامعة العربية نفسها، وأجبرت الإمارات على إنشاء مكتب تطوير يستقبل جميع المساعدات المالية، فنجحت بذلك في تفويت الفرصة على الجامعة العربية، علماً بأنها أخذت فكرة مكتب التطوير من فكرة الجامعة العربية ولكنها كانت السبابة في إنشائه وإظهاره إلى حيز الوجود.

انقسمت الإمارات العربية بين مؤيد للمشروع العربي وبين مؤيد للمشروع البريطاني، وعندما حاولت الجامعة العربية البدء في تنفيذ مشاريعها الخاصة بالتنمية، تلقى شيوخ الإمارات تحذيراً من وزير الدولة البريطاني جورج طومسون من مغبة التعاون مع بعثة الجامعة العربية، والملفت أنه على الرغم من نجاح بريطانيا في عرقلة التعاون العربي مع الإمارات الساحل العُماني المتصالح، إلا أنها عجزت عن حدّ تيار القومية العربية الجارف الذي أخذ يتدفق على المنطقة<sup>(٢)</sup>.

## أطماع إيران في الاستيلاء على جزر الخليج العربي

ظهرت الأطماع الإيرانية في منطقة الخليج العربي منذ القرن الثامن عشر في عهد الدولة الصفوية، وأضحت أكثر وضوحاً منذ مطلع القرن التاسع عشر، وبخاصة تجاه

(٢) المرجع نفسه: ص ١٦٤ - ١٦٥.

(١) قاسم: جء ص ١٦١ - ١٦٢.

البحرين والجزر العربية الثلاث طنّب الكبرى وطنّب الصغرى وأبو موسى، والمعروف أن جزيرة أبو موسى تتبع إمارة الشارقة، وتبع الطنّبين إمارة رأس الخيمة، وعمدت إلى إثارة هذا الموضوع أكثر من مرة عبر تبادل الرسائل مع بريطانيا لتأكيد ادعاءاتها<sup>(١)</sup>.

تعود أطماع إيران في الجزر الثلاث إلى أوائل القرن التاسع عشر كما ذكرنا، واتخذت طابعاً أكثر جدية بعد أن أعلنت بريطانيا عن نيّتها بالانسحاب من منطقة الخليج العربي، فطالبت عندئذٍ بهذه الجزر الحيوية سياسياً وتجارياً واقتصادياً وعسكرياً، لأنها تقع قرب بوابة الخليج قبالة مضيق هرمز، وهُدّت بالاستيلاء عليها بالقوة، وراحت تستخدمها بين حين وآخر عبر أعمال عدوانية تعبيراً عن ادعاءاتها، لكن بريطانيا كانت تتصدّى لها وتُبعدّها عنها<sup>(٢)</sup>.

ازدادت أهمية الإمارات العربية بعد الحرب العالمية الثانية بفضل اكتشاف النفط في عدد منها ما جعلها موضعاً للتنافس الإقليمي والدولي، وبعد تخطّي إيران مشكلاتها الداخلية التي أفرزها الاحتلال السوفياتي في عام ١٩٤١م، وتأميم النفط الإيراني بين عام ١٩٥١ و١٩٥٣م؛ ازداد الاهتمام الإيراني بالشاطئ الغربي للخليج العربي، ورأى شاه إيران أن هيمنة بلاده على المنطقة هو أمر طبيعي.

وقامت إيران طيلة الستينات وحتى مطلع السبعينات في إعداد العدة لاحتلال الجزر العربية الثلاث، غير أنها اصطدمت بالمعارضة البريطانية، عندئذٍ تخلّت عن مبدأ الاحتلال بالقوة، ولجأت إلى سلاح الهجرة، فشجّعت الإيرانيين على الهجرة إليها.

ويبدو أن بريطانيا بدّلت موقفها بعد ذلك، فقامت بدور نشط في تشجيع إيران، وقدمت التسهيلات لها لزيادة أعداد المهاجرين الإيرانيين إلى منطقة الخليج العربي بعامة وإلى الإمارات العربية بخاصة، وصادف أن كانت الإمارات العربية بحاجة إلى اليد العاملة بعد اكتشاف النفط في أراضيها، ما وفرّ للمهاجرين فرص عمل. لكن هذه الهجرات خلقت في الوقت نفسه الشكوك، والريبة في نفوس أبناء الإمارات العربية، وبات واضحاً أن لوجود هذه الأعداد الكبيرة هدفاً سياسياً هو ملء الفراغ الذي كان متوقعاً حدوثه بعد انسحاب القوات البريطانية، مستفيدة من التفكك الواضح، ووجود كيانات سياسية متعددة، بالإضافة إلى النقص الملحوظ في عدد سكانها.

(١) انظر حول هذه المسائل المتبادلة: المنلاوي: ص ٢٢١ - ٢٢٤.

(٢) المرجع نفسه: ص ٢٢٤ - ٢٢٧.

بدأ الاحتلال الإيراني في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٧١م أي قبل الانسحاب البريطاني بقليل في خطوة استباقية، وأعلن أمير عباس هويدا رئيس وزراء إيران في المجلس النيابي الإيراني بأن قوات عسكرية نزلت في طنب الكبرى وطنب الصغرى، واحتلت نقطة استراتيجية في أبو موسى، كما أعلن أن الخلاف بين بريطانيا وإيران قد سُوي نهائياً، وأن سيادة إيران أعيدت إلى هذه الجزر بعد محادثات مطولة مع الحكومة البريطانية، وأن دخل النفط سيقسم بالتساوي بين إيران والشارقة في حال اكتشافه في جزيرة أبو موسى، وسُتقدّم إيران مساعدة مالية وفنية لها<sup>(١)</sup>.

وهكذا استولت إيران بالقوة على جزر الخليج العربي الثلاث، بحجة ارتباطها الوثيق بأمنها القومي «الاستراتيجي» والاقتصادي.

اعترف شيخ الشارقة بالأمر الواقع، ورأى أن يُسوي خلافاته مع إيران بشأن جزيرة أبو موسى بالطرق السلمية، فدخل في مفاوضات معها أسفرت عن اتفاق على البنود الآتية:

- يبقى سكان الجزيرة المدنيين تحت سلطة إمارة الشارقة.
- يُسمح لقوات إيرانية أن ترابط في جزء متفق عليه من الجزيرة.
- توزع إيرادات النفط بين الطرفين.
- تُعطي إيران الشارقة مليوناً ونصف مليون جنيه استرليني كمساعدة سنوية لمدة تسع سنوات أو إلى أن تصل إيرادات الإمارة السنوية من النفط إلى ثلاثة ملايين جنيهاً.

- يبقى علم الشارقة مرفوعاً على مركز الشرطة في الجزيرة<sup>(٢)</sup>.
- وبرّر الشيخ خالد اتفاهه مع إيران بفعل العوامل الآتية:
- إن الدول العربية تمر بظروف صعبة، بعد نكسة عام ١٩٦٧م، وهي عاجزة عن اتخاذ أي إجراء إيجابي بحق إيران.

- إن بريطانيا حريصة على إنهاء مشكلة الجزر قبل تنفيذ انسحابها النهائي من الخليج العربي، وأن إيران لن تقبل بقيام دولة الإمارات العربية المتحدة قبل إنهاء تلك المشكلة.

- مساندة بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية لموقف إيران بسبب التباعد بينهما وبين بعض العرب<sup>(٣)</sup>.

وهكذا تواطأت بريطانيا مع إيران بشأن سيطرتها على الجزر الثلاث العربية، وكان

(٢) المرجع نفسه: ص ١٨١ - ١٨٢.

(١) قاسم: جد٤ ص ١٨١.

(٣) جريدة الأنوار اللبنانية، تاريخ ٨ كانون الأول، ١٩٧١م.



بوسعها أن تحتفظ بوضعية الجزيرة للمشاركة، وهو نقض واضح لميثاق الأمم المتحدة الذي يُحظر تغيير حالات إقليمية مثبتة بواسطة القوة العسكرية.

وإذا كان الشيخ خالد حاكم الشارقة قد تفاهم مع إيران على حل مسألة جزيرة أبو موسى، فقد رفض الشيخ صقر حاكم رأس الخيمة التفاهم مع إيران بشأن الطنينين على الرغم من التحذيرات البريطانية بأن إيران سوف تحتلها بالقوة ما لم يتوصل حاكم رأس الخيمة معها إلى اتفاق على غرار اتفاق حاكم الشارقة.

وفي ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧١م نزلت قوة عسكرية في الطنينين واحتلتها<sup>(١)</sup>، فاحتجَّ شيخ رأس الخيمة لدى الحكومة البريطانية وحملها مسؤولية هذا الاحتلال استناداً إلى الاتفاقيات المعقودة معها، وأعلم السكرتير العام للأمم المتحدة ومجلس الأمن بذلك، وأعلن في ٣ كانون الأول أن إمارته مستعدة لاستقبال قوة عسكرية عربية للدفاع عن الجزر الثلاث التي احتلتها إيران، وأن واجب الإمارات العربية المتحدة التي أُعلن عن قيامها في ٢ كانون الأول، هو الدفاع عن جزر الخليج، ثم انسحب من عضوية الاتحاد وعلّق عودته بتبنيها موقف إمارة رأس الخيمة.

أبدت بريطانيا أسفها لعدم توصل الشيخ صقر إلى تفاهم مع إيران على غرار اتفاق حاكم الشارقة على الرغم من العروض الإيرانية السخية، وأملت ألا تُعلّق الجامعة العربية اهتماماً بمشكلة جزيرتين صغيرتين، وأن تعترف بالنجاح الذي حقّقه السياسة البريطانية إزاء قضايا الخليج العربي، كاستقلال البحرين وقطر وقيام دولة الإمارات العربية المتحدة، وأن عليها إقناع الشيخ صقر بالعودة إلى الاتحاد، وتدعيم العلاقات العربية - الإيرانية، وهذا موقف واضح الانحياز إلى جانب إيران، وتجاهل لأهمية الجزر «الاستراتيجية» بالنسبة لدولة الإمارات العربية المتحدة.

وحملت إيران بريطانيا مسؤولية إثارة المشكلات، وكأنها حاولت أن تُحيل المشكلة إليها، ورفضت وساطة الجامعة العربية لأن الجزر غير عربية، وطلبت تكثيف الجهود للتوصل إلى اتفاق مع رأس الخيمة، ويبدو أن توجه الجامعة العربية كان التقارب مع إيران، وأن موضوع الجزر محصور بينها وبين بريطانيا على عكس الرأي العام العربي الذي طالب بالوقوف ضد الأطماع الإيرانية في الأراضي العربية. وأثّرت المشكلة أمام مجلس الأمن في ٩ أيلول ١٩٧١م، فأصدر قراراً أعرب فيه عن أمله في أن تُسفر وساطة يجريها طرف ثالث عن تسوية سلمية، متجنباً بذلك حل المشكلة بفعل تضارب مصالح الدول الكبرى، وكان ممثلو الدول العربية قد طالبوا باتخاذ إجراءات ضد بريطانيا لأنها لم تُنفذ التزاماتها بموجب المعاهدات التي تفرض

(١) أسود، فلاح شاكر: الحدود الشرقية للوطن العربي والأطماع الفارسية: ص ١٩٨.

عليها حماية جزر الخليج العربي، ووصفت العمل الإيراني بأنه يُشكّل خرقاً واضحاً لميثاق الأمم المتحدة، وردّ المندوب الإيراني على الاتهامات العربية بأنه ليس للحكومة الإيرانية أطماع توسعية في الأراضي العربية وأن هذه الجزر كانت دائماً جزءاً من إيران<sup>(١)</sup>.

ترتّب على العدوان الإيراني على المستوى المحلي اضطراباً في المنطقة تمثّل في محاولة اغتيال الشيخ خالد حاكم الشارقة ومندوبه الذي استقبل القوات الإيرانية التي نزلت في جزيرة أبو موسى، ثمّ مصرعه بالفعل عبر محاولة انقلابية تزعمها الحاكم السابق للشارقة الشيخ صقر في ٢٥ كانون الثاني ١٩٧٢م، وكان واضحاً أن هذه المؤامرة جاءت رد فعل على الاحتلال الإيراني، مع عدم إبعاد الدوافع الشخصية<sup>(٢)</sup>.

### الانسحاب البريطاني من الخليج العربي

أسباب الانسحاب: شكّلت النفقات العسكرية البريطانية لتمويل قواعد بريطانيا وجيوشها في الخارج مثار جدل في أوساط الحزب العمالي الحاكم. ففي سنة ١٩٦٦م قدّم أربعة وخمسون نائباً عمالياً اقتراحاً إلى رئيس الوزراء هارولد ولسون يتضمن الانسحاب من القواعد البريطانية شرق السويس من عدن إلى سنغافورة في موعد أقصاه سنة ١٩٧٠م، بحجة أن تلك القواعد تُكلف ما يقارب ثلاثمائة وسبعة عشر مليون جنيه استرليني سنوياً<sup>(٣)</sup>.

لم يكن هناك ما يشير حتى عام ١٩٦٧م إلى أن بريطانيا عازمة على الانسحاب من منطقة الخليج العربي على الرغم من تصفية قاعدتها الكبيرة في عدن في تشرين الثاني من العام نفسه وقيام حكومة يمنية في الجنوب ذات توجهات مؤيدة للاتحاد السوفياتي. لكن حدث ما كان غير متوقع، فقد أعلنت حكومة العمال برئاسة هارولد ولسون في ١٦ كانون الثاني ١٩٦٨م قراراً يقضي باعتزام الحكومة البريطانية سحب قواتها من شرق السويس في موعد لا يتجاوز نهاية عام ١٩٧١م، وهذا يعني عملياً انسحابها من منطقة الخليج العربي، وبررت إعلانها بالصعوبات الاقتصادية التي بدأت تواجهها، وأوضحت بأن الانسحاب سيشمل إنهاء الوجود العسكري والتزامات بريطانيا السياسية، بما في ذلك شؤون الدفاع والعلاقات الخارجية التي كانت تقوم بتمثيل الإمارات فيها<sup>(٤)</sup>.

(١) جريدة الأنوار، تاريخ ١٩/١٢/١٩٧١م. (٢) قاسم: ج٤ ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٣) العقاد، صلاح: التيارات السياسية في الخليج العربي: ص ٢٨٢.

(٤) بحري، لؤي: الأطماع الأجنبية في جزيرة أبو موسى: ص ٢٨.

الواقع أن القرار البريطاني استند على أسباب عدة أهمها:

- سياسة حزب العمال البريطاني التخفيف من النفقات العسكرية وتحويلها إلى الإصلاحات الداخلية<sup>(١)</sup>.

- اقتناع بريطانيا بأن الوجود العسكري التقليدي أصبح لا مبرر له، وأن الأساليب الاستعمارية القديمة المتمثلة بالاحتلال العسكري المباشر لم يعد ملائماً لضمان مصالحها، لذلك بدأت تبحث عن أساليب جديدة مغايرة تُحقّق الغاية، وتوصّلت إلى استنتاج أن الهيمنة غير المباشرة تكفل تحقيق ذلك.

- رأت بريطانيا أن إقامة علاقات صداقة مع الأنظمة المحلية الموالية لها، يؤمّن المحافظة على مصالحها، لكنها فوجئت بعد ذلك بخيبة أمل كبيرة.

- تدهور مكانة بريطانيا إثر العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م.

- تصاعد المد القومي، والتحرري في العديد من الأقطار العربية من ذلك: ثورة تموز في مصر عام ١٩٥٢م، وطرد البريطانيين منها، وثورة تموز عام ١٩٥٨م في العراق وطرد البريطانيين منها أيضاً، وانسحاب العراق من حلف بغداد، وقيام الثورة في ظفار في عام ١٩٦٥م وهدفها تحرير كل منطقة الخليج العربي، وقيام دولة اليمن الديمقراطية في عام ١٩٦٧م، وانسحاب البريطانيين من اليمن بعد إخفاقهم في محاربة الجبهة القومية.

- إغلاق قناة السويس في عام ١٩٦٧م ما أدى إلى عرقلة حركة بريطانيا من وإلى الخليج العربي.

- الصراع الدولي في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي وتأثيره على أقطار الخليج .  
- رأت بريطانيا ألا تستمر بالقيام بدور الحارس للخليج العربي والمدافع عن مصالح نفطية أضحت غير مقصورة عليها فقط، ونهّم دولاً أخرى كالولايات المتحدة الأميركية، وفرنسا واليابان وغيرها، وكانت هذه الدول لا تحتفظ لنفسها بقوات عسكرية لحماية هذه المصالح، وتساءل الرأي العام البريطاني بشأن وقوع عبء حماية مصالح أضحت لا تنفرد بريطانيا بها وحدها<sup>(٢)</sup>.

- أضحت القوات البريطانية في الخليج العربي لا تشكل حماية للاستثمارات الأجنبية بقدر ما أضحت تثير السكان، فضلاً عما قد يؤدي إليه الانسحاب من تدعيم مركز بريطانيا المعنوي في العالم العربي بظهورها كدولة تخلّصت من مناهجها الاستعمارية البالية.

(١) بحري: ص ٢٩.

(٢) Campell, John.E: Defence ot the Middle East Problems of American Policy p285.

- أدركت بريطانيا أن وجودها التقليدي في منطقة الخليج العربي أضحي غير ذي قيمة إزاء تطور الأسلحة العسكرية التي تُطلق عن بُعد فضلاً عن حاملات الطائرات.

ومهما يكن من أمر، فإنه لا يمكن الوقوف على دوافع سياسة الانسحاب البريطاني إلا من خلال التغييرات «الاستراتيجية» والاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي حدثت في المنطقة، كما أن الانسحاب يضع نهاية لعصر استعماري طويل لمنطقة الخليج العربي دام ما يقرب من مائة وسبعين عاماً، أي منذ عام ١٧٩٨م. ظلت منطقة الخليج العربي تتمتع بالأهمية نفسها في نظر بريطانيا بعد انسحابها، يُفسر ذلك ما أقدمت عليه قبل انسحابها من اتخاذ إجراءات عدة في المنطقة تكفل لها ضمان مصالحها، نذكر منها:

- دعم بعض الحكام الموالين لسياستها.
- تشجيعها على إقامة اتحاد الإمارات التسع.
- اعتمادها على قوتين كبيرتين في المنطقة هما المملكة العربية السعودية وإيران.
- التخفيف من حدة الخلافات بين الأقطار العربية الخليجية وبين إيران فيما يتعلق بموضوع الجزر الثلاث والبحرين<sup>(١)</sup>.

غير أن هناك أقطاراً كانت تتطلع إلى الانعتاق من الهيمنة الاستعمارية، ووجدت الفرصة في قرار الانسحاب لبناء نفسها ودعم التوجهات الوطنية، فبادرت إلى إعلان استقلالها فوراً، وألغت المعاهدات المعقودة مع بريطانيا منذ القرن التاسع عشر، وهذا ما عبّرت عنه إمارتا أبو ظبي ودبي في الاتفاق الذي عُقد بينهما في ١٨ شباط ١٩٦٨م حول قيام اتحاد فيدرالي بينهما، وقيامهما بمنح امتيازات نفطية لمجموعة شركات أوروبية وأميركية ويابانية تعبيراً عن هذا الاستقلال.

**ردود الفعل على قرار الانسحاب:** استُقبل قرار الانسحاب البريطاني من شرق السويس بردود فعل متباينة:

فقد تباينت آراء البريطانيين في هذه المسألة بين مؤيد لاستمرار الوجود البريطاني في المنطقة بحجة ضمان المصالح البريطانية، وبين معارض لهذا الوجود وحيثه في ذلك أن هذا الضمان لا يستوجب وجوداً عسكرياً، وأشار إلى أن هناك دولاً أخرى تستثمر أموالها في نفط الخليج العربي من دون تواجد عسكري مثل اليابان وإسبانيا، ورأى بعض أعضاء الحكومة بأن هناك ظروفاً سياسية توجب على بريطانيا البقاء عسكرياً في شرق السويس، منها التزاماتها تجاه الحلف المركزي والارتباط

(١) مجلة صوت الخليج. البحرين، العدد ٣٢١٥، آذار، ١٩٧١م.

بمعاهدات مع بعض حكام المنطقة<sup>(١)</sup>.

ورحّب حزب المحافظين البريطاني بقرار الانسحاب ووعده بتنفيذه في الوقت المحدّد، وكان قد خلف حزب العمال في الحكم في حزيران ١٩٧٠م، وهذا يعني أن بريطانيا بدأت تتخلّى عن مسؤولياتها بموجب المعاهدات المعقودة بينها وبين إمارات الخليج العربية وتدفعها نحو الاتحاد<sup>(٢)</sup>.

وعارضت الكثير من الصحف البريطانية المحافظة سياسة الانسحاب، مؤكدة أنه من الضروري إبقاء قوات عسكرية للمحافظة على رؤوس الأموال المستثمرة في صناعات النفط، ولا يمنع في مقابل ضمان هذه الاستثمارات الكبيرة أن تتحمّل بريطانيا تكاليف الدفاع عن المنطقة، فضلاً عن أن الانسحاب لن يُحقّق أي وفر على الأقل خلال السنوات الثلاث القادمة، بل إن من المحتمل أن تتعرّض الاستثمارات البريطانية للخطر بفعل النتائج السلبية المتوقعة التي تعقب الانسحاب، لكن ما دام القرار قد اتخذ فمن الصعب التراجع عنه<sup>(٣)</sup>.

ورحبت إيران بقرار الانسحاب البريطاني من منطقة الخليج العربي، لأن بريطانيا كانت تقف حجر عثرة أمام تحقيق أطماعها في البحرين والجزر العربية الثلاث، واعتقدت بأنها القوة الوحيدة القادرة على فرض السيطرة على المنطقة، وتطلعت إلى الحصول على دعم سوفياتي لادعاءاتها، لكن الحكومة السوفياتية أصدرت قبل يوم واحد من زيارة رئيسها كوسيجين إلى إيران في نيسان ١٩٦٨م، بياناً أوضحت فيه أن الاتحاد السوفياتي يشعر بالحرج الشديد بالنسبة لموقف إيران إزاء الخليج، ويبدو أن هذا الموقف دفع الحكومة الإيرانية إلى إقامة نوع من الدفاع الإقليمي للخليج العربي، لكن المشروع لم يجد تجاوباً من الدول العربية وبخاصة أنه ارتبط بتأكيد الادعاءات الإيرانية على البحرين والجزر العربية الثلاث، لذلك التفتت إلى تمكين علاقاتها مع الولايات المتحدة الأميركية بوصفها القوة الدولية الواعدة والطامعة في الهيمنة على منطقة الخليج العربي، ورأت أميركا أن الدعم العسكري للشاه يصب في خدمة مصالحها في المنطقة، لذلك قامت بتزويده منذ عام ١٩٦٨م بأسلحة مختلفة ومتطورة برية وبحرية وجوية، كما ساعدته مادياً عبر منحه قروضاً مالية.

وكشفت إيران عن نواياها بعد الانسحاب البريطاني في السيطرة على منفذ الخليج العربي إلى المحيط الهندي، وعلى مياهه وجرفه القاري الغني، وعلى جزره وشواطئه، فضلاً عن الأهداف الأخرى التي تترتّب على أداء دورها الإقليمي في

(٢) المندلاوي: ص ٢٣٤.

(١) العقاد: ص ٢٨٣.

(٣) The Gulf: Implications of British Withdrawal pp 15 - 17.

المنطقة لصالح المخططات الغربية، وبدأت تتغلغل في دول الخليج العربي لاستقطابها، فدعت الشيخ عيسى بن سلطان حاكم البحرين لزيارة طهران في عام ١٩٧٠م، وقام وزير الدفاع الإيراني زاهري بزيارة الكويت على رأس وفد من السياسيين والعسكريين لإجراء مباحثات تستهدف تنمية العلاقات السياسية والاقتصادية وبحث قضايا الخليج العربي بعد الانسحاب البريطاني، وأقدمت في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧١م، وقبل يوم واحد فقط من قيام بريطانيا بوقف تعهداتها في الخليج العربي؛ إلى احتلال ثلاث جزر عربية استراتيجية تقع في مدخل الخليج العربي قبالة مضيق هرمز هي: أبو موسى التابعة لإمارة الشارقة، وطنب الكبرى وطنب الصغرى التابعتان لإمارة رأس الخيمة<sup>(١)</sup> كما ذكرنا.

وأمل العراق في أن يكون له رأي وموقف في شؤون الخليج العربي بعد الانسحاب البريطاني بوصفها من المسائل الحيوية بالنسبة إليه، وقام حردان التكريتي نائب رئيس وزراء العراق ووزير الدفاع بزيارة إلى بعض أقطار الخليج العربي، وصرّح بأن العراق سيقدم كل دعم سياسي وعسكري إلى إدارات الخليج العربي، واهتمّ العراق بافتتاح مراكز تجارية، وفروع لمصرف الرافدين، وشركات التأمين العراقية في كثير من الإمارات، وأخذت الحكومة العراقية تمنح الكثير من أبناء الخليج العربي منحاً دراسية في المدارس والجامعات العراقية، وظهر النشاط العراقي واضحاً في تأييد الجبهة الجديدة التي قامت في الخليج العربي والتي عُرفت باسم «الجبهة الوطنية الديمقراطية لتحرير عُمان والخليج»، ودعا الرئيس العراقي أحمد حسن البكر في عام ١٩٧٠م إلى إنشاء حلف دفاعي تشترك فيه دول الخليج العربية، لكن دعوته قوبلت بفتور من جانب المملكة العربية السعودية والكويت، فضلاً عن المعارضة القوية من جانب إيران التي رأت في ذلك استبعادها من التنسيق المشترك في سياسة الخليج العربي<sup>(٢)</sup>، ولم يلبث العراق أن أدرك أنه يقف وحده سياسياً في الخليج العربي.

وخشيت الإمارات العربية المتحدة على كيانها في حال انسحاب القوات البريطانية، بسبب الادعاءات الإيرانية التي تواجهها، بالإضافة إلى إمكان انتشار التيارات اليسارية على طول الساحل الجنوبي للخليج العربي، لذلك عرض بعض حكام الخليج العربي على بريطانيا مبلغ خمسة وعشرين مليون جنيه في السنة لكي تحتفظ بقواتها في المنطقة بعد عام ١٩٧١م، ولكن دينس هيلي وزير الدفاع البريطاني

(١) المنذلاوي: ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٢) السياسة الكويتية، تاريخ ٢٠ تموز، ١٩٧٠م.

رفض هذا العرض، كما أكد جورج براون وزير الخارجية في حكومة العمال أن وجود قوات بريطانية في الخليج العربي يمكن أن يُشكل عامل تفرقة بدلاً من أن يكون عامل توحيد<sup>(١)</sup>، ومع ذلك، فإن كثيراً من حكام الخليج العربي أخذوا يطالبون حكومة المحافظين البريطانية بالانسحاب الكامل من الخليج العربي تمشياً مع الشعور القومي والعربي العام، واستبدلوا عقد اتفاقية دفاع معها بمحاولة تشكيل اتحاد بينها لمواجهة أخطار الأطماع الخارجية.

وقرّرت الولايات المتحدة الأميركية ملء الفراغ الذي تركه الانسحاب البريطاني من الخليج العربي، للمحافظة على مصالحها المالية والنفطية وضمان عدم تطلع الاتحاد السوفياتي أو أي دولة أخرى قد تخشى منها خطراً على مصالحها في المنطقة، ولكن من دون أن ترث الوجود العسكري، وركّزت جهودها على خلق تحالف إقليمي في المنطقة منطلقاً من نقطتين:

**الأولى:** استقطاب إمارات الخليج العربي، والعمل على تخطّي خلافاتها، والانضمام إلى اتحاد فيما بينها.

**الثانية:** تشجيع السعودية وإيران على تنسيق سياستهما الدفاعية في المنطقة حتى يمكنهما أن يحلّلا محل بريطانيا في حراسة الخليج العربي<sup>(٢)</sup>.

وعمدت الولايات المتحدة الأميركية إلى تسليح حلفائها، وأوكلت إليهم القيام بدور رئيس في الشرق الأوسط ومنطقة الخليج العربي والدفاع عنها، وعقدت اتفاقية مع البحرين لضمان استمرار استخدام قاعدة الجفير البحرية من قبّل قوة الشرق الأوسط الأميركية التي تمّ تأسيسها في عام ١٩٤٣م، لسدّ الفراغ الذي تركه الوجود البريطاني العسكري، كما أنها قد تكون عامل استقرار في المنطقة إذ قد تُستخدم عرقلة تقدم سوفياتي محتمل.

لكن المشروع الذي تبنته الولايات المتحدة الأميركية قد فشل بفعل الشعور العربي المناهض لأي شكل من أشكال التكتلات العسكرية التي تضم أطرافاً غير عربية، بل كان يرفض قيام تحالف عسكري بين أطراف عربية يكون خارجاً عن نطاق الجامعة العربية، ثم إن فكرة قيام اتحاد إمارات الخليج العربية لن يُنظر إليها بعين التقدير ما لم تكن نابعة من المنطقة نفسها ومن حاجة سكانها إليها<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن الولايات المتحدة الأميركية لم تُحبّد سياسة الانسحاب، وحاولت الضغط على الحكومة البريطانية بمختلف الوسائل، لتعدّل سياستها، أو على الأقل

(١) الأنوار، تاريخ ٢٤ كانون الثاني، ١٩٦٨م. (٢) قاسم: ج ٤ ص ٢٩٠.

(٣) الحسيني، مصطفى: الفراغ من يملؤه. مجلة روز اليوسف، تاريخ ٦ شباط، ١٩٦٨م.

تُرْجِيء تنفيذها؛ تمثّلت في الاجتماعات الكثيرة بين وزيرَي الخارجية الأميركي والبريطاني، روجر ودوغلاس هيوم، لكن من دون جدوى.

والملاحظ أنه ترتب على الانسحاب البريطاني زيادة ملموسة في الوجود الأميركي في المنطقة سواء في المجال الاقتصادي الذي يتمثل في رؤوس الأموال الأميركية المستغلة في شركات النفط، أو في المصارف المالية التي ازدادت في المنطقة، أو في المجال العسكري بتوقيع اتفاقية بين الولايات المتحدة الأميركية والبحرين المذكورة أعلاه<sup>(١)</sup>.

وكان للاتحاد السوفياتي أطماع في منطقة الخليج العربي منذ القرن التاسع عشر عبر إيران وصولاً إلى المحيط الهندي<sup>(٢)</sup>، كذلك سعى إلى تطوير علاقاته مع أقطارها، فأيد كفاح الشعب العماني في المحافل الدولية ضد الهيمنة البريطانية، وساند ثورة تموز ١٩٧٨م في العراق<sup>(٣)</sup>، وحسّن علاقاته مع إيران، وتبادل زعماء البلدين الزيارات بين عامي ١٩٦٣ و١٩٦٥م، وسعى إلى إقامة ميثاق أمن جماعي في المنطقة يضم العراق وإيران والهند وباكستان وأفغانستان، غير أن ذلك لم يتحقّق ما دفعه إلى التأكيد على ضرورة تحقيق توازن «استراتيجي» مع الوجود الغربي بعامه والأميركي بخاصة في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي، وحصل بالفعل على تسهيلات عسكرية من جانب بعض دول المنطقة، لا سيما اليمن الجنوبي والصومال والحبشة<sup>(٤)</sup>، وأكّد في بيان رسمي صدر في آذار ١٩٦٨م أن قيام حلف دفاع إقليمي بعد انسحاب بريطانيا من الخليج العربي يُعدّ موجّهاً ضدّ أمن حدوده الجنوبية<sup>(٥)</sup>، لذلك اعترض على فكرة قيام اتحاد إمارات الخليج العربية بوصفها مخططاً امبراطورياً استبدادياً.

## قيام دولة الإمارات العربية المتحدة

### تمهيد

تعود فكرة قيام اتحاد بين إمارات الخليج العربية إلى أواسط الثلاثينات، ففي عام ١٩٣٥م جرى حوار بين الحكام بإنشاء اتحاد بين الإمارات لم يتخذ شكلاً جدّياً،

(١) قاسم: ج٤ ص٢٩٢. (٢) الفيل: ص٥٥.

(٣) التكريتي: برزان: الصراع الدولي في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي وتأثيره على أقطار الخليج العربي: ص٦٦ - ٩٦.

(٤) المندلوي: ص٢٤٠. كيلبي، جون: شبه الجزيرة العربية والخليج والغرب: ص٧٢٢.

(٥) قاسم: ج٤ ص٢٩٠.



لأن الإمارات الصغيرة كانت تعتمد على بريطانيا لحمايتها<sup>(١)</sup>، وتجددت فكرة إنشاء الاتحاد في أوائل الخمسينات عندما عمدت بريطانيا عام ١٩٥٢م إلى تأسيس اتحاد يضم الإمارات الواقعة على ساحل عُمان، وذلك عبر إنشاء مجلس استشاري يضم حكماها يجتمع مرتين في السنة، واستثنائياً عند الضرورة، تحت إشراف بريطاني، وقد هدف الطرفان إلى تحقيق نوع من التنسيق في سياستهما ونظمهما لتطويرها والنهوض بشؤونها، وتأسست في عام ١٩٥٨م لجان الصحة العامة والزراعة والتعليم، ثم مجلس التشاور عام ١٩٦٤م، ومجلس تطوير الإمارات عام ١٩٦٦م<sup>(٢)</sup>، وتحاشت بريطانيا إقامة جهاز إداري دائم لهذا الاتحاد، وذلك لتخفيف النفقات الباهظة التي كانت تتحملها، لكنها عمدت إلى تشكيل قوة من المرتزقة سُميت الحرس العُماني<sup>(٣)</sup>، مقرها في الشارقة، مهمتها حماية أعمال التنقيب عن النفط والقضاء على القوى العربية المناهضة للمصالح البريطانية<sup>(٤)</sup>.

وجرت محاولات عقب تأسيس حلف بغداد عام ١٩٥٥م، لاستقطاب الإمارات العربية وبخاصة البحرين والكويت، إلى الحلف، ولكنها مُنيت بالفشل بسبب المعارضة الشعبية، وبرزت فكرة تأسيس الاتحاد مرة أخرى في عام ١٩٦٤م أثناء انعقاد مؤتمر القمة العربي في القاهرة، وانبثقت الفكرة عن الجامعة العربية بهدف استقطاب هذه الإمارات إلى المجموعة العربية، إلا أن بريطانيا قاومت خطط الجامعة العربية التي رأت فيها تعارضاً مع الاتفاقيات الثنائية المعقودة بينها وبين الإمارات، وتمادت عندما عمدت في أيار عام ١٩٦٥م إلى عقد مؤتمر في إمارة دبي حضره حكام الإمارات السبع المتصالحة، وشارك فيه حاكما البحرين وقطر، وعرضت بريطانيا في المؤتمر إنشاء صندوق للتنمية تشترك فيه الإمارات المنتجة للنفط وهي: البحرين وقطر وأبو ظبي<sup>(٥)</sup>، وتُساهم فيه بريطانيا بمليون جنيه استرليني سنوياً، في مقابل حق الإشراف على تنفيذ المشاريع، شرط ألا تقبل الإمارات المعنية أي مساعدة عربية إلا عن طريق هذا الصندوق.

ويبدو أن بريطانيا هدفت إلى تحقيق أمرين:

**الأول:** إبعاد أي مساهمة عربية قد تساعد على تطوير الإمارات وتقديمها، لأن ذلك يتعارض مع سياستها ومصالحها.

(١) جريدة صدى الأسبوع البحرينية، تاريخ ١٦ شباط، ١٩٧١م.

(٢) مهنا، محمد نصر: في الخليج العربي المعاصر: ص ٤٧٠.

(٣) سنان، محمود بهجت: أبو ظبي واتحاد الإمارات العربية ومشكلة البريمي: ص ١٢٢.

(٤) عطوي: ص ٧٤. (٥) سنان: ص ١٤٩.

الثاني: أرادت بريطانيا خلق شخصية إقليمية في منطقة الخليج العربي<sup>(١)</sup>.  
وعُقد مؤتمر ثانٍ في تموز ١٩٦٥م في دبي اشترك فيه جميع حكام الإمارات العربية، جرى خلاله التوقيع على اتفاقية نقد الخليج، فتحرر الخليج العربي بذلك من النقد الأجنبي وبخاصة الاسترليني<sup>(٢)</sup>.

## الوحدة الثنائية

جاءت الخطوة الأكثر إيجابية في عملية تأسيس الاتحاد من الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم أبو ظبي، ففي أوائل شباط ١٩٦٨م، وبعد أن أعلنت بريطانيا عن عزمها على الانسحاب من الخليج العربي؛ أرسل خارطة أبو ظبي إلى حاكم دبي الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، وطلب منه أن يرسم الحدود القائمة بين إمارتيهما<sup>(٣)</sup>، إيماناً منه بأن الحدود القائمة كلها مصنوعة لأن الشعب العربي في كل مكان يعلم أن الحدود التي وُضعت بين الإمارات تَمَّت في ظروف السيطرة البريطانية الاستعمارية التي حرصت على تقسيم العالم العربي وتجزئته لكي يبقى ضعيفاً ومفككاً<sup>(٤)</sup>.

ويبدو أن تطلعات الشيخ راشد كانت متوافقة مع تطلعات الشيخ زايد، فزار أبو ظبي وأجرى مباحثات مع أميرها تناولت حاضر ومستقبل منطقة الخليج العربي بالإضافة إلى مصالح بلديهما، واستعرضا الوسائل الكفيلة التي تدعم تعاونهما في الداخل والخارج، وقرَّر الشيخ زايد تعبيد طريق السيارات بين الإمارتين لتسهيل ربطهما.  
ثم اجتمع العاهلان في ١٨ شباط ١٩٦٨م في قرية السميح (السميحة) الواقعة على الحدود بين البلدين، ووقَّعا اتفاقية الاتحاد بين إمارتيهما وقد نصَّت على الآتي:

- تشكيل اتحاد يضم البلدين له علم واحد وتُناط به المسائل الآتية:

- أ - الشؤون الخارجية.
  - ب - الدفاع والأمن الداخلي في حال الضرورة.
  - ج - الخدمات الاجتماعية كالصحة والتعليم.
  - د - الجنسية والهجرة.
  - هـ - السلطة التشريعية في الشؤون الموكولة إلى الاتحاد وفي المسائل المشتركة التي يَتفق عليها.
- تكون الشؤون التي لم توكل إلى الاتحاد من اختصاص حكومة كل بلد.

(٢) ناتو: ص ٧٦.

(٤) عطوي: ص ٧٧.

(١) عطوي: ص ٧٥ - ٧٦.

(٣) سان: ص ٧٩.

- دعوة أصحاب السمو حكام الإمارات المتصالحة الأخرى لمناقشة هذا الاتفاق والانضمام إلى الاتحاد، وكذلك دعوة صاحبي العظمة حاكمي قطر والبحرين للتداول في مستقبل المنطقة والاتفاق معهما على عمل موحد لتأمين ذلك<sup>(١)</sup>. والملفت في هذه الاتفاقية أمران:

**الأول:** أنها عُقدت بعد شهر تقريباً من إعلان بريطانيا عزمها على الانسحاب من الخليج العربي بنهاية عام ١٩٧١م، وبذلك يكون هذا الاتفاق الثنائي يهدف إلى المحافظة على الاستقرار وتقوية الروابط بين إمارات الخليج العربية، وتنسيق الخطط لمستقبل التنمية والتطوير في المنطقة.

**الثاني:** وردت في نص البيان المشترك دعوة حكام الإمارات للاشتراك في الاتحاد ومن ثم دعوة حاكمي قطر والبحرين، ويبدو أن دعوة هذين الحاكمين كانت يهدف التداول حول مستقبل المنطقة وليست دعوة بهدف الاشتراك في الاتحاد صراحة، لذلك كان نص البيان الثنائي مثار استياء الشيخ أحمد بن علي آل ثاني حاكم قطر، الذي عدّ ما حدث في السميح وما نصت عليه الاتفاقية الثنائية، محاولة لإبعاد قطر والبحرين عن الاتحاد<sup>(٢)</sup>.

## الوحدة التساعية

استجابت الإمارات العربية الأخرى للدعوة الواردة في الاتفاق الثنائي، فسارع حكام الإمارات المتصالحة السبع وهي: أبو ظبي، دبي، الشارقة، رأس الخيمة، عجمان، أم القيوين والفجيرة بالإضافة إلى حاكمي قطر والبحرين إلى عقد مؤتمر قمة لهم في دبي في المدة بين ٢٥ - ٢٧ شباط ١٩٦٨م، أسفر عن صدور بيان مشترك يُعلن قيام اتحاد بين إمارات الخليج العربية التسع، يحمل اسم «اتحاد الإمارات العربية»، الهدف منه، توثيق الصلات بين الإمارات الأعضاء وتقوية التعاون بينها، وتنسيق خطط تقدمها ورخائها، واحترام كل منها لاستقلال الأخرى وسيادتها، وتوحيد سياستها الخارجية وتمثيلها الخارجي، وتنظيم الدفاع الجماعي عن بلادها صيانة لأمنها ومحافظة على سلامتها، والنظر في شؤونها ومصالحها المشتركة بما يكفل بلوغ أمانها وتحقيق آمال الأمة العربية<sup>(٣)</sup>.

وحَدَّت الاتفاقية الموقعة بين الحكام أصحاب العلاقة السلطات الرئيسة التي تُشرف على الاتحاد حتى وضع صيغة دستورية متكاملة ونهائية، وأهم هذه السلطات:

(١) جواد: ص ٧٤. سان ص ٨٠. جريدة الحياة البيروتية، تاريخ ٢١ شباط، ١٩٦٨م.

(٢) قاسم: ج ٤ ص ٣٠١.

(٣) انظر النص الحرفي لدياجة الاتفاقية عند: عطوي: ص ٨٠ - ٨٢.

- المجلس الأعلى: مهمته الإشراف على شؤون الاتحاد، ويتشكل من حكام الإمارات التسع، ويضطلع بوضع ميثاق دائم للاتحاد، ويحدّد سياسته العليا في المسائل السياسية والدفاعية والاقتصادية والثقافية وغيرها، ويصدر القوانين الاتحادية الخاصة بهذا الشأن، ويصدر الميزانية العامة، وهو المرجع الأعلى في تحديد الاختصاصات، وتصدر قراراته بالإجماع، ويتناوب حكام الإمارات رئاسة اجتماعات المجلس الأعلى ويتولى الرئيس تمثيل الاتحاد في الداخل وفي المحافل الخارجية.

- مجلس الاتحاد: هو الهيئة التنفيذية للاتحاد، يعاون المجلس الأعلى في ممارسة سلطاته، ويمارس اختصاصاته وفقاً للسياسة العليا التي يقرها المجلس الأعلى ووفقاً للقوانين الاتحادية، ولا تكون قراراته نافذة إلا بمصادقة المجلس الأعلى عليها.

- تصدر الميزانية العامة للاتحاد بقرار من المجلس الأعلى، يُحدّد القانون مواردها وحصّة كل إمارة من الإمارات الأعضاء.

- توزع السلطات بين الحكومة الاتحادية وحكومات الإمارات عبر ممارسة حكومة كل إمارة شؤونها الداخلية الخاصة التي لم يسند الاختصاص بصدها للاتحاد.

- يكون للاتحاد محكمة عليا تُسمى «المحكمة الاتحادية العليا» يُحدّد القانون طريقة تشكيلها ونظامها واختصاصاتها<sup>(١)</sup>.

صادفت اتفاقية دبي ردود فعل إيجابية عربية وغير عربية، فقد باركت المملكة العربية السعودية وقطر هذا الحدث، لأن من شأنه أن يضمن استمرار أمن المنطقة وسلامتها واستقلالها، ورّجت الدول العربية الأخرى بقيام الاتحاد مع التمنيّ بالنموّ والازدهار، وعكست الردود العربية مناخاً أقرب إلى التفاؤل حول مستقبل الخليج العربي، وفضّلت بريطانيا قيام اتحاد يضم إمارات الساحل المتصالح السبع مع استقلال كل من البحرين وقطر، إلا أنها عادت وأيدت الاتحاد التساعي، وعارضت إيران قيام أي اتحاد بين إمارات الخليج العربية تكون البحرين عضواً فيه، غير أن تطور الأحداث جاء مغايراً، فمنذ توقيع اتفاقية دبي في ٢٧ شباط ١٩٦٨م، عقد المجلس الأعلى أربع دورات، الأولى والرابعة في أبو ظبي (٢٥ - ٢٦ أيار ١٩٦٨م، ٢٥ تشرين الأول ١٩٦٩م)، والثانية والثالثة في الدوحة بقطر (٢٠ - ٢٥ تشرين الأول ١٩٦٨م، ١٠ - ١٤ أيار ١٩٦٩م)، وبرزت منذ الاجتماع الأول

(١) انظر نص قرار رقم ٥٠ لسنة ١٩٦٨م بشأن تشكيل مجلس اتحادي مؤقت وتحديد اختصاصاته عند عطوي: ص ١٧٠ - ١٧١.

بعض العقبات، فقد قدّم وفد أبو ظبي مشروع جدول أعمال يشتمل على موضوع رئيس واحد، هو دراسة الخطوات اللازمة لإعداد الميثاق الكامل والدائم للاتحاد، واختيار الخبراء الدستوريين لصياغته، وقدّم وفد قطر في الوقت نفسه مشروعاً متكاملًا يتضمن إلى جانب دراسة وصياغة الميثاق الكامل الدائم للاتحاد، انتخاب أول رئيس اتحادي، وتعيين المقر الدائم للاتحاد، وبحث التدابير اللازمة لإنشاء أمانة سر عامة، ومناقشة تشكيل مجلس الاتحاد التنفيذي وتحديد اختصاصاته ونظام عمله وبحث الوزارات الاتحادية، وإعداد شعار وعلم للاتحاد، ونشيد الوطني، وتوحيد العملة النقدية، وإنشاء جريدة رسمية تنطق باسمه، وأصرّ الوفد القطري على مناقشة المادة الرابعة من اتفاقية دبي التي أخذت بمبدأ صدور قرارات المجلس الأعلى للاتحاد بالإجماع، ومن هنا بدأت الخلافات تطفو على السطح بين مؤيد لمشروع أبو ظبي وبين مؤيد لمشروع قطر، ولما عُرض المشروعان على لجنة المستشارين تبنت الأغلبية المشروع الأول واستبعدت المشروع الثاني، فتكون بالتالي جمّدت أحكام اتفاقية دبي مع ما يشكل ذلك من نقض صريح للاتفاقية من الناحية القانونية، ويتعارض مع مصالح الاتحاد العليا، لأن الاتحاد سيجد نفسه عند انسحاب القوات البريطانية في وضع بالغ الخطورة، يتمثل في عدم استكمال عناصر الاستقلال والسيادة، وعدم القدرة على مواجهة متطلبات الأمن والاستقرار، وعجز إمكانات الدفاع الجماعي المشترك<sup>(١)</sup>، وتدخلت السعودية والكويت لتسوية الموقف ولكن من دون جدوى بفعل تمسك كل جانب بمشروعه، ففقدت عندئذٍ كل من البحرين وقطر الحماس للاتحاد، ومضتا في طريق الاستقلال، فأعلنت البحرين استقلالها في ١٤ آب ١٩٧١م وتبعته قطر في أول أيلول من العام نفسه<sup>(٢)</sup>.

## الاتحاد السباعي وقيام دولة الإمارات العربية المتحدة

تركزت جهود حكام الإمارات العربية السبع في ساحل الخليج العُماني على إقامة اتحاد بينهم بعد فشل الجهود المبذولة لإقامة اتحاد تساعي وأضحى الطريق ممهداً أمامهم بعد استقلال البحرين وقطر لإعلان الاتحاد، فاجتمع الحكام السبعة في مدينة دبي في ١٨ تموز ١٩٧١م، وأقرّوا دستوراً مؤقتاً للدولة الجديدة، واتفقوا على إصدار قرار لاحق لإعلان قيامها دولة مستقلة ذات سيادة، وعلى أساس هذا القرار اجتمع حكام ست إمارات في قصر الجميرة بدبي في ٢ كانون الأول ١٩٧١م بغياب

(٢) المرجع نفسه: ٤٦٣ - ٤٦٤.

(١) مهنا: ص ٤٥٥ - ٤٥٦.

حاكم رأس الخيمة<sup>(١)</sup>، وأعلنوا مولد دولة الإمارات العربية المتحدة، وانتُخب الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم أبو ظبي رئيساً للدولة الجديدة، كما انتُخب الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم إمارة دبي نائباً لرئيس الدولة<sup>(٢)</sup>، وتكوّنت السلطات الاتحادية من المجلس الأعلى للاتحاد ورئيس الاتحاد ونائبه ومجلس وزراء الاتحاد والمجلس الوطني الاتحادي والقضاء الاتحادي<sup>(٣)</sup>، وقد قُبلت الدولة الجديدة عضواً في جامعة الدول العربية بتاريخ ٦ أيلول ١٩٧١م، وعضواً في الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ٩ كانون الأول ١٩٧١م، وتمّ تشكيل أول وزارة اتحادية في التاريخ نفسه ضمّت ثمانية عشر وزيراً من مختلف الإمارات.

### تعقيب على قيام دولة الإمارات العربية المتحدة

جاء قيام دولة الإمارات العربية المتحدة تصحيحاً لوضع شاذ، فقد كانت هذه الإمارات مجرد مشيخات بالغة الصغر في المساحة وعدد السكان والموارد الاقتصادية قبل اكتشاف النفط، والمستوى الحضاري، كما أن كل واحدة منها كانت مقسمة إلى أجزاء متناثرة، مثل أبو ظبي ودبي ورأس الخيمة، قسمين، وعجمان، ثلاثة أقسام، الشارقة، خمسة أقسام، وأضحى من الشائع إضافة بعض المصطلحات بعد اسم الإمارة تعبيراً على الواقع الجغرافي مثل: إمارة أبو ظبي وملحقاتها وتوابعها، وكثيراً ما انعكست هذه التجزئة الجغرافية على مشكلات الحدود المصطنعة التي تُثار بين الإمارات، وجاء اكتشاف النفط ليزيد من هذه المشكلات<sup>(٤)</sup>.

والواقع أن هذه الإمارات تُعدُّ منطقة تاريخية واحدة منذ القرن الثامن عشر على الأقل وكذلك بيئة اجتماعية واقتصادية واحدة، فقد كانت التقاليد القبلية إلى وقت قريب هي السائدة، وتوافدت على المنطقة شعوب كثيرة قبل وبعد الفتح الإسلامي، وتعرضت لظروف متقلّبة أحدثت بعض التغييرات، ولكنها لم تخرج عن أصلاتها وعاداتها، فاستثمار النفط واستثماره أحدثت نقلة نوعية في البنية القبلية عبر التحرك الجغرافي والاجتماعي، وازداد الوعي القومي، وتحسّنت وسائل المواصلات

(١) انضمت رأس الخيمة إلى الاتحاد في ١٠ شباط، ١٩٧٢م.

(٢) مجلة العربي الكويتية، العدد ١٦٠، ص ١٣٠.

(٣) انظر بما يتعلق بالمؤسسات الدستورية، عطوي: ص ١٠٦ - ١٢٩. عبد القادر، علي أحمد: عملية الاندماج السياسي في اتحاد الإمارات: ص ٦٥١، فصل في كتاب: تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة.

(٤) الخوند: ج ٣ ص ١٥٦.

والاتصالات وبخاصة مع العالم الخارجي، وأدخل الاتحاد أنظمة متطورة من خلال دستوره المؤقت مثل: تحسين الأوضاع المعيشية، والاهتمام بشؤون المواطنين، وإنشاء مؤسسات تحفظ لهم حقوقهم وتساعدهم على التطور لحياة أفضل، كما وضعت الدولة الاتحادية أنظمة تحافظ من خلالها على كيان الدولة ومصالحها السياسية والاقتصادية، ولا يزال المجتمع في دولة الإمارات يعمل باستمرار على تحديث المؤسسات وتطويرها.

## المشكلات التي واجهتها دولة الاتحاد

واجهت دولة الاتحاد فور قيامها بعض المشكلات الداخلية والخارجية.

تمثّلت المشكلات الداخلية بـ:

- رفض إمارة رأس الخيمة التوقيع على الدستور المؤقت ما أدى إلى عدم انضمامها إلى الدولة الاتحادية، وركّز السبب المُعلن لعدم الدخول على الناحية الدستورية التي أثارها، وقد طالبت بحقّ الاعتراض على قرارات المجلس الأعلى للاتحاد وعلى تطبيق التمثيل النسبي الواحد في المجلس الاستشاري، غير أن رأس الخيمة ما لبثت بعد ثلاثة أشهر تقريباً من قيام الاتحاد أن انضمت إليه عندما شعرت بعدم قدرتها على مواجهة مسؤوليات الدولة بمفردها<sup>(١)</sup>.

- الازدواجية بين المؤسسات الاتحادية وبين المؤسسات المحلية خلال السنوات الأولى من قيام الاتحاد، وقد برزت هذه المشكلة بوضوح مع إمارة دبي على الرغم من التنسيق بين مؤسساتها وبين المؤسسات الاتحادية في مجالات الشرطة والأمن والإعلام، إلا أنها طالبت بالإبقاء على بعض المؤسسات المحلية الأخرى المرتبطة بالصحة والعدل والمواصلات.

- توحيد القوات الدفاعية ومساهمة الإمارات في الميزانية الاتحادية العامة التي ظلت أبو ظبي تتحمل القسم الأكبر منها.

- التوترات القائمة بين إمارات الدولة فيما يتعلق بالحدود الداخلية بينها وبين الدول المجاورة لها.

وتمثّلت المشكلات الخارجية بـ:

- عدم اعتراف المملكة العربية السعودية بدولة الاتحاد بفعل النزاعات الحدودية، ورأى الملك فيصل بن عبد العزيز بن سعود أن الاعتراف بالدولة الوليدة لا بد أن يتم بعد تسوية تلك النزاعات القائمة بين مملكته وبين إمارة أبو ظبي، ومن جهة

(١) انظر أسباب عدم انضمام رأس الخيمة الفوري إلى الاتحاد: قاسم: ج٥ ص ٢١٢ - ٢١٣.

أخرى رأى بعض حكام الإمارات في استمرار علاقتهم الثنائية مع المملكة العربية السعودية ضماناً لتأكيد كياناتهم الخاصة، وقد أضعف ذلك السلطة الاتحادية المركزية وهي في بداية عهدها .

- أخذت بعض الإمارات تطور علاقاتها الثنائية مع إيران على الرغم من عدم اعتراف الأخيرة بدولة الاتحاد، ولا شك بأن هذه السياسة تؤدي في المستقبل إلى إضعاف السلطة الاتحادية المركزية ومنعها من فرض نفوذها على المؤسسات المحلية في الإمارات<sup>(١)</sup> .

- مشكلة الحدود بين سلطنة عُمان وكل من أبو ظبي في واحة العين، ورأس الخيمة في رؤوس الجبال، وهي المناطق الجبلية المتاخمة للحدود بين البلدين، بالإضافة إلى الخلافات الحدودية القديمة التي ظلَّت قائمة بين سلطنة عمان وبين كل من دبي والشارقة والفجيرة وعجمان<sup>(٢)</sup> .

كان على الدولة الاتحادية أن تُسويَّ خلافاتها الحدودية مع جيرانها حتى يتسنى لها أن تنطلق .

الواقع أن الخلاف مع المملكة العربية السعودية لم يستمر مدة طويلة، إذ سرعان ما تنبّهت المملكة إلى خطورة الأطماع الإيرانية في منطقة الخليج العربي وبخاصة بعد سيطرة إيران على الجزر الثلاث أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى، وإلى ضرورة مساندة الدولة الوليدة التي ترتبط معها في الأصل واللغة والعقيدة، وعلى الرغم من أن الشيخ زايد رئيس دولة الاتحاد كان تَوَاقُفاً إلى تسوية الخلاف الحدودي مع المملكة الذي من شأنه أن يُدعم السلطة الاتحادية، إلا أن العروض التي قدَّمتها من أجل ذلك لم تُقنع المملكة، وفي المقابل فإن مطالبتها ببعض الأراضي التابعة إلى إمارة أبو ظبي، لم تلق القبول من جانب الشيخ زايد، والمعروف أنها كانت تطالب بمساحات شاسعة غنية بحقول النفط، ولم تنجح الجهود المبذولة في حلِّ الخلاف إلا في تموز عام ١٩٧٤م، والتي مهَّدت لعقد اتفاقية جدة في ٢١ آب ١٩٧٤م، ويستشف من نصوصها أن أبو ظبي تنازلت عن مثلث من الأراضي يقع غرب أبو ظبي وجنوب شرق قطر المعروف بسبخة مطي إلى المملكة العربية السعودية مقابل تنازل الأخيرة عن واحات البريمي إلى أبو ظبي، وإنشاء ممر بري يربط خور العديد بالساحل الغربي لأبو ظبي، ما يجعل الاتصال البري بين أبو ظبي وقطر لا يتم إلا من خلال الأراضي السعودية، وأن

(١) قاسم: ج ٥ ص ٢١١ .

(٢) عبد الله، محمد مرسي: دولة الإمارات العربية وجيرانها: ص ٤٠٣ .



يتم استثمار حقل زرارة مناصفة بين المملكة وأبو ظبي<sup>(١)</sup>.

- أبدى السلطان قابوس حاكم عُمان تحفظاً على تلك الاتفاقية لأنها تمسُّ بالأوضاع في واحات البريمي من دون أن يكون له رأي فيها، ولتدارك هذه المشكلة جرت مباحثات ثلاثية: سعودية - عُمانية - إماراتية في عام ١٩٧٧م، تمَّ التوصل خلالها إلى تسوية لم تُنشر بنودها<sup>(٢)</sup>.

### تطور قضية الجزر الثالث

ورثت الإمارات العربية المتحدة النزاع القائم مع إيران بشأن ملكية الجزر الثالث: أبو موسى، طناب الكبرى وطناب الصغرى، ففي عام ١٩٩٢م توسطت عُمان بين الطرفين، لكن الوساطة لم تُثمر بفعل تصلب الجمهورية الإيرانية الإسلامية في موقفها، وتمسَّكت بسيادتها الكاملة على الجزر الثالث، ومن جهتها رفضت دولة الإمارات العربية المتحدة استمرار الاحتلال الإيراني لتلك الجزر، ولما عُرضت القضية على مجلس الجامعة العربية قرَّر في ١٣ أيلول تدويل القضية، وأكدت دولة الإمارات في ١٦ أيلول تصميمها على استعادة سيادتها عليها.

وكانت قد جرت مباحثات بين الجانبين في أبو ظبي في ٢٧ أيلول باءت بالفشل، ما دفع دولة الإمارات إلى تدويل القضية، فرفضت إيران تدويلها وهددت باستخدام القوة ضد أي محاولة إماراتية لاستعادتها، وجرى في عام ١٩٩٣م تحديد المياه الإقليمية من جانب كل طرف.

وأخذت دولة الإمارات العربية المتحدة تلحُّ خلال عام ١٩٩٤م برفع القضية إلى محكمة العدل الدولية، في الوقت الذي رفضت إيران هذا التوجه، كما رفضت التفاوض على ما عدته حقاً لها.

الواضح أن السلوك الإيراني ضد السيادة الإقليمية لدولة الإمارات العربية المتحدة، أضعاف جهوداً طويلاً تمَّ خلاله تقارباً بين إيران وبعض الدول العربية، وقد قوي هذا التقارب بفعل معارضة إيران للغزو العراقي للكويت عندما أعلنت رفضها التوسع والاستيلاء على الأرض بالقوة، متجاهلة ما مارسته على الجزر العربية الثالث.

الواقع أنه لا ينبغي النظر إلى النزاع القائم بين الإمارات العربية المتحدة وبين إيران على أنه مشكلة خاصة بدولة الإمارات ويهدد الأمن في الخليج العربي، بل على أنه مشكلة عربية عامة تُهدد الأمن القومي العربي.

(١) جريدة السياسة الكويتية، تاريخ ١٩٧٤م.

(٢) Kelly, J.B: Arabia - The Gulf and the West: pp 211 - 212.

وثمة طرق مشروعة لاستعادة دولة الإمارات العربية المتحدة سيادتها وردّ العدوان الإيراني عن أراضيها، تصل إلى حدّ استخدام القوة العسكرية في الوقت الذي قد لا يؤدي بديل آخر، مثل: المقاطعة السياسية والاقتصادية والطرق السلمية، إلى النتيجة المرجوة. لكن ما أقدمت عليه إيران من انتهاك السيادة الإقليمية لإحدى دول الخليج العربية يرجع إلى غياب قوة إقليمية في المنطقة يمكنها التصدي للأطماع الإيرانية التوسعية، وأن الضمان الفعلي لاستعادة السيادة على الجزر الثلاث يكمن في تطوير مجلس التعاون الخليجي وزيادة فاعلية مؤسسات العمل العربي الجماعي، مع التسليم بحق دولة الإمارات قانوناً بتلك الجزر.

ويبدو في الوقت الحاضر وفي ظل تنامي قوة إيران، أنه ليس هناك من مخرج سوى تكرار المحاولات السلمية ورفض الاحتلال بالقوة، وهو ما لجأت إليه دولة الإمارات من إحالة النزاع على هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي لعدم اكتساب العدوان الإيراني على أراضيها صفة الحيازة الفعلية<sup>(١)</sup>، في حين أغلقت إيران أبواب الحل السياسي، فقد صرّح المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية في ٥ أيلول ٢٠١٢م، أن الجزر الثلاث كانت وما زالت جزءاً لا يتجزأ من الأراضي الإيرانية وستظل كذلك إلى الأبد.

## تدعيم الوحدة

عملت حكومة أبو ظبي بخاصة على تعزيز الوحدة بين الإمارات مستخدمة قوتها الاقتصادية، وحضّت شركاءها على الاندماج في منظومة الاتحاد بشكل أقوى وأشمل، علماً بأن بعض الشيوخ ظلوا مترددين في التخلي عن سلطاتهم الشخصية، ففي كاون الأول ١٩٧٣م حلّت حكومة أبو ظبي نفسها ليصبح بعض أعضائها وزراء اتحاديين، واشتملت عملية إعادة التنظيم الحكومي على توسيع سلطة الاتحاد المركزية، وتمّ الاتفاق في أيار ١٩٧٥م في المجلس الأعلى على تنفيذ خطوات مركزية إضافية، وفي تشرين الثاني من العام نفسه دمجت الشارقة حرسها الوطني في قوة الدفاع الاتحادية، وسلّمت الإذاعة التابعة لها إلى وزارة الاتصالات الاتحادية، وأخضعت شرطتها لوزارة الداخلية الاتحادية، ومحاكمها لوزارة العدل الاتحادية، وألغت علمها الخاص، واعتمدت العلم الاتحادي، وحذت كل من الفجيرة ودبي حذوها، وفي أول أيار ١٩٧٦م تمّ التوصل إلى اتفاق دمج قوات أبو ظبي ودبي مع قوة الدفاع الاتحادية، وعيّن الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان ولي عهد أبو ظبي نائباً

(١) قاسم: ج ٥ ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

للقائد الأعلى للقوات الاتحادية، علماً بأن والده الشيخ زايد كان قائدها الأعلى.

وأُتخذ مزيد من الإجراءات في اتجاه دعم المنحى المركزي الوحدوي في عامي ١٩٧٦ و١٩٧٧م، فقد وافق الشيخ زايد في عام ١٩٧٦م على تجديد رئاسته للاتحاد بعد أن وافق المجلس الأعلى على منح الحكومة الاتحادية سلطات أكبر في مجال الدفاع والمخابرات والهجرة والأمن العام والإشراف على الحدود، وجرى في عام ١٩٧٧م تعديل حكومي تقرر بموجبه أن يتم اختيار الوزراء وفق الكفاءة الشخصية وليس بموجب تمثيلهم لإماراتهم، وأعيد تشكيل المجلس الوطني الاتحادي وفق المبادئ نفسها<sup>(١)</sup>.

## توجهات السياسة الخارجية

حدّد الدستور المؤقت ثوابت السياسة الخارجية، بنصرة القضايا والمصالح العربية والإسلامية، وتوثيق أواصر الصداقة والتعاون مع جميع الدول والشعوب على أساس مبادئ ميثاق الأمم المتحدة والأخلاق المثلى الدولية، ومن أهم سمات هذه السياسة:

- الالتزام بالمبادئ والمواثيق الدولية التي تُحدّد أسس العلاقات بين الدول في إطار الاحترام المتبادل والتعاون الدولي والتفاعل الإيجابي.
- عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الشقيقة، والصديقة، واحترام الأنظمة والقوانين لدى الآخرين، وعدم السماح بالتدخل في شؤون الإمارات الداخلية.
- التكافؤ والمساواة في إقامة العلاقات الخارجية مع جميع الدول، وعدم فرض الوصاية على الآخرين.
- احترام حق تقرير المصير للشعوب، وحقها في اختيار الأنظمة الخاصة بها، واحترام حقوق الإنسان.
- فض النزاعات بالطرق السلمية، والاحتكام إلى القوانين والأنظمة الدولية ومراعاة حقوق الجار، وبناء أوثق العلاقات الدولية في المجالات كافة.
- حرية استثمار الثروات واتباع سياسة نفطية تساهم في استقرار السوق، وتتعاون مع توجهات منظمة أوبك والأقطار المنتجة للنفط بما يساهم في إنجاح السياسة الجماعية للدول المصدرة للنفط، وسياسة التعاون مع الدول المستوردة.
- التعاون مع توجهات مجلس التعاون الخليجي عبر التنسيق السياسي والأمني والاقتصادي بما يُحقّق أهداف المجلس.

(١) الخوند: ج٣ ص١٥٦ - ١٥٧.

- المساهمة في بناء التضامن العربي، وتعميق الروابط مع الأشقاء العرب، وتعزيز العلاقات مع الدول الإسلامية<sup>(١)</sup>.

أقامت دولة الإمارات العربية المتحدة علاقات مع العوالم العربية والإسلامية والدولية.

ففيما يتعلق بالعلاقات مع العالم العربي، فقد تعاونت مع العرب على صعيد جامعة الدول العربية، وصعيد الدول العربية، وساهمت في كل ما يُحقِّق عزة العرب وكرامتهم معنوياً ومادياً، وأدّت دوراً بارزاً في مؤتمرات القمة واللقاءات العربية من أجل توحيد الصف العربي وإعلاء شأن الأمة العربية وتأكيد مكانتها في المجتمع الدولي، وتفعيل دور الجامعة العربية وتعزيز قدراتها وآلياتها لدعم جميع مجالات العمل العربي المشترك، وأعربت عن أملها في تجاوز الأمة العربية الآثار السلبية لحرب الخليج الثانية (غزو العراق للكويت) لمواجهة مستجدات الوضع الراهن وإحياء دور الجامعة العربية، وضرورة أن يستفيد العرب من الدروس والعبر والنكبات التي ألمّت بهم.

وعدّت دولة الإمارات العربية التضامن العربي ضرورة للانتصار على العدو، وأن الوحدة العربية هي أكبر انتصار للعرب، وأن الانقسام العربي هو مرض عابر لا بد أن تُشفى الأمة العربية منه، لأن طبيعتها على مرّ العصور لا تحتل سوى التضامن والوحدة.

وتواصلت في التسعينات من القرن العشرين وأوائل القرن الواحد والعشرين الجهود المخلصة للمّ الشمل وتحقيق التضامن العربي ودعوة الأمة العربية إلى تناسي خلافاتها وطي صفحات الماضي، وحشد الصفوف؛ لمواجهة الأخطار التي تحدق بها وبحضارتها ومستقبلها، لا سيما الخطر الصهيوني، وسعت إلى تنقية الأجواء العربية وإعادة ترتيب البيت العربي، وأمّلت أن يتدارس العرب ما تطرحه من مبادرات من أجل هذه الغاية.

واتبعت دولة الإمارات العربية المتحدة سياسة محافظة منذ تأسيسها، فساندت الدول العربية التي شاركت في حرب تشرين الأول ١٩٧٣م (مصر وسوريا)، وكانت السبّاقة في فرض حظر تام على صادرات النفط إلى الولايات المتحدة الأميركية، وهي تُنسّق سياسياً مع المملكة العربية السعودية في الخليج العربي وفي المنطقة العربية.

(١) القاسمي، خالد بن محمد: التاريخ الحديث والمعاصر لدولة الإمارات العربية المتحدة: ج٢

وأعدت دولة الإمارات العربية علاقاتها مع مصر في ١١ تشرين الثاني ١٩٨٧م التي كانت قد قطعتها مع معظم الدول العربية بسبب زيارة الرئيس المصري أنور السادات إلى الكيان الصهيوني وتوقيعه اتفاقية كامب دايفيد.

وتعاونت دولة الإمارات العربية المتحدة مع دول الخليج العربية في إنشاء شبكة موحّدة للإنذار المبكر، في خطوة بدت وكأنها موجهة ضد إيران.

وعالجت دولة الإمارات العربية المتحدة العديد من الأزمات الطارئة على الساحة العربية أو شاركت في حلها، وبخاصة تلك التي لها انعكاسات على الساحة الدولية، ووقفت إلى جانب لبنان في مطالبته الكيان الصهيوني بالامتثال إلى قرارات مجلس الأمن الدولي ذات الصلة، كما وقفت إلى جانبه عندما تعرّض لغزو صهيوني في عام ٢٠٠٦م.

وسانددت دولة الإمارات العربية المتحدة القضية الفلسطينية كغيرها من الدول العربية، وتمثل القضية الفلسطينية وعروبة القدس الأولية في سياستها، وتحظى باهتمام بالغ في تحركاتها السياسية في المحافل الإقليمية والدولية من أجل حصول الشعب الفلسطيني على حقوقه الوطنية المشروعة وإقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني وعاصمتها القدس الشريف.

وقدّم الشيخ زايد بخاصة دعماً غير محدود لكفاح الشعب الفلسطيني وصموده في وجه ممارسات الاحتلال الصهيوني، فقد مؤّل العديد من المشاريع السكنية والخدماتية في مدينة القدس لمواجهة عمليات الاستيطان ومحاولة طمس الهوية الإسلامية والعربية عنها، وساهم في صيانة المساجد والمسكن في المدينة.

وعبّرت دولة الإمارات العربية المتحدة عن تضامنها مع الشعب الفلسطيني في مواجهة الاعتداءات الصهيونية إثر تصاعد التوتر المتكرر في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وبخاصة ما يمارسه الكيان الصهيوني من اعتداءات على المقدسات الإسلامية، وهدم المنازل ومصادرة الأراضي والممتلكات العربية، وإقامة المستوطنات الصهيونية عليها.

وفيما يتعلق بالعلاقات مع العالم الإسلامي، فقد تعاونت دولة الإمارات العربية المتحدة مع الدول الإسلامية، وهي تعمل على نصره التقاليد الإسلامية، وتساهم في المؤتمرات الإسلامية، لكنها شهدت خلال التسعينات من القرن العشرين وأوائل القرن الواحد والعشرين مشكلة مهمة تتعلق بقضية الجزر الثلاث طنّب الكبرى وطنّب الصغرى وأبو موسى، وقد بحثنا هذه القضية في الصفحات السابقة.

وفيما يتعلق بالعلاقات الدولية، فقد اتسم نهج الممارسة السياسية الخارجي بروح

التوازن والحكمة والمصارحة، والوقوف إلى جانب الحق والعدل، والدعوة إلى التضامن والتسامح والمشاركة الواسعة في دعم العمل الإنساني والخيري في أرجاء العالم، ما أكسبها مكانة مرموقة في المجتمع العربي والمجتمعين الإسلامي والدولي، واحتراماً في المحافل الإقليمية والدولية.

وعملت دولة الإمارات العربية منذ انضمامها إلى الأمم المتحدة في ٩ كانون الأول ١٩٧١م، على دعم أنشطة المنظمة الدولية والمنظمات المتخصصة التابعة لها، وذلك انطلاقاً من إيمانها بميثاق الأمم المتحدة والقوانين والأعراف الدولية، وقناعتها بأن المنظمة الدولية تُمثل الضمير الإنساني في مواجهة المشكلات العالمية، وحفظ السلام والأمن الدوليين، وتحقيق التنمية الشاملة، وقد شغلت مقعد العضوية غير الدائمة في مجلس الأمن عن العامين ١٩٨٦ و١٩٨٧م، وساهمت بفعالية خلال هاتين السنتين في بحث وإصدار عدد من القرارات الدولية المهمة.

وترتبط دولة الإمارات العربية المتحدة بعلاقات سياسية (دبلوماسية) مع أكثر من مائة وخمس وأربعين دولة، وبلغ عدد السفارات المقيمة لديها سبعة وستون سفارة، وتوجد فيها مكاتب لعدد من المنظمات الدولية والإقليمية، مثل برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، وصندوق النقد العربي، واتحاد المصارف العربية، والهيئة العربية للاستثمار والإنماء الزراعي، وبرنامج تمويل التجارة العربية، وسبع قنصليات وبعثتان دائمتان في مقر الأمم المتحدة في نيويورك والمقر الأوروبي للمنظمة الدولية في جنيف<sup>(١)</sup>.

وتميز عام ١٩٨٤م بالزيارات المتبادلة بين مسؤولين في الدولة ومسؤولين في دول عربية وأجنبية من أجل الانفتاح على العالم وإجراء مشاورات بشأن القضايا العالمية الساخنة، وبخاصة مشكلة الشرق الأوسط وصلبها القضية الفلسطينية. فقد استقبل الشيخ زايد في نيسان مساعد وزير الخارجية الأميركية مورفي، وطلب منه أن تُعدّل أميركا سياستها في الشرق الأوسط بشكل جذري كما استقبل مستشار النمسا فرد سينوناتس وطلب منه أن تضطلع أوروبا بدور أكثر فاعلية في الشرق الأوسط، وقام الشيخ زايد في نيسان بزيارة كينيا، وزار في أيار بنغلادش وتونس، وأعلن في آب ١٩٨٨م أن دولة الإمارات ستبني مصفاة للنفط في جنوبي الصين لمعالجة النفط الوارد من الإمارات، وزار الرئيس الصيني دولة الإمارات في كانون الأول ١٩٨٩م، علماً بأن الصين أقامت علاقات مع الدولة الإماراتية في عام ١٩٨٤م، ووقّعت الدولة الاتحادية اتفاقية تعاون تجاري واقتصادي مع الاتحاد السوفياتي في شباط ١٩٩٠م.

(١) الكتاب السنوي لدولة الإمارات العربية المتحدة ١٩٩٨م، ص ١٤٥.

**القوات المسلحة:** جرى منذ الثمانينات توجُّه دولة الإمارات العربية المتحدة إلى زيادة تسليحها عبر اتفاقيات عقدتها مع دول أوروبية عدة بالإضافة إلى الولايات المتحدة الأميركية، وتأهيل قدرات أفراد القوات المسلحة، وإعدادها للتعامل مع التطور التقني العسكري الحديث، وترتبط دولة الإمارات ببرامج واتفاقيات للتعاون الدفاعي مع عدد من الدول الصديقة، ومن بينها الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وفرنسا.

وتطلعت دولة الإمارات إلى تنويع أسلحتها عبر شراء أسلحة سوفياتية، وقد تجاوبت روسيا مع طلبها في ٢٨ حزيران ١٩٩٢م، وفي ٤ كانون الثاني ١٩٩٣م ناقش وزير الدفاع الروسي مسألة بيع الإمارات طائرات عسكرية متطورة، وعرضت روسيا بعد أيام سلاحاً منافساً لصواريخ باتريوت، واشترت الإمارات أربعمئة وست وثلاثين دبابة فرنسية من طراز لوكليبر، وأعلنت عن صفقات شراء أسلحة من أميركا وبريطانيا، وبخاصة صفقة طائرات أباتشي للقوات الجوية الإماراتية، وقد تسلّمت الدفعة الأولى منها في ٨ تشرين الأول.

**الأمن:** تُعدُّ دولة الإمارات العربية المتحدة من أكثر الدول تمتعاً بالأمن والاستقرار في العالم، وقد عملت وزارة الداخلية على توفير الأمن الاجتماعي والطمأنينة للمواطنين والمقيمين على أرض الدولة انطلاقاً من قناعة راسخة بأن الأمن ضرورة وركيزة لتحقيق التقدم والتطور والتنمية، واعتمدت على التخطيط العلمي والاستفادة من تقنيات العصر لمواجهة تحديات الجريمة، مثل البصمة عن طريق «الكمبيوتر» على مستوى إدارات الشرطة، وإنشاء العديد من المراكز الأمنية.

**الإعلام:** تميز الأداء الإعلامي في دولة الإمارات العربية المتحدة بأفاق واسعة في التعامل مع طبيعة التحديات والتطورات التي يشهدها العالم، والاستفادة من الإمكانيات الهائلة التي توفرها التقنيات الحديثة في عالم الإعلام والاتصال وتوظيفها في خدمة القضايا الوطنية، ويشكل مركز الإمارات للدراسات والبحوث «الاستراتيجية» الذي أنشئ في آذار عام ١٩٩٤م؛ أحد المنارات العلمية، والمؤسسة البحثية المهمة في الدولة، ويضطلع المركز بدور رائد في إعداد الدراسات والبحوث العلمية في مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية «الاستراتيجية» المتعلقة بالدولة ومنطقة الخليج العربي، وأنشأ المركز في عام ١٩٩٦م أول وأكبر قاعدة معلومات شاملة عن الدولة عبر شبكة «الإنترنت» توفر أحدث المعلومات من مصادرها الوطنية.

**الاقتصاد:** تميز الأداء الاقتصادي والمالي في الأعوام الأخيرة بارتفاع معدلات النمو في معظم القطاعات الاقتصادية، وذلك بسبب النجاح الذي حققته السياسات الاقتصادية والمالية، واستمرار تطوير القطاعات الانتاجية، والخدماتية، وتحسين المناخ الاستثماري، وثبات السياسة النقدية، وضبط وتوجيه حركة الائتمان، وارتفاع أسعار النفط، وتزايد أهمية الإمارات كواحدة من الدول التي تُسهم في توفير نسبة مرتفعة من إمدادات الطاقة لأسواق العالم، في إطار الالتزام التام بقرارات منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك)، والحرص على استقرار أسواق النفط، وتُنسق الدولة سياستها النفطية مع دول مجلس التعاون الخليجي في إطار اللجنة الوزارية للتعاون النفطي بين دول المجلس، وشهدت صناعة الغاز تقدماً كبيراً، وتمّ تأسيس «شركة أبو ظبي لتسييل الغاز المحدودة»، في كانون الأول 1978م؛ كي تتولى تسييل الغاز المصاحب المستخرج من الحقول المنتجة، وتُنفذ شركة بترول أبو ظبي الوطنية (أرونك) برنامجاً لزيادة انتاج الغاز المسيلّ لمواجهة ازدياد الطلب الداخلي.

يتميز الأداء الاقتصادي في دولة الإمارات بارتفاع معدلات النمو في معظم القطاعات الاقتصادية، على الرغم من تأثر هذه المعدلات بتراجع ناتج قطاع النفط أحياناً؛ وذلك بسبب النجاح الذي حققته السياسات الاقتصادية والمالية في استمرار تطوير القطاعات الإنتاجية والخدماتية غير النفطية، وتحسين المناخ الاستثماري، وثبات السياسات النقدية، وضبط وتوجيه حركة الائتمان، ما خلق نمواً متوازناً في النشاط الاقتصادي.

**السياحة:** تتمتع دولة الإمارات العربية بكل مقومات الصناعة السياحية كالموقع الجغرافي «الاستراتيجي»، والمناخ المعتدل والمتميز طوال أكثر من ستة أشهر من العام، والأمن والاستقرار، ومتعة التجول والتسوق في مراكز التسوق التي تزخر بالبضائع المتنوعة والعالية الجودة بالأسعار المناسبة والمنافسة، إضافة إلى توفير البنية الأساسية الحديثة التي تكفل خدمات راقية للسائحين، من مطارات وموانئ وشبكة طرق ووسائل اتصالات ومواصلات، وتُشكّل الشواطئ الرملية الذهبية والخدمات المتميزة والآثار السياحية التاريخية ومراكز التسوق العالمية وغيرها من المعالم مراكز جذب للسائحين، وشهد القطاع السياحي خلال السنوات الماضية تحولات مهمة، وضعت دولة الإمارات على الخارطة السياحية العالمية، بعد إنشاء مؤسسات حكومية جديدة للترويج السياحي، وإنجاز العديد من المشاريع السياحية الضخمة، كالفنادق؛ مثل برج العرب في دبي، والاستراحات والمراكز التجارية العالمية، و«ماجيك وورلد» وهو أول قرية ترفيهية كبرى تقام في الشرق الأوسط على



مساحة مائة وعشرين هكتاراً، ويُمثّل انتشار الحدائق العامة بمكنوناتها وتصميماتها الحديثة إحدى السمات المميزة للجذب السياحي، إضافة إلى أندية الغولف والفروسية، ومهرجان السباقات البحرية للقوارب التقليدية والحديثة السريعة، وتُمثّل المتاحف والآثار إحدى عوامل الجذب السياحي المهم.

وتمكّنت دولة الإمارات خلال العقود الثلاثة الماضية من تشييد بنية أساسية متينة من شبكات الطرق والجسور والأنفاق والمطارات والموانئ، وغيرها من مشاريع الهياكل الأساسية التي وضعتها في مصاف الدول العصرية في العالم، وهي في تطور مستمر لمواكبة التزايد في حركة السياحة.

**الاتصالات:** عملت مؤسسة الإمارات للاتصالات «اتصالات» التي تأسست في أيلول عام ١٩٧٦م على توفير أحدث وأرقى خدمات وتقنيات الاتصالات، لخدمة حركة التطور الاقتصادي والاجتماعي في الدولة، وتوثيق روابطها الحضارية والثقافية والإنسانية مع العالم، وأضحت دولة الإمارات ترتبط اليوم مع معظم دول العالم.

وقدّمت «اتصالات» خدمة «انترنت الإمارات» في عام ١٩٩٥م لتصبح إحدى نوافذ الدولة على العالم، ونذكر بشكل خاص خدمة البريد الإلكتروني التي تُعدّ من وسائل الاتصال، وأضافت اتصالات في العقدین الأخيرين محطات جديدة للتعامل مع الأقمار الصناعية لخدمة الاتصالات الدولية نظراً للطلب المتزايد على الحركة الهاتفية والبث التلفزيوني.

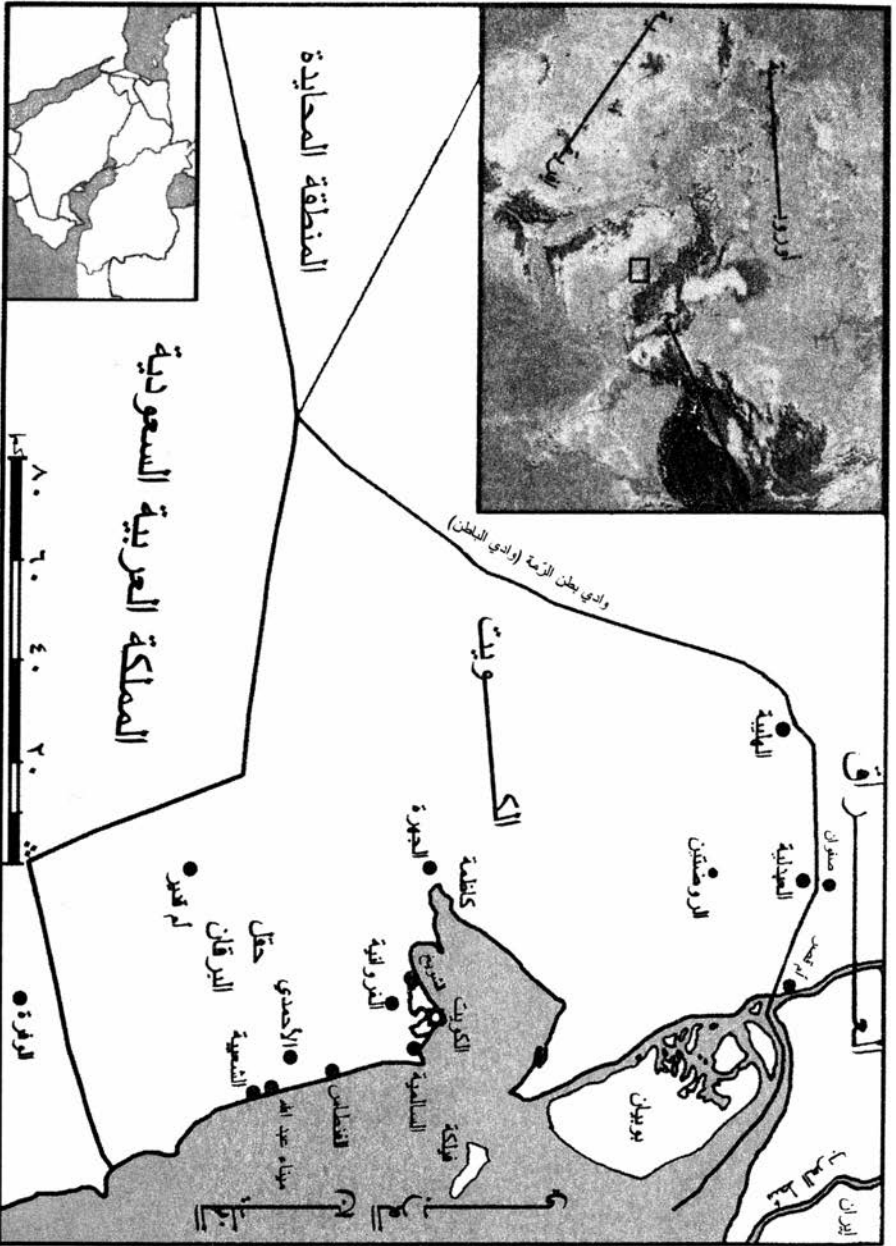
وتتمتع دولة الإمارات في الوقت الحاضر بوحدة من أكثر شبكات الألياف البصرية تقدماً وتطوراً على المستوى العالمي، تُوفّر قدرات هائلة في التراسل، تصل إلى نحو ثلاثين ألف قناة في الشعيرة البصرية الواحدة، وتُغطي هذه الشبكة نطاقاً واسعاً من أحدث الخدمات الصوتية والبيانات بأعلى مستوى من المرونة والفاعلية، وترتبط الدولة على الصعيد الإقليمي مع الدول المجاورة بشبكة من الألياف البصرية عبر كابل بحري، وتشارك في كابلات دولية تتيح إمكانيات الاتصال مع معظم أنحاء العالم.

ودخلت دولة الإمارات منذ عام ٢٠٠٠م عالم تقنيات الأقمار الصناعية من خلال شركة الثريا للاتصالات الفضائية، التي تدير مشروع قمر الإمارات الصناعي، ويوفر الكابل التلفزيوني حالياً أكثر من مائتي قناة تلفزيونية للمشاهدين الذين سيكون بوسعهم الاستغناء عن استخدام أطباق الأقمار الصناعية.

وتوفر مؤسسة الإمارات للاتصالات العديد من الخدمات الأخرى من بينها خدمة النداء الآلي، خدمة عرض رقم المتصل على الهاتف وتتضمن تسجيل أرقام المكالمات الهاتفية التي ترد للمشارك وتاريخ ووقت ورودها.

وأدخلت «اتصالات» في عام ١٩٩٨م خدمة الدفع الآلي للفواتير عبر آلات خاصة، وخدمة بطاقة الاتصالات الهاتفية التي تتيح إجراء المكالمات الهاتفية المحلية والدولية من أي هاتف متاح سواء داخل البلاد أو خارجها، وقد أبرمت اتفاقيات عدة بهذا الشأن مع عدد من الدول الأجنبية، أما خدمة «اتبني» فإنها تتيح للمشاركين إمكانية تحويل المكالمات التي ترد إلى هواتفهم إلى أي هاتف آخر يُحدّدونه داخل البلاد أو خارجها مقابل اشتراك سنوي، وتوفر «اتصالات» خدمات الهواتف العمومية بأحدث الأجهزة ووسائل الاتصال التقنية.

إن دراسة متأنية لعملية التحديث التي نمت في دولة الإمارات العربية المتحدة تُبين أن هذه العملية قد تَمَّت في إطار ما يمكن أن يُطلق عليه سيادة «عقلية الازدهار» و«إحساس الغنى والثروة»، ولا شك بأن النمو العام الذي شهدته البلاد خلال العقود الماضية بمعدلات غير مسبوقه هو ظاهرة فريدة لها أثر بالغ في تغيير وجه الحياة في ذلك الجزء من الوطن العربي، وإلى حدٍّ يصعب معه إقامة الصلة بين إمارات الستينات ودولة الإمارات منذ الثمانينات وحتى اليوم، ولا يزال التحديث جارياً ليتمشى مع التطور الذي يشهده القرن الواحد والعشرين، في ظلّ السياسة الحكيمة للمسؤولين، لرسم مستقبل البلاد في المجالات كافة.



خريطة الكويت، عن أطلس دول العالم الإسلامي شوقي أبو خليل، دار الفكر - دمشق

### الكويت

#### الموقع والجغرافيا

القرين، الكوت، والكويت، اسم لبلد واحد، الأولى تصغير لكلمة القرن نسبة إلى الساحل الشمالي للخليج العربي الذي ينحني في اتجاه دائري مكوناً ما يُشبه القرن، والثانية هي أصل الكلمة، والكويت تصغير لها، وتعني: مجموعة بيوت متلاصقة تُستخدم لِحَزْن البضائع، وتُطلق أيضاً على البيت المربع المبني كالحصن أو القلعة، ويبنى حوله بيوت صغار، ويكون ذلك البيت مقصداً للسفن والبواخر ترسو عنده لتتزوّد بالوقود والزاد وغيرها من حاجات السفر.

والراجح أن الكويت سُميت بهذا الاسم نظراً لوجود حصن صغير كان قائماً مكان بقعتها الحالية، وقد بناه في أواخر القرن السابع عشر، محمد بن عريمير زعيم بني خالد حكام الأحساء، وجعله مستودعاً للذخيرة والزاد<sup>(١)</sup>.

وتوجد في الكويت آبار ماء بعضها عذب وبعضها مالح، وتغلب اسم الكويت مع مرور الأيام.

تقع الكويت في منطقة غربي آسيا على الخليج العربي، يحدها من الشمال العراق، وطول حدودها معه مائتين وأربعين كيلومتراً، ومن الجنوب والغرب المملكة العربية السعودية، وطول حدودها معها مائتين وخمسين كيلومتراً، ومن الشرق الخليج العربي، ويبلغ طول شاطئها مائتين وتسعين كيلومتراً.

تتبع الكويت تسع جزر أهمها وأكبرها جزيرة فيلكا ويبلغ طولها اثني عشر كيلومتراً وعرضها ستة كيلومترات، وهي مأهولة بالسكان بفعل وجود ينابيع عذبة فيها.

تبلغ مساحة الكويت سبعة عشر ألفاً وثمانمائة وثمانية عشر كيلو متراً مربعاً، بما فيها المساحة المظلة على المنطقة المحايدة البالغة مساحتها ألفين وثلاثمائة كيلومتراً مربعاً.

كانت الكويت بحكم موقعها وطبيعتها أرضها، جزءاً من الصحراء، ولا يسمح ذلك

(١) كحالة، عمر رضا: جغرافية شبه الجزيرة العربية: ص٤٧٧.

بأن تكون على اتصال وثيق مع العراق وأواسط الجزيرة العربية، نجد والأحساء .  
 مناخ الكويت صحراوي بارد شتاءً وشديد الحرارة صيفاً، وهو حار وشديد  
 الحرارة معظم أيام السنة، ويصبح الجو لطيفاً وبارداً تدريجاً ابتداءً من كانون الأول  
 إلى آذار، والأمطار قليلة جداً وتتساقط في أيام معدودات لا تزيد على عشرين يوماً،  
 ولا يوجد في الكويت أنهار ولا ينابيع ماء جارية .

## نشأة الكويت

ثمة محللة يُقيم فيها أولئك الذين يغوصون بحثاً عن اللؤلؤ، ويصطادون السمك،  
 ويحرسون القوافل عند انتقالها من شاطئ الخليج العربي إلى الداخل، وعليه كانت  
 الكويت قرية صغيرة يسكنها الصيادون من البدو، وذلك قبل مجيء العتوب (بنو عتيبة)  
 إليها، وكان بنو خالد النجديون بزعامه آل عريمير أصحاب السيادة في المنطقة منذ  
 عام ١٥٧١م ثم جاء العتوب النجديون آل صباح وآل خليفة وآل زايد والجلاهمة،  
 واستقروا في رحابهم في عام ١٧١٦م تقريباً<sup>(١)</sup> .

استمرت الكويت تخضع لبني خالد حتى العقد الخامس من القرن الثامن عشر،  
 بيد أن الصراع بين شيوخهم على السلطة، فتت في عضدهم، وخفف من شدة  
 قبضتهم على القبائل الخاضعة لهم، ومن ثم بدأت هذه القبائل تمارس نوعاً من  
 الاستقلال الذاتي، وأخذت تنفصل تدريجاً عن تبعيتها لهم على الرغم من أنها  
 حافظت في الوقت نفسه على ولائها المعنوي لهم، ولم تلبث أن وطّدت أقدامها في  
 الكويت، وأضحى صاحبة القوة والنفوذ، غير أن آل الصباح لم يتمكنوا من إحراز  
 مثل ذلك الاستقلال إلا في العقد السادس من القرن الثامن عشر إذ كانوا حريصين  
 على إعلان تبعيتهم للقوى الكبيرة المجاورة لهم<sup>(٢)</sup> .

## صباح بن جابر: صباح الأول

لا يُعرف على وجه اليقين أول من حكم الكويت من آل الصباح، إلا أنهم برزوا  
 على المسرح السياسي بعد وفاة الشيخ سلمان بن أحمد في عام ١٧٥٢م وهو من  
 بني خالد، فقد وصل الشيخ صباح بن جابر إلى الحكم وقد أخذ العهد من العتوب  
 الذين اختاروه على السمع والطاعة في الحق، وقد قدّموه لأنه كان أعقلهم وأحسنهم  
 سيرة، وأقربهم لاتباع الحق، وقد أصابوا في اختيارهم<sup>(٣)</sup>، ويمكن رصد هذا التقليد

(١) القناعي، يوسف: صفحات من تاريخ الكويت: ص ٩٢٥.

(٢) قاسم: ج ١ ص ٣٤٢.

(٣) القناعي: ص ٩ - ١٠. الرشيد، يعقوب: الكويت في ميزان الحقيقة والتاريخ: ص ١٩ =

الانتخابي المبكر ضمن أصول الشرعية السياسية، بمعنى توافر عنصر الرضاء لدى المحكومين عن قيادتهم السياسية، وهو ما جسّدته الأسرة الحاكمة، وسميت العائلة الحاكمة باسمه، والتي لا تزال على رأس السلطة في الكويت حتى يومنا هذا.

تمّ في عهد الشيخ صباح بن جابر بناء أول سور للكويت في عام ١٧٦٠م، والواقع أن آل الصباح اضطروا بعد أن أصاب بني خالد الضعف، وعجزوا عن حماية الكويت، وهم لا يزالون حديثي العهد بالحكم؛ إلى بناء السور لحماية أنفسهم، وحماية الكويت من الهجمات التي كانت تتعرّض لها من الجنوب على أيدي السعوديين، والتصدي لهجمات قبائل المنتفق في الشمال.

أخذ الشيخ صباح على عاتقه توطيد الأمن، ونشر العدل، وتحقيق السلام، وشعر أمير الأحساء محمد بن عزيز بظهور إمارة مجاورة قوية لا تدين له بالطاعة، ومن العسير إخضاعها، فتقرّب من الشيخ صباح وعقد معه اتفاقية حسن جوار تنصّ على: - لا تنضم الكويت إلى خصوم أمير الأحساء.

- تُنفذ جميع أوامره وأوامر من سيخلفه في حكم الأحساء التي يصدرونها في شأن القبائل المنتشرة بين البلدين على الأصول المتعارف عليها بين القبائل<sup>(١)</sup>.

### عبد الله بن صباح: عبد الله الأول

توفي الشيخ صباح بن جابر في عام ١٧٦٢م وخلفه ابنه الشيخ عبد الله، وشهد عهده الذي امتد نحو نصف قرن (١٧٦٢ - ١٨١٢م) حوادث مهمة، لعل أبرزها:

- الأحداث التي وقعت في عام ١٧٦٦م عندما انفصل قسم من آل خليفة عن تحالف العتوب وانتقلوا إلى الزبارة على ساحل قطر في مواجهة جزر البحرين حيث أسسوا إمارة خاصة بهم، وتبعهم الجلاهمة بعد مدة قصيرة، وظل آل الصباح وخدمهم يسيطرون على الكويت، ويبدو أن لذلك علاقة بالحرب التي نشبت بين آل الصباح وبين بني كعب وحلفائهم من عرب بندر ريق وبوشهر في عربستان الذين طمعوا في حكم الكويت بعد الازدهار التاريخي الذي شهدته، بالإضافة إلى الخلاف المذهبي بين السنة والشيعة<sup>(٢)</sup>. وقد جرت بينهما معركة الرقة البحرية وهي مكان قريب من جزيرة فيلكا إحدى جزر الكويت، كان النصر لها حليف آل الصباح، وعلى الرغم من هذا الانتصار فقد مال الشيخ عبد الله بن الصباح إلى الصلح، الأمر الذي أغضب عشائر العتوب، واتخذ آل خليفة حجة لتبرير انشقاقهم عن حلف

= الشيخ خزعل، حسين خلف: تاريخ الكويت السياسي ج١ ص ٤٣.

(١) الشيخ خزعل: ج١ ص ٤٤. (٢) قاسم: ج١ ص ٣٤٤.

العتوب وهجرتهم إلى الزبارة<sup>(١)</sup>.

- احتلال إيران لمدينة البصرة على عهد كريم خان الزندي والذي استمر ثلاث سنوات، الأمر الذي ترتب عليه انتعاش الكويت اقتصادياً بفعل انتقال الثقل التجاري من البصرة إليها، والمعروف أن الكويت استفادت كثيراً من تجارة الهند التي كانت تمر ببغداد وحلب واستانبول في طريقها إلى أوروبا، وكذلك سير البريد الذي يسلك الطريق نفسه<sup>(٢)</sup> كما امتدت تجارة الكويت إلى الهند وماليلبار واليمن والعراق<sup>(٣)</sup>، وقد أدى ذلك إلى زيادة ثروتها<sup>(٤)</sup>.

- قيام علاقات مالية مباشرة بين الكويت وحكومة الهند الشرقية البريطانية في بومباي، التي بدأت تتخذ من ميناء الكويت الذي يتمتع بمواصفات الموانئ الجيدة لرسو السفن، مستودعاً لتفريغ بضائعها التي تُنقل على ظهور القوافل إلى بلاد الشام متجنبة طريق البصرة<sup>(٥)</sup>، وفي عام ١٧٩٢م نقلت الحكومة المذكورة وكالتها التجارية من البصرة إلى الكويت نتيجة خلافات بينها وبين حاكم بغداد العثماني، كما أن النشاط السعودي في الأحساء الذي أدى إلى القضاء على بني خالد، وخشية السلطات البريطانية في الخليج العربي من أن يمتد إلى الكويت مع ما يؤدي ذلك إلى تهديد التجارة البريطانية في الخليج العربي لحظر محقق؛ يُعدّ سبباً آخر لهذا الانتقال<sup>(٦)</sup>، والمعروف أن بني خالد شكّلوا حاجزاً جنّب الكويت خطر الهجمات الوهابية حتى نهاية القرن الثامن عشر، غير أنه بعد سقوط بني خالد صار إخضاع السعوديين للكويت بعد عام ١٧٩٣م أمراً كبير الاحتمال، والواقع أن نقل الوكالة التجارية إلى الكويت يدل:

أ - على ما كانت تتمتع به الكويت من أهمية تجارية واقتصادية.

ب - على ما يراود السلطات البريطانية في الهند من ثقة بأن الكويت هي المكان الوحيد الذي يمكن أن تشعر فيه بالأمان والاطمئنان، في الوقت الذي شهدت فيه أوضاع العراق الجنوبي وشرقي الجزيرة العربية تدهوراً شديداً.

- على التمدد السعودي إلى الأحساء وما ترتب عليه من تعرّض الكويت لهجمات السعوديين.

(١) الرشيد: ص ٨٨ - ٨٩. أبو حاكم، أحمد مصطفى: تاريخ الكويت: ج ١ ص ١٠٨.

الشيخ خزعل: ج ١ ص ٤٩ - ٥٠.

(٢) لوريمر، ج ١: دليل الخليج القسم التاريخي: ج ٣ ص ١٥٠٧.

(٣) القناعي: ص ١٠. (٤) قاسم: ج ١ ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٥) المرجع نفسه: ص ٣٤٨.

(٦) المرجع نفسه: ص ٣٥٠. الشيخ خزعل: ج ١ ص ٥٦ - ٥٧.

الواقع أن بني خالد المسيطرين على الأحساء تعرَّضوا لضغط سعودي بهدف القضاء عليهم وضمَّ الأحساء إلى نجد، ويبدو أن الشيخ عبد الله كان متردداً بين مساعدة بني خالد والاستمرار في ولائه لهم وبين مساعدة السعوديين في إسقاطهم نظراً لما يترتب على ذلك من تخلص الكويت من تبعيتها لهم، ثم قرَّر الوقوف على الحياد، غير أنه لم يلبث أن أدرك مدى قوة الضغط السعودي في هذه المرحلة، وأن اندفاع السعوديين لنشر الدعوة الوهابية على سواحل الخليج العربي قد يترتب عليه بالضرورة تعرُّض إمارته لخطرهم، وقد حدث ذلك فعلاً منذ عام ١٧٩٣م عندما بدأت الكويت تعرَّض لمناوشاتهم بقيادة إبراهيم بن عفيصان؛ لذلك قرَّر مساندة القوتين المناهضتين للسعوديين وهما بنو خالد والدولة العثمانية، على أن تحتفظ مشيخته باستقلالها الذاتي في ظل تبعيتها لبني خالد أو الدولة العثمانية، ولن يضمن ذلك في ظل السيطرة السعودية، لكنه اكتفى بتقديم المساعدات لشيخ المنتفق ثويني الذي كلفه والي بغداد بقتال السعوديين، فقد وضع السفن الكويتية تحت تصرفه لنقل قواته إلى الأحساء<sup>(١)</sup>. كانت نتيجة القتال لصالح القوات السعودية التي سيطرت على الأحساء، وأكدت النفوذ السعودي في المقاطعات الشرقية للجزيرة العربية، وأضحى الكويت مجاورة للأملاك السعودية، فعُرِّضت للعديد من الهجمات السعودية التي لم تُسفر عن نتيجة إيجابية، فلم يتمكن السعوديون من إخضاع إمارة الكويت لنفوذهم، واستطاعت هذه الإمارة في المقابل أن تُحقِّق انتصارات اقتصادية مهمة، إذ ترتب على الهجمات السعودية المستمرة على الأحساء تحوُّل تجارة الهند من أواسط الجزيرة العربية إلى ميناء الكويت، الذي أضحى يُستخدم بدلاً من القطيف والعفرير، الأمر الذي أثار السعوديين، فطالبوا الكويت بنصيبهم من الأموال التي كانت تتدفق على الكويت<sup>(٢)</sup>، وفرضوا حصاراً عليها في عام ١٨٠٨م، غير أن الإمارة تمكَّنت من أن تنأى عن النفوذ السعودي الذي بلغ آنذاك درجة عالية من التفوق، وإن استمر شعور الكويتيين بالخطر الذي يمكن أن تتعرض له إمارتهم من جانب السعوديين، ولعل ذلك يُفسَّر ترحيب شيخ الكويت جابر بن الصباح الذي خلف الشيخ عبد الله بعد وفاته في أيار عام ١٨١٢م، بالنجاح الذي أحرزه المصريون في نجد، ويبدو أنه قدَّم مساعدات لإبراهيم باشا أثناء حصاره الدرعية<sup>(٣)</sup>.

اشتهر الشيخ عبد الله بأنه كان حاكماً عادلاً وحازماً، يتحرَّى الحق، حسن السياسة لا يُقرُّ أمراً إلا بعد مشاوروة مستفيضة، ولا يخالف الجماعة فيما يرونه

(٢) المرجع نفسه: ص ٣٥٥.

(١) قاسم: ج ١ ص ٣٥٢.

(٣) المرجع نفسه.



صواباً، وأرسى أسس إمارة الكويت، وأبدى صلابة ومقدرة سياسية فائقة خلال إدارته لدفة الحكم في ظروف بالغة الصعوبة والتوتر سادت الجزء الشمالي من الخليج العربي، وعلى الرغم من الضغوط التي تعرّض لها من قبل الجانبين العثماني والإيراني وحلفائهما العرب، إلا أنه تمكّن من المحافظة على حياده في الحرب العثمانية - الإيرانية، ما دفع قادة المحطة التجارية البريطانية في البصرة على الاتصال بالإمارة الجديدة وإقامة علاقات معها وفق ما ذكرنا.

ولا بد من الإشارة إلى إدارته الجيدة للدولة حيث تجلّت قدراته وبراعته كرجل دولة، وبخاصة في تحويله جزءاً كبيراً من العائدات الجمركية لبناء وشراء المراكب الشراعية الكبيرة التجارية والعسكرية، وذلك لإدراكه بأن جيرانه المحيطين بإمارته سوف يعملون على منافسته في التجارة ومزاحمته في العائدات المحصّلة من ورائها<sup>(١)</sup>.

وتمكّنت إمارة الكويت خلال أقل من أربعين سنة على قيامها من حماية استقلالها والدفاع عنه، وتعزيز مواقعها وتوطيدها في مياه الساحل الشمالي الغربي للخليج العربي، بفعل سياستها البارة الرصينة، وصدّت غارات بني كعب وحلفائهم عليها، وأدّت دوراً في تثبيت سلطة آل خليفة في البحرين، ويعدّ الشيخ عبد الله المؤسس والمنشئ الفعلي لمشيخة الكويت.

## الشيخ جابر بن عبد الله الصباح: جابر الأول

### علاقته مع المصريين

خلف الشيخ جابر أباه الشيخ عبد الله، لُقّب بجابر العيش نظراً لكرمه ولكثرة ما كان يتصدق به على الفقراء والمساكين، وكانت علاقاته مع الحكم المصري جيدة، فعندما حاصر إبراهيم باشا الدرعية، اندلعت النيران في معسكره، وأحرقت أكثر خيامه وأثاثه وتموينه وتجهيزاته العسكرية، وقضت على قسم من رجاله وخيوله ما أحدث وهنا في قوته العسكرية، فنهض أهالي نجد الذين طردهم السعوديون إلى البصرة والزبير لمساعدته، فكانت قوافل المساعدات تسلك طريق الكويت، وعندما استعاد إبراهيم باشا قوته واستولى على نجد أراد أن يتوجّ انتصاره بالسيطرة على موانئ نجد وغيرها، ومن ضمنها ميناء الكويت نظراً لأهميته التجارية، فأرسل إلى

(١) بونداريفسكي، غيورغي: الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن

الشيخ جابر يخبره بعزمه على إرسال ممثل عنه إلى الكويت تنحصر مهمته بتسهيل مرور القوافل والسفن والمصرية، فوافق الشيخ جابر على ذلك، وفي عام ١٨٢٢م وصل الممثل المصري إلى الكويت وبقي فيها حتى انتهاء مهمته<sup>(١)</sup>.

وتحوّلت الكويت في ثلاثينات القرن التاسع عشر إلى مركز إعلامي مهم، ونقطة مراقبة للدول ذات المصالح في الخليج العربي، ولما كانت الكويت تقع في دائرة أطماع تلك الدول وبخاصة بريطانيا، أظهر الشيخ جابر حنكة سياسية وقدرة فائقة على المناورة في مواجهة الأخطار السياسية والعسكرية لهذه الدول، والتعامل معها بشكل يحفظ حياد بلاده ويُعزّز استقلالها.

ففي نهاية عام ١٨٣٨م وضع خورشيد باشا نائب محمد علي باشا في الجزيرة العربية، خطة لغزو العراق عبر المناطق الشمالية الشرقية للجزيرة، والقضاء على القوات العثمانية المرابطة فيه، وتوجيه ضربة مفاجئة للجيش العثماني في المناطق الجنوبية الشرقية، ولكي يضمن نجاح مشروعه أرسل مندوباً إلى الكويت هو محمد أفندي، وكلفه بمهمة رسمية تنحصر في ضمان تزويد الجيوش المصرية المهاجمة، بالمواد الغذائية، لكن تبين بعد ذلك أن هذا المندوب والوكيل التجاري لم يكن في الواقع إلا ممثلاً سياسياً لخورشد باشا ومسؤولاً عن الاستطلاع في المنطقة، وعندما علم الشيخ جابر بمهمته الحقيقية أحسن معاملته ظاهرياً.

وكانت حكومة لندن قد تلقت في خريف العام المذكور أعلاه، من بومباي وبوشهر والقاهرة، أخباراً مقلقة حول الخطة الهجومية الواسعة لمحمد علي باشا في شرقي الجزيرة العربية والساحل الغربي؛ فأرسل وزير خارجيتها بالمرستون تعليمات إلى القنصل العام البريطاني في القاهرة في ٢٩ تشرين الثاني ١٨٣٨م، بتوجيه إنذار شديد اللهجة إلى محمد علي باشا بأن لندن لا توافق على خططه التوسعية في الشرق<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن الإنذار لم يُحقق النتيجة المرجوة، ما دفع المقيم السياسي البريطاني في بوشهر المقدم هنل إلى التحرك، فأرسل في الأول من أيار ١٨٣٩م رسالة شديدة اللهجة إلى القائد المصري ينصحه باسم حاكم الهند البريطاني بوقف تقدمه نحو الخليج، ونظراً لعدم استقرار الوضع، فقد أرسل نسختين واحدة عبر القطيف والأخرى عن طريق الكويت<sup>(٣)</sup>، وزارت الكويت في ٣ و٥ أيار سفينتان بريطانيتان، حملت الأولى المقيم البريطاني في بوشهر المُكلّف بمهمة سياسية هي دراسة الوضع

(٢) بونداريفسكي: ص ٧٠ - ٧١.

(١) الشيخ خزعل: ص ٧٢ - ٧٣.

(٣) المرجع نفسه: ص ٧١.

في منطقة الساحل والوقوف على مدى صحة الشائعات حول اقتراب القوات المصرية، ووصلت السفينة الثانية بعد يومين، وحمل قبطانها رسالتين من هنل إلى الشيخ جابر، الأولى هي نسخة عن الرسالة التي وُجِّهت إلى خورشيد باشا بتاريخ ٢٩ نيسان، والثانية موجهة للشيخ جابر يطلب منه أن يسلمها بنفسه إلى خورشيد باشا، ويحاول أن يقنعه بوقف زحفه إلى الساحل، وأن يصرف النظر عن احتلال البحرين، غير أن الشيخ جابر اكتفى بتسليم خورشيد باشا رسالة المقيم البريطاني فقط عن طريق إرسالها إليه، وحاول في الوقت نفسه التقرب من حكومة الهند الشرقية البريطانية، فأرسل رسالة إلى هنل في منتصف أيار ١٨٣٩م كتاباً أعلمه فيه بأن خورشيد باشا ما زال موجوداً في الرياض، وغضَّ الطرف عن استفساره فيما يتعلق باستعدادات القائد المصري للهجوم على البصرة، ووافاه بدلاً من ذلك بتفاصيل نشاط محمد أفندي ومعاونه في شراء المواد الغذائية والأسلحة<sup>(١)</sup>.

وما حدث أثناء إعداد الشيخ جابر الرد على رسالة هنل من انشقاق فرقة عسكرية من جنود الحامية العثمانية في البصرة وانضمامها إلى خورشيد باشان أن تعرّضت الكويت لتوتر مفاجيء، إذ عندما دخل جنود الحامية المتمردة أراضي الكويت في طريقهم إلى الرياض؛ تلقى الشيخ جابر رسالة من متسلم البصرة يطلب منه القبض عليهم وإعادةتهم إلى البصرة، فتحرّج موقفه لعدم رغبته الاضطدام بالعثمانيين، لا سيما وأنه كان على علاقة طيبة مع والي بغداد، حتى أنه كان يُزوّد البصرة سنوياً بالهدايا من الأرز والتمور، ويتلقّى في المقابل أثواباً وحللاً تشريفية، بالإضافة إلى مساعدته لتسليم البصرة في قمع انتفاضة الزبير في عام ١٨٣٦م<sup>(٢)</sup>.

وحُلّت القضية أخيراً بفضل جهود محمد أفندي وكيل خورشيد باشا الذي نقل الجنود ليلاً على سفن مستأجرة من القطيف التي كانت واقعة تحت سيطرة المصريين، وفي نهاية تشرين الأول ١٨٣٩م، وصل نائب هنل الملازم أوموندز إلى الكويت في مهمة مزدوجة:

**الأولى:** الاطلاع على الوضع في الكويت وأبعاده بعد وصول معلومات إلى بوشهر حول النشاط السياسي الخارجي للشيخ جابر وعلاقاته الودية مع العثمانيين.  
**الثانية:** الحصول على موافقة الشيخ جابر على إنشاء خط بريّ جديد بين الكويت وحلب يتولى البريطانيون حراسته<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا الشكل تفادى الشيخ جابر الصدام مع بريطانيا ومصر في آن واحد.

(١) بونداريفسكي: ص ٧١ - ٧٢.

(٢) المرجع نفسه: ص ٧٣.

(٣) المرجع نفسه: ص ٧٢.

الواقع أن الحكومة البريطانية في بومباي لم تكن في عامي ١٨٣٨ و ١٨٣٩م في وضع يسمح لها التدخل في نزاعات جديدة في الخليج العربي بفعل ما كانت تصادف من صعوبات ومشكلات في مناطق الساحل الجنوبي والقطيف والبحرين، أثارها التنافس المصري - الإيراني لفرض النفوذ، بالإضافة إلى حصول نزاع بريطاني - إيراني حاد إثر محاولة حاكم إيران محمد شاه الاستيلاء على هراة، الأمر الذي دفع الحكومة البريطانية إلى قطع علاقاتها مع إيران، وأنزلت قوات بريطانية في جزيرة خرج، وقد مرّت بعض قطع الأسطول البريطاني بالكويت ونزل بعض قادتها وجنودها إلى المدينة، وقد عرضوا على الشيخ جابر الحماية البريطانية، فاعتذر عن قبولها، وأوضح لهم أن مصلحة بلاده وشعبه مرتبطة بالدولة العثمانية، ويبدو أن البريطانيين اقتنعوا برأيه لكنهم طلبوا منه أن يسمح لهم بإنشاء مخزن في الكويت لتموين بواخرهم، فرفض، عند ذلك طلبوا منه أن لا يسمح لأي دولة أخرى بما فيها الدولة العثمانية بإقامة مخازن في الكويت، فوعدهم بتلبية طلبهم، ولما طلبوا منه إعطائهم كتاباً خطياً بذلك، أبى، فاكتفوا عندئذٍ بوعده الشفوي وغادروا الكويت متوجهين إلى المحمرة لمواصلة عملهم العسكري<sup>(١)</sup>.

### علاقته مع العثمانيين

لم تكن للدولة العثمانية سيطرة فعلية على الكويت قبل عام ١٨٦٩م، واقتصر الأمر على مجرد نوع من التبعية الاسمية على الرغم من أن الكويت كانت أقرب إمارات الخليج العربي لممتلكات الدولة العثمانية في العراق، والواقع أن مجاورة الكويت لأملاك العثمانيين جعل علاقات الطرفين أمراً حيوياً، ذلك أن الآباء الأول في الكويت من آل الصباح، كانوا بحاجة إلى تأمين مركزهم عبر الاعتراف بشيء من الولاء للوالي العثماني في بغداد صاحب السيادة على هذه المنطقة وما حولها من بلاد الخليج العربي، وقد حدث ذلك في عام ١٧١٨م على الأرجح، على أن التحرر من التبعية العثمانية كان من الأهداف الرئيسة في سياسة شيوخ الكويت في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، عندما تعرّضت الكويت لهجمات السعوديين، ولجوء حكامها إلى بريطانيا للحماية، ولم يلتجئوا إلى الدولة العثمانية، ومن الثابت أن حكومة بومباي قدّمت لهم مساعدات فعّالة في ذلك الوقت<sup>(٢)</sup>.

والواضح أن هذا التوجه نحو بريطانيا والابتعاد عن الدولة العثمانية ما لبث أن

(١) الشيخ خزعل: ج١ ص ١١٩ - ١٢٠.

(٢) نوفل، سيد: الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي: ص ١٥٢ - ١٥٣.

تغيّر في عام ١٨٢٩م باعتراف الشيخ جابر بالسيادة العثمانية، وظهر ذلك جلياً في رفعه العلم العثماني فوق قصره عندما حاول البريطانيون النفاذ إلى بلاده، كما كانت السفن الكويتية ترفع العلم العثماني، وعندما قضى العثمانيون على داود باشا آخر المماليك في العراق في عام ١٨٣١م، حاولوا أن يمدّوا نفوذهم إلى الكويت عبر إلزام الشيخ جابر بدفع أموال سنوية<sup>(١)</sup>، وأنه كان يتلقى خلعةً من الباب العالي سنوياً تكريماً له ورمزاً للتبعية للعثمانيين.

وقدّم الشيخ جابر مساعدة للسلطات العثمانية في البصرة للقضاء على محمد بن إبراهيم الثاقب الزبيري، بفعل مهاجمته البصرة، فجهّز سفناً عدة وشحنها بالذخيرة والمؤونة والسلاح والرجال وتولى قيادتها بنفسه، وتوجّه إلى البصرة، وكانت هذه المساعدة من أهم العوامل التي أجّلت قوات محمد الثاقب عن المدينة<sup>(٢)</sup>.

وتصدّى الشيخ جابر لغارات شيوخ بني كعب على البصرة بناء على دعوة متسلمها عزيز آغا، فجاء بأسطوله إليها ورابط أمامها وذلك في عام ١٨٢٢م، واصطدم بقوات بني كعب في البريم، فأخرجها منها ودخلها منتصراً<sup>(٣)</sup>.

وبفعل شدة ولائه للعثمانيين رفض في عام ١٨٢٩م رفع العلم البريطاني فوق قلعته مكان العلم العثماني بناء على طلب السلطات البريطانية في الهند، ما دفع الباب العالي إلى مكافأته بمبلغ مائة وخمسين كارة من التمر سنوياً، ومنحه راية خضراء<sup>(٤)</sup>.

وبلغت قوة الكويت البحرية في عام ١٨٤٥م حداً جعلت الدولة العثمانية تطلب من الشيخ جابر حماية ميناء البصرة، وقد وافق مقابل راتب سنوي<sup>(٥)</sup>.

## وفاة الشيخ جابر بن الصباح

توفي الشيخ جابر بن الصباح في عام ١٨٥٩م، وخلف أحد عشر ولداً هم الشيخ صباح وعبد الله وخليفة ومحمد ومقرن وعلي وحمود وجراح ومبارك وشمعان ودعيج<sup>(٦)</sup>.

(٢) الشيخ خزعل: ج١ ص ٩٥.

(١) لوريمر: ج٣ ص ١٥١٣.

(٣) المرجع نفسه: ص ٧٩ - ٨١.

(٤) الرشيد، عبد العزيز: تاريخ الكويت: ص ٩٨. قاسم: ج١ ص ٣٥٧.

(٥) وهبة، حافظ: جزيرة العرب في القرن العشرين: ص ٨٣.

(٦) الشيخ خزعل: ج١ ص ١٢٠.

## الشيخ صباح بن جابر: صباح الثاني

خلف الشيخ صباح أباه الشيخ جابر بعد وفاته، اشتهر بالحلم وحسن السياسة، وافر العزيمة، شديد الحنان، محباً للسلام، وكثيراً ما كان يتدخل بين آل سعود وآل الرشيد ليصلح بينهم ويحقن الدماء، وينشر السلام<sup>(١)</sup>، تميز عهده بالهدوء والسلام، لم تحدث خلاله تطورات مهمة.

استمرت في عهد الشيخ صباح الثاني العلاقات الكويتية - البريطانية في التطور بمستواها السابق، والملاحظ أن السلطات البريطانية لم تلح عليه الانضمام إلى الاتفاقيات التي عقدها في أعوام ١٨٣٥ و ١٨٤٧ و ١٨٥٣م، مع إمارات الساحل العُماني المتصالح، الأمر الذي وضع الإمارة في وضع خاص في الخليج العربي، وفي عام ١٨٦٥م زار المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي بيللي الكويت للإطلاع على الوضع في الإمارة عن كثب، وقام بجولة في جزيرتي بوبيان ووربة<sup>(٢)</sup>، وفي عام ١٨٦٦م وقع نزاع بين أسرة آل الصباح وسلطات البصرة بسبب محاولة الأخيرة القيام بمصادرة مزارع النخيل المملوكة لآل الصباح في الصوفية منذ أكثر من ثلاثين سنة، ولم يتنازل الشيخ عن حقه وقدم شكوى مكتوبة إلى حاكم بغداد الذي أصدر حكماً لصالح الصباح، وهي واقعة مميزة لإدراك وضع الكويت وأهميتها<sup>(٣)</sup>.

توفي الشيخ صباح الثاني بن جابر في عام ١٨٦٦م وترك من الأولاد ثمانية هم: عبد الله ومحمد ومبارك وجراح وجابر وعذني وأحمد وحمود<sup>(٤)</sup>.

## الشيخ عبد الله بن صباح: عبد الله الثاني

خلف الشيخ عبد الله أباه الشيخ صباح، اشتهر بسعة الحلم وحبه للإصلاح، وكرهه لسفك الدماء، ميلاً للجد والإخلاص، غير مخادع ولا موارب، ومن دهائه أنه إذا ما وقع في مأزق لا يلبث أن يتخلص منه بأسلوب حسن<sup>(٥)</sup>.

## العلاقة مع العثمانيين

حاول والي بغداد نافق باشا أن يفرض سنة ١٨٦٦م نوعاً من الإشراف على النشاط السياسي والاقتصادي الخارجي للكويت، فتصدى الشيخ عبد الله الثاني لمحاولته عبر اتخاذ إجراءات مضادة، والواضح أنه ما دامت العلاقة بين الكويت

(٢) المرجع نفسه: ص ١٢٩.

(٤) الشيخ خزعل: ص ١٣١.

(١) الشيخ خزعل: ص ١٢١.

(٣) بونداريفسكي: ص ٨٠.

(٥) المرجع نفسه: ص ١٣٢.

وبغداد قاصرة على دفع الإتاوة، فسيظل التفاهم بينهما قائماً، أما إذا حاول الولاة العثمانيون في بغداد فرض أي شكل من أشكال الإدارة العثمانية فسيصدى الشيوخ لها، والمعروف أن الكويتيين يعترفون بسلطة العثمانيين غير المباشرة عليهم.

لكن الوضع تغير سنة ١٨٧٠م عندما شرع والي بغداد الجديد مدحت باشا الذي يُعدُّ من أبرز شخصيات الدولة العثمانية، في تنفيذ خطته الواسعة لاستعادة السيطرة العثمانية على الساحل الغربي للخليج، ومما سهَّل تنفيذها، نقل الباب العالي قواته وعتاده وسفنه العسكرية من استانبول وأزمير إلى الخليج العربي عبر قناة السويس<sup>(١)</sup>.

كانت الذريعة لنقل القوات العثمانية إلى الخليج العربي هي الصراع على السلطة في الدولة السعودية، والذي تمكَّن الأمير سعود خلاله من إزاحة أخيه الأمير عبد الله عن الحكم، وتنصيب نفسه أميراً لنجد، فالتمس الأخير المساعدة من مدحت باشا عارضاً عليه التبعية للدولة العثمانية ودفع الأتاوة لها، وقد مرَّ رسول الأمير عبد الله بالكويت خلال رحلته إلى البصرة فاجتمع بالشيخ عبد الله الثاني وطلب منه المساعدة لدى والي البصرة المدعو سليمان بك الذي تربطه به روابط صداقة متينة، فزوَّده بكتاب إلى والي المذكور من أجل تقديم المساعدة له<sup>(٢)</sup>.

وأرسل مدحت باشا على إثر ذلك في ربيع عام ١٨٧١م فرقة عسكرية من قواته لتأديب والي الأحساء ووالي القطيف لـ «إحقاق الحق والعدل»<sup>(٣)</sup>.

حدَّد مدحت باشا البصرة مركزاً لتجمع القوات، وأعلن الشيخ عبد الله الثاني بهذه المناسبة بأنه تابع للعثمانيين، ودفعه ذلك إلى اتخاذ قرار بالمشاركة في الحملة على أوسع نطاق، والثابت أنه تطوع بنفسه من دون تكليف من العثمانيين، فتجمَّعت السفن العثمانية وناقلات القوات القادمة من البصرة بالإضافة إلى وحدات الفرسان العثمانية التي توجهت إليه عبر الزبير مع قدوم قوات قبائل المنتفق. ووضع الشيخ عبد الله الثاني كل أسطوله البحري تحت تصرفها، ولما بلغت أمير نجد الجديد الأمير سعود، وشيخ البحرين عيسى بن علي الخليفة الأخبار عن مشاركة الكويت بالحملة، أرسل كلاهما إلى المقيم البريطاني ببلي يطلبا منه إقناع الشيخ عبد الله الثاني بالتوقف عن الاشتراك بالحملة<sup>(٤)</sup>.

الواقع أن بريطانيا كانت ضد توجهات مدحت باشا التوسعية، وعملت على

(١) الشيخ خزعل: جا ص ١٣٦. (٢) المرجع نفسه.

(٣) بونداريفسكي: ص ٨٢.

(٤) المرجع نفسه، ص ٨٢ - ٨٣. الشيخ خزعل: جا ص ١٣٧.

إفشالها عبر ممارسة الضغوط على الدولة العثمانية، في الوقت الذي كان الممثل البريطاني كامبل يحاول التأثير على مدحت باشا لوقف حملته.

ويبدو أن موقف الدولة العثمانية وموقف مدحت باشا كانا متباينين، فقد كشف الأخير عن خطته لاستعادة سيادة الدولة على البحرين، في حين كان الباب العالي أكثر حرصاً نظراً لقوة بريطانيا.

لاقى موقف الكويت المساند للحملة على الأحساء ونجد اللتان أعلنتا سنجقيتين عثمانيتين، تقديراً في استانبول، فارتفعت على أثر ذلك مكانة حكام الكويت وعلا شأنهم ونفوذهم، وأغدق عليهم مدحت باشا مساحات واسعة من مزارع النخيل على شاطئ الفرات على مقربة من الفاو، معفاة من الضرائب، وأصدر أمراً رسمياً باعتبار الكويت قائمقامية تابعة لولاية البصرة، وكوفيء الشيخ عبد الله الثاني بمنحه لقب قائمقام، ويعني ذلك اعتراف السلطان العثماني، وحكام آل الصباح بأن الكويت تُعدُّ مقاطعة تابعة للدولة العثمانية، وأعفى مدحت باشا الكويتيين من الخدمة العسكرية<sup>(١)</sup> غير أن محاولته إقامة دائرة مكوس جمركية في الكويت لم تستمر في البقاء إلا مدة قصيرة، والواقع أنه على الرغم من كل تلك الامتيازات التي أغدقها على حكام الكويت، ومحاولة التقرب منه؛ وُجدت معارضة ضده، والتي تمثلت بسكان الكويت أنفسهم ثم في الحكومة البريطانية التي كانت بطبيعة الحال لا تُحبذ مثل هذه العلاقة<sup>(٢)</sup>.

تمتعت الكويت بعد هذه الأحداث بحكم ذاتي واسع، والملاحظ أن السلطات البريطانية في لندن وبومباي لم تبذل أي محاولة لممارسة الضغوط عليها لوقف اشتراكها بالحملة، على الرغم من أن تعزيز النفوذ العثماني في الحجاز بعامة والأحساء بخاصة يتعارض مع مصالحها، والراجح أن هاتين الحكومتين قد توصلتا إلى فناعة مفادها أن الثمن الباهظ الذي دفعه الشيخ عبد الله الثاني للعثمانيين عبر اشتراكه في هذه الحملة، من أجل المحافظة على استقلال بلاده الذاتي، لم يضع سدىً، وأن النتيجة تستحق مثل هذا الثمن<sup>(٣)</sup>، وظلّ أمراء آل الصباح يتقاضون رواتب سنوية من الدولة العثمانية، ويتبعون اسماً السلطة العثمانية في البصرة من دون وجود قوات أو موظفين عثمانيين، حتى وصول مبارك بن الصباح إلى الحكم في عام ١٨٩٦م<sup>(٤)</sup>.

(١) الشيخ خزعل: ج١ ص١٣٨.

(٢) قاسم: ج١ ص٣٠٨. بونداريفسكي: ص٨٤.

(٣) بونداريفسكي: ص٨٣ - ٨٤.

(٤) الرشيد: ص٩٨. قاسم: ج١ ص٣٥٧.



## وفاة الشيخ عبد الله بن صباح

توفي الشيخ عبد الله الثاني بن صباح في شهر حزيران ١٨٩٢م، وخلف ولدين هما خليفة وجابر<sup>(١)</sup>.

### الشيخ محمد بن صباح: محمد الأول

#### توليه الحكم

تولى الحكم في الكويت بعد وفاة الشيخ عبد الله الثاني أخوه الشيخ محمد، كان رقيق القلب بعيداً عن الشر، محباً لقومه، غير أنه لم يكن ذا إرادة قوية أو عزم شديد، اتصف عهده بالضعف، لذلك أشرك معه أخاه جراح بصورة غير رسمية ليتقوى به، أو ترضيةً له.

#### الأوضاع الداخلية في عهده

تعرّضت الكويت في بداية عهد الشيخ محمد لهجوم قام به ماجد الدويش، أحد رؤساء قبيلة مطير، بهدف السلب والنهب على الأرجح، فقدّم له الشيخ محمد كمية من الأرز والتمر على سبيل الضيافة، لكن ماجداً كان يطمع بأكثر من ذلك، فهاجم قبيلتي عريب دار والعوازم التابعتين للكويت، في محلة الملح، وكان الشيخ دعيج بن صباح يُعسكر على مقربة منهما، فهاجمه ماجد ونهب أمواله واستولى على مواشيه، فلما علم الشيخ محمد بما جرى، ندب أخاه الشيخ مبارك لقتاله وتأديبه، فالتقاه في مكان يُسمى الروينيات، فاصطدم به وانتصر عليه واستعاد ما استولى عليه<sup>(٢)</sup>.

وأتاح حكم الشيخ محمد الضعيف لقبائل البدو الفرصة لكي تهاجم الكويت، إذ أخذت قبائل شمر والظوافر تغزو المشيخة من نجد في الغرب، كذلك عجز الشيخ محمد عن السيطرة على القبائل الخاضعة له وهي قبائل مطير والقسم الشمالي من قبائل العجمان، فندب أخاه مبارك لإخضاعهم كما ذكرنا، واستطاع أن يستقطب قبائل الرشايدة والعجمان الأقوياء.

ووضع الشيخ محمد المشيخة تحت نفوذ الشيخ يوسف بن عبد الله الإبراهيم وجعل منه مستشاراً له في الحكم، وكان يوسف من كبار تجار اللؤلؤ في الكويت، وله مصاهرة مع أسرة الصباح، ويبدو أنه كان يتطلع إلى السيطرة هو وأفراد أسرته على الحكم بمساعدة الدولة العثمانية، والمعروف أنه كان موالياً لها

(٢) المرجع نفسه: ص ١٤٨ - ١٤٩.

(١) الشيخ خزعل: ج ١ ص ١٤٧.

في البصرة، وتقاضى مقابل خدماته لها مكافآت منتظمة هي عبارة عن مزارع وبساتين نخيل<sup>(١)</sup>.

## علاقته مع الدولة العثمانية

استمر الخط السياسي الموجّه نحو التعاون مع السلطات العثمانية في عهد الشيخ محمد بن صباح، وتجلّى ذلك بوضوح عندما وقع تمرد معادٍ للعثمانيين في الأحساء عام ١٨٩٣م، فقد أرسل الشيخ محمد أخاه الشيخ مبارك لإخماده على رأس قوة عسكرية، فنجح في إعادة الأوضاع إلى نصابها، كما تجلّى في مطاردة سليمان المنصور السعدون أمير المنتفق الذي رفض دفع ما بقي بدمته من أموال الالتزامات إلى والي البصرة، وفرّ من وجه السلطات العثمانية التي طاردته حتى حدود الكويت، فلما علم حاكم البصرة حمدي باشا الزيري بوجوده في تلك المنطقة، خشي أن يلتجئ إلى الكويت، فأرسل كتاباً إلى الشيخ محمد يطلب منه مطاردته أو إلقاء القبض عليه، وعدم إتاحة الفرصة له لدخول الكويت، فأوعز الشيخ محمد إلى أخيه الشيخ مبارك بالذهاب مع جيشه لقتاله، فنقذ أمر الخروج وهو كاره لهذه المهمة التي لا تنال منها الكويت «فائدة تُرتجى ولا نفع ظاهر»، وعندما اقترب الشيخ مبارك من قوات سليمان السعدون أرسل أحد سُعاته سراً ليحذره ويطلب منه مغادرة المنطقة، ففعل، وارتحل مع جماعته إلى داخل البادية العراقية<sup>(٢)</sup>.

## علاقته مع بريطانيا

تزامنت وفاة الشيخ عبد الله الثاني واعتلاء الشيخ محمد السلطة في الكويت، مع بدء مرحلة جديدة من زيادة التغلغل البريطاني في الخليج العربي، ففي ١٩ آذار ١٨٩١م، وقّع سلطان مسقط فيصل بن سعيد اتفاقية مع حكومة الهند الشرقية البريطانية في بومبي تتعلق بدخول السلطنة تحت الحماية البريطانية، كما وقّع حكام الساحل العُماني المتصالح في ٦ آذار ١٨٩٢م اتفاقية مماثلة، كما وقّعها شيخ البحرين عيسى بن علي في ١٣ آذار من العام نفسه، فامتد النفوذ البريطاني نتيجة ذلك إلى حدود الكويت التي ازدادت أهميتها السياسية والاقتصادية بصورة ملموسة في مطلع التسعينات، وشهدت علاقاتها التجارية مع بومبي والموانيء الأخرى للهند الغربية ومع بوشهر والبصرة نمواً مطرداً، فكانت عمليات التصدير والاستيراد تمرّ عبر ميناء الكويت الذي تحوّل إلى أحد موانيء الخليج العربي المهمة، وحقّق التجار

(٢) الشيخ خزعل: ج١ ص١٥٢.

(١) بونداريفسكي: ص٩١.

والبحارة الكويتيون أرباحاً طائلة<sup>(١)</sup>؛ فحاولت بريطانيا إقناع الشيخ محمد بتوقيع اتفاقية مماثلة إلا أن الشيخ رفض ذلك بعد إشارة مستشاره يوسف العبد الله الإبراهيم<sup>(٢)</sup>، وعلى الرغم من ذلك استمرت الجهود البريطانية ناشطة لاستقطاب مشيخة الكويت، ففي آب ١٨٩٣م دخلت سفينة بريطانية فجأة ميناء الكويت، وكان قبطانها مكلفاً بإبلاغ تعازي حاكم الهند العام للشيخ محمد بمناسبة وفاة أحد أقاربه، ولا شك بأن هذا الاهتمام الزائد لم يكن طبيعياً، والملفت أنه صدر عن حاكم الهند نفسه<sup>(٣)</sup>.

## الصراع الأسري في الكويت ونتائجه

تعرضت الكويت في ليلة ١٧ أيار ١٨٩٦م لحادث مؤسف، ففي تلك الليلة قُتل كل من الشيخ محمد وشقيقه جراح على يد شقيقهما مبارك، وتُعزى هذه الأحداث المأساوية إلى أسباب شخصية بحتة مرتبطة بالصراع على السلطة، وأن المصالح الشخصية أدت دوراً كبيراً في حدوثها، لكن لا يمكن أن نعزو حادثة الانقلاب إلى سبب بعينه، بل تضافرت أسباب عدة أخرى أدت إليها، نذكر منها:

- ضعف شخصية الشيخ محمد وسوء سلوك يوسف الإبراهيم<sup>(٤)</sup>.

- اتسم الانقلاب في واقع الأمر بطابع ليس معادياً للعثمانيين بقدر ما كان معادياً للبريطانيين، والمعروف أن عائلة آل الصباح وأعيان الكويت بدأوا منذ منتصف التسعينات في الإعراب صراحة عن استيائهم من تقرب الشيخ محمد ويوسف الإبراهيم من السلطات البريطانية، ولعل أكثر ما أثار غضبهم هو قيام الشيخ محمد بتحويل عائدات التجارة وصيد الأسماك واللؤلؤ إلى مصرف بومباي، وإقدامه على خرق التقاليد بفتح الحساب الجاري باسمه واسم ولديه وليس باسم آل الصباح، وأضحى يوسف الإبراهيم المتصرف في هذه الأموال التي هي عبارة عن تحصيلات الضرائب المرتفعة<sup>(٥)</sup>.

- رحلات بواخر الشركة الهندية البريطانية من وإلى الكويت، وقد ألحقت ضرراً بالغاً بملاحة السواحل التي كانت مصدر رزق الكويتيين.

- إن الإطاحة بالشيخ محمد حدثت نتيجة الاتصالات التي جرت مع البريطانيين، فقد كانت بريطانيا تطمع في إخضاع الكويت بحكم موقعها «الاستراتيجي»، وبخاصة

(١) بونداريفسكي: ص ٩٠.

(٢) الشيخ خزعل: ج ١ ص ١٥٢.

(٣) بونداريفسكي: ص ٩١.

(٤) Dickson, H.R: Kuwait and her Neighbours p136.

(٥) بونداريفسكي: ص ٩٦.

بعد أن أخذت كل من روسيا وألمانيا تُحطّط للوصول إلى الخليج العربي تحت ستار مدّ خطّ حديد بموافقة الباب العالي، الذي كانت الكويت تحت سيطرته نظرياً على الأقل، ولقطع الطريق على هاتين الدولتين اتصلت مباشرة بأمير الكويت الشيخ محمد في عام ١٨٩٥م، وأبلغته عن عزمها على إقامة علاقات صداقة معه على غرار الاتفاقيات التي عقدها مع إمارات عربية أخرى، إلا أنه رفض العرض البريطاني وفق ما ذكرنا، فتأمّرت عليه، وحرّضت أخاه الشيخ مبارك ضده فاغتاله مع أخيه الشيخ جراح كما ذكرنا.

فوجيء مجلس الحكم في الكويت في صباح اليوم التالي بالشيخ مبارك يتصدّر الملجس بدلاً من أخيه الشيخ محمد، ولم يجد حرجاً في إعلان وفاة أخويه، وأنه أضحى الحاكم الشرعي للبلاد، وعاهدهم أن يقيم العدل، وأن يستشيرهم في شؤون الحكم، وأن يُخلّصهم من الاعتداءات الداخلية والخارجية، والراجح أنه أكره الشيخ على مبايعته تحت التهديد<sup>(١)</sup>.

وهكذا استطاع الشيخ مبارك أن ينال تأييد كل من البدو والسكان معاً الذين تلقوا نبأ وصوله إلى الحكم بارتياح بعد أن عانوا الكثير من ضعف شخصية الشيخ محمد واستبداد يوسف الإبراهيم، في جمع الضرائب، فضلاً عن وقوع الاضطرابات القبلية الكثيرة التي هدّدت حياتهم<sup>(٢)</sup>.

## الشيخ مبارك بن الصباح

### الأوضاع الداخلية

كان حادث الاغتيال دموياً ومأساوياً، إلا أن انتقال السلطة شكّل انعطافة في تاريخ الكويت المعاصر تمحورت حول شخصية الشيخ مبارك، وهذه ظاهرة تاريخية نادرة التي يكون فيها لشخص بذاته الدور المباشر في صناعة الحدث التاريخي وما يتمخض عنه<sup>(٣)</sup>.

وعبر هذا الانتقال للسلطة عن نهاية مرحلة وبداية مرحلة في منطقة الخليج العربي بعامة وفي الكويت بخاصة، لأن هذا الشيخ تميز بصفات رجل الدولة الناجح، وأضحت الكويت في عهده وتحت إدارته مركز جذب إقليمي ودولي، فقد استطاع أن

(١) الشيخ خزعل: ج١ ص١٦١ - ١٦٢. الرشيد: ص٣٧ - ٣٨.

(٢) قاسم: ج٢ ص٣١١.

(٣) الموصلي، منذر: الأسرة الدولية، دور الكويت وآل الصباح في الخليج العربي: ص١٣٣ - ١٣٤.

يتكَيَّف مع القوى الفاعلة ويفرض نفسه في المعادلة الخليجية: سعودياً وعثمانياً وبريطانياً وألمانياً وإيرانياً.

انتعشت مشيخة الكويت في عهد الشيخ مبارك وازداد عدد سكانها، أقام العدل وحقَّق الأمن واعتنى بالتجارة، وأنشأ وكالة خاصة للكويت في بومباي، وربط الكويت تجارياً بالهند، وبلغ إنتاج الغواصين الباحثين عن اللؤلؤ الحد الأقصى، وعلى الرغم من شدة تأثيره على القبائل البدوية الضاربة على حدود إمارته، إلا أن سلطته الفعلية لم تتعدَّ مدينة الكويت، لذلك حاول استقطابها عن طريق الزواج والأموال والهدايا.

الواقع أن هذه السياسة قد أثمرت، إذ شهد عهده استتاب الأمن بشكل لم تعهده الكويت من قبل<sup>(١)</sup>، وعلى الرغم من جنوحه إلى الحكم الفردي إلا أنه حرص دائماً على إبقاء مجلس استشاري إلى جانبه كان ينعقد يومياً في الأسواق العامة، وكان الشيخ مبارك يجلس ساعة في السوق الرئيسة كل صباح يتلقى الشكاوى ويحكم فيها، كما كان كل فرد من آل الصباح يفصل في الأحكام، ويكون حكمه نافذاً بعد إجازة الشيخ له، وكان وجود الشيخ وأبنائه يومياً في الأسواق كافٍ لكفِّ الناس عن النزاعات والخصومات.

أحاط الشيخ مبارك نفسه بحاشية يثق في أفرادها، لأن الطريقة التي جاء بواسطتها إلى الحكم جعلته يتوجس دائماً من مؤامرات أقاربه، وعلى الرغم من أنه حرص دائماً على استرضاء مواطنيه، وإقامة العدل بينهم، إلا أنه كثيراً ما كان ينساق إلى التعسف في جمع الضرائب، ما كان يحز كثيراً في نفوس شعبه.

كانت الصلة وثيقة بين الشيخين مبارك وخزعل حاكم المحمرة، وتبادل الرجلان الزيارات التي لا تكاد تنقطع.

وعلى الرغم من النشاط السياسي والاقتصادي التي شهدته الكويت في عهده إلا أنها لم تشهد إصلاحاً إدارياً ونهضة عمرانية، ويبدو أن المشكلات الخارجية الكثيرة والمعقدة استنفدت جهوده، ولم تشهد السنوات الأخيرة من حكمه سوى تأسيس المدرسة المباركية في عام ١٩١٢م، وحتى هذه المدرسة ساهم في إنشائها تجار البلاد وأعيانها<sup>(٢)</sup>.

(١) وهبة: جزيرة: ص ٨٥. قاسم: ج ٢ ص ٣٥١.

(٢) قاسم: المرجع نفسه ص ٣٥١ - ٣٥٢.

## العلاقة مع يوسف الإبراهيم

على الرغم من أن حادثة القتل تُعدُّ من الأحداث الشائعة التي كثيراً ما تحدث في تلك الجهات بين البدو، إلا أن وقوعها في الكويت في ذلك الوقت خلق وضعاً جديداً فضلاً عن أن الشيخ مبارك أثار بذلك نزاعاً داخلياً استمر ما يقرب من عشر سنوات (١٨٩٦ - ١٩٠٥م)<sup>(١)</sup>، ذلك أن يوسف الإبراهيم صهر الشيخ محمد وأولاد الشيخين محمد وجراح فروا إلى البصرة والتمسوا المساعدة من متسلمها حمدي باشا ضد الشيخ مبارك، وقد اعترضوا على الأسلوب الذي استولى بواسطته على الحكم واتهموه بقتل أخويه<sup>(٢)</sup> وكان لدى يوسف الإبراهيم من الطموح والثروة ما يتمكّن بهما من مضايقة الشيخ مبارك.

رأى حمدي باشا أن يعمل على استغلال الحادثة لمعاينة شيخ الكويت وإعادة أولاد الشيخ محمد إلى سدة الحكم، والقيام باحتلال الكويت، فاتهم شيخها بقتل أخويه لأنهما كانا ينويان طلب الحماية العثمانية لمواجهة التدخل البريطاني في شؤون الكويت، وطالب بضرورة قيام الباب العالي بمعاقبته وتسليم الحكم إلى ابن الشيخ محمد الأكبر<sup>(٣)</sup>.

ردَّ الشيخ مبارك على محاولات يوسف الإبراهيم لإقصائه عن الحكم ومعاقبته، فاستقطب رجب باشا والي بغداد بالهدايا، وهو المرجع الأعلى في العراق، وكانت تربطه به روابط صداقة قديمة، فقد انضم إليه عندما قام بتأديب القبائل العراقية الجنوبية المتمردة لذلك مال إلى قضيته، وكتب إلى الباب العالي يُقلِّل من أهمية الحادثة، وحذّره من التدخل خوفاً من تريبص البريطانييين وما يترتب على ذلك من ضياع النفوذ العثماني في الخليج العربي<sup>(٤)</sup>.

ويبدو أن السلطان عبد الحميد الثاني لم يكن له موقف محدد من المسألة الكويتية لأنه كان يواجه آنذاك وضعاً دولياً معقداً، فقد تفاقمت المسألة الشرقية، وتقدم الأسطول البريطاني في البحر الأبيض المتوسط في طريقه إلى الدردنيل، واستعدَّ الروس لتنفيذ مخططاتهم بإنزال جنود في البوسفور، ونشط الأرمن في معارضتهم الدولة العثمانية، فاستولوا على المصرف العثماني في استانبول في آب ١٨٩٦م، مطالبين الدول الأوروبية بحل قضية انفصالهم عن الدولة العثمانية؛ غير أنه تصرف

(١) وهبة: ص ٨٥.

(٢) الشيخ خزعل: ج ٢ ص ١٥. (٣) Dickson: The Arab of the Desert p272.

(٤) الشيخ خزعل: ج ٢ ص ١٧. الرشيد: ص ٥٣ - ٥٤.

بحكمة فطلب من الشيخ مبارك عن طريق حمدي باشا أن يقبض على القاتل ويرسله إلى البصرة لمحاكمته والاقتصاص منه .

الواقع أن الشيخ مبارك كان كثير الدهاء ويمارس اللعبة السياسية بصورة مزدوجة، فلم يتردد في أن يُجيب على الفور بأن القاتل هو يوسف الإبراهيم، وأشهد شيوخ الإمارة، وبعث الجواب إلى البصرة متهماً يوسف بأنه كان يعمل على الاستيلاء على حكم الكويت والاستقلال عن الدولة العثمانية: فاضطرت السلطات العثمانية إلى تصديق هذه الرواية الزائفة، وصدر فرمان بتعيين الشيخ مبارك قائمقاماً والاعتراف به شيخاً على الكويت وذلك في عام ١٨٩٧م<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن قبول الشيخ مبارك بذلك اللقب بالإضافة إلى السيادة العثمانية، مردّه إلى ما كان يتعرّض له من مشكلات داخلية، ومع ذلك لم تهادنه الدولة العثمانية، وإنما أخذت تنظر بعين القلق إلى توسع النفوذ البريطاني في الخليج العربي .

بعد فشلهم في تحريض الدولة العثمانية ضد الشيخ مبارك، التفت يوسف الإبراهيم وأبناء الشيخين إلى بريطانيا التماساً لمساعدتها، فقدّموا كتاباً يتضمن خلاصة قضيتهم إلى القنصل البريطاني في البصرة، وطلبوا مساعدة بريطانيا مقابل تنفيذ جميع ما تطلبه من تعهدات، فوعدهم القنصل البريطاني بالمساعدة، وكتب إلى السفير البريطاني في استانبول يطلب منه حثّ الدولة العثمانية على مراجعة سياستها في الكويت، والنظر في قضية أولاد الشيخين وإنصافهم من الشيخ مبارك<sup>(٢)</sup>.

وعندما علم الشيخ مبارك بموقف القنصل البريطاني في البصرة خشي أن تأخذ هذه القضية بُعداً سياسياً دولياً لا يمكن تلافيه، فذهب بنفسه إلى بوشهر واجتمع بالمقيم السياسي البريطاني مالكولم غودميد وتباحث معه حول هذه المسألة، وأكد له المقيم البريطاني بأن الحكومة البريطانية لا تعترف بالسيادة العثمانية التامة على إمارات الخليج العربية، ووعدّه بالمساعدة، وأبدى استعداد حكومته بإعلان حمايتها على الكويت إذا دعت الضرورة لذلك، متجاهلاً موقف زميله في البصرة، وكتب إلى نائب الملك في الهند بضرورة مساعدة حكومة الهند الشرقية البريطانية الكويت لاستمرار التوازن السياسي في الخليج العربي، فأبلغت هذه الحكومة الساسة العثمانيين في استانبول عن استعدادها لمساعدة الشيخ مبارك والدفاع عنه<sup>(٣)</sup>.

وبعد أن أمّن الشيخ مبارك جانب الحكومة البريطانية، التفت للتصدي لمشاريع يوسف الإبراهيم الذي كان يعمل على دفع الدولة العثمانية للاصطدام به .

(١) الشيخ خزعل: ج٢ ص ١٧. Dickson: p272.

(٢) المرجع نفسه: ص ١٩ - ٢٠.

(٣) المرجع نفسه: ص ١٨ - ١٩.

فقدّم شكوى إلى الباب العالي يتهمه فيها بقتل الشيخين وأشهد شهوداً، وظنّ أن هذه الشكاية تكفي لتفسد مشاريعه وتدفعه إلى الهدوء، لكن خاب ظنه، فتوجه عندئذٍ إلى الشيخ خزعل الحاج جابر المرदाو صاحب المحمرة، وطلب منه التوسط بينه وبين يوسف الإبراهيم، فوافق، وتقرّر أن يتم الاجتماع في قصر خزعل الواقع في الفيلية في العاشر من محرم ١٣١٥هـ، لكن القدر أبى أن يتم هذا الاجتماع، فقد اغتيل الشيخ خزعل في الليلة الثانية من محرم، فانقطع بوفاته كل أمل بتحقيق الصلح<sup>(١)</sup>.

وقرّر يوسف الإبراهيم مهاجمة الكويت والقضاء على حكم الشيخ مبارك فذهب إلى عربستان في عام ١٨٩٧م ليجند الرجال، فجنّد سبعمائة مقاتل أبحر بهم باتجاه الكويت فاستعدّ الشيخ مبارك للتصدي له، ويبدو أنه تهيّب الدخول في معركة مع الأسطول الكويتي فانسحب مع أسطوله<sup>(٢)</sup>.

والثفت يوسف الإبراهيم بعد فشل جهوده في احتلال الكويت، إلى قطر لالتماس المساعدة منها مستغلاً عداوة شيخها جاسم بن ثاني للشيخ مبارك، وانضم إليهما عبد العزيز بن الرشيد صاحب حائل عدو الشيخ مبارك اللدود، فنهض الشيخ مبارك للتخلص من هذا التحالف الموجّه ضده، فكتب إلى صديقه سعيد باشا متصرف الأحساء، وأخذ يوغر صدره ضد جاسم بن ثاني متهماً إياه بأنه يعصي الدولة العثمانية، وكان من أثر ذلك أن أرسل والي البصرة سفينة لتأديبه<sup>(٣)</sup>.

وفي الوقت الذي أوشك فيه عبد العزيز بن الرشيد أن ينتهي من إعداد قواته لغزو الكويت من الشمال وجاسم بن ثاني من الجنوب؛ عاجلت المنية الأول، وتراجعت الحكومة العثمانية عن مساندة الثاني، فانزاح عن صدر الكويت والشيخ ومبارك عبء تقيل<sup>(٤)</sup>.

وثمة احتمال في اتهام بريطانيا بتحريض الدولة العثمانية على التنكيل بالشيخ مبارك مباشرة أو عن طريق حليفها عبد العزيز بن الرشيد على أمل أن يجد شيخ الكويت نفسه في موقف حرج فيزجّ بنفسه في أحضانها، بدليل تغاضبها عما قام به يوسف الإبراهيم من حرب الشيخ مبارك ومهاجمة الكويت، وعدم معارضتها له عندما كان يُجنّد الرجال ويُجهز السفن على الساحل الإيراني.

لم ييأس يوسف الإبراهيم من الانتقام من شيخ الكويت، فذهب إلى السماوة لإثارة القبائل النجدية ضده، غير أن ما جرى من نهب قافلة قادمة من الأحساء،

(١) الشيخ خزعل: ج ٢ ص ٢١ - ٢٢. (٢) المرجع نفسه: ص ٢٢ - ٢٣.

(٣) الرشيد: ص ٥٩ - ٦٢. (٤) المرجع نفسه: ص ٦٣ - ٦٤.



أتهم يوسف بأن له ضلعاً فيها، أن أصدرت الدولة العثمانية أمراً باعتقاله، فسافر إلى بومباي، ووردت أثناء إقامته فيها رسالة من الباب العالي إلى محمد بن الرشيد في حائل يطلب منه التوسط لإجراء الصلح بين الشيخ مبارك ويوسف الإبراهيم، غير أن الخبر تسرّب إلى يوسف بشكل مغاير للحقيقة، فقد أُبلغ بأن الباب العالي أمر صاحب حائل بمحاربة شيخ الكويت، فعادر بومباي فوراً إلى حائل لينسق مع ابن الرشيد، غير أن هذا توفي في كانون الأول ١٨٩٧م، فتوقفت المحاولة<sup>(١)</sup>.

وجرت محاولة أخرى من جانب يوسف الإبراهيم لغزو الكويت في أيلول ١٩٠٢م غير أنها انكشفت، كما اشترك في مؤامرة لاغتيال الشيخ مبارك، غير أنها فشلت بعد أن كُشفت خيوطها، وكانت آخر محاولة قام بها للانتقام من الشيخ مبارك إثارتة الدولة العثمانية لحربه عبر شريف الحجاز عون الرفيق ابن محمد بن عون، لكنه لم يُوفّق، وعلى أثر مقتل حليفه عبد العزيز بن الرشيد في ١٤ نيسان ١٩٠٦م، غادر حائل إلى المدينة المنورة فتوفي في الطريق في ٢٥ كانون الثاني ١٩٠٧م، فتنفّس الشيخ مبارك الصعداء وقال كلمته المشهورة: «الحمد لله، هذا الذي أقلت راحتي وأراد أن يززعني عن الحكم، ولكن حظّي تغلّب على حظّه»<sup>(٢)</sup>.

## الصراع على الكويت

استحوذ الوضع في الكويت على اهتمام الدولة العثمانية والدول الأوروبية الكبرى، ودفعت الظروف السياسية حكومة الهند الشرقية البريطانية على التقرب من الشيخ مبارك، كما لقي دعماً كبيراً من رجب باشا في بغداد، ويبدو أن تصرفات الباب العالي أسدت خدمة كبيرة للسياسة البريطانية في تنفيذ خطتها القضائية باستقطاب الشيخ مبارك، فعندما قبل هذا لقب قائمقام والتزمت الحكومة البريطانية الصمت إزاء هذه الواقعة، شعر السلطان عبد الحميد الثاني بالجرأة، فاتخذ قراراً في شباط ١٨٩٧م بتعيين موظف عثمانى للحجر الصحي في الكويت، وكان هذا خرقاً للوضع التقليدي الذي كانت تتمتع به المشيخة، فضلاً عن الخسارة الفادحة التي كان من الممكن أن يلحقها بالتجارة والملاحة الساحلية، ولذا أثار القرار امتعاضاً كبيراً لدى الشيخ مبارك وحاشيته<sup>(٣)</sup>، ورأى نفسه بحاجة إلى دعم خارجي ليواجه التحديات العثمانية، لذلك أقدم على خطوة غير عادية، تمثّلت باجتماعه مع مساعد المقيم السياسي البريطاني في الخليج هسكين في ٩ أيلول، وقدم له برنامجاً متكاملًا

(١) الشيخ خزعل: ج ٢ ص ٢٩ - ٣٠.

(٢) Dickson: p137. (٣)

(٢) المرجع نفسه: ص ٦٧.

لتخفيف حدة التوتر في المنطقة الشمالية الغربية من الخليج العربي، حيث أعرب له عن رغبته في التوصل إلى حلٍّ وسط مع يوسف الإبراهيم وأولاد أخويه من خلال وساطة شيخ البحرين عيسى، وأكد له أنه قادر على إلحاق الهزيمة بأعدائه، لكنه يحتاج إلى عقد اتفاقية مع بريطانيا حول حماية أراضيه ومنع الدولة العثمانية من ابتلاع مشيخته<sup>(١)</sup>.

أثار اقتراح الشيخ مبارك تبادل الآراء بين الحكومتين البريطانيتين في لندن والهند، وتدخل سالزبوري رئيس وزراء بريطانيا ووزير خارجيتها إلى استنتاج مفاده أن إعلان الحماية البريطانية على الكويت من شأنه أن يؤدي إلى مواجهة خطيرة مع روسيا وألمانيا، ويزيد التوتر مع الدولة العثمانية في الخليج العربي، ورأى أن يظل الاعتراف البريطاني الذي صدر في عام ١٨٧٨م الخاص بتقرير السيادة العثمانية على الساحل الشمالي للخليج العربي، ساري المفعول، والمعروف أن هذا الاتفاق صدر بموافقة الدولتين البريطانية والعثمانية<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من ذلك، أخذت الحكومة البريطانية تهتم بالكويت اهتماماً بالغاً، ولم يكن سالزبوري راعياً في تفويت تلك الفرصة المواتية للسيطرة عليها، وبالتالي فقد أوصى بالرد على شيخها بإعطائه وعوداً بتقديم بعض الخدمات، والتصدي لأي اعتداء يتعرّض له من قبل الباب العالي من شأنه أن يهدّد استقلاله، مقابل شروط محدّدة.

قوبل هذا الردُّ بالارتياح في الهند، لأنه يؤسّس لوضع الكويت تحت الانتداب البريطاني في المستقبل، ويحظى هذا الموقف بأهمية كبيرة للوقوف على جوهر السياسة البريطانية في الخليج العربي في نهاية القرن التاسع عشر، لأن لندن وبومباي كانتا طوال عام ١٨٩٦م وبداية عام ١٨٩٧م تُشككان في وضع الكويت، ودرجة تبعيتها للدولة العثمانية، وما إن أبدى الشيخ مبارك استعداده لطلب المساعدة من بريطانيا حتى تناستا ما راودهما من شكوك حول هذا الأمر، ولولا تخوف سالزبوري من تصعيد المواجهة مع روسيا وألمانيا لأعلن قرار فرض الحماية على الكويت فوراً، لكنه لجأ بدلاً من ذلك إلى صيغة مستترة للحماية ثبت نجاحها من قبل مع كل إمارات ساحل عُمان المتصالح والبحرين<sup>(٣)</sup>.

(١) الشيخ خزعل: ج٢ ص ١٢٥. بونداريفسكي: ص ١٠٩ - ١١٠.

whingham, N.J: The persian Problem pp 101 - 105.

(٢) قاسم: ج٢ ص ٣١٣.

(٣) بونداريفسكي: ص ١٠٧ - ١٠٨.

كان على بريطانيا لإعلان حمايتها على الكويت أن تؤكد استقلال المشيخة عن الدولة العثمانية، فصرَّح فيليب كوري السفير البريطاني في استانبول، في عام ١٨٩٨م بأن الحكومة البريطانية لم يسبق لها أن اعترفت بالسيادة العثمانية على الكويت، ومن ثمَّ أخذت بريطانيا توالي اتصالاتها مع شيخ الكويت، ويبدو أن لذلك علاقة بما جرى من استعدادات عثمانية لإقصائه عن الحكم.

ولعل الحكومة البريطانية كانت تُقدِّر أهمية ميناء الكويت ليكون نهاية لخط حديد كان مقترحاً مدّه من بور سعيد عبر صحراء نجد في مقابل اقتراح روسي بمد خط حديد من طرابلس على البحر الأبيض المتوسط إلى الكويت، ومشروع ألماني بمدّ خط حديد من برلين إلى بغداد على أن تكون الكويت آخر محطة له، وخشيت أن يلجأ الشيخ مبارك إلى قوة أخرى إن أهملت بريطانيا تقديم المساعدة له، وأن تتصرف الدولة العثمانية بالتنازل عن أجزاء من المشيخة، إلى دولة أو دول أجنبية وبخاصة ألمانيا<sup>(١)</sup>.

وطلبت حكومتا لندن والهند من المقيم البريطاني في الخليج العربي كمبل أن يبحث الوضع السياسي في الكويت، وعلاقة المشيخة بالدولة العثمانية، تمهيداً لإعلان الحماية، فوضع تقريراً خلاصته:

- إن اعتراف الكويت بالسيادة العثمانية لا يعدو كونه اسماً، إذ أن السلطان العثماني في نظر حكام الخليج العربي يُعدُّ رأس العقيدة الإسلامية.  
- عدم وجود دفع ضريبي من الكويت إلى الدولة العثمانية، وهي رمز التبعية السياسية.

- كانت الدولة العثمانية تدفع رواتب سنوية إلى شيوخ الكويت مقابل حماية شط العرب، وهذا اتفاق محلي لا يعني عقده التأكيد بقيام سيطرة فعلية.

- إن رفع الراية العثمانية فوق المراكب الكويتية، وهو مظهر للسيادة، يرجع إلى أن الكويت وغيرها من إمارات الخليج العربية كان من الصعب على سفنها أن تُبحر تحت أعلامها الخاصة نظراً لعدم وجود اعتراف دولي بها، ما يُعرضها للمخاطر، ثم إن رفع الراية العثمانية هو مظهر روحي لاحترام دولة الخلافة الإسلامية<sup>(٢)</sup>.

وصادف في ذلك الوقت تولي كيرزون منصب نائب الملك في الهند، وكان مُشبعاً بالأفكار الاستعمارية، فوجّه اهتمامه إلى الكويت، وتبنّى تأكيدات المُقيمين البريطانيين لوك في بغداد وميد في الخليج العربي، بعدم وجود اتصال فعلي بين الدولة العثمانية وسكان الكويت، لذلك رأى ضرورة إعلان الحماية البريطانية على

الكويت لتجنّب الإضرار بالمصالح البريطانية في الخليج العربي، واقترح أن تُعقد اتفاقية مع الشيخ مبارك مماثلة للاتفاقية المعقودة مع شيخ البحرين في عام ١٨٩٢م<sup>(١)</sup>.

لم تكن بريطانيا في بادئ الأمر متحمسة لإبرام اتفاقية مع شيخ الكويت حتى لا تُثير الدولة العثمانية وتخلق مشكلات جديدة في الخليج العربي، لأن بسط سيادتها على المشيخة من شأنه أن يُشكل خطورة منافسة ميناء الكويت لميناء البصرة الذي يُعدّ منفذاً للتجارة الآتية من الهند.

وكانت ألمانيا وروسيا وفرنسا بالإضافة إلى بريطانيا والدولة العثمانية تتنافس في الخليج العربي وتركّز هذا التنافس في الكويت، المشيخة الأكثر أهمية بفعل موقعها الجغرافي القريب من العراق، وسهولة اتصالها بالجزيرة العربية شمالاً وشرقاً وجنوباً، وكان على الشيخ مبارك وسط هذا التنافس أن يؤدي دوره بالانتقال من التعامل مع القبائل البدوية إلى التعامل مع الدول الأوروبية الكبرى.

اتجهت سياسة ألمانيا إلى التوسع نحو الشرق، لكنها صادفت عقبة تمثّلت ببريطانيا التي تسيطر على كل الطرق الموصلة إلى الشرق، ما عدا الطريق الذي يمر بالأناضول عبر البلدان العربية، فرأت أن تسيطر على هذا الطريق الذي يوصلها إلى الخليج العربي، فتقرّبت من الدولة العثمانية وزار الامبراطور الألماني ولهم الثاني السلطان عبد الحميد الثاني في استانبول، وأعلن أنه الصديق المخلص لخليفة المسلمين، وأرسل خبراء إلى الدولة العثمانية في مختلف نواحي الإصلاح والتنظيم، وتركّزت خطته على إنشاء خط سكة حديد يربط برلين باستانبول وبغداد (ب.ب.ب) على أن تكون الكويت نهاية له.

وعرض القناصل الروس في بغداد وبوشهر على الشيخ مبارك، مزايا صداقته لروسيا، والمعروف أن روسيا كانت تعمل آنذاك على بناء محطة للوقود في الكويت، وإنشاء خط سكة حديد يمتد من أحد موانئ البحر الأسود إلى ميناء الكويت. وكان الفرنسيون يكثرّون من زيارة الشيخ مبارك.

وخشيت بريطانيا أن تصبح الكويت مستودع فحم روسي، أو نهاية خط سكة حديد ألماني أو روسي، أو منطقة نفوذ فرنسية، وهذا ما أدّى بها إلى توقيع اتفاقية عام ١٨٩٩م مع شيخ الكويت.

كانت الأوضاع السياسية في الكويت مزعزعة وغير مستقرة، لا تسمح بإيجاد علاقات طيبة بين شيخها والدولة العثمانية، وحدودها مُهدّدة بالنزاعات المحلية مع

(١) قاسم: ج٢ ص ٣١٧ - ٣١٨.

شيوخ المنتفق، والعثمانيين في البصرة، وابن الرشيد أمير حائل في الجنوب، بالإضافة إلى ضغط الصراع الخارجي، وهذا ما دفع الشيخ مبارك إلى توقيع معاهدة عام ١٨٩٩م مع بريطانيا.

وُقِّعت الاتفاقية في ٢٣ كانون الثاني، وقَّعها الشيخ مبارك عن الجانب الكويتي وميد وكاسكن وكيرزون عن الجانب البريطاني، تعهد الشيخ بموجبها عن نفسه وورثته وخلفائه من بعده بالأبلى يقبل وكيلاً أو قائماً من جانب دولة أو حكومة، في الكويت أو في أي منطقة أخرى داخلية تحت حكمه، من دون موافقة بريطانيا، كما ألزم نفسه وورثته وخلفاءه من بعده بالأبلى يتنازل ولا يبيع ولا يؤجر، ولا يرهن، ولا يُعطي للتملك أو لأي غرض آخر؛ أي جزء من أراضيه إلى حكومة أو رعايا دولة أخرى من دون الموافقة المسبقة من الحكومة البريطانية، وتضمَّنت بنداً يُحرِّم على الشيخ مبارك استقبال ممثلي الدول الأجنبية من دون موافقة حكومة بريطانيا<sup>(١)</sup>.

وأُلحقت بالاتفاقية بعض التنظيمات الإدارية وقضايا الأجناب، ورفع العلم البريطاني إلى جانب الراية العثمانية، وتنازل الشيخ مبارك لبريطانيا عن منطقة من الأرض تقع إلى الشمال الشرقي للكويت على مقربة من شط العرب وخصَّها بامتيازات جمركية، وقَبِل إقامة وكيل قنصلي في بلاده، وتساهلت في تصدير الأسلحة إلى المشيخة لكي يستخدمها الشيخ ضد أعدائه، وقد نتج عن ذلك أن تحوَّلت الكويت إلى مركز مهم لتجارة السلاح في المنطقة.

الواقع أن هذه الاتفاقية التي بقيت سرية مراعاة لمصلحة الطرفين:

- فتحت الباب على مصراعيه لبريطانيا للتدخل في شؤون الكويت ونجد وجنوبي العراق.

- لم تنص صراحة على فرض الحماية على الكويت إنما تضمَّنت قيدين هما: عدم نقل الملكية وعدم استقبال مبعوثين سياسيين.

- يتبين من نصوصها ومن الظروف التي أحاطت بعقدتها أنها وُضعت لمواجهة ظروف طارئة فكان من الطبيعي أن تُلغى بزوال الظروف التي أدَّت إلى عقدها، لكن بريطانيا ظلَّت تمسك بها حتى استقلال الكويت في عام ١٩٦١م.

- تضمَّنت غبناً سياسياً، ولا تستند إلى أي مبرر قانوني حيث أنها عُقدت في ظروف خاصة وبين بلدين غير متكافئين ومع أناس تنقصهم الخبرة السياسية على المستوى الدولي.

(١) انظر نص الاتفاقية عند: الشيخ خزعل ج٢ ص ١٢٨ - ١٢٩.

- شكّلت ضربة موجعة للدولة العثمانية وتحديداً لمصالحها في العراق، وللنفوذ الألماني في الخليج العربي<sup>(١)</sup>.

جاء ردُّ الفعل سريعاً من جانب الدولة العثمانية على هذه الاتفاقية فعادت إلى إثارة المتاعب في وجه الشيخ مبارك، وتجلّى ذلك في إعادة حمدي باشا والياً على البصرة، وهو الذي ساند قضية أولاد الشيخين، كما أرسلت أحد المديرين ليتسلم دائرة المكوس الجمركية التي قرّرت إنشائها في المشيخة، وقد احتجت الحكومة البريطانية لعدم التنسيق معها، وكانت تخشى بصورة خاصة من اتفاق عثماني - ألماني، وزاد من خوفها كثرة تردّد البواخر الألمانية على الكويت.

ومهما يكن من أمر، فقد استطاعت الحكومة البريطانية أن تواجه بموجب هذه الاتفاقية التنافس الأوروبي في الكويت، وظهرت أهميتها في عام ١٩٠٠م عندما حاولت ألمانيا شراء منطقة ساحلية لتكون نهاية لخط سكة حديد بغداد، فرفض الشيخ مبارك أن يُلبّي طلبها على الرغم من الضغط العثماني.

وأفشت بريطانيا في ٢٠ آذار ١٩٠٠م مضطرة بفعل الظروف الدولية، سرية الاتفاقية عندما أبلغت الدولة العثمانية، وألمانيا حقيقة العلاقات بينها وبين شيخ الكويت، وراح هذا يفرض ضرائب باهظة على الواردات العثمانية إلى الكويت، ومنع تمويل السفن العثمانية في ميناء الكويت وقد أخضعها للتفتيش أسوة بغيرها من السفن الأجنبية، ورفض استقبال الموظفين العثمانيين في مشيخته<sup>(٢)</sup>.

أخذت الدولة العثمانية تنظر بعين الريبة والقلق من تغيير الأوضاع في الكويت؛ إذ إن موقف الشيخ مبارك المناويء بموجب اتفاقية الحماية، منع السلطان من ممارسة نفوذه على القبائل الواقعة في شمالي الخليج العربي، لذا لجأت إلى سياسة التحريض للتخلص منه، ووجدت ضالتها في ابن الرشيد، فشجّعته على مهاجمة الكويت والاستيلاء عليها، وأنعم السلطان عليه بلقب باشا.

كان عبد العزيز بن متعب بن الرشيد يتطلع إلى الكويت بوصفها المنفذ الرئيس لإمارته النجدية على الخليج العربي والمنطقة التي تلتقي فيها القوافل التجارية، ما يسبغ عليها أهمية اقتصادية، بالإضافة إلى أن الاستيلاء على الكويت يُمكنه من توطيد حكمه والتوسع نحو الساحل، ما يدرُّ على خزينته الضرائب المفروضة على البضائع المستوردة والمصدرة، ويُفقد أعداء آل سعود آخر أمل في استعادة حكمهم.

(١) الفرحان، راشد عبد الله: مختصر تاريخ الكويت وعلاقتها بالحكومة البريطانية والدول العربية: ص ١٢٧. نوفل: ص ١٥٦.

(٢) نوفل: ص ١٥٣.

كان الشيخ مبارك في وضع حرج، فهو لا يمتلك جيشاً ولا يستطيع الاعتماد على الكويتيين ومعظمهم منصرف إلى العمل في التجارة، ولكنه كان يمتلك من الأموال ما يُمكنه من تجنيد بعض القبائل مثل آل مرة والعجمان والمطير والمنتفق، ولا يفتر إلى السلاح الذي كانت بريطانيا تُزوده به، ورأى أن يُشغل عبد العزيز الرشيد بآل سعود.

وفجّر وصول يوسف الإبراهيم إلى حائل، المنطقة، فأسرع الشيخ مبارك إلى تحريك عبد الرحمن الفيصل آل سعود لغزو عشائر ابن الرشيد، فتمكّن من هزيمتهم في الروضة، وهاجم الشيخ مبارك من جهة الرخيمة واستولى على أطرافها، ومضى في تجهيز قوات كبيرة من عرب البادية، وسار هذا الجيش إلى عنيزة ودخلها، واستعاد آل مهنا بُريدة، ودخل عبد العزيز آل سعود الرياض، غير أنه انسحب منها عندما علم بخسارة الشيخ مبارك في معركة الصريف، وهو مكان مرتفع يقع عند منتصف الطريق بين حائل والكويت، ويبدو أن اغترار الشيخ مبارك بكثرة عديد جيشه ومناصره كانت من العوامل التي أدّت إلى هزيمته أمام عبد العزيز بن الرشيد، بالإضافة إلى نشوب الخلافات القبلية في صفوفه وبخاصة بين المنتفق والمطير، وعاد أدراجه إلى الكويت<sup>(١)</sup>.

الملفت في هذا الصراع أن بريطانيا لم تساعد الشيخ مبارك، ويبدو أنها كانت تردّد بين أمرين: إما أن تتعاون معه، وفي هذا الحال تُثير مشكلات بينها وبين الدولة العثمانية، أو لا تتعاون معه ما يؤدي في هذا الحال إلى توضيحها بالمزايا الممنوحة لها في اتفاقية عام ١٨٩٩م، لأن الشيخ مبارك سوف لا يحترم تعهداً لا يحصل بموجبه على أي ضمان من الحماية أو من المساعدات المادية، والواقع أنها لم تتدخل إلا بعد أن وقعت الهزيمة، وأُشيع عن مقتل الشيخ مبارك، فأرسلت إحدى سفنها إلى الكويت لتدارك ما قد يحصل بعد مقتله من ضياع لمركزها، ثم زار كميل الكويت ليتحقّق من صحة مقتل الشيخ مبارك<sup>(٢)</sup>.

كان لمعركة الصريف وقع إيجابي على الدولة العثمانية التي حاولت استغلال هزيمة الشيخ مبارك لتعرض عليه قبول أحد الحلول الآتية:

- الحضور إلى استانبول فيُعَيّن عضواً في مجلس شوري الدولة.
- النفي الاختياري إلى أي مكان، وتمنحه الدولة راتباً شهرياً.
- إزاحته بالقوة<sup>(٣)</sup>.

(١) الشيخ خزعل: ج ٢ ص ٤٠ - ٤٨.

(٢) قاسم: ج ٢ ص ٣٣٠ - ٣٣١. (٣) الريحاني: ملوك العرب: ص ١٥٥.

كان وضع الشيخ مبارك حرجاً حقاً، فالبصرة والأحساء اللتان تقعان إلى يمينه ويساره كانتا تحت سيطرة الدولة العثمانية، وابن الرشيد من ورائه في نجد يتربص به، وقد امتدت رقعة بلاده حتى لاصقت حدود الكويت، لذلك لم يجد بُدأً من اللجوء إلى بريطانيا، فذهب إلى بوشهر، فوعده المقيم السياسي البريطاني بالحماية، وفعلاً منعت السفن البريطانية الجنود العثمانيين من النزول إلى البرِّ على شاطئ الكويت، وأُنذرت قائدهم بالرحيل، فامتثل للأمر، كما حالت بريطانيا دون إقصاء الشيخ مبارك من قِبَل الباب العالي، ولم يُنقذ الموقف سوى قيام محسن باشا والي البصرة الذي قام بزيارة للشيخ مبارك وأقنعه بالرضوخ لأوامر الدولة العثمانية، فجدد ولاءه لها، لكنه فشل في إقناعه بإبقاء حامية عثمانية في الكويت، ونصح البريطانيون ابن الرشيد بوقف اعتداءاته ضد الكويت، ولعل ما تعرَّض له من ثورة القبائل هي التي جعلته يُسرع في العودة إلى بلاده من دون أن يستثمر انتصاره في معركة الصريف، وانتقد موقف الدولة العثمانية من الشيخ مبارك، وطالها بعزله وتعيين أحد أبناء إخوته، وهدد بالتماس المساعدة من الروس، غير أنه ظلَّ على ولائه للدولة العثمانية، وفشلت جميع المحاولات للتوفيق بينه وبين الشيخ مبارك.

ويبدو أن استمرار الضغط الألماني على استانبول كان له أثر كبير في دفع الدولة العثمانية إلى التدخل مجدداً في شؤون الكويت، وأبلغت بريطانيا بأنها تنظر إلى هذا البلد بوصفه جزءاً من الدولة العثمانية، وأن أي محاولة بريطانية لإعلان الحماية على المشيخة أمر لا يمكن التسليم به، وساندها ألمانيا.

والواقع أن بريطانيا حاولت أن تُخفِّف من حدة نزاعها مع العثمانيين فأعلنت في ١١ أيلول ١٩٠١م بأنه ليس في نيتها أن تفرض حمايتها على الكويت، ولن تُرسل قوات إلى المشيخة طالما لا تُرسل الدولة العثمانية من ناحيتها قوات إلى هذا البلد، لكنها ستهب للدفاع عن الشيخ مبارك إذا تعرَّض لهجوم من قِبَل ابن الرشيد.

أضحى الشيخ مبارك بعد الأزمة التي مرَّ بها أكثر اعتماداً على بريطانيا، فطلب من كمبل المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي في ١٢ آب ١٩٠٢م أن تقف بريطانيا دائماً إلى جانبه، ووضع كل إمكاناته تحت تصرفها، وذلك خشية من الدولة العثمانية وألمانيا، وربما كان دافعه إلى طلب الحماية مساندة الدولة العثمانية ليوسف إبراهيم وتشجيعها له على غزو الكويت، والمعروف أن هذا الغزو فشل بسبب إحراق الأسطول البريطاني سفنه التي تنقل القوات.

الواضح أن سياسة الدولة العثمانية اقتصرَت في هذه المرحلة من الصراع على العمل على تقليص نفوذ الشيخ مبارك من المناطق الشمالية، فأرسلت حاميات



عسكرية للإقامة في أم القصر وسفوان وبوبيان بين البصرة وخور عبد الله، وأنشأت محطات في أم القصر وبوبيان بوصف هذه الأماكن ستكون ضمن الأراضي التي يمرُّ بها خط سكة حديد بغداد، كما أنشأت محطة للبريد فيها، والراجح أن ألمانيا كانت وراء هذه التحركات العثمانية، واحتلت أيضاً الصبية التي تقع على مقربة من الركن الشمالي الشرقي لميناء الكويت، وزادت عديد حامياتها في القطيف بهدف السيطرة على المناطق المجاورة لها، وحجتها أن هذه الأماكن تابعة لها وتدخل ضمن حدود العراق، وردَّ الشيخ مبارك على هذه الإجراءات بأن هذه الأماكن قد استوطنها الكويتيون في بادئ الأمر، لكن الدولة العثمانية أخرجتهم منها<sup>(١)</sup>.

والملفت أيضاً أن بريطانيا تقاعست عن مساندة الشيخ مبارك بشأن تلك المناطق، وإن كانت قد طلبت في أواسط عام ١٩٠٤م بضرورة انسحاب العثمانيين منها، وأن تحل قوات الشيخ مبارك محلها، ووعدته بإنشاء مركز عسكري في جزيرة بوبيان لموازنة الحاميات العسكرية في أم القصر.

ولم يحدث إلا في عام ١٩٠٧م أن اهتمت حكومة الهند الشرقية البريطانية بالأمر، فشكَّلت لجنة لتخطيط الحدود، وقرَّرت أن تكون جزيرة بوبيان خاضعة لقضاء الكويت، أما ادعاءات الشيخ مبارك التي تتمثل في جميع الساحل من خليج فيلكا إلى شط العرب؛ فقد ظلت معلَّقة حتى مباحثات الاتفاق العثماني - البريطاني في عام ١٩١٣م حين ضُمَّت هذه المناطق إلى الكويت.

وأقامت بريطانيا مركز بريد في الكويت في شباط ١٩٠٤م، ومنعت في المقابل إقامة أي مركز لأي دولة أو حكومة أجنبية، وعيَّنت أول معتمد سياسي بريطاني لها ويُدعى نوكس وكان مسؤولاً أمام المعتمد البريطاني في بوشهر، كما عيَّنت مساعداً له رجلاً كويتياً يُدعى دواد الرحمٰن<sup>(٢)</sup>.

وتعهد الشيخ مبارك لبريطانيا في عام ١٩١١م بعدم منح الاستجابة لطلبات استخراج اللؤلؤ والإسفنج لأي دولة إلا بعد استشارتها، وأقامت بريطانيا في عام ١٩١٢م مركزاً للاتصالات، كما تعهد الشيخ مبارك في عام ١٩١٣م بعدم منح امتياز البترول في الكويت من دون موافقة الحكومة البريطانية.

ولعل أهم خطوة وأخطرها ما كان من إعلان الشيخ مبارك أن الكويت محمية بريطانية، فبعد دخول تركيا الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول المحور عام ١٩١٤م، تلقى الشيخ مبارك في ٣ تشرين الثاني كتاباً من الحكومة البريطانية يتضمن

(١) whingham: pp 105 - 106.

(٢) قدورة، زاهية: شبه الجزيرة العربية، كتاباتها السياسية: ص ٤٩٥ - ٤٩٦.

موافقتها واعترافها بأن مشيخة الكويت حكومة مستقلة، تحت الحماية البريطانية، وإنهاء أي علاقة لها بالدولة العثمانية ما جعل العلاقات الكويتية - البريطانية متينة وعميقة.

## الكويت في بداية الحرب العالمية الأولى

حاولت بريطانيا عندما نشبت الحرب العالمية الأولى فصل إمارات الخليج العربية عن العالم الخارجي، ومنع تعاملها مع قوى معادية لها، وكان التأثير العثماني الروحي كبيراً في العالمين العربي والإسلامي، ما دفع بريطانيا إلى إعلان حمايتها الصريحة لحكام الخليج العرب الذين أضحووا مهتدين بابتلاع الدولة العثمانية لهم، وكانت الكويت أكثر الإمارات الشمالية تعرضاً للخطر الذي قد يؤدي إلى ضياع النفوذ البريطاني، والمعروف أن الشيخ مبارك كان تابعاً اسماً للدولة العثمانية، وإن كانت ظروف علاقته ببريطانيا قد وضعت مشيخته تحت الحماية البريطانية<sup>(١)</sup>.

واجه الشيخ مبارك بفعل انحيازه إلى بريطانيا موقفاً معارضاً من جانب مواطنيه الذين بدافع الشعور الديني والعاطفي مالوا إلى الدولة العثمانية بوصفها دولة الخلافة الإسلامية، ورفضوا التعاون مع بريطانيا، لكنه ظلّ ثابتاً، بل إنه تمادى في التقرب من البريطانيين عندما استبدل العلم العثماني الذي كان يرفعه على مشيخته وعلى ظهر سفنه، بعلم كويتي خاص استجابة لتعليمات الحكومة البريطانية حتى تميّز قواتها بين أعلام الكويت الصديقة والأعلام العثمانية المعادية<sup>(٢)</sup>.

توفي الشيخ مبارك في ٣ تشرين الثاني ١٩١٥ م.

## الشيخ جابر بن مبارك الصباح - جابر الثاني

هو ثامن أمراء أسرة الصباح في الكويت، تولى قيادة جيش والده مبارك، وخلفه بعد وفاته، وأعلم فور اعتقاله سدة الحكم بيرسي كوكس المندوب البريطاني في الخليج العربي، خبر وفاة والده، وأعلن أنه سيواصل نهجه في التحالف مع بريطانيا. اشتهر خلال مدة حكمه القصيرة (١٩١٥ - ١٩١٧م) بإعفاء الناس من ضريبة العقارات، وخصّص الرسوم على تجارة اللؤلؤ، وعُقد في عهده مؤتمر الكويت لحكام الخليج العرب لدعم ثورة الشريف حسين ضد العثمانيين.

بعد أن أعلن الشريف حسين ثورته، حرصت الحكومة البريطانية على عقد مؤتمر في الكويت يشترك فيه الأمراء العرب في الخليج العربي للتعرف على حسن نواياهم

(٢) الفرحان: ص ١٢٢.

(١) قاسم: ج ٣ ص ١١.

نحوها من ناحية، وحثهم على مساندة الشريف حسين وتأييد ثورته من ناحية أخرى، وقد عُقد هذا المؤتمر في ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٦م، وحضره إلى جانب الشيخ جابر، الأمير عبد العزيز بن سعود، والشيخ خزعل أمير المحمرة، وترأسه بيرسي كوكس، الذي افتتحه بكلمة أظهر فيها حسن نوايا بريطانيا تجاه العرب ورغبتها في استعادتهم لمجدهم الغابر، وحرصها على جمع كلمتهم ليكونوا كتلة متماسكة تستطيع صد أي اعتداء خارجي يقع على بلادهم، وحثهم على مساعدة الحلفاء في الحرب، ثم تطرق إلى موضوع الخلافة ووجوب انتقالها إلى العرب<sup>(١)</sup>.

تنازع الشيخ جابر في المؤتمر توجّهان، الأول مؤيد للعثمانيين بوصفهم مسلمين، والثاني مؤيد لما يتخذه الزعماء العرب من قرار يجمعون عليه، ومال إلى التوجه الثاني بوصفه من العرب، وانتهى المؤتمر بتقليد بيرسي كوكس كلاً من الشيخ جابر والأمير عبد العزيز آل سعود وشاح نجمة الهند<sup>(٢)</sup>.

وساعدت الظروف الدولية بريطانيا على تحقيق سيطرتها على إمارات الخليج العربية، إذ إن الدول التي نازعتها على السيادة في هذه المنطقة لم تلبث أن خرجت من حلبة الصراع، ألمانيا بفعل هزيمتها في الحرب وروسيا بفعل تغير وضعها السياسي على أثر الثورة الشيوعية في عام ١٩١٧م، وقد تخلى الحكام الجدد عن أطماع القباصرة، وسلّمت فرنسا لحليفها بالنفوذ في الخليج العربي، وبفعل اختفاء الدولة العثمانية، أضحت السيطرة البريطانية في الخليج العربي تمتد من شط العرب شمالاً حتى المحيط الهندي جنوباً<sup>(٣)</sup>.

وأُتخذت بعد نهاية الحرب مواقف قانونية بشأن وضع إمارات الخليج العربية التي كانت تحت السيادة العثمانية، وقد ظهر ذلك واضحاً بالنسبة للكويت، وكانت الحكومة البريطانية قد وعدت بمتقضى إعلان عام ١٩١٤م أن تعترف بالكويت إمارة مستقلة تحت الحماية البريطانية، غير أن اقتراح إعلان الحماية الذي وضعه المندوب السامي في العراق، لم يجد تأييداً من جانب حكومة الهند بسبب احتمال إثارة الشكوك لدى العرب، وبالتالي إغراق الحكومة البريطانية في التزامات ثقيلة عسكرياً واقتصادياً، ولذا استُبعد الاقتراح بعد أن رأت حكومة الهند تأجيل اتخاذ أي موقف بشأن الكويت حتى يتم وضع تنظيم إدارة العراق في عهد الانتداب<sup>(٤)</sup>.

(١) الشيخ خزعل: ج ٣ ص ٣١. قاسم: ج ٣ ص ٣٩.

(٢) الشيخ خزعل: المرجع نفسه.

(٣) قاسم: ج ٣ ص ٤٢. (٤) المرجع نفسه.

وظهر التوتر في العلاقات بين الكويت ونجد خلال الحرب العالمية الأولى، إذ لم تكن الكويت مطمئنة إلى تنامي قوة الأمير عبد العزيز آل سعود على الرغم من الصداقة التي تجمع البلدين، ويمكن إرجاع الخلاف إلى عاملي الولاءات القبلية وقضية الحدود، ويرتبط العامل الأول بقبائل العجمان الذين حاربوا مع الأمير السعودي ضد ابن الرشيد في معركة إجراب عام ١٩١٥م، ثم انقلبوا عليه خلال اشتداد المعركة، بل إنهم اعتدوا على معسكره وعلى بعض أنصاره من القبائل، فقرر الأمير عبد العزيز آل سعود مهاجمة الكويت لإيوائها قبائل العجمان، ولكن وفاة الشيخ مبارك أثنته عن ذلك، بالإضافة إلى خشيته مما قد يترتب على ذلك الهجوم من تداعيات مع البريطانيين، بسبب أن مثل هذا الهجوم يُعدُّ خرقاً لاتفاقه معهم في عام ١٩١٥م<sup>(١)</sup>، ولم يجد إلا أن يكتب للشيخ جابر يعزِّيه بوفاة والده وينصحه بعدم السير في سياسته<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن الشيخ جابر مال إلى كسب ودِّ الأمير عبد العزيز آل سعود، وللتدليل على ذلك فقد طرد قبائل العجمان من الكويت، فغادروها إلى سفوان الواقعة بين الكويت والعراق، ثم توسط مع الشيخ خزعل بين الأمير السعودي وسلطان بن حثيلان شيخ العجمان<sup>(٣)</sup>، تعهد شيخ العجمان إثر الوساطة أن يبقى في الزبير ولا يهاجم نجد، لكنه لم يلبث أن نكث بعهده والتجأ إلى آل الرشيد أعداء الأمير السعودي في حائل، ثم عاد مع أتباعه إلى الكويت عقب وفاة الشيخ جابر في ٧ شباط ١٩١٧م<sup>(٤)</sup>.

## الشيخ سالم بن مبارك الصباح

### سياسته الداخلية

خلف الشيخ سالم أخاه الشيخ جابر فأرسل فور تسلُّمه الحكم برقية إلى بيرسي كوكس هنأه فيها على تقدم الجيوش البريطانية في العراق، وأرسل المعتمد البريطاني في الكويت برقية إلى بيرسي كوكس في ٣ أيار ١٩١٨م أثنى فيها على ولاء الشيخ سالم لبريطانيا<sup>(٥)</sup>.

(١) Armstrong, H.C: Lord of Arabia, pp96 - 97.

(٢) قاسم: ج٣ ص٥٦.

(٣) Armstrong: p116.

(٤) الشيخ خزعل: ج٣ ص١١٦.

(٥) غراية، عبد الكريم: تاريخ العرب الحديث: ص٢٤٤ - ٢٤٥.

عمل الشيخ سالم على تنمية التجارة، فحَفَّضَ الرسوم الجمركية على الواردات إلى ٤٪، وألغى الرسوم على الصادرات، وربط الكويت بالعالم الخارجي عبر محطة البرق، وأقيم في عهده سور الكويت لحماية البلد من الأعداء.

## سياسته الخارجية

ساد التوتر سياسة الشيخ سالم الخارجية مع كل من السعودية وبريطانيا، والواقع أن حكام الكويت بعامة لم يطمئنوا إلى تنامي قوة الأمير السعودي عبد العزيز وتضخمها، وما كاد الشيخ سالم يصل إلى حكم الكويت (١٩١٧ - ١٩٢١م) حتى ظهرت بوضوح الخلافات بين البلدين، وترتب عليها صدامات عسكرية، وهي تكمن في مشكلتين أساسيتين هما: الولاءات القبلية ومشكلات الحدود، وقد ورثهما الشيخ سالم عن أبيه الشيخ مبارك.

ترتبط المشكلة الأولى بقبائل العجمان الذين عادوا إلى الكويت عندما تسلّم الشيخ سالم الحكم، وتوافدوا عليها مع قبائل شمر بأعداد كثيرة بتشجيع من الشيخ. ويبدو أن تصرف حاكم الكويت جاء رداً على تشجيع الأمير عبد العزيز آل سعود قبيلة العوازم الكويتية بالهجرة والاستقرار في المقاطعات التابعة له، ليتخذهم أداة للتوسع على حساب الكويت، فقبض الشيخ سالم على عمال الزكاة السعوديين، وأرسل احتجاجاً رسمياً إلى هاملتون الوكيل السياسي البريطاني في الكويت، وكان في طريقه إلى الرياض للباحث مع الأمير السعودي في المشكلات المتعلقة بتهريب المؤن والأسلحة إلى العثمانيين في بلاد الشام<sup>(١)</sup>، وتعرّض الطرفان أثناء المباحثات إلى قضية العوازم، فاعتذر الأمير السعودي عما حصل وأنه لم يأمر عمال الزكاة باستيفائها، بل إنه لم يُرسلهم أصلاً إلى العوازم، ونسب الخطأ إليهم<sup>(٢)</sup>، ولام الشيخ سالم لإيوائه قبائل العجمان.

واتفق الطرفان أخيراً على إجلاء العجمان عن الكويت إلى منطقة الشمال التي تَمَّت في ٤ آذار ١٩١٨م، ويبدو أن ظروف الحرب دفعت بريطانيا إلى التدخل حتى لا تتطور جبهة الخليج العربي، غير أن قبائل العجمان لم تركز إلى الهدوء، فاشتبكت مع قبائل المطير وبنو هاجر، وهاجمت بعض القوافل التابعة لابن سعود، ما أثار استياءه، فتدخلت الحكومة البريطانية مجدداً وفرضت على الشيخ سالم الموافقة على: استقرار ابن سعود في منطقة حفر الباطن الواقعة بين الكويت ونجد

(١) قاسم: ج٣ ص٥٧.

(٢) الرشيد، عبد العزيز: تاريخ الكويت: ج٢ ص٢٠١ - ٢٠٢.

لمراقبة نشاط قبائل العجمان، وإنشاء مراكز حراسة في الجهراء وفي بعض المناطق الأخرى القريبة من موارد المياه، ووجَّهت إنذاراً إلى شيوخ العجمان بقطع المساعدات والتخلي عنهم في حال قيامهم باعتداءات جديدة، فسُنحت الفرصة لابن سعود لإخضاعهم في عام ١٩١٩م، فعادوا إلى نجد وانخرطوا في صفوف الإخوان، وظل العوازم مثار خلاف بين الشيخ سالم والأمير عبد العزيز آل سعود، وقد انقسموا إلى قسمين: البدو الذين انحازوا إلى الأمير السعودي وانخرطوا في جماعة الإخوان، والحضر الذين استقروا في الكويت في حي خاص بهم<sup>(١)</sup>.

كانت التسوية المشار إليها آتية، وقد فرضتها ظروف الحرب العالمية الأولى، لذلك تجدد الخلاف الكويتي - السعودي بعد انتهاء الحرب، ففرض الأمير السعودي حظراً تجارياً شاملاً على الكويت، واجتاحت كتائب الإخوان في عام ١٩٢٠م مشيخة الكويت بقيادة ابن شقير، وجرت بين الطرفين رحى معركة عنيفة في الأحمدية، هُزم فيها الكويتيون، واضطروا إلى بناء سور يحمي البلاد، وماطلت بريطانيا بتقديم المساعدة للمشيخة، فاستاء الشيخ سالم وقرَّر الاعتماد على قوته الذاتية، فعبأ طاقات البلاد وتمكَّن من الانتصار على الإخوان في معركة الجهراء في تشرين الأول ١٩٢٠م، ومع ذلك لم يقطع الأمل في تحقيق المصالحة مع الأمير السعودي، فأرسل بعد شهرين من المعركة، أي في كانون الثاني ١٩٢١م، بعثة برئاسة ولي العهد الشيخ أحمد لطمانته وإعادة الثقة بين البلدين، وتوفي الشيخ سالم في هذه الأثناء في ٢٧ كانون الثاني من دون أن يرى نتيجة الصلح، وخلفه ابن أخيه الشيخ أحمد الجابر الصباح<sup>(٢)</sup>.

وترتبط المشكلة الثانية بالحدود بين البلدين التي لم تكن قد حُدِّدت بعد، وتعهد الأمير السعودي في المادة السادسة من اتفاقية القطيف عام ١٩١٥م بالامتناع عن التدخل في إمارات الخليج العربية، ومنها الكويت التي سُتحدِّد حدودها فيما بعد، غير أن ابن سعود استمر في تدخله في شؤون الكويت والتوسع على حسابها لسيتحوذ على أقصى ما يستطيع الحصول عليه إلى أن يحين وقت الاتفاق على تخطيط الحدود بينه وبين الكويت عبر بريطانيا، وقد انحصرت هذه المشكلة في مسألتين هما: دوحة البلبول الواقعة على مقربة من ميناء الجبيل السعودي في الأحساء، وجريا العليا<sup>(٣)</sup>.

ورأى شيوخ الكويت أن حدود إمارتهم تمتد في ناحية الجنوب إلى نقطة تبعد نحو مائة وخمسين ميلاً عن مدينة الكويت، ثم تأخذ من هذه النقطة خطاً مستقيماً نحو

(١) قاسم: ج٣ ص ٥٩ - ٦٠.

(٢) الشيخ خزاعل: ج٤ ص ٢٢٠ - ٢٢٧. (٣) قاسم: ج٣ ص ٦٥.

الشرق بمحاذاة ساحل الخليج، وتنتهي عند ميناء بلبول الغني بالمياه والمشهور بخصوصية أراضيه الزراعية، وعدَّ الشيخ سالم تعدّي الأمير السعودي يتجاوز حدود بلاده الجنوبية، ثم عزم على ترسيم الحدود وبناء قلعة على حدوده يتخذ منها ميناء ينافس به ميناء الجبيل في الأحساء<sup>(١)</sup>.

قابل الأمير عبد العزيز آل سعود موقف الشيخ سالم بموقف مضاد، فطلب من ابن شقير شيخ قبيلة المطير بناء هجر (قرى) للإخوان في جريا العليا الواقعة شمالي غرب دوحة البلبول<sup>(٢)</sup>، وهي تقع ضمن أراضي الكويت بنظر الشيخ سالم، فاحتجَّ هذا لدى وكيل ابن سعود في الكويت خالد النفيسي، كما احتجَّ أيضاً لدى مور الوكيل السياسي البريطاني في الكويت أملاً ألا تصل الأمور إلى حدِّ الصدام العسكري، لكن العلاقات المتوترة بينهما أخذت تزداد سوءاً، فأرسل الشيخ سالم قوة عسكرية بقيادة الشيخ دعيج بن سليمان إلى جريا العليا وأمره بأن يُعسكر فيها، وقد هدف إلى تأكيد حقوق بلاده عليها، ويحول بين ابن شقير وبين بناء هجر للإخوان بالإضافة إلى حماية الكويت من هؤلاء، لكن ما كاد دعيج يصل إلى جريا العليا حتى اصطدم بفيصل الدويش أمير الأرتاوية الموالي لابن سعود، إلا أنه تعرَّض للهزيمة، وأدت هذه الحادثة في اليوم التالي إلى نشوب معركة حمض المشهورة في التاريخ الكويتي في الأول من حزيران ١٩٢٠م التي انهزمت فيها القوات الكويتية أيضاً ونجا دعيج مع بعض قواته<sup>(٣)</sup>.

لم يستثمر ابن شقير انتصاره في حمض للسيطرة على الكويت وكانت الفرصة متاحة له، ويبدو أن كمية الأسلاب الكبيرة وحرارة فصل الصيف المرتفعة حالت بينه وبين ذلك. لم تحلَّ الصدامات بين الطرفين مسألة الحدود، فتدخلت بريطانيا في هذا الأمر، وبعد تبادل المراسلات بين الأطراف الثلاثة، وافقوا على تعيين مُحكِّمين للحدود، غير أن مشروع التحكيم فشل بسبب التصلب في المواقف، فقد اشترط الأمير عبد العزيز آل سعود أن يسحب الشيخ سالم قواته من قرية الجهراء، فطلب الأمير الكويتي من جهته تدمير الاستحكامات التي بناها الإخوان في جريا العليا والانسحاب من مقاطعات الكويت الجنوبية<sup>(٤)</sup>، وقد دفع هذا الفشل الطرفين إلى الصدام العسكري في الجهراء التي انتصرت فيها القوات السعودية بقيادة فيصل الدويش، وتحصَّن الشيخ سالم مع فلول قواته في قصر المدينة، وكان واضحاً إذا ما سقطت الجهراء فإن الإخوان سوف يتقدمون صوب مدينة الكويت نفسها، ولما نُمي

(٢) المرجع نفسه. الرشيد: ج٢ ص٢١.

(١) الشيخ خزعل: ج٤ ص٢٢١.

(٤) المرجع نفسه: ص٢٣٧ وما بعدها.

(٣) الشيخ خزعل: ج٤ ص٢٢٥.

إلى الشيخ أحمد الجابر نائب الشيخ سالم نبأ الهزيمة والحصار؛ أرسل قوة عسكرية على وجه السرعة لإنقاذ الموقف، كما أرسل مدداً عن طريق البحر نزل على مقربة من مكان المعركة، ففتت ذلك في عضد الإخوان، وبفعل أن ذخيرتهم كانت على وشك النفاد؛ مالوا إلى الصلح وفق الشروط الآتية:

- عودة الكويتيين إلى التعاليم الصحيحة للإسلام.

- ترك الكويتيين المنكرات والتدخين.

- تكفير الكويتيين للترك.

- إخراج القنصل البريطاني من الكويت.

- هدم المستشفى الأميركي وطرده أطبائه.

- ترحيل الشيعة من الكويت<sup>(١)</sup>.

استنكر الشيخ سالم الشرط الأول لأنه يصوره خارجاً على الدين، وأعلن أنه يعمل على إزالة مضمون الشرط الثاني، ولم يثبت عنده أن الأتراك كفّار، ورفض الشروط الثلاثة الأخيرة، فاستؤنف القتال، ثم تظاهر الشيخ سالم بالإذعان لشروط فيصل الدويش في خطوة سياسية تمويهية، وأنه سيعقد معه اتفاقية لدى عودته إلى الكويت، ولما وصل إلى عاصمته تنصّل من القبول.

الواضح أن الشيخ سالم كان واقفاً بين أحد أمرين: إما القبول بشروط فيصل الدويش أو الارتقاء في أحضان البريطانيين حتى يضمن الحماية لبلده، فاختار الأمر الثاني، ودارت اتصالات بين الوكيل البريطاني في الكويت والمندوب السامي في العراق والمقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي ثم بين حكومتي لندن والهند، استمرت ثلاثة أيام وأسفرت عن موافقة بريطانيا على إرسال قوات بحرية وجوية لحماية الشيخ سالم والدفاع عن الكويت<sup>(٢)</sup>.

عند هذه المرحلة من تطور المشكلة جنح الأمير عبد العزيز آل سعود إلى السلم، فصرّح بأن أعمال الإخوان العدوانية جاءت خلافاً لرغباته وأوامره، وأوضح له المقيم السياسي البريطاني مور أنه إذا جدّد الإخوان هجومهم على الكويت، فإن ذلك يُعدّ تصرفاً معادياً للسلطات البريطانية والكويتية، ويدفع الحكومة البريطانية إلى التدخل، وفعلاً أرسلت بريطانيا سفينتين حربيتين وطائرتين عسكريتين من العراق، فاضطر فيصل الدويش إلى وقف هجماته، وأبلغت الحكومة البريطانية الشيخ سالم بوقف سفك الدماء وحل المشكلة مع ابن سعود بصورة ودّية<sup>(٣)</sup>.

(١) الشيخ خزعل: ج٤ ص ٢٧٦. الشعلان، سيف مرزوق: من تاريخ الكويت: ص ١٩٠.

(٢) الشيخ خزعل: ج٤ ص ٢٧٦. (٣) المرجع نفسه: ص ٢٧٨.



وجرت مفاوضات السلام في العقير، وتوفي الشيخ سالم أثناء المفاوضات كما ذكرنا.

## الشيخ أحمد الجابر الصباح

### سياسته الداخلية

هو عاشر أمراء أسرة آل الصباح في الكويت، شهد عهده تأسيس الدوائر الحكومية وقيام نهضة شاملة تربوية وأدبية وتعليمية عبر إنشاء المدارس، وإرسال البعثات الكويتية إلى الخارج، واستقدام البعثات التعليمية من الأقطار العربية، وقد وصلت أول بعثة عربية من فلسطين في عام ١٩٣٦م، وتمّ منذ عام ١٩٢١م تشكيل مجلس الشورى ومجلس البلدية، والمعارف، والمجلس التشريعي، وذلك استجابة لرغبة المواطنين بالاشتراك في الحكم، إلا أن هذه التجربة فشلت لأن الشيخ أحمد لم يرد لها النجاح بسبب الخلاف بين الحكومة والمجالس<sup>(١)</sup>.

وأعلن الشيخ أحمد الجابر في مستهل عام ١٩٣٩م وتحت ضغط الأحداث الداخلية المطالبة بالإصلاح، وبناء على نصيحة حلفائه البريطانيين؛ منح البلاد دستوراً جديداً سرعان ما تبين أنه يُكرس الكويت دولة عربية تحت الحماية البريطانية، وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية في العام المذكور كانت الأوضاع السياسية في الداخل الكويتي مستقرة نسبياً في ظل إجراءات أمنية مشددة، ووافقت الأوساط الكويتية الحاكمة على مرابطة حاميات بريطانية معززة وإنشاء قاعدة بحرية بريطانية في جون الكويت، والمعروف عن الشيخ أحمد الجابر أنه كان حاكماً قديراً ومُحنكاً خرج من الصعوبات الداخلية التي واجهته وقد ازداد تمسكاً بالسلطة، فكان ينحني أمام العاصفة ويوافق على منح البلاد دستوراً، ويُلبي طموحات الشعب إلى الحرية السياسية ثم ينتظر الظروف التي تمكنه من طي صفحاته، فاستطاع بذلك أن يمتص المعارضة تدريجاً ويُجمّد التذمّر في البلاد.

### سياسته الخارجية

تتداخل العلاقات الكويتية الخارجية مع تاريخ العلاقات الإقليمية، وشهدت مشكلات الحدود بين الكويت والسعودية وبين الكويت والعراق تطورات خطيرة في عهد الشيخ أحمد الجابر، فقد أتاحت وفاة الشيخ سالم واعتلاء الشيخ أحمد الجابر

(١) خضر، بشارة: أوروبا وبلدان الخليج: ص ٤٩.

الحكم في الكويت؛ إقامة علاقات ودّية مع السعودية، فقد تدخلت بريطانيا لتهدئة الوضع وإيجاد حلولٍ لمشكلات الحدود، في الوقت الذي كانت فيه الحكومة البريطانية قد فرضت انتدابها على العراق ورغبت في تسوية هذه المشكلات بين ممتلكاتها والبلدان المجاورة، وبخاصة بين الكويت وبين السعودية والعراق، فكانت اتفاقية العقير في ٢ كانون الأول ١٩٢٢م<sup>(١)</sup>.

أخذت اتفاقية العقير بمبدأ المناطق المحايدة، فاقطع بيرسي كوكس الذي أدار المفاوضات عن الجانب البريطاني مساحة كبيرة من منطقة الحدود الكويتية وضمّها إلى العراق، وكانت السعودية تطالب بها، وللتعويض على ابن سعود منحه بيرسي كوكس مساحة كبيرة من أراضي الصحراء التي كانت الكويت تدّعي السيادة عليها. وأقيمت منطقة محايدة بين البلدين تبلغ مساحتها خمسة آلاف كيلومتر مربع<sup>(٢)</sup>.

والواضح أن المعاهدة أعطت البلدين حقوقاً متساوية، لكنها لم تُحدّد ما إذا كانت إدارية أو أنها حق المشاركة في الموارد الطبيعية، ما استدعى تعديلها في نيسان عام ١٩٤٢م بعد أن نشطت حركة التنقيب عن النفط، واتفق الطرفان على تقسيمها بينهما.

وكان الحكام العراقيون يتطلعون إلى استعادة الكويت وضمها إلى العراق بوصفها كانت تابعة لولاية البصرة، وفي عام ١٩٣٨م تجددت حركة الإصلاح في الكويت، وتركزت مطالبها على إقامة حكم دستوري، وتنظيم البلاد على أسس حديثة، وإغلاق أبواب الهجرة بوجه الأجانب وبخاصة الإيرانيين، والسماح للعرب بدخول البلاد، وضرورة التعاون بين الكويت والعراق<sup>(٣)</sup>، وتمّ انتخاب مجلس تشريعي مكوّن من أربعة عشر عضواً، وقد تعرّض في كانون الأول ١٩٣٧م للعلاقة مع العراق، وأقدم على خطوة جريئة عندما صوّت عشرة من أعضائه على ضم الكويت إلى العراق، فتمت ملاحظتهم، فسُجن بعضهم ونُفي آخرون وقُتل بعضهم الآخر<sup>(٤)</sup>.

ونشطت في تلك الأيام في المملكة العراقية، المساعي لاستعادة الكويت، وكان البريطانيون يعارضون هذا التوجه، وقد أدى ملك العراق غازي دوراً مهماً في سبيل تحقيق الوحدة بين البلدين، فقد أنشأ محطة إذاعة كانت تبث من قصر الزهور في

(١) Izzard, Molly: The Gulf p218.

(٢) انظر فيما يتعلق بمؤتمر العقير ونتائجه: الشيخ خزعل: جهه ص ١٣٢ - ١٤٣ حيث تفاصيل مسهبة.

(٣) الرئيس، رياض نجيب: رياح السموم: ص ٢٦٦.

(٤) الموصلية: ص ٢١٧.

بغداد، وحرّض الكويتيين على الثورة والانضمام إلى العراق، فتمّت تصفيته بحادث سيارة من أجل ذلك عام ١٩٣٩م، على أن نواة الفكرة وجدت أرضاً صالحة في البلدين، لكن اكتشاف النفط أخمدها، ومع ذلك فإن تياراً كويتياً كبيراً ظلّ ينشط لتحقيق هذا الهدف، وكانت الحكومة الكويتية تواجه هذا التيار بحزم.

ودخلت منطقة الخليج العربي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥م وظهور النفط في وضع جديد، فزاد عدد سكان الكويت عن مائة ألف نسمة يعملون في التجارة وصيد السمك واللؤلؤ على طول الساحل، وتراجع الإنتاج الحرفي من الغزل والنسيج وبناء القوارب والمعالجة الأولية للجلود التي اشتهر بها الكويتيون، وسيطرت الشركات البريطانية على تجارة العبور (الترانزيت) من وإلى الخليج، فساءت الأوضاع الاقتصادية وساد التذمر بين الكويتيين.

وكان الشيخ أحمد الجابر يميل إلى التفرد بالحكم، وهو على قدر كبير من بُعد النظر السياسي، فاستطاع أن يواجه الضغوط البريطانية، وصمد في وجه الضغوط العربية من حوله لاستيعابه والهيمنة على قراره، واثارت في وجهه انتفاضة شعبية قوية ومؤثرة، لكنه خرج من الصعوبات وقد ازداد تمكناً من السلطة، واكتسب خبرة كبيرة في مواجهة المفاجآت على اختلافها.

ونقل اكتشاف النفط في الكويت واستخراجه واستثماره، البلد إلى مرحلة جديدة في تاريخه، فقلب الأوضاع الاقتصادية، وربطه مع العالم الخارجي. وأخذت عائدات النفط تتدفق على الكويت، فأحدثت ثورة في الإنماء والعمران بل في جميع نواحي الحياة الكويتية، وتداخلت مصالح البلد مع مصالح الدول الأوروبية الاقتصادية.

وبدأت المصالح الأميركية النفطية تتمدّد إلى الكويت بدءاً من عام ١٩٤٨م تجذبها آبار النفط، فكانت باكورة الاتفاقيات الكويتية - الأميركية حصول شركة «أميركان انديبننت أويل كومباني» على حق استخراج النفط لمدة ستين عاماً في الجزء العائد للكويت من المنطقة المحايدة، ما يُعدُّ بداية التدخل الأميركي في الخليج بعامة.

وكانت عائدات النفط لا تزال زهيدة، لم تزد على أربعة عشر مليون دولار بين عامي ١٩٤٦ و١٩٤٩م، وهذا ما كان في أساس ازدياد النقمة في أوساط الكويتيين وقيام الإضرابين المشهورين في عام ١٩٤٨م وعام ١٩٥٠م.

وتوفي الشيخ أحمد الجابر في غضون ذلك في عام ١٩٥٠م.

## الشيخ عبد الله السالم الصباح

خلف الشيخ عبد الله السالم الصباح الشيخ أحمد الجابر بعد وفاته، وقد عزم على العمل على تحقيق استقلال الكويت، وزيادة نسبة العوائد النفطية، ومن أجل تحقيق الهدف الثاني دخل في مفاوضات مع شركة نفط الكويت، أفضت إلى رفع حصّة الكويت من هذه العوائد إلى النصف، وبفعل تفاقم الخلافات بين أفراد الأسرة أعلن الشيخ عبد الله عن تنازله عن الحكم، ثم تراجع عن ذلك، وكانت الكويت من أكبر المنتجين للنفط، فاستخدم الشيخ عبد الله جزءاً من هذه الثروة للتنمية الاقتصادية، وعُرف عن الشيخ عبد الله أنه من أنصار الوحدة الوطنية، فتقرّب من الفئات الشعبية، وأجرى إصلاحات شاملة، فقد كلّف المستشارين البريطانيين وضع خطة سداسية للتنمية الاقتصادية، ونظّم عمل الدوائر الحكومية مثل دوائر الشرطة والمعارف والمالية وغيرها، وعيّن على رأس كل دائرة أحد أفراد الأسرة الحاكمة، وكوّن مجلساً أعلى من رؤساء الدوائر يختص بالنظر في الأمور الإدارية في الدولة، كما أسند الإشراف على بعض الدوائر المهمة إلى مجالس شبه منتخبة كمجلس المعارف والصحة والبلدية، وفي ١٩ تموز ١٩٥٤م صدر قانون بتشكيل لجنة عليا لوضع سياسة موحدة للإصلاح الداخلي وتنظيم دوائر الحكومة، وقرّرت تقسيم الدوائر إلى ٢١ دائرة ومصالحة تتولى الأمور والمرافق العامة<sup>(١)</sup>.

ونشأت في الكويت تيارات شعبية متعددة الأصول الطبقية، منها التجار والمثقفين وعمال النفط، وقد توحدت في المطالبة بوضع الأسس الضرورية لإقامة حكم دستوري، لكن الشيخ الحاكم لم يستجب تماماً لهذا المطلب؛ الأمر الذي أدّى إلى اتساع الهوة بين الحاكم والمحكومين كان يُغذيه البريطانيون<sup>(٢)</sup>.

وبرزت منظمات سياسية شبه حزبية، مثل «اللجنة الوطنية لأنصار السلم» و«الرابطة الديمقراطية الكويتية» التي طالبت بوضع دستور جديد والحد من التدخل البريطاني - الأميركي في شؤون البلاد، ونجحت في عدم انضمام الكويت إلى اتحاد إمارات الخليج الذي كانت بريطانيا تُخطط له قبل انسحابها من المنطقة، وربطت قبل أن تنسحب جميع الاستثمارات النفطية للإمارات والمشيخات الخليجية التي كانت تابعة لها بمصارفها وبيوتها المالية.

وطالبت الرابطة الديمقراطية في عام ١٩٥٥م بإقامة جبهة وطنية موحدة واستعادة

(١) البهارنة، حسين محمد: دول الخليج العربي الحديثة: ص ٨٩.

(٢) الموصل: ص ٢٢١.

الودائع المحفوظة في المصارف البريطانية واستخدامها في مشاريع التنمية، وقاطعت الكويت البضائع والمؤسسات البريطانية والفرنسية إثر حرب السويس عام ١٩٥٦م تضامناً مع الشعب المصري، وقامت مظاهرات صاخبة بتأثير المعارضة تجاوباً مع المحيط القومي، ولما تدخلت بريطانيا لقمع الحركات الشعبية ازداد الوضع توتراً؛ وبخاصة بعد تفجير أنبوب النفط في الأحمدية، فعمدت القوات البريطانية إلى التمرکز في المواقع المفصلية في مدينة الكويت وضواحيها، وقد تمّ ذلك بموافقة الحكومة الكويتية، واضطرت إدارة شركة نفط الكويت إلى تخفيف الضغط الشعبي عبر تحسين الظروف المعيشية للعمال ودعم برامج التنمية الاقتصادية التي تنفذها الحكومة بعد أن استلمت بعض الصلاحيات والإدارات من البريطانيين، وتفاعل الشارع الكويتي آنذاك مع أحداث العالم العربي التي نشطت في هذه المرحلة ومنها إعلان الوحدة المصرية - السورية في شباط ١٩٥٨م، وقيام ثورة ١٤ تموز في العراق.

لكن السلطات البريطانية لم تظمن لهذا النهوض الكويتي الذي يشكل خطراً على مصالحها، لذلك عمدت إلى ضبط وتنظيم الأحزاب والنقابات والمنظمات الاجتماعية، وجرت ملاحقة المتشددين، لا سيما من اشتبه بأنه شيوعي علماً بأنها كانت من التهم الخطيرة آنذاك وتستخدم كذريعة للاعتقالات والتصفيات، واشتدّت في نهاية الخمسينات المطالبة بالحياة الدستورية وإنهاء سلطة الحماية البريطانية.

وبدأت الحكومة الكويتية بدءاً من عام ١٩٦٠م تؤسس ممثلات سياسية لها في عدد من الدول العربية، واضطرت بريطانيا إلى الاعتراف بذلك، وواصل الشيخ عبد الله السالم الصباح مطالبته بتحقيق الاستقلال الناجز، ودخل في مفاوضات في هذا الشأن مع بريطانيا، أسفرت في ١٩ حزيران ١٩٦١م عن التوقيع على اتفاقية ألغت اتفاقية عام ١٨٩٩م، وأعلن الشيخ عبد الله السالم الصباح في التاريخ المذكور استقلال الكويت، وتضمنت اتفاقية الاستقلال:

- إلغاء معاهدة عام ١٨٩٩م.
- اعتراف بريطانيا بالكويت دولة مستقلة في الشؤون الداخلية والخارجية.
- تدافع بريطانيا عن الكويت في حال الاعتداء الخارجي عليها<sup>(١)</sup>.
- تشاور الحكومتان الكويتية والبريطانية في الأمور التي تهم البلدين.
- استمرار العلاقات الودية بين البلدين<sup>(٢)</sup>.

(١) ألغي هذا البند بعد ذلك في ١٣ أيار، ١٩٦٨م.

(٢) البحارنة: ص ٨٥ - ٩٥.

الواقع أنه كان من الضروري الوصول إلى اتفاق جديد بين الكويت وبريطانيا، لأن اتفاق عام ١٨٩٩م أضحى غير ذي معنى بعد الوعي القومي والوثبة العربية الشاملة ضد التسلط الأجنبي، والتدخل في شؤون العالم العربي، والتطور الاقتصادي الناتج عن استثمارات النفط<sup>(١)</sup>.

وقُبلت الكويت عضواً في جامعة الدول العربية بعد شهر واحد من إعلان استقلالها، كما قُبلت عضواً في منظمة الأمم المتحدة في ١٤ أيار ١٩٦٣م<sup>(٢)</sup>.

جاء ردُّ الفعل العراقي على إعلان استقلال الكويت سريعاً، فقد أعلن رئيس الوزراء العراقي عبد الكريم قاسم رفضه لاستقلال الكويت، وطالب بإعادة ضمّها إلى العراق بوصفها كانت تابعة لولاية البصرة، وأن الشعب الكويتي هو جزء من الشعب العراقي<sup>(٣)</sup>.

والمعروف أن علاقة الكويت بالعراق، علاقة وثيقة بحكم صلات الجوار والاختلاط بينهما إذ يتردّد كثير من أهالي البصرة والزيبر على الكويت، وقيمون بها من دون جوازات سفر أو تأشيرات دخول، كما أن لكثير من الكويتيين أملاك ومصالح حيوية في العراق، وكان لأواصر القربى والمصاهرة شأن كبير بين البلدين؛ ما جعل التجارة متبادلة، والمصالح مرتبطة فيما بينها، فضلاً عن أن الكويت ظلّت مدة طويلة من الزمن تعتمد على مياه شط العرب<sup>(٤)</sup>، ومنذ عام ١٩٥٥م بدأت المساعي العراقية تظهر واضحة مستهدفة ضمّ الكويت إلى حلف بغداد قادها رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد، وتجددت هذه المساعي لضم الكويت إلى الاتحاد الهاشمي الذي كان مقترحاً بين العراق والأردن في عام ١٩٥٨م، لكن التطورات السياسية في منطقة الشرق الأوسط حالت دون إخراج الاتحاد إلى حيّز الوجود.

أثار موقف عبد الكريم قاسم عاصفة من الاحتجاجات وبخاصة في لندن والقاهرة، إذ ارتكزت السياسة البريطانية في علاقتها بالكويت على حمايتها من جيرانها حرصاً على مركزها كقاعدة مهمة من قلاع الاسترليني في منطقة الشرق الأوسط، فضلاً عن مصالح النفط البريطانية في الكويت، ثم إن العلاقات المصرية - العراقية كانت آنذاك متوترة بسبب قيام الوحدة مع سوريا.

(١) الموصلية: ص ٢٢٣.

(٢) البحارنة: ص ٩٥.

(٣) الموصلية: ص ٢٢٥. انظر نص البيان الصحفي لعبد الكريم قاسم بشأن ضم الكويت: فوزي،

أحمد: قاسم والكويت: ص ٤٥ - ٥٣.

(٤) الفرخان: ص ١٥٩.

ولعل ما ارتكز عليه عبد الكريم قاسم في إثارة هذه المشكلة يستند على عاملين:

الأول: صلات الكويت التاريخية بالدولة العثمانية.

الثاني: حق العراق بوصفه وريثاً للدولة العثمانية أو للعراق العثماني في السيطرة على المناطق التي كان يستحوذ عليها في الماضي<sup>(١)</sup>.

والحقيقة أن ادعاءات عبد الكريم قاسم في الكويت لم يكن لها مبرر قانوني، ولا تعدو كونها ادعاءات سياسية؛ بدليل أن الكويت كانت تُمارس استقلالاً ذاتياً في ظل تبعيتها للدولة العثمانية، ووقفت إلى جانب بريطانيا في الحرب العالمية الأولى ضدّ الدولة العثمانية، وتسلّمت مقابل ذلك وعداً بالاستقلال تحت الحماية البريطانية، ثم إن معاهدتي سيفر ١٩٢٠م ولوزان ١٩٢٣م أكّدتا استقلال العراق عن الدولة العثمانية ثم عن الجمهورية التركية، من دون أن تشيرا إلى تبعية الكويت له، وأن العراق خضع لنظام الانتداب البريطاني في حين ظلّت الكويت تحت الحماية البريطانية<sup>(٢)</sup>.

ومهما يكن من أمر؛ لم يقف الشيخ عبد الله مكتوف اليدين أمام الادعاءات العراقية، بل سارع إلى التماس المساعدة من الأمم المتحدة وبريطانيا، وكانت التلبية البريطانية سريعة متذرعة ببند الدفاع والصدقة، وبنداء شيخ الكويت لحمايته، فأنزلت خمسة آلاف جندي في الكويت واحتلت البلاد من جديد في تموز ١٩٦١م، كما لو كانت اتفاقية عام ١٨٩٩م لا تزال سارية المفعول، وقد خشيت على مصالحها الحيوية في هذا البلد، وأيدت الولايات المتحدة الأميركية موقف بريطانيا، إذ كان هناك اعتقاد لدى الدوائر الأميركية بأن الاتحاد السوفياتي كان يقف وراء عبد الكريم قاسم رغبة في تعقيد الموقف الدولي، وإذا قُدّر لبريطانيا أن تتخلى عن توابعها في الخليج العربي، فإن العالم الغربي وحلف شمالي الأطلسي قد ينهاران تماماً<sup>(٣)</sup>.

وطُرحت المسألة أمام مجلس الجامعة العربية، فتمرّر:

- أن تلتزم الكويت بسحب القوات البريطانية التي كانت قد استدعتها في أقرب وقت ممكن.

- أن تلتزم حكومة الجمهورية العراقية بعدم استخدام القوة في ضمّ الكويت.

- تأييد كل رغبة تبديها الكويت بالوحدة أو الاتحاد مع غيرها من دول الجامعة طبقاً لميثاقها.

(١) AL Baharna: p252.

(٢) قاسم: ج٤ ص٧٢ - 256. Ibid. pp 255 - 256.

(٣) قاسم: ج٤ ص٧٧.

- الترحيب بالكويت عضواً في الجامعة العربية.

- تلتزم الدول العربية بتقديم المساعدة الفعّالة لصيانة استقلال الكويت على أن يكون ذلك بناءً على طلبها<sup>(١)</sup>.

ووقع الشيخ عبد الله في ١٢ آب ١٩٦١م اتفاقية خاصة مع جامعة الدول العربية بشأن وضع قوات عربية في الكويت تحلّ محلّ القوات البريطانية<sup>(٢)</sup>، وتقرّر إرسال وحدات من السعودية، والسودان، ومصر - سوريا، والأردن، فوصلت طلائعها إلى الكويت في أيلول ١٩٦١م، وانسحبت القوات البريطانية بطلب من الحكومة الكويتية.

طلّت القوات العربية في الكويت حتى عام ١٩٦٣م، وعندما سقط عبد الكريم قاسم في العام المذكور اعترف العراق بسيادة واستقلال الكويت.

توجّهت الكويت بعد إعلان استقلالها واعتراف المجتمع الدولي بها، إلى وضع دستور للبلاد يُحدّد أصول الحكم، وكان الشارع الكويتي يُطالب بالحياة الدستورية وتقييد سلطة الحكم ضمن إطار الديمقراطية البرلمانية، وفي كانون الثاني ١٩٦٢م صدر الدستور المؤقت الذي نصّ على أن الكويت دولة مستقلة برأسها الشيخ عبد الله السالم الصباح، وتضم الحكومة وزراء يعينهم رئيس الدولة، ويُشكّل مجلس تأسيسي يضع دستوراً دائماً للبلاد أقرّ في نهاية العام المذكور، وقد وضعه السنهوري باشا، وينصّ على أن الكويت إمارة وراثية لعائلة مبارك الصباح، وأن الأمير هو الذي يُعين رئيس الوزراء، وأن مجلس الأمة هو السلطة التشريعية العليا مع الأمير، وضرورة تعريب أجهزة الدولة، وتلا ذلك انتخاب مجلس الأمة الكويتي في ٢٣ كانون الثاني ١٩٦٣م ضمّ أربعة وعشرين عضواً انتُخبوا من الشعب وأربعة عشر عضواً تم تعيينهم، وهم الوزراء الذين تنازلوا عن حقهم في التصويت ليتيحوا المجال للأعضاء المنتخبين في اتخاذ القرارات من دون تدخل منهم، وحلّ هذا المجلس محلّ مجلس شيوخ القبائل، فانتقلت الكويت بذلك من مرحلة النظام القبلي إلى مرحلة الدولة الديمقراطية البرلمانية، ولُقّب الشيخ عبد الله السالم الصباح بأبي الدستور<sup>(٣)</sup>.

## مكتبة

t.me/soramnqraa

(١) قاسم: ج٤ ص٧٩.

(٢) انظر نص الرسائل بين أمير الكويت والأمين العام لجامعة الدول العربية بشأن وضع قوات أمن عربية، في المرجع نفسه: ص٣٧٩ - ٣٨٩.

(٣) أسيري، عبد الرضا علي: الكويت في السياسة الدولية المعاصرة: ص١٢٨.



لم تستقر الأوضاع الداخلية في الكويت على الرغم من إقرار الدستور الجديد، فازداد النشاط السياسي، وكثرت المطالب على مختلف المستويات، وتعارضت سياسة الحكومة مع وجهة النظر الشعبية في أمور كثيرة، وحاولت الحكومة لجم الهامش الديمقراطي الآخذ بالانتساع بقرارات أصدرتها عام ١٩٦٤م حالت دون قيام أحزاب سياسية، ويقانون أقره مجلس الأمة حدًا من حرية الصحافة، وسمحت الحكومة في المقابل بإنشاء النقابات.

ودخلت عوامل أخرى باعدت بين وجهات النظر والمواقف، من ذلك ممارسة الضغوط لإجبار شركات النفط الأجنبية على تعديل الاتفاقيات وتقديم تنازلات جديدة، كما دخلت البلاد في أزمة سياسية بفعل الصراع الداخلي بين أفراد الأسرة الحاكمة، فقد حاول ولي العهد آنذاك الشيخ صباح السالم الصباح معالجتها، فشكّل وزارة ائتلافية في بداية عام ١٩٦٥م لم يشارك فيها سوى أربعة من آل الصباح، ثم برزت ظاهرة ملفتة هي قيام معارضة على رأسها وزير المالية والصناعة والتجارة الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح يدعمه عمه الشيخ عبد الله الجابر، وتوفي أمير الكويت الشيخ عبد الله السالم الصباح في غضون ذلك في ٢٥ تشرين الثاني عام ١٩٦٥م.

## الشيخ صباح السالم الصباح

### السياسة الداخلية

تسلّم ولي العهد الشيخ صباح السالم الصباح الحكم بعد وفاة الشيخ عبد الله السالم الصباح، وأضحى الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح ولياً للعهد ورئيساً لمجلس الوزراء، فعين شقيقه في وزارات: المالية والصناعة والتجارة كي يمسك بمفاصل الاقتصاد الكويتي، وظلّت الخلافات الداخلية، في وجهات النظر بالنسبة لإدارة البلاد ناشطة، وقد أفرزت تيارات وكتل سياسية معارضة ضمت في صفوفها النخبة الكويتية المثقفة، وانضم إليها بعض أفراد الأسرة الحاكمة ممن لم يستطع الاشتراك في الحكم.

وشهدت الكويت في النصف الثاني من عقد الستينات تحركات شعبية معارضة حملت شعارات مُتجددة، أهمها: الدعوة إلى مزيد من الديمقراطية وجعل الكويت أكثر حياداً، ويبدو أن الشيخ صباح السالم الصباح مال إلى الاستجابة لهذا التيار وإبراز دور الكويت العربي، فعند توليه السلطة قام بجولة عربية للتوسط في النزاع بين

مصر والسعودية حول اليمن، ولما عاد من هذه الرحلة تكوّن لديه انطباع عن المشكلات التي يواجهها العالم العربي، وتجنباً لما قد يواجهه من مشكلات داخلية، ضيق على الحريّات، فأصدر قانوناً منع بموجبه الموظفين من التدخل في العمل السياسي أو ممارسته، وشجّع الصحف المحافظة، وعندما جرت الانتخابات للدورة الثانية للمجلس النيابي في ٢٥ كانون الثاني ١٩٦٧م، خرج زعيم المعارضة أحمد الخطيب مع معظم أنصاره من المجلس، فاتّهم الحكومة بتزوير الانتخابات<sup>(١)</sup> ووقعت انفجارات عدة احتجاجاً على ذلك، كما قامت المظاهرات والمسيرات الاحتجاجية، ما دفع الحكومة إلى إغلاق سبع صحف، وأبطلت نيابة سبعة نواب من المعارضين، وأجرت انتخابات فرعية لملء مقاعدهم، وتشكّلت حكومة جديدة برئاسة ولي العهد الشيخ جابر الأحمد تولى فيها أعضاء من الأسرة الحاكمة وزارات: الدفاع والداخلية والتجارة والصناعة والخارجية، والإرشاد القومي والإعلام، وهي الوزارات الرئيسة في البلاد، ما زاد في حدّة المعارضة، واستفزاز القطاعات الشعبية المختلفة. لكن المعارضة بلغت من القوة والنفوذ في المجلس التشريعي حداً جعل هذا المجلس يوافق على قانون يُقلّص مخصصات أمير الكويت.

ونجح مجلس الأمة في بداية عام ١٩٧٠م إلى دفع الحكومة إلى إعادة التفاوض مع شركة نفط الكويت المحدودة فيما يتعلّق بنسبة المشاركة الوطنية في أسهم الشركة.

وجرت انتخابات نيابية في عام ١٩٧١م، ويبدو أن الحكومة أتاحت للقوميين العرب فرصة العودة إلى المجلس بعد تراجع قوتهم السياسية عقب هزيمة عام ١٩٦٧م، لا سيما وأن الكويت أضحت تُسهم في الدعم المالي لمنظمة التحرير الفلسطينية وللدول المواجهة، الأمر الذي متّن وضعها، وفاز أربعة من القوميين في هذه الانتخابات لم يكن أحمد الخطيب من بينهم، ودخل المجلس الجديد ثلاثة عشر عضواً من خريجي الجامعات، وهي أكبر نسبة من المثقفين الجامعيين تدخل المجلس. شكّلت هذه الانتخابات تجربة سياسية متقدمة، وجرّت ترتيبات وزارية عكست المسار الديمقراطي واستجابة الحكم للمطالب الشعبية، وتقلّص عدد أعضاء الأسرة الحاكمة في الحكومة من خمسة إلى ثلاثة.

وحظّت الكويت في عام ١٩٧٤م خطوات متقدمة أخرى على طريق تملك النفط عندما نقلت إلى ملكيتها ٦٠٪ من الامتيازات النفطية إلى شركة النفط الكويتية، وانتهى الأمر في عام ١٩٧٥م بانتقال ملكية النفط إلى الدولة، وقد قامت سلطة مجلس البترول الأعلى على إدارته.

(١) العقاد، صلاح: التيارات السياسية في دول الخليج: ص ٢٨١ - ٢٨٢.

واكتسبت انتخابات عام ١٩٧٥م حيوية شديدة، وشهدت تنافساً حاداً وارتفاعاً في نسبة عدد المقترعين والمرشحين، وقد فشل في هذه الانتخابات عدد من النواب الذين كانوا أعضاء في المجلس منذ الاستقلال وحلّ محلّهم نواب شبان لا صلةً قبليّةً لهم<sup>(١)</sup>، وظهرت للمرة الأولى في هذه الانتخابات أيضاً جماعة الإصلاح المعبرة عن التوجه الإسلامي المحافظ، ولقيت يومئذٍ تأييداً من الحكومة<sup>(٢)</sup>.

وأقدمت الحكومة في ٢٩ آب ١٩٧٦م على حلّ مجلس الأمة وتعليق الحياة النيابية لأسباب خاصة بالأمن القومي في بداية الحرب الأهلية في لبنان، بالإضافة إلى الخلاف الذي ظهر بين المجلس والحكومة حول تفسير المادتين ٩٨ و١٠٤ من الدستور، وتولى الأمير ومجلس الوزراء الاختصاصات المخولة للمجلس بموجب الدستور، وصدر مرسوم بتشكيل لجنة من عشرين شخصاً سمّيت «لجنة تنقية الدستور» انحصرت مهمتها في مراجعة المواد الدستورية وإدخال بعض التعديلات عليها لتفادي العيوب التي أظهرها التطبيق العملي، ولكن اللجنة لم تتوصّل إلى أي نتيجة.

والواقع أنه جرى خلاف بين المجلس والحكومة حول تطبيق المادتين ٩٨ أو ١٠٤ من الدستور، إذ رأى المجلس تطبيق المادة ٩٨ القاضية بأن تتقدم الحكومة فور تشكيلها ببرنامجه الوزاري إلى المجلس، في حين رأت الحكومة الاكتفاء بالتقيد بمضمون المادة ١٠٤ من الدستور القاضية بالقاء الأمير خطاباً أميرياً في افتتاح دورة الانعقاد السنوي للمجلس يُضمّنه مختلف الشؤون العامة، ونتيجة لهذا الاختلاف في وجهات النظر بين الجانبين، صدر مرسوم أميري بحلّ المجلس، وفرضت الحكومة بعض القيود على حرية الصحافة والاجتماعات، غير أن تلك الأزمة الدستورية أسفرت عن توجهات ديمقراطية تمثّلت بفرض المجلس رأيه في تفسير بعض النصوص الدستورية وتأكيد حقه في الحصول من الحكومة على برنامج وزاري يُشكّل الأساس لمحاسبتها، وهذا ما تحقّق في عام ١٩٨١م<sup>(٣)</sup>.

## العلاقات الكويتية - العربية

عكست السياسة الداخلية للكويت تأثيراً إيجابياً على علاقاتها الخارجية، اتسمت بالاعتدال والتوازن، وإقامة علاقات مع الدول مبنية على الاحترام المتبادل وحق

(١) شمیل، ایف: بلدان الخليج العربي ومسألة التحديث: ص ٩٢.

(٢) الرميحي، محمد: تحليل انتخابات عام ١٩٧٥م، في مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، تموز، ١٩٧٥م.

(٣) الطباطبائي، عادل: السلطة التشريعية في دول الخليج العربية: ص ٣٣٥ - ٣٣٧.

الشعوب في تقرير مصيرها وعدم التدخل في شؤونها الداخلية وحماية استقلالها، وسياسة حسن الجوار.

عزّزت الكويت في عهد الشيخ صباح السالم الصباح علاقاتها مع الدول العربية عبر زيادة الرأسمال المخصّص للتنمية الاقتصادية العربية من مائة مليون دولار إلى مائتين وخمسين مليون دولار، ولم تدّخر جهداً في تنقية الأجواء العربية ولعب دور الوسيط في الخلافات بهدف تقليل التوتر بين دول العالم العربي، مثل: النزاعات التي كانت قائمة في اليمن، وتوسّطت بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية، وبين هذه الأخيرة والجمهورية العربية اليمنية، وبين العراق وإيران في عام ١٩٦٩م فيما خصّ مشكلة شط العرب، وزار ممثلون كويتيون كلاً من بغداد وطهران لهذا الغرض، وشاركت الكويت في الجهود العربية الموحدة لإنهاء الحرب الأهلية بين الفلسطينيين والأردن في أيلول ١٩٧٠م، وساندت الفلسطينيين مادياً وسياسياً وسمحت لهم بفتح مخيمات للتدريب في أراضيها، ولم تتردّد في وقف مساعداتها للأردن في أعقاب هذه الأحداث، وكانت علاقتها مع مصر نموذجية، وعادت علاقاتها مع العراق والمملكة العربية السعودية إلى طبيعتها.

فاتفقت مع المملكة العربية السعودية بشأن اقتسام المنطقة المحايدة وثروتها النفطية. وساهمت الكويت في حرب ١٩٦٧م بلواء من جيشها وصل إلى الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية قبل اندلاع الحرب تنفيذاً لقرار مجلس الوزراء بوضع الجيش الكويتي تحت تصرف القيادة العسكرية العربية الموحدة، وأعلنت حالة الطوارئ في البلاد، وأوقفت شحن النفط إلى الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا، ونفّذت جميع امتيازاتها المالية التي قرّرها مؤتمر الخرطوم والرباط لمساعدة الأقطار العربية التي تعرّضت للعدوان الصهيوني.

واستخدمت الكويت سلاح النفط أيضاً في حرب تشرين الأول ١٩٧٣م، فعقدت منظمة الدول المصدّرة للنفط مؤتمراً في الكويت واتخذت إجراءات عدة انعكست سلباً على اقتصاد الدول التي ساندت الكيان الصهيوني مثل الولايات المتحدة الأميركية وهولندا، وتمسّكت دول المنظمة بزمام أمورها النفطية، ما كان له وقع شديد على الدول المستهلكة، وقد نُعتت قراراتها بالصدمة النفطية، وزادت من حجم مساعداتها لدول المواجهة ولمنظمة التحرير الفلسطينية.

## العلاقات الكويتية - الدولية

رفضت الكويت سياسة الأحلاف العسكرية، ودعت بدلاً من ذلك إلى خلق توازن عسكري واقتصادي لحماية أمن الدول المطلّة على الخليج العربي، واتبعت على

صعيد العلاقات الخارجية الدولية سياسة متوازنة، فقد طلبت من بريطانيا أن تنسحب من منطقة الخليج العربي في الموعد المحدد (أيار ١٩٧١م)، وكانت قد ألغت في عام ١٩٦٨م معاهدة الدفاع والصدقة التي فرضتها عليها، من دون أن تقطع العلاقة المتكافئة بين الطرفين، فعقدت معها اتفاقية للتسليح، ووطّدت في الوقت نفسه علاقتها مع اليابان المستهلك الرئيس للنفط الكويتي، وزوّدت اليابان الكويت بحاجتها من ناقلات النفط، كما أقامت محطة لتحلية مياه البحر، وعقدت الكويت اتفاقية مع فرنسا لإقامة خمس محطات كبرى لتحلية مياه البحر، بالإضافة إلى مشاريع عدة أخرى.

واستمرت سياسة الولايات المتحدة الأميركية في استغلالها للكويت في ظل التنافس الدائر بينها وبين بريطانيا، وأدانت الحكومة الكويتية الدعم الأمريكي للكيان الصهيوني.

وسبقت الكويت دول الخليج العربية في إقامة علاقات مع الاتحاد السوفياتي في عام ١٩٦٣م، وبخاصة في ميدان الصيد البحري وبناء السفن التجارية، وتدعّمت العلاقة بعقد اتفاقية التعاون الاقتصادي والفني في عام ١٩٦٥م، واستمرت العلاقة بالتنامي، وعقدت الكويت في عام ١٩٧٠م اتفاقية تجارية مع ألمانيا الديمقراطية ثم أقامت علاقات قنصلية معها بعد بضعة أشهر، وأقامت الكويت علاقات جيدة مع الصين الشعبية وبخاصة في ميدان صناعة السفن.

## وفاة الشيخ صباح السالم الصباح

توفي الشيخ صباح السالم الصباح في كانون الثاني ١٩٧٨م.

## الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح

### السياسة الداخلية

لم تتغير سياسة الكويت الداخلية بتولي الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح الحكم خلفاً للشيخ المتوفى صباح السالم الصباح، فقد عيّن الأمير الجديد الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح ولياً للعهد ورئيساً للوزراء في شباط ١٩٧٨م، وبدأ الحكام الكويتيون ينهجون تدريجاً سياسة الانفتاح الديمقراطي الوطني، وظهر اتجاه سياسي يطالب بحق تكوين الأحزاب، وتحرير المرأة، وطرح قضية عروبة الخليج، وشنّ حملة على القواعد الأميركية، والنظام الإيراني في عهد الشاه رضا بهلوي الذي كان يقوم بدور الأداة للمصالح الغربية في منطقة الخليج، فاتخذت الحكومة تجاه ذلك

مجموعة من الإجراءات ترتب عليها حدوث توترات داخلية وصلت أقصاها في عام ١٩٨٠م، ما دفع الأمير إلى إصدار مرسوم أميري في ١٠ كانون الثاني يقضي بتشكيل لجنة من ٣٥ حقوقياً وسياسياً للنظر في تعديل دستور عام ١٩٦٢م وتنقيحه ليتماشى مع الظروف الحالية، ثم صدر مرسوم أميري آخر في شباط ١٩٨١م قضى بانتخاب مجلس أمة جديد<sup>(١)</sup>.

أعلن مجلس الأمة فور انتخابه<sup>(٢)</sup> عن عزمه على مراقبة سير الأمور في البلاد، لكنه كان مجلساً ضعيفاً لم يستطع مواجهة الشؤون السياسية والاقتصادية، وقد سنَّ قوانين ساهمت في زيادة حدة الأزمة الاقتصادية التي سُميت «سوق المناخ»، بالإضافة إلى ضعف دوره الرقابي<sup>(٣)</sup>، ومن ناحية أخرى بدا واضحاً أن الكويت في مسيرتها التنموية المتنامية، ونهجها السياسي الوطني والقومي، أزعج جارتها إيران، فأخذت منذ عام ١٩٨٣م تُشجّع المعارضة الداخلية، فكثرت الهجمات التي طالت رموز الوجود الأجنبي استهدفت سفارتي الولايات المتحدة الأميركية وفرنسا، واتهمت الحكومة حزب الدعوة الإسلامية العراقي المحظور والمتعاون مع إيران بأنه المسؤول عنها، وأصدرت في آذار ١٩٨٤م حكماً بإعدام ستة من الموقوفين من أعضائه، وفي كانون الأول خطف رفاق لهم طائرة كويتية إلى مطار في إيران، ولم ترسخ الحكومة الكويتية لمطالبهم.

ومارست الجماعات السياسية المعارضة أعمال العنف لتنفيذ مطالبها، الأمر الذي أدَّى إلى محاولة اغتيال رئيس تحرير جريدة السياسة الكويتية في نيسان ١٩٨٥م، وانفجارات المقاهي الشعبية في تموز، وتبقى محاولة اغتيال الشيخ جابر الأحمد الصباح في أيار من أعنف هذه العمليات، وقد نجا من انفجار سيارة مُفخخة، وامتدت أيادي التخريب إلى منشآت النفط، فأشعلت الحرائق في حزيران ١٩٨٦م وكانون الثاني وأيار ١٩٨٧م<sup>(٤)</sup>.

حملت هذه الأوضاع المتفجرة الحكومة الكويتية على ضرورة معالجتها والنظر من جديد في قانون الجنسية.

(١) الطباطبائي: ص ٣٥٠ - ٣٥١.

(٢) أضحى عدد أعضائه ٦٠ عضواً بدلاً من ٥٠.

(٣) العيدروس، محمد حسن: الأمن السياسي لدول مجلس التعاون: ص ٤٠.

(٤) نودينو، جان فرنسوا: ٢١ دولة لأمة عربية واحدة، ص ١٥٨. ربيع، عمرو هاشم: أمن الكويت، مقال في مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، كانون الثاني، ١٩٨٨م.

وجرت انتخابات الدورة السادسة لمجلس الأمة في عام ١٩٨٥م، حصل بموجبها البدو والقوميون العرب والأصوليون على مقاعد لهم في المجلس الذي سُمي يومئذٍ «البرلمان القومي» و«برلمان كل مواطن»<sup>(١)</sup> غير أن المشكلات الداخلية والخارجية التي واجهتها الكويت آنذاك دفعت أمير البلاد إلى حلّ المجلس في تموز ١٩٨٦م، وحكم بموجب مراسيم أميرية.

استمرت الحياة النيابية، معطلة قرابة ثلاث سنوات (١٩٨٦ - ١٩٨٩م) ظلت خلالها الحركات والجمعيات الشعبية المختلفة تطالب بإعادة مجلس الأمة، واندلعت الاضطرابات، ما أدى إلى صدور مرسوم أميري في ٢٣ نيسان ١٩٩٠م يقضي بتأسيس مجلس وطني محدود الصلاحيه يتألف من خمسين عضواً منتخباً وخمسة وعشرين عضواً يتم تعيينهم، وأُنيطت به صلاحية اقتراح القواعد والتنظيمات الخاصة بممارسة السلطة، وحدد هذا المرسوم موعد الانتخابات في العاشر من حزيران ١٩٩٠م، ولم يكد هذا المجلس يجتمع حتى وضع غزو العراق للكويت نهاية له.

وتصاعدت مطالب الإصلاح السياسي والاقتصادي وتوسيع قاعدة المشاركة الشعبية في عملية الانتخاب، بعد الغزو العراقي للكويت، فصدر مرسوم أميري في ٢ حزيران ١٩٩١م يقضي بإجراء انتخابات عامة لاختيار مجلس أمة جديد في كانون الأول ١٩٩٢م، لكن الانتخابات جرت في ٥ تشرين الأول. وراح هذا المجلس يمارس رقابة جدّية على السلطة التنفيذية.

كانت الحكومة المواكبة لعمل المجلس وكأنها حكومة ائتلافية، فقد كان الوزراء يقومون بالتصويت فرادى وبشكل مستقل في الموضوعات المختلفة التي تُعرض على المجلس، فتداخلت بذلك الأهواء السياسية، ما دفع ولي العهد الشيخ سعد العبد الله الصباح ورئيس مجلس الوزراء إلى تعديل الحكومة في منتصف ١٩٩٤م، وجاء بحكومة منسجمة استمرت حتى نهاية مدة مجلس الأمة عام ١٩٩٦م، وجرت انتخابات جديدة في ٧ تشرين الأول ١٩٩٦م انبثق عنها مجلس أمة جديد شهد تغييراً طاول ٥٠٪ من مقاعده لجهة تقدم الإسلاميين والقبليين وتراجع المتحررين مع احتفاظ هؤلاء بوجود قوي، وعرفت الجلسة الافتتاحية للمجلس انتكاسة غير متوقعة، إذ انتهى الاقتراع على منصب رئاسة المجلس إلى شبهات قوية في صحة فوز أحمد السعدون عندما قدّم منافسه النائب جاسم الخرافي مذكرة قانونية عدّت

(١) البخاري، غانم وجاسم محمد كرم: في السلوك الانتخابي في الكويت، مقال في مجلة

إجراءات الاقتراع مخالفة لنص المادة ٩٢ من الدستور، فأحال المجلس الخلاف على المحكمة الدستورية، والمعروف أن أحمد السعدون حصل على ثلاثين صوتاً من أصل ستين وقضت المحكمة الدستورية بأن الأصوات الثلاثين تُعبّر عن غالبية قانونية.

وتعرّضت الحياة النيابية لبعض الخصاص السياسية، ففي ١٢ شباط ١٩٩٧م ظهرت أزمة حكومية - نيابية نتيجة تلميح الشيخ سعد العبد الله بحلّ مجلس الأمة على خلفية طلب استجواب بعض الوزراء، وتكرّر هذا التلميح في حزيران على لسان الشيخ صباح الأحمد خلال ترؤوسه الحكومة في ظل غياب الرئيس الأصيل الشيخ سعد، وذلك عندما أطلق نواب تحريريون عبارات فهم منها اتهام السلطة بالاعتداء على النائب عبد الله النيباري، علماً بأن هذا النائب كان قد تعرّض لمحاولة اغتيال في ٦ حزيران.

وشهدت الكويت خلال العام المذكور قيام مزيد من التنظيمات السياسية مثل «التجمع الوطني الديمقراطي» وقد أسّسه عدد من المثقفين ورجال الأعمال في ٢٢ أيار ليخدم أهدافاً تقدمية، وانفتاحاً اقتصادياً، وانشقت عن التجمع السلفي مجموعة من المثقفين الأكثر انفتاحاً وأسست «الحركة السلفية العلمية».

واستمرت المواجهات في عام ١٩٩٨م بين الحكومة ومجلس الأمة، ففي ٧ كانون الثاني أعلن نواب إسلاميون عن نيتهم استجواب وزير الإعلام الشيخ سعود ناصر الصباح بسبب سماحه بنشر كتب مسيئة للدين وبيعها، وجرى الاستجواب في ١٠ آذار أعقبه اقتراح بسحب الثقة من الوزير. لكن الحكومة تجاوزت هذا الموضوع بتقديم استقالتها، وعاد الشيخ سعود وزيراً للنفط في الوزارة الجديدة، فاتهمه نواب آخرون باختلاس ناقلات النفط وطالبوا باستجوابه، فأعلن ترحيبه بإحالته على التحقيق لثقتة بموقفه القانوني، وانتقد خضوع الحكومة لغوغائية الشارع، وفي ١٧ أيار قدّم وزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد استقالته بسبب نقض الحكومة لقرارات اتخذتها لجان ومجالس عليا تحت رئاسته، لا سيما في المجالين الاقتصادي والنفطي، وكذلك تحفظه على زيارة الشيخ أحمد ياسين في ١٢ أيار إلى الكويت، والمعروف أنه كان زعيم حركة حماس الفلسطينية ما أثار انزعاج الحكومة الأميركية، والجدير بالذكر أن الكويتيين نظروا إلى الشيخ أحمد ياسين كمرشح لممارسة دور لدى العراق لإطلاق سراح أكثر من ستمائة أسير كويتي في سجونها<sup>(١)</sup>.

(١) الخوند: ج٥ ص ٣٤٦ - ٣٤٧.



لم يشهد عام ١٩٩٨م أحداثاً داخلية تستحق الذكر في حين حفل عام ١٩٩٩م بالتغيرات السياسية فقد حُلَّ مجلس الأمة في ٤ أيار، وجرّت انتخابات نيابية في ٣ تموز أفرزت مجلساً تمتعت فيه المعارضة بغالبية مريحة، لكنها كانت مفككة بين المتحررين والإسلاميين، وأظهر المجلس قوته عبر إسقاطه خمسة وثلاثين مرسوماً أصدرها أمير البلاد خلال المدة الانتقالية، بين سقوط المجلس وانتخاب آخر، ما عزّز سلطته التشريعية. لكن هذا المجلس اختلف على تعديل قانون الانتخاب بمنح المرأة حق الترشيح والانتخاب، وقد أسقط الإسلاميون الذين هيمنوا على الحياة النيابية آنذاك هذا التعديل.

## غزو العراق للكويت

### أسبابه

السبب السياسي: ظلّت الكويت هدفاً لجميع الأنظمة السياسية التي تعاقبت على حكم العراق منذ تكوينه الحديث في أعقاب الحرب العالمية الأولى، إذ كانت تتعرّض إلى انتهاك حدودها تارة أو التهديد بضمها تارة أخرى، ومع ذلك لم يحدث أن وصل الأمر إلى حد الاجتياح الكامل لأراضيها كما حدث في الثاني من آب ١٩٩٠م، ومن ثمّ كان الغزو العراقي للكويت على الرغم من الموروثات التاريخية للعراق؛ مفاجأة غير متوقعة من حيث الطريقة التي تمّ بها، لعل مبعثها أنه لم يحدث في تاريخ العرب المعاصر غزو دولة عربية لدولة عربية أخرى مجاورة لها.

الواقع أن هذا الغزو شكّل صدمة وبخاصة أن السنوات التي سبقته قد تميزت بعلاقات جيدة بين البلدين، وشهدت السنوات التي سبقت نشوب الحرب العراقية - الإيرانية منذ عام ١٩٧٨م تفاهماً بين البلدين في كثير من المجالات الاقتصادية والتنمية والثقافية، كما أن المباحثات الخاصة بترسيم الحدود بينهما وصلت إلى مرحلة متقدمة<sup>(١)</sup>.

وفي محاولة لتشخيص العوامل التي أدّت إلى هذا الغزو، يمكن إرجاعها إلى مجموعة من التغيرات السياسية والاقتصادية في البيئة الداخلية والخارجية التي وجّهت فيها القيادة العراقية منذ وصول الجناح العسكري لحزب البعث إلى السلطة في عام ١٩٦٨م؛ إلى إقامة قاعدة للنفوذ السياسي في الخليج العربي، ومحاولة نشره في المنطقة العربية، ورفع شعار الدفاع عن عروبة الخليج العربي ضد الأطماع

(١) قاسم: ج ٥ ص ٣٦٩.

الإيرانية، تحت غطاء تحقيق الدولة العربية الاشتراكية الواحدة، والتصدي لقيادة المعسكر التقدمي في العالم العربي<sup>(١)</sup>.

ومن خلال تداعي الأحداث السياسية في العالم العربي بعد أن أعلنت مصر مبادرة السلام مع الكيان الصهيوني، أخذ العراق بقيادة صدام حسين يتطلع إلى الزعامة العربية، بدليل القرارات السياسية التي أصدرها منذ منتصف السبعينات، ففي عام ١٩٧٥م قدّم تنازلات لإيران في شط العرب بموجب اتفاقية الجزائر لكي يتفرّغ لبناء قوة عسكرية، وقاد النظام العربي لعزل مصر عن الأمة العربية عقب توقيعها معاهدة السلام المنفردة مع الكيان الصهيوني في عام ١٩٧٩م، والحلول مكانها، واستطاع أن يُحقّق هدفه في قمة بغداد أو قمة الصمود التقدمي بين ٢٨ - ٣٠ أيار ١٩٩٠م.

لقد وافق العرب باستثناء سلطنة عُمان تحت تأثير الضغط العراقي، على عزل مصر وتجميد عضويتها في الجامعة العربية، وتمادى صدام حسين في طموحه فطلع إلى الزعامة الإقليمية أيضاً بهدف السيطرة على القرارات السياسية والاقتصادية في الخليج العربي، والتعامل مع الغرب من هذا المنطلق<sup>(٢)</sup>.

وتحقيقاً لذلك، بادر في عام ١٩٨٠م إلى إلغاء اتفاقية الجزائر مع إيران، وتقدّم إليها بمطالب عدة، منها: أن تتنازل عن ادعاءاتها في شطّ العرب، وأن تدفع رسوم الملاحة، وأن تلتزم السفن التابعة لها باستخدام الراية العراقية، والاستعانة بمرشدين عراقيين، وحاول أن يضفي على هذه المطالب بُعداً خليجياً عندما طالب إيران بإعادة الجزر والمناطق التي احتلتها إلى دولة الإمارات العربية المتحدة<sup>(٣)</sup>.

ونشبت الحرب بينهما على إثر رفض إيران لمطالبه في عام ١٩٨٠م والتي استمرت ثماني سنوات تكبّد الطرفان خلالها خسائر فادحة، إلا أن الخسائر العراقية لم تقض على طموح صدام حسين في الزعامة، وبخاصة أن الطريقة التي توقفت فيها الحرب وأجبرت القيادة الإيرانية على قبول وقف إطلاق النار؛ أعطت نوعاً ما الشرعية للدور العراقي، غير أن العراق استطاع عقب انتهاء الحرب أن يخرج بقوة عسكرية ضاربة، ويمتلك ترسانة ضخمة من الأسلحة التقليدية، وأدى نزاعه مع إيران إلى ارتباطه شيئاً فشيئاً بالدول الغربية عندما شعر بأن مساندة الولايات المتحدة

(١) محمود، أحمد إبراهيم: محددات وأهداف السلوك العراقي، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٠٣، كانون الثاني، ١٩٩١م.

(٢) قاسم: جـ ص ٣٧٣.

(٣) المرجع نفسه: ص ٣٧٣ - ٣٧٤.

الأميركية له ضرورية، وذلك بإمداده باحتياجاته عبر الدول الصديقة في منطقة الخليج العربي<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من الأزمات الاقتصادية التي بدأ العراق يواجهها بعد نهاية الحرب، إلا أنه ظل يعدُّ نفسه قوة إقليمية كبيرة، كما ظل على اعتقاده بأن حربه مع إيران قد أهّلته لقيادة العرب، يتضح ذلك من تصرفاته في مؤتمر القمة العربية في بغداد<sup>(٢)</sup> وبخاصة أنه أخذ بعد انتهاء الحرب، يُرَدِّد شعارات حماسية ضد الكيان الصهيوني تارة و ضد الأنظمة السياسية في الخليج العربي والجزيرة العربية تارة أخرى، وبدلاً من أن يتبع سياسة حسن الجوار مع الدول المحيطة به كي يجد منفذاً لصادراته النفطية، فإنه أخذ يلجأ إلى أساليب غير لائقة في تعامله مع جيرانه، وبخاصة مع المملكة العربية السعودية والكويت على الرغم مما قدّمته له من تسهيلات كبيرة أثناء حربه مع إيران، تمثّلت بتصدير النفط العراقي عبر أراضيها بالإضافة إلى تقديمها مساعدات مالية له.

واعتقد صدام حسين بأنه أعطي الضوء الأخضر لغزو الكويت أثناء حديثه مع السفارة الأميركية في بغداد أبريل غلاسي في ١٥ تموز ١٩٩٠م، لكن الواضح أنه استناداً إلى تعليمات الرئيس الأميركي جورج بوش لتحسين العلاقات مع العراق؛ أبدت السفارة الأميركية وجهة النظر الأميركية بعدم التدخل في الصراعات العربية - العربية.

هذه هي نقطة الارتكاز لحجة صدام حسين أنه أوقع في الشَّرْكَ عن عمد ودُفِع لغزو الكويت كي يتم تحطيمه، فالحديث مع السفارة الأميركية كان مزيجاً من المزاح والتهديد، والمعروف عن الرئيس العراقي أنه كان يشك في كل شيء وتحت أي ظرف، وكان أكثر ميلاً لرؤية الضوء الأخضر باتجاهه كإشارة حظر، فهو لا يثق بأحد خارج إطار دائرته الداخلية من المستشارين، بل ربما كانت له شكوكه ببعضهم، ولم يكن بالتأكيد متأثراً بأي وهم حول أفكار الإدارة الأميركية، وفي تبرير غزوه للكويت استعاد حُجَّة عبد الكريم قاسم عام ١٩٦١م من أن الكويت كانت مرتبطة بمحافظة البصرة في العهد العثماني، لذا كان يجب أن تنضم إلى الدولة الخليجية الوريثة بعد الاستقلال<sup>(٣)</sup>.

(١) قاسم: ج ٥ ص ٣٧٥ - ٣٧٦.

(٢) الحمد، علي تركي: الأسباب الموضوعية والمبررات الإيديولوجية للغزو العراقي للكويت. أعمال ندوة المجلس الوطني للثقافة عن الغزو العراقي للكويت، آذار، ١٩٩٤م. مجلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٥م، ص ١٤.

(٣) سولت، جيرمي: نفتيت الشرق الأوسط: ص ٣٥٠ - ٣٥١.

**السبب الاقتصادي:** خرج العراق من حربه مع إيران وقد تكبّد خسائر كبيرة جداً استهلكت كل احتياطه، وتؤكد الدراسات الاقتصادية أن اقتصاد العراق عانى كثيراً بسبب تلك الحرب التي قضت تماماً على انتعاشه الاقتصادي، حيث خرج بديون باهظة عربية وغير عربية.

أدت الضائقة الاقتصادية للعراق إلى مساعدات دول الخليج العربية له، فأمدته المملكة العربية السعودية والكويت بقروض ومساعدات وصلت إلى ما يتراوح بين ٥٠ و ٦٠ مليار دولار، غير أن الديون التي أرهاقته كانت مع الغرب وليست مع العرب الذين لم يكن لديهم الوسائل لإجباره على سداد ديونه، بالإضافة إلى ديونه فقد انهار اقتصاده، وتوقف انتاجه الزراعي نتيجة التجنيد، وأضحى مضطراً لاستيراد المواد الغذائية الأساسية، ما دفعه إلى طلب الحصول على مساعدات أميركية من القمح والمال، وزاد من مصاعبه مطالبة الدول الدائنة بديونها التي عجز حتى عن تسديد فوائدها، في الوقت الذي توقفت فيه المملكة العربية السعودية والكويت عن الاستمرار في تقديم المساعدات له بعد انتهاء الحرب، كما فشلت جهوده في الحصول على قروض جديدة منهما.

ويبدو أن الخطة التي وضعها صدام حسين لغزو الكويت بهدف إنعاش اقتصاده المتدهور؛ أدت إلى نتائج عكسية، فانهار اقتصاده، وتحطّم جانب من قوّته العسكرية، ونلحظ من خطابه الذي ألقاه في السابع عشر من تموز ١٩٩٠م تحامله الواضح على دول الخليج العربية، وطلب منها شطب ديونه وتقديم تعويضات ومساعدات له، ويمكن القول، أن العراق كان يواجه بعد انتهاء حربه مع إيران حال إفلاس؛ كما كان سكانه يعانون من ضائقة اقتصادية مسّت جميع طبقات المجتمع، وأدّى ذلك إلى حدوث توترات اجتماعية وقلق سياسي.

والحقيقة أن تخطيط صدام حسين لغزو الكويت، كان في جانب منه حل المعضلة الاقتصادية وتسخير موارد الكويت المالية والنفطية لمواجهة الالتزامات الملحة للعراق، والواقع أنه اختار الطريق الصعب لعلاج مشكلاته الداخلية، ويعني خضوع الكويت للعراق إلغاء ديونه إزاءها، ولما كان احتياطي النفط في الكويت يبلغ ضعف احتياطي النفط في العراق؛ فإن سيطرته عليها يرفع احتياطه النفطي إلى ثلاثة أضعاف، كما يتمكّن في الوقت نفسه من السيطرة على الاستثمارات الكويتية العالمية التي تصل إلى مائتي مليار دولار، فضلاً عن التوسع في سواحله المطلّة على الخليج العربي<sup>(١)</sup>.

(١) قاسم: ج ٥ ص ٣٨٤.

ومما زاد الوضع تأزماً الضغوط الاقتصادية الناتجة عن انخفاض سعر النفط وتزايد حصص الانتاج لبعض دول الخليج العربية، ويبدو أن ما أقدمت عليه كل من المملكة العربية السعودية والكويت من زيادة إنتاجها النفطي لتعويض الأسواق بسبب تداعي الاقتصاد الإيراني؛ أدى إلى حدوث فائض نفطي وانخفاض ملحوظ في سعر برمبل النفط، وبالتالي انخفاض دخل العراق، وهناك دولتين عربيتين تجاوزتا حصصهما من النفط هما دولة الإمارات العربية المتحدة والكويت، فاتهمهما العراق بالضغط على أسعار النفط عبر عرض زائد عن مقررات منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) في الوقت الذي كان فيه سعر برمبل النفط ينخفض شهراً بعد شهر، وكانت الكويت بحاجة إلى المال مثل العراق مع اختلاف الأسباب، فقد رغبت في تعويض خسائرها التي تكبدتها أثناء الحرب العراقية - الإيرانية، وبخاصة أن صادراتها قد انخفضت في تلك المدة، وتحملت خسائر في منشآتها، وتكاليف إضافية في حماية سفنها في الخليج العربي عبر استئجار أعلام أجنبية لنافلاتها، ورأت نفسها ضحية بين العراق وإيران، ومن حقها أن تُعوّض خسائرها، وبفعل تركيب ثروتها المالية والاقتصادية، فقد استثمرت على نطاق واسع عبر شركات كبرى غربية تكرير النفط وتسويقه مباشرة للمستهلكين، كذلك كان لها استثمارات في الخارج ترتكز على شركات صناعية قد لا يناسبها ارتفاع أسعار النفط، وبالتالي كانت قادرة على تعويض انخفاض دخلها من سعر البترول الخام عن طريق زيادة أرباحها من الشركات الصناعية وشركات توزيع النفط التي تملكها أو تُساهم فيها، بمعنى أن سعر النفط الخام المتدني يؤثر سلباً في دخل العراق الذي يعتمد على بيع النفط الخام لكنه يؤثر إيجاباً على دخل الكويت<sup>(١)</sup>.

وطالب صدام حسين الدول العربية بتخفيض الإنتاج حتى يمكن رفع سعر برمبل النفط، بالإضافة إلى تخفيض قيمة القروض أو إلغائها لأن العراق استخدمها في تأدية واجب عربي قومي<sup>(٢)</sup>.

لم يكن هناك صدى إيجابي لما طالب به الرئيس العراقي، إذ استمر سعر النفط في الانخفاض حتى بلغ أحد عشر دولاراً للبرميل الواحد في حزيران ١٩٩٠م، وأعلنت الكويت رفضها تحديد سقف انتاجها ما أدى إلى إثارة العراق الذي أخذ يُوجّه الاتهامات صراحة إلى الكويت وإلى غيرها من دول الخليج العربية، فأنهم كلاً من المملكة العربية السعودية وقطر بالتآمر على إضعافه اقتصادياً.

(١) مهنا، محمد نصر: الكويت، التاريخ، السياسة، التحديث: ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٢) انظر نص كلمة الرئيس العراقي في: أوراق الشرق الأوسط، أبعاد واحتمالات أزمة الخليج:

ولم يلبث صدام حسين أن وجد مبرراً لتصعيد حملاته ضد الكويت، في أن القسم الأكبر من إنتاج النفط الكويتي المتجاوز لحصص إنتاج أوبك يأتي من حقل الرميلة الواقع في المناطق الحدودية بين البلدين، فطالب الكويت بإسقاط ديونها المسجلة عليه والمقدرة بأربعة عشر مليار دولار، وتؤكد المراجع الكويتية خلافاً لما يدعيه صدام حسين بأن الكويت لم تلح في المطالبة بتسديد قروضها؛ إذ كانت تقدر أوضاع العراق الاقتصادية المتأزمة، وبخاصة أنه لم يمض على خروجه من الحرب وقت طويل، وأن أمير الكويت طمأن الرئيس العراقي بأن الكويت تعدُّ هذه الديون غير قائمة في الواقع، ولكن استمرار بقائها وتسجيلها من الأمور التي تفيد العراق في مفاوضاته مع الدول الأجنبية الدائنة كسلاح يمكن أن يعتمد عليه من أجل تخفيض ديونه مع تلك الدول<sup>(١)</sup>، غير أن العراق ظلَّ على قناعته بأن الكويت تلحُّ عليه لتسديد ديونها، وتستخدم ذلك حجة لرفض تقديم قروض أخرى إليه، أو أداة ضغط لترسيم الحدود معها.

أخذت الأزمة بين الكويت والعراق تتخذ مساراً جديداً عندما وجَّه العراق اتهاماته رسمياً إلى الكويت وإلى دولة الإمارات العربية المتحدة في المذكرة التي بعث بها طارق عزيز، وزير خارجية العراق، إلى الشاذلي القليبي، الأمين العام لجامعة الدول العربية، في ٥ تموز ١٩٩٠م، وتعدُّ هذه المذكرة وما تبعها من مذكرات أخرى متبادلة بين الجانبين بداية الانهيار الحقيقي في العلاقات بين الدولتين الكويتية والعراقية، وتعدُّ الاتهامات التي وجَّهها العراق إلى الكويت بمثابة إنذار بالغزو.

وتدخلت بعض الدول العربية للتوفيق بين الطرفين، ونجح الرئيس المصري حسني مبارك مع مشاركة العاهل السعودي أن يصل إلى حدٍّ أدنى من التفاهم بين الحكومتين الكويتية والعراقية، أسفر عن لقاء بينهما في ٣١ تموز ١٩٩٠م في جدة، ظهر الابتزاز العراقي واضحاً في أثنائها عندما طلب العراق قرضاً طويل الأجل قدره عشرة مليارات دولار، وتنازل الكويت عن جزيرتي وربة وبوبيان، ما جعل الجانب الكويتي يرفض ذلك، وبالتالي فُشل المفاوضات ليقع الغزو العراقي بعد أقل من ثمانية وأربعين ساعة.

## تداعيات الغزو العراقي للكويت

أثار الغزو العراقي للكويت وإلغاء كيانها السياسي دولة مستقلة ذات سيادة، تحدياً أمام المجتمعين العربي والدولي.

(١) المركز الكويتي للإعلام: جريمة غزو العراق للكويت، أحداث ووثائق: ص ٦ - ٧.

## الموقف العربي

شكّل هذا الغزو تحدياً كبيراً تعرّض له الأمن القومي العربي، وبخاصة أن القوات العراقية اجتاحت الأراضي الكويتية كلها، وأعلن العراق ضم الكويت إلى العراق وجعلها محافظة من المحافظات العراقية، وبالتالي إلغاء وجودها كدولة، وهو أول ظاهرة من نوعها يواجهها العالم العربي الذي فشل في حلّها بفعل اختلاف التوجهات السياسية بين الأنظمة العربية، ما أضعف الدور العربي، ونذكر من بين الجهود العربية ما يأتي:

١ - دعت القاهرة في أعقاب الغزو إلى عقد اجتماع لوزراء الخارجية العرب، فأصدروا قراراً في ٣ آب أدانوا فيه الغزو وطلبوا من العراق الانسحاب الفوري من الكويت، ورفضوا أي آثار مترتبة عليه، وحذّروا من أي تدخل أجنبي، وقد اتُخذ هذا القرار بالأغلبية، فامتنع كل من الأردن وموريتانيا والسودان واليمن ومنظمة التحرير الفلسطينية عن التصويت، وانسحب ممثل لبنان من الاجتماع، وكان هذا مؤشراً على عجز الدول العربية عن إيجاد حلٍّ للمشكلة، ما أتاح الفرصة للتدخل الأجنبي<sup>(١)</sup>.

٢ - عُقدت قمة عربية في القاهرة في ١٠ آب ١٩٩٠م أصدرت قراراً بعد مخاض عسير تضمّن ما يأتي:

أ - إدانة العدوان العراقي على دولة الكويت وعدم الاعتراف بقرار ضمّها إلى العراق، ولا بأي نتائج مترتبة على هذا الغزو، ومطالبة العراق بسحب قواته من الكويت فوراً.

ب - تأكيد سيادة الكويت واستقلالها وسلامتها الإقليمية بوصفها عضواً في جامعة الدول العربية وفي الجمعية العامة للأمم المتحدة.

ج - شجب التهديدات العراقية لدول الخليج العربية.

د - استنكار حشد العراق قواته المسلحة على حدود المملكة العربية السعودية، وتأكيد التضامن العربي معها.

هـ - الاستجابة لطلب المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربية، بنقل قوات عربية لمساندة القوات المسلحة السعودية دفاعاً عن أراضيها وسلامتها الإقليمية ضد أي اعتداء خارجي.

(١) العقاد، صلاح: التيارات السياسية في الخليج العربي منذ بداية العصور الحديثة حتى أزمة

٣ - وفي الوقت الذي بادرت فيه كل من مصر وسوريا إلى إرسال قوات إلى الحدود السعودية - الكويتية، لجأت الدول العربية المساندة للعراق بطرح المبادرات التي بدا تعذر تنفيذها، وقد ربطت بين الانسحاب العراقي من الكويت وبين الانسحاب الصهيوني من الأراضي العربية أو تنازل الكويت عن جزء من أراضيها البرية وحدودها البحرية للعراق.

٤ - قدم كل من الأردن وليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية اقتراحاً يقضي:

أ - بالانسحاب العراقي من الكويت مقابل انسحاب القوات العربية من الحدود السعودية - الكويتية بشكل متزامن.

ب - بدء مباحثات بين الكويت والعراق لترسيم الحدود بينهما.

ج - وقف الحصار الاقتصادي الدولي المفروض على العراق.

د - إطلاق سراح الرهائن.

هـ - إحلال قوات عربية ودولية على الحدود الكويتية - العراقية تحت إشراف الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة.

و - تحديد مدة زمنية انتقالية يجري خلالها استفتاء شعبي في الكويت حول الاستقلال أو الوحدة مع العراق، وفي حال الاستقلال تتنازل الكويت عن جزيرة بوبيان، وتُسقط ما على العراق من ديون<sup>(١)</sup>.

كان من الطبيعي أن ترفض الدول العربية المساندة للكويت هذه المبادرة، وتمسكت بموقفها، وبدا ذلك واضحاً في اجتماع مجلس جامعة الدول العربية في دورته العادية بين ٣٠ و٣١ آب ١٩٩٠م الذي لم يحضره سوى ثلاثة عشر عضواً، وقد أصدر قراراً تمسك بموجبه بالانسحاب القوات العراقية من الكويت وعودة الشرعية إليها، وعدم الاعتراف بأي إجراءات يتخذها العراق تُشكل تغييراً في التركيبة الديمغرافية أو الإدارية للكويت، والتزام العراق بدفع تعويضات عن الأضرار الناجمة عن الغزو<sup>(٢)</sup>.

٥ - عبّر مجلس التعاون الخليجي عن ردّ فعله تجاه الغزو العراقي للكويت في البيان الذي صدر عقب انعقاد مجلس الوزراء على هامش اجتماعات مجلس وزراء الخارجية العرب الذي عُقد في القاهرة في ٢ آب ١٩٩٠م، وقد أدان الغزو وطالب العراق بالانسحاب الفوري وغير المشروط، وعودة القوات العراقية إلى المواقع التي كانت فيها قبل الغزو، كما طالب جامعة الدول العربية بموقف عربي موحد.

(١) قاسم: ج٥ ص٤٣٨ - ٤٣٩.

(٢) إدارة الثقافة والنشر بالمركز الإعلامي للكويت: ص٥٤٦ - ٥٤٧.



وساندت منظمة التحرير الفلسطينية العراق، ويبدو أن لذلك علاقة إما بربط العراق انسحابه من الأراضي الكويتية بالانسحاب الصهيوني من الأراضي العربية المحتلة، والانسحاب السوري من لبنان، أو شعورها بفقدان عناصر دعمها العربي نتيجة افتتاح دول الخليج العربية على حركة حماس<sup>(١)</sup>.

ودعم الأردن العراق، وقدّم له العديد من التسهيلات من خلال ميناء العقبة لخرق الحصار الاقتصادي الدولي المفروض عليه بموجب القرار الرقم ٦٦١ تاريخ ٦ آب ١٩٩٠م<sup>(٢)</sup>.

ووقف اليمن إلى جانب العراق، ويبدو أن الوحدة اليمنية التي أعلنت بين شطري اليمن في أيار ١٩٩٠م، كان لها دور في الموقف المساند للعراق بحكم العلاقة الوثيقة بين كل من النظامين اليمني والعراقي<sup>(٣)</sup>.

ووقف السودان إلى جانب العراق على الرغم من المساعدات الكويتية له، ولعل لذلك علاقة بدعم العراق له في مشكلاته مع الجنوب.

وشكّلت دول مجلس التعاون الخليجي ومصر وسوريا حجر الزاوية في بناء الموقف العربي المؤيد للكويت.

وتباينت مواقف دول المغرب العربي بين مؤيد للعراق (موريتانيا) وبين مؤيد للكويت (الجزائر والمغرب)، وقدّم الرئيس الليبي معمر القذافي مبادرات عدة تميزت بالتميع<sup>(٤)</sup>.

## الموقف الدولي

أدانت المنظمات التابعة للعالم الثالث، ودول عدم الانحياز، ومنظمة الوحدة الإفريقية؛ الغزو العراقي للكويت، غير أنه لم يكن لها تأثير على مسار الأزمة، واقتصر دورها على البيانات الصادرة عن مؤسساتها، ووقفت المنظمات الأوروبية ضد الغزو.

وكان الموقف الأمريكي أكثر تشدداً، فقد دانت الولايات المتحدة الأمريكية الغزو العراقي للكويت، وجمّدت الودائع والممتلكات الكويتية والعراقية لديها ولدى فروع مؤسساتها في الخارج، وقد حدّدت أهدافها بما يلي:

(١) الريميحي، محمد غانم: ردود الفعل العربية على غزو و حرب تحرير الكويت. أعمال ندوة الغزو العراقي للكويت، نشر مجلة المعرفة: ص٣٥٢. قاسم: ج٥ ص٤٤٢.

(٢) قاسم: ج٥ ص٤٤٣. (٣) المرجع نفسه: ص٧٤٨.

(٤) الريميحي: ص٣٦٧.

- انسحاب القوات العراقية من الكويت من دون قيد أو شرط .
- عودة الحكم الشرعي إلى الكويت .
- ضمان سلامة الكويت .
- المحافظة على أرواح الرعايا الأميركيين وضمان سلامتهم .
- المحافظة على أمن المنطقة .

وحشدت الولايات المتحدة الأميركية، من أجل تحقيق تلك الأهداف قوات برية وبحرية ضخمة، ووقف الرئيس الأميركي جورج بوش موقفاً متصلباً، فرفض أي مساومة على المبادئ والقواعد الأساسية، وطالب صدام حسين بالانسحاب والإفراج عن المحتجزين، وإعادة الشرعية إلى الكويت<sup>(١)</sup>، وأكّد في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في تشرين الأول ١٩٩٠م على:

- ضرورة التوصل إلى تسوية دائمة للخلافات القائمة بين الكويت والعراق .
- دعوة دول الخليج العربية إلى وضع ترتيبات لأنها المشترك .

- مطالبة دول المنطقة بإنهاء خلافاتها ونزاعاتها مع الكيان الصهيوني .

- التأكيد على دور الولايات المتحدة الأميركية المميز ومكانتها المهيمنة على النظام الدولي الجديد بلا منازع ولا منافس<sup>(٢)</sup> .

وانضمت كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا واليابان إلى الموقف الأميركي .

وتحرّج موقف الاتحاد السوفياتي خلال هذه الأزمة بحكم العلاقات الطيبة التي تربطه بالعراق بموجب اتفاقية الصداقة والتعاون؛ الموقعة بين الطرفين في عام ١٩٧٢م والتي تمّ تجديدها في عام ١٩٧٨م، وتفرض عليه التزامات عسكرية معينة في حال دخول العراق بحرب ضد أطراف أخرى . لكن الاتحاد السوفياتي وجد مخرجاً قانونياً تمثّل في مخالفة العراق لنص المادتين ٧ و ٨ من تلك الاتفاقية، اللتين تقضيان بالتشاور المسبق في حال حدوث إخلال بالأمن، وهو ما لم يحدث<sup>(٣)</sup>، ثم إن الغزو العراقي للكويت حدث بعد انتهاء الحرب الباردة وانكشاف التدهور الاقتصادي، ما كان له تأثير على التحولات التي طرأت على علاقاته مع الولايات المتحدة الأميركية والدول الأوروبية الغربية واليابان ودول الخليج العربية .

(١) جريدة الأهرام، مصر، ١٧ أيلول، ١٩٩٠م .

(٢) المرجع نفسه: ٢ تشرين الأول، ١٩٩٠م .

(٣) الهيئة المصرية العامة للإستعلامات: الاتحاد السوفياتية وأزمة الخليج: ص٣ .

وفشل صدام حسين في استقطاب تركيا، ويرجع ذلك إلى علاقاتها الاقتصادية الوثيقة مع المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربية، ومن المؤكد أنها نظرت إلى مصالحها الاقتصادية والأمنية، فحرصت على عدم الدخول كطرف مباشر ضد العراق بفعل الحدود المشتركة، ووجود شبكة واسعة لمصادر المياه والسدود ومحطات توليد الطاقة الكهربائية، في مناطق قريبة من الحدود مع العراق، مما قد يكون هدفاً لضربات عراقية انتقامية، كما أن انهيار وحدة العراق قد يُهدد بتفجير مشكلة الأقليات في تركيا وبخاصة الكردية، وعلى الرغم من تلك الاعتبارات، حرصت تركيا على أن يتوافق موقفها مع القرارات الدولية.

ومرَّ الموقف الإيراني من غزو العراق للكويت بمرحلتين تفصل بينهما مبادرة صدام حسين في ١٤ آب ١٩٩٠م بإعادة اعترافه باتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥م وإقراره بالشروط الإيرانية لإنهاء حال الحرب بين البلدين، وزار طارق عزيز وزير خارجية العراق طهران في ٩ أيلول ١٩٩٠م من أجل توقيع اتفاقية السلام بين البلدين.

ويلاحظ في المرحلة الأولى، قبل المبادرة العراقية، اتفاق القيادات الإيرانية المعتدلة والمتشددة على التنديد بالغزو العراقي للكويت، وقبول الحل العسكري ضمناً، ويلاحظ في المرحلة الثانية، بعد المبادرة العراقية، تصاعد حدة الانتقادات الإيرانية للوجود العسكري الأجنبي في المنطقة، ودعت إيران إلى حل سلمي في إطار إسلامي، وعدم السماح لقوات التحالف الدولي باستخدام الأراضي أو الأجواء الإيرانية، وعدم تعرُّض العتبات الشيعية المقدسة في العراق لأي اعتداء والتأكيد على سياسة إيران الحيادية<sup>(١)</sup>.

وحاول ساسة الكيان الصهيوني المشاركة في قوات التحالف الدولي، لكن الولايات المتحدة الأميركية أقنعتهن بالوقوف على الحياد بفعل حساسية وجود قوات صهيونية في قوى التحالف.

أثارت تداعيات حرب الخليج الثانية ظهور مفهوم توازن المصالح بدلاً من التوازن العسكري وتوازن القوى، ويعني ذلك تقديم تنازلات من الأطراف المتنازعة مقابل الحصول على أمن مشترك ومصالح مشتركة، وأكدت هذه الحرب على أن الأمن العربي بشكل عام واقع في أحد جوانبه تحت التأثير المباشر للقوى العالمية الكبرى بقيادة الولايات المتحدة الأميركية التي استطاعت بالاستناد إلى أحكام ميثاق الأمم المتحدة توظيف هذه الأحكام عبر تفسيرها لمفهوم السلم والأمن الدوليين<sup>(٢)</sup>.

(١) الهيئة المصرية العامة للاستعلامات: مواقف الدول الآسيوية من أزمة الخليج بعد اندلاع الحرب، آذار، ١٩٩١م.

(٢) رجب، يحيى حلمي: أمن الخليج العربي في ضوء المتغيرات الإقليمية والدولية: ص ٩٠.

تسبب الغزو العراقي للكويت بخسائر فادحة بالاقتصاد الكويتي، بالإضافة إلى الأضرار المالية التي نجمت عن وجود قوات الاحتلال في الأراضي الكويتية، والذي استمر ما يقرب من سبعة أشهر.

وأقدم العراق خلال احتلاله على طمس الهوية الكويتية عبر حرق السجل المدني الكويتي وإجبار الكويتيين على طلب الحصول على هويات عراقية، وغير أسماء الشوارع والمباني والمرافق ولوحات السيارات<sup>(١)</sup>.

## مقاومة الغزو العراقي

واجه الكويتيون الاحتلال العراقي لبلادهم بالمقاومة المسلحة والعصيان المدني، وفشل العراق في تطبيع الحياة في الكويت، فتوقفت عجلة الحياة الاقتصادية وفقدت المدخرات الكويتية أكثر من تسعة أعشارها نتيجة معادلة قيمة الدينار الكويتي بالدينار العراقي الذي تدنت قيمته، وركزت المقاومة الكويتية التي أطلقت على نفسها «اتحاد الكويت الحرة» على هدف واحد هو إجلاء القوات العراقية من الأراضي الكويتية، لكن هذه المقاومة كانت ضعيفة، ورفض المؤتمر الشعبي الكويتي الذي اجتمع في جدة بين ١٣ و ١٥ تشرين الأول ١٩٩٠م المساومة على سيادة الكويت، وتمكنت الأسرة الحاكمة من مغادرة البلاد إلى المملكة العربية السعودية.

واستمر صدام حسين في تشبته بعدم الانسحاب من الكويت، وقاوم العقوبات الاقتصادية والحظر الجوي الذي فرضه مجلس الأمن عليه بموجب القرار رقم ٦٧٠ تاريخ ٢٥ أيلول ١٩٩٠م، فلم يُبد مرونة للامتثال للمطالب الدولية، وهدد بتدمير الكيان الصهيوني إذا تعرّضت بلاده للحصار الاقتصادي، وتدمير حقول النفط الكويتية.

## تحرير الكويت

نتيجة لإصرار صدام حسين على موقفه الرافض بالانسحاب من الكويت تشكّل تحالف دولي في كانون الثاني ١٩٩١م، حشد قواته العسكرية التي تجاوزت سبعمائة ألف جندي في منطقة حفر الباطن على الحدود الكويتية السعودية، وشكّلت القوات الأميركية معظمها، خمسمائة وأربعين ألف جندي، وبلغ عدد الدول المشاركة ثمان وعشرين دولة بينها دول عربية مثل مصر.

ونتيجة للضربات الجوية السريعة، سارع الجيش العراقي بالانسحاب من الكويت

(١) قاسم: ج٥ ص٤٥٨.

بعد أن نفّذ سياسة الأرض المحروقة، فدُمّر مئات الآبار النفطية التي وصلت إلى ما يقرب من أربعمئة واثنين وستين بئراً، كما اشتعلت النيران في ستمائة وثمانية عشر بئراً، وقُدّرت كمية النفط المحترقة بخمسة ملايين برميل في اليوم، فتضرّرت البيئة البرية والبحرية بفعل الاحتراق وتسرب كميات كبيرة من النفط إلى مياه البحر، وتدمير خطوط الأنابيب التي تربط الآبار بمحطات التجميع والخزانات وموانئ التصدير ومحطات التكرير<sup>(١)</sup>.

نجحت العمليات الأولى من عاصفة الصحراء وهو الاسم الذي أطلق على عملية تحرير الكويت، في تحرير هذا البلد في ٢٥ شباط ١٩٩١م، وأعقب ذلك صدور القرارين ٦٨٦ و٦٨٧ عن مجلس الأمن، ألزم الأول العراق بإلغاء الإجراءات كافة التي اتخذها لضم الكويت، وإعلان مسؤوليته عن الأضرار والخسائر التي أصابت الكويت أو غيرها نتيجة الغزو، وأن يُبادر إلى إطلاق سراح المحتجزين الكويتيين وغيرهم لديه، وأن يعيد الممتلكات التي استولى عليها من الكويت خلال مدة احتلاله لها.

ونصّ القرار الثاني الصادر في ٣ نيسان على عودة السيادة والاستقلال والسلامة الإقليمية والشرعية إلى الكويت، واحترام الدولتين للحدود الدولية بينهما، وتخصيص الجزر على النحو الذي سبق تحديده في المحضر المتفق عليه بين الدولتين في ٤ تشرين الأول ١٩٦٣م، واتخاذ الترتيبات اللازمة لترسيم الحدود، وفعلاً شكّلت لجنة دولية عُهد إليها ترسيم الحدود بين البلدين، مندوب عن كل من الكويت والعراق، وثلاثة خبراء مستقلين يُعينهم الأمين العام للأمم المتحدة بترأس أحدهم اللجنة. عقّدت اللجنة خمسة وثمانين اجتماعاً في نيويورك وجنيف، وقامت بزيارات ميدانية: وأعدّت الخرائط اللازمة، والتقطت الصور الجوية، وحرصت على التطبيق التقني لخط الحدود كما كان محدداً في اتفاقية عام ١٩٦٣م، ووافق مجلس الأمن الدولي على القرار النهائي في ٢٧ أيار ١٩٩٣م بموجب القرار رقم ٨٣٣، فقبلت به الكويت فور صدوره، ووافق عليه العراق بعد تحفُّظ<sup>(٢)</sup>.

(١) التميمي، عامر: الأبعاد الاقتصادية للغزو العراقي للكويت ص ٢٣٥ - ٢٣٦. أعمال ندوة المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، آذار ١٩٩٤م، نشر مجلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٩٥، آذار ١٩٩٥م.

(٢) قاسم: ج ٥ ص ٤٦٦ - ٤٦٧.

العلاقات الكويتية العربية: في الوقت الذي كانت فيه دول مجلس التعاون الخليجي تتعرض لضغوط أميركية وأوروبية بعد تحرير الكويت لحملها على التخلي عن مقاطعة الكيان الصهيوني؛ شذت الكويت عن باقي دول الخليج العربية، فأعلن وزير خارجيتها الشيخ صباح الأحمد بأن الكويت تحلّت من المقاطعة غير المباشرة للكيان الصهيوني، وسترفع أسماء الشركات التي تتعامل معه من القائمة السوداء، وتدرّع بالمصلحة الوطنية للدولة، حدث ذلك في الوقت الذي رفضت فيه دول الخليج العربية طلب وزير خارجية الولايات المتحدة الأميركية وارن كريستوفر بإنهاء المقاطعة العربية للكيان الصهيوني أثناء جولته في المنطقة في آذار ونيسان ١٩٩٣م.

لكن هذه النظرة السياسية تعدّلت بعد ذلك نسبياً، وكانت الكويت قبل ذلك تدعم سياسة التضامن العربي، والتزمت بمقررات مؤتمر بغداد وعمّان، وكانت في مقدمة البلدان العربية، التي وقفت إلى جانب العراق في حربه ضد إيران.

واستمر الخطر العراقي وملف الأسرى الكويتيين في العراق موضوعين رئيسيين في اهتمامات الكويت خلال عام ١٩٩٦م، أي بعد الغزو بست سنوات، وأكّد صدام حسين في شهر أيلول وهو ما زال يمسك بزمام السلطة في بغداد، أن الكويت في حال حرب معه، ما دفع الكويت إلى تأييد الضربات الصاروخية الأميركية ضد وسائل الدفاع الجوي العراقي في مطلع أيلول، وجاءت آخر المبادرات في مسألة الأسرى الكويتيين في العراق من جانب الفاتيكان عندما وعد البابا يوحنا بولس الثاني ولي العهد الكويتي الشيخ سعد العبد الله ببذل جهود في سبيل هذه القضية.

لم يشهد عام ١٩٩٦م على صعيد العلاقات الكويتية - العربية التطور المتوقع، وبخاصة مع دول الضد التي ساندت العراق في غزوه للكويت، وهي الأردن واليمن والسودان، وذلك على الرغم من الإشارات إلى قرب حصوله مع الأردن، بدليل أنه في شباط ١٩٩٦م تبادل سعد العبد الله والأمير الحسن رسائل لم يُكشف رسمياً عن مضمونها، أعقبها اتصال هاتفى بين أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح والملك حسين<sup>(١)</sup>، وصرّح وزير الخارجية الكويتي الشيخ صباح الأحمد الجابر في ٣ آذار بأن الحكومة متمسكة بالتطبيع مع الأردن، ما دفع سبعة وعشرين نائباً كويتياً إلى طلب مناقشة قرار الحكومة، وقد عارض مجلس الأمة والرأي العام الكويتي بشدة عودة العلاقات مع الأردن، ومع ذلك استمر التعاون بين حكومتي البلدين.

(١) الخوند: ج٥ ص ٣٤٤ - ٣٤٥.

وتلقت العلاقات الكويتية - الفلسطينية ضربة قوية في ٦ كانون الأول ١٩٩٦م عندما تحدى ياسر عرفات الكويتيين أن يثبتوا أنه ساند العراق في الحرب، واتهمهم بإذلال الفلسطينيين وطردهم من الكويت، وردت الحكومة الكويتية على ذلك بعرض وثائق تثبت دعم عرفات لصدام حسين خلال احتلاله للكويت.

لم تُظهر الكويت أي اهتمام للاتصال بالسودان، وتحفظت على انضمام اليمن إلى مجلس التعاون الخليجي.

وخطت الكويت في عام ١٩٩٧م خطوة محدودة على صعيد العلاقات مع الدول العربية في اتجاه المصالحة مع دول الضد، ففاجأ وزير الخارجية الكويتي الشيخ صباح الأحمد الجابر المرابين بتحفظه على الخطط العسكرية الأميركية ضد العراق خلال أزمة التفتيش في أواخر العام المذكور، وكان قد استقبل في تموز وزير الدولة السوداني للشؤون الخارجية مصطفى عثمان، وهي الزيارة الأولى لمسؤول سوداني كبير بعد القطيعة مع السودان إثر الاجتياح العراقي، كما حظت في اليوم نفسه طائرة تابعة لشركة الخطوط الجوية الكويتية في مطار عمّان مفتوحة الخدمة على هذا الخط للمرة الأولى بعد انقطاعها في ٢ آب ١٩٩٠م، وزار وفد كويتي رسمي العاصمة صنعاء وأجرى حواراً باتجاه التفاهم على المصالحة. لكن الموقف الشعبي في الكويت استقبل سلباً هذا الانفتاح، وانتقد النواب الكويتيون هذه التحركات وأصدروا توصية بالتريث في إعادة العلاقات مع دول الضد.

وشهد عام ١٩٩٨م مزيداً من بوادر التطبيع مع دول الضد، فأطلق الكويت سجناء أردنيين، وزادت الخطوط الجوية الأردنية عدد رحلاتها إلى الكويت، ورفعت كل من الأردن والسودان تمثيلهما السياسي. وخطا مجلس الأمة خطوة متقدمة نحو دعم جهود الحكومة للتطبيع مع هذه الدول، فأرسل وفوداً إلى مؤتمرات نيابية في صنعاء وعمّان، وفتحت كل من الأردن واليمن والسودان سفارتها في الكويت في عام ١٩٩٩م، وبذلك عادت العلاقات السياسية إلى طبيعتها بعد الجفاء الذي نتج عن غزو العراق للكويت، وتوّجت العلاقات الكويتية - الأردنية، بزيارة قام بها الملك الأردني عبد الله الثاني إلى الكويت في ٦ أيلول.

وظلت العلاقات مع باقي الدول العربية جيدة وبخاصة مع لبنان، الذي زار رئيس وزرائه سليم الحص الكويت والتقى أميرها في ٢٢ أيار ١٩٩٩م، وقد أكّد العاهل الكويتي لزيارته أن الكويت تقف إلى جانب لبنان، في حين شجّع سليم الحص المستثمرين الكويتيين على الاستثمار في لبنان.

وشهدت العلاقة الكويتية - المصرية هزة بسبب أحداث الشغب المفاجئة في

الكويت والتي شارك فيها آلاف العمال المصريين وأسفرت عن مائة جريح واعتقال الكثير، وخسائر بملايين الدولارات، وبذلت الحكومتان الكويتية والمصرية جهوداً لتطويق الحادث وإزالة آثاره بسرعة.

وأطلق وزير الخارجية الكويتي الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح من بيروت، وكان في زيارة لها، خطوة اعتدالية تعبّر عن رغبة الكويت التساهل مع العراق، وهو لا يمانع في حضوره مؤتمر قمة عربية للبحث في الاعتداءات والتهديدات الصهيونية ضد لبنان، لكن القمة العربية لم تُعقد، وأتبع خطوته هذه بخطوة أخرى في ٤ نيسان عندما لم يستنكر إعادة البحرين فتح سفارتها في بغداد، ثم كانت خطوة أخرى أيضاً رعاها مجلس الأمة الكويتي وعُدّت أول اختراق للمناخ الذي سيطر على المزاج الكويتي العام حيال العراق والعراقيين منذ الغزو والتحرير؛ تمثلت بعقد ندوة عن مستقبل العلاقات الكويتية - العراقية، بدأت في أيار عام ٢٠٠٠م، واستضافت شخصيات عراقية معارضة، وعبّر وزير الخارجية الكويتي فيها عن تفاؤله بإعادة العلاقات الحسنة مع العراق، وأكد أن لا خيار إلا العيش معاً.

وفي ١٥ شباط من العام المذكور أمر أمير الكويت وفداً من الصندوق الكويتي للتنمية بالسفر إلى لبنان ودرس ما يمكن أن تقدمه الكويت لخدمة هذا البلد إثر الاعتداءات الصهيونية عليه، وزار الرئيس اللبناني إميل لحود الكويت في نيسان، واشترك مع أمير الكويت في افتتاح مركز علمي يُعدُّ الأضخم من نوعه في الشرق الأوسط.

وزار مجلس النواب اليمني عبد الله الأحمر الكويت في ١٠ نيسان، وأبدى استعداده في أداء دور من أجل الإفراج عن الأسرى الكويتيين في العراق.

**العلاقات الكويتية الإقليمية والدولية:** قطعت الكويت علاقاتها مع ليبيريا وزائير استناداً لقرار مجلس التعاون الخليجي القاضي بوقف المساعدات الاقتصادية للدول التي تعيد علاقاتها مع الكيان الصهيوني، ومجلس جامعة الدول العربية رقم ٤٢٩١ تاريخ ١٤ أيلول ١٩٨٣م.

وبرزت العلاقات مع الاتحاد السوفياتي في عام ١٩٨٤م من واقع رفض واشنطن تزويد الكويت بصواريخ ستينغر في الوقت الذي وافق فيه الاتحاد السوفياتي بعد زيارة قام بها وزير الدفاع الكويتي الشيخ سالم الصباح إلى موسكو في تموز ١٩٨٤م؛ على عقد صفقة أسلحة مع الكويت لتعزيز الدفاع الجوي الكويتي، وتمّ توقيع اتفاقية بهذا الشأن في الكويت في شهر آب، وجاءت خطوة الكويت هذه متميزة عن دول مجلس التعاون الخليجي، وحجتها اعتماد الحياد بين الكتلتين الكبيرتين في العالم الذي من شأنه خلق توازن يعدهما عن منطقة الخليج العربي.



وزار الرئيس الأميركي جورج بوش بعد انتهاء ولايته الكويت في نيسان ١٩٩٣م وألقى خطاباً أمام مجلس الأمة أشار فيه إلى أن عاصفة الصحراء التي حرّرت الكويت من الاحتلال العراقي، لم تمنح كل التهديدات المحتملة في المنطقة، وأن ثمن الحرية هو اليقظة الدائمة، وأن الإدارة الأميركية الجديدة برئاسة بيل كلينتون ستواجه التهديد العراقي بحزم لا يقل عن حزم الإدارة السابقة، وستسعى للدفاع عن حقوق الإنسان وترسيخ الديمقراطية<sup>(١)</sup>، بيد أن الولايات المتحدة الأميركية ظلّت مهيمنة على منطقة الخليج العربي، وبخاصة الكويت بعد انهيار الاتحاد السوفياتي في عام ١٩٩٠م، وأخذت تسعى إلى إيجاد صيغة أمنية داخلية للمنطقة، تضم إضافة إلى الكويت العراق وإيران، وقد أدركت معظم دول الخليج النوايا الأميركية وأنه لا يعنيه سوى النفط فقط.

وتوترت العلاقات الكويتية مع إيران بسبب حرب الخليج الأولى، وهي الحرب العراقية - الإيرانية (١٩٨٠ - ١٩٨٨م)، فقد أرسلت إيران طائراتها العسكرية، حلّقت فوق سماء الكويت مرات عدة ووجهت ضربات جوية لمنع الكويت من دعم العراق، وازدادت العلاقات حدة في عام ١٩٨٢م بعد أن نجحت إيران في طرد القوات العراقية من أراضيها، وشنت هجوماً مضاداً داخل الأراضي العراقية، وفي ١٢ كانون الأول عام ١٩٨٣م أقدم الشيعة في الكويت المواليون لإيران على تفجير السفارتين الفرنسية والأميركية بالقنابل، وحاولوا في أيار ١٩٨٥م اغتيال أمير الكويت، كما أن استيلاء إيران على الفاو في عام ١٩٨٦م، جعل الكويت في متناول الضربات الإيرانية، وفجّر الشيعة بعض المنشآت النفطية في حزيران وفي كانون الثاني ونيسان وأيار وحزيران من عام ١٩٨٧م، وراحت القوات الإيرانية تضرب سفن النفط الكويتية في مياه الخليج.

شكّلت هذه التهديدات الإيرانية وفشل دول مجلس التعاون الخليجي في مساعدة الكويت، عاملاً دفع الكويت إلى اللجوء للبحث عن مساعدة أميركية وروسية لرفع أعلامها على ناقلات النفط الكويتية، وأسّرت الولايات المتحدة الأميركية إلى الموافقة على الطلب الكويتي منعاً لتغلغل النفوذ السوفياتي في منطقة الخليج العربي وخشية من انتصار إيران على العراق، وقد توافقت المصلحة الوطنية الكويتية مع توجهات الإدارة الأميركية في ذلك، وأدى توفير حراسة بحرية أميركية لقوافل ناقلات النفط الكويتية إلى مواجهات مع إيران خلال عامي ١٩٨٧م و١٩٨٨م<sup>(٢)</sup>، وخلق

(١) الخوند: ج٥ ص٣٤١.

(٢) مهنا: ص٢٦٠ - ٢٦١. كروسي: أنطوني: بعد العاصفة: ص٦٠٥ - ٦٠٧.

ضغطاً دولياً لإنهاء الحرب العراقية، الإيرانية عن طريق تدخل الأمم المتحدة وتحويل هذه الحرب حتى تقبل إيران بقرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ الخاص بذلك.

كانت الكويت تتبع سياسة متوازنة بين التكتلات الأجنبية تنطلق من مبدأ عدم الانحياز، كما اتبعت سياسة إقليمية واقعية، فلم تبادر إلى طرح مشروع لأمن الخليج، علماً بأن مفهومها لهذا الأمن ينطلق من المشكلات الحدودية مع العراق، فكانت تنظر إلى هذا البلد كمصدر لتهديد وجودها، لكن في تركيزها على المحور الدولي تعاونت كليباً مع الإدارة الأميركية ووقّعت معها اتفاقية الدفاع المشترك في أيلول ١٩٩١م مدتها عشر سنوات تُجدّد سنوياً بعد ذلك، كما وقّعت مذكرات تفاهم مع بريطانيا عام ١٩٩٢م، ومع فرنسا وروسيا الاتحادية في عام ١٩٩٣م، ومع الصين في عام ١٩٩٥م، يجري بمقتضاها دورات تدريبية ومناورات مشتركة لدعم القدرات الدفاعية للقوات الكويتية.

واتفقت الكويت مع إيران في كانون الثاني ١٩٩٦م على ترسيم الحدود البحرية بينهما، وأُخذت إجراءات أولية في هذا الاتجاه، وزار وزير الخارجية الكويتي الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح السعودية لمواصلة البحث في الاتفاق على الجرف القاري بين البلدين، لأن ذلك سيساعد على ترسيم حدود الجرف القاري بين الكويت وإيران.

وظلّت سياسة الكويت الخارجية في عام ١٩٩٨م على حالها من القضايا الرئيسة، مثل السلام في الشرق الأوسط على أساس الموقف الخليجي العام، ونجحت في تحريك دول مجلس التعاون الخليجي ضد بغداد بشكل أكثر حزماً.

واحتفظت الكويت بعلاقاتها الخاصة مع واشنطن والغرب، وزار وزير الدفاع الأميركي وليم كوهين الكويت في ٨ نيسان عام ٢٠٠٠م، وأكد على استمرار الالتزام القومي لواشنطن بأمن واستقرار هذا البلد بخاصة والمنطقة بعامه، وأعلن عن أهمية نشر منظومة صاروخية مضادة للصواريخ لمواجهة أي هجوم بالأسلحة الكيماوية والبيولوجية على دول المنطقة والقوات الأميركية المرابطة فيها، وكان وزير الدفاع البريطاني جيفري هون قد زار الكويت في مطلع شباط وصرّح بعد مقابله أمير البلاد بأن القوات البريطانية ستبقى في الكويت طالما دعت الضرورة ذلك.

وتواجه سياسة الكويت الخارجية اليوم وبعد مرور عقدين على الغزو العراقي «معاناة صامتة» تتمثل في محاولة دائمة للتوفيق بين رغبة قوية في المحافظة على أكبر قدر ممكن من عناصر صيغة ما قبل الغزو، وبين التغيير الذي فرضه هذا الغزو، وتنطلق هذه المعاناة من انغماس الكويت في مضاعفات الغزو والحرب التي أعقبته،

وكذلك من الواجبات والمتطلبات التي تفرضها الحماية الأميركية الدائمة، وبمقدار ما انعكست تلك الحماية على الوضع الداخلي، إذ أنها وضعت السياسة الكويتية على خط إنجاح السياسة الأميركية في المنطقة ودعمها، ويمكن في ضوء ذلك قراءة المواقف الكويتية مع العراق ودول الجوار ومع عملية السلام في الشرق الأوسط والعلاقة مع دول الضد التي ساندت العراق في الحرب.

وأدت مضاعفات الغزو إلى بروز المسألة الأمنية كأولية في السياسة الكويتية الخارجية تركز على إجماع كويتي، غير أن الترتيبات التي تحصل عليها تتطلب ضرورة مراعاة الرأي العام والكونغرس الأميركيين، لأن الكويت أضحت من المواقع التي تدافع الولايات المتحدة الأميركية عنها، ويمكن أن يموت أميركيون من أجلها، كذلك يجب أن تتحمل تبعات إنجاح السياسة الأميركية في المنطقة، سواء ما يتعلق منها بعملية السلام في الشرق الأوسط أو بتطبيق الاحتواء المزدوج للعراق وإيران، ولكن الكويت نأت بنفسها عن التعامل الإجرائي مع هذه العملية، وأن مسؤوليتها في إنجاح السياسة الأميركية في المنطقة دفعها إلى المشاركة في تمويل سلطة الحكم الذاتي الفلسطيني لكن عبر المصرف الدولي، وسيكون عليها أن تساهم سياسياً في إجراءات بناء الثقة، ولم تتعامل مع سياسة التطبيع، وفيما يتعلق بدول مجلس التعاون يبقى ما هو مطلوب منها دعم السياسة الأميركية، وتعدُّ إيران من منظور أميركي مرتبطة بالإرهاب وبأحثة عن نفوذ في المنطقة على حساب النفوذ الأميركي<sup>(١)</sup>.

## الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح

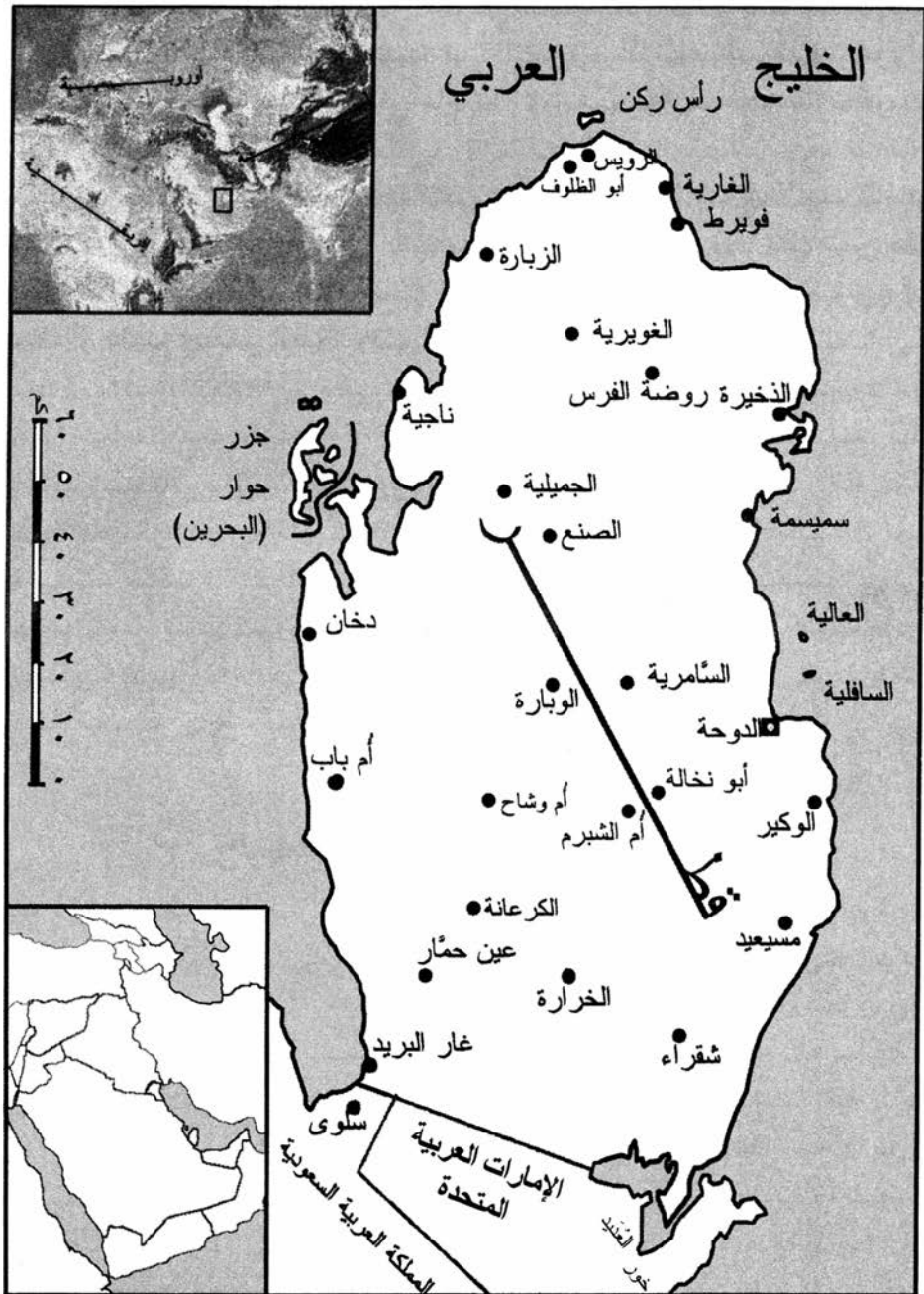
بقيت السياسة الخارجية للكويت وعلاقتها مع الأطراف الإقليمية والدولية، على حالها حتى وفاة الأمير الشيخ جابر الأحمد الصباح في ١٥ كانون الثاني ٢٠٠٦، ونودي بعد وفاته بالشيخ سعد العبد الله السالم الصباح أميراً على الكويت خلفاً له، ولكن سرعان ما تمَّ عزله بقرار من مجلس الأمة بسبب مرضه، وتمَّت مبايعة وزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أميراً على الكويت، وعُيِّن الشيخ نواف الأحمد الصباح ولياً للعهد بعد تركيته من الأمير ومبايعته في مجلس الأمة.

عمد الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح إلى حلِّ مجلس الأمة في أيار ٢٠٠٦م، وجرّت انتخابات جديدة، وفي ١٢ تموز بدأ مجلس الأمة الجديد أعماله، ولعل أهم منجزاته: إقرار قانون إعطاء المرأة الحق في الانتخاب والترشح، وقد حلَّ

(١) بدرخان، عبد الوهاب: جريدة الحياة، تاريخ ٥ نيسان، ١٩٩٥م.

الأمير هذا المجلس في ١٩ آذار ٢٠٠٨م، وجرت انتخابات جديدة، وفي ٧ كانون الأول حلَّ أمير البلاد مجلس الأمة الكويتي الجديد إثر احتجاجات شعبية ضد الحكومة، وكان قد عيَّن حكومة جديدة قبل ذلك، وجرت انتخابات جديدة أخرى، ثم حلَّ مجلس الأمة الجديد أيضاً في عام ٢٠١٢م بسبب معارضته سياسة الحكومة، وأجرى انتخابات جديدة.

وتستمر السياسة الكويتية الخارجية للكويت في عهد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح على وضعها مع ميل إلى تقويتها مع الدولة العربية، ونلاحظ ضمن هذا التوجه الجديد دعم لبنان خلال مِحْنِهِ المتعاقبة الناتجة عن الغزو الصهيوني؛ إنَّ بالمال أو بتقديم حصص نفطية، ودعم القضايا العربية في المحافل الدولية.



خريطة قطر. عن اطلس دول العالم الإسلامي لشوهي أبو خليل. دار الفكر - دمشق

## قطر

### الموقع والجغرافيا

المعنى الغالب لاسم قطر هو المتعلق برسم الأماكن ووضعها الجغرافي وحالتها الطبيعية، وثمة اجتهادات حاولت الإمساك بجذور تسمية هذا البلد بقطر منها: - إن قطر جاءت من قطر المطر، حيث كانت شبه الجزيرة القطرية أغزر مطراً مما حولها.

- إن قطر منسوبة إلى القطر بمعنى البخور، إذ كانت محطة لاختبار البخور قبل نقله من شرق آسيا إلى الأناضول وجنوبي روسيا.

- إن قطر بمعنى القطيع من الإبل إذ كان يُصدَّر من قطر الكثير من الإبل<sup>(١)</sup>.

وقطر شبه جزيرة على الساحل الغربي للخليج العربي، يحدها من الجنوب المملكة العربية السعودية، ومن الغرب خليج سلوى الذي يفصلها عن البحرين، ومن الشمال والشرق مياه الخليج العربي، مساحتها أحد عشر ألفاً وأربعمائة وسبعة وعشرين كيلومتراً مربعاً، وبلغ طولها نحو مائة وستين كيلومتراً، وعرضها نحو ثلاثين كيلومتراً، وتتبعها جزر عديدة هي بمثابة أرخبيل ممتد في مياهها الإقليمية، ويكاد يلتصق بها، مثل الجزر الواقعة عند رأس ركان، ومنها ما يبعد عدة أميال مثل جزيرة حالول، وجزر حوَّار، وهي عبارة عن أرخبيل مكوَّن من ست عشرة جزيرة لا تبعد عن السواحل القطرية سوى ميل واحد، وهي مثار نزاع مع البحرين.

عاصمة قطر هي الدوحة وكانت تُعرف في السابق باسم البدع، وهي أكبر مدن قطر وأهمها على الساحل الشرقي للخليج العربي، والدوحة ميناء مهم من موانئ هذا الخليج، وأهم مدنها: الريان، وكرة، الحويلة. يبلغ عدد سكان قطر نحو ستمائة ألف نسمة وفقاً لإحصاء ١٩٩٧م، ويتوقع أن يبلغ نحو سبعمائة وخمسين ألفاً عام ٢٠٢٥م.

إن معظم أراضي قطر عبارة عن سهل صخري رملي، وقد تعرَّضت لحركات

(١) الخوند: ج ١٥ ص ٢٧.

أرضية ضاغطة أدت إلى تقويس أرضها في هيئة ثنية محدبة فسيحة يمتد محورها بين الشمال والجنوب بطول شبه الجزيرة، وتشارك قطر مع دول الخليج العربي بسماتها المناخية إذ أن مناخها قاري رطب، حار صيفاً ودافئ شتاءً، قليل الأمطار.

ترتبط قطر بدول الخليج العربي في وحدة اللغة العربية، وفي وحدة الدين الإسلامي، والاقتصاد المعتمد على النفط، وتنصهر بالتالي في الموقع المهم وفي المظاهر والسمات الإسلامية والعربية، وتشابه بيئتها الاجتماعية والسكانية مع غيرها من سكان بلدان الخليج العربية، وتتألف من بدو وحضر وكلهم عرب باستثناء الزوج الإيرانيين.

وشكّل العامل الجغرافي تأثيراً كبيراً على دولة قطر بوصفها تقع في قلب منطقة الخليج العربي وفي منتصف ساحله الغربي وفي وسط الساحل الشرقي للجزيرة العربية، وهي بحكم موقعها تستأثر بمركز مهم بين بلدان الخليج المذكور، كما أضحت حلقة اتصال للمواصلات الجوية بين الشرق والغرب.

## تاريخ قطر حتى الاستقلال

### نشأة قطر

يبدأ تاريخ قطر الحديث حوالي عام ١٧٦٦م بنزوح قبائل نجدية إلى هذه البلاد، بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة نجد، ومن هذه القبائل النازحة قبيلة العتوب التي استقرت في الزبارة على الساحل الغربي لقطر، وأشهر فروعها آل خليفة والجلاهمة، وقد مارسوا تجارة اللؤلؤ، فازدهرت الزبارة ونافست البصرة التي كانت تحت حكم الإيرانيين منذ عام ١٧٧٦م، وقد عدّ هؤلاء قيام الزبارة وازدهارها تهديداً لتجارتهم لا سيما بعد أن تحالف إمام عُمان مع آل عتبة ضدّهم، وقد غزت سفن العتوب مع سكان قطر البحرين في عام ١٧٨٢م، وانتقاماً لهذه الغارة حاول البحرينيون الهجوم على الزبارة، لكنهم هُزموا، واستطاع آل عتبة الاستيلاء على البحرين في عام ١٧٨٣م وجلا الإيرانيون عنها، فغادر آل خليفة عندئذٍ الزبارة واستقروا في البحرين.

ظهر آل ثاني في قطر في عام ١٨٤٢م، وينتسبون إلى ثاني بن محمد بن تامر بن علي من بني تميم من أشهر قبائل مضر بن نزار، وموطن آل ثاني هو نجد من مقاطعة الوشم، نزحوا في أواخر القرن السابع عشر ونزلوا في الجنوب الشرقي من قطر قبل أن ينتقلوا إلى الزبارة ويستقروا فيها حيث وُلد جد العائلة ثاني.

بايعت الأسرة بعد وفاة ثاني ابنه محمد، وكان تابعاً لآل خليفة في البحرين ويدفع

لهم الضريبة، على أن الشيخ جاسم ابن الشيخ محمد ونائبه حاول التحرر من تبعية آل خليفة، لكن هؤلاء استطاعوا بالدهاء أن يقبضوا عليه وسجنوه، ما أثار القطريين، فهاجموا آل خليفة وانتصروا عليهم وأسروا بعض شخصياتهم افتدوا بهم الشيخ جاسم.

استمرت جهود آل ثاني للتحرر من تبعية البحرين، فاصطدموا بالبحرينيين مرة أخرى في عام ١٨٦٧م، قاد محمد بن خليفة البحرينيين في حين قاد محمد بن ثاني القطريين، وساند الشيخ زايد حاكم أبو ظبي الأول بفعل أن قطر كانت حليفة السعوديين، كانت هذه الحملة مدمرة إذ فرَّ القطريون بكل اتجاه، غير أن القبائل القطرية لم تتقبل هذه الهزيمة، فشنت هجوماً مضاداً أسفر عن انتصار غير حاسم لمحمد بن ثاني الذي كبَّد البحرينيين خسائر فادحة.

أثار النزاع بين قطر والبحرين اهتمام بريطانيا التي خشيت على مصالحها في الخليج العربي، وقد عدَّ ديللي المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي هجوم البحرينيين مخالفاً لاتفاقية عام ١٨٦١م المعقودة بين بريطانيا والبحرين، والتي تنص على تعهد حاكم البحرين بعدم الاعتداء على غيره من حكام الإمارات، وتفرض أن يُعلم المقيم السياسي البريطاني بنأ الاعتداء عليه، وتُحظر عليه وعلى رعاياه القيام بأي اعتداء مضاد من دون موافقة الحكومة البريطانية، وعدَّ ديللي أن الهجوم البحريني هدّد مركز بريطانيا كحامية للسلام في الخليج العربي، وقرّر استبعاد الشيخ محمد بن خليفة عن الحكم وتعيين أخيه مكانه، وأجبره على توقيع اتفاقية سلام في عام ١٨٦٨م، تعهد بموجبها دفع غرامة كبيرة بسبب انتهاك البحرين اتفاقية عام ١٨٦١، على أن يُخصَّص عشرون في المائة منها إلى شعب قطر تعويضاً لهم<sup>(١)</sup>.

وغادر ديللي إلى الوكرة فاجتمع بالشيخ محمد بن ثاني وأجبره على توقيع معاهدة مع البحرين في ١٢ أيلول ١٨٦٨م تعهد فيها: أن يعود إلى الدوحة التي كان قد غادرها، ولا يرتكب ما يخرق معاهدة السلام البحري، ولا يتحالف مع آل خليفة في المستقبل، ولا يتدخل في شؤون البحرين الداخلية<sup>(٢)</sup>.

الواقع أن اتفاقية عام ١٨٦٨م تركت أثراً متناقضة في قطر، فهي من جهة كانت سبباً مباشراً لدخول مشيخة قطر ضمن دائرة النفوذ البريطاني، إذ لم يكن لبريطانيا قبل ذلك التاريخ أي اتصال بقطر، ربما بسبب أنها كانت جزءاً من ممتلكات حاكم البحرين، لكن تلك الاتفاقية أقرت حقوق بريطانيا في قطر، وجعلت لها موطئاً قدم

(١) Al Bahama, Husain, M: The Arabian Gulf State and Oman p36.

(٢) الدباغ، مصطفى: قطر ماضيها وحاضرها: ١٧٧ - ١٧٨.



فيها، ومن ناحية أخرى، تُعدّ تلك الاتفاقية خطوة أولى على طريق استقلال قطر، إذ إن دخول المقيم السياسي البريطاني ديللي في مفاوضات مع الشيخ محمد بن ثاني، أعطى قطر موقعاً خاصاً لم يسبق أن أُعطي لها من قبل، وأضفت تلك المعاهدة اعترافاً بشيخ قطر ودولته، وتُعدُّ بداية انفصال قطر عن البحرين وبروزها كإمارة جديدة بعد أن كان يُشار إليها قبل ذلك بتوابع البحرين<sup>(١)</sup>.

وجرت في أواخر حكم الشيخ محمد بن ثاني أحداث مهمة تمثّلت بانحسار نفوذ الدولة السعودية إثر وفاة الأمير فيصل بن تركي في عام ١٨٦٥م، وتنافس ولديه عبد الله وسعود على السلطة، ما أضعف بنيان الدولة القوي الذي شيّده والدهما، وتلقى الأمير سعود مساعدة من آل خليفة حكام البحرين، واستولى على الأحساء بمساعدة قبائل العجمان، ثم سار إلى قطر في عام ١٨٧٠م، فاصطدم بحامية أخيه عبد الله التي كانت مرابطة فيها، لكنه خسر المعركة، وعاد إلى الأحساء التي بايعه أهلها.

واستعادت الدولة العثمانية في هذه الأثناء اهتمامها بالجزيرة العربية وبخاصة بعد فتح قناة السويس في عام ١٨٦٦م، فالتمس الأمير عبد الله المساعدة من مدحت باشا والي بغداد الذي استجاب لالتماسه، وأرسل حملة عسكرية عثمانية انضم إليها مقاتلون كويتيون بقيادة الشيخ عبد الله آل الصباح وأخيه الشيخ مبارك استولت على الأحساء وقطر، وأقامت في الأخيرة حامية عسكرية، وأعلنتها قائممقامية تابعة إدارياً لمتصرف الأحساء، وهكذا عادت قطر إلى أحضان العثمانيين.

توفي الشيخ محمد بن ثاني بعد هذه الأحداث في عام ١٨٧٨م وخلفه ابنه الشيخ جاسم الذي يُعدُّ المؤسس الفعلي لإمارة قطر.

## جاسم بن محمد

بدأ الشيخ جاسم حكمه بتوحيد قبائل قطر تحت سيادته بفضل ما أوتي من الثراء وقوة الشخصية، وقدرة على التغلب على الصعوبات، فحاول التخلص من اتفاقية ١٢ أيلول ١٨٦٨م التي فرضتها بريطانيا على والده، والتي تُنظّم العلاقات بين قطر والبحرين، في الوقت الذي تغلغل البريطانيون في صميم الحياة في قطر، فاتصل بالسلطات العثمانية، ونسّق معها لتوحيد القوى الإسلامية والوطنية في الخليج العربي، ورفع العلم التركي على قلعة البدع في عام ١٨٧١م، فحقّق بذلك الضغط البريطاني عن بلاده، وقام

(١) قاسم: ج١ ص ٣٧٧.

بصيانة استقلاله في ظل الصراع على السواحل الشرقية بين الدولة العثمانية وبريطانيا، والذي استمر حتى عام ١٨٩٦م.

استمر شيوخ آل ثاني في إدارة شؤون بلادهم، ولم تعترف بريطانيا بالسيطرة العثمانية على قطر، وتجاه تفاقم النزاع بينها وبين الدولة العثمانية أضحت قطر مسرحاً لهذا النزاع، ما دفع الشيخ جاسم إلى الانتقال من الدوحة إلى الداخل واستقر في قرية الطعاعين، ثم عاد إلى الدوحة بعد أن تفاهم مع العثمانيين، والمعروف أن هؤلاء كانوا ينوون فرض إرادتهم وإدارتهم المباشرة على إمارة قطر تنفيذاً لمشروع عاكف باشا متصرف الأحساء، وقد لقي هذا المشروع معارضة من الشيخ جاسم، كما عارض فرض الضرائب على التجار والسفن وعلى دخل اللؤلؤ، ووصل النزاع إلى مرحلة تعقدت فيها العلاقات بينهما عندما أقدم الوالي محمد حافظ باشا في ٢٥ آذار ١٨٩٣م على اعتقال الشيخ أحمد بن محمد آل ثاني واثني عشر من أعيان الدوحة، وقام الجيش العثماني في اليوم التالي بمهاجمة الشيخ جاسم، لكن هذا تمكّن من صدّ الهجوم في مسمير على بُعد سبعة أميال جنوبي الدوحة، وانسحبت القوات العثمانية عقب الهزيمة من قطر في عام ١٨٩٦<sup>(١)</sup>.

كَمُنَّ سُرُّ نِجَاحِ الشَّيْخِ جَاسِمٍ فِي حَيَاتِهِ السِّيَاسِيَةِ فِي الْعَوَامِلِ الْآتِيَةِ:

- العلاقات العثمانية - البريطانية المعقدة، ومواقف بريطانيا المتناقضة من الوجود العثماني، إذ في الوقت الذي رفضت فيه الاعتراف بسلطة العثمانيين على قطر تجنّبت تعريض علاقاتها مع العثمانيين للخطر، وذلك لمواجهة الأطماع الفرنسية في الشرق وشمال إفريقيا، وأطماع المستشار الألماني بسمارك في أراضي الدولة العثمانية بعد مؤتمر برلين في عام ١٨٧٨م.

- قضية مدينة الزبارة التي ادعى آل خليفة في البحرين السيادة عليها، وأدى ذلك إلى تورط كل من الدولة العثمانية وبريطانيا، فحاولتا إيجاد حلول توفيقية لتفادي المواجهة بينهما، وجاءت النتيجة لمصلحة آل ثاني الذين سيطروا عليها.

- شخصية الشيخ جاسم؛ التي اتسمت بالتقى والورع، وفصاحة اللسان، والعلم والمعرفة بأمر الدين، والتماسك عند حدوث الأزمات.

توفي الشيخ حاسم في عام ١٩١٣م، وخلفه ابنه الشيخ عبد الله.

(١) العناني، أحمد: المعالم الأساسية للتاريخ القطري الحديث، ملخصات البحوث المقدمة لمؤتمر الدراسات التاريخية لشرقي الجزيرة العربية: ص ١٣٠ - ١٣٦.

## قطر خلال الحرب العالمية الأولى

دخلت قطر في مرحلة جديدة من العلاقات بينها وبين بريطانيا إثر توقيع الاتفاقية العثمانية البريطانية في تموز ١٩١٣م والتي اعترفت الدولة العثمانية بموجبه بنهاية سيادتها على قطر التي أضحت إمارة مستقلة يتوارثها أمراء آل ثاني، وتوثقت هذه العلاقات بنشوب الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤م حيث ساهمت قطر مع بقية إمارات الخليج العربية في المجهود الحربي البريطاني.

وعقدت بريطانيا في عام ١٩١٥م اتفاقية دارين (القطيف) مع الأمير عبد العزيز آل سعود أُشير فيها إلى مشيخة قطر بأنها واقعة تحت الحماية البريطانية، وحذرت بريطانيا الأمير السعودي من التدخل في شؤونها، والمعروف أن قطر كانت بنظر هذا الأمير جزءاً من ممتلكات أسلافه.

ودخلت العلاقات القطرية - البريطانية خلال الحرب مرحلة جديدة أكثر فاعلية عبر عقد اتفاقية الحماية بين البلدين في ٣ تشرين الثاني ١٩١٦م، التي تُعدُّ انعطافة في تحول العلاقات بينهما، وهي شبيهة باتفاقيات الحماية المعقودة بين بريطانيا وكل من الكويت والبحرين، التي أناطت ببريطانيا تولي الشؤون الخارجية لهذه الإمارات وتسييرها نيابة عنها، على أن تُنيط إدارة الشؤون الداخلية بالشيخ والأمراء على نحو لا يتعارض مع المصالح البريطانية.

ويبدو أنه تضافرت عوامل عدة دفعت بريطانيا إلى عقدها، نذكر منها:

- نشوب الحرب العالمية الأولى وهي التي دفعت الحكومة البريطانية إلى اللجوء إلى عقد الاتفاقية من أجل تأمين مصالحها في منطقة الخليج العربي وتأمين تجميع قواها وتوحيد جبهاتها خلال الحرب وبخاصة أن الحكومة العثمانية رأت عقب حروب البلقان (١٩١٢ - ١٩١٣م) أن تُسوي مشكلاتها مع بريطانيا حتى تستقطبها، فتنازلت لها عن جميع حقوقها في قطر<sup>(١)</sup>.

- رواج تجارة الرقيق وازدياد نشاط القرصنة على ساحل قطر في مطلع القرن العشرين.

- ازدهار تجارة السلاح التي كانت تُشكّل خطراً كبيراً على النفوذ البريطاني.

- صراع القوى المحلية، الأسرية والشخصية على السلطة، بالإضافة إلى صراع القوى الخارجية.

(١) المنصور، عبد العزيز محمد: التطور السياسي لقطر ١٩١٦ - ١٩٤٩م ص ١١.

- سقوط مدينة الأحساء في قبضة الملك عبد العزيز آل سعود في عام ١٩١٣، ومحاولة توسعه في ساحل عُمان اعتقاداً منه بأنها من ممتلكات أجداده.
- ضمان سلامة نفوذها ومواصلاتها في المنطقة<sup>(١)</sup>.
- نصّت معاهدة ٣ تشرين الثاني ١٩١٦ على:
- وضع إمارة قطر تحت الحماية البريطانية.
- إلغاء تجارة الرقيق.
- إجراءات التفتيش البحري التي تقوم بها السفن البريطانية.
- امتناع الشيخ عبد الله عن استيراد السلاح إلا ما يحتاجه هو والعشائر التابعة له.
- لا يجوز لحاكم قطر أن يفرض رسماً أو ضرائب جمركية على الرعايا البريطانيين تزيد عن ٥٪.
- عدم منح امتيازات للشركات الأجنبية لاستغلال مصائد اللؤلؤ أو غير ذلك من الثروات الطبيعية.
- إقامة وكيل بريطاني في الدوحة، ومكاتب للبريد، وأعمدة للبرق مع ما يترتب على ذلك من إجراءات لتأمينها.
- ووقّع الشيخ عبد الله في الوقت نفسه وثيقة منفصلة عن المعاهدة تضمنت قيوداً معينة منها:
- عدم تبادل ممثلين مع أي دولة أخرى غير الحكومة البريطانية.
- عدم التنازل عن أراضٍ تابعة له سواء كان ذلك عن طريق البيع أو التأجير أو النقل أو الهدية من دون موافقة بريطانيا المسبقة.
- عدم منح امتيازات خاصة باستغلال النفط أو غيره من الموارد الطبيعية لأي شخص من دون موافقة المقيم البريطاني في الخليج العربي<sup>(٢)</sup>.
- الواقع أن الشيخ عبد الله كان معروفاً بولائه للبريطانيين وبالعلاقات الطيبة معهم.

## العلاقة مع السعودية

شهدت العلاقات القطرية - السعودية توتراً في عهد الشيخ عبد الله بسبب أطماع الأمير عبد العزيز آل سعود في أراضي قطر، وكانت بريطانيا تقف دائماً في وجهه، ففي عام ١٩٢١ أعرب الشيخ عبد الله عن قلقه من أحداث الكويت (معركة الجهراء) وتمتدّد حركة الإخوان إلى إمارته ما قد يؤدي إلى انتشار المذهب الوهابي في مجتمعه

(١) مهنا، محمد نصر: قطر: ص ٩٣. سنان، محمود بهجت: تاريخ قطر العام: ص ٩٧.

(٢) قاسم: ج ٣ ص ٢٥١ - ٢٥٢.

وبين رعاياه، وانضمامهم إلى التبعية السعودية؛ في الوقت الذي كان يتعرض لضغط من أخيه خليفة لخلعه والجلوس مكانه في سُدَّة الحكم، بتحريض من الأمير السعودي، لذلك طلب المساعدة من بريطانيا لمواجهة تلك التطورات السياسية، لكن الحكومة البريطانية أحجمت عن مساعدته إلا ضمن الوسائل السياسية عملاً بنص الاتفاقية المعقودة بينهما، ويبدو أنها رأت أن في مخاوفه شيئاً من المبالغة لأن الأمير السعودي لن يهاجم قطر ما دام يتلقى منها الزكاة السنوية، كما أن الموظفين التابعين له في الأحساء كانوا في وضع يُتيح لهم ممارسة نفوذهم على قطر<sup>(١)</sup>.

وفي عام ١٩٢٢م منح الأمير السعودي امتياز النفط في الأحساء للشركة الشرقية العامة الأميركية، ويلاحظ أنه توسَّع في حدود هذا الامتياز فشمّل قطر كلها، فاعترض بيرسي كوكس على ذلك، وأوضح لكل من الأمير السعودي وفرانك هولمز ممثل الشركة المذكورة بأنه ينبغي أخذ رأي الحكومة البريطانية قبل عقد أي امتياز، وفقاً لنص المادة الرابعة من المعاهدة البريطانية - القطرية لعام ١٩١٦م، والواضح أن المصالح الأميركية كانت تقف وراء تحركات هولمز.

ويبدو أن الأمير عبد العزيز ظل يُهدّد بضم قطر إلى ممتلكاته، فاقترح المقيم البريطاني في الخليج العربي ضرب الدمام لوقف تهديداته، لكن اتفاقية جدة التي عقدت في عام ١٩٢٧م بين السعودية وبريطانيا ألزمته بالمحافظة على علاقات الودّ مع قطر وإمارات الساحل العُماني المتصالح، فخفَّت بذلك الضغط السعودي عن قطر.

وقام الشيخ عبد الله بزيارة للسعودية في أواخر عام ١٩٣٣م لتهنئة الملك عبد العزيز آل سعود بقيام المملكة العربية السعودية في أيلول ١٩٣٢م، ووقَّع معه اتفاقاً تعهد فيه بالألا يمنح امتيازاً للنفط في الأراضي الداخلية من قطر، وألا يزيد ما يمنحه عن مدينة الدوحة والمناطق المجاورة لها، ويبدو واضحاً أن شركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا كانت وراء هذا التعهد للتسلل إلى داخل الأراضي القطرية والحصول على امتياز النفط<sup>(٢)</sup>.

لم تقف مسألة منح امتيازات النفط عند هذا الحد في ظل الصراع البريطاني - الأميركي، فقد أثمرت الضغوط البريطانية على الشيخ عبد الله على منح امتياز النفط إلى الشركة البريطانية - الإيرانية في ١٧ أيار ١٩٣٥م لمدة خمس وسبعين سنة، حصلت الشركة بموجبها على مكاسب تجارية خاصة بها في التنقيب عن النفط

(٢) المرجع نفسه: ص ٢٥٦.

(١) قاسم: ج ٣ ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

وإنتاجه ونقله وتكريره وتسويقه<sup>(١)</sup>، ما دفع الملك السعودي إلى توجيه تحذير للشيخ القطري بعدم السماح للمنقبين التابعين لتلك الشركة بمباشرة عمليات التنقيب قبل ترسيم الحدود بين البلدين، وفي المقابل، أبدت بريطانيا استعدادها للدفاع عن قطر. ويبدو أنه كانت لبريطانيا دوافع «استراتيجية» للتدخل في مسألة العلاقات القطرية - السعودية لعل أهمها:

- تزايد مشكلات النفط بعد أن منح الشيخ عبد الله امتيازاً لشركة النفط البريطانية - الإيرانية، ما دفع الملك السعودي إلى الاحتجاج، وهدد بوقف عمليات الاستغلال، يضاف إلى ذلك، توسع المصالح الأميركية بعد الحصول على امتياز الأحساء في عام ١٩٣٣م؛ إلى المناطق المجاورة، ومحاولة الأميركيين الحصول على امتياز من شيخ أبو ظبي، وقد أوجد كل ذلك وضعاً صعباً أمام الحكومة البريطانية دفعها إلى التدخل.

- وضع حد لمحاولات الملك السعودي بالتوسع في الشرق، ولا يتم ذلك إلا عبر تعيين حدود سياسية لقطر ومشیخات الساحل العُماني المتصالح.

- محاولة الإيطاليين مدّ نفوذهم إلى الداخل السعودي، وكانت هناك خشية من استجابة الملك السعودي للتقدم الإيطالي<sup>(٢)</sup>.

### العلاقة مع بريطانيا في أواخر حكم الشيخ عبد الله

توثقت العلاقات بين قطر وبريطانيا بشكل أكثر عمقاً بعد العثور على النفط بكميات تجارية. ففي عام ١٩٣٨م جُددت الاتفاقية المعقودة بين الطرفين، وصدر مرسوم خاص بذلك، وهيمنت بريطانيا في العام التالي على اختصاصات القضاء في القضايا الجنائية التي يُتهم فيها رعايا بريطانيين أو أشخاص متمتعون بالحماية البريطانية، كذلك في القضايا المدنية التي يكون فيها كلا الطرفين رعايا بريطانيين أو متمتعين بالحماية البريطانية، ولا يشمل ذلك رعايا الكويت والبحرين ومشیخات ساحل عُمان المتصالح الذين يخضعون لقضاء المحاكم المحلية.

وجرى في نيسان ١٩٤٩م إلغاء المرسوم المشار إليه إثر إلغاء حكومة الهند الشرقية البريطانية عقب إعلان استقلال الهند وباكستان في عام ١٩٤٧م، واستُبدل بمرسوم آخر خاص بإمارات الخليج العربي يقضي بأن تُنفذ الأحكام التي تصدرها محاكم تُنشأ بمقتضى المرسوم الجديد في أي إمارة من هذه الإمارات.

(١) Zahlan, Rose Marie: The Creation of Qatar p77.

(٢) قاسم: ج٣ ص٢٥٩.

ولم يكن في قطر ممثل من قبل الحكومة البريطانية حتى عام ١٩٤٩م، وأوكلت رعاية المصالح البريطانية في هذا البلد إلى ممثل بريطانيا في البحرين، لكن ابتداءً من العام المذكور تمَّ تعيين وكيل بريطاني في الدوحة، ويبدو أن لذلك علاقةً باحتمال توسع نطاق العلاقات بين البلدين، كما عيّن الشيخ عبد الله مستشارين بريطانيين ليعاونوه في إدارة الأمن العام وغيرها من الإدارات الرسمية<sup>(١)</sup>.

## وفاة الشيخ عبد الله

وجرى في عهد الشيخ عبد الله ضم مدينة الزبارة إلى قطر في عام ١٩٣٧م، وهي بالنسبة لآل ثاني تعدُّ موطن أجدادهم، وقد بنى الشيخ عبد الله قصرًا فيها، وعيّن ابنه الثاني حمد خلفاً له في عام ١٩٤٩م وعهد إليه بتصريف شؤون الإمارة، لكن حمداً كان عليلاً ولم يلبث أن توفي ما دفع الشيخ عبد الله إلى تعيين ابنه الآخر علي ولياً لعهد، وأوصى بأن يخلف الشيخ علي ابن أخيه الشيخ خليفة بن حمد الذي كان صغير السن آنذاك<sup>(٢)</sup>، وتوفي الشيخ عبد الله في عام ١٩٥٦م.

## علي بن عبد الله

لم يتمتع الشيخ علي بن عبد الله بصفات القيادة التي كان يتمتع بها آل ثاني حكام قطر، تسلّم الحكم وهو كبير السنّ عندما تنازل له والده عن السلطة في عام ١٩٤٩م، فلم يتمكّن من منح قطر خلال مدة حكمه التي استمرت أحد عشر عاماً (١٩٤٩ - ١٩٦٠م) ما منحه سلفه، إنما كانت عملية التغيير تسير قدماً بسبب ازدياد دخل البلاد.

شُغف الشيخ علي بالحياة الهادئة، ولم يكن متحمساً للحكم كغيره من آل ثاني، وشهد عهده أزمة السويس عام ١٩٥٦م، وكان القطريون مثلهم مثل الخليجين من حيث الوعي القومي، فهبوا لنصرة مصر وعطّلوا أنابيب النفط، وخرجوا في مظاهرات صاخبة، اشترك فيها النساء مع الرجال انتصاراً لمصر<sup>(٣)</sup>.

لم يهتم الشيخ علي بتطورات العصر، واشتط بالتصرف بالثروة النفطية، فبنى القصور داخل قطر وخارجها، وامتنع عن إنشاء المدارس العصرية إلا في نطاق ضيق، فقد افتتحت أول مدرسة ابتدائية للبنين في عام ١٩٥٢م، وأنشئ أول مركز

(١) قاسم: ج٣ ص ٢٦٠.

(٢) الريس، رياض نجيب: صراع الواحات والنفط، هموم الخليج العربي بين ١٩٦٨م و١٩٧١م، ص ٢٢٢.

(٣) الدباغ: ص ١٩٥.

لتعليم الكبار ومكافحة الأمية في عام ١٩٥٥م، وأنشئت أول مدرسة للبنات في عام ١٩٥٦م، وأول مدرسة صناعية في عام ١٩٥٧م، وتشكّلت أول وزارة للمعارف في العام نفسه ترأسها الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ولي العهد ونائب أمير البلاد، وأنشئ أول معهد ديني في مطلع العام الدراسي ١٩٦٠ - ١٩٦١م<sup>(١)</sup>.

واجه الشيخ علي في أواخر حياته السياسية معارضة من جانب أفراد الأسرة الحاكمة وشعر بعدم رغبة مجلس الأسرة في استمراره في الحكم لذلك تنازل عن الحكم طوعاً لابنه الشيخ أحمد في ٢٤ تشرين الأول ١٩٦٠م.

## أحمد بن علي

إنجازاته الداخلية: شهد عهد الشيخ أحمد بن علي تطورات مهمة فرضتها الظروف الداخلية والخارجية العربية والدولية كانت لصالح قطر، فقد تكوّنت الإدارة الحديثة، وأدخلت بعض التنظيمات الإدارية، ويبدو أن لذلك علاقة بتعثر شركات النفط في أعمالها في ظل عدم وجود إدارة تُعنى بالأمن والطرق وغيرها من الشؤون العمرانية، ما دفع المقيم السياسي البريطاني إلى الضغط على الشيخ أحمد للقيام بالإصلاحات الضرورية التي من شأنها دفع عجلة الدولة إلى الأمام.

وتكوّنت في عام ١٩٦٢م ثلاث إدارات هي: المالية والشؤون الإدارية والنفط، برئاسة أفراد من الأسرة الحاكمة، وخُصّصت وزارة للتعليم، وشكّل الشيخ أحمد في عام ١٩٦٤م مجلساً استشارياً لمساعدته في تسيير شؤون الحكم تكوّن من نائب الحاكم رئيساً وخمسة عشر عضواً من أفراد الأسرة الحاكمة، فافتقر بذلك إلى التمثيل الشعبي<sup>(٢)</sup>.

وأثر تطور إنتاج النفط إيجاباً على النواحي العمرانية والصحية والتعليم، فقد خصّص الشيخ أحمد نصيباً كبيراً منه للمشاريع العمرانية، ونظراً لوجود جاليات أجنبية كبيرة في قطر أصدر قانوناً للجنسية ينظّم أوضاع القطريين والوافدين الأجانب، وذلك في عام ١٩٦٢م، وأجريت عليه تعديلات بين عامي ١٩٦٣ و١٩٦٤م ليتوافق مع التطورات المستجدة والمتسارعة والمحافظة على الهوية القطرية.

حدّد قانون الجنسية ثلاث فئات من المواطنين هم:

- القطريون الذين أقاموا في قطر قبل عام ١٩٣٠م.

(١) قدورة: ص ٤٠٠.

(٢) AL Baharna: The legal Status of the Arabian Gulf States pp 73, 74.



- الأشخاص الذين وُلدوا من أب قطري داخل أو خارج البلاد.

- الأشخاص الذين يكتسبون الجنسية القطرية.

وفرض القانون على أشخاص الفئة الثالثة أن يُثبتوا أنهم عاشوا في قطر مدة عشرين عاماً بالنسبة للأعاجم وخمسة عشر عاماً بالنسبة للعرب، قبل أن يكتسبوا الجنسية القطرية، وأن يكون لهم مصدر رزق، وأن يتكلموا اللغة العربية بالنسبة للأعاجم، وضيّق المدخل عندما حدّد عشرة أشخاص فقط للحصول على الجنسية سنوياً.

وأعطى القانون الحق للحكومة بسحب الجنسية من الأشخاص الذين يحصلون على جنسية أجنبية من دون موافقة الحكومة وعلى الذين يتعاملون مع دولة معادية<sup>(١)</sup>. ومنح الشيخ أحمد القطريين في ٢ نيسان ١٩٧٠م نظاماً أساسياً مؤقتاً للحكم، وعُدّ ذلك إنجازاً متقدماً بفعل منحه الحريات السياسية والضمانات الاجتماعية والمساواة والعدالة بين مكونات المجتمع القطري وبيّنه سياسة الدولة ويحدّد الحقوق والواجبات العامة، وهو يتكون من سبع وسبعين مادة.

قسّم هذا النظام قطر إلى عشر دوائر انتخابية، يترشح أربعة أشخاص في كل دائرة، يختار الحاكم اثنين منهم، وبذلك يكون المجلس الاستشاري مُكوّناً من عشرين عضواً بطريقة الانتخاب والتعيين معاً، بالإضافة إلى ثلاثة أعضاء يقوم الحاكم بتعيينهم إذا اقتضت المصلحة ذلك.

وحوّل المجلس مناقشة مشاريع القوانين التي يقترحها مجلس الوزراء قبل رفعها إلى الحاكم للتصديق عليها وإصدارها، فضلاً عن مناقشة السياسة العامة للدولة التي يعرضها عليه مجلس الوزراء.

ونصّ النظام الأساسي المؤقت على أن نظام الحكم هو وراثي في أسرة آل ثاني، وأن دولة قطر عربية، دينها الإسلام، وشعبها جزء من الأمة العربية، وتعمل على تقوية الروابط بينها وبين جيرانها والدول الصديقة، وعلى إنماء روح التعاون وتدعيم صلات حسن الجوار والتضامن معها في المجالات كلها، والعمل على توثيق الروابط بين الدول العربية، وتحقيق الوحدة العربية، والتضامن في سبيل نصره القضايا العربية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، إلى جانب دعم دول المواجهة مع الكيان الصهيوني، والالتزام بميثاق جامعة الدول العربية<sup>(٢)</sup>.

وُصف النظام الأساسي المؤقت بأنه نواة لدستور دائم، ولا شك بأنه شكّل انعطافاً في تاريخ قطر، لولا أن الشيخ أحمد آثر أن يُعطله بحجة أن المجتمع

(١) قاسم: ج٤ ص ١٣٩. AL Baharan: p125. (٢) قاسم: المرجع نفسه: ص ١٤٢.

القطري لم يكن مهيباً بعد لمثل هذا التطور الدستوري، والراجح أنه لم يشأ أن يُقيد نفسه وحكمه بقيود دستورية، غير أن هذا التطور الدستوري لقي تأييداً من القطريين وبعض أفراد الأسرة الحاكمة، ما خلق تيارين متناقضين، تيار تقليدي محافظ يمثله الشيخ أحمد، وتيار منفتح ينحو نحو التقدم ويمثله بالإضافة للشعب القطري، الشيخ خليفة بن حمد ولي عهد قطر ورئيس مجلس وزرائها، فقام هذا بحركة انقلابية في ٢٢ شباط ١٩٧٢م أوصلته إلى الحكم، منهيماً عهداً من الازدواجية في حكم قطر استمر ما يقرب من اثني عشر عاماً، وقد تمَّ هذا الانقلاب في الوقت الذي كان فيه الشيخ أحمد في رحلة صيد بين بندر عباس وشيراز، وحصل الشيخ خليفة على تأييد الأسرة الحاكمة وقادة الجيش<sup>(١)</sup>.

**الأوضاع الخارجية:** عانت قطر الكثير من المشكلات الحدودية مع جيرانها: البحرين وأبو ظبي والمملكة العربية السعودية، وبرزت مشكلة الزبارة في عام ١٩٣٧م وهي جزء من قطر، وكانت البحرين تطالب بها بحجة أنها كانت دائماً تحت حكم آل خليفة منذ انطلاقتهم في عام ١٧٨٣م، وقد ضمَّها الشيخ عبد الله إلى قطر في عام ١٩٣٧م، ما أثار نزاعاً مع البحرين.

وأقدم آل النعيم في الزبارة على تقديم شكوى ضد حاكم قطر الذي حاول إقامة مركز جمركي فيها، واحتجَّ شيخ البحرين لدى الحكومة البريطانية على هذا التدخل، لكن هذه فشلت في تسوية النزاع بفعل تصلُّب الطرفين بمواقفهما، غير أن ما أسفرت عنه الوساطة البريطانية يُعدُّ بالغ الأهمية بالنسبة لقطر عندما وافق شيخ البحرين على ألا يطالب بملكية موارد النفط التي يمكن أن تُكتشف في الزبارة مقابل ألا يتدخل شيخ قطر في شؤون رعايا البحرين من آل النعيم، غير أن اتفاقية ثنائية لم تُعقد بين الطرفين، ما جعل المشكلة معلقة<sup>(٢)</sup>.

ودخلت المملكة العربية السعودية كطرف ثالث فيما يتعلق بمشكلات الحدود بين قطر وأبو ظبي، وعلى الرغم من توصل ولي عهد قطر ووزير المالية والنفط السعودي إلى اتفاق بشأنها إلا أن الحكومة البريطانية التي كانت تمثل كلاً من حاكم قطر وأبو ظبي لم تعترف بذلك الاتفاق لأنه يؤثر على طرف ثالث هو أبو ظبي فيما يتعلق بالحدود التي حُطِّطت بين قطر والسعودية<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن طموحات قطر في تبوُّؤ زعامة اتحاد إمارات الخليج العربية قد خفَّت من حدة الأزمات بين قطر والبحرين بشأن الزبارة، وبينها وبين السعودية وأبو ظبي

(١) الرئيس: ص ٢٢٠.

(٢) قاسم: ج٤ ص ١٤٠. AL Baharna: p249. (٣) المرجع نفسه.

بشأن خور العديد، بدليل أن الشيخ أحمد قام في أيار ١٩٦٥م بزيارة رسمية إلى البحرين وتباحث مع عاهلها بقضية مطالبة البحرين بالزيارة ومطالبة قطر بجزيرة حوار التي تُعدُّ من جزر البحرين العديدة.

ونجحت المباحثات في التوصل إلى تسوية مقبولة للحدود بين البلدين، وكذلك حرصت قطر على تصفية خلافاتها مع أبو ظبي بشأن مشكلة خور العديد<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من التفاهم على مناطق الحدود مع جيرانها وطموحها بترؤس اتحادات إمارات الخليج العربية، فقد خرجت قطر من هذا الاتحاد متذرة بتفضيل الإمارات الست في الساحل العُماني المتصالح، وهي: أبو ظبي ودبي والشارقة وعجمان وأم القيوين والفجيرة، على قيام اتحاد فيما بينها، بالإضافة إلى ما سبق ذلك من خروج البحرين من مباحثات الاتحاد التساعي.

ونتيجة لهذا الخروج من الاتحاد، وتأكيداً لاستقلالها؛ أنهت قطر علاقاتها التعاقدية الخاصة التي تربطها ببريطانيا، فأصدر الشيخ أحمد في نيسان ١٩٧٠م نظاماً أساسياً مؤقتاً للحكم وفق ما ذكرنا.

## استقلال قطر

أعلن الشيخ خليفة، ولي عهد قطر في الأول من أيلول عام ١٩٧١ بيان الاستقلال، مستنداً على المواد التي نصَّ عليها النظام الأساسي المؤقت في مجالات السياسة الداخلية والسياسة الخارجية في المجالين العربي والدولي<sup>(٢)</sup>.

وأصدر أمير قطر عقب إعلان بيان الاستقلال قرارات تنظيمية أهمها: قرار بتغيير لقبه الرسمي من حاكم قطر إلى «أمير دولة قطر» وذلك في ٤ أيلول، وقرار آخر باستحداث وزارة للخارجية.

وأضحت قطر الدولة الثانية المستقلة في الخليج العربي بعد البحرين وقبل الانسحاب البريطاني من المنطقة بنحو أربعة أشهر، ثم أكّدت استقلالها بانضمامها إلى جامعة الدول العربية في ١١ أيلول ١٩٧١م، وكانت الدولة السادسة عشرة في عضوية الجامعة، كما انضمت إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة في الشهر نفسه، وبذلك تكون قد اكتسبت رسمياً شخصيتها القانونية والدولية.

(١) AL Baharna: p263.

(٢) Zahlan: pp 102, 116. انظر: نص بيان الاستقلال الذي أعلنه الشيخ خليفة بن حمد نائب حاكم قطر في أول أيلول ١٩٧١م، جريدة النهار، بيروت تاريخ ٢ أيلول، ١٩٧١م.

لم تكد تمضي بضعة أشهر على استقلال قطر حتى حدث انتقال للسلطة من الشيخ أحمد بن علي بن ثاني إلى ابن عمه الشيخ خليفة بن حمد الذي وصل إلى الحكم في ٢٢ شباط ١٩٧٢م، وكان قبل ذلك يشغل منصب ولياً للعهد ورئيساً لمجلس الوزراء، وتمّ انتقال السلطة في حركة انقلابية هادئة وسلمية.

كان دور الشيخ خليفة يتزايد تدريجاً منذ تسلّم الشيخ أحمد مقاليد الحكم في عام ١٩٦٠، وبخاصة أن هذا كان زاهداً في ممارسة الحكم والإدارة، ويُفضّل الإقامة في أوروبا أو يشغل وقته بالصيد، وعندما أعلنت قطر استقلالها، كان الشيخ أحمد مقيماً في سويسرا، فلم يعبأ بهذا الحدث المفصلي، وعندما عاد إلى قطر بعد أشهر عدة قام برحلة صيد كعادته إلى هضاب إيران، فانتهز الشيخ خليفة فرصة غيابه وأعلن خلعه عن الحكم وتولية السلطة مكانه، وعندما بلغت الشيخ أحمد أبناء عزله أثر أن يقضي بقية حياته خارج قطر، وعزل نفسه في أيامه الأخيرة في قصره في بندر عباس حيث توفي في عام ١٩٧٧م<sup>(١)</sup>.

حصل الشيخ خليفة على تأييد القطريين بمختلف فئاتهم بالإضافة إلى معظم أفراد الأسرة الحاكمة، فعارضه الشيخ عبد العزيز نجل الأمير المعزول، فأبعده إلى السعودية، كما حصل على الصعيد الخارجي على تأييد المملكة العربية السعودية وبخاصة في موقفه المتعلق باتحاد الإمارات العربية.

الواقع أنه سبق الحركة الانقلابية اختلاف في وجهات النظر بين الشيخين أحمد وخليفة بشأن السياسة العامة ونظام الحكم، والموقف من اتحاد الإمارات العربية، فكان الشيخ أحمد يؤيد انضمام قطر إلى الاتحاد في الوقت الذي أيد الأمير خليفة فكرة الاستقلال، ونظر الشيخ خليفة إلى ولاية الحكم على أنها استرداد لحقوقه الشرعية، وعدّ نفسه أحق من الشيخ أحمد بالحكم بفعل أن والده الشيخ حمد كان ولياً للعهد في حياة أبيه الشيخ عبد الله بن جاسم، غير أن الشيخ حمد توفي في حياة أبيه، وكان ابنه صغيراً، فعين الشيخ عبد الله ابنه علياً في ولاية العهد<sup>(٢)</sup>.

وما جرى في هذه الأثناء من تناقل الأنباء في أروقة القصر عن نية الشيخ أحمد

(١) Kelly, J.B: Arabia, The Gulf and the West p189.

(٢) الدباغ: ص١٩٦.

عزل الشيخ خليفة من ولاية العهد وتعيين ابنه عبد العزيز بدلاً منه؛ كان دافعاً للشيخ خليفة للقيام بانقلابه<sup>(١)</sup>.

## إنجازات الشيخ خليفة على الصعيد الداخلي

- استهل الشيخ خليفة عهده بإصدار العديد من القرارات الشعبية أبرزها:
  - إلغاء المرسوم الذي منح الحاكم السابق لنفسه الحق باقتطاع ربع ميزانية الدولة، وإعادة هذا المبلغ إلى الخزينة العامة.
  - زيادة رواتب الموظفين والقوات المسلحة بنسبة ٣٠٪.
  - رفع مساعدات العجزة والمسنين وأصحاب الضمان الاجتماعي.
  - الاهتمام بمشكلة الإسكان، ودعّم ذلك ببناء أكثر من ألفين وخمسمائة وحدة سكنية خلال عام واحد.
  - إلغاء الأقساط المتراكمة على القطريين.
  - تخصيص مبالغ كبيرة للتعليم والصحة وغير ذلك من الخدمات الاجتماعية.
  - ضمن للشباب وظائف حكومية وفرص عمل.
  - تخفيض المخصصات المالية لأفراد الأسرة الحاكمة بنسبة ٢٥٪، وخصّص هذا المبلغ للتطوير والتنمية وزيادة تقديم الخدمات الاجتماعية.
  - تعريب قيادات الجيش والشرطة، فعَيّن قادة وطنيين محل القادة البريطانيين، من ذلك أنه عَيّن ابنه الشيخ حمد قائداً لقوات الدفاع القطرية، والشيخ حمد بن جاسم قائداً للشرطة.

- تعيين الشيخ حمد ولياً للعهد في ٦ كانون الأول ١٩٧٦م.

- السماح للمبعدين القطريين منذ العهد السابق بالعودة إلى بلادهم<sup>(٢)</sup>.

قوبلت تلك الإجراءات بارتياح شعبي كبير وبخاصة لدى القطريين الأقل ثراءً، وعلى الرغم من ذلك، وُجدت عناصر معارضة من أفراد الأسرة الحاكمة، استاءت من تعيين الشيخ حمد ولياً للعهد، فتعاطفت مع شقيق الأمير الحاكم ويدعى الشيخ سحيم بن حمد الذي رأى أنه أحق بولاية العهد، ولم تتوقف معارضته إلا عند وفاته في عام ١٩٨٥م<sup>(٣)</sup>.

وتفاقت الخلافات الأسرية على الرغم من محدوديتها، وأتهم المعارضون في

(١) جريدة السياحة، بيروت، تاريخ ٣ آذار، ١٩٧٢م.

(٢) جريدة الأهرام، مصر، تاريخ ١٧ آذار، ١٩٧٢م.

(٣) قاسم: ج ٥ ص ٢٦٨.

عام ١٩٨٣م بتدبير مؤامرة تهدف إلى نسف فندق شيراتون الدوحة الذي كان مخصصاً لاجتماعات مجلس التعاون الخليجي الدوري، وكشفت التحقيقات مع بعض المتهمين الذين ألقى القبض عليهم، انتماءهم إلى الأجهزة الأمنية في الدولة، واتهمت الحكومة القطرية ليبيا بمساندة المعارضة ما أدى إلى طرد القائم بالأعمال الليبي في قطر.

لم يواجه الشيخ خليفة معارضة شعبية بعد أن وُقِّر للأهالي الامتيازات والخدمات الاجتماعية بصورة لم يألفوها خلال العهود السابقة.

شهدت قطر في عهد الشيخ خليفة بعض التطورات الدستورية لعل أهمها:

تعديل النظام الأساسي المؤقت للحكم من واقع إعادة الحيوية إلى المجلس الاستشاري وتفعيله، وعلى الرغم من ممارسته لأعماله إلا أنه لم يكن مجلساً تشريعياً، حيث لم يكن له الحق في الموافقة على مشاريع القوانين التي تُعدّها الحكومة، واقتصر دوره على مناقشة الميزانية ومشاريع القوانين قبل إصدارها، بالإضافة إلى مناقشة بعض القضايا الاقتصادية والاجتماعية، وطلب توضيح من الوزراء، ويبدو أن قصور صلاحياته التشريعية قد تكون ناجمة عن عدم اقتناع الشيخ خليفة بالانتقال السريع إلى مبدأ المشاركة الشعبية، لأن القطريين لم يكونوا مهتمين لذلك<sup>(١)</sup>.

ولا يعني قصور المشاركة الشعبية، أن الحاكم يتمتع بسلطات مطلقة، إذ إن هناك عناصر تحد من سلطته سواء من داخل الأسرة الحاكمة أو من فئة التجار الكبار، لكن الشيخ خليفة لم يلبث في عام ١٩٧٩ أن أصدر مرسوماً أميرياً أتاح لأعضاء المجلس الاستشاري المشاركة في الرأي بصورة أكثر فاعلية في معالجة أمور الدولة، حيث تقرّر زيادة عدد أعضائه ومنحهم الحصانة في إبداء الآراء الموضوعية، كما تمّ تنظيم حضور الوزراء جلسات المجلس وتوجيه الأسئلة إليهم من قِبَل أعضائه، وعلى الرغم من تلك الصلاحيات، ظل المجلس يفتقد الصلاحيات التشريعية.

وحققت قطر في عهد الشيخ خليفة قدراً كبيراً من التنمية الاقتصادية التي اعتمدت على الموارد النفطية، وأبرمت اتفاقيات مع شركات النفط العاملة، من بينها شركة شل، وشركة نفط قطر البريطانية، وهي أحد فروع شركة نفط العراق، وأضحى لقطر في عام ١٩٧٥م حصة مقدارها ٢٥٪ ارتفعت تدريجاً حتى وصلت إلى ملكية الدولة لمواردها النفطية في عام ١٩٨٢م<sup>(٢)</sup>.

وترتّب على استخراج النفط وتسويقه تأسيس عدد من الصناعات النفطية مثل:

تسييل الغاز الطبيعي، والصناعات البتروكيماوية من بينها صناعة السماد والنيروجين، وإنتاج الأئيلين ومشتقاته، وقد بُنيت مصانع خاصة لإنتاج تلك الصناعات.

وخطت قطر خطوات كبيرة في الحقل التعليمي، فقد تمّ وضع حجر الأساس لجامعة قطر في عام ١٩٧٧م، وانتهى بناؤها في عام ١٩٨٢م، واختير لإدارتها أحد الأساتذة المصريين من جامعة الأزهر، وأرسلت قطر بعثات إلى الخارج.

### مشكلات قطر الحدودية مع جيرانها

ظلّت قطر في عهد الشيخ خليفة تعاني من مشكلات الحدود القائمة بينها وبين أبو ظبي والبحرين والمملكة العربية السعودية، حيث أثار اكتشاف النفط نزاعاً بينها وبين أبو ظبي، غير أن الطرفين استطاعا حل النزاع سلمياً في عام ١٩٦٩ عبر ترسيم الحدود، ونصّ الاتفاق على أن يكون حقل البندق الواقع على الحدود البحرية مناصفةً، وتأسست شركة باسم شركة البندق المحدودة<sup>(١)</sup>.

وظلّ الخلاف قائماً بين قطر والبحرين حول: إقليم الزبارة الواقع تحت السيادة القطرية، وجزر حوار التي تسيطر عليها البحرين، وتعدّ تاريخياً جزءاً من ممتلكات آل خليفة، وفشت الديبل وفشت جرادة، وعلى الرغم من أن جزر حوار تخضع لسيادة البحرين، إلا أن المشكلة تكمن من وقوعها في الجرف القاري لقطر ومن ثمّ تعدّ قطر سيادة البحرين عليها أمراً يتعارض مع سيادتها الإقليمية، لكن توصلت الدولتان إلى تجميد الوضع الراهن في تلك الجزر في عام ١٩٧٨م، لكن ذلك كان مؤقتاً إذ أثار تداخل حقول النفط المشكلة من جديد، وصعدت الحكومتان مواقفهما، فتدخلت المملكة العربية السعودية لتهدئة الأمور، واستجابت الدولتان لوساطتها، وتمّ الاتفاق على تجميد الوضع مرة أخرى، وأبدت قطر بخلاف البحرين ترحيباً بالاقتراح السعودي بإحالة النزاع على محكمة العدل الدولية، ويبدو أن الرفض البحريني جاء على خلفية عدم اعتماد المحكمة القرائن التاريخية<sup>(٢)</sup>.

وبفعل عدم التوصل إلى حل نهائي لتلك المشكلة، كان من الطبيعي أن تتأزم مرة أخرى حتى وصلت إلى حد الاشتباك المسلح بين البلدين في عام ١٩٨٦م، وارتبطت تلك الأزمة بخلفية سياسية من واقع أن النزاع كان خلافاً بين قطر ومجلس التعاون الخليجي، إذ إن ما كانت تقوم به البحرين من إنشاءات في فشت الديبل، كان مشروعاً، وبخاصة إنشاءات محطات المراقبة والاستطلاع ضد إيران، الأمر الذي لم

(١) قاسم: ج ٥ ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٢) جريدة الرياض، السعودية، تاريخ ١٨ شباط، ١٩٨٨م.

توافق عليه قطر، فتدخلت المملكة مرة أخرى لاحتواء هذا النزاع والتوصل إلى تسوية لإعادة الوضع إلى ما كان عليه، وأعلنت التسوية في الرياض في ١٩ أيار ١٩٨٦م، وشكّلت لجنة رباعية من: المملكة وسلطنة عُمان والكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة لمراقبة التزام الطرفين بتلك التسوية وشروطها<sup>(١)</sup>.

ظلّت الأوضاع بين قطر والبحرين هادئة سنوات عدة قبل أن تنفجر مرة أخرى على أثر إصدار الشيخ خليفة أمير قطر مرسوماً أميرياً حدّد بموجبه امتداد المياه الإقليمية لدولة قطر إلى مسافة ٤٤,٤ كلم، ويعني ذلك إدخال جزر حوار، وفشت الديبل، وجرادة، بالإضافة إلى عشرات الجزر التابعة للبحرين، ضمن الحدود البحرية الإقليمية لقطر، وهو أمر رفضته البحرين بوصفه يمس سيادتها وحقوقها التاريخية، ولم تستأنف المملكة وساطتها بين الدولتين بفعل تعبير قطر عن عدم اقتناعها بتلك الوساطة نظراً لوجود اتفاقية أمنية بينها وبين البحرين في عام ١٩٨٢م ما يجعلها منحاذاة إلى جانب البحرين.

وبفعل تفجر النزاع الحدودي بين قطر والمملكة العربية السعودية الذي وصل إلى حدّ الاشتباك المسلح في أيلول ١٩٩٢م وأدى إلى مقتل جنود من الجانبين؛ أعلنت قطر وقف العمل باتفاقية تخطيط الحدود البرية والبحرية مع المملكة الموقعة في عام ١٩٦٥م، وأقدمت قطر على سحب قواتها العاملة ضمن قوات درع الجزيرة التابعة لمجلس التعاون الخليجي احتجاجاً على الموقف السعودي، وتمادت عندما أعلنت عن تطبيع علاقاتها مع العراق وتوثيق علاقاتها مع إيران، وبدأ يلوح في الأفق أنها على وشك الانسحاب من مجلس التعاون الخليجي.

ويبدو أن وراء النزاع الحدودي بين البلدين، خلفيات سياسية، فقد استاءت المملكة من التقارب القطري مع إيران، وتوقيع قطر خمس اتفاقيات ثقافية واقتصادية معها في تشرين الأول عام ١٩٩١م، اشتملت على نقل المياه العذبة إلى قطر من شط العرب عبر أنابيب تحت مياه البحر، وتأييد قطر لإيران في مشروع الدفاع الأمني الإقليمي، وهو المشروع الذي رفضته المملكة، كما تمّ التفاهم بين قطر وإيران على تقاسم حقول غاز الشمال الواقعة في مياه الخليج العربي بين البلدين، وأكدت الدوحة رغبتها في توسيع وتعزيز العلاقات الاقتصادية والسياسية مع إيران التي وصفها وزير خارجية قطر بأنها طيبة، وتمّ توقيع اتفاق إعلامي وتبادل ثقافي بين البلدين في أول أيلول ١٩٩٣م.

(١) قاسم: ج ٥ ص ٢٧٥.



وتوسّطت الدول العربية بين قطر والمملكة لحلّ النزاع بينهما، وأسفرت المساعي التي قام بها الشيخ سعد العبد الله الصباح، ولي عهد الكويت ورئيس وزرائها، عن الاتفاق على تسوية الأزمة، وعدم تصعيد الموقف، والتزام الطرفين باتفاقية الحدود البرية والبحرية الموقعة سابقاً بينهما، وذلك حتى تنتهي اللجنة المشكّلة لترسيم الحدود التي وافقوا على تشكيلها من عملها.

## سياسة قطر الخارجية

أثرت أزمة الخليج العربي سلباً في سياسة قطر الخارجية، فابتعدت عن النطاق الخليجي، وتفرّدت برسم سياسة خارجية خاصة بها. بدأ التغيير في حزيران ١٩٩٢م عندما تولى ولي العهد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، رئاسة مجلس الوزراء، واختار فريق عمل على رأسه وزير خارجية شاب، مثقّف ومتحرّك هو الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني.

أراد الشيخ حمد الحدّ من الهيمنة السعودية على سياسة الخليج العربي، فبدأ التحرك على صعيد إقليمي عبر محاولة التقارب مع الكيان الصهيوني وإيران والعراق، مدفوعاً بثلاث عوامل هي:

**الأول:** الشعور القطري بأن مجلس التعاون الخليجي لم يتحمل مسؤولياته كاملة خلال أزمة الحدود بين قطر والمملكة العربية السعودية إثر حادثة مخفر الخفوس في أيلول عام ١٩٩٢م، عندما هاجمت قوة سعودية هذا المركز الذي يقع جنوبي قطر، وذهب ضحية الهجوم جنديان قطريان وعدداً من الجرحى، ولما لم تمر شهور على انتهاء حرب الخليج الثانية؛ ما أدى إلى استمرار التوتر بين البلدين مدة طويلة انتهت مرحلياً بعد وساطة مصرية حين جمع الرئيس المصري حسني مبارك في المدينة المنورة في ٢٠ كانون الأول ١٩٩٢م كلاً من الملك فهد بن عبد العزيز والشيخ حمد بن خليفة.

**الثاني:** استمرار الخلاف الحدودي بين قطر والبحرين منذ عام ١٩٨٢م، والتي لم ترَ قطر الحياد في الدور السعودي عندما فشل مجلس التعاون الخليجي في حل الإشكال طالباً من الطرفين المحافظة على الوضع القائم، ما جعل قطر تلجأ إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي، في حين طعنت البحرين في صلاحيتها.

**الثالث:** فقدان التوازن داخل مجلس التعاون الخليجي في آلية صنع القرارات واتخاذ المواقف السياسية والاقتصادية، ما أدى إلى تهميش الدور القطري<sup>(١)</sup>.

(١) الرئيس، رياض نجيب: رياح السموم: ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

لقد عكس التقارب مع الكيان الصهيوني الاتجاه نحو التطبيع، من ذلك: اللقاءات المتكررة على المستوى الوزاري بين الطرفين، والمشاركة القطرية في تشييع جثمان رئيس وزراء الكيان الصهيوني إسحاق رابين في تشرين الثاني ١٩٩٥م، واستقبال وفود صهيونية، وترحيب قطر بالاتفاق الذي تمّ التوصل إليه بين منظمة التحرير الفلسطينية والكيان الصهيوني بشأن منح الفلسطينيين الحكم الذاتي في قطاع غزة - أريحا.

وتحرّكت قطر نحو إيران في الوقت الذي كانت فيه العلاقات بين دولة الإمارات العربية المتحدة وإيران تمرّ في أسوأ مراحلها، بسبب الخلاف على الجزر الثلاث أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى، كذلك كان الخلاف بين إيران والمملكة العربية السعودية بين مد وجزر حول أكثر من قضية، تبدأ بالعلاقات مع الولايات المتحدة الأميركية وتنتهي بعدد الحجاج الإيرانيين الذاهبين إلى الحج والحد من حرية تحركهم.

ترافق التقارب القطري - الإيراني مع تقارب قطري مع بغداد، فأعدت قطر علاقاتها السياسية معها، ما بدا خروجاً على الموقف الجماعي لدى مجلس التعاون الخليجي. وتفاقم الوضع بانسحاب الشيخ حمد من مؤتمر قمة مسقط احتجاجاً على تعيين دول المجلس أميناً عاماً سعودياً ورفضهم المرشح القطري، وسعت في تبرير تحركها نحو العراق بعرض وساطتها بين البلدين في موضوع الأسرى الكويتيين المحتجزين في العراق، وقضية ترسيم الحدود، إلا أن الكويت رفضت نهائياً البحث في الموضوع، ودخلت لعبة كرة القدم في الأزمة عندما تعاهد نادي الوكرة القطري مع لاعبين عراقيين وسط احتجاج رئيس اللجنة الأولمبية الكويتية الشيخ أحمد فهد الأحمد الصباح، الذي وصف هذا العمل بأنه «مؤسف ومؤلم» وأن على دول مجلس التعاون الخليجي أن تقاطع العراق في الميادين كافة ومن ضمنها الميدان الرياضي<sup>(١)</sup>.

وإزداد التوتر بين قطر والكويت عندما زار معاون رئيس الأركان القطري الشيخ محمد بن فهد العراق في كانون الأول ١٩٩٣م، ووصفه بأنه بلده الثاني، وهي الزيارة الأولى لمسؤول عسكري خليجي إلى بغداد منذ غزو العراق لهذا البلد، وتبع ذلك البرامج التلفزيونية الثلاثة التي بثها تلفزيون قطر عن العراق تحت عنوان «الحصار»، ومنها حديث مع وزيرين عراقيين هما محمد سعيد الصحاف

(١) الرئيس: ص ٣٠٩.

ومحمد مهدي صالح، ما دفع الكويت إلى استدعاء سفيرها في الدوحة احتجاجاً، وبدأت حملات إعلامية شعواء بين البلدين أضحت بعدها إصلاح العلاقات بينهما أمراً صعباً<sup>(١)</sup>.

## الشيخ حمد بن خليفة

### اعتلاؤه السلطة

أعلن في الدوحة في ٢٧ حزيران عام ١٩٩٥م أن ولي العهد الشيخ حمد بويق أميراً للدولة بدلاً من والده الذي كان خارج البلاد، وتلقى البيعة، من أفراد الأسرة الحاكمة، وبدأ الشيخ حمد يؤدي منذ تلك اللحظة دوراً ملفتاً سواء على الصعيد الإقليمي أو العربي أو الدولي، وأصدر في ١١ تموز قراراً تولى بموجبه رئاسة الحكومة، وعيّن أخاه الشيخ عبد الله بن خليفة نائباً لرئيس مجلس الوزراء، واحتفظ معظم الوزراء بحقائبهم لا سيما وزير الخارجية الشيخ حمد بن جاسم.

لم يشهد عام ١٩٩٥م أي تقدم باتجاه حل الخلاف الحدودي بين قطر والبحرين بشأن جزر حوار، وبشكل خاص مع السعودية، فبقيت هذه المسألة ومسألة عودة الشيخ خليفة إلى البلاد من القضايا المؤجلة التي سترخي بظلالها على أحداث العام الجديد.

وجرى في ١٠ كانون الأول ١٩٩٥م لقاء بين أمير الدولة ووالده في روما، وهو اللقاء الأول بينهما منذ حادثة الانقلاب، وتمت المصالحة بينهما في ٢٠ شباط ١٩٩٦. وأقدم الشيخ حمد على إجراء تعديل بعض أحكام النظام الأساسي للحكم، وحدد اختصاصات الأمير في إطار توجيهه، يُركّز على توزيع المسؤوليات، وتوسيع المشاركة في صنع القرار، وسجّل ذلك تطوراً دستورياً مهماً، وصدر في ٢٣ تشرين الأول من العام نفسه قرار قضى للمرة الأولى بتعيين رئيس لمجلس الوزراء وتحديد صلاحياته، وفي ٢٩ منه عيّن الأمير حمد أخاه عبد الله رئيساً لمجلس الوزراء، وشكّلت في اليوم نفسه حكومة برئاسته ضمّت خمسة عشر وزيراً من بينهم الشيخ حمد بن جاسم الذي احتفظ بوزارة الخارجية.

كان من بين الأحداث البارزة التي شهدتها قطر في عام ١٩٩٦م:

- زيارة وزير خارجية قطر إلى غزة في ١٨ تشرين الثاني بعد أن أعلن أن بلاده جمّدت تطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني احتجاجاً على سياسة رئيس وزارئه بنيامين نتانياهو.

(١) الرئيس: ص ٣٠٩ - ٣١٠.

- وأثيرت قضية الخلاف الحدودي مع البحرين أثناء عقد القمة الخليجية في الدوحة في ٧ كانون الأول والتي تغيبت البحرين عنها، وانتهت القمة بتصعيد قطري مع البحرين التي أكدت على تمسكها بعدم حضور أي اجتماع خليجي يُعقد في قطر إذا لم تسحب الدوحة قضية الخلاف الحدودي من أمام محكمة العدل الدولية، وكانت قطر والبحرين قَدّمتا في أواخر أيلول مرافعاتهما المكتوبة إلى المحكمة.

واستضافت قطر المؤتمر الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا في الدوحة بين ١٦ - ١٨ تشرين الثاني، وقد أثار جدلاً واسعاً قبل انعقاده بسبب اشتراك الكيان الصهيوني في أعماله في الوقت الذي تعنت فيه رئيس وزرائه بنيامين نتانياهو مع الفلسطينيين، واستهدفته حملات عربية، وقاطع معظم الدول العربية المؤتمر مثل المملكة العربية السعودية ومصر وسوريا ولبنان والمغرب والبحرين ودولة الإمارات العربية المتحدة، بالإضافة إلى السلطة الفلسطينية، لكن القطريين نجحوا في دفع المؤتمر باتجاه المطالب والمصالح العربية إذ دان أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة الممارسات الصهيونية، وشدّد على تحقيق السلام العادل والشامل في الشرق الأوسط، وصدر إعلان الدوحة في ختام المؤتمر وسط اعتراضات صهيونية على تضمينه فقرة تُشدّد على مبدأ الأرض مقابل السلام.

وقد تزامن المؤتمر مع أزمة قطرية - مصرية حادة، فتدخلت المملكة العربية السعودية واستضافت قمة مصالحة بين الرئيس المصري حسني مبارك والشيخ حمد بن خليفة في ٣ كانون الأول<sup>(١)</sup>.

وبدت مظاهر التحوّل في قطر أكثر وضوحاً خلال عام ١٩٩٨م، وخطت الدوحة خطوات متقدمة نحو مزيد من المشاركة الشعبية في صنع القرار، تمثّلت بإصدار الشيخ حمد بن خليفة في ٢١ تموز قانوناً بمرسوم أميري لتنظيم أول انتخابات لاختيار تسعة وعشرين عضواً في المجلس البلدي المركزي عن طريق الاقتراع المباشر، وأُتيح للمرأة فرصة المشاركة في هذه الانتخابات التي حُدّد موعدها في ٨ آذار ١٩٩٩م، وأعلن أمير قطر لدى افتتاحه الدورة السابعة والعشرين لمجلس الشورى في ١٦ تشرين الثاني، عن عزمه على تشكيل لجنة لوضع دستور دائم لقطر يتضمن تشكيل مجلس تشريعي منتخب عن طريق الاقتراع المباشر.

وشهدت الدوحة خلال العام المذكور نشاطاً سياسياً واسعاً، إذ استضافت اجتماع وزراء خارجية الدول الإسلامية، واجتماع وزراء خارجية دول إعلان دمشق، وزار

(١) الخوند: ج ١٥ ص ٣٤ - ٣٥.

أمير قطر البوسنة في شهر حزيران، وزار وزير الخارجية الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني العراق وليبيا، وجدّد المسؤولين القطريون تمسكهم بإبقاء قضية الخلاف الحدودي مع البحرين أمام محكمة العدل الدولية<sup>(١)</sup>.

وجرت في قطر أول انتخابات بلدية في آذار ١٩٩٩م لانتخاب تسعة وعشرين عضواً للمجلس البلدي المركزي، وكان ذلك حدثاً تاريخياً، لأن تلك الانتخابات شكّلت أولى الخطوات الديمقراطية بمفهومها المدني، ولم يحالف الحظ المرشحات الفطريات.

افتتح المؤتمر أعماله في أيار، وألقى الشيخ حمد بن خليفة كلمة الافتتاح، وتضمّنت كلمته إشارة إلى سعي الدولة وضع دستور دائم وإجراء انتخابات برلمانية، وتمّ تشكيل لجنة عليا مؤلفة من اثنين وثلاثين عضواً برئاسة الدكتور عبد الله بن صالح الخليفي ومبارك علي الخاطر نائباً له لصياغة مسودة الدستور، وأهم مواده إنشاء برلمان منتخب بعد إجراء استفتاء عام عليه، وشكّل في نهاية العام مجلس وزاري أعلى عهد إليه دراسة تخطيط النمو الاقتصادي والصناعي في البلاد في ضوء التوجهات العالمية، وفي عام ٢٠٠٣م تمّ إقرار الدستور الدائم بعد التصويت عليه، وجرت انتخابات للمجلس البلدي، فضلاً عن انتخابات غرفة تجارة وصناعة قطر، وأتاح الدستور الفرصة أمام حرية الصحافة والإعلام، وحرية التعبير بعد إلغاء وزارة الإعلام.

وساهم الشيخ حمد بن خليفة في تطور قطر في جميع النواحي: العمرانية والاقتصادية والعلمية والرياضية، والمعروف أن قطر اختيرت لاستضافة كأس العالم لكرة القدم في عام ٢٠٢٢م، وهو حدث رياضي تاريخي، وهي أول دولة عربية تحظى بهذا الشرف.

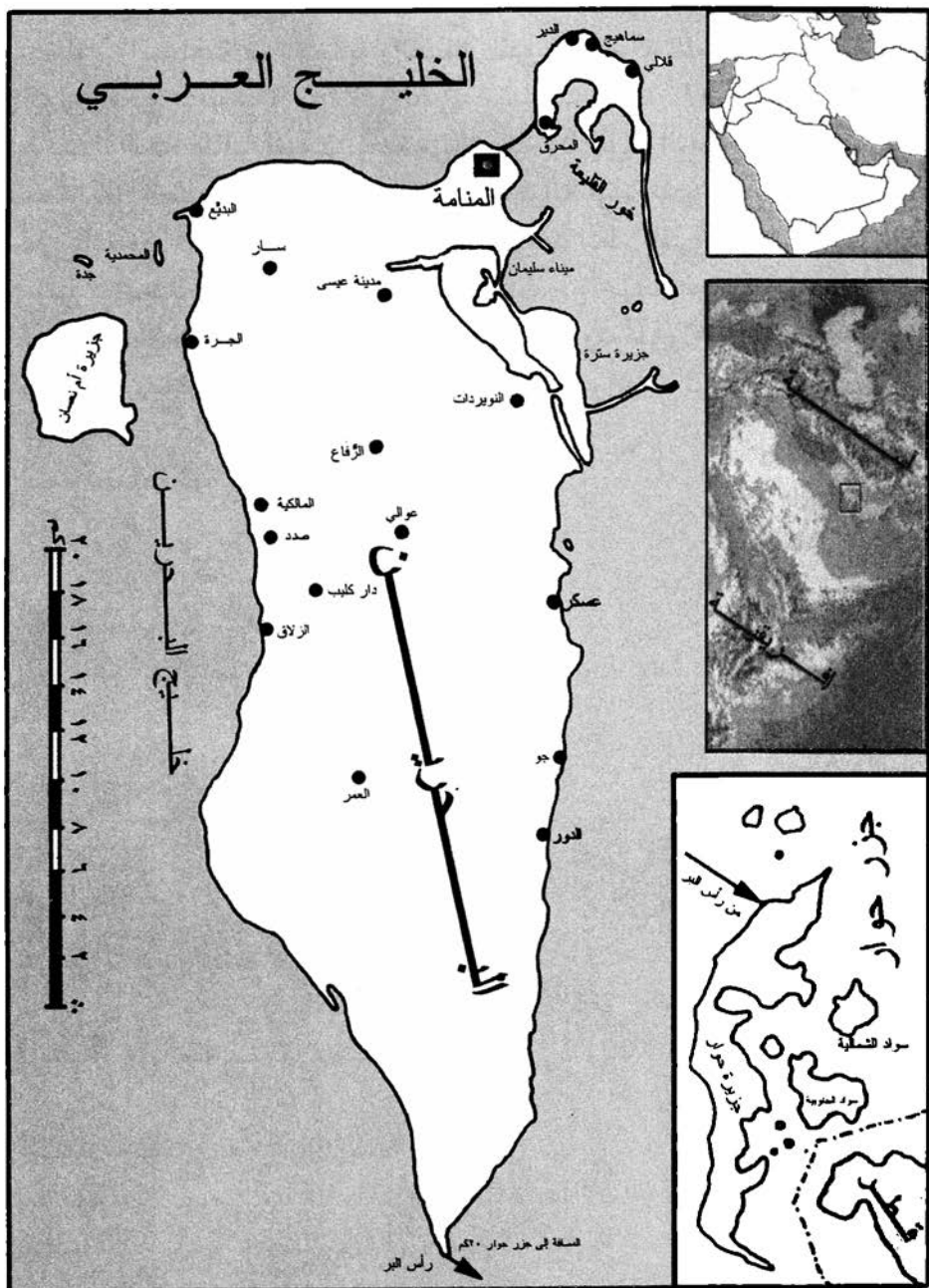
وأنشأ الشيخ حمد بن خليفة سوق الأسهم، ووسّع الاستثمارات الوطنية في استغلال المعادن الطبيعية في باطن الأرض، وشجّع التعليم، وجعله إجبارياً من سن السابعة إلى أواخر العقد الثاني من العمر، وأنشأ مدينة للتعليم العالي، واستقطب أفضل الجامعات العربية.

وتُسجّل قطر في عهد الشيخ حمد بن خليفة حضوراً مميّزاً على الساحة الدولية، فبعد توثيق عرى الأخوة والعلاقات الثنائية مع دول الخليج العربي تحرّكت على الصعيد العربي لتعزيز أواصر الروابط القومية مع الدول العربية، وهي الآن تقف إلى جانب الشعب السوري في كفاحه من أجل الحرية، وتسعى جاهدة لحل مشكلة

(١) الخوند: ج ١٥ ص ٣٥.

الاضطرابات في سوريا لصالح شعبها بالتعاون مع الجامعة العربية والأمم المتحدة، وسعت إلى تثبيت أركان صداقاتها مع مختلف الدول الأجنبية عبر الزيارات المتبادلة، والمساهمة في القضايا والمسائل التي تهتم حركة التعاون والسلم الإقليمي والدولي.

وتشهد البلاد حالياً قفزات نوعية في التنمية والتطور والخطوات الشجاعة على صعيد العمل السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، الذي يؤهل قطر للسير قدماً بخطى ثابتة في القرن الجديد الذي يستند على قواعد العلم الفني والإدارة المتطورة. وفي ٢٥ حزيران ٢٠١٣م، تنازل الشيخ حمد بن خليفة عن الحكم لصالح ابنه الشيخ تميم البالغ من العمر ثلاث وثلاثين سنة، وشكّل وزارة استبعد منها وزير الخارجية الشيخ حمد بن جاسم.



خريطة البحرين. عن أطلس دول العالم الإسلامي لشوقي أبو خليل. دار الفكر - دمشق

## البحرين

### الموقع والجغرافيا

يُطلق اسم البحرين على مجموعة جزر صغيرة خضراء مستطيلة الشكل تقع في خليج سلوى بالخليج العربي، الفاصل بين قطر وبين ساحل الأحساء على بُعد تسعة وعشرين كيلومتراً من الساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية، وأربعة وعشرين كيلومتراً من شاطئ قطر، ومائتين وثمان وعشرين كيلومتراً عن أقرب أرض إيرانية.

تبلغ مساحة البحرين نحو ستمائة واثنين وعشرين كيلومتراً مربعاً، عاصمتها المنامة وأهم مدنها: المحرق، عوالي، سترة المالكية، ويبلغ عدد سكانها نحو سبعمائة ألف نسمة في أوائل عام ٢٠٠٠م وهم في ازدياد مستمر، منهم خمسمائة ألف بحريني، والباقيين أجنبيون: عُمانيين، هنود، إيرانيين وغيرهم.

ينقسم المجتمع البحريني إلى طائفتين دينيتين هما: الطائفة السنية والطائفة الشيعية، وكان هذا التقسيم أحد أسباب الصراع خلال تاريخ البحرين الحديث والمعاصر، بفعل تدخل الدول الإقليمية والدولية وبخاصة إيران الطامعة في ضمّ البحرين إلى أراضيها، وبريطانيا الطامعة في الهيمنة على مقدّرات الخليج العربي ومنها البحرين.

تمتاز البحرين بموقعها الجغرافي، فهي تسيطر على الطرق البحرية بين العراق والهند، ما جعلها مركزاً تجارياً مهماً، وعقدة طرق المواصلات بين أوروبا والشرق الأقصى، وبخاصة بعد دخول البلاد في فلك الاستعمار البريطاني، وأتاح لها موقعها هذا ومركزها التجاري، وإمكاناتها الاقتصادية؛ أن تُصبح ملتقى عناصر بشرية مختلفة.

إن مناخ البحرين رطب، حار صيفاً معتدل وقليل الأمطار شتاءً، وتمتاز البلاد عن غيرها من بلدان الخليج العربية، بوجود ينابيع من المياه العذبة ساعدت على ريّ الأراضي الزراعية قبل إدخال نظم الريّ الحديثة.

وتعدّ الزراعة إحدى ثروات البلاد قبل اكتشاف البترول، وجمعت طبيعتها بين عناصر حياتية متعددة مثل: الثروة البحرية، المياه العذبة، الأرض الصالحة للزراعة،



بالإضافة إلى الموقع التجاري، ويُعدُّ البترول المصدر الأول لاقتصاد البلاد منذ عام ١٩٣٦م، والسبب الرئيس في التطوير والتحديث وتنافس الشركات والدول الأجنبية للسيطرة عليها سياسياً واقتصادياً.

سميت البحرين عند القدماء: «حديقة الخليج»، و«لؤلؤة الخليج»، وأطلق العرب عليها اسم أوال، نسبةً إلى صنم كانت تعبده قبيلة بكر بن وائل التي كانت تقيم فيها، أو نسبة إلى اسم بطل عربي هو أوال بن ربيعة. ولعل أشهر أسباب تسميتها بالبحرين هو وقوعها على شاطئ بحري عُمان وفارس<sup>(١)</sup>.

## تاريخ البحرين الحديث والمعاصر

يبدأ تاريخ البحرين الحديث في عام ١٧٨٢م عندما استقرت قبائل العتوب في جزر البحرين، وبرز منهم آل خليفة الذين حكموها منذ ذلك التاريخ ولا يزالون يحكمونها إلى اليوم، وينتسبون إلى جدهم الشيخ خليفة بن محمد، الذي توفي في الكويت عام ١٧٢٠م.

كانت الظاهرة العامة التي صحبت تاريخ الخليج العربي حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، هي ظاهرة توازن القوى بين دويلات المدن التي كانت تظهر وتختفي على شواطئ الخليج العربي بين مُدَدٍ زمنية متقاربة أو متباعدة، باشتداد قوة إحدى القبائل أو بعضها.

وكان آل خليفة وحلفاؤهم قبيل الربع الأخير من القرن الثامن عشر يسكنون في الزبارة الواقعة على ساحل قطر الشمالي الغربي، وقد نجحوا في جعلها مركزاً تجارياً مهماً، ثم فتحوا البحرين في عام ١٧٨٢م، في عهد الشيخ أحمد بن محمد الذي لُقِّب بالفتاح على أثر انتصاره على الشيخ نصر بن مذكور وتبؤته السلطة، واتَّسم الصراع بينهما على موارد الرزق وبخاصة صيد اللؤلؤ وتجارته، وتوفي في عام ١٧٩٤<sup>(٢)</sup>.

## سلمان بن أحمد وأخوه عبد الله

خلف كل من الأخوين سلمان وعبد الله أباهما أحمد بن محمد بعد وفاته، في ظاهرة ثنائية الحكم. اتصف الشيخ سلمان بالتقى والورع والكرم، أحبه السكان

(١) الريحاني، أمين: ملوك العرب: ج٣ ص٢٣٦.

(٢) النبهاني، محمد بن خليفة: تاريخ البحرين: ص١٢٥ - ١٢٦.

ودانت له القبائل، وهو رجل سلام، أثر السلم على الحرب، لكن الأحداث التي شهدتها الجزيرة العربية والخليج العربي آنذاك، بالإضافة إلى التقلبات السياسية لأطراف النزاع قد تطورت بشكل متسارع ودفعته إلى الانخراط في الحروب، نذكر من هذه التطورات:

## الأطماع العربية والإيرانية في البحرين

تعرّض حكم الأخوين لثلاثة أخطار: فقد ناصبتهما السعودية العداء بعد ظهور الدعوة الوهابية في نجد على يد محمد بن عبد الوهاب وتبنيها من قبل الأمير عبد العزيز بن محمد آل سعود، وقد تطلع السعوديون إلى التوسع على حساب جيرانهم، فهاجموا الزبارة وهي مقر آل خليفة ودخلوها، ورحل سكانها إلى قطر، وحرّض السعوديون القبائل المعارضة ضد حكم الأخوين، وتطلّعوا إلى ضمّ البحرين.

وظمعت إيران في احتلال البحرين، فأرسل شاه فتح رسالة إلى سلمان بن أحمد يطلب منه الخضوع له.

وتعرّضت البحرين في عام ١٨٠٢م لغزو سيد سلطان بن أحمد حاكم مسقط، فحاصرها إلا أنه فشل في اقتحامها، ومع ذلك فقد فرض اتفاقية على الشيخ سلمان بن أحمد وضعته تحت سيطرته، وأساء ولاته معاملة آل خليفة، فرحلوا إلى الزبارة، وراحوا يتحينون الفرصة للانعتاق من السيطرة العُمانية واستعادة البحرين.

وحدث أن قُتل سلطان بن أحمد صاحب مسقط وهو عائد من البصرة إلى بلاده في عام ١٨٠٤م، فاستغل آل خليفة ذلك لاستعادة البحرين، والتمسوا المساعدة من السعوديين، وقد جمعت الطرفين العداوة للعُمانيين، فأمدوهم بقوة عسكرية بقيادة إبراهيم بن عفيصان حاصرت البحرين ونجحت في طرد العُمانيين منها في عام ١٨٠٨م.

ورفض السعوديون بعد أن تمّ لهم النصر تسليم البلاد إلى أصحابها، فنهض الشيخ عبد الرحمن بن راشد الفاضل ابن أخت الشيخ سلمان لطردهم منها، والمعروف أن الشيخ سلمان وأخوه الشيخ عبد الله كانا آنذاك في الدرعية بحكم المأسورين<sup>(١)</sup>، فالتمس المساعدة من سلطان مسقط، فأمده بالمال وزوّده بمدفع، كما استدعى المهاجرين إلى إيران من العتوب، وتمكّن من إنزال الهزيمة بإبراهيم بن عفيصان

(١) لقد ذهب الأخوان إلى الدرعية إثر احتلال العُمانيين لبلادهم لائتماس المساعدة من الأمير السعودي، فأبقاهما عنده.

وجيشه، ورحل القائد المهزوم إلى قطر واجتمع برحمة بن جابر الجلاهمة أحد سادات العتوب، وقد أجبرته الظروف السياسية والنزاعات الأسرية أن يقف ضد قومه ويتعاون مع القائد السعودي.

وصلت أنباء هزيمة إبراهيم بن عفيصان إلى الأمير سعود بن عبد العزيز في الدرعية، ويبدو أنه كان منهمكاً بالصراع مع العثمانيين، فأراد تبريد جبهة البحرين، فأطلق سراح الأخوين، لكن قائده إبراهيم بن عفيصان اصطدم بأل خليفة في معركة أخيكيرة البحرية في عام ١٨٠٨م، أسفرت عن هزيمته، وتمكّن من الفرار إلى قطر مع حليفه رحمة، واستعاد الشيخ سلمان حكمه على البحرين.

تمتعت البحرين بعد استعادتها من السعوديين بمدة زمنية قصيرة من الهدوء الحذر، وكانت علاقتها بمسقط جيدة، وكان السعوديون آنذاك منهمكين في الحرب مع القوات المصرية ولا يستطيعون فتح جبهة البحرين، وبخاصة بعد خسارتهم في معركة أخيكيرة التي أثبتت أن الهجوم على البحرين ليس بالأمر السهل، وتوفي في هذه الأثناء الأمير سعود بن عبد العزيز، فانسحبت القوات السعودية من المنطقة.

الواقع أن تدخل السعوديين والعُمانيين في شؤون البحرين لم يترك أثراً يذكر، وكان قصير الأمد، ويبدو أن هؤلاء طمعوا في جمع الزكاة أو فرض الجزية على البلاد أو أنهم اجتذبتهم مصاد استخراج اللؤلؤ، وتبقى محاولات الإيرانيين المتكررة للسيطرة على البلاد وضمها إلى أملاكهم؛ الخطر الأكبر المهدّد لكيان البحرين.

## التدخل البريطاني في شؤون البحرين

لم يحدث التدخل البريطاني المباشر في شؤون الخليج العربي إلا في السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر، على الرغم من وجود البريطانيين كقوة تجارية قبل ذلك التاريخ، والسبب الرئيس لتدخلهم هو منافسة فرنسا لهم على السيادة في المياه الشرقية ورغبتهم في المحافظة على الخليج العربي كمر مفتوح أمام تجارتهم مع الهند، وبخاصة بعد احتلال نابوليون بونايرت مصر في عام ١٧٩٨م.

ولفتت تطلعات الإيرانيين لضم البحرين وما نتج عن ذلك من اضطراب في منطقة الخليج العربي؛ نظر بريطانيا، وأدرك البريطانيون مدى أهمية موقع البحرين من أجل تأمين الطرق التجارية البرية والبحرية أمام شركة الهند الشرقية البريطانية، لذلك رفضوا أن تقوم قوة عربية أو إسلامية بالسيطرة على سائر القوى المحلية في الخليج العربي خشية من أن تتطور وتُشكّل خطراً على مصالحهم ووجودهم في المنطقة، لذلك عملوا على ضرب القوى المحلية لإضعافها، وإحكام سيطرتهم عليها، وهي السياسة التي انتهجها المقيم البريطاني وليم بروس في بوشهر، فزار البحرين في عام

١٨١٤م واجتمع مع الشيخ عبد الله وتباحث معه في الشؤون المتعلقة بضمان الملاحة في الخليج العربي، ويبدو أن الشيخ عبد الله عدّ المبادرة البريطانية مهمة لتأكيد سيطرته على البحرين، لذلك أبدى استعداده لتنفيذ مطالب حكومة بومباي مقابل حمايته من التهديدات الإيرانية التي كثيراً ما كان يتعرّض لها، ومنع أتباعه ورعاياه من الاقتراب من أي سفينة ترفع العلم البريطاني، وعدم التعرض لأرواح وممتلكات الرعايا البريطانيين<sup>(١)</sup>.

تجدّدت التوترات في الخليج العربي قبل نهاية العقد الثاني من القرن التاسع عشر بفعل نشاط القواسم البحري ضد السفن البريطانية، فبرزت مسألة البحرين في هذه الظروف بفعل موقعها الجغرافي المهم ووفرة مواردها، فكانت سفن القواسم تتردّد على موانئها للتموين، فاعتقدت بريطانيا بأن هناك تحالفاً بين القواسم وشيوخ البحرين، وأن البحرين أضحت السوق الرئيسة لتصريف غنائم القرصنة.

وتعدّدت آراء الخبراء البريطانيين عند استعراض هذه القضية، بين من يُطالب بضمها إلى مسقط (نيبان) وبين رأي يعارض هذا التوجه (فرنسيس واردن)، ورأى آخرون أن سيطرة سلطان مسقط على البحرين يدفع شيوخها للارتقاء في أحضان القواسم، عندئذ أدرك آل خليفة أن البريطانيين لا يُعتمد عليهم، وأن مصلحتهم تُبرّر أي وسيلة يتخذونها، على الرغم من أنهم (آل خليفة) لم يُظهروا العداوة لهم<sup>(٢)</sup>.

وأرسلت بريطانيا حملة ضد القواسم بقيادة الجنرال وليم غرانت كير في تشرين الأول ١٨١٩م، انتصرت عليهم، ودمّرت سفنهم المنتشرة في موانئ الخليج، وأجبرهم القائد البريطاني على توقيع اتفاقية مع حكومة الهند البريطانية في كانون الثاني ١٨٢٠م تنص على هدم حصونهم، وتسليم سفنهم للسلطات البريطانية، والإفراج عن السجناء الهنود، واحتلال بريطانيا مينائي رأس الخيمة، والفجيرة، ثم تحوّلت هذه الاتفاقية إلى معاهدة سلام عامة مع شيوخ الساحل العُماني الشمالي المتصالح بفضل جهود الكابتن بيرونيت الذي خلف كير، تألفت من إحدى عشرة مادة<sup>(٣)</sup> وأهم ما جاء فيها:

- عدم قيام الموقعين عليها بأي عمل من أعمال القرصنة.
- عدم الاتجار بالرقيق.
- يرفع الموقعون عليها علماً أحمر اللون حاشيته بيضاء على سفنهم، للتمييز بينها وبين غيرها من السفن.

(١) قاسم: ج١ ص ٣٨١.

(٢) غزال، منى: تاريخ العتوب، آل خليفة في البحرين: ١٧٠٠ - ١٩٧٠ ص ١٠٧ - ١٠٨.

(٣) انظر نصها الكامل عند: غزال: ص ١٠١ - ١٠٢.

- السماح بدخول سفن الموقعين عليها الموانئ التي تسيطر عليها الحكومة البريطانية وحلفاؤها، للتجارة.

- استقلال شيوخ الموقعين عليها مع احتفاظ البريطانيين بحق التدخل العسكري والسياسي في شؤونهم.

وتركت المعاهدة الباب مفتوحاً أما شيوخ العرب الذين لم يوقعوا عليها للدخول فيها إذا وافقوا على بنودها، وأضحت هذه المعاهدة على الرغم مما أثير حولها من جدل وانتقادات الأساس الذي اعتمد عليه البريطانيون في الخليج العربي، وقد وافق شيوخ البحرين عليها ودخلوا فيها على الرغم من عدم علاقتهم المباشرة بموضوع عرقلة التجارة البريطانية في الخليج العربي، ويبدو أنهم رأوا فيها ما يخدم مصالحهم في تسهيل التجارة في الخليج العربي، كما أنهم أبدوا رغبة بعد توقيعها في إحلال السلام مع مسقط.

ويبدو أن هذا التوجه أفنعت السلطات البريطانية في الهند بنوايا آل خليفة السلمية، ورغبتهم في إنعاش الحركة التجارية المشروعة، وأنهم لا يميلون إلى الانخراط في مواجهات عسكرية طالما لا يتعرضون لاعتداءات خارجية؛ الأمر الذي أوجد نوعاً من التعاطف البريطاني تجاههم<sup>(١)</sup>.

توفي الشيخ سلمان في عام ١٨٢٥م، فانفرد أخوه عبد الله بالحكم.

### علاقة عبد الله بن أحمد مع مسقط

كانت حكومة الهند البريطانية تراقب عن كثب تطور الأوضاع السياسية والعسكرية في الخليج العربي، وخشيت من امتداد الصراع بين البحرين ومسقط إلى مشيخات خليجية أخرى، لذلك أوعزت إلى ويلسون المقيم السياسي في بوشهر في نيسان ١٨٢٩م بالتوسط بين البلدين وإجراء صلح بينهما، لكن الوساطة البريطانية فشلت بسبب التصلب في المواقف، ورفض الحكومة البريطانية مراقبة تنفيذ الصلح، والواقع أن بريطانيا كانت تُرحّب باستمرار بنشوب النزاعات بين مشيخات الخليج العربية لإضعافها، شرط أن لا يمس ذلك مصالحها.

ومهما يكن من أمر، وعلى الرغم من توقف الوساطة البريطانية، فقد تدخل الشيخ محمد بن ناصر حاكم بوشهر في قضية النزاع بين البحرين ومسقط، ونجح في تقريب وجهات النظر والتوفيق بين عبد الله بن أحمد وسعيد بن سلطان، وجرى توقيع اتفاقية تفاهم بينهما في ٢ كانون الثاني ١٨٢٩م، اتفق الطرفان بموجبها على عدم تدخل أيّ

(١) غزال: ص ١١١.

طرف في شؤون الطرف الآخر، ووقف الاعتداءات بينهما، وتعهدا شفهيًا بالتعاون ضد أي اعتداء على أحدهما من جانب طرف ثالث<sup>(١)</sup>

ويبدو أن سعيد بن سلطان شيخ مسقط، لم يُنفذ كامل بنود الاتفاقية، وبخاصة التعهد الشفهي، فهو لا يزال يُقرب بشر بن رحمة الجلاهمة المعادي للبحرين، ولا يمانع في تحقيق هدف السعوديين في أن يُقيم في الدمام ليكون مصدر قلق واضطراب لشيخ البحرين.

وقد فطن هؤلاء الشيخ لهذه اللعبة السياسية، فالتفوا عليها عبر تقاربهم مع السعوديين، وجرت تسوية بين الطرفين في عام ١٨٣١م بشأن قلعة الدمام المتنازع عليها، وتقرر أن تبقى تحت سيطرة آل خليفة على أن يدفعوا الزكاة للسعوديين مقابل مساعدتهم لهم ضد سلطان مسقط.

لكن سرعان ما توترت العلاقات بين الجانبين في منطقة الأحساء بفعل غارات قبائل العماير على السفن التجارية ومنها سفن البحرين، وكان السعوديون يرون أن هذه المنطقة بما فيها البحرين تقع تحت حمايتهم، وإن تحكّم البحرين في الطريق المؤدي إلى السواحل الشرقية، يُعدّ نقضاً لاتفاقية الصلح المبرمة في عام ١٨٣١م.

وما جرى من نزاعات داخلية في نجد دفع عبد الله بن أحمد إلى السيطرة على الدمام في عام ١٨٣٥م، ووافق على أن يدفع للأمير السعودي فيصل بن تركي مبلغاً قليلاً من المال، حوالي ألفين روية، وذلك ضماناً لتأييده.

## البحرين بين بريطانيا ومصر

ترجع اهتمامات محمد علي باشا حاكم مصر بالبحرين منذ أن سيطر قائده محمد خورشيد على نجد والأحساء في عام ١٨١٨م، وأطلت قواته على مياه الخليج العربي، ولاحظ القائد المصري مدى أهمية العلاقة التي تربط البحرين بالأحساء والقطيف، بفعل أن المعارضين للحكم المصري يلجأون إلى سواحلها ثم يتوجهون إلى البحرين، لذلك رأى:

- ضرورة تحديد العلاقة بين البحرين ومصر.

- الاستفادة من موقع البحرين «الاستراتيجي» لتدعيم الوجود المصري في شرقي الجزيرة العربية.

- تحديث البحرين بفعل طبيعة شعبها وتراثه الحضري. ما يجعل من الممكن تقبل المجتمع البحريني مسألة التحديث بسهولة.

(١) غزال: ص ١١٤ - ١١٥.

- تُعدُّ السيطرة على البحرين فاتحة لتوحيد بلدان الخليج العربية، بحيث تصبح بمثابة خط الحماية من الخطر البريطاني.

- محاولة إيجاد نوع من التكامل لإفادة سكان بلدان الخليج العربية جميعاً من حركة التحديث المصري.

وأرسل محمد خورشيد، محمد أفندي رفعت حاكم الأحساء إلى البحرين في ٢٦ كانون الثاني في ١٨٣٩م للوقوف على مدى استعداد شيخ البحرين عبد الله بن أحمد، التعاون مع الحكم المصري أو الدخول في دائرته، فاجتمع به وعرض عليه ما يأتي:

- أن تتعاون البحرين مع الإدارة المصرية.

- عقد اتفاقية صداقة بين البحرين ومصر.

- تدفع البحرين الزكاة إلى مصر.

- النظر في مسألة جزيرة تاروت وقلعة الدمام.

- تسليم عمرو بن عفيصان الذي كان قد هرب من الأحساء ولجأ إلى البحرين<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن عبد الله بن أحمد خشي من أن تُخضع القوات المصرية البحرين بعد أن أُطِّلت على الخليج العربي نظراً لأهميتها «الاستراتيجية» بالإضافة إلى حدوث تفاهم بين محمد علي باشا وسعيد بن سلطان على حساب بلاده<sup>(٢)</sup>، لذلك رأى أن يترتب، ويقف على توجهات القوى المتنافسة المحيطة ببلاده حتى لا ينعكس تقربه من المصريين سلباً على بلاده وشعبه، فتباحث مع بريطانيا حول هذا الموضوع، فرأت السلطات البريطانية في الهند أن تنأى بنفسها عن التدخل، لكنها أبدت عدم ممانعتها عقد صلح مع محمد خورشيد، وأنها ستنظر في هذه المسألة في وقت لاحق<sup>(٣)</sup>، ورأى هينل المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي أن تكون البحرين مستقلة حفاظاً على السلام في المنطقة وإبداء النصح لمحمد خورشيد بالكف عن تهديده لها، وكتب عبد الله بن أحمد في الوقت نفسه إلى صاحب شيراز الإيراني لاستطلاع رأيه في المسألة، فرحب الحاكم بتلك المبادرة، وأرسل مبعوثاً إلى البحرين ليقوم بها هو حاجي قاسم.

وتوصّل عبد الله بن أحمد بعد دراسة المواقف من جميع جوانبها، إلى قرار بالموافقة على عقد اتفاقية مع محمد خورشيد، فأرسل رسالة إلى القائد المصري يُبدي رغبته بالتقارب مع مصر شرط المحافظة على استقلال بلاده، ويبدو أنه أراد أن

(١) لوريمر، ج ج: دليل الخليج، القسم التاريخي: ج٣ ص٤ - ١٣.

(٢) المرجع نفسه.

يتخذ من هذا التقارب سداً لمواجهة الأخطار التي تهدد بلاده من جانب البريطانيين والعُمانيين والسعوديين، وأسفرت المباحثات التي جرت بين الطرفين عن توقيع اتفاقية صلح وتعاون بينهما في كانون الثاني ١٨٣٩م، وُضِمَّ إلى الاتفاقية، ملحق تضمّن كيفية تنفيذها<sup>(١)</sup>، لعل أهمها التعاون العسكري، وقد أراد محمد خورشيد أن يستفيد من قوة البحرين لدعم مشاريع مصر في الخليج العربي.

كانت السلطات البريطانية في الهند تراقب بقلق المفاوضات البحرينية - المصرية خشية من حدوث تقارب بين البحرين ومصر قد يمتد إلى بلاد أخرى في الخليج العربي، وبفعل حرصها على المحافظة على مصالحها، أمرت قائد الأسطول البريطاني في الخليج سير فريدريك ميتلاند بأن يستخدم إمكاناته لمنع قائد القوات المصرية من التقدم صوب بلدان الخليج العربية، وبخاصة البحرين<sup>(٢)</sup>، وأوعزت إليه بتقديم المساعدات الممكنة لشيخ البحرين حتى لا ينحاز إلى جانب المصريين؛ لكن من دون التورط في حرب فعلية، ورأى ميتلاند من جانبه ألا يتورط عسكرياً في هذه المسألة، ونصح بأن يعالجها هيتل بالوسائل السلمية<sup>(٣)</sup>، فأمرت حكومة بومباي هيتل بأن يُقدم احتجاجاً لقائد القوات المصرية بصدده خطته تجاه البحرين وغيرها من بلدان الخليج العربية، ويُحدّره بأن ذلك يتعارض مع التفاهم القائم بين حكومتها ولندن والقاهرة، وقد يترتب عليه إفساد العلاقات الودية بينهما<sup>(٤)</sup>، لكن الواقع أن العلاقات بين مصر وبريطانيا كانت آنذاك غير ودية بسبب معاداة مصر للدولة العثمانية وأطماع محمد علي باشا في بلاد الشام، والمعروف أن بريطانيا كانت تساعد العثمانيين في صراعهم مع والي مصر.

وعلى الرغم من التحذير البريطاني، مضى محمد خورشيد في التقرب من البحرين، ما أزعج حكومة الهند البريطانية، فأعلمت شيخها أنها مستعدة للتدخل ووضع بلاده تحت حمايتها في حال طلبه ذلك، ولكن بصورة مؤقتة ريثما ينجلي الوضع المتأزم في بلاد الشام، ويُعدّ ذلك تحذيراً لمحمد خورشيد من غزو البحرين.

والواقع أن بريطانيا لم يكن باستطاعتها فرض الحماية على البحرين خشية من

(١) غزال: ص ١٣٨ - ١٤٢.

(٢) Kelly, J.B: Eastern Arabian Frontiers p48.

(٣) زكريا، جمال: الخليج العربي ١٨٤٠ - ١٩١٤م، ص ٦١.

(٤) غزال: ص ١٤٤.



موقف فرنسا المؤيد لمشاريع محمد علي باشا التي كان الخليج العربي داخلاً في إطارها، وحتى لا تُثير روسيا التي كانت تُعادي السلطة البريطانية في العراق التي ربما تتخذ من هذا البلد قاعدة لمقاومة التوسع الروسي في جنوب غرب آسيا<sup>(١)</sup>.

وعندما انتشرت أخبار الاتفاقية البحرينية - المصرية في بلدان الخليج العربية، زار المقيم البريطاني البحرين في أيار ١٨٣٩م ليستفسر عن مسألة الاتفاقية، فاجتمع مع عبد الله بن أحمد، ودار بينهما حوار شديد اللهجة، برّر الشيخ من خلاله تعاونه مع مصر التي تخدم مصلحة بلاده، وأصرّ على رفض فسخ الاتفاقية<sup>(٢)</sup>.

الواضح أن شيخ البحرين لم يكن على استعداد أن تُصبح بلاده تابعة للحكومة البريطانية صديقة سلطان مسقط وشيخ أبو ظبي اللذين كانت لهما أطماع في بلاده، كما رأى أن الوجود المصري في الخليج العربي ثابت وقوي، وأن علاقته بمحمد خورشيد جيدة.

وأدركت بريطانيا أنه إذا سيطر محمد علي باشا على مياه الخليج العربي إضافة إلى سيطرته على مياه البحر الأحمر، فإن المصالح البريطانية في الخليج والهند تُصبح تحت رحمة هذه القوة الجديدة بفعل وقوع طرقها التجارية تحت سيطرتها، ما يؤدي إلى تغيير في موازين القوى في المشرق العربي، لذلك رأت أن تضغط على محمد علي باشا من خلال نزاعه مع السلطان العثماني، لتحجيمه وإبعاده عن العالم العربي الشرقي.

وأدرك محمد علي باشا من جهته مدى أهمية وحساسية منطقة الخليج العربي بالنسبة لبريطانيا وطرق مواصلاتها إلى الهند، ولما كان بحاجة إلى جهودها السياسية في نزاعه مع العثمانيين؛ رأى أن يُجمّد علاقاته مع البحرين حتى لا يُتيح لها أن تحتلها، فأرسل إلى محمد خورشيد يأمره بوقف مفعول الاتفاقية مع البحرين، وعلاقاته مع بلدان الخليج الأخرى.

## محمد بن خليفة

تعرّض حكم الشيخ عبد الله بن أحمد لأطماع الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان بن أحمد، وكان الخلاف بين آل خليفة، واستبداد عبد الله بن أحمد بالسلطة؛ عوامل ساعدت محمد بن خليفة على الانقضاض على السلطة إثر انتصاره في معركة الحنينية عام ١٨٤٣م، فاستولى على الحكم وطرد عبد الله بن أحمد من البلاد،

(١) نوار، عبد العزيز سليمان: تاريخ العراق الحديث: ص ٢٤٧.

(٢) غزال: ص ١٤٧ - ١٤٩.

فلجأ هذا إلى إيران، والراجح أن محمداً تلقى مساعدة غير مباشرة من بريطانيا التي كان من مصلحتها تأجيج الخلافات الداخلية، فقد سمح هينل المقيم السياسي البريطاني، لحلفائه من القبائل العربية في جزيرة قيس في الشرق، بعبور الخليج إلى الشاطئ الغربي للانضمام إلى قواته، وربما جاءت هذه المساعدة رداً على سياسة عبد الله بن أحمد في الرضوخ للمصريين، وتشجيعاً لمحمد بن خليفة في أن يكون أكثر تعاوناً من سلفه.

ووقعت بريطانيا اتفاقية مع البحرين في عام ١٨٤٧م مماثلة في مضمونها للاتفاقية المعقودة مع مشايخ الساحل العُماني المتصالح، وأبدت رغبتها في المحافظة على السلام كما أبدت رغبتها أيضاً في إلغاء تجارة الرقيق في اتفاقية أخرى وُقعت في ١٠ آذار عام ١٨٥٦م<sup>(١)</sup>، ثم أخذت تمارس ضغط المراقبة على الأمور العامة في البلاد، وقد بلغ من قوة هذا الضغط أن تذرَّع شيخها بحماية كل من الدولتين العثمانية والإيرانية معاً.

وأجرى الشيخ محمد بن خليفة اتصالات سياسية مع كل من الدولتين العثمانية والإيرانية الطامعتين في السيطرة على البحرين بهدف إقامة التوازن بينهما، فرفع العلم العثماني والعلم الإيراني على أبراج مدينته، واستقبل وكلاء الدولتين<sup>(٢)</sup>، ثم ارتمى في أحضان إيران، وعدَّ نفسه تابعاً للدولة الإيرانية<sup>(٣)</sup>.

والراجح أن هذا الولاء نتج عن شدة الضغط البريطاني واستمراره، فضلاً عما لمسه من تعسف السياسة البريطانية في علاقاتها معه، فرَّحِب بيعته ميرزا مهدي خان أحد موظفي وزارة الخارجية الإيرانية، وقد جاء للتباحث بشأن حماية الحكومة الإيرانية له، وحثَّه على الاعتماد على إيران، وأسفرت المباحثات التي جرت بينهما عن إعلانين أصدرهما شيخ البحرين: الأول موجَّه إلى الشاه والثاني موجَّه إلى حاكم مقاطعة فارس تضمناً خضوعه المطلق للحكومة الإيرانية، وصرَّح في أحد هذين الإعلانين أنه يحكم البحرين بفضل الشاه، وأن البحرين ستكون دائماً جزءاً من إيران، وأنه يتعهد بدفع الزكاة إلى خزانة مقاطعة فارس، ويعدُّ نفسه تابعاً للدولة الإيرانية، ويُعلِّق الإيرانيون أهمية كبيرة على ما تمخضت عنه هذه البعثة، ويؤكدون أن اعتراف شيخ البحرين يُثبت حق إيران في سيطرتها على البحرين<sup>(٤)</sup>.

الواقع أن الادعاءات الإيرانية بالسيادة على البحرين تستند إلى حجتين لا أساس لهما:

(١) Aitchison, C.U: A collection of Treaties X p107.

(٢) النبهاني، خليفة بن موسى: التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، القسم السادس: ج١ ص ١٦٣.

(٣) قاسم: ج٢ ص ١٨٧. (٤) المرجع نفسه.

**الأولى:** أن البحرين كانت دائماً جزءاً من إيران باستثناء المدة التي خضعت فيها للاحتلال البرتغالي (١٥٠٧ - ١٦٠٢م).

**الثانية:** اتفاقية ٣٠ آب ١٨٢٢م المعقودة مع أمير شيراز والمقيم البريطاني في الخليج العربي وليم بروس، والتي عدَّ فيها الأخير البحرين جزءاً من إيران. والحقيقة أنه استوطن البحرين عرب من اليمن منذ سنة ١٩٠٠ق.م، وكانت البحرين بين القرنين السابع والحادي عشر الميلاديين جزءاً من الدولة العربية الإسلامية، وحكمت البحرين بعد سقوط الخلافة العباسية في عام ١٢٥٨م، أسر عربية مختلفة، حتى بداية القرن السادس عشر عندما وقعت تحت الاحتلال البرتغالي، وأن الإيرانيين احتلوا البحرين بين ١٦٠٢م و١٧٨٣م، إلا أن سيادتهم عليها كانت متقطعة، فقد حكمها بعض شيوخ العرب لمدة قصيرة، واستقر العتوب فيها منذ عام ١٧٨٣م.

أما اتفاقية ٣٠ آب ١٨٢٢م، فلا يمكن الركون إليها كوثيقة رسمية، ذلك أنه لا يحق للمقيم السياسي البريطاني وليم بروس الذي عقدها أن يتصرف ببلاد عربية ليست ملكه ولا ملك أبيه، كما أنه لم يكن مخوَّلاً من الحكومة البريطانية بصورة رسمية، وقد عاقبته هذه الحكومة بنقله من منصبه، كما عبَّر شاه إيران فتح علي (١٧٩٧ - ١٨٣٤م) عن استيائه من أمير شيراز لعقده هذه الاتفاقية من دون معرفته ومن دون أوامره<sup>(١)</sup>.

ومهما يكن من أمر فقد أثارت بعثة ميرزا مهدي خان وما تمخَّض عنها، حكومة الهند الشرقية البريطانية، وقد رأت أن من الضروري القيام بإجراءات من شأنها أن تُنهي مفعول تصريح الشيخ محمد بن خليفة، وذلك بتقوية صلاتها معه، فأعلنت في ١٨ شباط ١٨٦١م بأنها تنظر إلى البحرين على أنها مشيخة خاضعة لنفوذها.

وقام المقيم السياسي البريطاني جونز بحصار المنامة، فلم يكن أمام الشيخ محمد بن خليفة ما يفعله سوى الموافقة على توقيع اتفاقية مفروضة في ٣١ أيار ١٨٦١م تضمَّنت امتيازات كثيرة لصالح بريطانيا، وتعهد الشيخ محمد بن خليفة بموجبها:

- بالامتناع عن القيام باعتداءات بحرية وقرصنة.
- بمنح بريطانيا حقَّ الإقامة والتجارة في البحرين من دون قيد.
- بتحديد نسبة الضريبة المفروضة على التجارة بنسبة ٥٪.
- بإحالة أي خلاف يحصل بين الجانبين، على المقيم البريطاني في بوشهر ليفصل فيه.

ويحظى الشيخ محمد بن خليفة مقابل ذلك بالحماية البريطانية ضد أي اعتداء مباشر على وضعه من زعماء القبائل في الخليج العربي<sup>(١)</sup>.

الواقع أن هذه الاتفاقية انحدرت بالبحرين إلى مرتبة المحميات، ولم تُحقّق السلام بينها وبين حكومة الهند الشرقية البريطانية، فقد رأى محمد بن خليفة في بنودها تقييداً لتحركاته، وخطت الحكومة البريطانية من خلال عقدها الخطوة التي كانت تتردّد في اتخاذها من قبل.

ويبدو أن إعلان الشيخ الولاء لإيران لم يكن السبب الوحيد التي دفع بريطانيا إلى عقدها إنما كان للمطالب الإيرانية والعثمانية التي برزت في ذلك الوقت أثر كبير في ذلك.

وهكذا مضت بريطانيا في فرض سيطرتها على البحرين، وساعدها على ذلك شيوع الفوضى والحروب الأهلية التي وقعت في الإمارة وملحقاتها بعد سنتين من توقيع تلك المعاهدة. ففي عام ١٨٦٣م ساءت العلاقات بين الشيخ محمد بن خليفة والبريطانيين، بفعل مطالبة الأول بالسيطرة على قطر التي عدّها ضمن توابع البحرين، وحجته في ذلك أن معظم سكانها ينتمون إلى قبائل العتوب، وهي التي ينتمي إليها سكان البحرين، والمعروف أن آل خليفة استقروا في باديء الأمر في قطر، ثم انتقلوا منها إلى البحرين، وبالتالي يعدّون قطر تابعة لهم.

وما جرى في عام ١٨٦٣م من إرسال الشيخ محمد بن خليفة والياً من قبله إلى قطر واستعماله الشدّة ضد أهالي البلاد؛ أثار هوّاء ضده وطرده من بلاده<sup>(٢)</sup>، وتزعّمت قبيلة النعيم هذه الثورة، فقبضَ الشيخ محمد بن خليفة على زعيمها تامر وسجنه، فتدخل الشيخ محمد بن ثاني أحد زعماء قطر في إطلاق سراحه، وهذّب بأن أهالي قطر سيخلعون طاعة الشيخ محمد بن خليفة، ويلتمسون المساعدة من السعوديين<sup>(٣)</sup>.

رفض شيخ البحرين إطلاق سراح تامر، وحتى يُقوّي موقفه التمس المساعدة من الشيخ زايد بن خليفة حاكم أبو ظبي، وكان يسعى بدوره إلى بسط سيطرته على قطر، وهاجم الرجلان الدوحة في عام ١٨٦٦م.

وجدّد أهالي قطر ثورتهم في العام التالي، فأرسل الشيخ محمد بن خليفة أخاه الشيخ علي إلى بوشهر ليطلب من المقيم السياسي البريطاني مساعدته وفقاً لاتفاقية عام ١٨٦١م، غير أن سياسة بريطانيا كانت منع البحرين من ابتلاع قطر، لذلك رفض

(١) الرميحي، محمد غانم: البحرين مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي: ص ٣٧ - ٣٨.

(٢) الشبهاني: ص ١٨٠ - ١٨٤.

(٣) Aitchison: X p108.

طلب المساعدة، فاضطر الشيخ محمد بن خليفة أن يهاجم قطر بقواته الذاتية، وانتهت المعركة التي جرت بينهما في دامسة بانتصاره.

تدخلت بريطانيا على أثر وقوع هذه الاضطرابات، فأرسلت مقيمها السياسي في الخليج العربي على رأس سفن عدة، هاجم البحرين وضرب قلاعها بالمدافع بحجة أن الشيخ محمد بن خليفة قد نقض شروط اتفاقية ١٨٦١م، وأحرق أسطولها، ففرَّ الشيخ محمد بن خليفة إلى قطر ثم إلى الكويت لالتماس وساطتها، وفوَّض أخاه الشيخ علي بمتابعة القضية مع المقيم البريطاني، فنصَّبه هذا حاكماً على البحرين مكان أخيه، وعقد معه اتفاقية في ٦ أيلول ١٨٦٨م التي تُعدُّ السند الرئيس في إعطاء بريطانيا سلطات أوسع في الشؤون الداخلية وفي نظام الحكم والإدارة، ما يتنافى مع ما سبق أن وقَّعته بريطانيا من اتفاقية صداقة وتعاون انطوت على جوانب سلبية وإيجابية معاً، غير أن الاتفاقية الجديدة تضمَّنت فرض غرامات على البحرين، وتعيين وكيل دائم لحاكم البحرين لكي يكون على صلة وثيقة بتعليماته<sup>(١)</sup>.

وهكذا ابتعد الشيخ محمد بن خليفة قسراً عن الحكم الذي طالما دافع عنه وبذل كل ما يملك من أجله.

وأرسل الشيخ عبد الله الصباح أمير الكويت أخاه محمد للتوسط بين الشيخ محمد بن خليفة وبين أخيه علي، فتدخل البريطانيون وضغطوا على الأخير كي يرفض عودة أخيه إلى البلاد، ما دفعه إلى الذهاب إلى دارين، وراح يجمع قواته من قبيلة بني هاجر في الأحساء واستدعى أبناء عبد الله بن أحمد من الدمام الذين نازعوه في السابق، واتصل بناصر بن المبارك حفيد الشيخ عبد الله بن أحمد، ثم عبر بجموعه في آب ١٨٦٩م إلى البحرين لاستعادة حكمه بالقوة، فتصدى له أخوه، وجرت بينهما معركة على هضبة الرقاع انتهت بانتصار الشيخ محمد بن خليفة ومقتل أخيه علي، واستعاد الأول الحكم<sup>(٢)</sup>.

ونازع أبناء عبد الله بن أحمد الشيخ محمد بن خليفة على الحكم بحجة أنهم كانوا السبب بانتصاره، وأنهم أحقُّ بالملك منه، وظلوا يتحينون الفرص حتى تمكَّنوا من القبض عليه، وسجنوه في قلعة أبي ماهر واختاروا محمد بن عبد الله حاكماً على البحرين.

وصلت أنباء النزاعات الأسرية في البحرين إلى المقيم البريطاني بيللي، فأرسل قوة عسكرية نزل أفرادها إلى البر، فأخرجوا الشيخ محمد بن خليفة من السجن ونفوه إلى الهند، ثم انتقل إلى مكة، وظل في منفاه واحداً وعشرين عاماً حتى داهمه

(٢) غزال: ص ١٧٨ - ١٧٩.

(١) قاسم: ج ٢ ص ١٩٤ - ١٩٥.

المرض وتوفي، وقابل قائد القوة العسكرية البريطانية رجالاً من بني خليفة ممن عارضوا الانقلاب الأخير الذي نفذه الشيخ محمد بن عبد الله وأعوانه، وتوصلوا معهم إلى اتفاق يقضي بعزل محمد بن عبد الله وتولية عيسى بن علي آل خليفة.

## عيسى بن علي

### العلاقة مع بريطانيا

اعتلى الشيخ عيسى الحكم في البحرين في كانون الأول ١٨٦٩م وكان عمره آنذاك واحداً وعشرين عاماً، وهو على اطلاع على ما آلت إليه أوضاع بلاده السيئة نتيجة الصراع الأسري والاضطرابات، فعمل بحزم على نشر العدل وتحقيق الأمن، وبدأت البحرين في عهده تنعم بالاستقرار وتهتم بالتطوير والإصلاح والتنظيم على صعيد الإدارة الداخلية، وازدهرت التجارة، وقد سُمِّيَ عهده بالعصر الذهبي للغوص، فكان عدد سفن الغوص لصيد اللؤلؤ ألفين سفينة، بلغ دخلها ما يقارب ثلاثين مليون روبية هندية، الأمر الذي أغنى مداخل السكان، وأدى لظهور الطبقة الغنية<sup>(١)</sup>.

استمر في عهد الشيخ عيسى بن علي تدخل البريطانيين في شؤون البحرين، وبفعل تطور الأوضاع السياسية في الجزيرة العربية الناتج عن سيطرة العثمانيين على شرقي الجزيرة في عام ١٨٧١م، ووصلت تأثيراتها إلى قطر؛ خشيت بريطانيا من وصول هذه التأثيرات إلى البحرين، فوضعت البلاد تحت حمايتها بموجب معاهدة مفروضة في ٢٢ كانون الأول ١٨٨٠م، تعهد فيها عيسى بن علي بأن يُلزم نفسه وخلفاءه من بعده بعدم عقد اتفاقيات مع أي دولة أخرى غير الدولة البريطانية، وعدم إقامة علاقات سياسية مع أي دولة؛ إلا بعد موافقة الدولة البريطانية، وعندما اشتد التنافس الدولي، وقَّع المقيم البريطاني اتفاقية أخرى مع عيسى بن علي في عام ١٨٩٢م منعه بموجبها من تأجير أو بيع أو رهن أي جزء من أراضيه، إلا بعد موافقة الحكومة البريطانية، وقد جعلت هاتان الاتفاقيتان البحرين محمية بريطانية<sup>(٢)</sup>، تلا ذلك عقد اتفاقيات فرعية بين الجانبين في أعوام ١٨٩٨م و١٩٠٩م و١٩١٢م، أكّدت سيادة بريطانيا القانونية على البحرين، وإشرافها الخارجي عليها، وسقوط الدعاوى العثمانية الخاصة بملكية البلاد.

عزَّز البريطانيون نفوذهم في البحرين، ومن الأمور التي أولوها أهمية خاصة مسألتي السلطة القضائية على الأجانب، وفرض الرسوم الجمركية على الواردات.

(١) غزال: ص ١٩٢.

(٢) الخوري، فؤاد إسحاق: القبيلة والدولة في البحرين: ص ١٣٤ - ١٣٥.

كانت المسألة الأولى موضع دراسة ومناقشة منذ عام ١٩٠٤م، فقد وقعت في شهر أيلول من العام المذكور حادثة ضُرب خلالها موظف يعمل لدى شركة ألمانية، هي فون هاوز، وكان علي بن أحمد ابن أخي عيسى بن علي المتهم فيها، كما كان علي نفسه طرفاً في حادثة سابقة تعرّض خلالها اثنان من الإيرانيين للإيذاء، وقد تقدمت الشركة الألمانية بشكوى إلى القنصل الألماني في بوشهر، في حين تقدم الإيرانيان بشكواهما إلى شاه إيران<sup>(١)</sup>.

أقلقت هاتان الحادثنان البريطانيين إذ شعروا بأن موقعهم كحماة للبحرين أضحى مهدداً من قبل قوى أخرى مثل الألمان والإيرانيين، وعندما عُيّن بيرسي كوكس مقيماً بريطانياً في الخليج العربي في عام ١٩٠٥م، خوّلته الإدارة البريطانية بسلطات واسعة لتقصي هذه المشكلات والتحقيق فيها، فأجرى مباحثات مع عيسى بن علي، لم يتوصل خلالها إلى اتفاق حول كيفية معالجة الحوادث الناشئة بين البحرينيين والأجانب، على الرغم من أن شيخ البحرين قد عوّض الشركة الألمانية عن الضرر الذي لحق بموظفيها، فما كان من المقيم البريطاني إلا أن قام باعتقال الشيخ حمد بن عيسى، الوريث الشرعي لعيسى بن علي، واحتفظ به رهينة للضغط على الشيخ عيسى، وأنذر الأخير بوجوب نفي ابن أخيه إلى خارج البلاد لمدة خمس سنوات، ودفع ألفي روبية تعويضاً للإيرانيين اللذين أسيء إليهما، وطالبه بمنع تسخير الأجانب في أعمال السخرة، وحذّره من مغبة عدم تنفيذ تعليمات المقيم في المستقبل، وقد وافق الشيخ عيسى على شروط المقيم البريطاني ليقينه بأنه لن يتوانى عن قصف المنامة إذا لم تُنفذ شروطه<sup>(٢)</sup>.

كانت هذه الإجراءات انعطافة في العلاقات البحرينية - البريطانية ووضع الأجانب القضائي الذي أُنيط بالمسؤولين البريطانيين، وقد لقيت معارضة شديدة من الشيخ عيسى، والسكان، والقبائل العربية الأخرى، وحتى من شيوخ القرى الأقل نفوذاً، وعدّوها تحدياً سافراً لسلطاتهم التقليدية.

وكانت الفوضى التي تعمّ الوضع الجمركي في البحرين موضع نقاش منذ زيارة اللورد كيرزون للبحرين في عام ١٩٠٣م، وأكّد أمام الشيخ عيسى ضرورة القيام بإصلاحات في هذا الحقل، واستمرت هذه المسألة موضع نقاش بعد ذلك حتى صدور الإصلاحات الجمركية في أوائل العشرينات.

كانت إدارة الشيخ عيسى، تقليدية، أبوية وشبه إقطاعية، وباستثناء رسوم الجمارك

(٢) غزال: ص ٢٩٤.

(١) الرمحي: ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

التي كان يفرضها لحسابه الخاص، فإنه لم يكن هناك أي شكل حكومي للإدارة<sup>(١)</sup>.  
وثمة مسألة أخرى أثارت نقمة البحرينيين تمثّلت بإنشاء المقيم البريطاني ديكسون،  
مجلساً بلدياً، وتدخله في شؤونه عبر إصراره على أن يختار نصف عدد أعضائه،  
وقد رفض الشيخ عيسى ذلك، وحُلّت المسألة أخيراً على أساس أن يختار الشيخ  
عيسى أعضاء المجلس على أن يكون نصفهم من الأجانب المشمولين بالحماية  
البريطانية، ويوافق ديكسون على تعيينهم.

وأصدرت بريطانيا (المجلس الملكي الخاص بالبحرين) مرسوماً في آب ١٩١٣م  
تُبنت بموجبه وضع الوكيل السياسي البريطاني في البحرين، وإحكام سيطرته على  
الوضع الداخلي، وتحديد سلطات الشيخ، إلا أنه لم يطبق إلا في عام ١٩١٩م.  
خوّل هذا المرسوم الوكيل السياسي:

- بالسلطات القضائية، على كل الأجانب في البحرين.

- منحه الحق في اختيار نصف أعضاء مجلس العرف، وتعيين قضاة محكمة  
السالفة، وهما الهيئتان غير الرسميتين لفض الخلافات بين التجار، وإصدار الأحكام  
فيما يتعلق بصيد اللؤلؤ، بالاتفاق مع الشيخ عيسى، والمعروف أن شيخ البحرين كان  
يتولى اختيار وتعيين أعضائهما.

- يحتفظ شيخ البحرين بحق تعيين قضاة المحكمة الشرعية، على أن يوافق الوكيل  
السياسي على القضاة المرشحين.

- إنشاء محاكم أخرى مثل المحكمة العليا يرأسها المقيم السياسي في بوشهر،  
والملاحظ أن المقيم السياسي في البحرين هو الذي تولى رئاستها فعلياً.

الواقع أن هذا المرسوم منح الوكيل السياسي في البحرين سلطات واسعة، في  
الوقت الذي جرّد المحاكم المحلية التقليدية من سلطاتها، ونصّ على أحكام  
وتنظيمات متعددة لم يعرفها البحرينيون من قبل<sup>(٢)</sup>.

واستخدم البريطانيون البحرين قاعدة لحشد قواتهم في الحرب العالمية الأولى،  
وكانت مساعدة الشيخ عيسى وأولاده فعّالة إلى الحد الذي جعل البريطانيين يمنحونه  
وساماً بعد الحرب مباشرة اعترافاً منهم بهذه المساعدة<sup>(٣)</sup>.

وعيّنت حكومة الهند البريطانية في تشرين الأول ١٩١٨م، نورمان براي وكيلاً  
سياً لها في البحرين، فأخذ على عاتقه تنفيذ المرسوم المشار إليه، فسَمّى نصف

(١) غزال: ص ٢٩٥.

(٢) الخوري: ص ١٣٤. الرميحي: ص ٢٩٧ - ٢٩٩.

(٣) الرميحي: ص ٢٩٩.



أعضاء مجلس العرف، ويبدو أن الشيخ عيسى لم يرض عن هذا الإجراء وطرده أحد أعضائه، إلا أنه أذعن بعد ذلك تحت الضغط.

ونتيجة لإجراءات حكومة الهند البريطانية أرسل الشيخ عيسى رسالة إلى الحكومة البريطانية في لندن، حملها ابنه عبد الله في أيلول ١٩١٩م يطلب فيها:

- ١ - مساواته بحكام العرب المجاورين في ممارسة السلطة القضائية على رعاياه ما عدا الرعايا البريطانيين ورعايا الدول الأوروبية.
- ٢ - أن يتفرد باختيار الأشخاص لعضوية مجلس العرف ومحكمة السالفة.
- ٣ - الإسراع في تقديم المساعدة البريطانية لكي يتمكن من إنشاء مرفأ في الزبارة.
- ٤ - الاتصال المباشر مع لندن عند الضرورة<sup>(١)</sup>.

لم تعط الحكومة البريطانية في لندن رداً سريعاً على هذه الرسالة.

وحدث في تشرين الثاني ١٩١٩م أن عيّنت حكومة الهند البريطانية وكيلاً جديداً لها في البحرين هو ديكسون، ولما وصل إلى البلاد، درس الوضع السياسي، وأرسل رسالة إلى حكومته أبرز ما تضمّنته:

- عدم الرضا عن الوضع السياسي الداخلي، وإن لم يصل إلى درجة الخطر.
- هناك شعور قوي وعميق الجذور بالعداء تجاه البريطانيين.
- إن الوضع البريطاني في البلاد يستند على أسس واهية، وهي الخوف لا الاحترام.

وفي أيار ١٩٢٠م جاء ردُّ حكومة الهند البريطانية على رسالة الشيخ عيسى، تتضمّن رفضاً لما جاء فيها، باستثناء الموافقة على منح الشيخ عيسى حق ممارسة السلطة القضائية على الرعايا العرب المقيمين في البحرين شرط موافقة حكامهم<sup>(٢)</sup>، فكتب ديكسون بذلك إلى كل من ابن سعود والشيخ عبد الله بن جاسم آل ثاني حاكم قطر، فأجابا بالنفي، إذ إن الأول كان مرتبطاً بالسياسة البريطانية، وكان الثاني يكنُّ العداء لآل خليفة، فكان ردهما السلبي في هذا الحال طبيعياً، ولم يكتب ديكسون إلى أي من الإمارات العربية الأخرى التي كان من الممكن أن يكون ردها إيجابياً، وما إن تسلم الردين حتى أعلن في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٠م بأن كل الرعايا الأجانب في البحرين بما فيهم العرب، يقعون تحت الحماية البريطانية<sup>(٣)</sup>.

وشعر آل خليفة بأن ديكسون يتدخل في سلطاتهم وحياتهم الشخصية، وعارضت بعض القبائل إجراءاته وعدّوها تدخلاً في أعرفهم وعاداتهم ونمط سلوكهم،

(١) قاسم: جد٤ ص ١٩٣.

(٢) الرميحي: ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

(٣) المرجع نفسه: ص ٣٠٤.

وتحمّس لها بعض الفئات في المجتمع، لا سيما الشيعة والأجانب شعوراً منهم بأنهم سيكونون أكثر أماناً تحت الحماية البريطانية.

عُزل ديكسون في عام ١٩٢٠م، وحلّ مكانه ديللي مقيماً سياسياً في البحرين فانتهج نهج سلفه، فتشدّد في تنفيذ إجراءاته، ووضع المزيد من الأشخاص تحت الحماية البريطانية، ونفى من عارضه مثل جاسم الشيرازي وحافظ وهبة الذي كان يشغل مديراً للمدرسة الوحيدة في البحرين آنذاك، وحاول أن يُبعد مستشاري الشيخ عيسى وابنه عبد الله عنه، وعيّن شخصاً بحرينياً من أصل إيراني هو خان رئيساً للمجلس البلدي، ما عدّ تحدياً لسلطة الشيخ عيسى، والواقع أنه فضّل التعامل مع الشيخ حمد الوريث الشرعي لوالده الشيخ عيسى نظراً لطاعته له، فاتهم الأخير بالعجز عن ممارسة صلاحياته بفعل كبر سنه البالغ ثمانين عاماً، وأنه يعارض سير الإصلاح.

واتخذ ديللي بعض الإجراءات المالية لإحكام قبضته على الأسرة الحاكمة، فأمر بتحويل العائدات الجمركية إلى فرع المصرف الشرقي على أساس أنها ودائع حكومية لا ممتلكات خاصة بالأسرة الحاكمة، وعيّن باور وهو موظف في مصلحة الجمارك الامبراطورية في الهند رئيساً لمصلحة الجمارك في البحرين وإن بشكل مؤقت، وأصدر لائحة بالمخصّصات المالية للشيخ الحاكم ولكل فرد من أفراد أسرته<sup>(١)</sup>.

وهكذا أضحت البحرين في واقعها محمية بريطانية، وقد تأكد ذلك فعلاً بموجب إعلان صدر في عام ١٩٢٢، بل إن البحرين تحولت عملياً إلى مستعمرة بريطانية، فالسلطات البريطانية كانت تمارس إدارة الشرطة، وتدير أجهزة الدولة، وتسن القوانين، وتتولى حق التمثيل الخارجي، كما لم يكن للبحرينيين حق التصرف المطلق في شؤونهم الداخلية، وعيّن البريطانيون شارلز بلغريف مستشاراً لحكومة البحرين، وأضحى بعد وصوله بسة أشهر قائداً عاماً لقوات الشرطة، ورئيساً للعدل، ومراقباً عاماً للإدارة المالية والصحة والأشغال، وباختصار أضحى هو الحاكم الفعلي للبحرين بين عامي ١٩٢٦م و١٩٥٧م<sup>(٢)</sup>.

## تحركات الشيعة

ادعى الشيعة في البحرين في عهد الشيخ عيسى بالمضايقة، ما حملهم على الالتجاء إلى الوكيل السياسي البريطاني طالبين منه العون والحماية، فكتب إلى

(١) الرمحي: ص ٣٢١ - ٣٢٣.

(٢) صبحي، أحمد محمود: البحرين ودعوى إيران: ص ١٧.

حكومته في بومباي بذلك، وعندما زار تريفور، المقيم السياسي البريطاني في بوشهر، البحرين استقبال وفداً من الشيعة الذي قدّم له شكوى تتضمن ادعاءاتهم، وطلبوا منه إقناع الشيخ عيسى بوقف مضايقتهم.

ويبدو أن الحكومة البريطانية في بومباي لم تكن متحمسة آنذاك إلى اللجوء إلى عمل جذري بالنسبة لتصرفات الإدارة في البحرين إلا بعد استفاد كل وسائل الضغط المحلي، ولا تجد نفسها مضطرة للتدخل بين الشيخ ورعاياه، ورفضت وضع الطائفة الشيعية تحت الحماية البريطانية وفقاً لاقتراح تريفور.

وعندما علم الشيعة بعدم رغبة السلطات البريطانية بممارسة الضغط على الشيخ عيسى، قدّموا له بعض المطالب في ١٦ شباط ١٩٢٢م، وهي:

١ - يحق للشيخ عيسى وابنه الشيخ حمد وحدهما الفصل في الخلافات أو إنزال العقاب مهما كان نوعه.

٢ - تحويل الشكوى التي لا يستطيع الشيخ حمد إصدار حكم فيها يُرضي الطرفين، إلى المحكمة الشرعية أو إلى مجلس العُرف أو السالفة حسب نوع القضية.

٣ - عدم القبض على أي مواطن شيعي وجلبه إلى قصر الحاكم من دون إشعار رسمي أو صدور دعوة من الشيخ نفسه.

٤ - يجب أن تكون الوثائق المتعلقة بتأجير أبناء الأسرة الحاكمة بساتينهم إلى رعاياهم من الشيعة، على نسختين، حيث يحتفظ كل طرف بنسخة مصدقة من قبل شهود محايدين، وعدم فرض أي شروط لا ترد في عقد الإجارة.

٥ - منع جمال الشيوخ من الدخول إلى الحدائق الخاصة لترعى هناك وتلف المحاصيل.

٦ - وقف أعمال السخرة أو العمل الإجباري لأصحاب الحمير، وإلغاء ضريبة الرؤوس (الرقبيّة) عن كل شخص شيعي بالغ.

٧ - عدم الاستمرار في وضع عجول الشيخ مع أبقار المزارعين الشيعة.

٨ - إصلاح السجون وإنشاء أبنية مناسبة لهذه الغاية<sup>(١)</sup>.

وافق الشيخ عيسى على بعض المطالب بعد مشاورات أجراها مع أفراد الأسرة الحاكمة.

وبالتوازي مع علاقة الأسرة الحاكمة مع الشيعة في البحرين، كانت إيران تراقب تطور الأحداث في ظل وصول الشعور الوطني الإيراني إلى الذروة خلال

(١) الرميحي: ص ٣١٠ - ٣١١.

عامي ١٩٢١م و١٩٢٢م، فشنت الصحف الإيرانية حملات شديدة اللهجة ضد التدخل البريطاني في شؤون البحرين، والمعروف أن لإيران أطماع في السيطرة على البحرين، وشكّل البريطانيون حاجزاً دون أطماعهم.

وبرزت مسألة الإجراءات المتخذة لحماية الشيعة، على ضوء الأطماع الإيرانية التقليدية، وإدراكاً منها لخطورة التوجه الإيراني، قرّرت حكومة الهند البريطانية أن تؤدي دوراً أكثر فاعلية منعاً لاحتمال أي تدخل إيراني في البحرين بحجة حماية الشيعة، عبر تنفيذ الإصلاحات الكفيلة بمعاملتهم على قدم المساواة مع السُنّة، فأمرت مقيمها في بوشهر تنفيذ وتقويم الموقف العام في البحرين، فقدم إلى البلاد واجتمع مع المقيم السياسي فيها في كانون الثاني ١٩٢٣م، وحدداً أسباب عدم الاستقرار بما يلي:

- التنامي الكبير في ثروة الأسرة الحاكمة نتيجة زيادة الرسوم الجمركية والاستيلاء على ممتلكات الشيعة.

- تأثر البحرينيين إيجاباً بالأفكار الديمقراطية التي انتشرت آنذاك في العراق والهند ومصر.

- جهل الحكام وقلة خبرتهم<sup>(١)</sup>.

- وأشار الممثلان البريطانيان إلى نواحي الإصلاح التي تمثّلت:

- بالمساواة في جباية الضرائب.

- إنشاء المحاكم المناسبة.

- وضع قوانين تحفظ مصالح صيادي اللؤلؤ.

وافقت حكومة الهند البريطانية على اتخاذ الإجراءات الكفيلة بتحقيق الإصلاحات الضرورية، وأعلنت وزارة الخارجية البريطانية في لندن في نيسان ١٩٢٣م بذلك.

## عزل عيسى بن علي

وحدث أن غادر تريفور الوكيل السياسي البريطاني في الخليج مقر إقامته في بوشهر في نيسان في إجازة، وحلّ محله الكابتن نوكس بشكل مؤقت، وقرّر هذا أن يُعيد تقويم الوضع في البحرين إثر نشوب شغب بفعل قيام أحد الإيرانيين بسرقة ساعة من يد شخص عربي، وعلى الرغم من أن هذه الحادثة تافهة بحد ذاتها، إلا أن التوتر السائد بين العرب والإيرانيين، ضخمها.

استغلّت بريطانيا هذه الحادثة لتنفيذ مخططاتها في البحرين، ففوّضت نوكس

(١) الريمحي: ص ٣١١ - ٣١٢.

بتنفيذها، فقدم إلى البلاد في ١٥ أيار ١٩٢٣م، فنفى المسؤولين عن أعمال الشغب، واتهم الشيخ عيسى بافتعالها، على الرغم من أنه لم يكن مسؤولاً عنها فعلياً، إنما اتخذها ذريعة لعزله لعدم تعاونه مع البريطانيين، وأجرى مباحثات مع كل من الشيخين حمد وعبد الله حول التنازل الطوعي لأبيهما، لكن الشيخ عيسى لم يكن في وارد التنازل الطوعي عن الحكم، لذلك عقد نوكس اجتماعاً مع رجال المجتمع البحريني في ٢٦ أيار ١٩٢٣م أعلن خلاله:

- خلع الشيخ عيسى رسمياً عن الحكم، وتعيين ابنه الشيخ حمد مكانه.

- تحويل العائدات الجمركية إلى فرع المصرف الشرقي على أساس أنها ودائع حكومية لا ممتلكات خاصة بالأسرة الحاكمة.

- عين باور رئيساً لمصلحة الجمارك البحرينية بشكل دائم.

- حدّد المخصّصات المالية للحاكم ولكل فرد من أفراد الأسرة الحاكمة<sup>(١)</sup>.

الواضح أن عزل الشيخ عيسى مرده إلى استجابته للحركة الوطنية، وموافقته على تشكيل جمعية تشريعية، وتنظيم قوات للشرطة الوطنية، وموافقته على اللائحة الإصلاحية التي تقدم بها إليه الوطنيون، وتبع عزله سلسلة من الإجراءات التعسفية استبدّ الوكيل السياسي البريطاني بموجبها بالأمر<sup>(٢)</sup>.

## حمد بن عيسى

### الأوضاع العامة

تلا خلع الشيخ عيسى القسري عن الحكم حدوث اضطرابات سياسية في البحرين مصدرها فتان:

**الأولى:** العناصر الأكثر محافظة، وتشمل عدداً من أفراد الأسرة الحاكمة وقبيلة الدواسر التي تعيش شبه مستقلة في البدع.

**الثانية:** العناصر السياسية المثقفة والواعية التي كانت على الرغم من كونها معتدلة في آرائها، إلا أنها عدّت التطورات الأخيرة عقبة في وجه السيادة الوطنية<sup>(٣)</sup>.

جاء رد فعل الفئة الأولى تجاه الإجراءات البريطانية عنيفاً. ففي أواخر شهر أيار ١٩٢٣م قام عدد من رجال قبيلة الدواسر بمهاجمة قرية عالي الشيعية، وقتلوا شخصين، فغرم الوكيل السياسي البريطاني في البحرين، زعيم القبيلة مبلغ خمسة

(١) الرميحي: ص ٣٢١ - ٣٢٣. قاسم: ج ٤ ص ١٩٩.

(٢) قاسم: المرجع نفسه: ص ١٩٩. (٣) الرميحي: ص ٣٢٣.

عشر ألف روية كتعويض عن الأعمال التي قام بها رجال قبيلته .

وفضّلت الفترة الثانية التحرك السياسي لشرح مطالبها من خلاله، ففي ٢٦ تشرين الأول عُقد اجتماع تحت اسم «المؤتمر الوطني البحريني» تمّ خلاله صياغة مطالب محددة، واختير إثنًا عشر شخصاً من أعضاء المؤتمر لتقديمها إلى تريفور، وهي:

١ - استمرار الشيخ عيسى في الحكم إلا إذا قرّر بنفسه تعيين ابنه حمد، دون تدخل القنصل البريطاني .

٢ - تطبيق الشريعة الإسلامية والعرف على الإدارة .

٣ - إنشاء مجلس شورى من بين أعضاء المؤتمر الوطني مهمته السهر على مصالح البلاد ومعالجة المسائل المستجدة .

٤ - إنشاء لجنة رباعية تكون بمثابة محكمة صيد اللؤلؤ، على أن يكون أعضاؤها على معرفة بمسائل الصيد .

٥ - التزام القنصل البريطاني بالاتفاقيات الموقعة بين البحرين وبين بريطانيا .

٦ - يقوم المؤتمر باختيار اثني عشر شخصاً من أعضائه لمتابعة هذه المطالب ومحاولة تنفيذها<sup>(١)</sup> .

وعلى الرغم من أن تلك المطالب كانت معتدلة إلا أنها عدّت متطرفة في ذلك الحين، لذلك طلب تريفور من حكومة الهند البريطانية ترحيل زعماء المؤتمر عن البلاد بوصفهم من مسببي الشغب، وكذلك ترحيل قبيلة الدواسر، فنفى أحمد بن خليفة إلى بومباي، كما نفى عبد الوهاب الزباني إلى عدن، وأنذرت قبيلة الدواسر بإخلاء قرية البديع خلال عشرة أيام وإلا تعرّضت للقصف، وفعلاً أخلت هذه القبيلة القرية خلال مدة الإنذار ورحلت عن البحرين، وصادرت الدولة ممتلكاتها وأرزاقها .

أضحى الوضع الداخلي في البحرين بعد تلك الأحداث أكثر استقراراً، ما أتاح لبريطانيا القيام بإصلاحات في الإدارة تخدم مصلحتها، فعيّنت في أوائل ١٩٢٤م مسؤول الجمارك البريطاني لتسوية مشكلات العائدات الجمركية، وعيّن ديللي في عام ١٩٢٥م شارلز بيلغريف مستشاراً بريطانياً لمساعدة الشيخ حمد في تسيير شؤون الدولة، وقد بدأ عمله في عام ١٩٢٦م .

وحصل في غضون ذلك بعض التقدم في الإصلاحات الإدارية والقضائية، مثل إدارة السجلات العقارية (الطابو)، وأضحت الإدارة في البحرين في نهاية العشرينات عصرية نسبياً، وأضحى بيلغريف رئيساً لكل الإدارات في الإمارة .

وشهد عقد الثلاثينات بداية التوسع التجاري في البحرين بسبب المباشرة بالتنقيب

(١) الرميحي: ص ٣٢٤ - ٣٢٥ . قاسم: ج٤ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

عن النفط، واحتاج الأمر إلى نقل عدد كبير من الهنود المثقفين إلى البلاد وتعيينهم في المراكز الإدارية وفي شركة النفط.

وتميزت هذه المرحلة بتزايد المطالب السياسية والإصلاحية بعد أن شعر الناس بفائدة إصلاحات العقد الماضي، فجرت بعض الإصلاحات في الحقل القضائي، إنما ظلت المحاكم في أيدي أفراد من أسرة آل خليفة، وبفعل عدم وجود قوانين مكتوبة بقيت الأحكام القضائية اعتباطية، فلكل قاضٍ مفهومه الخاص في إصدار الأحكام، وكثيراً ما كانت تختلف في الجرم نفسه من محكمة إلى أخرى، ومن قاضٍ إلى آخر.

وبدأت الطائفة الشيعية التي تشكل نسبة عالية من عدد سكان البحرين، تُدرك بعد إصلاحات عقد العشرينات، مدى القوة الضاغطة التي يمكن أن تُشكلها لو توحدت صفوفها، وينطبق هذا الوضع على طبقة التجار بخاصة، التي بدأت تنمو في المنامة، لذلك انتهزت هذه الطائفة الفرصة لتطالب بمزيد من الإصلاحات السياسية، مثل التمثيل في المجلس البلدي ومجلس العُرف، واستعادة حقوق الشيعة في مجلس التعليم التي حُرِّموا منها سنوات، بالإضافة إلى الإصلاحات القضائية، ورأت أنه لا يمكن تحقيق العدالة بحسب رغبة القاضي، بل يجب وضع قوانين مكتوبة حتى تتساوى كل فئات المجتمع أمامها، وتقدّمت بمطالبها إلى بيلغريف في أواخر ١٩٣٤م<sup>(١)</sup>، الذي نصح الشيخ حمد بعدم الموافقة عليها، لذلك وعد في رده بتشكيل لجنة تقوم بجمع وتنسيق القوانين المعمول بها في البلاد، ثم تجري مقارنتها بتلك المعمول بها في البلاد الإسلامية، ليصار بعدها إلى اختيار ما هو مناسب للبحرين.

ونفّذت الحكومة البحرينية وعدها، فشكّلت لجنة ثلاثية برئاسة الشيخ سلمان بن حمد وعضوية ممثل عن كل من طائفتي السُّنَّة والشيعية، هما: يوسف بن أحمد كانوا ومنصور العريض. غير أن هذه اللجنة، لم تكن سوى محاولة لإرضاء الرأي العام وتهديته، إذ لم تستطع أن تتوصل إلى نتائج ملموسة.

وكان الاقتصاد البحريني أخذ بالنمو في هذه المرحلة وعماده النفط، لذلك تحوَّلت اهتمامات الناس من المسائل السياسية إلى المسائل الاقتصادية، وجاء ذلك نتيجة الزيادة المستمرة في تدفق العائدات النفطية، فأُنشئت دوائر حكومية جديدة مثل الأشغال والصحة، وازدادت فرص العمل.

وأدَّى تدفق الأجانب للعمل لدى شركة النفط وغيرها، إلى اكتساب المجتمع البحريني عادات وأفكار جديدة لم تكن معروفة في تراثه، ولعل أكثر الفئات تأثراً بها

(١) انظر نص المطالب عند: الرميحي: ص ٣٣٩.

هي الطبقة الوسطى التي ظهرت حديثاً، ونتج عن تحسين وسائل الاتصالات، اهتمام متزايد بالأحداث الخارجية.

وكان بيلغريف لا يزال يسيطر على الحياة السياسية والإدارية في البحرين بشكل مطلق، ما أدى إلى ازدياد السخط الشعبي، وكثيراً ما كان الناس يتجاوزونه باللجوء إلى الاتصال المباشر مع الشيوخ بطرق غير رسمية.

ويتصف الاضطراب السياسي الذي شهدته البحرين في عام ١٩٣٨م إثر توحيد طائفتي السنّة والشيعة؛ بعدم الرضا عن أسلوب الإدارة الاستبدادي، فشكّلت الحركة الوطنية قيادة تألفت من التجار والطلاب وعمال النفط نادت بأفكار جديدة تتعلق بالإصلاحات الإدارية مثل إنشاء هيئة تشريعية برئاسة الشيخ سلمان، وإصلاح إدارة الشرطة، وتنسيق القوانين، وعزل بعض الموظفين والقضاة، وكانت مسألة المحاكم أهم موضوعات الشكوى، غير أن هذه المطالب لم تُقدّم رسمياً إلى الحكومة بسبب الخوف من بطش السلطة، لكن قام بعض من وضع هذه الأفكار وأيدها، بالدعاية والترويج لها في الخارج<sup>(١)</sup>.

والواضح أن أحداث ١٩٣٨م أدّت إلى نتائج ضئيلة، إلا أنها نفخت الروح المعنوية في الحركة الوطنية، وربما يعود ذلك إلى انعدام القيادة المنظمة وإجراءات بيلغريف المضادة التي كان يتخذها لمواجهة المطالب وموجة الاضطرابات. وشهد عهد الشيخ حمد نشاطاً دولياً ملحوظاً باتجاه البحرين: أميركياً وروسياً وألمانياً ويابانياً وإيرانياً.

## النشاط الأميركي

ظهر النفوذ الأميركي في البحرين عندما اتخذت البعثة العربية - الأميركية البحرين مركزاً لها في الخليج العربي، وانحصر نشاطها في المجالات الطبية والتعليمية، إلا أنها أخذت تُعبّر عن استيائها من التطورات السياسية، وهيمنة الموظفين البريطانيين على الإدارة في هذا البلد.

أسهمت البعثة التي كان أعضاؤها وكلاء لشركات أميركية في بناء المدارس الحكومية الرسمية ابتداء من عام ١٩١٩م، لكن تأثيرها كان ضئيلاً بفعل تقلص عدد تلاميذها من المسلمين، وما تبقي اقتصر على التلاميذ اليهود، أما التعليم فكان مجاناً، وأسهمت البعثة أيضاً في إنشاء مستشفى في عام ١٩٣٤م، لكنها فشلت في العمل التبشيري على الرغم من الأساليب المتنوعة التي كانت تتبناها من أجل ذلك،

(١) الرميحي: ص ٣٤٦.



إذ كانت تُقام صلاة قبل تقديم العلاج إلى المرضى، وإذا لم يحضر المريض الصلاة، يُحرم من الحصول على الدواء، لكن الشعور الإسلامي العام قضى على كل أمل للبعثة في تحقيق أهدافها<sup>(١)</sup>.

## النشاط الروسي

بدأ الروس نشاطهم في البحرين في عام ١٩٢٩م على شكل تجاري، فقد أسست شركة الشرق الروسية وكالة لها في هذه البلاد، وتدخلت بريطانيا من أجل إسناد رئاستها إلى شخص تثق به حتى لا تُتخذ وسيلة للدعاية الشيوعية، ثم طلبت من الشيخ حمد أن لا يتعامل تجارياً مع روسيا لأنه يمكن أن يُسبب أضراراً بالتجار البحرينيين الذين سيتأثرون من منافسة البضائع الروسية، وأن لا يربط رعاياه بأناس يفتقرون إلى ولاءات دينية غير موثوق بها، فأذعن للطلب البريطاني، وأصدر إعلاناً في تشرين الثاني ١٩٢٩م مَنَعَ بموجبه: استقبال السفن الروسية في موانئ بلاده، وتفريغ بضائع السفن الروسية، والسماح لأي شخص بها من النزول إلى أرض بلاده<sup>(٢)</sup>.

## النشاط الألماني

كان لألمانيا نشاط تجاري في البحرين منذ القرن التاسع عشر، وظهر ذلك واضحاً عبر تأسيس شركة الونكههاوس، وفتح خط بواخر الهنسا، وحاولت شركة ألمانية أخرى هي شركة أندوتش فتح وكالة لها في البحرين لتجارة الأصداف، وأصرّت بريطانيا للموافقة عليها أن يكون جميع موظفيها من الرعايا البريطانيين أو من سكان البحرين، وصدر إعلان بذلك عن الشيخ حمد.

واتجهت ألمانيا قبل نشوب الحرب العالمية الثانية، إلى استغلال صلاتها التجارية مع البحرين، واتخذت من مفوضيتها في بغداد مركزاً للحركة المضادة للنفوذ البريطاني في الخليج العربي، لذلك رفضت بريطانيا في عام ١٩٣٩م طلباً تقدمت به المفوضية الألمانية في بغداد لمنح التجار والصحفيين الألمان تأشيرات دخول إلى البحرين والكويت، بحجة دراسة أوضاع السوق والمتطلبات التجارية، لكن هدفها الحقيقي بث الدعاية ضد الوجود البريطاني في البحرين<sup>(٣)</sup>.

(١) قاسم: ج٣ ص ٢٢١ - ٢٢٢.

(٢) المرجع نفسه: ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٣) المرجع نفسه: ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

ظهر النشاط الياباني في البحرين بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، وأسست اليابان الكثير من الوكالات كان أنشطها الشركة اليابانية - الإيرانية، وأسندت وكالتها إلى يوسف كانوا أحد أثرياء البحرين، وقد وافقت الحكومة البريطانية على ذلك، نظراً لثقتها به وبفعل تردّد التجار اليابانيين على البحرين وعلى غيرها من الإمارات الخليجية العربية، وقد أخضعتهم بريطانيا لرقابتها.

### تجدّد الادعاءات الإيرانية في البحرين<sup>(١)</sup>

تجدّدت الادعاءات الإيرانية في البحرين بالظهور في عام ١٩٢٢م بعد أن تراجعت خلال الحرب العالمية الأولى، فقد اعترضت إيران على وثائق السفر الخاصة بالبحرينيين، وعدّ موظفو الجوازات في لنجة البحرينيين رعايا إيرانيين، وقامت حملات صحفية إيرانية تطالب بأحقية إيران في امتلاك البحرين، وأصدرت الحكومة الإيرانية تعليمات مشدّدة لموظفيها في الخليج العربي بأن يُعاملوا البحرينيين كمواطنين إيرانيين، وظهر توجّه عند بعض العملاء الإيرانيين بزيارة البحرين والتنسيق مع العناصر الإيرانية والشيوعية في البلاد، وأخذ المجلس النيابي الإيراني يدرس تعيين ممثل عن البحرين في عضويته، وضغطت الصحافة الإيرانية على الحكومة والمجلس النيابي لاتخاذ خطوات من شأنها الوقوف ضد البريطانيين الذين يعملون على حرمان إيران من ممتلكاتها الشرعية، وأعلن القنصل الإيراني في النجف في عام ١٩٢٣م أن جميع المقيمين في البحرين هم رعايا إيرانيين ويقضي تسجيلهم في القنصلية الإيرانية في النجف، وقد أرسلت نسخة من هذا الإعلان إلى المندوب السامي البريطاني في العراق.

أدركت السلطات البريطانية مدى ما يترتب على الادعاءات الإيرانية من خطر على مستقبل البحرين، لذلك جاء ردّ الفعل البريطاني سريعاً على إعلان القنصل الإيراني، فطلبت الحكومة البريطانية سحبها من التداول.

وحذّرت بريطانيا الحكومة الإيرانية من تعقّد العلاقات بين البلدين في حال الرفض، واقترح القنصل البريطاني في طهران لوران تنظيم انتقال الرعايا الإيرانيين إلى البحرين، بحيث لا يذهب إلى هناك أحد ما لم يحصل على تصريح مسبق من القنصلية البريطانية في طهران أو من القنصليات الموجودة في بعض المدن والموانئ الإيرانية.

(١) قاسم: ج٣ ص ٢٣٢ - ٢٣٨.

واستاءت بريطانيا من الحملات الصحفية الإيرانية ضدها، ومن الدعوة إلى ضمّ البحرين إلى إيران، وأبلغت وزير الخارجية الإيرانية بذلك، وأكدت بأن السيادة الإيرانية لم تُمارس على البحرين منذ أن نجح عرب العتوب في السيطرة عليها في أواخر القرن الثامن عشر، وأن استقلال شيوخ البحرين عن إيران هو الذي مكّن بريطانيا من توثيق علاقاتها معهم، وكانت النتيجة وضع البحرين تحت الحماية البريطانية.

وعندما أحكمت بريطانيا سيطرتها على البحرين، ظهر توجه إيراني بإحالة المسألة إلى محكمة العدل الدولية، ووجّه الشيخ حمد إنذاراً إلى الرعايا الإيرانيين المقيمين في البحرين بأنه إذا ثبت تأمرهم، فإنهم سينالون جزاءً رادعاً، على أن المشكلة التي واجهتها بريطانيا كمنت في مدى السند القانوني الذي يُبرّر سيطرتها على البحرين، إذ أن الاتفاقيات المعقودة بينها وبين شيوخ البحرين، لا تعطى هذا الحق، وأن الادعاءات الإيرانية لا يمكن أن تتحقّق إلا بالقدر الذي يكشف عن ضعف مركز بريطانيا في البحرين، ومن ثمّ توجّهت السياسة البريطانية إلى إعلان البحرين محمية بريطانية من الناحية الرسمية، ما يؤكّد مركز بريطانيا في الخليج العربي من ناحية، وأهمية البحرين بالنسبة للسياسة البريطانية من ناحية أخرى، وأخذت تُثير ضعف المركز الإيراني في البحرين عبر عدم وجود أدلة ثابتة تُعزّز السيادة الإيرانية عليها، وأن البحرين ليست جزءاً من إيران من الناحية الجغرافية، وأن سكانها ليسوا إيرانيين، وأن أي حقوق لإيران قد سقطت نهائياً منذ أن سيطر آل خليفة على الحكم في البحرين في عام ١٧٨٣.

ورُفعت القضية إلى عصبة الأمم في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٧م، لكن حجج إيران فيما يختص بحقوقها السيادية على البحرين كانت واهية، ولم تتوصل العصبة إلى قرار فيما يتعلق بهذه المشكلة.

واتخذت حكومة البحرين قرارات عدة لمواجهة الأطماع الإيرانية كان من بينها: حظر رفع العلم الإيراني على المدارس الإيرانية في البلاد، استبدال الزي الإيراني الخاص بقوات الشرطة بالزي العربي، وإصدار إعلان يقضي بتسجيل الأجانب في الوكالة البريطانية وإلا عُدّوا تابعين للبحرين، وأن من صالح الإيرانيين أن يسجلوا أنفسهم في الوكالة البريطانية حتى يتمتعوا بالامتيازات الخاصة بالأجانب.

وفشلت الحكومة البريطانية في التفاهم مع إيران لوضع تسوية بشأن البحرين، ولم تتوقف الاحتجاجات الإيرانية، وتركزت في عقد الثلاثينات حول:

- منح امتياز التنقيب عن النفط إلى شركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا (١٩٣٠م).

- إصدار طوابع بريد هندية واستخدامها في البحرين (١٩٣٢م).

- منع شركاتها من امتياز التنقيب عن النفط (١٩٣٤م).

- فصل مجموعة من العمال الإيرانيين من شركة نفط البحرين (١٩٣٤م).

وأخذت السلطات الإيرانية تضغط على البحرينيين الذين يذهبون إلى إيران للتجنس بالجنسية الإيرانية، وأصدرت في آذار ١٩٣٤م تنظيمات خاصة بتأشيرات السفر، قضت برفض تأشيرة الدخول إلى إيران على جوازات السفر الخاصة بالبحرينيين، وأساءت معاملة البحرينيين الذين لا يملكون أوراق تسجيل إيرانية، وقامت بمصادرة السفن العربية وانتزاع أوراقها الخاصة وتسجيلها في الموانئ الإيرانية، ما أثار مشكلة حقّ إيران في القيام بعمليات التفتيش البحري في الخليج العربي.

توقفت الادعاءات الإيرانية في البحرين خلال الحرب العالمية الثانية باستثناء احتجاج قدمته إيران ضد إيطاليا في عام ١٩٤٠م بمناسبة قصف المدفعية الإيطالية للبحرين، ثم عادت بعد انتهاء الحرب، فأصدرت وزارة التعليم الإيرانية تعليمات إلى الأساتذة في المدارس بتلقين الطلاب بأن البحرين تنتمي إلى إيران، وعبر الشعراء والكتّاب والأدباء بقصائدهم وأقلامهم عن الادعاءات الإيرانية في هذا البلد، وباختصار حاولت الحكومة الإيرانية صبغ البحرين بالصبغة الفارسية تمهيداً لابتلاعها.

وفي الوقت الذي كان فيه الحماس الإيراني يشتعل بالادعاءات الإيرانية بأن البحرين جزء من إيران، لم يكن في البحرين من يؤيد هذا الشعور؛ باستثناء بعض الحوادث الفردية التي تذرّعت بها إيران للتأكيد على نمو شعور موالٍ لها بين سكان البحرين، وفي المقابل، كان الشعور القومي العربي يتدفق على البحرين خلال الحرب العربية - الصهيونية عام ١٩٤٨م.

## علاقة البحرين مع السعوديين

أخذ الأمير عبد العزيز آل سعود بعد الحرب العالمية الأولى يُبدي اهتماماً أكبر بالبحرين على الرغم من الاتفاقية المعقودة بينه وبين بريطانيا في عام ١٩١٥م، والتي تنص في مادتها السادسة على عدم تدخله في شؤون البحرين.

وبدأ النفوذ السعودي يظهر في البحرين بشكل ملموس بدءاً من عام ١٩٢٢م عبر تدخل الأمير السعودي في شؤون البحرين بقوة، وظهر ذلك واضحاً خلال الأزمة التي أدت إلى خلع الشيخ عيسى عن الحكم وتنصيب ابنه الشيخ حمد، وتبيّن أن وكيل ابن سعود في البحرين كان أحد المسؤولين عن إثارة الاضطرابات بين السُنّة والشيعية في سوق المنامة في أيار ١٩٢٣م، فانتهزت بريطانيا هذه الفرصة وضغطت على الأمير السعودي لسحب وكيله من البحرين.

ووصل تريفور المقيم البريطاني في الخليج العربي، في هذه الأثناء، إلى البحرين للتحقيق في هذه الاضطرابات، ولما كانت الإصلاحات التي ستفرضها بريطانيا على الشيخ حمد ستواجه معارضة سنية، لذلك كان لا بد قبل الإقدام عليها من إبعاد القبائل السنية الموالية لابن سعود، وفي المقابل، استغل ابن سعود فرصة وقوع الاضطرابات في البحرين، فشجّع هذه القبائل للإغارة على البحرين، لكنهم جوبهوا بمقاومة شديدة<sup>(١)</sup>.

وبدو أن ابن سعود أصراً على ضرورة إيفاد وكيله إلى البحرين، واضطرت بريطانيا إلى الموافقة، لكنها اشترطت أن يقتصر عمله على الشؤون التجارية، كما احتج على تعرّض رعاياه النجديين إلى اعتداءات من قبل الإيرانيين، واتهم ديللي المقيم السياسي البريطاني بالتحيز ضدهم، وأكد أن تصرفه السيء هو المسؤول عن الصدام الذي وقع بينه وبين وكيله في البحرين.

ورأت الحكومة البريطانية أن الملك السعودي لن يكف عن خططه الهجومية بالنسبة للبحرين ما لم يحصل على ميناء حيوي خاص به، لذلك أوصت شركات البواخر البريطانية باتخاذ ميناء القطيف مركزاً لها والمساهمة في إنعاش موانئ الملك السعودي الأخرى من الناحية الاقتصادية، على الرغم من أن ذلك سيؤثر على اقتصاد البحرين والكويت، إلا أن توثيق العلاقة مع الملك السعودي يتطلب التضحية بمصالح هاتين الإمارتين.

وما جرى من مغادرة قبيلة الدواسر البحرين إلى القطيف والدمام بتشجيع من الأمير السعودي؛ استغلهم هذا في إحداث تغييرات في البحرين، ما أثار السلطات البريطانية، فطلب منه تريفور المقيم السياسي البريطاني تحقيق أمرين:

الأول: العمل على لجم الدواسر عن مهاجمة البحرين.

الثاني: ترحيلهم إلى الجبيل نظراً لقبدهم من البحرين.

استجاب الملك السعودي للطلب البريطاني، فانتقل الدواسر إلى المناطق الداخلية من الأحساء بعيداً عن البحرين، لكنهم أعلنوا عن استعدادهم للعودة إلى البحرين ودفع المفروض عليهم من ضرائب، وقد وافقت الحكومة البريطانية على عودتهم بشروط منها: أن يتصرفوا كمواطنين عاديين مقابل إعادة ممتلكاتهم المصادرة إليهم.

الواقع أن بريطانيا لم تعد تخشى عودة الدواسر إلى البحرين بعد أن ثبتت أقدامها في الإمارة، ولم يعد هناك من مشكلات تُذكر بين البحرين والملك السعودي في

(١) صبحي: ص ٢٣١.

المرحلة التالية إلا فيما يتعلق بالخلافات الاقتصادية الناجمة عن إصرار شيخ البحرين على فرض ضرائب على تجارة العبور الذاهبة من البحرين إلى موانئ نجد والأحساء، ورفض حكومة البحرين إعفاء حاجيات الملك السعودي الشخصية من هذه الضرائب، وتطلّب الأمر عقد اجتماع في البحرين بين ممثلين بحرينيين وسعوديين في آذار ١٩٣٥م، وافق ممثلو البحرين خلاله على أن تأخذ الحكومة البحرينية علماً مسبقاً بهذه الحاجيات، وتخفيض ضرائب العبور، وأن يؤخذ بنظام البيان الرسمي (المانيفستو) بالنسبة للبضائع المتوجهة إلى الموانئ السعودية في الأحساء، وقد مهّد ذلك إلى تبادل مذكرات رسمية حول المشكلات الاقتصادية بين المفوضية البريطانية في جدة وبين وزير خارجية المملكة العربية السعودية؛ عُدّت بمثابة اتفاقية بين البحرين والمملكة العربية السعودية، وتضمّنت ما يأتي:

- عدم فرض ضرائب على بضائع العبور التي تُشحن إلى المرافئ السعودية أو التي تُشحن منها إلى البحرين.

- الاستمرار في فرض ٢٪ على قيمة البضائع التي تُرسل إلى السعودية، أو التي تُصدّر منها وتنزل في البحرين لإعادة تصديرها.

- فرض واحد وثلاثة أرباع في المائة على البضائع التي تُرسل إلى الموانئ التابعة للبلاد السعودية أو التي تُصدّر منها وتُنقل على بواخر أخرى من دون إنزالها إلى البر.

- عدم إعفاء البضائع التي تُرسل إلى الملك السعودي أو إلى حكومته.

- فرض رسم جمركي لا يزيد على ٥٪ على التمر الذي يرد إلى البحرين من الموانئ

السعودية، وتُصدر المملكة بيانات رسمية بجميع المراكب التي تسافر إلى البحرين.

- يمكن إنهاء الاتفاقية أو تعديلها برضى الطرفين شرط الإعلان عن ذلك قبل ستة

أشهر<sup>(١)</sup>.

استمر حكم الشيخ حمد حتى شباط ١٩٤٢م حيث توفي، وخلفه ولي عهده ابنه

الأكبر الشيخ سلمان.

## سلمان بن حمد

تولى الشيخ سلمان الحكم وهو يتمتع بخبرة طويلة في إدارة الشؤون السياسية بفعل التصاقه بوالده الذي كان يعتمد عليه في كثير من أمور البلاد، كما كان ينوب عن والده أحياناً في توقيعاته الرسمية، وشهد عهده نشوب الحرب العالمية الثانية، وعاش أحداثاً جساماً بعدها أكسبته الخبرة والتجربة.

(١) قاسم: ج٣ ص ٢١٢ - ٢٢٠.

عُرف عن الشيخ سلمان ميله إلى العمل الجاد، وتحمُّسه إلى إدخال الحضارة الغربية إلى البحرين والاستفادة منها لتطوير بلاده، وتخلُّل عهده قيام نهضة عمرانية وقفزة واسعة لحركة التطور والتقدم والعمران الاقتصادي والبشري، تدل على مدى وعيه وغيرته على نمو بلاده، بالإضافة إلى اطلاعه على الحضارة الغربية.

كان الشيخ سلمان يباشر الأمور بنفسه ويتابع تنفيذها، وأولى الناحية الخارجية اهتماماً ملفتاً، فكان يستقبل رؤساء وملوك البلاد العربية والأجنبية بنفسه ويودِّعهم بنفسه، ويكرمهم بحفاوته البالغة، واشتهر بكرمه وسخائه وصداقته الكبيرة لمن يحيطون به لحمايته.

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩م، كان الوكيل السياسي البريطاني بيلغريف يُرسل تقارير دورية كل خمسة عشر يوماً عن النشاطات الداخلية في البحرين وتوجُّه الرأي العام البحريني، وكانت تخلو غالباً من نزعة معادية للبريطانيين، وقد أثار دخول اليابان الحرب في كانون الأول ١٩٤١م وانهايار الوضع العسكري البريطاني في جنوب شرقي آسيا؛ اهتمام البحرينيين، خشية من تقدم ألمانيا باتجاه الخليج العربي، وفعلاً وضعت ألمانيا نتيجة تغير رياح الحرب لصالحها، خطة عسكرية تقضي بشن هجوم واسع النطاق ضد روسيا لإجبارها على الاستسلام ثم التحرك نحو الخليج العربي عبر تركيا والعراق.

وسواء اطلع البريطانيون على هذه الخطة أم لا، فقد اتخذوا التدابير الضرورية لدعم دفاعاتهم في الخليج العربي، ونظراً لأهمية موقع البحرين، أعلنت الحكومة البريطانية في ١٦ نيسان ١٩٤٢م دخولها في منطقة العمليات العسكرية، وأكدت للسكان استعدادها للدفاع عنهم، فأنشأت محطات إنذار في منطقة الخليج العربي وربطتها بقاعدة القوات الجوية الملكية في المحرَّق، وشكَّلت لجنة لاتخاذ التدابير الوقائية ضد الغارات الجوية، مثل إنشاء ملاجئ وإجراء تدريبات وتمارين خاصة، وجنَّد بيلغريف مائتين وخمسين شخصاً تلقَّوا تدريباً عسكرياً لمواجهة حالات الحرب الطارئة.

وصلت الحرب في ربيع ١٩٤٣م إلى نقطة التحول، فقد مُني الألمان بالهزائم في كل من العلمين وستالينغراد، فتراجع خطرهم عن الشرق الأوسط، كما فقَدَ اليابانيون مبادرتهم في بورما؛ لذلك تم تسريح الحرس الخليجي، ولم تبق في نهاية الحرب إلا بعض الوحدات الفنية الصغيرة للقوات الجوية الملكية كوحدة مراقبة الصحة والإنقاذ الجوي والبحري ومراقبة السفن ومراكز سلامة الطيران.

واتخذت مسألة التموين الغذائي حيزاً واسعاً من الاهتمام خلال الحرب، فقامت الحكومة بواجباتها، وأمنتها للسكان كافة لا سيما الفقراء منهم.

وأضحى الوعي السياسي أكثر تبلوراً بعد الحرب العالمية الثانية وبخاصة في الخمسينات، فقد وصل الصراع السياسي بين الشعب والحكم إلى ذروته بفعل ازدهار النوادي والجمعيات الأهلية التي شكّلت حافزاً لولادة الأفكار السياسية، وقد ساعدها الرخاء الاقتصادي النسبي ونمو نسبة المتعلمين بين السكان في ذلك، كما كان للمشكلات السياسية في العالم العربي وأجزاء أخرى من العالم الشرقي أثر في نمو الوعي السياسي، وتطور الأحداث السياسية، وبخاصة تلك التي رافقت القضية الفلسطينية وتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية وصهيونية، فقد خرج البحرينيون في مظاهرات تأييد للموقف الفلسطيني والعربي، وأتاح استقلال كل من الهند وباكستان، وانتقال السلطة البريطانية في منطقة الخليج العربي من مكتب الهند إلى مكتب الشؤون الخارجية في لندن؛ للبحرين الاتصال المباشر مع لندن، وأدخل أسلوباً جديداً في التعامل السياسي لم تعهده البلاد من قبل.

وظل البحرينيون يشعرون مع وجود الرخاء الاقتصادي بفعل استخراج النفط وتجارتها، بضرورة المشاركة بصورة أكبر في تسيير شؤون الإدارة الحكومية التي كانت تُعبّر عنها الآراء المتشددة في الصحف، والمعلوم أن بيلغريف كان يتفرد بتوجيه أوجه النشاط السياسي، ولم يكن راغباً في توسيع مفهوم الحكومة متجاهلاً مطالب الشعب البحريني.

وحدثت في العالم العربي أحداث أخرى أثرت إيجاباً في نمو الوعي القومي، منها: ثورة تموز ١٩٥٢م في مصر، وانتشار الدعوة للقومية العربية في المشرق، ومواجهة مصدّق للبريطانيين في إيران - غير أن البحرينيين توجهوا صوب القاهرة.

وبفعل الظروف الداخلية المتفجرة في البحرين، تولّدت مقومات المواجهة السياسية في المدة بين عامي ١٩٥٣م و١٩٥٦م، إذ لم تعد وصاية بيلغريف تُحتمل، فنشبت الاضطرابات بفعل الصحوة الثقافية والفجوة بين الطائفتين السنية والشيعية، وقد دفعت العناصر الواعية من كلتا الطائفتين إلى الخشية على المستقبل الذي ينتظر الجميع في حال استمرار الصراعات التقليدية، ومن أهم أعمال العنف تلك التي نشبت في شهر حزيران ١٩٥٤م في معسكر العمل في ستره، فقامت الحكومة بمحاولة امتصاص عواطف الجماهير بتقديم تنازلات جزئية، بما في ذلك إنشاء لجان مَنْتَخَبَة تُشرف على إدارتي الصحة والتعليم، لكن ذلك لم يتم بسبب موقف الهيئة التنفيذية العليا الراض، وهي المشكّلة من كلتا الطائفتين، ويُمثّل أعضاؤها مختلف



فئات المجتمع، إلا أن الحكومة تابعت تنفيذ خطتها الرامية إلى إجراء انتخابات لعضوية المجلس البلدي، وطلبت الهيئة من الحكومة تشكيل مجلس استشاري، واعتماد نظام قانوني منسّق، والسماح بإنشاء نقابات مهنية، وإنشاء محكمة استئناف عليا. لكن الحكومة رفضت هذه المطالب على الرغم من عدالتها، وأعلنت في ٢ تشرين الأول ١٩٥٤م أن الهيئة لا تُمَثِّل الشعب، وأن الحكومة ستبذل ما في وسعها لإجراء إصلاحات داخلية<sup>(١)</sup>. وأعلنت البحرين في عام ١٩٥٧م سيادتها القانونية على الأجانب الذين كانوا يخضعون لامتيازات خاصة بحيث لا يطالهم القانون المحلي، ثم أصدرت طواعيها الخاصة في عام ١٩٦٠م، وبدأت في تنفيذ برنامج ضيق النطاق لتوزيع بعض الأراضي على الفلاحين، وأنشأت مدينة عيسى التي توافرت فيها أسباب الراحة على النمط الغربي، وكانت البحرين أول دولة في الخليج العربي طبّقت التعليم والتطبيب المجانيين، كما توافرت فيها خدمات الكهرباء والماء، وتوفي الشيخ سلمان يوم الخميس ٢ تشرين الثاني ١٩٦١م.

## عيسى بن سلمان

خلف الشيخ عيسى أباه سلمان، وظهرت في عهده أول عملة خاصة بالبحرين في عام ١٩٦٥م، وشهدت البلاد في آخر هذه السنة إضراباً سببه الرئيس التخوف من صرف العمال في شركات النفط، وأعلنت بريطانيا في أيار ١٩٦٦م أنها سوف تنقل قاعدتها الرئيسة في الخليج العربي من عدن إلى البحرين في عام ١٩٦٨.

فاتفقت مع البحرين على استئجار قاعدة عسكرية فيها، غير أنها عادت فأعلنت في العام نفسه أن كل قواتها الموجودة شرق السويس سوف تُسحب قبل نهاية عام ١٩٧١م، وقد نُفِّذَ القرار فعلاً.

وقامت الحكومة البحرينية في كانون الثاني ١٩٧٠م بإصلاحات إدارية وسياسية واسعة، فقد عُيِّنَ مجلس دولة مُكوّن من اثني عشر عضواً، كان أربعة منهم من العائلة الحاكمة، ليتولى السلطة التنفيذية العليا، وكانت تلك أول مرة يتخلى فيها الحاكم عن بعض صلاحياته، وضمّ المجلس عدداً متساوياً من السُنَّة والشيعَة للمحافظة على التوازن الطائفي. كذلك حُقِّضَ وضع المستشارين البريطانيين ليصبحوا موظفين عاديين، فأضحى نظام البحرين بفعل الإصلاح شبيهاً بالحكم في الكويت، وتحوّل مجلس الدولة في آب ١٩٧١م إلى حكومة لدولة البحرين مهمتها إدارة الشؤون الداخلية والخارجية<sup>(٢)</sup>.

(١) Owen, Roderick: The Golden Bubble p205. (٢) الخوند: جه ص ٨٥ - ٨٦.

وتعرّز وضع البحرين في عام ١٩٧٠م عندما وافقت إيران على تقرير الأمم المتحدة حول مستقبل البحرين، الذي جاء في أعقاب زيارة وفد الأمم المتحدة، فقد أفاد أغلب السكان بأنهم يريدون الاستقلال وليس الاتحاد مع إيران.

## استقلال البحرين

أعلنت بريطانيا في ٨ كانون الثاني عام ١٩٦٨م عن عزمها على الانسحاب من شرق السويس، بما في ذلك الخليج العربي، في مدة أقصاها نهاية عام ١٩٧١، وبناء على ذلك، اتخذت سياستها الجديدة مبدأ إنهاء معاهدات الحماية التي أضحت تتنافى مع التوجهات الجديدة، وحرصاً منها على مصالحها الاقتصادية، رأت أن تعقد معاهدات جديدة تقوم على الصداقة مع إمارات الساحل المتصالح ومنها البحرين تتماشى مع الوضع الجديد، ويعني ذلك الاستقلال الكامل لدول الخليج العربي وإنهاء معاهدات الحماية.

الواقع أن الانسحاب البريطاني من الخليج العربي والبحرين بطبيعة الحال لم يكن عن رغبة في تحقيق أمانى الشعب الخليجي بالاستقلال والحرية، ولكن بريطانيا كانت أمام واقع مرير فرضته الظروف العربية والدولية لحركات التحرر، وظروفها الاقتصادية والسياسية الدولية، وبخاصة الولايات المتحدة الأميركية التي رغبت في الحلول مكانها في المنطقة<sup>(١)</sup>.

وعمدت بريطانيا قبل أن تضع ترتيبات الانسحاب، إلى التنسيق مع الولايات المتحدة الأميركية، وشجّعت فكرة قيام اتحاد إمارات الخليج العربي، ومن المفارقة أنها صاحبت سياسة التجزأة والتفرقة في الخليج العربي وتحاول الآن لمّ الشعث وتدعو إلى قيام اتحاد عربي بين الإمارات المتعددة، والراجح أنها هدفت إلى خلق كتلة متراصة تقف في وجه الأطماع الإيرانية في الخليج العربي.

وما حدث بعد الحرب العالمية الثانية من جوّ سياسي معقّد تمثّل بالصراع بين الشرق والغرب، واكتشاف النفط، وطموح إيران للهيمنة على بعض إمارات الخليج العربية وبخاصة البحرين؛ برزت فكرة إنشاء اتحاد بين إمارات الخليج العربية، التي تُشكل ساحل عُمان، السبع المتصالحه، بالإضافة إلى البحرين وقطر، وعُقد أول اجتماع للمجلس الأعلى للاتحاد في ١٩ أيار ١٩٦٨م في مدينة المنامة<sup>(٢)</sup>، وتعاقت الاجتماعات منذ ذلك الوقت لوضع ميثاق الاتحاد واختيار رئيسه وعاصمته وغير

(١) قدورة: ص ٤٥٩.

(٢) مجلة السياسة الدولية، عدد تموز ١٩٦٨م.

ذلك من الأمور التنظيمية والدفاعية والأمنية، وقامت دولة الاتحاد في ٢ كانون الثاني ١٩٧١م وأصبحت البحرين إحدى دولها<sup>(١)</sup>.

وتغيّرت صورة الوضع السياسي في البحرين بعد الانسحاب البريطاني من الخليج العربي، فقد تطلع شاه إيران إلى البحرين مدعياً أن له حقوقاً فيها، لكنه أعرب عن عدم نيته في احتلالها، ويبدو أنه خشي من تسرب التيارات اليسارية إليها بعد الانسحاب البريطاني، ثم إن استمرار مطالبته بها قد يؤدي إلى ظهور عناصر متطرفة، كما أن تخلي إيران عن ادعاءاتها من شأنه أن يحافظ على الأنظمة القائمة في الخليج<sup>(٢)</sup>، ورأى استقصاء رغبات سكانها في تقرير مصيرهم، ونشطت المساعي العربية والدولية على أثر إعلانه هذا على حلّ قضية الانتماء العربي للبحرين، وجرت اتصالات بين الجانبين العربي والإيراني اتفق خلالها الجانبان على طلب تشكيل لجنة دولية لتقصي توجهات الشعب البحريني، يُعيّن الأمين العام للأمم المتحدة بوثان أعضاءها، واقترح الأمين العام هذا إرسال مبعوث شخصي عنه من أجل القيام بهذه المهمة، على أن يضع تقريراً بذلك يُسجّل كوثيقة دولية في مجلس الأمن وتلتزم بها إيران، فاخترت فيتوريو ونسييد جوتشياردي وهو سياسي إيطالي، ورئيس مكتب الأمم المتحدة في جنيف، وترأس هذا المبعوث لجنة مؤلفة من ستة أشخاص وصلت إلى البحرين في ٣١ كانون الأول ١٩٧٠م، ومكثت إحدى وعشرين يوماً في البلاد استقصت خلالها آراء السكان، ثم رفع المندوب الدولي تقريراً إلى مجلس الأمن بعد انتهاء مهمته، فتدارسه في جلسة عقدها في ١١ أيار ١٩٧١م ووافق عليه بالإجماع، وتضمّن التقرير رغبة شعب البحرين في الحصول على اعتراف بهويته في دولة مستقلة ذات سيادة، وحرّة في تقرير علاقاتها مع الدول الأخرى<sup>(٣)</sup>.

كان لهذه النتيجة أثر مباشر في انسحاب البحرين من الاتحاد التساعي لإمارات الخليج العربي، ويبدو أن الهدف من المشاركة في مباحثات الدخول في الاتحاد، يتمثل بتحقيق الحماية من الادعاءات الإيرانية، أما وقد تخلّت إيران عنها واعترف المجتمع الدولي برغبات شعب البحرين بالاستقلال؛ أعلنت انسحابها من المباحثات متعللة بعدم الأخذ بوجهة نظرها فيما يتعلق بنسبة التمثيل في المجلس الوطني الاتحادي على أساس الكثافة السكانية لكل إمارة، وهو ما رفضته الإمارات الأخرى

(١) عطوي: ص ٩٣ - ٩٦.

(٢) مجلة الحوادث، بيروت، ١٥ أيار، ١٩٧٠م.

(٣) مجلة السياسة الدولية، ١٥ أيار، ١٩٧٠م، ص ٢٢١.

نظراً للكثافة السكانية المرتفعة التي تتمتع بها البحرين، ما يعني استحوادها على أكثر من نصف مقاعد المجلس<sup>(١)</sup>.

وعلى أثر انسحاب البحرين من مباحثات الاتحاد؛ بادرت إلى إعلان استقلالها في ١٤ آب ١٩٧١م استناداً إلى قرار مجلس الأمن، وقد ألقى الشيخ خليفة، رئيس مجلس الدولة، الإعلان نيابة عن أخيه الشيخ عيسى، وقد استند على المبادئ الآتية:

- إنهاء جميع الاتفاقيات التي كانت تنظم علاقات التحالف الخاصة بين البحرين والحكومة البريطانية.

- إن البحرين دولة عربية مستقلة صاحبة السيادة المطلقة على أراضيها، وأن لحكومتها الحق في تقرير سياستها الخارجية وتنظيم علاقاتها الدولية.

- التقدم فوراً بطلب انضمام البحرين إلى عضوية الجامعة العربية والأمم المتحدة.  
- الطلب من الدول العربية والإسلامية ومن دول العالم الأخرى الاعتراف بكيان البحرين المستقل ذات السيادة.

- التزام حكومة البحرين بجميع الاتفاقيات والتعهدات الدولية التي لا تتعارض مع استقلالها وسيادتها ضمن مبادئ أحكام القانون الدولي.

- إن حكومة البحرين على استعداد للانضمام إلى اتحاد الإمارات العربية إذا دُعيت إليه في المستقبل شرط أن يقوم على الأسس والمبادئ الدستورية، ولن يؤثر وضع استقلالها على استعدادها هذا.

- تؤمن البحرين بحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة في استرجاع أراضيها المغتصبة، والعيش بأمان وطمأنينة في بلاده ووطنه، وأن البحرين جزء من الأمة العربية، وستعمل على تحقيق أمنية العرب الكبرى في الحرية والوحدة والسلام<sup>(٢)</sup>.

وكانت البحرين قد مهّدت لاستقلالها بإعادة تنظيم جهازها الحكومي، حيث صدر في عام ١٩٧٠م مرسوم يقضي بإنشاء مجلس دولة ليحلّ محلّ المجلس الإداري، وأُنيط به مزاولة اختصاصات السلطة التنفيذية<sup>(٣)</sup>.

وتقدّمت البحرين في ١١ أيلول ١٩٧١م بطلب الانضمام إلى كل من الجامعة العربية والأمم المتحدة، وقد وافق مجلس وزراء الخارجية العرب على قبولها عضواً

(١) قاسم: ج٥ ص٢٨٦. (٢) المرجع نفسه: ج٤ ص٣٩٦ - ٣٩٩.

(٣) الطبطبائي، عادل: السلطة التشريعية في دول الخليج العربي، نشأتها - تطورها - العوامل المؤثرة فيها: ص١١٥.

في الجامعة العربية مع دولة قطر، كما وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على قبولها عضواً في الجمعية في ٢١ أيلول ١٩٧١م.

وفور إعلان الاستقلال، فوَّض أمير البحرين بعض سلطاته إلى مجلس وزاري ثلث أعضائه من الأسرة الحاكمة، وتمَّ تعيين أربعة وزراء شيعة بفعل النسبة العديدة المرتفعة للشيعة في البحرين، وصدر مرسومان يتعلقان بالسيادة الداخلية، تضمَّن الأول التنظيم السياسي الجديد الذي سُمِّي البحرين بدولة البحرين، وتضمَّن الثاني تسمية حاكم البحرين «أمير البحرين».

وعقدت دولة البحرين فور إعلان استقلالها اتفاقية صداقة وتعاون مع بريطانيا مدتها عشر سنوات، ولعل لذلك علاقة بالتطورات السياسية على الساحة الدولية بعامة والساحة الخليجية بخاصة في ظل اندفاع الاتحاد السوفياتي وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية والجهة الشعبية لتحرير عُمان والخليج العربي، وتطلعهم إلى قلب الأنظمة السياسية في الخليج العربي.

لكن البحرين كانت بحاجة إلى مساعدة عسكرية لمواجهة تلك الأخطار لم تؤمنها الاتفاقية مع بريطانيا، لذلك توجَّهت إلى الولايات المتحدة الأميركية وعقدت معها اتفاقية في ١٣ كانون الأول، سمحت لها باستخدام قاعدة الجفير البحرية على إثر جلاء القوات البريطانية عنها<sup>(١)</sup>.

أثارت هذه الاتفاقية ردود فعل غاضبة في الداخل البحريني وفي العالم العربي، فاضطرت الحكومة البحرينية إلى التصريح بأن الاتفاقية ذات طابع محدود، وأنه بوسع الحكومة إلغاء التسهيلات التي منحتها للبحرية الأميركية متى أرادت ذلك، وعلى الرغم من تلك التبريرات، ظلت الاتفاقية سارية المفعول حتى ألغتها البحرين بسبب مساندة الولايات المتحدة الأميركية للكيان الصهيوني في حرب تشرين الأول ١٩٧٣م، ولم تتسلم البحرين القاعدة إلا في عام ١٩٧٧م بفعل تباطؤ المباحثات الخاصة بتصفيتها، ومع ذلك لم تفقد الولايات المتحدة الأميركية الامتيازات والتسهيلات الخاصة بزيارة السفن التابعة للبحرية الأميركية، وظلَّت القاعدة مفتوحة أمامها، كما ظلَّت العلاقات السياسية مع الولايات المتحدة الأميركية متينة، فعَيَّنت الحكومة الأميركية أول مقيم لها في البحرين في حزيران ١٩٧٤م بعد أن كان السفير الأميركي في الكويت مفوضاً لدى البحرين.

(١) قاسم: ج ٥ ص ٢٨٩.

## البحرين في ظل الاستقلال

توالى التطورات في البحرين منذ اليوم الأول للاستقلال على صعيد الداخل وعلى صعيد العلاقات الخارجية .

### التطورات على صعيد الداخل

تمثلت الخطوة الديمقراطية في البحرين بإنشاء مجلس تأسيسي لإعداد الدستور وإجراء انتخابات نيابية، فقد صدر في ٢٠ حزيران ١٩٧٢م مرسوم أميري بقانون رقم ١٢ يتعلق بإنشاء مجلس تأسيسي لإعداد دستور الدولة، تلاه مرسوم بقانون رقم ١٣ في ١٦ تموز يتعلق بأحكام الانتخاب لهذا المجلس<sup>(١)</sup>.

وجرت في الأول من كانون الأول ١٩٧٢م أول عملية انتخاب. فقد انتخب الشعب البحريني اثنين وعشرين عضواً للمجلس التأسيسي وفقاً لأحكام المرسوم بقانون رقم ١٢ المذكور أعلاه، وأصدر الأمير في ٩ كانون الأول مرسومين، قضى الأول بتعيين ثمانية أعضاء في المجلس التأسيسي بالإضافة إلى الأعضاء المنتخبين، ودعا الثاني المجلس التأسيسي المكوّن من ثلاثين عضواً بالإضافة إلى اثني عشر وزيراً بحكم مناصبهم، إلى الانعقاد في ١٦ كانون الأول بمناسبة العيد الوطني للبحرين<sup>(٢)</sup>، وأقرّ المجلس التأسيسي الدستور المؤلف من مائة وتسع مواد موزعة على خمسة أبواب:

الأول: يضم المسائل المتعلقة بالدولة ونظام الحكم.

الثاني: يشمل المسائل الخاصة بالمقومات الأساسية للمجتمع.

الثالث: يبحث في الحقوق والواجبات.

الرابع: يختص بالسلطات من حيث الفصل بينها، وهي التشريعية والتنفيذية والقضائية.

الخامس: يشتمل على الأحكام العامة والختامية<sup>(٣)</sup>.

شهدت البحرين على مدى تاريخها المعاصر اضطرابات شعبية كانت تقوى وتخفّ وفقاً للتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والديمقراطية، واتخذت في أحيان كثيرة منحى مذهبي، إلا أنها لم تؤثر بشكل جذري على بُنية النظام السياسي.

(١) مهنا: ص ٦٤٥.

(٢) الأشعل، عبد الله: الإطار القانوني والسياسي لمجلس التعاون الخليجي: ص ١٨٣، الرياض، ١٩٨٣م.

(٣) القاسمي، خالد محمد وجميل البعيني: البحرين: التاريخ والحاضر والمستقبل: ص ١٠٤.

## العلاقات الخارجية

يمكن إبراز ملامح الخطوط العريضة للسياسة الخارجية البحرينية في بيان الاستقلال الذي أذاعه حاكم البحرين في ١٤ آب ١٩٧١م، والتي يمكن إجمالها في العلاقات مع دول الخليج العربي ثم العلاقات مع الدول العربية، ثم العلاقات الدولية.

الواقع أن دولة البحرين انفتحت على الخارج بصورة سلمية، ولم يشهد تاريخها الحديث والمعاصر أي أزمة سياسية خارجية مستعصية سوى نزاعها مع إيران التي كانت تدّعي ملكيتها للبحرين، واستطاعت بالطرق السياسية استقطاب إيران وانتزاع اعترافها بسيادتها واستقلالها.

كذلك، مشكلة الحدود مع قطر، والتي جرى حلّها بالأساليب القضائية عبر محكمة العدل الدولية، ما أرضى الطرفين، والمعروف أن المناطق الحدودية المتنازع عليها تمثّلت بجزر حوار والمنزور، التي تُعرف حالياً باسم فشت الديبل، بالإضافة إلى الزبارة وقد عدّتها البحرين تابعة لها، ويعود النزاع إلى عام ١٩٣٩م. وقد توسطت المملكة العربية السعودية بين الدولتين وتم الاتفاق على المبادئ المكوّنة للحل في إطار هذه الوساطة في ١٧ نيسان ١٩٧٨م، ومنها عدم قيام أي دولة بأي تصرف من شأنه أن يُعزّز مركزه القانوني أو يُغيّر الوضع الراهن بالنسبة إلى موضوعات الخلاف.

ويبدو أن البحرين لم تُنفذ كامل بنود الاتفاق، فقد أقامت منشآت في جزر حوار وفشت - الديبل عدّتها قطر تغييراً في معالمها، ما دفعها إلى وقف هذا التصرف في عام ١٩٨٦م، واقترحت السعودية عرض الخلاف على التحكيم الدولي الذي تمّ في عام ١٩٨٨م، عبر حلّ أرضى الطرفين.

وباشرت البحرين بعد إعلان استقلالها بإقامة العلاقات «الدبلوماسية» مع دول العالم، ووثّقت روابط الصداقة مع الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا، ووقفت إلى جانب القضايا الإسلامية والعربية إيماناً منها بإسلامها وعروبيتها، وعلى رأسها القضية الفلسطينية عبر دعمها المستمر لمنظمة التحرير الفلسطينية، ونادت بالحلّ الشامل والعادل لهذه القضية لضمان الاستقرار في الشرق الأوسط.

وتمثّلت سياسة البحرين الخليجية بالمبادئ الآتية:

- تشجيع إقامة حلف عربي خليجي كوسيلة لإبعاد المنطقة عن التدخلات الأجنبية.

- إظهار حسن النوايا بين الأقطار الخليجية.

- عدم السماح لأي دولة غير خليجية الاشتراك في هذا الحلف.

- عدم السماح للقوى الأجنبية بالتدخل في شؤون المنطقة الداخلية.

- العمل على توفير حد أقصى من التنسيق الدفاعي بين الأقطار الخليجية من أجل خلق قوة دفاعية رادعة وكانت من المتحمسين لإقامة مجلس التعاون الخليجي<sup>(١)</sup>.

وأكدت البحرين فيما يتعلق بحرب الخليج الأولى على ضرورة إنهاء النزاع العراقي - الإيراني الذي يؤثر سلباً على دول الخليج العربية، وأن استمرار المأزق في المشكلة العراقية - الكويتية، لا يخدم السلام والأمن والاستقرار في المنطقة.

وفي المجال العربي، زار الأمير عيسى سوريا في ٢٠ آذار ١٩٩٤م وأجرى مباحثات مع الرئيس السوري حافظ الأسد تناولت الوضع في المنطقة وعملية السلام في الشرق الأوسط والعلاقات بين البلدين.

وعُقدت القمة الخليجية (مجلس التعاون الخليجي) الرابعة عشرة في المنامة في كانون الأول ١٩٩٤م، وتناولت بشكل رئيس العلاقات مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وقضية الجزر، طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى، ومسيرة السلام في الشرق الأوسط، وظاهرة التطرف والعنف، ومجالات التعاون والتنسيق.

وزار وزير الدولة البريطاني لشؤون القوات المسلحة نيكولاس سوميت البحرين في ٤ كانون الثاني ١٩٩٥، وأكد خلال اجتماعه مع الأمير عيسى على توثيق وتدعيم أواصر التعاون مع دولة البحرين، ونوّه بما وصلت إليه العلاقات بين البلدين من تقدم وتطور في مختلف الميادين.

وتجلّت السياسة الخارجية العربية لدولة البحرين خلال حرب الخليج الثانية وتحرير الكويت عام ١٩٩١م، فقد شاركت عسكرياً في الدفاع عن الكويت، وطالبت بانسحاب العراق التام وغير المشروط منها، وعودة حكومتها الشرعية، وراحت تُدعّم موقفها السياسي في المحافل الدولية.

واستضافت البحرين خلال هذه الأزمة ما يزيد على اثني عشر ألف كويتي، وقرّرت لهم سبل العيش، ودعمت صمودهم، واستقبلت المدارس البحرينية طلاب وطالبات المدارس الكويتية.

وأمنت البحرين بضرورة تعزيز التعاون العربي، وتوحيد الصفّ، والاعتبار من التجارب التي مرّت على العرب، وإقامة حوار صريح مبني على العلاقات والمصالح المشتركة، على أن يُشكّل ذلك حافزاً لبناء عالم عربي قوي بعيد عن الصراعات، ووضع المصلحة العربية فوق كل مصلحة.

ولم تتجاهل البحرين وضعها الدولي، كدولة تنتمي إلى العالم الثالث، ولا

(١) مهنا: ص ٦٥٢. القاسمي، جاسم محمد: التكامل الاقتصادي بين دول مجلس التعاون الخليجي: ص ٧٨.



وضعها الإقليمي كدولة إسلامية عربية، لذا عمدت منذ الاستقلال إلى المشاركة في مؤتمرات عدم الانحياز، وفي المؤتمرات الإسلامية، بالإضافة إلى المشاركة في أعمال وجلسات جامعة الدول العربية.

ومنذ انضمام البحرين إلى هيئة الأمم المتحدة في ٢١ أيلول ١٩٧١م، تحوّلت إلى دولة ذات كيان مستقل ومُعترف به دولياً، وتمتّع بحق المشاركة في كل القرارات الصادرة عن هذه الهيئة، وقد مارست التمثيل «الدبلوماسي» على أعلى المستويات مع معظم دول العالم، وانضمت إلى العديد من المنظمات والهيئات الدولية، وشاركت في معظم المؤتمرات العالمية بالإضافة إلى الحوار العربي - الأوروبي مع السوق الأوروبية المشتركة، وفي اجتماعات التعاون العربي - الإفريقي مع منظمة الدول الإفريقية، وكذلك الحال بالنسبة لمنظمة الأمم المتحدة ودوراتها السنوية واجتماعات الأجهزة التابعة لها.

## معالم النهضة في البحرين

**السياسة الدفاعية:** تطورت القوة الدفاعية للبحرين في العقود الأخيرة من القرن العشرين، بفعل اعتمادها على استخدام السلاح الحديث والمتطور، والمحافظة على التدريبات المستمرة، والإعداد الجيد للقوات؛ لمواجهة مختلف الظروف المكانية والزمانية، والمعروف أن أهم مقومات الحياة العسكرية هو العنصر البشري الكفؤ، لذلك اهتمت البحرين بالاعتناء بهذا العنصر من حيث التدريب العلمي والعملية.

الواضح أن مسيرة القوة العسكرية الدفاعية توضّح الجهود المضنية التي بذلتها البحرين، حيث تطورت السياسة الدفاعية تطوراً مذهلاً منذ نشأتها حتى اليوم.

وتّم في أيلول ١٩٧٤م تشكيل وحدة الدفاع الجوي، وقد جُهّزت بأسلحة دفاعية حديثة، وأجهزة رصد وصواريخ وعناصر بشرية مؤهلة، وتشكّل في أيار ١٩٧٦م سلاح الجو الأميري البحريني الذي بدأ بالطائرات العامودية (الهليكوبتر)، ثم تشكّل سلاح المدفعية في تشرين الثاني، وتّم في ١٤ كانون الأول تخريج أول دفعة من قوات الصاعقة، وافتتحت في ٢٦ نيسان ١٩٨٢م قاعدة الدفاع الجوية التي تمّ تزويدها في عام ١٩٨٥م بعدد من الطائرات العسكرية «أف٥» المتعددة الأهداف القتالية، وجرى في أيار ١٩٩٠م تفعيل سلاح الجو بتزويده بطائرات مقاتلة من طراز «أف ١٦».

وكان لسلاح البحرية نصيب وافر من الاهتمام والتطوير، ففي ٢ أيار ١٩٧٩م تمّ تدشين أول سفينة صاروخية في قوة الدفاع، كما تمّ تدشين أول سفينة حربية حديثة في

٧ شباط ١٩٨٢م، كذلك دُشنت السفينتان الصاروخيتان المنامة والمحرق في ٣ شباط ١٩٨٨م.

وتوزَّعت قوة دفاع البحرين بين أسلحة البرِّ والبحرِّ والجو، وتمثَّلت السياسة الدفاعية للبحرين بعد انسحابها من دولة الإمارات ونيلها الاستقلال، بانحيازها إلى الخط السياسي للمملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأميركية، وقامت القوة البحرية الأميركية في الخليج العربي بحمايتها وبخاصة في عام (١٩٨٧ - ١٩٨٨م) ضد الاندفاع الإيراني في الخليج العربي، وقَدَّمت دعماً مماثلاً في عامي (١٩٩٠ - ١٩٩١م) خلال حرب الخليج الثانية، ووقَّعت اتفاقاً رسمياً مع الولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٩١.

كان عدد القوات المسلحة البحرينية في عام ١٩٩٢م سبعة آلاف وأربعمائة وخمسين متطوعاً بين وطنيين وأجانب: باكستانيون، أردنيون، سودانيون، موزعون على كتيبة دبابات، وكتيبتي مشاة، وكتيبة قوات خاصة، وسرب من العربات المدرعة، وبطارتي مدفعية ميدان وبطارتي هاونات، وسرية صغيرة متمركزة في مدينة الملك خالد كجزء من قوات درع الجزيرة التابعة لمجلس التعاون الخليجي.

وتبيَّن خلال حربي الخليج الأولى والثانية، عجز البحرين عن امتصاص المعدات الجديدة التي تعاقدت عليها، كما تعرَّضت لمشكلات في التدريب والصيانة والإدارة والفنيين، علماً بأنها كانت تعتمد على الفنيين الأجانب.

وتواجه البحرين مشكلات دفاعية في تغطية كل أراضيها، لذلك تعاقدت مع الولايات المتحدة الأميركية على نظم إطلاق الصواريخ كوسيلة لمضاعفة قوة النيران وعلى تسع وحدات إطلاق، واستكملت أنظمة صواريخ أرض - جو متوسطة المدى، كما وقَّرت إنذاراً مبكراً ضد هجوم جوي يأتي من إيران أو العراق من دون دعم طائرات «الأواكس» الأميركية أو السفن البحرية، أو طائرات المراقبة والدوريات، وما زالت تطور قدراتها القتالية في مختلف المجالات العسكرية.

السياسة النفطية: أثار النفط اهتمام الناس في البحرين فتحولوا من قطاع المهن التقليدية باتجاه هذا القطاع الصناعي الجديد، الذي شكَّل لهم مورداً أكثر يسراً وأقل مشقة وعناء، ومن الملاحظ أن معدل إنتاج النفط يتراجع عاماً بعد عام، لذلك عمدت الحكومة البحرينية إلى تخفيض نسبة الإنتاج للمحافظة على مخزون النفط لأطول مدة ممكنة، وفي هذا دلالة على الوعي السياسي والإحساس بالمسؤولية الوطنية، وبُعد النظر لدى المسؤولين في الدولة، وعمدت في الوقت نفسه إلى التنقيب والبحث لاكتشاف آبار جديدة.

وتمتلك البحرين ثروة أخرى إلى جانب النفط وهي الغاز الطبيعي، قد تكون أكثر أهمية في عمليات الإنتاج، وقد بدأ استخدامه في عام ١٩٣٧.

ويُستعمل معظم الغاز المستخرج في:

- إعادة حقنه في حقول الزيت.

- إمداد الصناعات الثقيلة، مثل صهر الألومنيوم.

- تزويد محطات توليد الكهرباء.

- الاستعمال المنزلي.

- تحويله إلى بروبين وبيوتين.

السياسة التجارية: تُشكّل البحرين نقطة التقاء التجارة العالمية والإقليمية بفعل موقعها الجغرافي «الاستراتيجي» واقتصادها الحر، وراجت تجارة العبور (الترانزيت)، وتستورد كثير من دول الخليج العربية بضائعها عن طريق البحرين، ويُعدُّ «باب البحرين» وهو الشارع الرئيس للتجارة والسياحة في العاصمة المنامة؛ مُستَقَرّ الحركة التجارية والسياحية.

تحتاج التجارة إلى السيولة النقدية، وتحتاج هذه بدورها إلى المصارف لتؤمّن تداولها، ولذا افتتح في البحرين أول مصرف في عام ١٩٢٠م وهو المصرف الشرقي المحدود، تلاه تأسيس المصرف البريطاني للشرق الأوسط عام ١٩٤٤م، وتوالى بعد ذلك افتتاح المصارف التجارية المحليّة.

وأُنشئ في البحرين في عام ١٩٧٥م مصرف النقد الدولي، ويضمُّ بالإضافة إلى البحرين المملكة العربية السعودية والكويت والإمارات العربية المتحدة وقطر وعمان، ونظراً لأهمية هذا القطاع، عمدت الحكومة البحرينية إلى تبني سياسة مصرفية تقوم على قاعدة تشجيع المصارف والمؤسسات المصرفية العالمية للاستثمار والعمل في البحرين، ضمن سياسة تركزت على زيادة الفوائد النقدية لدول المنطقة، وحاجة هذه المؤسسات المصرفية إلى مركز مالي يمكن من خلاله الاستفادة من هذه الفوائد وتوظيفها في نشاطات اقتصادية مُربحة، فتطور بذلك القطاع المصرفي بشكل مُلفت في العقود الأخيرة ليصبح من أهم القطاعات الاقتصادية.

وحرصت الحكومة البحرينية على تطوير الزراعة والثروة السمكية نظراً لمساهمتها الفاعلة في توفير الأمن الغذائي، لذا وضعت الدولة خطة طويلة الأمد من أجل تطوير القطاع الزراعي عبر سنّ التشريعات المنظمة للعلاقة بين الملاك والضامنين للأراضي الزراعية، وتنظيم استعمال هذه الأراضي، واعتماد سياسة زراعية توازن بين الانتاج والاستيراد، وإدخال الوسائل الفنية الحديثة بعد تطويعها للظروف المحليّة، وتشجيع وتطوير النشاط التعاوني لخدمة أغراض الانتاج والتسويق.

وشجعت الدولة قطاع الصيد التقليدي والقطاع الحديث معاً، فقدّمت الحوافز والمساعدات لتطوير وسائل وأدوات الصيد، وحفظ الأسماك، والتنسيق مع دول مجلس التعاون الخليجي في مجالات الصيد، وحماية مناطق تكاثر وتجميع الأسماك، وتشجيع قيام شركة خليجية مشتركة لصيد الأسماك.

سياسة التنمية البشرية: بدأت البحرين منذ الثلاثينات من القرن الماضي تشهد نمواً سكانياً متسارعاً بفعل الزيادة الطبيعية، في الوسط السكاني المحلي، حيث تقدم الرعاية الصحية، مع ما يؤدي ذلك من نقص معدل الوفيات من الأطفال مع استمرار نسبة زيادة الولادات، بالإضافة إلى تدفّق أعداد هائلة من الوافدين، وبخاصة الآسيويين للعمل في البلاد إثر ظهور النفط في عام ١٩٣٢م<sup>(١)</sup>.

وتعدّ البحرين الوحيدة بين دول الخليج التي تقل فيها نسبة الوافدين، وذلك بسبب ارتفاع معدلات الوطنيين الحاصلين على التعليم بمراحله المختلفة قياساً بسائر دول الخليج، وخفض معدلات الوافدين إلى الحد الذي يتماشى مع الاحتياجات الحقيقية للوظائف المتخصصة.

وتتوزع القوى العاملة على الأنشطة الاقتصادية كافة بنسب متفاوتة، ومع تحسن الوضع الاقتصادي العام، وتنامي الثروات الخاصة، وازدياد الرفاهية ورغد العيش؛ برزت العمالة الأجنبية الأكثر خطورة، وأعني بها ظاهرة الخدم والمربيات الذين راحوا يمارسون تأثيرهم على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والنفسية.

وعمدت الدولة تجاه هذه الظاهرة الخطيرة إلى تقليص نسبة العمالة الأجنبية عبر تحديد شروط الهجرة<sup>(٢)</sup>، كما عمدت إلى تدريب الشباب البحرينيين لملء الشواغر الوظيفية لتنفيذ سياسة بحرنة الوظائف، بالإضافة إلى تنفيذ مشروع موجّه أساساً للطلبة يقضي بتدريب مهني بهدف خلق جيل من الحاصلين على الدراسة الإعدادية والثانوية وتدريبهم بما يتناسب مع أعمارهم.

وهناك خطة لتخصيص التعليم الثانوي الذي يتم من خلاله تدريس اختصاصات معينة وفق متطلبات السوق المحلية، وترافق التخطيط التنموي الهادف إلى تقليص اليد العاملة الأجنبية، وفي المقابل إعداد اليد العاملة الوطنية، مع خطط تنمية أخرى تناولت المستويات الاقتصادية والخدماتية.

بدأ التوجه التنموي في البحرين في سبعينيات القرن الماضي، واستعانت الدولة ببرنامج التنمية التابع للأمم المتحدة<sup>(٣)</sup>.

(١) الرمحي: معوقات التنمية الاجتماعية الاقتصادية في مجتمعات الخليج المعاصرة: ص ١١٥.

(٢) مهنا: ص ٦٨٥ - ٦٨٦. (٣) المرجع نفسه: ص ٦٨٧.

السياسة التعليمية: تعدُّ وزارة التربية والتعليم، المسؤولة عن سياسة الدولة فيما يختص بالتعليم في البلاد، فهي التي توجّه النظام التعليمي على مختلف مستوياته، وتتعاون مع الهيئات والمؤسسات من أجل تنميته وتطويره وربطه بحاجات البلاد. وتستند السياسة التعليمية لوزارة التربية والتعليم على قاعدتين:

الأولى: نشر التعليم بحيث يكون ميسوراً لجميع من هم في سن التعليم.

الثانية: تحديد نوعية التعليم تحسّين مستواه ليتناسب مع حاجات المتعلّمين ومتطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد<sup>(١)</sup>.

والهدف خلق أجيال مثقفة تمارس دورها الفعّال في خدمة الوطن.

واعنتت دولة البحرين ببناء الفرد منذ الصغر، فأولته عناية خاصة، وأسّست قسم الطفولة في المجلس الأعلى للشباب والرياضة، ويقوم هذا القسم بدراسة أوضاع الأطفال الصحية والتربوية والتعليمية والثقافية والترفيهية<sup>(٢)</sup>.

ويزداد الاهتمام بالتعليم العالي في البحرين، وتوجد مؤسسات عدة لهذا النوع من التعليم، مثل كلية البحرين الجامعية للآداب والعلوم التربوية، التي تهدف إلى إعداد معلمين بحرينيين للمراحل التعليمية المختلفة، وتساهم في تدريب، وإعادة تدريب المعلمين وغيرهم في مجال التربية والتعليم، وتأسست في عام ١٩٧٥م جامعة الخليج<sup>(٣)</sup>.

وكان لتعاقب الحضارات العديدة في البحرين وتفاعلها مع الحضارة المحلية، أثر كبير في إنعاش الروح الثقافية البحرينية، والبحرين هي أول دولة خليجية عرفت العلم والثقافة<sup>(٤)</sup>، والمعروف أن الجزيرة العربية عرفت التعليم العصري في أواخر القرن التاسع عشر، وكان ذلك في البحرين، وقد وُجدت في هذه البلاد قبل ذلك، مدارس تقليدية على شكل كتّاب أو المطوع، والهدف تعليم مبادئ الدين وحفظ القرآن الكريم، وتوجيه الطفل أخلاقياً، وتدرّيس الكتابة والحساب، ثم دخل التعليم بالأسلوب الغربي الحديث إلى البحرين عندما أسّست البعثة التبشيرية الأميركية مدرسة في عام ١٨٩٢م ألحقتها بالكنيسة الإصلاحية الأميركية عام ١٨٩٤م، وافتتحت سيدة أميركية مدرسة للبنات في المنامة<sup>(٥)</sup>.

وبدأ بعض الميسورين البحرينيين في إنشاء مدارس بعد الحرب العالمية الأولى بهدف تعليم أبنائهم وجماعاتهم، كما تأسّست مدارس فارسية لتعليم أولاد الإيرانيين الموجودين في البحرين، وأنشئت كذلك مدارس هندية وباكستانية.

(١) مهنا: ص ٦٩١.

(٢) المرجع نفسه: ص ٦٩٢.

(٣) المرجع نفسه: ص ٦٩٧.

(٥) قدورة: ص ٤٦٩.

(٤) الريحاني: ج ٢ ص ٧ - ١٠.

وأسّست أول مدرسة وطنية في عام ١٩١٩م وتُدعى الهداية الخُلُقِيّة، أقامها وتعهدها المواطنون في المحرّق، وكانت تتلقّى المساعدات من الدولة، وتأسّست مدرسة أخرى في المنامة في عام ١٩٢٦م، ووصل عدد المدارس في عام ١٩٣٧م إلى ثمانية<sup>(١)</sup>.

وأنشئت مدارس للبنين والبنات، وافتُتح أول معهد للتعليم الثانوي في عام (١٩٤٠ - ١٩٤١م) باسم الكلية أو كلية المنامة، ثم تغيّر اسمها إلى ثانوية أو المدرسة الثانوية، والتعليم فيها باللغة الإنكليزية، كما أنشئت مدرسة فنية وأخرى صناعية وكليات فنية جديدة تخرّج منها فنيون ومدربون.

كان تعليم البنات ينمو ببطء في بادئ الأمر، ثم أخذ يزداد عدد مدارس البنات في الخمسينات، فتأسّست مدرسة في المنامة في عام ١٩٥٠م، وتطورت المدرسة الدينية التقليدية وتغيّر اسمها إلى المعهد الديني، وفي عام ١٩٦٦م أنشئ معهد للمعلمين وآخر لتعليم البنات في العام التالي، وقد استقدمت حكومة البحرين مدرسين ومدرسات، أساتذة وخبراء في التخطيط والتعليم من البلاد العربية، نظراً لعدم توفر العناصر البحرينية المتخصصة، كما استعانت ببعض المستشارين الأجانب، وأرسلت بعثات للدراسة في الخارج، فتخرج عدد من الجامعيين والجامعيات في شتى الاختصاصات، وعادوا إلى بلادهم ليعملوا على تطوير البلاد وإنهاضها.

**السياسة الإعلامية:** كانت الصحافة البحرينية وما تزال مسرحاً لحرية الرأي والتعبير بهدف خدمة المصلحة الوطنية العليا، وتمتع المطبوعات بمناخ ديمقراطي، وحرية الرأي مصونة.

بدأت المسيرة الصحفية في عام ١٩٣٩م، عندما أسّس عبد الله الزايد جريدة البحرين الأسبوعية، وقد استمرت في الصدور حتى عام ١٩٤٤م، وأصدر عبد الرحمن الباكر في أواخر عام ١٩٤٩م مجلة صوت البحرين، التي تجلّت فيها النهضة الفكرية، وقد لقيت رواجاً داخل البحرين وخارجه، وكانت مقالاته ثقافية عميقة تجمع بين التجديد والأصالة، وقد توقّفت عن الصدور في عام ١٩٥٤م، وأصدر علي السيار في عام ١٩٥٤م جريدة القافلة، التي تبدّل اسمها إلى الوطن، إضافة إلى جريدة صدى الأسبوع والشعلة، كما أصدر عبد الله الوزان جريدة الميزان، لكنها لم تُعمّر أكثر من بضعة أشهر.

وبدأت إذاعة البحرين في الخمسينات تصدر نشرات تحتوي على برامجها، ثم تطورت لتصبح مجلة شهرية باسم: هنا البحرين، ثم أسبوعية باسم: البحرين،

وأصدر محمود المروي جريدة الأضواء في عام ١٩٦٥م ثم أضواء الخليج في عام ١٩٦٩م، وكانت تصدر خمسة أيام في الأسبوع<sup>(١)</sup>.

واستمرت المسيرة الصحفية في البحرين بخطى ثابتة نحو الأمام، حاملمة لواء النهضة الثقافية، وهي تعالج اليوم مختلف الموضوعات الاجتماعية والسياسية والثقافية والفنية وغيرها.

ويوجد في البحرين حالياً نحو اثنتي عشرة جريدة، منها الأسبوعية كمجلة البحرين، تصدرها وزارة الإعلام، والأضواء وهي سياسية جامعة، وصدى الأسبوع لعلي سيار وهي سياسية جامعة أيضاً، والمسيرة وهي سياسية، والرياضة وهي تعني بالشؤون الرياضية، والمواقف لعبد الله وهي سياسية جامعة، وأخبار الخليج وهي جريدة عربية يومية.

وتقوم بعض الوزارات والهيئات إلى جانب ذلك، بإصدار مجلات خاصة، مثل مجلة القوة التي تصدرها قوة دفاع البحرين، والهداية الصادرة عن وزارة العدل والشؤون الإسلامية، والحياة التجارية التي تصدرها غرفة التجارة، بالإضافة إلى عدد من المجلات والدوريات التي تصدرها الشركات والمؤسسات الكبرى، كما تصدر مطبوعة باللغة الإنكليزية، مثل غلف ميرر الأسبوعية وغلف ديللي نيوز<sup>(٢)</sup>.

وتُشرف وزارة الإعلام على الإذاعة والتلفزيون.

**تطور وضع المرأة:** تطور وضع المرأة البحرينية فيما يتعلق بالنظرة إلى مشاركتها في العمل وتعليمها، ما يُعزّز إمكان مساهمتها في نهضة البلاد مع الرجل، ومن الطبيعي أن يبدأ تطور المرأة من التعليم، فبدأ تعليمها منذ عام ١٩٢٨م حين تأسست أول مدرسة للبنات في المنامة، وافتتحت أول مدرسة ثانوية للبنات في عام ١٩٥١م، ودخلت الفتاة البحرينية التعليم التجاري ثم راحت تطرق أبواب الجامعات العربية والأجنبية، وتستفيد من البعثات الدراسية التي تعدها الدولة للمتفوقين لمواصلة تعليمهم العالي.

كانت خطوة المرأة التالية بعد نيلها قسطاً وثيراً من التعليم، واتساع آفاق نظراتها؛ اقتحام ميدان العمل جنباً إلى جنب مع الرجل، وكان ذلك إشارة إلى تبوؤها مركزها الطبيعي في المجتمع الحديث والقيام بدورها في مجالات التنمية.

لقد دخلت المرأة مجال العمل في البحرين في عام ١٩٢٨م كمدرّسة، ودخلت في عام ١٩٤٠م كممرضة في مجال الصحة، ودخلت في عام ١٩٥٧م مجال الإذاعة كمُحدّثة ومقدّمة برامج، وراحت بعد ذلك تنخرط في معظم القطاعات العملية، وتشير التقديرات إلى أن أكثر من ألف وخمسمائة امرأة يدخلن سوق العمل سنوياً،

(٢) المرجع نفسه: ص ٧٠٢.

(١) مهنا: ص ٧٠١ - ٧٠٢.

وتُشارك المرأة في معظم النشاطات السياسية، وهي ما زالت تُناضل من أجل حقوقها الاجتماعية والسياسية.

وتجاوبت الدولة مع مطالب المرأة، فأصدرت التشريعات التي تساندها في النزول إلى ميدان العمل والانتاج، وتحميها من مخاطر مزاوله بعض الأعمال التي تتنافى مع تكوينها الجسدي ومع العُرف الاجتماعي والأخلاقي، كما يسَّرت لها الحماية لتؤدي دورها كأم. وأسهمت المرأة في الشؤون العامة، وأدَّت القيادات النسائية عبر النشاطات التي مارستها؛ دوراً بارزاً في إحدى مراحل التطور الحضاري في البحرين، وتأسَّست الجمعيات النسائية، واتسعت أهدافها ومهامها، وأضحى لكل منها مؤسساتها الاجتماعية والتعليمية الخاصة، أدَّت دوراً بارزاً في مجال التنمية الاجتماعية، وهي ما زالت تضاعف جهودها للمزيد من التقدم والازدهار.

وشهدت البحرين ميلاد أول تنظيم نسائي في عام ١٩٥١م، وتوالى بعد ذلك ظهور الجمعيات النسائية، وأبرزها: جمعية نهضة فتاة البحرين ١٩٥٥م، جمعية رعاية الطفل والأمومة ١٩٦٠م، جمعية أوائل النسائية ١٩٦٩م، جمعية الرفاع الخيرية الثقافية ١٩٧٠م، جمعية النساء الدولية ١٩٧٤م.

والواضح أن تلك الجمعيات تلتقي حول أهداف مشتركة أهمها:

- رفع مستوى المرأة على المستويات كافة.
- مكافحة الأمية والآفات الاجتماعية من فقر وتسوُّل وانحراف الأحداث.
- التعاون والمحبة بين الأفراد والجماعات.

وبرزت أسماء بعض النساء البحرينيات في مجالات شتى، منها: منيرة فارس وحمدة خميس في الأدب، والدكتورة هالة أحمد العمران وكيل وزارة الإعلام، وفي ١٤ حزيران ١٩٩٣م فازت الدكتورة ثريا آل صقر في انتخابات غرفة التجارة البحرينية، بيد أن كل ذلك لم يُغيِّر شيئاً من جوهر المرأة البحرينية التي بقيت محافظة ومحصَّنة داخل أسوار التقاليد العربية والإسلامية الأصيلة<sup>(١)</sup>.

**المواصلات:** ترتبط البحرين بشبكة من الجسور التي تسمح بمرور كل أنواع السيارات بالإضافة إلى شبكة من الطرق الداخلية المعبَّدة التي تربط المراكز بالقرى النائية، وهي تتطور باستمرار؛ إن من ناحية الاتساع وإعادة التأهيل أو بشق الطرق الدائرية حول المنامة والمحرق، ولعل جسر الملك فهد الذي يربط البحرين بالمملكة العربية السعودية هو أروع وأضخم إنجاز عرفته البحرين؛ بل الخليج العربي كله، ويُعدُّ ثاني أطول جسر في العالم، أنشئ عام ١٩٨٥م بمناسبة العيد الوطني، يبلغ

(١) مهنا: ص ٧١٥ - ٧١٨.



طوله خمسة وعشرين كيلومتر ويستغرق عبوره عشرون دقيقة، وباستطاعته أن يستوعب ألفان وسبعمائة سيارة في الساعة، وقد نقل دولة البحرين من مرحلة الجزيرة المقفلة براً إلى مرحلة الدولة البرية المفتوحة، وكان عاملاً أساسياً في ازدهار الحركة الاقتصادية والسياسية في الجزيرة العربية بعامة<sup>(١)</sup>.

وتعدُّ البحرين محطة توقف جوية استراتيجية بالنسبة للرحلات الجوية العالمية، ويُعدُّ مطار المحرق من أكبر وأحدث مطارات العالم، وهو يبعد خمسة كيلومترات ونصف عن العاصمة المنامة، فقد تمَّ تجهيزه بأحدث المعدات والتجهيزات والخدمات المتطورة، وتمَّ في عام ١٩٧١م افتتاح المبنى الجديد المُصمَّم لاستقبال الطائرات العملاقة ليكون أول مطار دولي في الشرق الأوسط، وأنجز في عام ١٩٨١م توسيع المطار من الجهة الشرقية، وتمَّ تركيب أجهزة كمبيوتر، وموازين حديثة، وجُدِّدت الأجهزة الملاحية كافة.

### حمد بن عيسى

توفي الشيخ عيسى بن سلمان في عام ١٩٩٩م، وخلفه ابنه وولي عهده الشيخ حمد الذي تشهد البلاد في عهده بعض التغييرات السياسية المهمة باتجاه الديمقراطية والانفتاح السياسي، وبدأت هذه التغييرات من ميثاق العمل الوطني الذي أُجري عليه استفتاء عام يومي ١٤ و١٥ شباط ٢٠٠١م، تلاه تعديل دستوري وإصدار الدستور بصيغة جديدة في شباط ٢٠٠٢م، تمَّ خلالها تغيير اسم الدولة إلى مملكة البحرين، وأُجريت بناء على الدستور الجديد انتخابات في أيار وانتخابات تشريعية في ٢٤ تشرين الأول، شكَّلت التعديل الدستوري مرحلة مهمة في مسيرة المشروع الإصلاحية، فقد نصَّ على تقسيم السلطة التشريعية بين مجلسين متساويين في العدد، واحد منتخب وآخر معيَّن، على عكس ما نص عليه الميثاق الوطني من أن الأخير هو للشورى فقط، ما دفع القوى الوطنية الأساسية في البلاد إلى رفض تلك التعديلات، الأمر الذي خلق أزمة جديدة بين الحكومة والمعارضة.

وتشهد البحرين منذ عام ٢٠١١م حراكاً شيعياً معارضاً، ويُطالب المعارضون بإجراء إصلاحات سياسية واجتماعية. واتخذ هذا الحراك بُعداً إقليمياً عبر تدخل إيران لمساعدة المعارضة، وهدفها الأسمى الاستيلاء على البحرين وضمِّها إلى أملاكها.

وتتصدى الحكومة البحرينية لهذا الحراك في كل مرة حتى لا يستفحل.

(١) مهنا: ص ٧٠٩ - ٧١٠.

## مجلس التعاون الخليجي

# مكتبة

t.me/soramnqraa

### قيام المجلس

إن قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية، جاء نتيجة استجابة للواقع، وإيماناً من الدول الأعضاء بوجود علاقات خاصة وسمات مشتركة تربط بينها، مثل الخلفية التاريخية الواحدة، والقيم والتقاليد التي تصل إلى حدّ التطابق، وتحذّر أبنائها من أصول واحدة، وقوة إحساسهم بالانتماء والمصير المشترك، واعتناقهم الدين الإسلامي، وتحديثهم بلغة واحدة هي اللغة العربية؛ ما يُضفي على تجمّعهم قوّة متماسكة تجعلهم من أكثر التجمعات العربية تجانساً. وقد أثّرت التطورات التاريخية، والمقومات الجغرافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية لكل دولة من الدول الأعضاء، على هذا الواقع.

لقد جسّد مجلس التعاون لدول الخليج العربية، مشاعر ورغبات قديمة لشعوب المنطقة ودولها، تتمثّل بعناصر وحدوية لا تتجزّأ، وما كان من أمر التسميات فهو شيء غير طبيعي؛ قام به الاستعمار البريطاني عندما تغلغل بين هذه الشعوب وعمل على تجزأة أسرة الخليج العربية الكبيرة إلى كيانات سياسية، كي يسود عليها. وظلّت منطقة الخليج العربي مدار صراعات القوى الكبرى، ولا يزال اهتمام الدول الغربية بخاصة قائماً، نظراً لأهمية موقعها، ووفرة مواردها الطبيعية، وبخاصة النفط.

ويعدّ قيام هذا الحدث تنويجاً للخطوات الإيجابية الثنائية والجماعية التي أُتخذت منذ جلاء بريطانيا عن منطقة الخليج العربي في عام ١٩٧١م، وافتتح الباب أمام المبادرات المخلصة لتحقيق التعاون والاندماج الذي ينعكس خيراً على سكان الخليج والأمة العربية<sup>(١)</sup>.

سبق قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية مساع لإقامة تعاون وثيق بينها عبر مبادرات ودعوات ثنائية، والتوصل إلى صيغة جماعية تكفل أمن المنطقة واستقرارها، ويعني ذلك أن المشكلة الأمنية هي الهاجس الأول لقادة المجلس،

(١) شفيق، علي: مجلس التعاون الخليجي من منظور العلاقات الدولية: ص ١٠٩.

نذكر من هذه المساعي: مؤتمر مسقط في تشرين الثاني ١٩٧٦م، دعوة الكويت في أواخر عام ١٩٧٨م، الدعوات التي صدرت عن الإمارات العربية المتحدة والبحرين، خلال لقاء قادة دول المجلس على هامش مؤتمر القمة العربي الذي عُقد في الأردن عام ١٩٨٠م.

وبعد سلسلة من الاجتماعات التحضيرية، عقد وزراء خارجية ست دول خليجية هي: المملكة العربية السعودية، وسلطنة عُمان، والإمارات العربية المتحدة، والكويت، وقطر، والبحرين، اجتماعاً في الرياض بتاريخ ٤ شباط ١٩٨١م، أعلنوا في نهايته موافقتهم على إنشاء مجلس التعاون بين دولهم، وأعلن قادة دول المجلس في اجتماعهم الأول في إمارة أبو ظبي، عاصمة الإمارات العربية المتحدة، في ٢٥ أيار ١٩٨١م، قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية، وتمّ التوقيع على النظام الأساسي.

أشار بيان إنشاء المجلس إلى ما يربط بين الدول المؤسسة من علاقات خاصة، وسمات مشتركة نابعة من عقيدتها المشتركة، وتشابه أنظمتها، ووحدة تراثها، وتمائل تكوينها السياسي والاجتماعي والسكاني، وتقاربها الثقافي والحضاري، وأكد على رغبة هذه الدول في تعميق وتطوير التعاون والتنسيق بينها في المجالات المختلفة.

وأوضح البيان أن إنشاء مجلس التعاون جاء تمشياً مع الأهداف القومية للأمة العربية، وفي نطاق ميثاق جامعة الدول العربية، الذي حثّ على التعاون الإقليمي الهادف إلى تقوية الأمة العربية، واتخذ المجلس الرياض مقرّاً له.

لقي قيام مجلس التعاون الخليجي تأييداً واسعاً، فقد رحّبت به معظم الدول العربية والأجنبية، وكان مثار ارتياح داخلي بين دوله.

ولا بدّ لنا من التساؤل في هذا المقام حول عدم دخول العراق في مجلس التعاون مع كونه دولة خليجية، وهي دولة مهمة من الناحيتين السياسية والاقتصادية، ومندمجة جغرافياً وحضارياً في دول المنطقة، وكذلك عدم دخول اليمن بقسميه الشمالي والجنوبي، مع كونهما جزءاً لا يتجزأ من خارطة شبه الجزيرة العربية.

ويبدو أن اختلاف النظام السياسي والاجتماعي في العراق واليمن، وبخاصة اليمن الجنوبية القائم على أساس جمهوري، عن نظم دول مجلس التعاون القائم على أساس ملكي وسلطاني وأميري، وكذلك الأوضاع الاقتصادية الخاصة باليمن الفقير بالمقارنة مع غنى دول المجلس؛ هو السبب في ذلك، كما أثار قيصر العضوية على الدول الستّ تساؤلات في بداية تأسيس هذه المنظمة، حول ما إذا كان الأعضاء ينوون إعادة النظر في هذا الحكم، أم أن المجلس بهذا الشكل هو تكتل

سياسي أو عسكري لا يتَّسم بالمرونة، وقد أُكِّد جميع زعماء المجلس وأمينه العام في مناسبات عديدة على أن المجلس ليس تكتلاً سياسياً أو عسكرياً أو أمنياً، وليس موجهاً ضدَّ أحد، وإنما هو محاولة لتجسيد معالم التماثل ومقومات الاندماج وتوثيق عرى التعاون بين أعضائه<sup>(١)</sup>.

والواقع أن المجلس بدوله الست يُعدُّ منظمة إقليمية وفق معايير ميثاق الأمم المتحدة، لأنه ليس تحالفاً عسكرياً أو سياسياً يستهدف عدواً معيناً، بل إن هدفه تعاون دول المنطقة لإحلال السلم والأمن، كما أنه يتمتع بطابع الشرعية الإقليمية الذي يستند على التقارب الجغرافي، أو وجود عناصر التماثل بين الدول التي تدخل في نطاق الإقليم، أو وجود تفاعلات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية بين الدول الأعضاء<sup>(٢)</sup>.

## دوافع قيام المجلس

الأمن السياسي والعسكري: إن قيام مجلس التعاون الخليجي هو انعكاس واضح للتطورات السياسية الدولية والمحلية والإقليمية، وأهمها حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران، ويشتمل هذا المجلس ست دول عربية خليجية ذات طبيعة اجتماعية وجغرافية متجانسة، تقع ضمن دائرة حافلة بالصراعات الدولية والإقليمية بين الشرق والغرب، وذلك بفعل أهميتها المتميزة.

ويأتي الوضع الأمني والخطر الإقليمي والدولي في أوليات دوافع قيام المجلس. فعلى الصعيد الأمني، تبرز الحركات الأصولية التي بدأت تجتاح الخليج العربي، فتعرَّضت المملكة العربية السعودية لحادث الحرم المكي في كانون الأول ١٩٧٩م، كما تعرَّضت غيرها من دول الخليج العربية لاضطرابات داخلية.

وعلى الصعيد الإقليمي لا بد من النظر إلى الخطر الإيراني المتزايد على دول المنطقة بخاصة، وعلى الدول العربية بعامة بعد الثورة الإسلامية في إيران وتولي رجال الدين دقَّة الحكم، ولم يُخفِ الإيرانيون أطماعهم في المنطقة، ورغبتهم في تصدير الثورة، وإثارة القلق والاضطرابات داخل بعض دول المجلس.

وتستوقفنا في مجال الصراع الدولي، الحرب الباردة التي كانت قائمة بين الشرق والغرب، والكتلة الشرقية وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي، والكتلة الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية، ومحاولة كل طرف التقرب من دول المنطقة في

(١) الأشعل، عبد الله: الإطار القانوني والسياسي لمجلس التعاون الخليجي: ص ١٣٤.

(٢) شفيق: ص ١١٣ - ١١٤.

مجالات التعاون «الاستراتيجي»، والحصول على بعض التسهيلات، والقواعد الجوية والبحرية، مع تواجد قطع أساطيله في بحر العرب والمحيط الهندي، وعلى مقربة من دول الخليج العربية؛ وذلك ضمناً لمصلحه.

والواقع أن توسُّط المنطقة بين الشرق والغرب، واكتشاف النفط في ربوعها، أعطاها أهمية سياسية واقتصادية، جعلت الدول الكبرى تتطلع إلى الحصول على بعض التسهيلات السياسية والعسكرية، مثل عقد الاتفاقيات والتمثيل «الدبلوماسي»، والحصول على بعض القواعد العسكرية المتقدمة، فاتجهت دول الخليج العربية إلى البحث عن البديل الخليجي، من حيث تكوين إطار للتعاون والأمن الجماعي فيما بينها<sup>(١)</sup>، وذلك بعد أن أضحى مفهوم أمن الخليج العربي يرتبط في نظر كل من المعسكرين المتصارعين بمصالحهما الخاصة، وقد أكّدت دول الخليج العربية صراحة بأن الصراع بين القوتين الكبيرتين هو المهدد الحقيقي لأمنها، وارتكز مفهومها لأمن الخليج العربي على حماية أمنها الاجتماعي والمحافظة على أنظمتها السياسية، وفض الخلافات القائمة فيما بينها، إلى جانب تنقية الأجواء العربية، واعتبار استمرار الاحتلال الصهيوني للأراضي العربية في مقدمة الأخطار التي تُهدد الأمن والاستقرار في المنطقة<sup>(٢)</sup>.

ونستنتج عند تحليل الطروحات على الساحة الخليجية عبر تصريحات بعض المسؤولين، ووسائل الإعلام، أن هناك هاجساً رئيساً ومهماً بالنسبة لدول الخليج العربية، ألا وهو الأمن، من هنا اهتمام دول المجلس بالناحية العسكرية، سواء في مجال التنسيق والاجتماعات أو التدريب المشترك، وشراء الأسلحة والمعدات، وقيام لجان التنسيق العسكري، وتشكيل أمانة عامة ولجنة عسكرية، خاصة بالدراسة والمتابعة والتوصيات في هذا المجال. ويؤدي هذا الجهد العسكري المكثف إلى ظهور مستوى معين من التعاون العسكري الواضح في المجال الدفاعي، وحماية أمن دول المجلس. وللأمن السياسي أهمية خاصة من واقع اعتماد الأمن العسكري عليه، وقد يكون المبرر لإعطاء الأهمية للأمن العسكري هو التهديد الإيراني المباشر وما قد يتبعه من تدخُّل دولي في المنطقة، ولا بدَّ من أن يسير الاثنان معاً للوصول إلى الأهداف المنشودة، ومع أهمية الأمن العسكري تتوجه انعكاسات الحرب العراقية - الإيرانية، واحتمال أن تترك نتائجها أثراً مباشراً على دول المجلس<sup>(٣)</sup>.

(١) رجب، يحيى حلمي: مجلس التعاون لدول الخليج العربية: ص ١٩١ - ١٩٢.

(٢) الأشعل: ص ٩٠ - ٩٣.

(٣) الرواشدة، شاهر: دول مجلس التعاون الخليجي في الميزان: ص ٣٩ - ٤٠.

**الاقتصاد:** إن تاريخ العلاقات بين الدول مليء بالتزاعات لدوافع اقتصادية، وفي مقدمتها السيطرة على منافذ التجارة الدولية، أو الحصول على أسواق لتصدير واستيراد المنتجات المختلفة، أو التحكم بالموارد الأولية، والمعروف أن الثورة الصناعية في أوروبا أدت خلال القرن التاسع عشر إلى سرعة وزيادة الإنتاج، وبالتالي الحاجة إلى البحث عن أسواق جديدة، لأن الاستهلاك المحلي لم يعد يستوعب الإنتاج المتعاظم للمصانع، فكان التسابق الاستعماري.

ومنذ اكتشاف النفط بكميات هائلة في المنطقة العربية بعامة ومنطقة الخليج العربي بخاصة، أخذت الدول الكبرى تتنافس من أجل الحصول على امتيازات ومكاسب من هذه الموارد الطبيعية، التي تُعدُّ من أعظم مصادر الطاقة، كما أن هذه المنطقة هي أكبر سوق استهلاكي لسلع ومنتجات الدول الصناعية.

ويُعدُّ السلاح الغذائي والسلاح المادي، من أهم وسائل الحرب الاقتصادية في العهد المعاصر، وأن الدول المتقدمة التي تملك الوسائل الفنية ورؤوس الأموال الضخمة، هي التي تمارس ضغوطاً على الدول النامية التي تُعاني نقصاً في الاكتفاء الذاتي.

وأوضحت هذه الضغوط واضحة لدى جميع دول المجلس، لدرجة أنها باتت تؤثر على القرار السياسي والوضع الاقتصادي الداخلي، وكذلك على مشتريات الأسلحة والمعدات، بالإضافة إلى احتياجات السوق المحلي التي تُشترى بمعظمها من الدول الغربية نظراً لغياب الصناعات المحلية الأساسية أو التكميلية، ونجد أن إنتاج وتصدير سلعة النفط تكاد تكون الوحيدة مقابل استيراد السلع الاستهلاكية من الخارج.

ولعل الحرص على تفادي مثل هذه الضغوط هو الواقع وراء المساعي التي تهدف إلى العمل الخليجي المشترك. ونشير في هذا المقام إلى السياسة الزراعية لدول المجلس التي أقرتها في قمة مسقط عام ١٩٨٥م، بالإضافة إلى الدعم والتشجيع الذي توليه حكومات دول المجلس للقطاع الزراعي عبر خططها الوطنية. وتسير المملكة العربية السعودية وسلطنة عُمان سيراً حثيثاً بالمقارنة مع باقي دول المجلس، بفعل ظروفها المناخية القاسية نسبياً، وقد بدأت المملكة تُصدِّر بعض المنتجات الزراعية.

وأخذت هذه المعادلة الاقتصادية تتعدل بفعل قيام نهضة شاملة في المجالات كافة في دول المجلس، ما أدَّى إلى زيادة الناتج المحلي من جانب القطاعات غير النفطية، وهي: البناء، والتشييد، والخدمات العسكرية، والتجارة، والفنادق، والصناعات التحويلية، هذا على الرغم من أن أكبر نسبة لتلك الزيادة جاءت نتيجة ارتفاع أسعار النفط.

## أهداف المجلس

على الرغم من عدم تحديد النظرية السياسية لمجلس التعاون الخليجي، إلا أن الأمانة العامة قد توصلت إلى النتائج الآتية:

١ - تحديد الإطار التعاوني لدول المجلس الذي يعتمد على التنسيق الاقتصادي، والتقريب السياسي، والدفاع، وذلك على أساس أن كل بلد من بلدان المجلس يرغب بالاحتفاظ بشخصيته الخاصة، وسلطاته التشريعية، واستقلاله، مع الطموح إلى تطوير الميزات المحلية ضمن إطار يشمل الدول الست.

٢ - خلق اندفاعاً لمجلس التعاون عبر مداخلته السياسية، وأنشطته الاقتصادية وغير الاقتصادية.

٣ - المجلس ليس كتلة ولا تجمُّع ولا حلف.

٤ - الغاية من قيام المجلس هي تعاون مبني على صيغ تعاونية بين دُوله، والعامل المساعد على ذلك هو تشابه أنظمتها السياسية والاقتصادية، وطبيعتها الجغرافية<sup>(١)</sup>.

بناء على ما تقدم تبني المجلس الأهداف الآتية على الصعيد الداخلي:

أ - التنسيق السياسي بين الدول الأعضاء. وقد خطا هذا التنسيق خطوات متقدمة، وانبثق عن اللقاءات الدورية والاتصالات المستمرة مع التأكيد على السمات الشخصية، والخصائص الذاتية، والتراث العربي الخليجي، والتلازم بين القضايا العربية والقضايا الخليجية.

ب - التنسيق الاقتصادي للوصول إلى الاندماج الاقتصادي في مجالات الصناعة والزراعة والسياسات النفطية، وإنشاء بنية تحتية، وتحسين البنية الحالية، وإنشاء المؤسسات المشتركة في مجال الصناعة، وضمان حرية تدفق البضائع والسلع بين دول المجلس، وقد يؤدي ذلك إلى إنشاء سوق خليجية مشتركة، وتوحيد التعرفة الجمركية، ووضع تعرفه موحدة للسلع المستوردة.

ج - التعاون الدفاعي.

د - التنسيق الأمني، بهدف تأمين قوة واستمرارية الجبهة الداخلية، وضمان ازدهار ورخاء المجتمع، والتقدم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

هـ - التقارب الاجتماعي والثقافي والتعليمي، وتعميق التعاون والروابط والصلات بين شعوب المجلس.

و - وضع أنظمة متماثلة في الميادين المختلفة.

(١) الرواشدة: ص ٢٣.

ز - وضع عملية التقدم العلمي والفني في مجالات الصناعة والتصدير والزراعة، والثروات المائية والحيوانية، وإنشاء مراكز بحوث علمية، فيما يعود بالخير على شعوب المجلس<sup>(١)</sup>.

وتبنّى المجلس الأهداف الآتية على الصعيد الخارجي<sup>(٢)</sup>:

**في المجال الخليجي:** حرص المجلس على تأكيد التعايش السلمي بين دوله، وإبعاها عن الصراعات الدولية، ومعارضة التدخل في شؤونها، والاعتماد على القوة الذاتية، وتسوية النزاعات الإقليمية بالطرق السلمية، وتطوير العلاقات بين دول المنطقة بما يحقق الاستقرار والتفاهم.

**في المجال العربي:** حرص المجلس في نظامه الأساسي التأكيد على: توثيق العلاقات، وتحقيق التقارب، وتنسيق الخطط، وتعميق التعاون بين الدول العربية، مع دعم القوة العربية وتماسكها، وتنقية الأجواء العربية، وتحقيق التضامن العربي والدفاع عن القضايا العربية، ومساندة حقوق الشعب الفلسطيني.

وحرص قادة المجلس التأكيد على أن التعاون الخليجي يخدم الأهداف العامة للوطن العربي، وأن المجلس ليس محوراً أو تحالفاً موجهاً ضد أطراف عربية أخرى؛ بقدر ما هو ائتلاف بين مجموعة من الدول في إطار النظام العربي، وليس خروجاً عليه.

ويعدّ هذا التوجه نموذجاً متقدماً للعلاقات بين الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية، ويتقاطع مع نص المادة التاسعة من ميثاق جامعة الدول العربية التي تترك الحرية لدول الجامعة الراغبة في تعاون أوثق فيما بينها، أن تعقد ما تشاء من الاتفاقيات لتحقيق هذه الأغراض.

وعلى الرغم من ذلك، فقد تعرّض المجلس للنقد في بداية مسيرته بسبب اقتصار عضويته على الدول الخليجية العربية الست، التي شاركت في اجتماع وزراء الخارجية بالرياض في شباط ١٩٨١م، وما نصّ عليه نظامه الأساسي من تحقيق أقصى درجات الامتزاج والتقارب بين الدول المكوّنة له، وبالتالي فقد أصبح بمثابة تنظيم إقليمي محدود العضوية.

والواقع أن النظام الأساسي لم يُشر إلى إمكان دخول أعضاء عرب جدد، إلا أنه أشار إلى إمكان تعديله بشرط موافقة أعضائه جميعهم.

**في المجال الدولي:** أكّدت دول المجلس على سياسة عدم الانحياز، ونبذ

(١) الرواشدة: ص ٢٣ - ٢٥. شفيق: ص ١١٢ - ١١٣.

(٢) قاسم: ج ١ ص ١١٧ - ١١٩.



الأحلاف والمحاور، واحترام المواثيق والالتزامات الدولية، والعمل على توطيد أسس السلام والعدل، والأمن الدولي، ومساندة التوازن في العلاقات الدولية مع عدم التدخل في شؤون الغير، والتعايش السلمي في ظل احترام سيادة الوطنية والاستقلال، وصيانة المصالح المشتركة، والتفاعل مع أحداث العالم، والمشاركة في قضايا السلم، وحقوق الإنسان، من خلال العمل الفاعل في المنظمات الدولية واحترام حق الشعوب في تقرير مصيرها، ومعارضة استخدام القوة في القضايا الدولية، ومناهضة التفرقة العنصرية<sup>(١)</sup>.

## ردود الفعل على قيام المجلس

تفاوتت ردود الفعل العربية والدولية على قيام مجلس التعاون الخليجي، وأبدأ برودود الفعل العربية.

ردود الفعل العربية: انقسمت الدول العربية إلى قسمين من حيث تأييد أو نقد قيام مجلس التعاون الخليجي، ولعل أهم المواقف هي:

- ترحيب بعض الدول العربية بقيامه مثل: تونس والسودان وسوريا والمغرب والصومال ومصر.

- تحفظ بعض الدول العربية على قيامه مثل: العراق والجزائر وليبيا والأردن.

- أشادت الصحافة العربية بقيام المجلس، وعدّته خطوة كبيرة على طريق الوحدة العربية بفعل أنه نابع من رغبة شعوب المنطقة، وتحقيق طموحها في الوحدة العربية الشاملة.

ويستوقفنا موقف العراق، وهو من أكثر المواقف العربية معارضة لقيام مجلس التعاون الخليجي الذي لم يضمه إلى عضويته، على الرغم من مساهمة العراق في مجالات التعاون الاقتصادي والثقافي الخليجي منذ بداية السبعينات من القرن العشرين، ومن الواضح أن اختلاف البنية السياسية والاجتماعية للعراق، كان عائقاً دون انضمامه لهذا التجمع كما ذكرنا، ولعل استبعاده كان دافعاً للتفكير في إيجاد تجمع آخر منافس له، عبر دعوته إلى إنشاء مجلس التعاون العربي الذي ضمّ في عضويته اليمن الشمالي الذي استُبعد مع اليمن الجنوبي من عضوية مجلس التعاون الخليجي.

وقد صرّح منذر عريم، مدير العلاقات في وزارة الخارجية العراقية لجريدة الشارقة

(١) النقيب، خلدون: المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية من منظور مختلف: ص ١٧٧ -

في ٢٨ آذار ١٩٨١م، بأن العراق مع أي تقارب عربي أو وحدة عربية شرط ألا تكون محوراً من المحاور التي تريد بعض الدول العربية خلقها ضمن إطار المجموعة العربية، لأن ذلك يعني تركيز الإقليمية ووضع الأقطار العربية في صراع محوري بعضها ضد بعض.

وعلى الرغم من ذلك، لم يكن استبعاد العراق من عضوية المجلس يعني أنه أصبح منعزلاً عن دول الخليج العربية، وإنما على العكس من ذلك فقد ظلت علاقة العراق إيجابية بتلك الدول التي كانت تنظر إليه على أنه خطّ دفاعي ضد الهيمنة الإيرانية<sup>(١)</sup>.

ولعل دول الخليج العربية اتخذت من تورط العراق في الحرب مع إيران ذريعة لاستبعاده من عضوية المجلس، في الوقت الذي شعر فيه العراق بحاجته الشديدة إلى تأييد ودعم دول الخليج العربية، ما دفعه إلى تغيير موقفه تجاه المجلس، فصرّح ساسته بأنهم يحاربون إيران بالنيابة عن أشقائه، كما أظهر تأييده للمجلس تمثيلاً مع توجهاته القومية التي تُساند حدوث أي تقارب بين دول الخليج العربية بخاصة، وبين العرب بعامة<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من تلك التصريحات والتوجهات إلا أنه من الواضح أن النظام العراقي كان يكرّ العداوة لدول المجلس، وأن أحد دوافع العراق في غزوه للكويت، وتهديده لدول الخليج العربية الأخرى، هو الانتقام من هذه الدول لعدم إتاحة الفرصة له للانضمام إلى تجمّعها.

**ردود فعل الدول الإقليمية:** يستوقفنا موقف إيران الشديد الحساسية، وهي التي استبعدت بدورها من الدخول في التجمع الخليجي على الرغم من مشاركتها في بعض اتفاقيات التعاون التي سبقت إنشاءه. فقد انضمت في عام ١٩٧٦م إلى العديد من المنظمات الخليجية، مثل المنظمة الخليجية للاستشارات الصناعية<sup>(٣)</sup>، كما انضمت في عام ١٩٧٨م إلى اتفاقية مع دول الخليج العربية للمحافظة على البيئة البحرية<sup>(٤)</sup>، ومن ثمّ عدّت إيران تأسيس المجلس بمثابة تجمّع خليجي معادٍ لها، ولم تتوان عن إبداء شكوكها وتحفظها، وأعلنت معارضتها لقيام تجمّع عربي على الساحل الغربي للخليج المواجه لها<sup>(٥)</sup>.

ويبدو أن موقف إيران المعارض يتقاطع مع تخوفها من أن تساند دول المجلس

(١) Ramazani, R.K: The Gulf Co-operation Council Records and Analysis, p13.

(٢) الأشعل: ص٢٨. (٣) قاسم: جه ص١٢٠ - ١٢١.

(٤) Ramazani: p4. (٥) قاسم: جه ص١٢١.

العراق في حربه معها، بالإضافة إلى خشيتها من أن تسند تلك الدول أي عمل أميركي ضدها؛ في الوقت الذي تدهورت فيه علاقاتها مع الولايات المتحدة الأميركية<sup>(١)</sup>.

من هنا، يمكن تفسير بعض العمليات المناهضة التي ظهرت في البحرين في عام ١٩٨٢م، ما أدى إلى شكوك دول المجلس من نوايا النظام الإيراني ومخططاته ضد دول الخليج العربية.

والواقع أن موقف المجلس تجاه الحرب العراقية - الإيرانية، اتسم بتحقيق التوازن في ضوء المصالح العربية بعامة ومصالح دول الخليج العربية بخاصة، وعلى الرغم من تنديد إيران بمساندة دول المجلس للعراق، فإن دول الخليج العربية لم تقطع جسور الحوار والاتصال مع الجانب الإيراني، وحرصت على الوساطة بين الدولتين المتنازعتين ومحاولة احتواء ردود أفعال الصراع وانعكاساته على دول المنطقة<sup>(٢)</sup>.

ردود الفعل الدولية: حاولت الولايات المتحدة الأميركية استغلال علاقاتها التقليدية مع دول المجلس، والتعامل معها كمنظمة إقليمية لها دورها الفاعل على الساحة الدولية، إلا أن انحيازها للسافر للكيان الصهيوني كانت له انعكاسات سيئة على مصداقيتها خليجياً وعربياً، أبرزت تناقض توجهاتها السياسية بين محاولتها توثيق علاقاتها بدول المجلس، وبين سياستها الشرق أوسطية المنحازة تماماً للكيان الصهيوني، لكنها عدت سياسة المجلس بالاعتماد على الذات الدفاعية، والمحافظة على أمن واستقرار المنطقة، وتبني سياسة عدم الانحياز؛ عناصر إيجابية، تحافظ على تأمين مصادر النفط الحيوية لمصالحها، والتي تتطلب موافقة أصحابها الشرعيين، إلا أنها مع ذلك لم تكن مقتنعة تماماً بتلك السياسة، ويبدو ذلك واضحاً من محاولاتها المتكررة النفاذ إلى المجلس عن طريق تنسيق عسكري، غير أنها صُدت حتى حصل الغزو العراقي للكويت، الذي كان له انعكاسات سلبية على ما كان يؤكده قادة المجلس من أهمية الاعتماد على القدرات الذاتية الدفاعية<sup>(٣)</sup>.

ولم يُبدد الاتحاد السوفياتي أي رد فعل واضح في بداية قيام المجلس، وأتسم موقفه بعدم الاكتراث واللامبالاة، غير أنه اتخذ موقف المراقب، وأعلن أنه سيؤيده إذا ما كانت سياسته تسيير وفق النهج الكويتي، وسيحجم عن تأييده إذا وجد أنه يخدم مصالح الآخرين، وفي ذلك إشارة واضحة إلى الولايات المتحدة الأميركية. وظلت نظرة الاتحاد السوفياتي أسيرة النظرة التقليدية، بأن منطقة الخليج العربي

(١) قاسم: ج ٥ ص ١٢١.

(٢) المرجع نفسه: ص ١٢٢.

(٣) المرجع نفسه: ص ١٢٤ - ١٢٥.

تضمُّ مصالح «استراتيجية» واقتصادية للولايات المتحدة الأميركية وحلفائها، ومن ثمَّ كان تفسير الاتحاد السوفياتي للمواقف السياسية التي كان يتخذها المجلس، بأنها متأثرة بالتوجهات الغربية، وبالتالي كانت نظرته للمجلس بأنه أداة في يد الولايات المتحدة الأميركية لمواجهة الاتحاد السوفياتي، وأن إنشاءه يرتبط بالدرجة الأولى بالأهداف العسكرية والأمنية، وليس بتوثيق التعاون الإنمائي والاقتصادي بين دول الخليج العربية<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن موقف الاتحاد السوفياتي من المجلس مرتبط بمجموعة من العوامل، أبرزها: - أن جميع دول المجلس باستثناء الكويت، لم تكن لها علاقات «دبلوماسية» مع الاتحاد السوفياتي أو دول الكتلة الشرقية بعامه. - رفض دول المجلس إقامة علاقات «دبلوماسية» مع موسكو.

- نظر الاتحاد السوفياتي إلى زيادة حجم التسليح في دول المجلس بأنه خلط بين ضرورات الدفاع الذاتي وبين المخططات العسكرية الأميركية في المنطقة، ومن ثمَّ أبرز عبر دعايته، عدم مصداقية الولايات المتحدة الأميركية فيما تعلنه من صداقتها لدول المجلس، ورغبتها في توثيق علاقتها بها، في الوقت الذي انحازت إلى الكيان الصهيوني<sup>(٢)</sup>.

ظل موقف الاتحاد السوفياتي قائماً على هذا النحو حتى عام ١٩٨٥م، حين بدأت العلاقات تأخذ طريقها إلى شيء من التحسُّن، بدليل زيارة العديد من المسؤولين السوفيات لبعض دول المجلس، كما شهد ذلك العام قيام علاقات «دبلوماسية» بين الاتحاد السوفياتي وكل من المملكة العربية السعودية وسلطنة عُمان، ثم مع دول المجلس الأخرى، وبخاصة بعد انسحابه من أفغانستان في عام ١٩٨٦م<sup>(٣)</sup>.

وعدَّت دول مجلس التعاون تحسُّن علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي تأكيداً لمصداقيتها في التعامل مع القوتين الكبيرتين، ومع ذلك فقد ظل الاتحاد السوفياتي غير مقتنع بأدبيات المجلس وبخاصة فيما يتعلق بأمن الخليج العربي، وبما كان يُصرِّح به قاده من أهمية الإبقاء على منطقة الخليج العربي بعيدة عن صراعات الدول الكبرى، وتغيَّر موقف الاتحاد السوفياتي بشكل واضح خلال بداية أفول الحرب الباردة بين المعسكرين في عام ١٩٨٧م، واتخذ اتجاهاً جديداً اتسم بالتقارب الواضح مع دول المجلس<sup>(٤)</sup>.

(١) جريدة الأنباء الكويتية، تاريخ ٣٠ كانون الأول، ١٩٨٤م.

(٢) قاسم: جده ص ١٢٣. (٣) المرجع نفسه.

(٤) Nakhleh, Emile, The Gulf Co-operation Council Policies Problems and Prospects, pp41-42.

## الهيكل التنظيمي للمجلس

يتكوّن مجلس التعاون الخليجي من الأجهزة الرئيسة الآتية:

### المجلس الأعلى

يُعدُّ هذا المجلس السلطة العليا لمجلس التعاون الخليجي، والمسؤول عن تخطيط ورسم السياسة العليا، ويتكوّن من رؤساء الدول الأعضاء، ورئاسته وفق الترتيب الأبجدي لأسماء الدول، يجتمع في دورتين عاديتين كل سنة، ويشترط النظام الداخلي لصحة انعقاده، حضور ثلثي الأعضاء على الأقل، أي أربع دول، وللمجلس أن ينشئ ما يراه ضرورياً من لجان، ويجوز عقد دورات استثنائية بناء على طلب أي عضو من الأعضاء وتأييد عضو آخر له.

يتمتع المجلس باختصاصات واسعة أهمها بالإضافة إلى وضع السياسة العليا:

- النظر في القضايا التي تهّم الدول الأعضاء.

- مناقشة التوصيات والتقارير والمشاريع التي تُعرض عليه من المجلس الوزاري والأمانة العامة، تمهيداً لاعتمادها.

- تشكيل هيئة فض النزاعات.

- تعيين الأمين العام.

- إقرار النظام الداخلي.

- التصديق على ميزانية الأمانة العامة<sup>(١)</sup>.

ويميز النظام الأساسي بين القضايا الموضوعية التي تتطلب من أجل الموافقة عليها، إجماع الدول الأعضاء، والقضايا الإجرائية التي تتطلب موافقة أغلبية الأعضاء<sup>(٢)</sup>، ومن الواضح بأن القرار في القضايا الموضوعية والإجرائية على السواء ليس ملزماً إلا لمن يقبله، وبذلك لا يفرض قرار الأغلبية على الأقلية<sup>(٣)</sup>.

### هيئة فض النزاعات

تتبع هذه الهيئة المجلس الأعلى، وتقوم بفض النزاعات القائمة أو التي قد تقع بين الدول الأعضاء، كما أنها المرجع لتفسير النظام الأساسي لمجلس التعاون، وهي ليست جهازاً رئيساً.

(١) المادة الثامنة من نظام مجلس التعاون الخليجي.

(٢) المادة التاسعة من نظام مجلس التعاون الخليجي.

(٣) شفيق: ص ١١٦.

## المجلس الوزاري

هو الجهاز الذي يساعد المجلس الأعلى في رسم السياسات ووضع المشاريع التي تهدف إلى التعاون والتنسيق بين الدول الأعضاء، ويتكوّن من وزراء خارجية الدول الأعضاء أو ممن ينوب عنهم من الوزراء، يجتمع مرة كل ثلاثة أشهر، ويجوز له عقد دورات استثنائية بناء على دعوة أحد الأعضاء وتأييد عضو آخر له، أما رئاسته فدورية لمدة ستة أشهر وفق الترتيب الأبجدي لأسماء الدول الأعضاء.

يضطلع المجلس الوزاري بأحد عشر اختصاصاً<sup>(١)</sup>، أهمها:

- اقتراح السياسات، ووضع التوصيات والدراسات والمشاريع التي تهدف إلى تطوير التعاون والتنسيق بين الدول الأعضاء في المجالات المختلفة.
- اتخاذ ما يلزم بشأنها من قرارات وتوصيات.
- يتولى تقديم التوصيات للوزراء المختصين من أجل وضع قرارات مجلس التعاون موضع التنفيذ.
- يختص بتعيين الأمناء المساعدين لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد بناء على ترشيح الأمين العام.
- يعتمد التقارير الدورية والأنظمة واللوائح الداخلية المتعلقة بالشؤون الإدارية والمالية المقترحة من الأمين العام، وكذلك التوصية للمجلس الأعلى بالتصديق على ميزانية الأمانة العامة، ويهيئ لاجتماعات المجلس، ويُعدّ جدول أعماله.

### الأمانة العامة

هي الجهاز المسؤول عن الأعمال الإدارية، وتتمتع ببعض الاختصاصات السياسية، تتكوّن من أمين عام يعيّنه المجلس الأعلى من مواطني الدول الأعضاء لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة، ويعاونه أمناء مساعدون وما تستدعيه الحاجة من موظفين، ويمارس الأمين العام والأمناء المساعدون وموظفو الأمانة العامة، وظائفهم باستقلالية وللصالح المشترك للدول الأعضاء<sup>(٢)</sup>.

تتولى الأمانة العامة مهاماً كثيرة أهمها:

- إعداد الدراسات الخاصة بالتعاون والتنسيق.
- متابعة تنفيذ قرارات وتوصيات المجلس الأعلى والمجلس الوزاري.

(١) المادة الثانية عشرة من نظام مجلس التعاون الخليجي.

(٢) المادة السادسة عشرة من نظام مجلس التعاون الخليجي.

- إعداد التقارير والدراسات التي يطلبها المجلس الوزاري .
- إعداد التقارير الدورية عن أعمال مجلس التعاون .
- إعداد مشاريع اللوائح المالية والإدارية التي تتقاطع مع نمو مجلس التعاون وتزايد مسؤولياته .
- إعداد الميزانيات والحسابات الختامية لمجلس التعاون .
- الاقتراح على رئيس المجلس الوزاري عقد دورة استثنائية للمجلس الوزاري عند الضرورة<sup>(١)</sup> .

## التحديات التي تواجه دول مجلس التعاون الخليجي

### التحديات التنموية

الاعتماد الكلي على النفط: إن النمو الاقتصادي الذي يؤدي في النهاية إلى تنمية ذاتية، وتحولات في الهياكل الاقتصادية، هو النمو الذي يكون مرتفعاً، أي أعلى من معدل النمو السكاني للمجتمع، ليؤدي إلى زيادة في دخل الفرد، التي من شأنها أن تُحسِّن مستوى معيشته، وتُمكنه من زيادة مدخراته التي تُساهم بدورها في توسيع الطاقة الإنتاجية، للاقتصاد، ولا بد لهذا النمو من أن يتصف بالاستمرارية والاستقرار حتى لا تتعطل المشاريع التنموية<sup>(٢)</sup> .

والواضح أن هذا النوع من النمو لم تُحقِّقه دول مجلس التعاون الخليجي خلال أكثر من عشرين عاماً من محاولات تحقيق التنمية، والمعروف أن اقتصاديات دول المجلس متقلبة بفعل اعتمادها على مصدر رئيس للدخل، ألا وهو النفط، وذلك تبعاً لتقلبات الطلب العالمي عليه، الأمر الذي جعل من التجارة البينية تابعاً ومعتمداً على تلك التقلبات .

وتختلف درجة التقلُّب الاقتصادي بين دولة ودولة أخرى، ما أدَّى إلى ضآلة الاستثمارات البينية والقطاعات الصناعية غير النفطية التي لم تخلق أثراً واضحاً في مستوى التجارة البينية، علماً بأن جميع الأنشطة الاقتصادية تتأثر بشكل كبير بتقلبات عائدات الصادرات النفطية، وإذا علمنا بأن دول مجلس التعاون الخليجي باستثناء عُمان، هي أعضاء في منظمة (أوبك)، فإن نسبة كبيرة من الإنتاج النفطي تتحدَّد عن

(١) المادة الخامسة عشرة من نظام مجلس التعاون الخليجي .

(٢) اليوسف، خليفة اليوسف: مجلس التعاون الخليجي في مثلث الوراثة والنفط والقوى الأجنبية: ص ١٧٠ .

طريق عوامل خارجة عن سيطرتها، الأمر الذي ينعكس على قوة دول المجلس في التحكم بنشاطاتها الاقتصادية في مجال الإنتاج والاستثمار والتشغيل في الاقتصاد الوطني<sup>(١)</sup>.

وبناء على ذلك، فإن إيرادات دول المجلس الإجمالية ترتفع مع ارتفاع أسعار النفط، وتنخفض مع انخفاضه، ويتبع ذلك ارتفاع أو انخفاض الناتج المحلي الإجمالي، وفي المقابل، تتنوع الاستيرادات من مختلف السلع والخدمات مع ارتفاع أسعار النفط، وترتفع أو تنخفض تبعاً لذلك، التجارة البينية.

لقد حققت دول مجلس التعاون الخليجي بعد عام ٢٠٠٣م معدلات نمو عالية بسبب ارتفاع أسعار النفط عالمياً، وزيادة إيراداتها نتيجة ذلك، إذ بلغ معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي حوالي ٢٦٪ عام ٢٠٠٥م<sup>(٢)</sup>.

وسيؤدي ارتباط التجارة الخارجية لدول المجلس بالموارد النفطية إلى بقاء ضعف التجارة البينية، إذ لا يمكن أن ترتفع مستوياتها من دون الاستثمار في القطاعات الصناعية غير النفطية.

وثمة عامل آخر أدى إلى انخفاض النمو في الناتج المحلي الإجمالي وتقلبه من سنة إلى أخرى، ألا وهو ارتفاع مستوى الإنفاق الاستهلاكي بالمقارنة مع حجم الإيرادات، إذ يتزايد الاستهلاك الحكومي والخاص بمعدلات تفوق مستوى معدلات الإنفاق على الاستثمار، والملاحظ أن النظام الاقتصادي في القطاع الخاص يفوق النشاط الاقتصادي في القطاع العام، وهذا يعني أن القطاع الخاص قد يؤدي دوراً واضحاً عبر إقامة العديد من المشاريع التنموية، ثم إن نسبة تكوين رأس المال الثابت منخفضة بالمقارنة مع مستويات الإنفاق الأخرى، الأمر الذي يشير إلى حالة الاختلال في الهيكل الاقتصادي لدول المجلس، وأن النفقات العامة تفوق الإيرادات العامة، ومن المظاهر الرئيسة لعدم الاستقرار التجاري ازدياد استيراد المواد الغذائية، وضعف التجارة البينية<sup>(٣)</sup>.

ولا بد لنا من التساؤل في هذا المقام:

(١) الشيببي، أحمد صدام صاحب: العلاقة بين الانكشاف التجاري والتجارة البينية في دول مجلس التعاون الخليجي: ص ٦٣. مقال في كتاب: مجلس التعاون لدول الخليج العربية، قضايا الراهن وأسئلة المستقبل.

(٢) التقرير الاقتصادي الخليجي ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥م، مركز الخليج للدراسات.

(٣) الشيببي: ص ٦٤ - ٧٧.



هل استطاعت دول مجلس التعاون الخليجي أن تستخدم الموارد النفطية لتحقيق نمو ذاتي في الناتج المحلي وفي دخل الفرد؟

هل حصل تحول واضح في هيكلها الإنتاجية يؤكد تراجع اعتمادها على النفط؟ هل تكوّن لديها قطاع صناعي يساهم في الناتج المحلي وفي توفير الوظائف؟ هل استطاعت تلك الدول أن تُحدث تنوعاً ملموساً في التركيبة السلعية لصادراتها؟

الواقع أن معدلات النمو التي حصلت في دول المجلس بين عامي ١٩٧٨م و٢٠٠٨م، قد زادت من ١٠٦,٥ مليار دولار إلى ٢٣١,١ مليار دولار عام ١٩٩٨م، وقد شهدت أسعار النفط بين التاريخ الأخير وعام ٢٠٠٨م طفرة في أسعار النفط ما رفع الناتج المحلي إلى حوالي ١٦٪<sup>(١)</sup>، وتُخفي هذه الحقيقة كثيراً من الأمور التي تجعلها أقل إيجابية مما تبدو أهمها:

- إن معدلات النمو تشير إلى استمرار ارتباط نمو ناتج هذه الدول ونمو دخل الفرد، بالعائدات النفطية، التي يتحدّد حجمها في أسواق النفط العالمية، ويمتد هذا الارتباط ليشمل متغيرات اقتصادية أخرى منها: وضع الموازنات العامة، والموازن التجارية، والاحتياطات الأجنبية، واستمرار وضع وتنفيذ المشاريع التنموية، والمساعدات الأجنبية.

- إن النمو الذي حقّقه دول مجلس التعاون الخليجي خلال الحقب الماضية، لم يكن ناتجاً عن تحولات هيكلية، وتأسيس قاعدة صناعية قائمة على موارد بشرية ذات إنتاجية عالية، وإنما هو في الحقيقة ليس أكثر من تحويل ثروة مادية متنامية وهي النفط إلى ثروة مالية أو ورقية، وبالتالي فإن الجزء الأكبر من قيمة الناتج المحلي لهذه الدول هو عبارة عن عملية استهلاك ثروة موجودة، وليس توليد لثروة جديدة لعمل منتج<sup>(٢)</sup>.

**محاولة تنويع الأنشطة الاقتصادية:** يبدو أن سياسة الاعتماد الكلي على النفط أخذت تتعدّل بدءاً من أوائل القرن الواحد والعشرين. لقد أدركت دول مجلس التعاون الخليجي أهمية تنويع الأنشطة الاقتصادية وضرورة التنسيق والتكامل الاقتصادي فيما بينها من أجل تثبيت قوتها، وجعلها في مأمن من الحركات الداخلية، والأطماع والضغوط الخارجية، وما السياسة الزراعية المشتركة والوطنية، والبرامج والخطط للإنتاج الغذائي، وما الانفاقية الاقتصادية الموحدة لدول المجلس والتي دخلت حيّز التنفيذ في آذار ١٩٨٣م؛ إلا خطوات جاءت في الاتجاه الصحيح،

(٢) المرجع نفسه: ص ١١٧١ - ١٧٢.

(١) اليوسف: ص ١٧٠.

لتجسيد أهمية العمل الاقتصادي الخليجي المشترك، وقد نصّت على منح مواطني دول المجلس المزايا التي تُمنح لمواطني الدولة في جميع النشاطات الاقتصادية، وتوحيد التعرفة الجمركية على الواردات الخارجية، وإلغائها على الواردات البينية التي تأتي من دول المجلس.

وتواجه الزراعة في دول الخليج العربية تحديات متعددة، وظروف طبيعية صعبة تتمثل بصغر مساحة الأراضي الصالحة للزراعة، وشحّ المياه، والمعروف أن معظم أراضي دول مجلس التعاون الخليجي تقع ضمن المناطق الصحراوية التي تخضع للجفاف والحرارة المرتفعة معظم أيام السنة، ويتطلب ذلك بذل جهود مكثّفة على المستوى الوطني، وتعاون على المستوى الإقليمي، من أجل النهوض بالقطاع الزراعي، وتحقيق مستويات مناسبة من الاكتفاء الغذائي الذاتي.

والحقيقة أن دول المجلس تولي اهتماماً متزايداً لدعم وتشجيع القطاع الزراعي، وإقامة المدن الاقتصادية، كما في المملكة العربية السعودية، وغيرها، بالإضافة إلى الخدمات الإرشادية، والأبحاث الزراعية، والمساعدات الضمنية المتمثلة في تقديم الكهرباء والمياه والوقود بأسعار منخفضة.

وكان لاستخدام أساليب الإنتاج الحديثة، والمكننة الزراعية، وطرق الرّي المتطورة؛ أثر كبير في سرعة نمو هذا القطاع، وبخاصة في المملكة المذكورة، وقد حقّق منذ عام ١٩٨٦م معدلات نمو مرتفعة بالمقارنة مع القطاعات الإنتاجية الأخرى، باستثناء القطاع النفطي التعدين.

وقد بلغت مساحة الأراضي المزروعة في دول المجلس أكثر من مائة وعشرين ألف كيلومتر مربع، وبلغت نسبة الأراضي المستغلة في الزراعة، أكثر من خمسين ألف كيلومتر مربع، وبلغ الإنتاج الزراعي ٥٠٦,٦ ألف طن عام ١٩٨٥م، وهو في تصاعد مستمر حتى يومنا الحاضر، وتُعدّ المملكة العربية السعودية أكثر دول المجلس إنتاجاً.

وتستند السياسة الزراعية لدول المجلس على الأسس الآتية:

- وحدة السياسة الزراعية.
- التركيز على الاستخدام الأقل للموارد الطبيعية المتاحة.
- التكامل الزراعي بين دول المجلس.
- تحقيق أعلى مستوى من الاكتفاء الذاتي، وبخاصة بالنسبة لسلع الغذاء الأساس.
- إبراز وتنمية دور القطاع الخاص في الإنتاج الزراعي، وفي النواحي المرتبطة به والمكملة له<sup>(١)</sup>.

(١) شفيق: ص ٣٤٥ - ٣٤٧.

وتتمثل برامج العمل المشترك للسياسة الزراعية الموحدة بالآتي:

- تنسيق الخطط والسياسة الزراعية الذاتية.

- الإنتاج الزراعي والغذائي المشترك.

- مسح واستغلال وصيانة الموارد الطبيعية.

- البحوث الزراعية والتطوير الفني.

- اتصال الأمانة العامة للمجلس بالمنظمات الدولية المتخصصة لتبادل الخبرات

والمعلومات معها، والعمل على تشجيع إقامة المشاريع المشتركة، وتقديم الدعم لها.

وقد تمّ التوقيع في الرياض على اتفاقية للتعاون بين الأمانة العامة للمجلس، ومنظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (الفاو)، تنص على التشاور بين الطرفين بشأن تخطيط وتنفيذ البرامج والمشاريع، وتبادل الوثائق والمعلومات، وإجراء دراسات مشتركة تتعلق بالمسائل ذات الاهتمام المشترك، والاستفادة من الخبرات، والدراسات الفنية بين الطرفين، وحضور الاجتماعات التي يعقدها أي من الطرفين، وتبحث مسائل تتعلق بالطرف الآخر، ويجوز للمنظمة بموجب هذه الاتفاقية دعوة الأمانة العامة للمجلس لترشيح العاملين الفنيين لحضور الندوات والدورات وبرامج التدريب، التي تعقدها المنظمة<sup>(١)</sup>.

استطاعت دول مجلس التعاون الخليجي عبر محاولاتها تحقيق الاكتفاء الغذائي الذاتي؛ أن تُحقّق إنجازات وطنية مهمة في هذا المضمار، فبفضل دعم القطاع الزراعي، المادي والمعنوي، حظيت الخطط الزراعية التنموية بجهود المسؤولين في القطاعين العام والخاص، وذلك من أجل دفع حركة التنمية الزراعية في البلاد وإنجاحها، ولنا في التجربة السعودية خير دليل على ذلك.

وتؤكد الدراسات الحديثة اتساع مساحة الأراضي الزراعية في المملكة وبالتالي زيادة الإنتاج الزراعي من المواد الغذائية وبخاصة القمح وتصديره، وتحقيق انخفاض ملحوظ في الواردات.

وزاد الإنتاج المحلي من الدجاج، وارتفع إنتاج البيض بحيث سدّ حاجة الاستهلاك المحلي، وأضحى هناك فائض للتصدير، وزاد إنتاج اللحوم.

وتبنّت لجنة التعاون الاقتصادي في دول المجلس عدداً من المبادئ الأساس للتنمية الصناعية مع التركيز بشكل عام على بعض الصناعات التي تقوم على استغلال وتطوير الموارد الطبيعية المحلية، والصناعات التي تسدّ حاجة سوق دول المجلس،

(١) مجلة الزراعة في العالم العربي: ج٣، العدد الأول، ١٩٨٧م.

كالصناعات الغذائية، وأوصت اللجنة بأن تُعطى الصناعات الغذائية أفضلية الدراسة والمعاملة المميّزة في التنفيذ، ومنح الحوافز والتسهيلات، وتشجيع مبادرات القطاع الخاص في إقامة المشاريع في هذا المجال<sup>(١)</sup>.

**دور العامل البشري:** للعامل البشري دور في عملية التنمية، وقد حرصت الدول الاستعمارية التي حكمت المنطقة لا سيما بريطانيا على ألا تُحدث تنمية فعلية للعامل البشري والخليجي، وإبقاء أبناء المنطقة مهمّشين في حجم تأثيرهم في آلية القرار، ومعزولين عن محيطهم العربي، لأنها كانت ترى في ذلك تصحيحاً لموازن القوى المختلفة بينها وبين بلدان المنطقة. ذلك أن زيادة وعي الشعوب الخليجية من شأنه أن يقوم بدور فاعل في إدارة البلاد، وبخاصة إدارة الموارد النفطية، عبر مساءلة حكوماتها، وفي سعيها إلى التقارب مع المحيط العربي، ولن يكون ذلك في صالحها، وهي التي فضّلت التعامل مع حكومات غير منتخبة من شعوبها حتى لا تحاسبها وتفرض عليها الشروط التي ترغب فيها، ولا شك بأن هذه السياسة خدمت الدول الاستعمارية، لأنها مكّنتها من الاستفراد بحكومات البلاد المستعمرة، وإملاء السياسات عليها.

تغيّرت هذه النظرة بعد الاستقلال؛ وإن بشكل محدود، عندما أدركت دول مجلس التعاون الخليجي أهمية تنمية الإنسان الخليجي واعتباره شريكاً في عملية التنمية، فأخذت تزيد من نفقاتها على الخدمات جميعها، لا سيما التعليم، ومع ذلك فقد اضطرت بفعل محدودية حجم القوى العاملة، إلى الاستعانة بالقوى العاملة الوافدة من الخارج، والتي ظلّت تتزايد حتى وقتنا الحاضر.

وتشير الإحصاءات الأخيرة إلى أن عدد الوافدين إلى الخليج العربي بلغ اثنا عشر مليوناً ونصف المليون، أي ما يشكل ٣٨,٥٪ من مجموع عدد السكان، وأن نسبة العمالة بلغت في عام ٢٠٠٦م حوالي ٣١٪ و٥٦٪ من إجمالي العمالة فيها، وتتركز غالبية هذه العمالة في القطاع الخاص، وتستضيف المملكة العربية السعودية أكبر عدد من هؤلاء العمال<sup>(٢)</sup>.

وتُشكّل هذه الظاهرة معضلة كبيرة للتحديات السياسية والثقافية والاجتماعية التي

(١) النشرة الاقتصادية لدول مجلس التعاون الخليجي: ص ٢٦.

(٢) وطفة، علي أسعد: العمالة الوافدة وتحديات الهوية والثقافة في مجتمع دول المجتمع العربي، قضايا الراهن وأسئلة المستقبل، فصل في كتاب مجلس التعاون لدول الخليج العربية: ص ٨٠.

تواجهها بلدان مجلس التعاون الخليجي، لأنها عبر حجمها الكبير، وحضورها الضاغط في الميادين المختلفة تُؤلّد وتُعيد إنتاج نسق كبير من المخاطر الوجودية التي تتبلور في إشكالية الهوية الثقافية والاجتماعية، لأنها ترتعن بوجودها، وقدرتها على النشاط والعمل، مختلف القطاعات التي يواجهها المجتمع المحلي من جهة والمجتمع الوافد من جهة أخرى، مثل: التعليم، والبيئة، والبطالة، والتكثيف الاجتماعي، وحقوق الإنسان، والتعصّب والهجرة، والهوية، والافتراق، والخوف السياسي الذي يفرض نفسه، فيما يتعلق بحقوق التوطين والتملك.

والواقع أن الحضور المتزايد للعمالة الوافدة أدى إلى تكوّن مجتمعات صغيرة داخل المجتمعات الخليجية المحليّة، وهي تحمل سمات وخصائص المجتمعات الأصلية للعمالة الوافدة.

أما فيما يتعلق بطبيعة العمالة الوافدة، فهي على نوعين: مؤهّلة وغير مؤهّلة: تمارس الأولى، دوراً حيويّاً في عملية الإعمار والنهضة والبناء وال عمران، وتعمل الثانية، وهي الغالبة، خدم في المنازل.

إن المشكلة التي تواجهها المجتمعات الخليجية اليوم، لا تأتي من حضور تلك العمالة المؤهّلة وغير المؤهّلة، بل من تداعياتها التي تتصل بطبيعتها، وخصائصها، ومستوى تأهيلها، وطبيعة استقدامها، وتحوّلها إلى تجارة رخيصة، وإلى مصدر للربح السريع لقطاع اقتصادي ريعي يعتمد على الاتجار بهذه العمالة، واستقدامها بصورة غير مشروعة لا تتناسب مع الحاجات الفعلية للمجتمعات الخليجية المعنية<sup>(١)</sup>، ثم إن الازدياد في عددها يُشجّع على تدني الأجور إلى مستويات مأساوية، وهي تتقاطع مع أوضاع المجتمعات الآسيوية الأشد فقراً في العالم المعاصر. وتزايد هذه العمالة مع وجود ثقافة الازدراء للمهن اليدوية، ورفض موجبات التعليم النظري، والابتعاد عن التعليم المهني والفني<sup>(٢)</sup>.

إن اعتماد دول مجلس التعاون الخليجي المفرط على العمالة الوافدة هو مكلف من أوجه عدة، أهمها:

- التشوّه الثقافي: يعجّ القطاع المنزلي بالعمالة غير العربية، الأمر الذي يحرم المواطنين الخليجيين من التحدث بلغتهم أو ممارسة قيمهم في أضيّق دائرة يعيشون

(١) وطفة: ص ٧٩ - ٨٠.

(٢) المرجع نفسه: ص ٨٥.

فيها، ألا وهي المنزل، لأنهم يجدون أنفسهم مضطرين إلى اللجوء إلى لغة عربية محرّفة حتى يتم التفاهم مع الوافدين، ولا يختلف وضع الفرد الخليجي في الطرقات والأسواق والمؤسسات العامة والخاصة عن وضعه في منزله<sup>(١)</sup>.

- تسرّب مليارات الدولارات على شكل حوالات إلى الدول المُصدّرة لهذه العمالة، وحرمان الاقتصاد الخليجي منها، وبخاصة إذا علمنا أن هذه العمالة لا تفتقر إلا جزءاً يسيراً من دخلها محلياً، في حين تقوم بتحويل الجزء الأكبر من هذا الدخل إلى بلدانها الأصلية، ما يؤثر سلباً في حجم السوق في دول المجلس<sup>(٢)</sup>.

- تكاليف الخدمات التي تقدمها الدول المستقبلة لهذه العمالة، وبخاصة إذا علمنا أن تقدير كلفة العامل الأجنبي الشهرية في البحرين مثلاً حوالي ١٠٦ دولارات، ولا شك بأن هذه الكلفة هي أكبر في بلدان المجلس الأخرى، مثل المملكة العربية السعودية والكويت والإمارات العربية المتحدة، حيث حجم الدعم الحكومي للخدمات الأساس هو أكبر<sup>(٣)</sup>.

- تحمل العمالة الوافدة في طياتها محاذير سياسية وأمنية متنوعة، فقد تجد حكومات المجلس في هذه العمالة بأحجامها الكبيرة، مبرراً لعدم إحداث أي نوع من المشاركة السياسية الفعلية، كما أن هذا الوجود الكثيف والرخيص للعمالة الأجنبية، يُعدّ عاملاً مشجعاً للمواطنين على التوجه إلى النشاطات الربعية، والابتعاد عن القطاعات الإنتاجية التي تسيطر عليها هذه العمالة، ما يضع الاقتصاد المحلي في أيد غريبة، ثم إن حكومات الدول المصدرة للعمالة الأجنبية، أخذت تتنافس فيما بينها من أجل الحصول على الجزء الأكبر من أسواق دول المجلس للعمالة مع ما يرافق ذلك من ضغوط قد تؤثر في القرارات السياسية للدول المستقبلة لهذه العمالة، وتعود إلى توترات بين هذه الأقليات أو بين حكوماتها وحكومات بلدان المنطقة. ويبدو أن أخطر الآثار السياسية المترتبة على العمالة الأجنبية في دول المجلس، تتعلق بمطالبة هذه العمالة غير العربية، في ظل العولمة والقوانين الدولية بحقوق سياسية واجتماعية، ما يعني ذوبان المواطنين في هذه الدول، في أغلبية الأجنبي، وتحويلهم إلى أقلية عرقية، وأقلية في التأثير في القرارات في هذه المجتمعات<sup>(٤)</sup>.

(١) وطفة: ص ٩٢ - ٩٣. (٢) المرجع نفسه. (٣) المرجع نفسه. اليوسف: ص ١٩٦. (٤) اليوسف: ص ١٩٦ - ١٩٧.

ولعل علاج هذه الإشكالية يكمن في مزيد من التكامل بين دول المجلس من جهة، وبينها وبين المحيط العربي من جهة أخرى، وتبذل حكومات هذه الدول اليوم جهوداً حثيثة لمواجهة هذه الإشكالية التي تفرضها تداعيات العمالة الأجنبية، عبر اتخاذ إجراءات تتمثل بـ:

- وقف الوظائف على أبناء الخليج العربي .  
- نقل العمالة الوطنية من القطاع العام إلى القطاع الخاص، للتخفيف من تداعيات العمالة الوافدة الذي يُعتمد عليها بسبب انخفاض تكلفة تشغيلها، ويبدو أن عملية النقل لم تُحقق الهدف المنشود، نظراً لإحجام العمالة الوطنية عن العمل في القطاع الخاص، ولعل لذلك علاقة:

- أ - بعدم وجود غطاء قانوني يحمي حقوق العاملين في القطاع الخاص .
- ب - بعدم توفّر ظروف تنافسية بين العمالة الوطنية والوافدة .
- ج - بظروف عمل أكثر صرامة بالمقارنة مع العمل في القطاع العام<sup>(١)</sup> .
- بتنظيم دخول العمالة وفقاً لمبدأ الحاجة .
- بمحاربة تجار الكفالات غير المشروعة، والسوق السوداء، القائمة على استقدام هذه العمالة واستغلالها .

ومع أهمية هذه الإجراءات، فإن مجموعة من التحديات الاجتماعية تفرض نفسها باستمرار في ميدان الحياة الاجتماعية في المستويات: الأمنية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية .

## التحديات الأمنية الداخلية والحدودية

التحديات الأمنية الداخلية: إن قيام أي تعاون بين دول مجلس التعاون الخليجي لا بد أن يكون له عوامل إيجابية مهمة، نذكر منها:

- اتخذت دول المجلس السبل المناسبة لمنع حصول الجريمة أو التخفيف منها، وحماية الشواطئ، والحدود من المتسللين، سواء كانت أهدافهم العمل أو افتعال الفتن، وما جرى في الكويت في منتصف عام ١٩٨٤م هو دليل واضح على وجود بعض العناصر المشكوك في ولائها الداخلي للدول التي تعمل فيها، سواء حملت جنسية هذه الدول أم لم تحمل هذه الجنسية، والمعروف أن مجموعات من الشيعة تحركوا في الكويت بتأثير الحرب العراقية - الإيرانية ضد السفارتين الأميركية

(١) وطفة: ص ٨٥.

والفرنسية. وتجري اجتماعات مكثفة بين وزراء الداخلية، ووكلاء الوزارات لدول المجلس، كلما دعت الحاجة، لمناقشة الخطط الأمنية المتعلقة بهذا الموضوع، نذكر منها: الاجتماع الذي عُقد في الرياض يومي ٢٣ و٢٤ شباط ١٩٨٢م<sup>(١)</sup>، والذي سبقه اجتماع لجنة خبراء وزارات الداخلية في دول المجلس، الذين أعدوا التوصيات الأمنية التي رُفعت إلى مؤتمر وزراء الداخلية. وناقشت اللجنة جدول الأعمال الذي أعدته الأمانة العامة للمجلس، والاقترحات التي ستقدمها الوفود خلال عقد المؤتمر.

واتفق المجتمعون بعد اختتام دورة وزراء الداخلية على توقيع اتفاقية أمنية تشمل الجوانب الأمنية كافة، بفعل أن الأمن في دول المجلس، مسؤولية جماعية على عاتق دوله، وأن ما يمسُّ واحدة منها يمسُّ الجميع، كما جرى عقد بعض الاتفاقيات الأمنية الثنائية، فقد وقَّعت المملكة العربية السعودية اتفاقيات ثنائية مع أربع دول تستهدف تعزيز التعاون بينها في مجال تفعيل أمن الأفراد، وأمن الدولة، وهذه الاتفاقيات هي:

- اتفاقية أمنية بين المملكة العربية السعودية والبحرين، وقَّعت في ٢٠ كانون الأول ١٩٨١م في أعقاب اكتشاف السلطات البحرينية مؤامرة استهدفت اغتيال عدد من قادة البلاد، ونسف المنشآت الحيوية.

- اتفاقية أمنية بين المملكة العربية السعودية وقطر، وقَّعت في ٢١ شباط ١٩٨٢م لتنظيم التعاون والتنسيق الأمني بين الدولتين.

- اتفاقية أمنية بين المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة، وقَّعت في ٢١ شباط ١٩٨٢م، بهدف التعاون الأمني.

- اتفاقية أمنية بين المملكة العربية السعودية وسلطنة عُمان، تمَّ التوقيع عليها في ٢٣ شباط ١٩٨٢م.

عُدَّت تلك الاتفاقيات جزءاً من التعاون بين دول المجلس، وأتفق على عقد مؤتمرات دورية لوزراء الداخلية وخبراء من وزارات الداخلية، لتعزيز الجانب الأمني الداخلي بين أقطار المجلس.

**تحديات الأمن الدفاعي:** ركزت مؤتمرات قمم دول مجلس التعاون الخليجي على وسائل الدفاع لحماية دول المجلس من أي اعتداء خارجي، واجتمع وزراء دفاع

(١) وثائق مجلس التعاون الخليجي: ج٢ ص ٩٠ - ١٢٠، إعداد وكالة الأنباء القطرية.



دول المجلس في ٢٥ كانون الثاني ١٩٨١م في الرياض، ووضعا اقتراحات مهمة،  
طلب من رؤساء الأركان دراستها وتنفيذها خلال اجتماعاتهم المتعددة.

وبحث رؤساء الأركان في أول اجتماع لهم في الرياض بتاريخ ٢١ أيلول ١٩٨١م،  
ورقتي عمل مقدمتان من المملكة العربية السعودية وسلطنة عُمان، تتعلقان بالوضع  
الأمني في المنطقة، وموضوع التعاون العسكري بين دول المجلس، وتقرّر دعوة  
وزراء الدفاع للاجتماع، وتحديد الأولويات التي تحتاجها دول المجلس من أجل  
تأمين استقلالها وسيادتها.

وعقد وزراء الدفاع جلسة ثانية في ٢٥ كانون الثاني ١٩٨٢م، ناقشوا خلالها  
مشروعاً بإعداد قوة خليجية مشتركة، وتشكيلها من أجل إبعاد المنطقة عن الصراعات  
الدولية، وحماية دول المجلس من أي اعتداء خارجي، وحماية البيت الخليجي،  
والمعروف أنه من بين تلك الأخطار الخارجية، وجود مطامع أجنبية في أراضي  
الخليج العربية من قبل إيران بخاصة، واستعرضوا التهديدات الإيرانية لدول  
المجلس، وضرورة إنشاء مظلة دفاع جوية، متناسقة مع مظلة دفاعية تتضمن خطط  
التدريب للقتال، واستعمال السلاح، وتنويع مصادره، وضرورة اجتماع وزراء  
الخارجية لتحديد السياسة التي تناسب التدابير العسكرية.

وقد تمّ بعد إجراء هذه اللقاءات، إعداد خطط تدريبية مشتركة، تمثّلت بدرع الجزيرة  
رقم ١ الذي نُفّذ في المملكة العربية السعودية خلال أزمة عام ١٩٨٣م، وكذلك تمرين  
درع الجزيرة رقم ٢ الذي نُفّذ في المملكة العربية السعودية أيضاً في تشرين الأول  
١٩٨٤م، بالإضافة إلى التمارين الجوية والبحرية التي جرت بصورة استثنائية بين عامي  
١٩٨٣م و١٩٨٤م خلال حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران، وقد تمّ تنسيق العمل  
فيما يجب اتخاذه من تدابير تتناسب مع الوضع الحالي، مثل: التسليح، والاتصالات،  
وتوحيد الرموز والأهداف، من أجل الحصول على نتائج إيجابية أكثر فاعلية ومدى  
تقديم المساعدات المالية لبعض دول المجلس لتعزيز دفاعها الجوي والاتصالات،  
كما تمّ تقديم مساعدات مالية لسلطنة عُمان من أجل هذه الغاية.

**التحديات الحدودية:** لا تزال بعض دول مجلس التعاون الخليجي تعاني من بعض  
المشكلات الحدودية والتي تثار بين الحين والآخر، لكن دول المجلس عملت في  
مرحلة التكوين على تجميد الخلافات الحدودية بينها بفعل طبيعة وثيقة التأسيس،  
ولهذه المشكلة علاقة تاريخية، ومرتبطة بقضيتين:

**الأولى:** التنافس البريطاني - الأميركي على مناطق النفط، وترسيم الحدود تبعاً  
لذلك.

**الثانية:** الحساسيات التاريخية المعقدة بين الأُسُر الحاكمة التي يُغذيها التواجد الأجنبي، إن على شكل مستشارين مدنيين أو عسكريين أو بصورة خبراء اقتصاديين.

ولعل من أبرز قضايا النزاع الحدودي:

- النزاع البرِّي بين سلطنة عُمان ودولة الإمارات العربية المتحدة في منطقة البريمي.

- النزاع بين المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة في منطقة زرارَة، والبريمي.

- النزاع بين المملكة العربية السعودية والكويت، وبخاصة ذلك الذي يتعلق بقضية بعض الجزر.

- النزاع بين المملكة العربية السعودية وقطر.

- النزاع بين المملكة العربية السعودية وسلطنة عُمان في المناطق القريبة من مثلث البريمي والربع الخالي.

- النزاعات حول مناطق التنقيب داخل الخليج العربي بين قطر والإمارات العربية المتحدة وبين قطر والبحرين، وبين المملكة العربية السعودية والإمارات.

- النزاع بين سلطنة عُمان واليمن الجنوبي<sup>(١)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن دول المجلس قد نجحت في تسوية بعض تلك الخلافات الحدودية؛ وإن بصورة غير تامة، وأخفقت في حلِّ بعضها الآخر، وقد وصلت بعض الخلافات إلى حدِّ الصدام المسلح، كما جرى بين المملكة العربية السعودية وقطر على مركز الخفوس عام ١٩٩٢م، وقد أعلنت قطر عقب الاشتباك عن سحب قواتها العسكرية من قوات درع الجزيرة التابعة للمجلس، وقد حُلَّت تلك الأزمة بفضل الوساطة المصرية، غير أن ذلك لا يعني أن الخلافات الحدودية قد سُويت تماماً.

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها المجلس لاحتواء الخلافات الحدودية بين بعض دوله، إلا أنه أخفق في التوصل إلى نتائج إيجابية فيما يتعلق بتسوية تلك الخلافات تسوية تامة. فالنزاع التقليدي بين قطر والبحرين حول جزيرة حوار وفشت الدبيل، لم يجد المجلس حلاً له خلال دورته الوزارية التي عُقدت في آذار عام ١٩٨٢م، وتصاعد النزاع بينهما ليصل إلى حدِّ الاشتباك المسلح حول فشت الدبيل في أواخر الثمانينات من القرن الماضي، ووصله إلى المحكمة الدولية التي أصدرت

(١) الرواشدة: ص٥٧ - ٥٨.

قراراً يوم الجمعة ١٦ آذار ٢٠٠١ م يتضمّن ما يأتي:

- لقطر حق السيادة على: الزبارة وجزيرة جنان وحد جنان، وفشت الديبل.

- للبحرين حق السيادة على: حوار، وجزر حوار، وجزيرة منطقة جرادة.

- يحق لسفن دولة قطر حق المرور السلمي في المياه الإقليمية للبحرين بين جزر حوار والجزر البحرينية الأخرى.

ويُعد ذلك سابقة خطيرة، لأن الدولتين عضوين في المجلس وقضيتهما قضية داخلية، وهذا يعني صعوبة حلّ النزاعات الحدودية داخل المجلس، وذلك نظراً لما تثيره من حساسيات عند طرحها في إطار جماعي، ومن الأفضل أن يعمل المجلس على إخراج هيئة تسوية النزاعات لتسوية ما ينشعب من خلافات آنية ومستقبلية، وبخاصة أن صلاحيتها النظر في الخلافات التي تنشعب بين الدول الأعضاء في المجلس<sup>(١)</sup>.

## التحديات الأمنية الخارجية

فرض السيطرة الغربية: إن علاقة دول الغرب بعامّة والولايات المتحدة الأميركية بخاصة بحكومات مجلس التعاون الخليجي، معقدة ومتشابكة، نظراً لتعدد أبعادها، وتضاربها أحياناً. ويحاول الغرب نشر مبادئ الديمقراطية، وحقوق الإنسان، غطاءً للتدخل والمحافظة على مكتسباته ومصالحه عبر إقامة قواعد عسكرية، والدفاع عن أنظمة المجلس، وبيعها السلاح، لذلك ينبغي وضع العلاقة بين الطرفين في إطار المبادئ والمصالح، والمعروف أنه في العلاقات الدولية تتصدّر المصالح على المبادئ، وبخاصة فيما يتعلق بالنفط والكيان الصهيوني.

وهناك رؤيتان غريبتان فيما يتعلق بنوع السياسة الغربية تجاه منطقة الخليج العربي بعامّة ودول مجلس التعاون الخليجي بخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي:

**الأولى:** تستند على عدم التدخل العسكري أو السياسي، لأن الهدف هو تدفق النفط، ولا يتحدّد ذلك بقرارات سياسية بقدر تأثره بالعرض والطلب، ويطلب أصحاب هذه الرؤية بمزيد من البحث عن النفط في مناطق أخرى من آسيا وغيرها، ليتراجع بذلك تأثير دول مجلس التعاون الخليجي في سوق النفط.

**الثانية:** يتبنّى أصحاب هذه الرؤية القول بأن عدم التدخل العسكري أو السياسي ينمُّ عن مخاطر كبيرة، منها:

(١) قاسم: ج٥ ص١٢٩ - ١٣٠.

- عدم القدرة على مواجهة النقص في كميات النفط المعروضة خلال المدى القصير، كما حدث عندما قامت المملكة العربية السعودية بتغطية النقص الذي حصل عند احتلال العراق للكويت.

- احتمال تداخل قضية الصراع العربي - الصهيوني مع إنتاج النفط، كما حدث خلال حرب تشرين الأول عام ١٩٧٣م، عندما أوقفت دول الخليج العربية تصدير النفط تضامناً مع دول المواجهة مع الكيان الصهيوني، وبخاصة في ظل تعثر عملية السلام في الشرق الأوسط.

- قد ينتج عن ابتعاد الولايات المتحدة الأميركية عن المنطقة، فقدانها المكاسب المالية التي تُحقِّقها علاقاتها الحالية بدول المجلس، التي تتمثل بمليارات الدولارات من الأرصدة الحكومية، وبخاصة المستثمرة في سندات الخزانة الأميركية، أو في سوق المال الأميركي، وفي صفقات السلاح الكبيرة التي تحرك الاقتصاد الأميركي.

- احتمال قيام دول مجلس التعاون الخليجي المنتجة للنفط بتسعير صادراتها النفطية بعملة غير الدولار، ما يؤدي إلى انخفاض قيمته وزيادة تكاليف الواردات الأميركية من الطاقة، ما ينعكس سلباً على الاقتصاد الأميركي<sup>(١)</sup>.

يتضح مما سبق أن مصالح كثيرة تدفع الولايات المتحدة الأميركية بخاصة للتواجد في منطقة الخليج العربي، كما أن هذه الدولة منذ اكتشاف النفط لم تهتم كثيراً بقضية الحقوق السياسية لأبناء المنطقة، بل إنها وقفت بصلافة ضد كل محاولات الإصلاح السياسي، وعلى الرغم من أن المشاركة السياسية قد تؤدي إلى استقرار المنطقة في المدى البعيد، إلا أن الغرب، بما فيه الولايات المتحدة الأميركية، يُركِّز اهتمامه على انعكاسات المشاركة السياسية في حال حصولها على موازين القوى بين الشعوب والحكومات، وأثر ذلك على مواقف هذه الحكومات تجاه الغرب ومصالحه، ولا شك بأن ذلك سيكون على حساب المصالح الغربية<sup>(٢)</sup>.

وحرص رؤساء الولايات المتحدة الأميركية عبر العقود الماضية على التأكيد على المحافظة على الأنظمة الخليجية وحماتها من أي تهديد داخلي أو خارجي، ونتيجة لذلك زادوا تباعاً قواتهم البحرية، في شرقي المتوسط والخليج العربي.

وتوالى السياسات الغربية على هذا الشكل، لفرض سيطرتها على المنطقة، ومنع أية تطورات تُغيِّر من موازين القوى لصالح شعوبها أو أية قوى إقليمية أو دولية أخرى<sup>(٣)</sup>.

(١) اليوسف: ص ٢٥٥ - ٢٥٧.

(٢) المرجع نفسه: ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

(٣) المرجع نفسه: ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

**الخطر الإقليمي:** رأت الولايات المتحدة الأميركية أن الانسحاب البريطاني من الخليج العربي في بداية السبعينات من القرن الماضي، سترك فراغاً أمنياً، وبخاصة مع انهماكها في حرب فيتنام، الأمر الذي دفع إدارتها إلى تزويد شاه إيران بالسلاح المتطور، وتكليفه بدور حامي أمن الخليج، وهذا ما قام به الشاه خلال المدة بين عامي ١٩٧٠م - ١٩٧٩م قبل أن يسقط على يد الثورة الإسلامية التي قادها الإمام الخميني، فكان أحد دعائم المصالح الغربية في الخليج العربي، وخط الدفاع الأول عن المنطقة ضد الاتحاد السوفياتي.

الواقع أن سياسة الولايات المتحدة الأميركية كانت تعتمد على المملكة العربية السعودية وإيران كمحورين موالين لسياستها، لكن إيران ظلّت القوة المهيمنة نظراً إلى ضعف النظام السعودي بالمقارنة مع قوة نظام الشاه، وعدم قدرته على أخذ زمام المبادرة لقيادة المنطقة.

وهكذا تلقى شاه إيران أسلحة أميركية بقيمة أربعة عشر مليار دولار، استخدم بعضها في مساعدة القوات العُمانية في حربها ضد ثورة ظفار آنذاك، وقد تلقت المملكة العربية السعودية صفقات مشابهة، إلا أن التركيز كان على إعداد الأمن الداخلي والحرس الوطني<sup>(١)</sup>.

**تداعيات الحرب العراقية - الإيرانية:** وجدت الولايات المتحدة الأميركية نفسها بعد سقوط الشاه في حاجة إلى سياسة أمنية جديدة هدفها احتواء الثورة الإيرانية التي ناصبتها العداء، والتأكد من عدم تأثيرها في موازين القوى في المنطقة، ثم جاء الاحتلال السوفياتي لأفغانستان ليثير مخاوفها على مصالحها في الخليج العربي، ما دفع الرئيس الأميركي جيمي كارتر بتاريخ ٢٣ كانون الثاني ١٩٨٠م، إلى وضع «استراتيجية» أميركية عُرفت بـ«استراتيجية كارتر»، هدفها حماية المصالح الأميركية في الخليج العربي، بمختلف الوسائل. وتبع هذه «الاستراتيجية» تشكيل قوة الانتشار السريع التي كان من المتوقع أن تُشكّل نواة الوجود العسكري الأميركي في المنطقة. واستمر العمل بهذه «الاستراتيجية» في ظل إدارة الرئيس الأميركي رونالد ريغن، التي زوّدت المملكة العربية السعودية بأسلحة متطورة، وقد حرصت كذلك على التأثير في الحرب العراقية - الإيرانية، فكانت موافقها تتأرجح وفق مسار الحرب<sup>(٢)</sup>، فحاولت التقرب من صدام حسين فزوّدته بالقروض والمعلومات والأسلحة.

ودفع خطف الرهائن الأميركيين في لبنان آنذاك، ودحر الهجوم الإيراني؛ الولايات المتحدة الأميركية، إلى تأدية دور لفكّ الحصار عن إيران، عبر بيعها

(٢) المرجع نفسه: ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

(١) اليوسف: ص ٢٦٦ - ٢٦٨.

أسلحة متطورة، وقد راهنت على ظهور جناح معتدل في إيران، وهكذا انفجرت فضيحة «إيران - كونترا»، التي كشفت أن المصالح قد تسبق المبادئ.

وفي الوقت الذي كانت فيه الحرب دائرة بين العراق وإيران لتحديد القوة الإقليمية الأقوى في منطقة الخليج العربي، كانت إيران الثورة تحاول الضغط على دول الخليج العربية للسير في ركبها، والقبول بهيمنتها، والتشاور معها في رسم السياسة الإقليمية، كما كان يحصل أيام الشاه، وتقليد النموذج الثوري الإيراني، وقطع علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية.

ويبدو أن هذا الخطاب الثوري لم يؤثر كثيراً في الشارع الخليجي، باستثناء بعض صور الاحتجاج التي عبّرت عنها بعض الأقليات الشيعية في المنطقة، وقد تمّ استيعابها.

والواضح أن إخفاق هذه الشعارات في التأثير في الغالبية السنيّة من العرب، مرّدّه إلى شعور هؤلاء بالصبغة الشيعية والفارسية لهذه الثورة الإيرانية، ومعاملتها المجحفة للأقليات السنيّة في إيران.

وعندما فشلت إيران في فرض خططها عبر خطابها الثوري، لجأت إلى وسائل العنف، مثل تفجير السفارات، والمجمعات الصناعية، والمرافق النفطية، في المملكة العربية السعودية والبحرين والكويت، ما أوجد نفوراً منها، ولم تسقط الأنظمة الخليجية كما كانت تتمنى<sup>(١)</sup>.

**تداعيات الغزو العراقي للكويت:** انتهت الحرب العراقية - الإيرانية في عام ١٩٨٨م بتكاليف بشرية تزيد على مليون قتيل، ومادية تصل إلى مئات المليارات من الدولارات وتدمير البنية السياسية في الدولتين، علماً بأنه مع نهاية الحرب، لم يتغير شيء يُذكر في الحدود بين البلدين، ولم تستطع إيران أن تستقطب الشارع العربي أو الإسلامي بأسلوبها الثوري، ما خلق معسكرين إيرانيين:

**الأول:** ثوري، هدفه المحافظة على الثورة وتصديرها، ويتطلب ذلك إعادة التسليح.

**الثاني:** رأى ضرورة تصحيح المسار عبر كسر العزلة التي تعانيها إيران، وبناء اقتصاد قوي ومتين، ومجتمع مترابط.

وتبنّى العراق توجهاً خطيراً كان كارثياً على أمن دول مجلس التعاون الخليجي، وبغض النظر عن المبررات، لم ينتج عن انتهاء الحرب العراقية - الإيرانية استقرار في المنطقة، لأن بذور أزمة جديدة أخذت تطل برأسها بتأثير خارجي وداخلي.

(١) اليوسف: ص ٢٧٠ - ٢٧١.

أما التأثير الخارجي، فيتمثل في اللقاء الذي جرى بين صدام حسين والسفيرة الأميركية إبريل غلاسي يوم ٢٥ تموز ١٩٩٠م، حيث أكدت السفيرة الأميركية لصدام حسين بأن إدارة الرئيس الأميركي جورج بوش، حريصة على إقامة علاقات جيدة مع نظامه، وأنها تعارض المقاطعة الاقتصادية للعراق، وليس لها موقف معين تجاه الخلافات العربية؛ كالخلاف بين العراق والكويت، ويبدو أنها لم تستقرئ نوايا صدام حسين وتوجهاته في علاقته مع الكويت.

فقد خرج العراق من الحرب وهو منهك، ومثقل بالديون الخارجية، للدول الغربية، والاتحاد السوفياتي، وبعض دول مجلس التعاون الخليجي مثل: المملكة العربية السعودية والكويت والإمارات العربية المتحدة.

كانت الحكومات الخليجية تساعد صدام حسين في حربه ضد إيران، وترى في وقوفه أمام النظام الإيراني الجديد، ردعاً له، وحماية لها من أطماعه، وبالتالي كان من المتوقع أن تسلك سياسة ليّنة في تعاملها معه بعد نهاية الحرب، لكن عدم إسقاطها ديون العراق، وإصرارها على تسديدها، ومن خلال اتباع سياسة نفطية، ساهمت في انخفاض أسعار النفط؛ دفعته إلى غزو الكويت.

ورأت الولايات المتحدة الأميركية أن غزو صدام حسين للكويت، سيُمكنه من فرض سياسات الطاقة المستقبلية ما يؤثّر على استقلال أميركا الاقتصادي، وتمّ الحديث عن تحرير الكويت، والرغبة في نشر الديمقراطية، ومحاربة الإرهاب، كمبرر لقيام تحالف دولي، وبدأت عملية «درع الصحراء» التي انتهت بإخراج العراق من الكويت.

كان كل من الكيان الصهيوني وإيران، المستفيد الأول من غزو العراق للكويت وما تبعه من انعكاسات؛ مثل تدمير القوة الميدانية للجيش العراقي، إذ انخفض عديده من ١,٤ مليون جندي قبل الحرب إلى ٤٧٥ ألف جندي مع نهاية الحرب، وتراجعت النفقات العسكرية العراقية من ٢٦,٤ مليار دولار إلى ملياري دولار خلال المدة نفسها<sup>(١)</sup>، وعلى الرغم من أن العراق لم يكن دولة مواجهة، إلا أن قواته كانت تخيف الكيان الصهيوني؛ نظراً إلى إمكان استخدامها في مدة قصيرة.

وأوجد الغزو العراقي للكويت فجوة كبيرة في الصف العربي، جعلت إيران تشعر لأول مرة أن حكومات مجلس التعاون الخليجي تنظر إليها كقوة موازنة في مواجهة العراق، وقد أعلنت أجهزة الأمن الإيرانية، الكويت بالغزو العراقي قبل حدوثه بساعات. واستثمرت إيران هذا الغزو لاتهام العراق أمام الرأي العام العالمي بأنه

(١) اليوسف: ص ٢٧٩.

هو مصدر عدم الاستقرار في المنطقة، وكانت تساعد الولايات المتحدة الأمريكية سرّاً بأكثر من طريقة، منها السماح للطائرات الأمريكية باستخدام الأجواء الإيرانية، ورفض إعادة الطائرات العسكرية التي نقلها العراق إلى إيران في بداية الغزو لحمايتها، وغيرها من أشكال المساعدة، الأمر الذي دفع جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكية إلى الثناء على الدور الإيراني الإيجابي. وقد هدفت إيران إلى إضعاف العراق كقوة إقليمية منافسة لها، وإقناع الولايات المتحدة الأمريكية، بأهمية منحها شيئاً من الحرية في ترتيب وإدارة شؤون المنطقة، غير أن التقارب الإيراني مع حكومات دول مجلس التعاون الخليجي في أعقاب ضرب العراق، لم يستمر طويلاً لأن هذه الحكومات اتجهت في ظل ضغوط واشنطن، إلى توقيع اتفاقيات أمنية ثنائية معها؛ عدّتها إيران أنها موجهة ضدها، كما استغلّت الولايات المتحدة الأمريكية فرصة وجود التحالف العربي مع الغرب، ونهاية الحرب الباردة، لبدء مفاوضات سلام بين الفلسطينيين والكيان الصهيوني، فكان مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الأوسط؛ الذي دُعيت إليه كثير من القوى الدولية والإقليمية باستثناء إيران، وقد أدى هذا التجاهل بعد أن ساعدت إيران على إطلاق سراح الرهائن الأميركيين في بيروت، وأدّت دوراً غير مباشر في إنجاح الحرب الأمريكية على العراق؛ إلى الشعور بالإهانة، فانبثرت للتصدي للمشاريع الأمريكية في الخليج العربي والمنطقة العربية، وعادت إلى انتهاج أسلوب المواجهة، وتحوّلت نبرتها إلى التشدد، وقادها ذلك لاحقاً إلى إيجاد موطئ قدم لها في لبنان حتى جاء الرئيس خاتمي إلى الحكم في إيران عام ١٩٩٧م حاملاً معه رؤية إقليمية مغايرة، فطرح مديحاً جديداً لتعامل إيران مع دول الخليج العربية والمحيط العربي، عبر تعايش إدارته مع حكوماتها في ظل وجود أميركي يحفظ موازين القوى في المنطقة، غير أن إيران عادت إلى انتهاج سياسة متشددة في عهد أحمددي نجاد.

**أهداف إيران النووية:** أدّت الظروف السياسية إلى تزايد النفوذ الإيراني خلال الأعوام الماضية في المجالين الخليجي والعربي، وإن السبب لهذا التوسع أو الاختراق الإيراني، هو العجز المزمّن الذي يعانيه النظام الإقليمي العربي، ما جعله غير قادر على مواجهة التحديات التي تفرضها عليه الصراعات العالمية والإقليمية، ولا شك بأن إصرار إيران على تفعيل برنامجها النووي وما قد يتمخض عنه من مزيد من الاختلال في موازين القوى الخليجية والعربية، وانعكاسه في الأعوام القادمة؛ يتطلب تسليط الضوء على توجهات وانعكاسات تطوره.

الواقع أن تطور المشروع النووي الإيراني تجاوز المرحلة الحرجة، وأن المسألة



تبقى قضية وقت قبل أن تنتج إيران أسلحة ذرية، ويكمن هدف المشروع في التوجهات الآتية:

- تحقيق الهيمنة والتوسع: كانت إيران وما زالت حريصة على فرض هيمنتها في منطقة الخليج العربي، وأداء دور أساس في توجهات المنطقة وسياساتها والتأثير في المحيط العربي، وظلَّ العراق يُمثِّل رادعاً لهذه الطموحات الإيرانية حتى تمَّ إضعافه في حرب تحرير الكويت واحتلاله بعد ذلك في عام ٢٠٠٣م، ومع ذلك فإن امتلاك إيران للسلاح النووي سيكون رادعاً لأي نظام عراقي قادم، وسيُمكنها من فرض هيبتها، وتأثيرها في دول المنطقة عبر ضغوط مختلفة ستستثمرها في الحرص على التواجد في التكتلات الإقليمية، وفي إعاقة أي تواصل بين بلدان الخليج العربية، وبقية البلدان العربية، وسيجعلها القوة الإقليمية الأولى في المنطقة، إذا استمر العالم العربي على معطياته الحالية، وسيعطي دفعة قوية للأقليات الشيعية في المنطقة<sup>(١)</sup>.

- تحقيق الردع: إن امتلاك باكستان للسلاح النووي، من شأنه أن يُهدِّد إيران من الشرق، وتعدُّ إيران القبلة الذرية الباكستانية قبلة سُنِّية، وتشكِّل خطراً باكستانياً - أفغانياً على حدودها الشرقية، ويعني ذلك أنها حريصة على تطوير سلاحها النووي من أجل ردع باكستان وأفغانستان، وإيجاد نفوذ لها في منطقة آسيا الوسطى لاعتبارات عقائدية «استراتيجية».

- مواجهة التفوق الأميركي والصهيوني: حرصت إيران على امتلاك السلاح النووي من أجل ردم الفجوة التي يعاني منها كثير من دول الشرق الأوسط في مجال الأسلحة التقليدية، ومواجهة الدول الكبرى وبخاصة الولايات المتحدة الأميركية، بالإضافة إلى الكيان الصهيوني الذي يمتلك أسلحة ذرية، وقد سرَّع الوجود الأميركي في كل من العراق وأفغانستان والبرنامج النووي الصهيوني؛ من وتيرة هذا التوجه، والمعروف أن الولايات المتحدة الأميركية والدول الغربية ظلَّت، منذ سقوط نظام الشاه، تحاول منع أية دولة خليجية من الهيمنة على منطقة الخليج العربي، وفي المقابل، ظلَّت الدول الإقليمية تسعى جاهدة إلى الحصول على دور لها في تحديد مصير هذه المنطقة الحيوية للعالم، وعلى الرغم من الضجة والنبرة العالية من الغرب تجاه المفاعل النووي الإيراني، فليس مستبعداً أن يحدث تفاهم في المستقبل يسمح لإيران بموجبه بتحقيق أطماعها النووية إذا وافقت على تأدية دور إيجابي في حفظ مصالح الولايات المتحدة الأميركية في المنطقة، وبخاصة أنه تبيَّن للغرب أن وقف جهود إيران النووية في هذه المرحلة، قد أضحى غير ممكن إلا بمواجهة عسكرية قد

(١) اليوسف: ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

تكون مكلفة، وقد تضطر الولايات المتحدة الأميركية إلى الاعتراف بإيران النووية دولة إقليمية فاعلة ذات تأثير في أحداث المنطقة، ويكون ذلك على حساب الدول العربية بعامة ودول الخليج العربية بخاصة، وسيأخذ البديل لهذا الاعتراف صوراً مختلفة من العنف والمقاومة ضد الوجود الأميركي في المنطقة الذي كان سائداً قبل عام ١٩٩٦م، وإجهاض جهود السلام، وقطع إمدادات النفط عبر مضيق هرمز<sup>(١)</sup>.

## التحديات السياسية

تحكم جميع دول مجلس التعاون الخليجي أنظمة وراثية، أي أن السلطة وقف على أسرة بعينها، وهي صاحبة الحق النهائي في اتخاذ القرارات المهمة، وتستمد شرعيتها من دساتيرها؛ باستثناء الدستور الكويتي الذي يُقيد نسبياً سلطات الأسرة الحاكمة<sup>(٢)</sup>، وعلى الرغم من حصول بعض المشاركة الشعبية في بلدان المجلس منذ السبعينات من القرن الماضي، إلا أن هذه المشاركة تبقى خجولة وغير مجدية أحياناً، وتتفاوت بين دولة، ودولة أخرى، بين أعلى درجة كما في الكويت، وأدنى درجة كما في الإمارات العربية المتحدة.

وتُبرر الأسر الحاكمة ذلك بأن المجتمعات الخليجية هي مجتمعات قبلية، وأن نظمها الحالية هي إفرات لهذا النظام القبلي. وتُعاني دول المجلس من هشاشة النظام السياسي الذي أدّى إلى:

- ضعف متزايد واختلال في موازين القوى في الوقت الذي تستمر فيه الدول الإقليمية في تصحيح مسارها.
- تزايد وعي شعوبها، ومطالبتها بتحسين مستوى معيشتها ما سيقودها إلى المطالبة بحقوقها كاملة.

- عدم استقرارها سواء فيما يتعلق بالابتزاز الخارجي أو بالتدخل الداخلي.  
ولا شك بأن حكام دول المجلس حاولوا ولا يزالون يحاولون عبر قنوات مختلفة، تصحيح المسار، مثل توزيع جزء من الثروة، وتحسين تقديم الخدمات الاجتماعية، لكن هذه الخطوة تبقى ناقصة.

وهناك مخرج لتصحيح المسار يتمحور حول:

- تطوير الأنظمة الخليجية بما يتلاءم مع العصر.

(١) اليوسف: ص ٣١١ - ٣١٢. المرهون، عبد الجليل زيد: الخليج ونذر الحرب الرابعة: ص ٢٥٤ - ٢٥٩، فصل في كتاب مجلس التعاون لدول الخليج العربية، قضايا الراهن وأسئلة المستقبل.

(٢) دستور الكويت: ص ٨٠٧.

- إجراء انتخابات مجالس وطنية تنبثق منها هيئات تقترح دساتير متطورة.
- السماح بإنشاء الجمعيات والأحزاب<sup>(١)</sup>.

## أهمُّ المحطات الإصلاحية

يتضمَّن واقع الإصلاح السياسي في دول مجلس التعاون الخليجي بعض المحطات الإصلاحية في المجال السياسي، نذكر منها:

**المملكة العربية السعودية:** ظلَّت هذه المملكة منذ تأسيسها حتى عام ١٩٩٢م من دون قانون أساسي، ففي ذلك العام أجاز الملك فهد القانون الأساسي الذي يُحدِّد واجبات الحكومة ومسؤولياتها، ولم يبدأ العمل به إلا في عام ١٩٩٣م، ويمثل مجلس الشورى السلطة التشريعية، وأعضاؤه ليسوا منتخبين بل يُعينون لمدة أربع سنوات، ويقتصر دوره على الناحية الاستشارية. وأعيد تشكيل لجانه المتخصصة في عام ١٩٩٩م التي تتولى: الشؤون الثقافية، والإعلامية، والصحية، والاجتماعية، والخارجية، والأمنية، وتنظيم الإدارة، والاقتصادية، والمالية، والخدمات، والمرافق العامة. ودرست المملكة في عام ٢٠٠٢م إمكان توسيع صلاحياته ليقوم بدور أكبر من مجرد تقديم المشورة للحكومة.

وأعلن الملك عبد الله في أوائل عام ٢٠٠٣م عن إنشاء منظمة مستقلة لحقوق الإنسان، ومنح مجلس الشورى صلاحية مناقشة التشريعات والسياسات تلقائياً، كما أقرَّ إجراء نص حول تشكيل مجلس لكل بلدية مؤلف من أربعة عشر عضواً يُنتخب نصفهم.

وأعلنت الحكومة في عام ٢٠٠٤م عن إنشاء اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان، وتتألف في أغلبها من مسؤولين حكوميين. وتسير المملكة بخطى ثابتة نحو مزيد من الإصلاحات.

**الإمارات العربية المتحدة:** تُعدُّ هذه الإمارات من أوائل الدول الخليجية التي صاغت دستوراً مؤقتاً في ٢ كانون الأول ١٩٧١م، ولكنه لم يتحول إلى دستور دائم إلا في ٢ كانون الأول ١٩٩٦م، وقد تأسَّس بموجبه المجلس الاتحادي في عام ١٩٧١م، وهو يتألف من أربعين عضواً مُعينين من قِبل حكام الإمارات السبع لمدة سنتين.

وتحتاج الحياة التنظيمية في الإمارات، مثل تأسيس الجمعيات الأهلية، إلى موافقة

(١) اليوسف: عندما تصبح السلطة غنيمة، حالة مجلس التعاون الخليجي: ص ١١٩، فصل في كتاب مجلس التعاون لدول الخليج العربية، قضايا الراهن وأسئلة المستقبل.

الحكومة، أما بالنسبة للحياة الحزبية، فإن الأحزاب السياسية محظورة، وتُظهر جميع التطورات في دولة الإمارات أنه من الصعب الحديث عن وجود تطور ديمقراطي خلال السنوات الأخيرة، ويبدو ممكناً حصول إصلاح سياسي جذري في المستقبل القريب<sup>(١)</sup>.

سلطنة عُمان: صدر القانون الأساسي في سلطنة عُمان في ٦ تشرين الثاني ١٩٩٦م، ونصَّ على تأسيس برلمان من مجلسين، أحدهما مُعيَّن من السلطات ويتكوَّن من ثمانية وأربعين عضواً ويُسمَّى مجلس الدولة، والآخر منتخب، ويُسمَّى مجلس الشورى، ويبلغ عدد أعضائه اثنين وتسعين عضواً، لولاية مدتها ثلاث سنوات، ويحتفظ السلطان بالسلطة النهائية في العملية الانتخابية، ويُمكنه إلغاء نتائج الانتخابات، والمعروف أن الهيئات التشريعية لا تعمل إلا بصفة استشارية، ولبعضها صلاحية اقتراح التشريعات، وقد أُجريت أول انتخابات لمجلس الشورى عام ٢٠٠٠م، وتمَّ خلالها تخفيض سنِّ الناخبين من ثلاثين سنة إلى إحدى وعشرين سنة، كما جرت انتخابات في ٤ تشرين الأول ٢٠٠٣م، وتمَّ خلالها منح حق التصويت العام للرجال والنساء، وكانت أول انتخابات لمجلس الشورى بالاقتراع المباشر، وأول انتخابات تُعطى للمرأة فيها حق الانتخاب. ويتواصل السلطان مباشرة مع شعبه عبر تجواله سنوياً من مكان إلى آخر في أنحاء البلاد، حيث يعقد اجتماعات معهم يستمع خلالها إلى مطالبهم<sup>(٢)</sup>، يُعدُّ ذلك أحد مظاهر الديمقراطية.

قطر: أنيطت السلطة التشريعية في قطر بمجلس الشورى المؤلف من ثلاثين عضواً منتخبين، وخمسة عشر عضواً يتم تعيينهم من قِبل الأمير، ولا يتمتع هذا المجلس بصلاحيات واسعة في مجال التشريع، ومساءلة الوزراء، وحجب الثقة عنهم. وأُجريت انتخابات المجلس البلدي المركزي الأول في عام ١٩٩٩م بمشاركة النساء لأول مرة، كما جرت انتخابات نيابية عامة لاختيار أول مجلس تشريعي في تاريخ البلاد، وأقرَّ الدستور القطري الجديد في استفتاء عام يوم ٢٩ نيسان ٢٠٠٣م، وأعطى صلاحيات تشريعية مُحدَّدة، وعُيِّنت في العام نفسه أول وزيرة في تاريخ قطر والخليج العربي، ونُشر الدستور في الجريدة الرسمية عام ٢٠٠٤م، وصدرت في

(١) الهياجنة، عدنان محمد: هل للديمقراطية مستقبل في دول الخليج العربية: ص ١٣، فصل في كتاب مجلس التعاون لدول الخليج العربية، قضايا الراهن وأسئلة المستقبل.

(٢) المرجع نفسه: ص ١٢٧ - ١٢٨.

العام نفسه، قوانين تسمح بتشكيل الجمعيات المهنية لأول مرة في تاريخ قطر، كما مُنح العمال الحق في تكوين تنظيمات عمالية، وأُجيز عقد الاجتماعات العامة، وتنظيم المسيرات بترخيص مسبق. ودخل أول قانون دائم حيز التنفيذ في قطر في عام ٢٠٠٥م، ومن أهم بنوده تشكيل مجلس شورى بصلاحيات تشريعية واسعة.

إن مستقبل الإصلاح السياسي في قطر يتجه إلى السعي لخلق صورة سياسية دولية، تشير إلى أنها دولة آخذة بالتَّظُم الديمقراطية، حيث شهد عامي ٢٠٠٥م و٢٠٠٦م عدداً كبيراً من المؤتمرات الدولية التي تدعو إلى الإصلاح السياسي ليس في قطر فقط، بل في العالم العربي كله، وقد خطت قطر خطوات سياسية متقدمة مقارنة بغيرها من دول المجلس.

**الكويت:** أقر الدستور الكويتي في ١١ تشرين الثاني ١٩٦٢م، وتأسس مجلس الأمة الذي يمثل الهيئة التشريعية عام ١٩٦٣م، وتألّف من خمسين عضواً منتخبين، ومن خمسة عشر وزيراً غير منتخبين، وهم يشاركون في أعمال المجلس بحكم وظيفتهم، وللأمير حق تعليق أو تعطيل عمل مجلس الأمة، وتُدار البلديات غالباً من قبل مجالس بلدية، ويتألّف المجلس البلدي من ستة عشر عضواً، عشرة منهم منتخبين، وستة يُعينهم الأمير. وقد قام بعض أعضاء مجلس الأمة بممارسة بعض صلاحياتهم على صعيد مساءلة الحكومة، كما حصل في عام ٢٠٠٢م، حيث اتَّهم أعضاء في المجلس وزير التعليم بعدم تطبيق قانون ينص على الفصل بين الجنسين في الجامعات بالشكل المطلوب، ونلاحظ فيما يتعلق بالانفتاح السياسي، عدم وجود أحزاب رسمية بل تنظيمات لجماعات من العشائر، والتجار، والناشطين المعتدلين، والعلمانيين والقوميين، وعلى الرغم من عدم اعتراف السلطات الكويتية بالأحزاب السياسية، وعدم وجود قانون يرهاها؛ فقد أُعلن في ٢٩ كانون الثاني ٢٠٠٥م عن تشكيل حزب الأمة بوصفه أول حزب سياسي في دولة الكويت والخليج العربي، وكان طبيعياً أن ترفض الحكومة الكويتية الترخيص لهذا الحزب.

ونشطت عملية الإصلاح السياسي في الكويت عقب الغزو العراقي لهذا البلد، وكانت قد تطورت بالبُعدين الإيجابي والسلبي عبر السنوات الماضية، وتعتمد الآن على العوامل الداخلية ذات العلاقة الوطيدة بعملية الإصلاح السياسي، مثل: إعطاء تنازلات من الأسرة الحاكمة للشعب الكويتي.

**البحرين:** على الرغم من أن الدستور البحريني أضحى نافذ المفعول في ٦ كانون الأول ١٩٧١م، إلا أنه عُلق عام ١٩٧٥م، وكذلك الأمر بالنسبة إلى السلطة التشريعية، والمعروف أنه جرى إنشاء مجلس وطني في حزيران ١٩٧٢م، وتولى مجلس الوزراء السلطة التشريعية،

إلى أن تمَّ تأسيس مجلس شورى في ٦ كانون الأول ١٩٩٢م مُكوَّن من أربعين عضواً يتم اختيارهم بالتعيين، يتمتع بحق اقتراح التشريعات. ومع تولّي الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة مقاليد الحكم في عام ١٩٩٩م، أُعطيت المرأة حق التشريع والانتخاب في المجالس النيابية، كما اتخذ النظام بعض التدابير الهادفة إلى التمهيد لعودة الحياة النيابية، نذكر منها:

- تشكيل اللجنة الوطنية العليا لإعداد مشروع ميثاق العمل الوطني، وقد أقرَّ في ١٥ شباط ٢٠٠١م في استفتاء شعبي، وأهم ما جاء فيه:

أ - تعديل اسم البحرين من دولة البحرين إلى مملكة البحرين.

ب - إصدار عفو عام عن جميع السجناء السياسيين الموقوفين بسبب الاضطرابات المدنية التي وقعت في عقد التسعينات.

ج - إلغاء القانون الخاص بأمن الدولة لعام ١٩٧٤م.

د - الترخيص لإحدى عشرة جمعية سياسية جديدة عام ٢٠٠١م.

هـ - تمَّ التعديل الأول للدستور في شباط ٢٠٠٢م ليشمل تأسيس هيئة تشريعية مؤلفة من مجلسين<sup>(١)</sup>.

وأُجريت في ٣ أيار ٢٠٠٢م انتخابات المجالس البلدية لأول مرة منذ عام ١٩٧٣م، كما أُجريت في تشرين الأول من العام نفسه انتخابات مجلس النواب لأول مرة منذ سبعة وعشرين عاماً، وهي أول انتخابات حصلت فيها المرأة البحرينية على حق التصويت والترشيح للمجلس النيابي.

واتخذت السلطات البحرينية إجراءات إيجابية جديدة تجاه الإصلاح في عام ٢٠٠٤م، عبر إصلاح القضاء، فعينت قضاةً جدداً ونواب قضاة، وسرّعت إجراءات المحاكم. وأنشأ ملك البحرين في ١٦ تموز ٢٠٠٥م قانوناً لإنشاء الجمعيات السياسية على أساس غير طبقي أو طائفي أو فئوي أو جغرافي أو مهني.

ويُعدُّ الإصلاح السياسي الذي بدأ في البحرين منذ عام ٢٠٠١م، نوعياً ومهماً، وبخاصة تطور حقوق الإنسان، والحريات، مقارنة بالسنوات التي سبقت العام المذكور.

(١) الهاجحة: ص ١٢٤ - ١٢٥.

## ثبت المصادر والمراجع

### أ - المصادر والمراجع باللغة العربية

- أباطة، فاروق عثمان:
- بريطانيا والحركة الوطنية في الشطر الجنوبي من اليمن، ١٩٣٩ - ١٩٦٧ م، ١٩٨٨ م.
- الحكم العثماني لليمن، الإسكندرية، ١٩٧٥ م.
- العلاقات البريطانية اليمنية بين الحربين العالميتين ١٩١٤ - ١٩٣٩ م، مصر، دار المعارف.
- إبراهيم، إبراهيم:
- أثر النفط على قيام دولة الإمارات، بحث في كتاب: تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة، الفصل السادس، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٣، ١٩٨٦ م.
- أحمد، أحمد يوسف:
- الأبعاد الوطنية والقومية للوحدة اليمنية، مجلة كلية القادة والأركان، صنعاء العدد ٤، أيلول، ١٩٩٠ م.
- الأحمدى، عادل علي نعمان:
- الزهر والحجر، التمرد الشيعي في اليمن وموقع الأقليات الشيعية في السيناريو الجديد، صنعاء، مركز نشوان الحميري للدراسات والنشر.
- أسود، فلاح شاكرا:
- الحدود الشرقية للوطن العربي والأطماع الفارسية، بغداد، ١٩٨٢ م.
- أسيري، عبد الرضا علي:
- الكويت في السياسة المعاصرة، جامعة الكويت، ١٩٩٣ م.
- الأشعل، عبد الله:
- الإطار القانوني والسياسي لمجلس التعاون الخليجي، الرياض، ط ١، ١٩٨٣ م.
- أنطونوس، جورج:
- يقظة العرب، تعريب: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٦ م.
- إيفانوف، نيقولاوي:
- الفتح العثماني للأقطار العربية، تعريب يوسف عطا الله، بيروت، دار الفارابي، ١٩٨٨ م.

- البحارثة، حسين محمد:
- دول الخليج العربي الحديثة، بيروت، شركة التنمية والتطوير، ١٩٧٣م.
- بحري، لؤي:
- الأطماع الأجنبية في جزيرة أبو موسى، بغداد، ١٩٧٢م.
- البخاري، غانم وجاسم محمد كرم:
- في السلوك الانتخابي في الكويت، مجلة السياسة الدولية القاهرة، مؤسسة الأهرام، العدد ٧٩، تموز، ١٩٨٧م.
- بدرخان، عبد الوهاب:
- مقال في جريدة الحياة، تاريخ ٥ نيسان، ١٩٩٥م.
- ابن بشر، عثمان بن عبد الله:
- عنوان المجد في تاريخ نجد، مكة المكرمة، ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م.
- البوريني، أحمد قاسم:
- الإمارات السبع، بيروت، دار الحكمة، ١٩٥٧م.
- بونداريفسكي، غيورغي:
- الكويت وعلاقتها الدولية، خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ترجمة ماهر سلامة، الكويت، ط١، ١٩٩٤م.
- التكريتي، برزان:
- الصراع الدولي في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي وتأثيره على أقطار الخليج العربي، بغداد، ١٩٨٢م.
- التميمي، عامر:
- الأبعاد الاقتصادية للغزو العراقي للكويت، ندوة المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، آذار، ١٩٩٤م، نشر مجلة عالم المعرفة العدد ٢٩٥، آذار، ١٩٩٥م.
- الثور، عبد الله بن أحمد:
- ثورة اليمن ١٩٤٨ - ١٩٦٨، القاهرة، دار الهنا للطباعة، ١٩٦٨م.
- جارشلي، إسماعيل حتي:
- أمراء مكة في العهد العثماني، ترجمة: خليل مراد، البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٥م.
- جزيلان، عبد الله:
- التاريخ السري للثورة اليمنية، بيروت، دار العودة، ١٩٧٧م.
- جمشان، صالح ناصر:
- المحددات الداخلية والخارجية للاستقرار السياسي في اليمن ١٩٩٠ - ٢٠١٠م، الدانمارك، الأكاديمية العربية، ٢٠١٢م، الموقع:



- الجفري، محمد علي:
- حقائق عن جنوبي الجزيرة العربية، القاهرة، ١٩٥٦م.
- جواد، ناجي محمد:
- الفجيرة، بيروت، ط١، ١٩٧٠م.
- جودة، حسين جودة:
- شبه الجزيرة العربية، دراسة في الجغرافية الإقليمية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٤م.
- بن حارث، عبد الرحمن يوسف:
- الوحدة اليمنية، التاريخ الواقع المستقبل، الشارقة، دار الثقافة العربية، ط١، ١٩٩٠م.
- أبو حاكمة، أحمد مصطفى:
- تاريخ الكويت، الكويت، ١٩٦٧م.
- الحبشي، محمد عمر:
- اليمن الجنوبي، سياسياً واجتماعياً واقتصادياً منذ سنة ١٩٣٧م وحتى قيام جمهورية اليمن الشعبية، بيروت، ١٩٦٨م.
- الحداد، محمد يحيى:
- التاريخ العام لليمن، بيروت، دار التنوير، ط١، ١٩٨٦م.
- الحسيني، مصطفى:
- الفراغ من يملؤه، مجلة روز اليوسف، القاهرة، ٦ شباط، ١٩٨٦م.
- الحمد، علي تركي:
- الأسباب الموضوعية والمبررات الإيديولوجية للغزو العراقي للكويت، أعمال ندوة المجلس الوطني للثقافة عن الغزو العراقي للكويت، آذار، ١٩٩٤م، نشر في مجلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٥م.
- حمروش، أحمد:
- قصة ثورة ٢٣ تموز، مجتمع جمال عبد الناصر، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- حمزة، فؤاد:
- البلاد العربية السعودية، مكة مطبعة أم القرى، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣١ - ١٩٣٢م.
- قلب الجزيرة العربية، القاهرة، المطبعة السلفية الكبرى، ١٩٣٣م.
- حويلي، عبد الستار:
- دبي بين الماضي والحاضر، القاهرة، المطبعة المصرية، ١٩٧٢م.
- الحيدري: إبراهيم فصيح بن صبغة الله:
- عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، بغداد، منشورات دار البصري، ١٩٦٢م.
- خزعل، حسين خلف الشيخ:
- تاريخ الكويت السياسي، دار مكتبة الهلال، ١٩٦٢م.

- خضر، بشارة:
- الاستعمار البريطاني وتقسيم اليمن، موسكو، دار التقدم، ١٩٩٠م.
- أوروبا وبلدان الخليج، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٥م.
- الخوري، فؤاد إسحاق:
- القبيلة والدولة في البحرين، بيروت، معهد الإنماء العربي، ١٩٨٣م.
- الخوند، مسعود:
- الموسوعة التاريخية الجغرافية، بيروت.
- الدباغ، مصطفى:
- قطر ماضيها وحاضرها، بيروت، ١٩٦١م.
- دحلان، أحمد زيني:
- خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، القاهرة، الطبعة الخيرية، ١٨٨٨م.
- الرافي، عبد الرحمن:
- تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، القاهرة، مطبعة النهضة، ط١، ١٩٣٠م.
- عصر محمد علي باشا، القاهرة، النهضة المصرية، ط٣، ١٩٥١م.
- ربيع، عمرو هاشم:
- أمن الكويت، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، كانون الثاني، ١٩٨٨م.
- رجب، يحيى حلمي:
- أمن الخليج العربي في ضوء المتغيرات الإقليمية والدولية، القاهرة، مركز المحروسة للبحوث والتدريب، ١٩٩٧م.
- الرشيد، عبد العزيز:
- تاريخ الكويت، بيروت، مكتبة الحياة.
- الرشيد، يعقوب:
- الكويت في ميزان الحقيقة والتاريخ، الكويت، ١٩٦٣م.
- رضا، عادل:
- تطور الحركة الوطنية في اليمن الديمقراطية، القاهرة، ١٩٧١م.
- الربيعي، محمد غانم:
- البحرين، مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، بيروت، دار الجديد، ط٤، ١٩٩٥م.
- تحليل انتخابات عام ١٩٧٥م، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، تموز ١٩٧٥م.
- ردود الفعل العربية على غزو وحرب تحرير الكويت، أعمال ندوة الغزو العراقي للكويت، نشر مجلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٥م.
- الصراع والتعاون بين دول الخليج العربي، المستقبل العربي، السنة الثانية، العدد ٣، آذار، ١٩٨٠م.

- معوقات التنمية الاجتماعية والاقتصادية في مجتمعات الخليج المعاصرة، الكويت، كاظمة للنشر، ط٢، ١٩٨٤م.
- الريحاني، أمين:
- تاريخ نجد الحديث وملحقاته وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود، بيروت، ط٢، ١٩٥٤م.
- ملوك العرب، بيروت مؤسسة الريحاني ١٩٢٩م، ١٩٦١م.
- الريس، رياض نجيب:
- رياح السموم، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- صراع الواحات والنفط، هموم الخليج العربي بين ١٩٦٨م و١٩٧١م، بيروت.
- الزرقاني، محمد علي:
- عُمان قديماً وحديثاً، دمشق، ١٩٥٩م.
- الزركلي، خير الدين:
- شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، بيروت، ١٩٧٠م.
- قاموس الأعلام، القاهرة، ١٩٥٦م.
- ابن زريق، حميد:
- تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان.
- الفتح المبين في سيرة السادة البورسعيديين، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسي، عبد الله، سلطنة عُمان، وزارة التراث القومي، ١٩٧٧م.
- زكريا، جمال:
- الخليج العربي ١٨٤٠ - ١٩١٤م، القاهرة، ١٩٦٦م.
- زلوم، عبد القادر:
- عُمان والإمارات السبع، بيروت، منشورات مكتبة الحياة، ١٩٦٣م.
- الزبيدي، مفيد:
- عبد العزيز آل سعود وبريطانيا، بيروت، دار الطليعة، ط١، ٢٠٠٢م.
- سالم، سيد مصطفى:
- تكوين اليمن الحديث، القاهرة، ط٤، ١٩٩٣م.
- الفتح العثماني الأول لليمن، القاهرة، ١٩٩٢م.
- لماذا ثار اليمن السعيد، الصراع التاريخي بين القوى الثائرة والرجعية في الجزيرة العربية، جريدة الأهرام، تاريخ ١٨ تشرين الأول، ١٩٦٢م.
- السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد:
- تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، تحقيق أبو إسحاق إبراهيم طفيش، القاهرة، مكتبة الاستقامة، ١٣٣٠هـ.

- السباعي، أحمد:  
- تاريخ مكة، دراسة في السياسة والعلم والاجتماع، القاهرة، م١٩٥٢، ونادي مكة الثقافي، ط٦، ١٩٨٤م.
- سطيحة، محمد وعبد الفتاح وهيبة:  
- جغرافية الوطن العربي، بيروت، ١٩٧٥م.
- سطيحة، محمد محمد:  
- اليمن شماله وجنوبه، القاهرة، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٩٨م.
- سعيد، أمين:  
- تاريخ المملكة العربية السعودية، بيروت، دار الكاتب العربي، ط١، ١٩٦٤م.
- - الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة، بيروت، دار الكاتب العربي.
- سلوم، يوسف:  
- النظام الإداري في المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- سنان، محمود بهجت:  
- أبو ظبي واتحاد الإمارات العربية ومشكلة البريمي، بغداد، دار البصري، ١٩٦٩م.
- - تاريخ قطر العام، بغداد، ١٩٦٦م.
- سولت، جيرمي:  
- تفتيت الشرق الأوسط، تعريب صبحي الطويل، بيروت، دار التفائس، ط١، ٢٠١١م.
- شامية، جيران:  
- سجل الآراء والوقائع والأحداث السياسية في العالم العربي، بيروت، ١٩٧٦م.
- شركة الزيت العربية - الأميركية:  
- عُمان والساحل الجنوبي للخليج العربي، القاهرة، ١٩٥٢م، ١٩٥٥م.
- شرف الدين، أحمد حسين:  
- اليمن عبر التاريخ، القاهرة، مطبعة السُّنة المحمدية، ط٢، ١٩٦٤، ط٣، ١٩٨٠م.
- الشريف، وليد:  
- الاتحاد السوفياتي ومنطقة الخليج العربي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، السنة الثانية، العدد ٤، كانون الثاني ١٩٧٦م.
- شميل، إيف:  
- بلدان الخليج العربي ومسألة التحديث، بيروت، دار الساقى، ط١.
- صبحي، أحمد محمود:  
- البحرين ودعوى إيران، الاسكندرية، ١٩٦٢م.
- أبو طالب، حسن:  
- الوحدة اليمنية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٤م.

- الطببائي، عادل :
- السلطة التشريعية في دول الخليج العربي، نشأتها - تطورها - العوامل المؤثرة فيها، الكويت، ١٩٩٥م.
- الطحاوي، سليمان :
- السلطات الثلاث، القاهرة، جامعة عين شمس، ١٩٨٦م.
- طقوش، محمد سهيل :
- تاريخ العثمانيين، بيروت، دار النفائس، ط٢، ٢٠٠٨م.
- الطيب، محمد رفيق :
- العالم العربي والتحديات المعاصرة، بيروت، دار النفائس، ط١، ٢٠١٠م.
- العابد، صالح محمد :
- موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج، بغداد، ١٩٧٥م.
- دور القواسم في الخليج العربي، بغداد، ١٩٧٦م.
- عبد الله، محمد مرسي :
- إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى، القاهرة، المكتبة المصرية.
- دولة الإمارات العربية وجيرانها، الكويت، ١٩٨١م.
- عبد الرحيم، عبد الرحمن عبد الرحيم :
- الدولة السعودية الأولى، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٩م.
- عبد اللطيف، فيصل :
- مؤتمر لندن للخيانة، القاهرة، ١٩٦٥م.
- العبدروس، محمد حسن :
- الأمن السياسي لدول مجلس التعاون، دار المتنبى للطباعة والنشر، ط١.
- عبد الغني، عبد العزيز :
- سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي ١٨٥٨ - ١٩١٤م، الرياض، ١٩٨٢م.
- عبد القادر، علي أحمد :
- عملية الاندماج السياسي، فصل في كتاب تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة.
- بن عبد الوهاب، محمد :
- كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، الرياض، ط٣، ١٤٠٠هـ.
- العبدلي، أحمد فضل بن علي محسن :
- هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٩٢٢م.
- العبدلي، سمير محمد أحمد :
- الوحدة اليمنية والنظام الإقليمي العربي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٧م.
- العرشي، حسين بن أحمد :
- بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام، تحقيق الأب: أنستانس الكرملي، القاهرة، ١٩٣٩م.

- العطار، أحمد عبد الغفور:
- صقر الجزيرة، جدة، ١٩٦٤م.
- العطار، محمد سعيد:
- التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن، أبعاد الثورة اليمنية، القاهرة، ١٩٦٥م.
- عطوي، أحمد خليل:
- دولة الإمارات العربية المتحدة، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨١م.
- العقاد، صلاح:
- الاستعمار في الخليج الفارسي، القاهرة، ١٩٦٥م.
- التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥م، ١٩٧٤م، ١٩٩١م.
- جزيرة العرب في العصر الحديث، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٩م.
- معالم التغيير في دول الخليج العربي، القاهرة، جامعة الدول العربية.
- العقيلي، محمد بن أحمد عيسى:
- تاريخ المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ، الرياض، ج١، ١٩٥٨م، القاهرة، ج٢، دار الكتاب العربي، ١٩٦١م.
- أبو علي، عبد الفتاح حسن:
- تاريخ الدولة السعودية الثانية، الرياض، دار المريخ للنشر، ١٩٩٥م.
- العناني، أحمد:
- المعالم الأساسية للتاريخ القطري الحديث، ملخصات البحوث المقدمة لمؤتمر الدراسات التاريخية، لشرفي الجزيرة العربية، لجنة تاريخ قطر، آذار، ١٩٧٧م.
- عويلي، محمد حسن:
- اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، منشورات العصر الحديث، ١٩٧١م.
- بن عيسى، إبراهيم صالح:
- تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأسبابهم وبناء بعض البلدان، بيروت، دار اليمامة، ١٩٦٧م.
- عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجري، القاهرة، ١٣٧٣هـ.
- غالب، محمد أنعم:
- نظام الحكم والتخلف الاقتصادي في اليمن، القاهرة، دار الهنا، ١٩٦٢م.
- الغالبي، سلوى سعد سليمان:
- الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، دوره في توحيد اليمن، ط١، ١٩٩١م.

- غالي، بطرس بطرس:
  - الجامعة العربية وتسوية المنازعات المحلية، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٧م.
- عبّاش، حسين عبيد غانم:
  - عُمان، بيروت، دار الجديد، ط١، ١٩٩٧م.
- غرايبة، عبد الكريم:
  - تاريخ العرب الحديث، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع.
- غزال، منى:
  - تاريخ العتوب، آل خليفة في البحرين، ط١، ١٩٩١م.
- بن غنّام، حسين:
  - تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام، تحرير: ناصر الدين الأسد، القاهرة، دار الشروق، ط٢، ١٩٨٥م.
- فاسيليف:
  - تاريخ العربية السعودية، موسكو، دار التقدم، ١٩٨٦م.
- الفرحان، راشد عبد الله:
  - مختصر تاريخ الكويت وعلاقتها بالحكومة البريطانية والدول العربية، القاهرة، ١٩٦٠م.
- فريد بك، محمد:
  - تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت، دار النفائس، ط٢، ١٩٨٣م.
- فوزي، أحمد:
  - قاسم والكويت، بيروت، ١٩٦١م.
- فون ميكوش، واكبورت:
  - عبد العزيز، تعريب أمين رويحة، بيروت، ١٩٥٣.
- الفيل، محمد رشيد:
  - مشكلات الحدود بين إمارات الخليج العربي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، السنة الثانية، العدد الرابع، تشرين الأول ١٩٥٦.
- فيليبي، سانت جون:
  - تاريخ نجد، تعريب: عمر الديسراوي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٤م.
- قاسم، جمال زكريا:
  - دراسة في تاريخ الإمارات العربية، الكويت، دار الدراسات العلمية، ١٩٧٤م.
  - الأصول التاريخية للعلاقات العربية - الإفريقية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٥م.
- تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٦م.
- دولة البورسعيد في عُمان وشرق إفريقيا، مركز زايد للتراث للتاريخ، ٢٠٠٠م.

- القاسمي، جاسم محمد:
- التكامل الاقتصادي بين دول مجلس التعاون الخليجي، بيروت، معهد الإنماء القومي، ط١، ١٩٨١م.
- القاسمي، خالد محمد:
- التاريخ الحديث والمعاصر لدولة الإمارات العربية المتحدة، الشارقة، دار الثقافة العربية، ط١، ١٩٩٨م.
- القاسمي، خالد محمد وجميل البعيني:
- البحرين التاريخ والحاضر والمستقبل، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٩م.
- قدورة، زاهية:
- شبه الجزيرة العربية كياناتها السياسية، بيروت، دار النهضة العربية.
- القعيد السيد عيسى بن علوي آل عيسى:
- أحلى اللطائف في منتجج اللطائف، جامعة الطائف، ط١، ٢٠١٠م.
- الفناعي، يوسف:
- صفحات من تاريخ الكويت، الكويت، ١٩٤٦م.
- بن قيصر، عبد الله خلفان:
- سيرة الإمام ناصر بن مرشد، سلطنة عُمان، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٧٧م.
- الكبيسي، أحمد محمد:
- المسيرة الديمقراطية عبر المؤتمر الشعبي العام، مجلة الإكليل اليمنية، خريف، ١٩٨٩م.
- الكتاب السنوي ١٩٧٤م:
- دولة الإمارات العربية المتحدة.
- كحالة، عمر رضا:
- جغرافية شبه الجزيرة العربية، دمشق، ١٩٤٤م.
- كروسبي، أنطوني:
- بعد العاصفة، ترجمة محمد عبد الحليم أبو غزالة، القاهرة، دار الهلال.
- كيلبي، جون:
- الحدود الشرقية للجزيرة العربية، الكويت، ١٩٦٨م.
- شبه الجزيرة العربية والغرب، تعريب مركز البحوث والمعلومات، مجلس قيادة الثورة، سلسلة الكتب المترجمة، العدد ١٨، ١٩٨٤م.
- كينغ، جيليان:
- أهداف الاستعمار في عدن، تعريب وتعليق خيرى حماد، القاهرة، الدار القومية، ١٩٦٦م.
- لانندن، روبيرت جيران:
- عُمان منذ ١٨٥٦ مسيراً ومصيراً، تعريب: محمد أمين عبد الله، بيروت، ١٩٧٠م.



- لوريمر، جون غوردون:
- دليل الخليج، القسمين التاريخي والجغرافي، تعريب مكتب الترجمة بديوان قطر، ١٩٧٥م، ١٩٩٧م.
- ماضي، محمد عبد الله:
- النهضات الحديثة في جزيرة العرب، القاهرة، ١٩٥٢م.
- المجلس الاستشاري لدولة سلطنة عُمان:
- سلطنة عمان خلال أربع سنوات، مسقط، وزارة الإعلام العُمانية، ١٩٨٥م.
- محمود، أحمد إبراهيم:
- محددات وأهداف السلوك العراقي، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٠٣، كانون الثاني، ١٩٩١م.
- المختار، صلاح الدين:
- تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٥٧م.
- المركز الإعلامي للكويت:
- إدارة الثقافة والنشر، القاهرة، ١٩٩٠م.
- المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط:
- أوراق الشرق الأوسط، أبعاد واحتمالات، أزمة الخليج العربي، القاهرة.
- المركز الكويتي للإعلام:
- جريمة، غزو العراق للكويت، أحداث ووثائق، القاهرة، ١٩٩١م.
- المصري، أحمد عطية:
- تجربة اليمن الديمقراطية، القاهرة، ١٩٧٤م.
- مكتب شؤون الوحدة، صنعاء:
- سلسلة وثائقية رقم ٤، ١٩٩٠م.
- مكتب شؤون الوحدة اليمنية:
- اليمن الواحد، سلسلة وثائقية عن الوحدة اليمنية، صنعاء، كانون الثاني، ١٩٨٩م.
- مكتب الوثائق والدراسات في وزارة شؤون رئاسة أبو ظبي:
- أبو ظبي بين الأمس واليوم، أبو ظبي، ١٩٦٩م.
- المندلوي، محمد محمود:
- تاريخ الإمارات العربية المتحدة، بيروت، دار النفائس، ط١، ٢٠٠٨م.
- منسى، عبد الله سراج:
- العلاقات العُمانية الأميركية بين الحربين العالميتين ١٩١٩ - ١٩٣٩م، القاهرة، ١٩٨٦م.
- المنصور، عبد العزيز محمد:
- التطور السياسي لقطر ١٩١٦ - ١٩٤٩م، دار السلاسل، ط١، ١٩٧٩م.

- مهنا، محمد نصر:
- في الخليج العربي المعاصر، الإسكندرية، ٢٠٠٣م.
- الكويت: التاريخ، السياسة، التحديث، موسوعة التاريخ والحضارة الخليجية، ج٦، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث.
- موافي، عبد الحميد محمد:
- النزاع بين شطري اليمن ومؤتمر الكويت، مجلة السياسة الدولية، السنة ١٤، العدد ٥٤، تشرين الأول، ١٩٧٨م.
- الموسوعة السياسية:
- ج٤، ط٢، ١٩٩٠م.
- الموصلي، منذر:
- الأسرة الدولية، دور الكويت وآل الصباح في الخليج العربي، بيروت، مطبوعات رياض الريس، ط١، كانون الثاني، ١٩٩٩.
- مؤلف مجهول:
- لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق أحمد مصطفى أبو حاكمة، بيروت، ١٩٦٧م.
- مؤنس، حسين:
- الشرق الإسلامي في العصر الحديث، القاهرة، مطبعة مجازي، ١٩٣٨م.
- ناجي، سلطان:
- التاريخ العسكري لليمن ١٨٣٦ - ١٩٦٧م، بيروت، دار العودة، ط٢، ١٩٨٥م.
- نانو، جان:
- اتحاد الإمارات العربية، بيروت، دار الإعلام العربي، ١٩٧١م.
- النبهاني، خليفة بن موسى:
- التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، القسم السادس، الجزء الأول، القاهرة، ١٢٤٢هـ.
- النبهاني، محمد بن خليفة:
- تاريخ البحرين، القاهرة، ١٩٢٣م.
- نعمان، محمد أحمد:
- من وراء الأسوار، بيروت، دار الكاتب العربي، ١٩٦٣م.
- الأطراف المعنية في اليمن، عدن، ١٩٦٥م.
- لكي نفهم القضية، الاتحاد اليمني، عدن، مطبعة السلام.
- نؤار، عبد العزيز سليمان:
- تاريخ العراق الحديث، القاهرة، ١٩٦٨م.

- نودينو، جان فرنسوا:
- ٢١ دولة لأمة عربية واحدة، بيروت، بيان للنشر والتوزيع، ١٩٩٣م.
- نوفل، سيد:
- الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي، القاهرة، ١٩٦٠م.
- بن هاشم، محمد:
- حضرموت، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.
- بن هذلول، سعود:
- تاريخ ملوك آل سعود، الرياض، ١٩٦١م.
- الهيئة المصرية العامة للاستعلامات:
- الاتحاد السوفياتي وأزمة الخليج، القاهرة، ١٩٩١م.
- مواقف الدول الآسيوية من أزمة الخليج بعد اندلاع الحرب، القاهرة، ١٩٩١م.
- هيكل، محمد حسنين:
- الأسد البريطاني وطبول الخطر، مقال في جريدة الأهرام، تاريخ ٢٨ كانون الأول، ١٩٦٢م.
- الواسعي، عبد الواسع بن يحيى:
- تاريخ اليمن المسمى: فرصة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، القاهرة، المطبعة السلفية، ط١، ١٩٣٧م.
- وثيقة اتحاد الشعب الديمقراطي، الحركة الثورية العربية:
- تجربة اليمن الجنوبي، عدن، ١٩٦٩م.
- وزارة الإعلام في سلطنة عُمان:
- عُمان ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م.
- وزارة الإعلام والثقافة، دولة الإمارات العربية:
- حقائق وأرقام، ١٩٩١م.
- شعب عريق، دولة فتية، كانون الثاني، ١٩٩٣م.
- الوزير، عبد الإله بن علي:
- تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، بيروت، دار المسيرة، ط١، ١٩١٥م.
- وهبة، حافظ:
- جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة، ١٩٥٦م.
- خمسون عاماً في جزيرة العرب، القاهرة، ط١، ١٩٦٠م.
- يحيى، جلال:
- المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث، القاهرة، ١٩٦٧م.

## ب - الجرائد:

□ الأنوار، لبنان:

- ٢٤ كانون الثاني، ١٩٦٨م.

- ٨ و ٩ كانون الأول، ١٩٧١م.

□ الأهرام، القاهرة:

- العدد ١٥٦٨١، تاريخ ٣ تموز، ١٩٢٨م.

- ٢١ أيلول، ٢ تشرين الأول، ٣١ كانون الأول، ١٩٦٢م.

- ١٥ شباط، ٦ آذار، ٢ نيسان، ١٩٦٣م.

- ١٥ أيلول، ١٩٦٤م.

- ٣٠ تشرين الثاني، ٩ كانون الأول، ١٩٦٧م.

- ١٧ آذار، ١٩٧٢م.

□ الحياة، بيروت:

- ٢١ شباط، ١٩٦٨م.

□ الرياض، السعودية:

- ١٨ شباط، ١٩٨٨م.

□ السفير اللبنانية:

- ٢٦، ٢٩، ٣٠ حزيران، ١٩٧٨م.

□ السياحة اللبنانية:

- ٢ أيلول، ١٩٧١م.

□ السياسة الكويتية:

- ٢٠ تموز، ١٩٧٠م.

- ١١ شباط، ١٩٧٤م.

- ٧ حزيران، ١٩٩٢م.

□ صدى الأسبوع البحرينية:

- ١٦ شباط، ١٩٧١م.

□ عُمان، العمانية:

- ١٩ تشرين الأول، ١٩٩٢م.

□ القُدوة السعودية:

- العدد ٣٦٩١، تاريخ ٩ صفر، ١٣٩١هـ.

□ أم القرى، مكة:

- ٦ رجب، ١٣٤٧هـ.

□ المؤيد القاهرية:

- العدد ٦٣٨٠، تاريخ ٣ حزيران، ١٩١١م.

- العدد ٦٤٣٢، تاريخ ٧ تموز، ١٩١١م.

□ الندوة السعودية:

- ٤ شباط، ١٩٨٥م.

□ النهار اللبنانية:

- ٢ أيلول، ١٩٧١م.

### ج - المجالات:

□ الحوادث اللبنانية:

- ١٥ أيار، ١٩٧٠م.

□ السياسة الدولية:

- السنة الأولى العدد ٣، تشرين الأول، ١٩٦٥م.

- السنة الثالثة العدد ١٠، تشرين الأول، ١٩٦٧م.

- تموز، ١٩٦٨م.

- ١٥ أيار، ١٩٧٠م.

□ صوت الخليج البحرين:

- العدد ٣٢١٥، تاريخ شهر آذار، ١٩٧١م.

□ العربي الكويتية:

- العدد ١٦، آذار، ١٩٧١م.

□ وثائق وحدودية اليمنية:

- العدد ٣٩٨ تاريخ ٢٣ أيار ١٩٩٠م.

### د - المراجع باللغات الأجنبية

- Analysis and Data From Middle East:

- Research Institute:

\* Political Analysis of Saudi Arabia.

- Al Baharna, Hussain:

\* The Legal Status of the Arabian Gulf States. University of Manchester, 1968.

\* The Arabian Gulf states Beirut, 1975 - 1976.

- Aitchison, C.U:

\* A Collection of Treaties Engagement and Sanads Relating to India and Neighboring. Calcutta, 1892.

- Armstrong, H-c:
  - \* **Lord of Arabia. Beirut, 1966.**
- Bondarevsky, G:
  - \* **Hegemoninsts and Imperial lists in - Persian Gulf. Moscow 1981.**
- Burton, R:
  - \* **ZanZibar, city, Island and Coast. London, 1972.**
- Bury, G.W:
  - \* **Arabia felix or the Turks in Yemaen. London, 1915.**
- Busch, B.C:
  - \* **Britain and the Persian Gulf. Colifornia, 1967.**
- Complell, J.C:
  - \* **Defence of the Middle East Problems of American Policy. N.Y, 1953.**
- Coupland, R:
  - \* **East Africa and its Ivaders from the Earliast Times to the Death of Seyyid Said. Oxford 1939.**
- Dickson, H.R:
  - \* **the Arab of the Desert - London 1951.**
  - \* **Kuwait and her Neighbors - London - 1956.**
- De Gowry, G:
  - \* **Faisal king of Saudi Arabia. London, - 1966.**
- Fenelon, K, G:
  - \* **The Trucial State, A Brief Economic - Survey. Beirut, Khayat 1969.**
- Graz, L:
  - \* **Les Omanais Nouveaux Gardiens de Golf Paris 1981.**
- Guillain, C:
  - \* **Documents Sur L'Histoire le Geographie et la Commerce de L'Afrique Oriental. Paris, 1856.**
- The Gulf:
  - \* **Implicantions of British withdrawal.**
- Halliday, F:
  - \* **Arabia without sultans - London, 1976.**
- Hawley, Donald:
  - \* **The Trucial States - London, 1970.**

- Hogarth, D.G:  
\* **Penetration of Arabia. N.Y 1904.**
- Hurewitz, J.C:  
\* **Diplomacy in the Near and Middle East - N.Y, 1956.**
- Hutchison, Edward:  
\* **The Slave Trade of East Africa - London, 1874.**
- Izzard, Molly:  
\* **The Gulf - London 1979.**
- Jacob, Harold, F:  
\* **Kings of Arabia - London, 1923.**
- Kajar, Firouz:  
\* **Le Sultanat d'Oman etude d'Histoire Diplomatique et de Droit International. Paris, 1914.**
- Kammerer, Albert:  
\* **La Mer Rouge. Egypt, 1929.**
- Kay, Shirley. Sand Malin, Basil:  
\* **Soudi Arabie - London, 1979.**
- Kelly, John:  
\* **Eastern Arabian Frontiers. London, 1961.**  
\* **Britain and the Persian Gulf. Oxford, 1969.**  
\* **Arabian, the Gulf and the West - London, 1988.**
- Khalifa, Ali Mohammed:  
\* **The United Arab Emirates. U.S.A. 1979.**
- Klebanoff, S.H:  
\* **Middle East Oil and United States Foreign Policy. N.Y, 1974.**
- Lorimer, J.G:  
\* **Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia, Calcutta, 1915.**
- Mann, Clarence:  
\* **Abudhabi, Birth of an Oil Sheikdom. Beirut, 1964.**
- Marlowe, John:  
\* **The Persian Gulf in the 20<sup>th</sup> Century London, 1962.**
- Mengin, F:  
\* **Histoire de L'Egypte Sous Le Gouvernement de Mohammad Aly. Paris, 1923.**
- Osborne, Christine:  
\* **The Gulf States and Oman- London, 1977.**

- Perrin, N:  
\* **Relationes de la Compagne d'Ebrahim pacha contre les Wahabities - Paris, 1833.**
- Philby, J.B:  
\* **Soudi Arabia. London, 1956.**
- Reilly, R:  
\* **Aden and Yemen - London, 1960.**
- Revue Egyptienne de Droit International XIII:  
\* **Treaty of sib between Sultan of Muscat and Oman and Imam, 1957.**
- Ruete, R.s:  
\* **Said Bin Sultan, Ruler of Oman and East Africa - London, 1929.**
- Serjeant, R.B:  
\* **The Portugues of the South Arabian Coast. Oxford, 1983.**
- Sullivan. R.R:  
\* **Saudi Arabia in International Politics 1974.**
- Townsend, John:  
\* **Oman. The Making of the Modern State - London, 1987.**
- Toynbee, A:  
\* **Survey of International Affairs - London, 1927.**
- Volney, C.F:  
\* **Voyage en Syrie eten Egypt Pendant les Annés 1783 - 1785. La Hay, 1959.**
- Wellsted, J.R:  
\* **Travels in Arabia - London 1838.**
- Wendell, Philips:  
\* **Oman, A History, Beyrouth, Librairie de Liban.**
- Wikinson, J.C:  
\* **The Imarat Tradition of Oman Cambridge University press, 1937.**
- Winder, R.B:  
\* **Saudi Arabian in the Ninteeth Century N.Y, 1965.**
- Zahlan, Ros Marie:  
\* **The Origins of the United Arab Emirates - London 1979.**  
\* **The Creation of Qatar - London 1978.**



## ثبت الخرائط

<u>الصفحة</u>	<u>الخريطة</u>
٦	خريطة أقطار الجزيرة العربية .....
٢٨	خريطة المملكة العربية السعودية .....
١٢٤	خريطة اليمن .....
٢٤٠	خريطة سلطنة عُمان .....
٣١٢	خريطة الإمارات العربية المتحدة .....
٣٧٠	خريطة الكويت .....
٤٤٤	خريطة قطر .....
٤٧٠	خريطة البحرين .....

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	التدخل المصري في أوضاع الجزيرة العربية	٥	الإهداء
٤٦	العربية	٧	المقدمة
٤٦	تمهيد		
٤٧	حملة أحمد طوسون		<b>مدخل تمهيدي</b>
٤٩	قدوم محمد علي باشا إلى الحجاز	٢١	الصراع الدولي على الخليج العربي ...
٥٠	معركة بسل		<b>الفصل الأول: المملكة العربية السعودية</b>
	تحقيق الصلح بين السعوديين والمصريين	٢٩	الموقع والجغرافيا
٥١	سقوط الدولة السعودية الأولى	٣٠	آل سعود قبل قيام مملكتهم
٥٢	الوضع السياسي في الجزيرة العربية في ظل الحكم المصري	٣٠	الدولة السعودية الأولى ١٧٤٥ - ١٨١٨م
٥٤	الدولة السعودية الثانية ١٨٤٣ - ١٨٩١م	٣٠	ظهور الدعوة الوهابية
٦٢	قيام الدولة السعودية الثانية	٣١	نسب آل سعود
٦٣	الأوضاع الداخلية	٣١	التوسع السعودي في نجد
٦٥	العلاقات الخارجية	٣٤	توحيد وسط الجزيرة العربية
	العلاقة مع العثمانيين والأشرف في مكة	٣٥	السعوديون في شرقي الجزيرة العربية
٧٠	عهد الاضطراب السياسي		علاقة السعوديين مع أشرف الحجاز
٧١	الحرب الأهلية	٣٦	التوسع السعودي في الشمال الشرقي
٧٢	أسبابها	٤٠	الصراع على عُمان
٧٢	أحداثها	٤٢	السعوديون في اليمن
٧٥	سقوط الدولة السعودية الثانية	٤٤	الحملة السعودية على بلاد الشام
		٤٥	

سياسة المملكة في الخليج	٧٦	الدولة السعودية الثالثة ١٩٠٢ - ١٩٣٢ م	٧٦
العربي ..... ١٠٩	٧٦	قيام الدولة .....	٧٦
تعاضم نفوذ المملكة في		السيطرة على نجد والقصيم	
المحيط العربي ..... ١١٠	٧٧	والأحساء .....	٧٧
المملكة وسلاح النفط ..... ١١١		العلاقة مع بريطانيا خلال الحرب	
نهاية الملك فيصل ..... ١١٢	٧٨	العالمية الأولى .....	٧٨
الملك خالد بن عبد العزيز ..... ١١٣		الأوضاع السياسية حتى قيام	
إنجازاته الداخلية ..... ١١٣	٧٩	المملكة العربية السعودية .....	٧٩
سياسته الخارجية ..... ١١٤	٨٠	العلاقة مع الهاشميين .....	٨٠
وفاة الملك خالد ..... ١١٧	٨٤	سياسة الملك عبد العزيز العامة ...	٨٤
الملك فهد بن عبد العزيز ..... ١١٨	٨٥	علاقة الملك عبد العزيز مع جيرانه ..	٨٥
إنجازاته الداخلية ..... ١١٨		جهود الملك عبد العزيز	
سياسته الخارجية ..... ١٢٠	٨٨	الاجتماعية والاقتصادية .....	٨٨
وفاة الملك فهد ..... ١٢٢	٨٩	سلطة الملك عبد العزيز السياسية .	٨٩
الملك عبد الله بن عبد العزيز ..... ١٢٣	٨٩	تنظيم الدولة .....	٨٩
<b>الفصل الثاني: اليمن</b>		اكتشاف النفط في المملكة العربية	
الموقع والجغرافيا ..... ١٢٥	٩٠	السعودية .....	٩٠
تاريخ اليمن الحديث ..... ١٢٧		المملكة السعودية خلال الحرب	
تمهيد ..... ١٢٧	٩٢	العالمية الثانية .....	٩٢
الأوضاع السياسية في اليمن		السنوات الأخيرة من عهد الملك	
١٥١٧ - ١٥٣٨ م ..... ١٢٧	٩٥	عبد العزيز .....	٩٥
ضم العثمانيين سواحل اليمن ..... ١٣١	٩٧	الملك سعود بن عبد العزيز .....	٩٧
ضم العثمانيين الأول لليمن ١٥٣٨	٩٧	إنجازاته الداخلية .....	٩٧
١٥٥٥ م ..... ١٣٣	٩٨	سياسته الخارجية .....	٩٨
تراجع النفوذ العثماني في اليمن		التمهيد لاعتلاء الأمير فيصل	
١٥٥٦ - ١٥٦٨ م ..... ١٣٦	١٠٢	الحكم .....	١٠٢
ضم العثمانيين الثاني لليمن ..... ١٤٠	١٠٤	الملك فيصل بن عبد العزيز .....	١٠٤
توطيد السيطرة العثمانية في اليمن	١٠٤	إنجازاته الداخلية .....	١٠٤
١٥٧١ - ١٦٠٣ م ..... ١٤٣	١٠٧	الصراع على اليمن .....	١٠٧

اليمن الجنوبي بعد الحرب العالمية	١٤٧	خروج العثمانيين من اليمن .....	١٤٧
الثانية وحتى الاستقلال .....	١٧٩	تمدد الإماميين إلى جنوب اليمن ..	١٥١
تطلُّع اليمنيين الجنوبيين نحو	١٧٩	ردُّ الفعل العثماني .....	١٥١
الاستقلال .....	١٧٩	اليمن تحت حكم الزيديين .....	١٥٣
نشوب الثورة اليمنية في الجنوب	١٨٢	الإمام إسماعيل المتوكل بن	١٥٣
وتداعياتها .....	١٨٢	القاسم .....	١٥٣
في الطريق إلى الاستقلال .....	١٨٥	العلاقات الخارجية .....	١٥٥
استقلال اليمن الجنوبي .....	١٨٧	التدخل المصري في اليمن .....	١٥٨
تاريخ اليمن الشمالي بعد الحرب	١٨٩	احتلال بريطانيا عدن .....	١٦٠
العالمية الثانية وحتى الانقلاب على	١٨٩	الحملة العثمانية على اليمن	١٦١
الإمامة .....	١٨٩	١٨٤٩م .....	١٦١
الأوضاع السياسية .....	١٩٢	الحملة العثمانية على اليمن	١٦٢
ثورة عام ١٩٤٨م .....	١٩٢	١٨٧٢م .....	١٦٢
ثورة عام ١٩٥٥م .....	١٩٦	ثورة عام ١٨٩١م .....	١٦٣
نهاية الإمام أحمد .....	١٩٨	العلاقة العثمانية - اليمنية حتى	١٦٣
ثورة عام ١٩٦٢م .....	١٩٨	صلح دعان ١٩١١م .....	١٦٣
التدخل المصري والسعودي في اليمن	٢٠١	علاقة العثمانيين مع الأدارسة ..	١٦٥
وتداعياته .....	٢٠١	صلح دعان .....	١٦٧
أسباب التدخل المصري .....	٢٠٣	أهمية صلح دعان .....	١٦٨
أسباب التدخل السعودي .....	٢٠٣	موقف محمد الإدريسي من	١٦٩
سياسة بريطانيا تجاه الجمهورية	٢٠٤	العثمانيين في أعقاب صلح دعان ...	١٦٩
اليمنية .....	٢٠٦	اليمن خلال الحرب العالمية	١٧٠
التطورات العسكرية .....	٢١٠	الأولى .....	١٧٠
إنهاء الوجود المصري في اليمن ...	٢١٢	تاريخ اليمن المعاصر (اليمن بين	١٧٣
الوحدة اليمنية .....	٢١٢	الحربين العالميتين الأولى والثانية) .	١٧٣
العلاقة بين شطري اليمن ١٩٦٧ -	٢١٢	القوى في اليمن عقب انتهاء	١٧٣
١٩٧٩م .....	٢١٢	الحرب العالمية الأولى .....	١٧٣
التطور السياسي في اليمن الشمالي	٢١٤	علاقة الإمام يحيى مع البريطانيين .	١٧٤
التطور السياسي في اليمن الجنوبي			

٢٤٦	نهاية الدولة اليعربية .....	٢١٦	محاولات لتوحيد الشطرين الشمالي والجنوبي .....
٢٤٨	دولة البوسعيد .....	٢٢٠	العلاقة بين شطري اليمن ١٩٨٠ - ١٩٩٠ م .....
٢٤٨	أحمد بن سعيد .....	٢٢٠	الأوضاع السياسية في الشطر الشمالي .....
٢٤٨	اعتلاؤه السلطة .....	٢٢٢	الأوضاع السياسية في الشطر الجنوبي .....
٢٤٩	سياسته الداخلية .....	٢٢٤	دور النفط كدافع للوحدة اليمنية ...
٢٥٠	أحمد بن سعيد في شرقي إفريقيا .....	٢٢٥	أثر لقاءات القمة الثنائية في ميلاد الجمهورية اليمنية .....
٢٥٠	علاقاته الخارجية .....	٢٢٧	قيام الجمهورية اليمنية .....
٢٥٤	تقويم عهد أحمد بن سعيد .....	٢٢٨	اليمن بين عامي ١٩٩٠ - ٢٠١٢ م .....
	الوضع السياسي في عُمان عقب وفاة أحمد بن سعيد .....	٢٢٨	التحديات التي واجهت الوحدة ...
٢٥٥	سلطنة مسقط بين البريطانيين والفرنسيين .....	٢٣٣	المشكلة الحوثية .....
٢٥٨	سعيد بن سلطان .....		انعكاس التنافس الإقليمي على الأوضاع في اليمن .....
٢٦٣	اعتلاؤه الحكم .....	٢٣٤	انعكاسات المتغيرات الدولية على الأوضاع في اليمن .....
٢٦٣	الأوضاع الداخلية في عهده .....	٢٣٧	الأوضاع في اليمن .....
٢٦٦	علاقته مع الإباضيين .....	٢٣٧	نهاية حكم علي عبد الله صالح ...
٢٦٦	السلطان سعيد في شرق إفريقيا .....		<b>الفصل الثالث: عُمان</b>
٢٦٩	علاقاته الخارجية .....	٢٤١	الموقع والجغرافيا .....
٢٧٤	وفاة السلطان سعيد .....		عُمان في العصر الحديث وحتى الاستقلال .....
	الأوضاع السياسية في عُمان وزنجبار عقب وفاة السلطان سعيد .....	٢٤٣	الدولة اليعربية ١٦٢٤ - ١٧٤١ م .....
٢٧٤	الصراع الأسري على السلطة وانفصال زنجبار .....	٢٤٣	تمهيد .....
٢٧٩	سالم بن ثويني .....	٢٤٣	ناصر بن مرشد .....
٢٧٩	الإمام عزان بن قيس .....	٢٤٥	سلطان بن سيف .....
٢٨١	تركي بن سعيد .....	٢٤٦	بلعرب بن سلطان .....
٢٨٢	فيصل بن تركي .....		
٢٨٤	تيمور بن فيصل .....		
٢٨٧	سعيد بن تيمور .....		

الأحداث السياسية في الإمارات	٢٨٧	الأوضاع الداخلية .....	٢٨٧
العربية المتحدة .....	٣٢٨	عُمان والعالم الخارجي .....	٢٨٨
الأوضاع العامة في أبو ظبي .....	٣٣١	قضية واحات البريمي .....	٢٨٩
تطور السياسة البريطانية في		ثورة ظفار .....	٢٩٠
مشيخات الساحل العُماني .....	٣٣٤	قابوس بن سعيد .....	٢٩٣
الإمارات العربية المتحدة حتى قيام		الإصلاحات الداخلية .....	٢٩٣
الاتحاد .....	٣٣٥	السياسة الخارجية .....	٢٩٦
ازدياد أهمية النفط ونتائجه .....	٣٣٥	السياسة الاقتصادية .....	٣٠١
تطور العلاقة مع بريطانيا .....	٣٣٨	السياسة الدفاعية .....	٣٠٢
مشيخات الساحل العُماني وجامعة		النظام الأساسي للدولة .....	٣٠٣
الدولة العربية .....	٣٤٠	التنظيم الإداري للدولة .....	٣٠٤
أطماع إيران في جزر الخليج		السلطة التشريعية .....	٣٠٦
العربي .....	٣٤١	السلطة القضائية .....	٣٠٩
الانسحاب البريطاني من الخليج		الشؤون القانونية .....	٣١١
العربي .....	٣٤٥	<b>الفصل الرابع: الإمارات العربية المتحدة</b>	
قيام دولة الإمارات العربية المتحدة ...	٣٥١	الموقع والجغرافيا .....	٣١٣
تمهيد .....	٣٥١	الإمارات المكونة للاتحاد .....	٣١٤
الوحدة الثنائية .....	٣٥٣	أبو ظبي .....	٣١٥
الوحدة التساعية .....	٣٥٤	دبي .....	٣١٦
الاتحاد السباعي وقيام دولة		الشارقة .....	٣١٨
الإمارات العربية المتحدة .....	٣٥٦	رأس الخيمة .....	٣١٩
تعقيب على قيام دولة الإمارات		الفجيرة .....	٣٢٠
العربية المتحدة .....	٣٥٧	أم القيوين .....	٣٢٢
المشكلات التي واجهتها دولة		عجمان .....	٣٢٣
الاتحاد .....	٣٥٨	الإمارات العربية حتى نشوب الحرب	
تطور قضية الجزر الثلاث .....	٣٦٠	العالمية الأولى .....	٣٢٤
تدعيم الوحدة .....	٣٦١	الإمارات العربية من الحرب العالمية	
توجهات السياسة الخارجية .....	٣٦٢	الأولى إلى انتهاء الحرب العالمية	
بعض مظاهر التحديث .....	٣٦٦	الثانية .....	٣٢٨

الثاني .....	٤٠١	<b>الفصل الخامس: الكويت</b>	
الشيخ سالم بن مبارك الصباح .....	٤٠٣	الموقع والجغرافيا .....	٣٧١
سياسته الداخلية .....	٤٠٣	نشأة الكويت .....	٣٧٢
سياسته الخارجية .....	٤٠٤	صباح بن جابر: صباح الأول .....	٣٧٢
الشيخ أحمد الجابر الصباح .....	٤٠٨	عبد الله بن صباح: عبد الله الأول ...	٣٧٣
سياسته الداخلية .....	٤٠٨	الشيخ جابر بن عبد الله الصباح:	
سياسته الخارجية .....	٤٠٨	جابر الأول .....	٣٧٦
الشيخ عبد الله السالم الصباح .....	٤١١	علاقته مع المصريين .....	٣٧٦
الشيخ صباح السالم الصباح .....	٤١٦	علاقته مع العثمانيين .....	٣٧٩
السياسة الداخلية .....	٤١٦	وفاة الشيخ جابر بن الصباح .....	٣٨٠
العلاقات الكويتية - العربية .....	٤١٨	الشيخ صباح بن جابر: صباح الثاني .	٣٨١
العلاقات الكويتية - الدولية .....	٤١٩	الشيخ عبد الله بن صباح: عبد الله	
وفاة الشيخ صباح السالم الصباح ..	٤٢٠	الثاني .....	٣٨١
الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح ...	٤٢٠	العلاقة مع العثمانيين .....	٣٨١
السياسة الداخلية .....	٤٢٠	وفاة الشيخ عبد الله بن صباح .....	٣٨٤
غزو العراق للكويت .....	٤٢٤	الشيخ محمد بن صباح: محمد الأول	٣٨٤
أسبابه .....	٤٢٤	تولييه الحكم .....	٣٨٤
تداعيات الغزو العراقي للكويت	٤٢٩	الأوضاع الداخلية في عهده .....	٣٨٤
الموقف العربي .....	٤٣٠	علاقته مع الدولة العثمانية .....	٣٨٥
الموقف الدولي .....	٤٣٢	علاقته مع بريطانيا .....	٣٨٥
مقاومة الغزو العراقي .....	٤٣٥	الصراع الأسري في الكويت	
تحرير الكويت .....	٤٣٥	ونواتجه .....	٣٨٦
العلاقات الخارجية .....	٤٣٧	الشيخ مبارك بن الصباح .....	٣٨٧
الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح ..	٤٤٢	الأوضاع الداخلية .....	٣٨٧
<b>الفصل السادس: قطر</b>		العلاقة مع يوسف الإبراهيم .....	٣٨٩
الموقع والجغرافيا .....	٤٤٥	الصراع على الكويت .....	٣٩٢
تاريخ قطر حتى الاستقلال .....	٤٤٦	الكويت في بداية الحرب العالمية	
نشأة قطر .....	٤٤٦	الأولى .....	٤٠١
جاسم بن محمد .....	٤٤٨	الشيخ جابر بن مبارك الصباح: جابر	

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٤٨٥	عيسى بن علي	٤٥٠	عبد الله بن جاسم
٤٨٥	العلاقة مع بريطانيا	٤٥٠	قطر خلال الحرب العالمية الأولى
٤٨٩	تحركات الشيعة	٤٥١	العلاقة مع السعودية
٤٩١	عزل عيسى بن علي		العلاقة مع بريطانيا في أواخر
٤٩٢	حمد بن عيسى	٤٥٣	حكم الشيخ عبد الله
٤٩٢	الأوضاع العامة	٤٥٤	وفاة الشيخ عبد الله
٤٩٥	النشاط الأميركي	٤٥٤	علي بن عبد الله
٤٩٦	النشاط الروسي	٤٥٥	أحمد بن علي
٤٩٦	النشاط الألماني	٤٥٥	إنجازاته الداخلية
٤٩٧	النشاط الياباني	٤٥٧	الأوضاع الخارجية
	تجدد الادعاءات الإيرانية في	٤٥٨	استقلال قطر
٤٩٧	البحرين	٤٥٩	خليفة بن حمد
٤٩٩	علاقة البحرين مع السعوديين	٤٥٩	اعتلاؤه السلطة
٥٠١	سلمان بن حمد		إنجازات الشيخ خليفة على
٥٠٤	عيسى بن سليمان	٤٦٠	الصعيد الداخلي
٥٠٥	استقلال البحرين	٤٦٢	مشكلات قطر الحدودية مع جيرانها
٥٠٩	البحرين في ظل الاستقلال	٤٦٤	سياسة قطر الخارجية
٥٠٩	التطورات على صعيد الداخل	٤٦٦	الشيخ حمد بن خليفة
٥١٠	العلاقات الخارجية	٤٦٦	اعتلاؤه السلطة
٥١٢	معالم النهضة في البحرين		<b>الفصل السابع: البحرين</b>
٥٢٠	حمد بن عيسى	٤٧١	الموقع والجغرافيا
	<b>الفصل الثامن: مجلس التعاون الخليجي</b>	٤٧٢	تاريخ البحرين الحديث والمعاصر
٥٢١	قيام المجلس	٤٧٢	سلمان بن أحمد وأخوه عبد الله
٥٢٣	دوافع قيام المجلس		الأطماع العربية والإيرانية في
٥٢٦	أهداف المجلس	٤٧٣	البحرين
٥٢٨	ردود الفعل على قيام المجلس	٤٧٤	التدخل البريطاني في شؤون البحرين
٥٣٢	الهيكل التنظيمي للمجلس	٤٧٦	علاقة عبد الله بن أحمد مع مسقط
٥٣٢	المجلس الأعلى	٤٧٧	البحرين بين بريطانيا ومصر
٥٣٢	هيئة فض النزاعات	٤٨٠	محمد بن خليفة



٥٤٦ .....	التحديات الأمنية الخارجية	٥٣٣ .....	المجلس الوزاري
٥٥٣ .....	التحديات السياسية	٥٣٣ .....	الأمانة العامة
٥٥٤ .....	أهم المحطات الإصلاحية		التحديات التي تواجه دول مجلس
٥٥٨ .....	ثبت المصادر والمراجع	٥٣٤ .....	التعاون الخليجي
٥٧٦ .....	ثبت الخرائط	٥٣٤ .....	التحديات التنموية
٥٧٧ .....	فهرس الموضوعات	٥٤٢	التحديات الأمنية الداخلية والحدودية

# مكتبة

t.me/soramnqraa



## telegram @soramnqraa

جزيرة العرب مولد الهدى والإشعاع ، منها انطلقت هجرات الشعوب القديمة ،  
ومنها خرج العرب فاتحين حاملين رسالة السماء إلى أهل الأرض ، فعَمَّ خيرهم  
معظم أنحاء العالم .

هي وحدة جغرافية وبشريّة ، قَسَمَتَهَا ظروف استثنائية ، وهي تسعى لاستعادة  
وحدتها . ولهذا فضّلنا أن يكون اسم الكتاب الجديد الذي نقدمه للقراء اليوم :  
«تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر» .

وهو يحوي تاريخ أقطارها بحسب الدول فيها .

وقد خُصَّت كل دولة بفصل ، واختُتِمَ البحث بفصل عن مجلس التعاون  
الخليجي ، حديث التكوين ، والذي يُعلِّق عليه العرب أملاً كبيراً .

ومؤلف الكتاب أستاذ جامعي ومؤرِّخ مختصّ بالتاريخ العربي الإسلامي ،  
نشرت له الدار عدداً كبيراً من المؤلفات التاريخية القويمة ، لاقت رواجاً  
وتقديرًا من مختلف القراء ، لحيادها وعلميَّتها .

الناشر

ISBN 978-9953-18-523-1



9 789953 185231